

عبد الله القصيمي

الكون يحاكم الإله



منشورات الجمل

عبد الله القصيمي: الكون يحاكم الإله

عبد الله القصيمي

الكون يحاكم الإله

منشورات الجمل

عبد الله القصيمي (١٩٠٧-١٩٩٦)، ولد في القصيم، هاجر إلى الشارقة حيث بدأ رحلة دراسية عبر العراق، الهند، سوريا وحتى القاهرة! أقام لسنوات طويلة في لبنان ومصر حيث توفي ودفن هناك. له العديد من المؤلفات، منها: البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية (١٩٣١)؛ الثورة الوهابية (١٩٣٦)؛ الصراع بين الإسلام والوثنية (١٩٣٧)؛ هذي هي الأغلال (١٩٤٦)؛ العالم ليس عقلاً (١٩٦٤)؛ أيها العقل من رآك؟ (١٩٦٤)؛ كبرياء التاريخ في مازق (١٩٦٦)؛ هذا الكون ما ضميره؟ (١٩٦٦)؛ صدر له عن منشورات الجمل: العرب ظاهرة صوتية (٢٠٠٢)؛ لئلا يعود هارون الرشيد (١٩٩٧)؛ عاشق لعار التاريخ (١٩٩٩)؛ هذي هي الأغلال (٢٠٠٠).

عبد الله القصيمي: الكون يحاكم الإله، الطبعة الأولى
كافة حقوق النشر والاقتباس والترجمة
محفوظة لمنشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا) - بغداد ٢٠٠٦

© Al-Kamel Verlag 2006
Postfach 210149 . 50527 Köln . Germany
Tel: 0221 736982 . Fax: 0221 7326763
E-Mail: KAlmaaly@aol.com

أنعاك وأعتذر إليك أيُّها المولود بلا مكانٍ أو مجتمعٍ أو انتماء!

لأنك ستموت قبل أن تُولد وتُوجد وتحيا .!

ولأنه لن يوجد من يستطيع أو يريد أو يجزؤ أن يكفئك أو يشيعك أو يقبرك أو يصلي عليك أو يعزي فيك أو يبكيك أو يذكرك أو حتى يلعنك لأنه لن يوجد من لا يخشى أو يهاب أو يرفض أن يكون ذاكراً أو متذكراً لك أو مذكراً بك .!

لهذا لن يوجد من يجزؤ على لعنك أي لثلا يكون لاعنك متحدثاً عنك ومذكراً بك ومعلنأ عن وجودك .!

لأنه لن يوجد من لا يبخل عليك بلعنه لك أو من لا يجبن عن هذا اللعن لك . .
إنك يا كتابي ستكون الكائن الذي لن يجد أو يتصور رافضوه ومعاقبوه عقاباً له أقسى وأقوى من منع وتحريم ورفض لعنه أي لعنه المعلن، أي لثلا يكون لعنه حديثاً عنه أو تذكيراً به أو إعلاناً عن وجوده أو اعترافاً بوجوده .!

. . هل يحدث أن يموت أو ينعى من لم يوجد ويحيا أو قبل أن يوجد ويحيا، أو هل يحدث أن يعتذر إليه؟ لقد حدث ذلك، حدث لك يا كتابي . . يا كتابي المولود بلا وطن أو شعب أو قبيلة أو تاريخ أو تعامل مع قوانين الوراثة أو قوانين الطبيعة . .

نعم، لأنك جئت أو أردت المجيء يا كتابي خروجاً شاملاً مفاجئاً فاجعاً على كل نصوص وتفسير ورؤى وقرئات وخطوات وتصورات وطاقات وحسابات التاريخ والآلهة والشموس والنجوم، أي أن تجيء تكذيباً أو اختراقاً لكل الاحتمالات والتوقعات. تكذيباً واختراقاً لكل ما قالته قوانين الطبيعة والوراثة أي لأنك جئت إلى قوم بلغة لا يوجد فيهم من يتكلمها أو يعرفها أو يستطيع أو يريد أن يتكلمها أو يتعلمها أو يعرفها أو يقبلها أو يغفرها أو يتصور أنها قد وجدت أو أنها قد توجد أو أنه قد يوجد من يستطيعون أو

يريدون أو يقبلون أن يتكلموها أو يتعلموها أو يقرأوها أو يسمعوها أو يسمعوها عنها أو بها . .

لأنك يا كتابي الجريء الوقح الفاجع بوقاحتة وجرأته قد أردت وصممت أن تجيء إلى هؤلاء القوم بهذه اللغة التي لم يتكلمها أو يتعلمها أو يقرأها أو يسمعوها أو يسمعوها بها أو عنها ولن يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك أحد من آلهتهم أو أنبيائهم أو فلاسفتهم وعباقرتهم أو من أبطالهم أو شعرائهم أو أتقيائهم أو فجارهم أو حتى من زنادقتهم . . لأنك جئت أو أردت المجيء . . لأنهم قوم قد تخلقت وتجمعت فيهم كل نصوص وتفسير التقوى الفكرية والاعتقادية والعرقية التاريخية . . دون أن يتخلق فيهم أي قدر أو نوع من نصوص أو تفسير التقوى النفسية أو الأخلاقية أو الإنسانية أو الحضارية أو حتى اللغوية . !

إن الإله أي إله . . إن كل الآلهة لن تجرؤ مهما رأته وسمعت أن تصدق أو تروي أنك يا كتابي هذا قد جئت أو قررت وأردت أن تجيء باللغة العربية لتخاطب الإنسان العربي الذي تعذبت وفجعت طويلاً، طويلاً برؤيته وقراءته ومشاهدته ومعاملته ومعرفته . !

هل وجد أو يمكن أن يوجد معذب مفجوع مروع مثل من يستطيع أو يريد أو يقبل أن يقرأ الإنسان العربي أو أن يفسره أو يراه أو يعامله أو يعرفه أو يحاسبه بحسابات ومقاييس إنسانية أو مثل من ينتظر منه شيئاً من ذلك أو يطالبه بشيء منه؟

ولكن هل يمكن أن يفكر أي أبلة في محاسبة الإنسان العربي بشيء من هذه الحسابات والمقاييس؟

هل وُجد أو يمكن أن يُوجد من يريد أو يقبل أو يستطيع ذلك؟ هل يوجد باحث عن العذاب والانفجاع والترويع بمثل هذه القسوة؟

هل تعذبت يا إلهي أو تعذب أحد بشيء أو بأحد مثلما تعذبت بالإنسان العربي . . أي مثلما تعذبت به عاشقاً محابياً مريداً مخاطباً له، ومفجوعاً مفضوحاً مهزوماً متهماً مسبوباً معيراً به، وقارئاً مفسراً محاوراً متفهماً له، محدقاً فيه، منتظراً منه وله، مباهياً به؟ هل يوجد أو وجد عشق خاسر وبليد مثل عشقك يا إلهي للإنسان العربي أو مثل عشقه لك؟

. . إسمع يا إلهي، أرجوك بل أطلبك يا إلهي أن تسمع . . ليتك تستطيع أن تسمع لكي أقول لك :

هل وجد مثلك مفتضحاً وخائباً خاسراً في مباهاتك بالإنسان العربي وفي انتظارك له ومنه وفي انتسابك إليه واستنصارك به، أو مثل الإنسان العربي في ضخامة خيبته وافتضاحه وخسرانه ومفاخره ومقاتلاً مخاصماً ملاعناً معادياً بك ولك ومنتظراً منك ولك؟ هل وجد سلاح مهزوم ومهان وخادع كاذب مثلك يا إلهي في يد الإنسان العربي أو مثل الإنسان العربي في يدك؟

. . ففكر يا إلهي، ففكر . . كم أرجوك وأتضرع إليك أن تفكر، أن تفكر في هذا: هل خسر أي خاسر بأي شيء مثلما خسرت بالإنسان العربي أو مثلما خسر بك الإنسان العربي يا إلهي، يا أعظم خاسر وأعظم صانع للخسران؟!

هل وجدت علاقة فيها كل القبح والخسران دون أن يكون فيها أي قدر من الجمال أو الربح مثل العلاقة بينك يا إلهي وبين الإنسان العربي؟ هل يوجد فاضح لقبح العلاقات بين أي كائن وكائن وبين أي شيء وشيء مثل العلاقات بينك وبين الإنسان العربي؟

. . أريد أن أكرر، أكرر لأقول: هل هزم أحد بأحد أو بشيء مثلما هزمت يا إلهي مقاتلاً ومعادياً ومخاصماً ومحاوراً وملاعناً بالإنسان العربي أو مثلما هزم الإنسان العربي معادياً ومحارباً ومشاتماً ومخاصماً مبارزاً بك ومنتظراً منك مؤملاً فيك وداعية لك ومؤمناً مبشراً مستنصراً مستغيثاً بك ومتوكلاً عليك؟

هل خسر بإيمانه مثلما خسر الإنسان العربي بإيمانه بك أو مثلما خسر أي إله بكونه إلهاً أو مثلما خسرت يا إلهي بالوهيتك للإنسان العربي؟ هل هجا الإيمان شيء مثلما هجاه إيمان الإنسان العربي أو هجا الآلهة شيء أو أحداً مثلما هجوتهم أنت يا إلهي، يا إله الإنسان العربي . . مثلما هجوتهم بأخلاق ومواهب ألوهيتك؟

. . كيف جرؤت وتجروا يا إلهي على التحدث عن أي ربح أو مجد لك من الإنسان العربي أو كيف جرؤ ويجرؤ هو على أن يتحدث عن أي ربح أو مجد له هو منك . . من علاقات أحدكما بالآخر وانتماءاته إليه وادعاءاته؟

ألم يحاول أحدكما أو كلاكما أن ينظر ليرى ما الذي فعل بالآخر أو له وما الذي أعطاه؟

. . كيف جرؤتما أي أنت يا إلهي والإنسان العربي على التعامل بهذه الوقاحة أو البلاهة أو البلاهة أو الفضيحة المعلنة المتبادلة بينكما؟ من علمكما ذكاءكما وأخلاقكما وفضائلكما؟ كيف استطاع معلمكما أن يهبط إلى هذا الحضيض لكي يعرف ويستطيع أن

يعلمكما الهبوط إليه؟ إن هبوطكما في علاقات أحكما بالآخر أي أنت يا إلهي والإنسان العربي هبوط يحتاج الاهتداء إليه وكذا القدرة عليه إلى عبقرية غير معروفة .

. . أيكما يا إلهي قتل في الآخر أو سحب منه كل طاقات وأخلاق وأشواق ولذات ووقاحات وبذاءات ومعاناة الرؤية والفهم والكرامة والمواجهة والمحاورة والاستحياء والوقار والصدق؟

أيكما الفاعل بالآخر المفسد له؟ وهل أنما فاعل ومفعول به . . مفسد ومفسد؟ أم أنما كلاكما مفعول مفسد؟

صعب، صعب جداً أن يوجد عذاب مثل عذاب الصدق، كل الصدق أو بعض الصدق؟ لهذا كان صعباً، صعباً أن يوجد صدق . وهل وجد صدق؟

هل وجد الصدق أو شيء منه مهما وجد؟ أليس الصدق، أي لو وجد، يعني رفض ونفي وقتل وموت وعار كل شيء وكل أحد؟

هل استطاع أو هل يستطيع أحد أي واحد فقط من الآلهة أو الأنبياء أو الملائكة أو القديسين أن يكون صادقاً أو بعض الصادق أو شيئاً من تفاسير الصادق في أي موقف، بأي تعبير، تحت أي حافظ أو نية؟

هل استطاع أو هل يستطيع واحد من هؤلاء أن يكون صادقاً أو مريداً للصدق أكثر من أكذب الكذابين أو من كل الكذابين وأوقح الكذابين؟

هل يعني صدق هؤلاء إلا أفجر وأوقح أساليب الكذب ومعانيه ونياته أي لو صدقوا؟ أليس الكائن يحتاج إلى الكذب والخداع والنفاق والتزوير وإلى التعامل بذلك بقدر ما يكون كبيراً أو عظيماً وقوياً وتقياً ومسؤولاً أي بقدر ما يكون إلهاً أو نبياً أو قديساً أو زعيماً أو معلماً أي بقدر ما يكون داعية إلى الصدق والشجاعة والتقوى والحب والفداء والصفاء والكمال الإنساني، وإلى رفض ولعن الكذب والنفاق والخداع والتزوير؟ أليس كل ما في الكون والدنيا أكاذيب أقل من أكذوبة واحدة من أكاذيب الإله . . من أكاذيب أي إله . . من أكاذيبك يا إلهي؟

لماذا كان محتوماً أن تكون وتجيء الآلهة والنبوات والزعامات والقيادات والإنسانيات أكثر كذباً ونفاقاً وخداعاً وتزويراً وتضليلاً وأكثر وأقسى احتياجاً إلى ذلك من كل أحد؟

هل لهذا تفسير غير هذا التفسير؟

إذن يا إلهي لا بدَّ أن تكون قد أدركت قسوة الفجيعة والضياع والخسران التي لا بدَّ أن يقاسيها هذا الكتاب لأنك قد قاسيت نفس الفجيعة والضياع والخسران حين جئت إلى نفس القوم نفس المجيء بنفس اللغة في نفس المكان لنفس الأغراض . . !

. . إذن لا بدَّ أن يكون أساك لمصاب هذا الكتاب فاجعاً قاتلاً مفسداً مدمراً طارداً لكل مسراتك وابتساماتك ولكل مواكب وضجيج احتفالاتك بنفسك وبأعراسك . إذن لا بدَّ أن تذرف كل دموعك على سطور هذا الكتاب . !

وهل تستطيع كل دموعك يا إلهي أن تكون شيئاً من العزاء المطلوب منك في هذه القضية؟

آه يا إلهي كم يجب أن نظل نذكر ونتذكر لك هذه المزية الذكية النبيلة الكبيرة الوحيدة . . كيف يا إلهي البدوي الأمي المسكين العاجز عرفتها وفهمتها واحترمها وقدرتها وتقبلها واستطعت الصعود إليها؟

إنها مزية لم تظن أنت إليها ولم يظن إليها أحد من أنبيائك أو من عبادك الأتقياء الأذكياء . ! . لقد فعلتها دون أن تظن إليها أو إلى شيء من تفاسيرها . !

نعم ، لقد أعلن إبليس العظيم إعلاناً عالمياً كونياً باسلاً ، باسلاً عصيانه وتسفيهه وتجهيله وتحقيره لك وتمرده عليك وكفرانه بك وسخريته منك وتحديه لذكائك وعقلك وكرامتك وكبرياؤك بل ولعضلاتك بكل اللغات والقراءات والأصوات والتفاسير ومن فوق كل المنابر والمحاريب وبتعاليم كل أنبياء التوراة والإنجيل والقرآن . ! فبماذا جازيته ، أي إبليس ، أو عاقبه يا إلهي العربي بكل صيغه وتفاسيره وأهوائه وأشواقه وأحقاد وأصواته؟ ألسنت قد وهبته الخلود المطلق والقدرة والحرية المطلقتين؟ هل عرف أنبياءك وأوليائك أنك فعلت به وله ذلك؟ إذن لماذا لم يتعلموا منه ويعلموا به؟ لماذا لم تعلمهم إياه؟

هل وجد أو يوجد عاجز عن تعليم أنبيائه وأنصاره والمؤمنين به مثل الإله ، مثلك يا إلهي؟

إذن أليس كل من يجزون ويهبون ويعاملون الخارجين عليك خروج إبليس مثل مجازاتك وهباتك ومعاملاتك لإبليس هم خوارج وجهلاء ، وعصاة ومذنبين وهاجين لك وليسوا أذكياء أو أتقياء أو محترمين أو معظمين أو مطيعين لك .

كيف لم يفهم ذلك ويلتزم به أحد من أنبيائك أو دعائك أو من المؤمنين بك

المتعبدین لك؟ كيف لم تفهمه وتلتزم به أنت يا إلهي؟ هل نسيت ذلك، أي قصتك مع
إبليس؟ هل يوجد عاجز عن أن يتعلم أو يعلم مثل الآلهة؟
إذن أليس أنبياءك وأولياؤك وعبادك الصالحون هم أقسى وأغبى وأكثر عصياناً
وإيذاءً وإيلاماً لك وخروجاً عليك وجهلاً بك من كل أحد؟
أكتب هذا إلهي وأطلب من كل موظفيك أن يكتبوه ويقرأوه ويفهموه!

ستعرف يا إلهي أنني الصديق الوحيد لك في هذا العالم

. . . إنني في محاكمتي هذه لك يا إلهي لم أكن ولن أكون إلا منظفاً مجمللاً مبرئاً مخلصاً لك ساتراً عليك . . . لم أكن ولن أكون إلا جندياً فداًياً مقاتلاً عنك ولك ومعك ومن أجلك، من أجل كرامتك ونظافتك وتقواك نافعاً رافضاً أن تكون أية ذرة أو قملة أو نملة أو أنة أو صرخة أو آهة أو عاهة أو ذبابة قد حبل بها وولدها عقلك أو قلبك أو فنك أو جمالك أو أخلاقك أو أشواقك أو يدك . . .

. . . لم أكن ولن أكون إلا صديقاً مخلصاً لك بكل أساليب ولغات ومواقف الصداقة والإخلاص بل بكل أساليب ولغات ومواقف الانتحار . . . الانتحار من أجل تنظيف وتطهير وحماية كل ذاتك وصفاتك ونياتك وأخلاقك وإراداتك ورغباتك وكل مواهبك وتاريخك وفنونك بل وعيونك ومسامعك من كل العاهات والدمامات والتشوهات والأنات والصرخات والقبائح والفضائح والنقااص والعار والجنون والذنوب والعيوب التي تغطي كل هذا الوجود وكل من فيه والتي لا يوجد أو يحيا أو يبقى أو يسعد أو يتلاءم أو يتعايش أو يتماسك إلا بها، أي هذا الوجود، وكل من فيه بل أو حتى يفهم أو يفسر إلا بها . . . والتي هي بعض أوصاف مريد ومخطط وفاعل كل شيء بل التي هي بعض عاره وقبحه وخطاياها . . . والتي تتهم أنت، أنت يا إلهي بها كلها . . . تتهم بها كلها إرادة وتدبيراً وتخطيطاً وحكمة وخلقاً أو خراجاً وفرحاً وبدءاً بدءاً . . . بل التي لن يكون مؤمناً أو مستحقاً لفردوسك ولعلمانه من لم يصفك بها مادحاً لك . هل وجد واصف محقر لموصوفه مثل واصفك يا إلهي؟

أجل، إنني في هذه المحاكمة لم أكن ولن أكون إلا راثياً حزيناً . . . راثياً حزيناً لك يا إلهي . آه ما أقسى أحزان من يحزن لإلهه . ما أقسى وأفجع وأدوم وأنبل عذاب من يتعذب إشفاقاً على إلهه وانفجاعاً بإلهه . ! بمستوياته الأخلاقية والفنية والعلمية . إنني في

هذه المحاكمة لم أكن ولن أكون إلا مسيحاً مصلوباً فوق صليب بل إلا صالباً نفسي وكل أخلاقي وأفكاري وحياتي وأسباب أمانتي فوق صليبك الذي لن يكون إلا صليبي بل لم أكن ولن أكون إلا صليباً هو الصالب والمصلوب . إني أنا الصليب والصالب والمصلوب أي بلا أي فخر ! .

نعم ، يا إلهي إني لم أكن ولن أكون إلا كل ذلك مهما حسبت أو زعمت أو بدوت نقيضاً حاداً لكل ذلك . إنه لا كائن من يحسب صديقه هو عدوه ، ومن يحسب عدوه صديقه غير الإله ! .

إنك يا إلهي لو أردت أن تهب كل حبك وشكرك وثنائك بكل الصدق والعدل والاستحقاق لما وجدت من تهبه ذلك مثل من قاسى وقاسى ، بل خاطر وجازف بإقدامه على هذه المحاكمة لك التي قد تكون الأولى في تاريخ البشر . .

بل التي لم تستطع كل بسالة وكرامة وخيال وذكاء واقتحام وتطلع وتلهف كل البشر في كل عصورهم وحضاراتهم الرؤية لها أو التفكير فيها أو الإحساس بها .

. . إذن كم أنتظر وأتمنى أن تفهمني يا إلهي وأن تراني وتجدني أنا وحدي الصديق المحب الممجد المنزه لك ، بل الفادي ، الفادي ! أما أنبيأؤك ودعاتك وجميع المؤمنين المعلمين لك وعنك وبك . . الذين يجيئون ليدعوا إلى الاقتناع والاعتقاد بأنك أنت وحدك المريد المخطط العاشق الفاعل لكل ما في كل شيء وكل أحد من أخطاء وخطايا ووقاحات ونذالات وبلادات وشهوات ومجاعات وذنوب وآلام وأمراض وتشوهات وعاهات وتفاهات وعبث وفروق رهيبة مهينة مدمرة بلا أي استحقاق للمفضل أو للمفضل عليه لأن استحقاقاً لهذا أو هذا موهوب ، أنت واهبه في البدء ، البدء ! .

. . ليجعلوا عينيك وعقلك وقلبك وأخلاقك وضميرك وكل مواجهاتك ومشاهداتك واستعراضاتك واحتفالاتك مباصق لكل هذه القبايح .

- نعم ، أما أنبيأؤك ودعاتك وكل معلمي الإيمان بك فلن يكونوا إلا أردأ وأقسى وأجهل وأوقح أعدائك مهما جهلوا هذا الذي لا يستطيع جهله . . أليس من رأنا واعتقدنا وأعلننا أنذالاً وسفهاء وجهلاء وظلمة فهو عدو لنا مهما كان جهله وقصده؟ إنك يا إلهي لو قرأت هذه المحاكمة كما أتمنى وأنتظر أن تقرأها لوجدت فيها كل الكفارة والتفكير عن كل النقائص والآثام التي يتهمك بها من زعموا أنبياءك ودعاتك وعبادك زاعمين أنهم بذلك يعبدونك ويرضونك ويتملقونك ويساومونك بل ويشترونك ويخدعونك ويدللونك .

. . ولو وجدت فيها، أي في هذه المحاكمة، كل الطهارة والتطهير لك من كل الأوحال والعفونات التي يلقون بها ويستفرغونها على كل تفاسيرك ومعانيك ونياتك معلنين وزاعمين أنهم ينظفونك ويزينوك ويعطرونك، أعني من زعموا أنبياءك ودعاتك وعبادك الأبرار. !

إنهم يصبون عليك وفيك ويلبسونك ويصوغونك ويقذفونك بكل ما فيهم وبكل ما في الوجود من قاذورات وقباحات وسفاهات ونذالات ودمامات وجنون. أما أنا، أي في هذه المحاكمة، فأنتيك وأصفيك وأحميك وأغسلك بل وأوضئك من كل ذلك بل وأخذك إلى أخلد وأقدس معبد ليغسل ويظهر كل ذاتك وثيابك ونياتك وتاريخك من كل الاتهامات والتلوثات بل ليعقمك ضد كل ذلك.

تعقيماً يتعهد به وينفذه كل ما في الكون وغير الكون من آلهة وبشر وكائنات وقوانين!

إنها محاكمة للإنسان.. بَرَاءة للإله

كل تفاسير المنطق والأخلاق والقوانين والعدالة المقررة والمفسرة والمنفذة بل والمفترضة والمتمناة والمطلوبة والمطالب بها والتي تمجد نفسها بالدعوة لها وبادعائها كل الألوهيات والنبوات والفلسفات والمذاهبات والثورات .

- نعم، كل تفاسير كل ذلك تقضي وتعلم وتلزم بأن تكون محاكمة الإنسان أو تعبيره أو تأثيمه على أي شيء من ذنوبه أو عيوبه أو نقائصه أو ضعفه أو دماياته أو تشوهات الذاتية أو المعنوية أي النفسية والعقلية والأخلاقية والفنية بل والتعبيرية واللغوية إنما هي محاكمة وتعبير وتأثيم للإله أو للطبيعة أو لأية قوة أو كائن آخر داخل هذا الوجود أو فوقه أو حوله . . أراد وخطط وولد وصاغ الإنسان بكل حدوده وصيغته وطاقاته وضروراته وشهواته واحتياجاته وأهوائه ورؤاه وبكل قوته وضعفه . . بكل ذكائه وغبائه . أليست محاكمة أو محاسبة أو معاقبة الإنسان على أية عاهة أو نقص أو ضعف في عقله أو خلقه أو إرادته أو عواطفه أو عقائده تساوي محاسبته أو محاكمته أو معاقبته على أي شيء من ذلك في بدنه؟

. . المخلوق المصنوع المحكوم من خارجه بإرادة وفكرة وقدرة غير إرادته وفكرته وقدرته . . كيف يمكن أن يكون متهماً أو مذنباً أو مخطئاً مهما كانت ذنوبه وأخطاؤه؟ هذه قضية كانت يجب ألا يوجد وألا يحتمل أن يوجد من يجهلها أو من يستطيع جهلها . . ! أعني في حساب من يرى الإنسان مراداً ومدبراً ومصمماً ومخلوقاً مصنوعاً محكوماً من خارجه . !

كيف يكون المراد المدبر المصمم المخلوق المصنوع من خارجه محموداً أو مذموماً لعظمته وضخامته ونظافته أو لتفاهته وضآلته وقذارته . . لجماله وتقواه أو لفجوره ودمايته؟

ولكن والأسفاه، واعجابه...!.. لقد ظلت هذه القضية قضية لن يكون كذباً أو حتى مبالغة أن يقال أن أحداً لم يرها أو يقرأها أو يحاسبها أو يفسرها أو حتى يسألها بأية خففة أو أنة أو آهة من لغات أو تعبيرات أو معاني الفكر أو الأخلاق أو الضمير أو الرؤية أو الصدق أو البسالة أو حتى الحيرة!؟

ولكن أية قضية من قضايا الوجود والحياة قد حوسبت أو قرئت أو فسرت أو رؤيت أو سوئلت أو سنلت بأي شيء أو قدر من ذلك؟ إن كل وجود وموجود مكتوب عليه بكل اللغات والحروف: لماذا، لماذا دون أن يرى أو يقرأ ذلك أحد ان لماذا قتل لكل شيء... إن أحداً لم يفهم أن من قال لإنسان أو عن إنسان: إنه مجنون أو بليد أو أحمق أو وقح أو ضعيف أو دميم أو مشوه أو جبان أو ذليل أو ضال أو لثيم أو حقود أو مهزوم أو مريض أو مهان أو عبد أو مستعبد أو مصاب باللون المحقر والمسخور منه فهو إنما يقول ذلك للإله ويصفه ويتهمة ويعيره به..

فهو إنما يقول له أنت يا إلهي كل ذلك... أنت كل هذه النقائص والعاهات والذنوب والقباحات والوقاحات... أنت كلها بكل التفسير والمقاييس والحسابات والعدالات..!

إنه يقول ذلك بكل اللغات وإن لم ينطقه بأية لغة..!

كيف أمكن أن يجهل ذلك أحد؟

.. أية قوة استطاعت أن تحاصر وتصيب وتحكم كل معاني الإنسان، كل الإنسان بكل هذه البلادة والعمى والضللال والخمول ليكون، أي الإنسان، معجزة في عجزه عن رؤية وفهم ما لا يستطيع العجز عن رؤيته أو عن فهمه؟

هل هي، أي هذه القوة، إن وجدت محابية للإنسان أم للإله أم للطبيعة أم لنفسها أم لكائن أو كائنات أخرى موجودة ومحتاجة إلى هذه المحابة دون أن ندري عنها شيئاً؟

أو هل هي، أي هذه القوة، معادية لكل ذلك لا محابية؟

أم أن هذه القوة، أي إن وجدت، هي قوة عشوائية مثل المنطق أو الكون أو النظام أو الإله الذي أوجدها أو الذي جاءت منه دون أن يوجدها أو يريد إيجادها، تضرب وتتحرك بلا إرادة أو تدبير كما يحدث هذا الكون وكل شيء فيه؟

أليست الإدارة والتدبير يحدثان وتحدث أسبابهما بلا إرادة أو تدبير؟ أليست الإرادة والتدبير يجيئان بلا إرادة أو تدبير بل ضد الإرادة والتدبير أو ما يجب أن تفعل الإرادة

والتدبير؟ هل يستطيع المرید ألا یرید لو اقتنع أنه یرجب ألا یرید وأراد ألا یرید؟ إن الإرادة لا تكون بالإرادة ولا تمنع بالإرادة.

. . لهذا استحال معرفة ما يستحيل جهله أعني ما یرجب أن يستحيل جهله أي ما يستحيل أن یجهله أحد مهما كانت طاقات غبائه وجهله أي ما یرجب أن يستحيل جهله أحد له . !

لقد هزمت في هذه القضية بل وفي كل قضية وألغيت كل قوانين وتفسير الاستحالة والمستحيل . لقد زالت أو تداخلت كل الحدود بين المستحيل ونقيضه، بل لعل هذه الحدود لم توجد . ! . وهل وجدت؟

لماذا لم یأت نبی واحد لیعلم أو لیمنع المستحيل كما جاء كل نبی لیعلم كل شيء؟

لقد تبادلا، أي المستحيل ونقيضه، كل الأخلاق والأماكن والظروف والعلامات والأعلام واللغات والشعارات . !

. . ما هو المستحيل وما هو غير المستحيل أو نقيض المستحيل أو المستحيل أن یركون أو أن یرى مستحيلاً؟ هل وجد من عرف ذلك أو حاول معرفته؟

أليس كل ما حدث ويحدث هو المستحيل أو هو الذي یرجب عقلاً ومنطقاً وأخلاقاً بل وفناً وتديناً أن یركون وأن یرى ویحسب مستحيلاً؟ أليس ما أصبح مستحيلاً أو أكثر ما أصبح أو حسب أو أريد مستحيلاً هو الذي كان یرجب ویفترض ویطلب ویعقل أن یركون غير مستحيل بل أن یركون واقعاً بل أن یركون مستحيلاً أن یرى أو یحسب أو یظن مستحيلاً؟ هل وجد خارج على قوانين وتفسير المستحيل ونقيضه مثل الإله أي مثل المسؤول عن هذا الوجود؟

. . إن كل شيء . . كل ما حدث وكل ما سوف يحدث أو ما قد يحدث یرجب في حساب كل منطق وأخلاق وذكاء وكرامة وشرف وجمال وحب أن یركون مستحيلاً بل أن یركون مستحيلاً تصوره أو تصور من يتصوره أو یقبله أو یغفره أو یعامل به أو معه . ! . . إن كل ما جاء ویجيء كما جاء وكما یجيء لمحتوم أن یركون أكثر المستحيلات استحالة لو وجدت قوانين أو أخلاق أو منطق للمستحيل وغير المستحيل . !

. . كيف أمكن أن تنطق أية لغة أو أي مجتمع بحروف: مستحيل أو بحروف: غير مستحيل أو مستحيلة استحالة؟ ولعل الإله لم يتحدث عن المستحيل لأنه حیثئذ سیركون هو كل هذا المستحيل . !

كيف وجد أول من نطق بذلك؟ كيف قبل الإله أو الكون أن يوجد من ينطق بذلك وهما الإله والكون يفعلان ما يفعلان ويفكران ويريان كما يفكران ويريان؟ هل يغفر للإله الذي صاغ هذا الوجود كما صاغه أو للكون الذي جاء كما جاء أن ينطق بكلمة: مستحيل؟

. . كيف ولماذا أصبح المستحيل مستحيلاً وغير المستحيل غير مستحيل؟ من فعل ذلك؟ وهل فعله إن وجد من فعله بإرادة وتدبير أم بلا إرادة ولا تدبير؟

وكيف جاءت إرادته وتدبيره كما جاءت، ولماذا جاءتا كذلك؟ بأي حساب أو منطق جاءتا كذلك ولم تغيثا نقيض ما جاءتا؟ الواقع لو جاء هو المستحيل والمستحيل لو جاء هو الواقع: لو جاء ذلك كذلك فماذا يمكن أن يحدث؟

بأي حساب أو منطق أو فن نطق بهذا وهذا وأرادهما وجعلهما كما أرادهما وجعلهما أي إن وجد هذا المريد الجاعل؟

بأي منطق أو حساب أو أخلاق أو تدبير تكون الأشياء أو لا تكون؟

هل سأل المسؤول عن هذا الوجود نفسه هذا السؤال؟

لو أن كل العقول والأخلاق والحسابات تجمعت خارج هذا الوجود متحاوره متحاسبة متسائلة عن كل شيء وفي كل شيء فهل يمكن أن يوجد أي عقل أو حساب أو أخلاق أن لا تقول حينئذ أن مجيء هذا الوجود أو مجيء أي شيء منه كما جاء هو كل المستحيل؟

إذن فماذا يمكن أن يقول أي منطق أو حساب أو أخلاق عن مجيء الإله كما جاء بل وكيفما جاء؟ كيف أمكن أن يؤمن أو يقول بمبدأ الاستحالة والمستحيل من آمن بوجود الإله كما تصوره ولقنه؟

. . أجل، إن محاكمة ومحاسبة واتهام الإنسان هنا هي أقصى محاكمة ومحاسبة واتهام للإله بكل تفاسير وحسابات وقرارات وقدرات ورؤى المنطق والأخلاق والعدل والصدق والشجاعة أي مفترضاً وجود الإله. !

إن عقاب ولعن أي إنسان على جرائمه وفضائحه لن يكون إلاّ عقاباً ولعناً للإله. !
هل يوجد من يجهل ذلك. . من يجهل قراءة ورؤية وتفسير الإنسان ليست إلاّ

قراءة ورؤية وتفسيراً للإله بكل صيغه وتفسيره، بكل ما في ذلك من قبح وضعف وضالة ومهانة، وأن الاستماع إليه أي إلى الإنسان.. إلى أنينه وصراخه وبكائه وجهالاته ووقاحاته وبذاته وشتائمه وشكائياته وآهاته من آلامه وأحزانه وهوانه وهزائمه ومخاوفه وفضائحه وتفاهاته.. ليس إلّا استماعاً إلى الإله.. إلى كل ذلك من الإله وفي الإله ومفسراً للإله، معلناً عنه؟ إن الإله ليرى في ذات الإنسان أعمق وأشمل مما يرى الوجه في المرأة. إن ذات الإنسان أقبح معرض لذات الإله ولمعانيه.!

.. إن من رأى عاهة في وجه إنسان أو سمع أنه أو آهة يطلقها قلب إنسان جريح مفجوع فهو إنما رأى وسمع الإله ووجهه وأخلاقه وفنونه وتفسيره وآلامه وتشوّهاته وأشواقه وتمنياته وقدراته وجماله وما يعتقد أنه يصنع له السعادة والفرح والمجد والشهامة والكبرياء.!

هذا هو التفسير لمحاكمة واتهام الإنسان المباشرين الناطقين المنطوقين.. إنه التفسير الذي لن يوجد من يستطيع أو يجرؤ أن يخالف أو يجادل فيه حتى ولا الآلهة إلّا أن تكون آلهة قد تصورتها وأرادتها وصممتها وصاغتها وبصقتها أخلاق وعبقریات الزعامات والقيادات والشاعريات والنبوات العربية الأصيلة.. الأصيلة.!

هل أقول بتكرار بلا أي اعتذار عن هذا التكرار: إن العاهة الفاجعة البذيئة في الوجه الجميل، وإن الأنة الأليمة يطلقها القلب الحزين البريء المؤمن لتصنعان لقلب الإله ولضميره وعقله وأخلاقه وعينيه وأذنيه كل الفرحة والمجد والجمال والسعادة والرقص والغناء الروحانيين، وإلّا لماذا أرادهما وصنعهما، أي العاهة والأنة وأخواتهما، في الوجوه والقلوب؟

هل من تفسير لهذا غير هذا؟ ليت هذا التفسير الآخر يوجد ولو احتمالاً..! أيهما يريح إيمان المؤمن: أن يعتقد بأن الإله يسعد بالقباحات والآلام أم أنه بذلك يشقى، أم أنه لا يسعد ولا يشقى بذلك لأنه فاقد لكل الرؤى والعواطف والانفعالات.. فاقد لكل تفاسير الضمير والقلب والعقل والأخلاق؟

.. أما محاكمة واتهام الإنسان غير المباشرين الناطقين الصريحين الجاهرين مع أنهما أصرح وأفضح وأفدح وأجهر وأنطق من كل شيء، فهما محاكمة الإله واتهامه، أي فهما هذه المحاكمة وهذا الاتهام للإله. إنني هنا أقاتل الإنسان موجهاً أسلحتي إلى

عرش الإله.. إلى أنصاب وأوثان وتمائيل الإله. ! حتى محاورة الإله لن تكون محاورة للإله. !

إن محاور ومحدث الأطلال والديار لن يكون محاوراً أو محدثاً للديار أو الأطلال.. كيف استطاعت أخلاق وعقول ورؤى النبوات والزعامات والعبقريات العربية أن تجهل ذلك؟ من هوى بها إلى حضيض هذا الغباء؟

إن كان أو إذا كان للغباء عبقرية، وحتماً له هذه العبقرية، فهل يمكن أن تكون هذه العبقرية شيئاً أضخم أو أشهر من العبقرية أو غير العبقرية التي استطاعت أن تهوي بعقول وأخلاق ورؤى النبوات والزعامات والقيادات والعبقريات بل والألوهيات العربية إلى حضيض هذا الحضيض؟ هل يمكن تصور عبقرية ضخمة وأليمة مثل العبقرية التي صاغت الوجود العربي كما جاء؟

.. لعل كل ما في هذا الكون وكذا كل ما في طاقات وأشواق الآلهة من عبقریات الغباء والافتضاح قد قررت، ولتكن الأسباب مجهولة أو حتى غير موجودة، أن تهب كل مجدها وقوتها وشهرتها وكل لغاتها وأزيائها للإنسان العربي.. لزعاماته وقياداته وعبقرياته وشاعرياته ونبواته بل ولألوهياته، قد قررت أن تحول نفسها إلى معارض ومتاحف وتاريخ للتاريخ العربي. !
لعل ذلك كذلك. !

لهذا فإن أي عربي لا يستطيع أن يقرأ أو يرى شيئاً من غبائه وافتضاحه مهما رآته وقرأته مفجوعة كل العيون والعقول والأخلاق والضمائر التي لا تعرف ولم تتعلم أو تعلم شيئاً من الرؤية أو القراءة أو الغضب أو الانفجاع... !
إن العربي لا يرى أو يقرأ معاني الأشياء مهما رأى وقرأ حروفها وأجسادها. !

إن هذه المحاكمة التي قد تكون الأولى أي محاكمة الإله بهذا الأسلوب المباشر الجاهر الصارخ لن تكون بكل نياتها وحوافزها وأسبابها ومنطقها وتفسيرها إلا محاكمة للإنسان.. ! إن أقسى محاكمة للإله هي أقسى محاكمة للإنسان. !

.. إنها محاكمة للإنسان على ما أراده ودبره وفعله وأوقعه باسم الإله وبادعاء الإيمان به والاحترام والتمجيد والعبادة والطاعة والإرضاء والإسعاد والعطاء والرشوة له ولدفع ثمن فردوسه والإنقاذ من جحيمه.

- نعم، محاكمة له على ما أراده ودبره وفعله وأوقعه بعقله وقلبه وضميره وأخلاقه ومشاعره وتصورات وأوقاته وأعماله واحتياجاته وعلاقاته ورؤاه وبكل صيغ ومعاني حياته

وجوده من تضليل وتبليد وتبديد وتشويه وخسران وأحقاد وعداوات وخصومات وانقسامات ومبارزات ومفاخرات وملاعنات وحروب، حروب وذكريات وتاريخ كئيب، كئيب..!

ومن مساجد وكنائس وهياكل ومباك متضرعة كلها إلى إلهها أن يهدم ما سواها..! أي بسبب هذا الإله وبحجة وجوده والإيمان به والتوسل والتقرب إليه وبإغراء البحث عن الجواري والغلمان في فردوسه وبرهبة الخوف من جحيمه ومن ضرباته المسددة أبداً إلى كل شيء وكل أحد.. المسلحة بكل الأسلحة القاتلة والجارحة والمشوهة أي بسبب هذا الإله المزعوم المجني عليه دون أن يكون جانياً.. هذا الإله المزعوم الذي مهما جُني عليه أو اتهم فلن يريد أو يستطيع أو يحاول أو يعرف أن يدافع عن نفسه أو يعاقب الجانين عليه المتهمين له أو يثأر منهم.. إنه لا بريء كل البراءة مزعوماً معتقداً معلناً مفسراً كل الظلم والظالمين غير الإله..!

هل خسر الإنسان أو تعذب أو استحق كل المحاكمة والمعاقبة وأقصى المحاكمة والمعاقبة على أي شيء مثلما خسر وتعذب في هذه القضية، أو مثلما استحق هذه المحاكمة وهذه المعاقبة عليها أي على هذه القضية.. في كل تاريخه ووجوده وأجياله وشعوبه وأوطانه وأممه وأديانه وأنبيائه ومحاربيه ومنابره؟

هل عاقب أو قاتل أو شوه الإنسان كل وجوده ومعانيه، أو فقد كل ذكائه وكبريائه وأخلاقه وكل جمال وحب وصفاء وبراءة علاقاته بنفسه وبكل أحد وشيء..

- نعم، هل فعل الإنسان كل ذلك بكل أساليب ومعاني النذالة والقبح بل وبكل أصوات وتفسيرات الفخر والجهر والتدين والإعجاب وبطلب المزيد من القدرة على ذلك.. هل فعله مثلما فعله بادعائه الإيمان بهذا الإله.. بهذا الإله البائس الخاسر المظلوم الذي لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد من يستطيع أو يريد أن يطيعه أو يحترمه أو يحبه أو يشاق إليه حتى ولا أعنف من يفعل كل الجرائم والقبائح باسمه ومن أجله وبدعوى الغرق والفناء والجنون في حبه واحترامه وطاعته والشوق إليه.. هل وجد أو يوجد من فعلت وتفعل كل البغضاء والجرائم والخصومات والملاعنات والعداوات والبذاءات والوقاحات والبلاذات والعدوان بدعوى الحب والاحترام والطاعة والصلاة والغناء والرقص والتهافت له مثل الإله أي بلا شيء له من ذلك؟

.. أطلب أن تسمعوا وتتعبجوا وتتفجعوا أو أن تسمعوا فقط بلا تعجب أو تفجع أو انفجاع..!

وهل تستطيعون أن تتعجبوا أو تتفجعوا أو حتى تعجبوا أو تفجعوا؟

هل يستطيع أو يقبل أي كائن في هذا الكون أن يحيا أو يبقى أو حتى يوجد لو كان يملك أي قدر من عذاب وهول ولهيب وزئير وأنين التعجب والتفجع من كل ما يصنع التعجب والتفجع؟ وهل وجد أو يمكن أن يوجد ما لا يصنع ذلك؟

هل كان يمكن أن يوجد أو يبقى أي شيء أو أحد من هذا الوجود لو لم تسحب أو تقتل أو تسكت فيه ومنه كل رؤى وأخلاق وأفكار وضمانات ولغات وقراءات وتساؤلات العجب والتعجب والتفجع والانفجاع؟ هل من فعل ذلك بكل إنسان وكل أحد كان رحيماً حكيماً صديقاً أم كان عكس ذلك؟ هل هو عاشق جمال وذكاء أم دمامة وغباء؟ هل كان يمكن أن يوجد أو أجد من أخطب حينئذ بهذا الذي أقوله وأكتبه لو لم يحدث هذا السحب أو القتل أو الإسكات؟

ماذا لو أن الإله وكل من حوله من سكان السماء يملكون أي قدر أو تعبير من هذا أي من التعجب والتفجع والانفجاع مما يصنع ذلك؟

ماذا لو أن من يزعمون ويدعون أنبياء يملكون شيئاً من ذلك؟ ماذا، ماذا؟ هل كان يمكن حينئذ أن يكون قد جاء أو بقي أحد منهم لكي نتحدث عنه أو نذكره؟

.. إذن اسمعوا وإن لم يكن منتظراً أو مطلوباً أو مفيداً أو حتى محتملاً أن تسمعوا كما أريد وأطالب أن تسمعوا. إني هنا أطالب بما لا أومل أو أرجو.!

أليس أفسى حالات العذاب أن نطالب بما نرجو أو نتنظر أن يكون؟

هل يوجد موجود لا يهزأ بعقله ووقته بطلبه ما لا يرجى أو ينتظر أو يجيء؟

نعم، اسمعوا وحاولوا أن تصدقوا بأن محاكمة الإنسان واتهامه لن يكونا ويجب ألا يكونا إلا محاكمة واتهاماً للإله المستلقي في غيبوبة دائمة فوق عرشه. . عرشه الذي ليس فوقه أحد ولم يكن قط فوقه أحد ولن يقبل أحد أن يكون فوقه.!

وهل كان ربحاً أم خسراناً لكل شيء ولكل أحد ألا يكون فوقه أحد؟

.. وبأن محاكمة الإله واتهامه لن يكونا ويجب ألا يكونا إلا محاكمة واتهاماً للإنسان. . لكل الإنسان. محاكمة واتهاماً له على ما فعله بنفسه وبكل حياته وتاريخه وكياناته بدعوى الإيمان بهذا الإله والاستجابة لطلباته وشهوته وأناياته وأحقاده التي بعث بها أنبياءه ودعائه إلى البشر ليعلموهم المزيد من العداوات والخصومات

والاختلافات والأحقاد والبغضاء التي لا يحتاجون إلى أي مزيد منها . . وليقسموهم ويفرقوهم ويحولوا كل ذلك وكل الشرور الأخرى التي يعلمونهم أن يتعاملوا بها بل ويدعونهم إليها ليحولوا كل ذلك إلى بطولة وإيمان وتقوى وطاعة وصلاة ومحبة وصعود إلى السماء . . إلى الفردوس . . إلى أحضان هذا الإله وإلى الجلوس على مائدته التي طهاتها وخدمها الملائكة والغلمان والحيريات . . ليحولوا أُنذال الذنوب والنذالات إلى أنبل وأتقى وأبسل الأعمال طاعة وعبادة وحباً لأنبل إله . . ليعلموهم أن يفعلوا باسم الحب للإله كل ما يفعلون ويريدون استجابة لشیطان أعضائهم وأهوائهم ووقاحتهم وبذاءاتهم . . ليقولوا لهم كونوا قتلة وأعداء ولصوصاً وغزاة وأنذالاً لتكونوا كل مجد الإله وحبه وفرحه . !

هل تفهمون هذا وتصدقونه؟ هل تستطيعون ألا تفهموه أو ألا تصدقوه؟

هل يمكن أن يوجد من لا يستطيع فهم ذلك وتصديقه؟ ولكن هل يوجد ما يستطيع فهمه وتصديقه لو لم يوجد من يفهمون ويصدقون ما لا يستطيع فهمه وتصديقه بل من لا يفهمون أو يصدقون إلا ما لا يستطيع فهمه أو تصديقه؟ أليس ما لا يستطيع جهله أو تكذيبه هو الذي لا يستطيع فهمه أو تصديقه أو هو الذي يصعب ويقل ويعذب فهمه وتصديقه؟

. . نعم، هل كان يمكن أن يوجد ما يفهم ويصدق لولا وجود من يفهمون ويصدقون ما لا يفهم أو يصدق بل من لا يفهمون أو يصدقون إلا ما لا يستطيع فهمه أو تصديقه؟

إن القضية هكذا: فهم وتصديق لما لا يستطيع فهمه أو تصديقه، وعجز عن فهم وتصديق ما لا يستطيع العجز عن فهمه وتصديقه . !

إن هذا الكتاب إذن ليس إلا أسلوباً من أساليب محاكمة الإنسان لنفسه . .

من أساليب محاكمة الإله لمحاكمة الإنسان . . محاكمة لإنسان بأسلوب محاكمة الإله . ! أليست محاكمة ومحاسبة المعتدى عليه والمكذوب عليه على خطايا وأخطاء المعتدي الكاذب هما محاكمة ومحاسبة للمعتدي الكاذب الفاعل للأخطاء والخطايا حتى وإن لم يعرف أو يعترف؟

. . إنه لقبیح وبلید وشاذ ومرفوض ومستنكر جداً أن یقیم ویؤلف العالم كل المنظمات والجمعيات والمؤسسات والمجالس الدولية الكونية لمحاوره ومحاسبة

ومحاكمة ومعاقبة ومعالجة القضايا والمشاكل والمصادمات والاختلافات والتناقضات العالمية والمحلية . . الكلية والجزئية . . بكل الضججات والاهتمامات والاحتشادات والدعايات وبكل تقوى الإيمان بالحضارة والبدعوة بالإله وبالشیطان ثم لا يقيم أو يؤلف أو يؤسس، أي العالم، أية واحدة من هذه المنظمات أو المؤسسات أو الجمعيات أو المؤتمرات أو المجالس لمحاورة أو محاسبة أو محاكمة أو حتى مساءلة أو قراءة أو تفسير نفسه في هذه القضية الفاجعة التفسير والتأنيج !

لقد كان المفروض ألا يكون لكل العالم ولا لأية منظمة من منظماته أي اهتمام يساوي الاهتمام بهذه القضية لضخامة وديمومة ما تصنع له من خسائر وآلام وهموم وشُرور وعداوات وأحقاد وجهل !

. . إذن كم أرجوك وأضرع إليك يا إلهي المظلوم المسكين أن تفهمني وتغفر لي فإنني لا أحاكمك أو أتهمك بهذه المحاكمة والالتهام، وإنما أحاكم وأتهم نفسي أنا الإنسان . . أنا كل الإنسان !

. . أنت يا إلهي بريء، بريء، إنه لا بريء مثلك لأنك بريء من الوجود .

. . لأنك بريء حتى من وجودك، إذن لا بريء مثل براءتك . . لأنه لا بريء من وجود مثل براءتك من وجودك !

إنك يا إلهي الكائن الذي لا براءة له من كل الخطايا والأخطاء ولا من أية خطيئة أو خطأ إلا ببراءته من كل وجوده . من كل وجود !

إذن هل يوجد من يستحق رضاك وشكرك وحبك بل وجزائك مثل من يبرئك كل هذه البراءة . . مثل من يبرئك حتى من وجودك ؟ . ما أعظم حظوظي وحظوتي وجزائي لديك أيها الإله لو كنت موجوداً لأنه لا مدافع عنك مثلي !

. . هل يوجد بريء مثل براءة البريء من وجوده ؟

وهل يمكن تصور متهم مثل الإله المتهم بوجوده . . المتهم بأنه موجود ؟ إذن هل يمكن تصور مدافع عن الإله أو مستحق لشكره مثل المنكر لوجوده ؟

نعم، هل يمكن تصور متهم مثل الإله موجوداً أو تصور بريء مثل الإله غير موجود ؟ إذن هل يمكن تصور متهم للإله مثل المؤمن بوجوده أو مبرئ له مثل الرافض المنكر لوجوده ؟

كيف لم يفهم هذا كل أحد وكل إنسان ؟

كيف استطاع الإله نفسه وأنبياءه ودعاته ألا يفهموا هذا؟

.. إذن هل يمكن تصوّر غياب مثل غياب من جاؤوا أو من يجيئون ليقنعوا بوجوده أي بوجود الإله .. بوجود أي إله أو مثل غياب الإله الذي رضي وسعد بأن يتهم بأنه موجود؟

.. إذن كل الرثاء لذكاء الأنبياء وكل الغضب والانفجاع والاشمئزاز من عدوانهم على الإله البريء من كل ما اتهموه وشوهوه ولوثوه به .. البريء من كل ذلك لأنه البريء من وجوده .. لأنه لا بريء مثل براءته من وجوده وكل وجود ..! إذن هل يوجد مبرئ للإله مثل مبرئه من وجوده أو متهم له مثل المتهم له بأنه موجود؟

.. وأيضاً كل الرثاء لذكاء الإله الذي تقبل ورضي به وفرح بأن يعلن ويقال ويصدق بأنه موجود .. بأنه كل الوجود وبداية كل وجود وموجود ..!

وهنا يجب ألا أنزعج أو أنكر أو أغضب لو اتهمت بالتكرار حين أقول ولأنني أريد أن أقول:

كم أتمنى وأطالب أن يسمع العالم كل العالم هذا الذي أصر على أن أقوله دون أي أمل أن يسمع أو ينفع ..!

نعم، لعل أعظم وأنفع وأقصى محاولة تصحيح لأي شيء هي محاولة تصحيح الإنسان .. تصحيح عقله وأخلاقه ورؤاه وعلمه وتعاليمه وكرامته وشهامته وأحقاده وأحلامه ومخاوفه من هذا الإله .. من الإيمان بهذا الإله ..!

هل يمكن تصور تصحيح للإنسان أو لأي كائن آخر يساوي هذا التصحيح في أية مزية من مزاياه الشاملة؟

.. وأيضاً لعل أنبل وأعدل وأتقى تبرئة وبراءة هما تبرئة وبراءة هذا الإله من وجوده ومن الاتهام له بوجوده ..!

هل يمكن تصور براءة أو تبرئة تساوي هذه البراءة أو التبرئة؟

.. كذلك لعل لا مبرئ للإنسان من أقسى وأقبح وأبلد وأسوأ العيوب والذنوب والأخطاء والخطايا مثل من يبرئه أو حتى يحاول تبرئته وإنقاذه من الإيمان بهذا الإله الذي لا مثيل أو شبيه له متهماً ولا مثيل أو شبيه بريئاً وتبرئة وبراءة ..

هل يوجد أو حتى يتصور تفريغ يساوي أية مزية من مزاياه تفريغ ذات الإنسان من هذا الكائن المسمى إلهاً؟

هل يوجد احتلال متوحش رهيب مثل احتلال هذا الكائن لذات الإنسان؟
.. هل أصيب العالم كل العالم أو هل يمكن أن يصاب ببلادة أو بعمى أو جبن
مثل هذه البلادة والعمى والجبن؟

هل حكم على كل كائن بأن يتخلف ويهبط بقدر ما يتفوق ويصعد؟
.. أيها العالم .. أيها الذكي الغبي .. الحضارة الهمجي . يا أذكى وأغبي الكائنات
التي نعرفها .. يا أعظمها حضارة وذكاء وأفساها همجية وغباء . يا أسعدها وأتعسها .
يا أقواها وأضعفها . يا أنقاها وأفجرها، يا أعلمها وأجهلها . يا هذا العالم حذق،
حذق في نفسك وفي تاريخك وفي ما حولك !
.. حذق، حذق، وهل تقبل أو تستطيع أن تحذق كما يجب وكما أريد أن
تحذق؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد أقصى من التحديق أو أقل من المحدقين أو من القابليين
أو المستطيعين لأن يحذقوا؟

ماذا ترى وكيف ترى لو حذقت هذا التحديق الذي لم تحذقه ولن تحذقه؟ إن
التحديق عدو ونفي ورفض ودمامة وتحقير لكل شيء . لهذا كان، أي التحديق،
مرفوضاً، مرفوضاً !

.. هل تستطيع أو تقبل حينئذ أن تغفر أو ترى أي شيء .. أن تغفر أو ترى شيئاً
مما ترى وترضى وتفعل وتعرف وتريد . لهذا لم يوجد مرفوض مثل التحديق ولا رافض
للتحديق ولا عاجز عن التحديق مثل ذوي العيون المبصرة القوية !

.. أن تغفر لإلهك هذا أو أن تراه مستلقياً فوق كونه هذا فرحاً سعيداً معجباً مغنياً
مصلياً لنفسه راضياً عن كل شيء .. عن كل ما يرى ويسمع ويفعل ويريد ويعايش .. عن
كل العاهات والتشوهات والأنات والصرخات واللعنات والوقاحات والبذاءات
والخصومات والعداوات والمجاعات والاعتداءات والحروب المألثة لكل أكوانه ولكل
تحدياته أي لو حذق أو كان محدقاً؟

كيف لم تفهم أيها العالم بل ولم يفهم واحد منك أيها العالم أنه لو كان يوجد كائن
مطلق القدرة قد زعم أو اتهم أنه المريد والمدبر والمخطط والفاعل الرائي المواجه
المعايش الراضي المسؤول عن كل هذا الوجود ولكل هذا الوجود أو حتى عن أي شيء
ولأي شيء فيه لكان محتوماً أن يدمر، أي إن كان يعيش فيه أي معنى أخلاقي أو منطقي
أو نفسي أو فني أو أي تعبير من تعبيرات الحياة والأحياء ولم يكن جثة بلا أي نبض أو

حياة أعني هذا الكائن المطلق القدرة المتهم بكل ذلك والمزعوم كل ذلك - نعم أن يدمر كل شيء وكل أحد. . عقاباً ونفياً ورفضاً لهذا الزعم وهذا الاتهام. . واشمئزاً وانفجاعاً وبراءة وهرباً من كل ما يحدث ويفعل ويرى ويعرف ويتوقع أنه إن لم يفعل ذلك فلن يكون كائناً حياً. لن يكون إلاً جماداً. .

حتى العيون العمياء والعقول والضمائر والأخلاق النائمة بل الميتة - حتى هذه، إنها لن تستطيع أن ترى أو تسمع أو تقرأ أو تحاور أو تعرف أو تحاسب أو تحاكم أو تفسر أي شيء من هذا الوجود دون أن تحترق، تحترق. !

نعم، أليس بقاء هذا الكون بلا تدمير يعني حتماً أنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد هذا المتهم المزعوم؟

إن أنذل حشرة تملك قدرة مطلقة وشيئاً من الحكمة أو الرحمة أو الحب أو الرؤية أو الغضب لو أنها اتهمت بأنها المريضة والمخططة والخالقة لهذا الكون والمسؤولة عن كل شيء فيه أو فرضت عليها معاشته ومواجهته ورؤيته وقراءته لكان محتوماً أن تدمره. !

هل يمكن ألا تمر بهذه الحشرة لحظة تلزمها بتدمير كل شيء؟

إذن كيف أمكن أو يمكن أن هذا الكائن المطلق القدرة المزعوم إلهاً والمتهم بذلك لم يدمر كل شيء تحت ضغوط وتفجر وقفز إحدى غضباته أو ثوراته أو حماقاته أو تسلياته أو عقوباته أو تدريباته أو مناوراته أو تجاربه أو سأمه أو حزنه أو رغبته في التغيير والمشاهدات والمناظر المتحركة المتجددة أو الالعبة العابثة؟

إنه إن لم يفعل ذلك فلن يكون كائناً حياً يرى ويحب ويكره ويرضى ويغضب ويحاسب. . إنك إذن أيها الإنسان لتستحق تهنته كل احد وكل شيء حتى لتستحق تهنته أنذل وأرذل الحشرات على عماك وجبنك وهوانك وتبلدك وتقبلك لما لا يستطاع تقبله وعلى إيمانك بما لا يستطاع إلا الرفض والإنكار له والاشمئزاز من تصوره. إن كل البشر إذن ليستحقون هذه التهنته من كل أحد وشيء حتى من هذه الحشرات. !

أليس العجز عن رؤية أي شيء رؤية ناقدة محاسبة محاكمة مزية تستحق التهنته؟

. . كيف لم يحاسب ولا يحاسب العالم ضخامة وقسوة وديمومة الخداع والتضليل والكذب والجهل والغباء والسرقه والافساد والتعويض والتفريق والتباغض والتعادي الذي أوقعه ولا يزال يوقعه به كل الدجالين والمشعوذين والماكرين والبله والجهلاء والأميين

والمنافقين باسم هذا الإله وبدعوى الحب والطاعة والعبادة والتكريم والإرضاء له والإنقاذ من عذابه وعقابه وغضبه المدمر؟

- هل أصيب الإنسان في كل تاريخه بخسران أو بتشويه أو بتعويق أو بعدوان على كل معانيه يساوي ذلك؟ ما أرخص الإنسان المباحة كل معانيه الإنسانية لكل الجهلاء والمحتالين ليبصقوا فيها كل قبحهم وقبحهم باسم كائن زعموه وسموه إلهاً وصاغوه ووصفوه كما شاءت وقالت جهالاتهم وأغراضهم. ما أرخص وأفبح الآلهة التي تحبل بها وتلدّها العمائم واللحى والمغارات!

.. نعم، إنه مهما كان محتوماً ألا يكون فوق هذا الوجود أي إله بأي تفسير أو مستوى من تفاسير الآلهة ومستوياتها فقد يكون محتوماً أو محتماً أن يكون فوقه أو في تكوينه الذاتي قوة هائلة شريرة قد أرادت للإنسان كل الإنسان في كل عصوره وأطواره كل هذا العمى والبلادة والجبن والاستسلام للغوايات والجهالات والخداع والتزوير وفرضت كل ذلك عليه فتقبل بشوق ونشوة وعشق ورضا وفرح بل وبكل الإعجاب بذكائه ودهائه وكبريائه وتفوقه على كل شيء وببسالته النفسية والعقلية والأخلاقية في مواجهة كل ما يخيف أو يخدع أو يغري أو يغوي.!

هل كان يمكن أن يتقبل الإنسان أو أي كائن في مستواه شيئاً مما يرى أو يواجه أو يعيش أو يريد أو يفعل أو يفعل به لولا هذه القوة الهائلة الشريرة؟

إن كل ما في الكون من طاقات السحر والتخدير والتضليل والخداع لا تستطيع أن تجعل أي شيء معقولاً أو مقبولاً أو مغفوراً في أي منطق أو حساب، إذن ماذا حدث؟

.. إن أي كائن غير هذا الإله لم يحول إلى لوحات لا تستطيع كل أجهزة الإحصاء إحصاءها لترفع فوق عمائم ومنابر وألواح وبيوت وألسنة كل الأغبياء والجهلاء والخبثاء والأنذال الحاقدين الأميين الصغار جداً في كل صيغهم وتفاصيلهم وحتى في موادهم الخام الأولى أي هذه اللوحات أي هذا الإله اللوحي.

- لتكون دعاية وتمجيداً وتشريعاً وتكبيراً وتقديماً لكل نقائصهم ونفاقهم وأكاذيبهم وآثامهم وجهالاتهم وأحقادهم وعداوتهم ومتاجراتهم وتشوهاتهم المولودة والمعلمة المكسوبة.. أي ليصبح كل هؤلاء المرفوعة فوق أبوابهم هذه اللوحات فسوقاً شرعياً قانونياً دولياً بكل معاني الحياة والأنات.. إنه لم يفسد بالإنسان في كل تاريخه.. لم يفسد بعقله. وعلمه وأخلاقه بل وبعينيه وأذنيه ولسانه وعواطفه بل وبعضلاته وطاقاته وبكل معانيه وتعبيراته مثلما فسق بكل ذلك منه باسم هذا الإله..!

إنه لا فاسق ولا مفسوق به وباسمه دون أن يوجد مثل الإله، وإنه لا فاسق بنفسه ولا مفسوق به باسم الإله مثل الإنسان.!

.. هل تجوز أو تنفع أو تقبل محاكمة من اتهموا بكل الجرائم كائناً لم يوجد ولن يوجد؟

إن كان ذلك كذلك فلن يوجد بل ولن يتصور أقسى أو أشمل أو أوجب أو أعدل من محاكمة العالم الذي اتهم الإله بأنه موجود وبأنه المريد والمخطط المصمم الفاعل لكل شيء.!

لقد اتهم كل العالم الإله بذلك أحياناً وأحياناً أخرى اتهمه به بعض العالم أو أكثر العالم. . إذن لقد اتهمه كل العالم بذلك أن الإنسان مهما توحشي في كل شيء فإنه لم يتوحش في شيء مثل توحشه في رؤيته للإله.!

.. كم يجب الرثاء لمن أعلنهم التاريخ فلاسفة وعباقة وحكماء ومفكرين وآلهة وحراساً لكل العقل والمنطق في كل العصور. . أولئك الذين آمنوا وأعلنوا وعلموا وكتبوا أن كل المنطق والتفكير والأخلاق والرؤى والحسابات والشعر والفنون والتفسير بكل اللغات تثبت وتقنع بل وترضى وتعلن وتسعد وتفرح بأن مريد ومدبر ومخطط وصانع هذا الكون وكل شيء وكل أحد والمسؤول عن كل ذلك هو كائن واحد مطلق في قدرته وحكمته ونزاهته وحنانه وفي كل رؤاه وتفسيره الجمالية والنفسية والفنية والشعرية والعاطفية والأخلاقية، وبأن كون هذا الكائن كذلك وإعلانه كذلك هو كل التمجيد والتكريم والتجميل والإسعاد والإفراح والإرضاء والعبادة والحب والغناء له وللإنسان ولكل شيء. .!

نعم، كل الرثاء لهؤلاء الذين أعلنهم التاريخ أعلى سمواته وأذكى عبقرياته وأنفذ عيونه بل كل الرثاء للتاريخ وللإنسان لضخامة مصابهما بهم، أي بهؤلاء.!

.. لقد أفسد وعاقب وشوه وفجع هؤلاء بهذا كل ما كان لهم وكل ما زعم لهم من عبقرية وفلسفة ومنطق ورؤية وتفكير وحكمة ورحمة وأخلاق وعواطف ومستويات فنية وشعرية وجمالية وأخلاقية وإنسانية. ! لقد هبطوا بقدر ما صعدوا.

لقد عاقبوا صعودهم بهبوطهم وروجوا لهبوطهم بصعودهم.!

إن الإيمان بهذا الكائن فوق كل هذا الوجود هدم ورفض ونفي وإهانة لكل كبرياء وكرامة وفروسية العقل والتفكير والأخلاق والرؤية. .!

إنه لأقسى طعن في قيمة الإيمان ودلالته وشرفه وتقواه أن هذا الإيمان بهذا الكائن لهجاء لكل تاريخ الإيمان وتفاسيره .!

.. كيف لم يسأل أو يتساءل هؤلاء أو حتى واحد منهم هذا السؤال أو التساؤل السهل جداً في صياغته وفي معرفة جوابه .؟

كيف لم يقل كل هؤلاء أو حتى بعضهم سائلاً متسائلاً:

هل أقبل أو أسعد أو أَرْضَى أن أكون أنا هذا الكائن؟

وإذا كنت أنا لن أقبل أن أكون ذلك فكيف أقبله لأي كائن آخر . . لكائن أراه إلهاً؟ ولو كنت بالاختيار أو بالاضطرار فهل يمكن أن أصوغ هذا الكون أو أي شيء فيه أو منه أو خارجه كما صيغ أو كما جاء أو كما أجده وأواجهه وأراه، بل فهل كان يمكن ألا أنتحر فراراً من قبح وهول الرؤية والقراءة والمواجهة والمسؤولية والمساءلة والمحاسبة الذاتية والخارجية الكونية . . الكونية؟ وإذا كنت سأختار الانتحار حتماً لثلا أكون شيئاً من هذا فكيف أجروء على أن أتهم كائناً أهبه كل حبي وتعظيمي وإيماني وصلاتي بأنه كل ذلك . . بأنه المريد المدبر الفاعل المواجه لكل ذلك والمسؤول عن كل ذلك؟

.. هل حكم علينا بأن من يعلموننا ويهبوننا كل الذكاء والحرية والعبقرية والقوة والشهامة والشجاعة هم الذين يعلموننا ويهبوننا كل الغباء والتفاهة والضعف والعبودية والجبن والندالة والهوان أو هم بعض من يعلموننا ويهبوننا كل ذلك بل أو هم أقوى وأذكى هؤلاء المعلمين الواهيين؟ من هذا الحاكم علينا بذلك؟

لماذا كل السحاب الممطر لا بدّ أن يكون مغرقاً ومخرباً؟ لماذا كل الأنهار العظيمة الجارية لا بدّ أن تحمل إلينا الأوحال والأخطار والأضرار، لماذا لا تأتي إلينا سحابة واحدة أو نهر واحد بملابس البراءة والنظافة والشهامة والتقوى؟

.. إذن أيها النبي نرجوك ألا تكون نبياً لثلا تصبح أو لأنك لا بدّ أن تصبح حينئذ دجالاً ومضللاً وصانعاً مشرعاً للبغيضاء والغباء والخرافة والجهالة . . ونرجوك أيها العبقري المبدع ألا تكون كذلك لثلا تصبح أو لأنك لا بدّ أن تصبح قافزاً صاعداً بنا إلى الحضيض . . إلى الهاوية . . إلى كل آفاق التعذيب والتعقيد والتوريط والتعجيز والإحراج . . ونرجوك أيها البطل ألا تكون بطلاً لثلا تصبح أو لأنك لا بدّ أن تصبح قائداً لنا إلى الخراب والجنون والعداوات والمخاصمات والمبارزات والسباق إلى الموت والحروب والإفقار بل وإلى الهزائم والعار .!

آه . هل اعتدى علينا أو أهاننا أو أذلنا أو هزمننا أو شوهنا أو حقرونا أو عذبنا وورطنا وأفقرنا مثل أبطالنا؟

هل ولدت أو ربت الإنسانية عدواً لها وأنفقت عليه مثلما فعلت بأبطالها أو لأبطالها أو مثلما فعل بها ولها أبطالها أو من زعمتهم أبطالها؟ هل عاقبت الطبيعة الإنسان والحياة مثل عقابها لهما بأن دبرت واستطاعت أن تصنع الأبطال والأنبياء؟

. . ونرجوك أيها الذكي ألا تكون ذكياً لثلاث تصبح أو لأنك لا بد أن تصبح معلماً للبلادة والسخف والعبث والافتضاح والقبح ومفسراً مسوغاً بل ومجماً ومباركاً وداعية لكل ذلك . !

ويلنا، ويلنا من غباء الأذكياء ومن ذكاء الأغبياء .

ويلنا من أذكائنا وأغبيائنا . . من ذكائنا وغبائنا . . من كبارنا وصغارنا . !

. . ويلنا من قوتنا وضعفنا . . من حبنا وبغضنا من عزتنا وهواننا .

. . ويلنا من عظمة العظماء وتفاهة التافهين . !

. . ويلنا من وجودنا لأننا وجدنا لا لأننا وجدنا كما وجدنا . !

. . ويلنا لأن كل تفسير لويلنا كل المعاني لوجودنا . !

لأن كل معنى لوجودنا كل معاني ويلنا . . !

. . نعم، إن الإنسان مهما كان متوحشاً ووقحاً ونذلاً وبليداً وأعمى وعدوانياً فإنه لم يكن في شيء من ذلك أو في كل ذلك مثلما كان في رؤيته وقراءته ومعاملته وتصوره وتفسيره للإله وفي إعلانه عنه وإيمانه به وصلواته ودعواته له وفي حجه إلى أحجار كعبته، وفي إجلاله له فوق عرشه ليظل فوقه أبداً مقعداً مشلولاً نائماً غائباً بلا أي حضور أو استيقاظ أو تفسير أو تعبير . . بلا أي حياة أو ممات . ! . هل يوجد تحقير لأي كائن مثل أن يجلس على مثل عرش هذا الإله ليؤدي أعماله ووظائفه بأساليب هذا الإله؟

. . لهذا فإن كل معاني الإنسان وطاقاته وعبقرياته لو تحولت إلى نية وإرادة تفكير لما استطاعت أو قبلت أن تكون تكفيراً كافياً عن ذنوب ووقاحات إيمانه بهذا الإله وتنصيبه له فوق هذا الوجود بل وبإلقائه به ودفنه له في أحشاء وأحوال وآثام وآلام وعاهات ودمامات هذا الوجود بلا إنقاذ أو نجاة أو خلاص أو نهاية . !

هل يوجد معذب أو ملوث أو مشوه أو محقر مثل من يعيش في أحشاء هذا

الوجود؟ لهذا فإن أنبل وأتقى وأذكى الأعمال والأشياء هي التوبة إلى هذا الإله من الإيمان به. . من الإلقاء به في أحشاء هذا الكون. !

إنه لا توبة إلى الإله إلا التوبة من الإيمان بوجوده. !

كيف لم يعرف هذا كل ذكي وغبي. . كل فاجر وتقي؟

إن كل توبة إليه لن تكون إلا إساءة وخطيئة وتكراراً للإساءة والخطيئة وإصراراً عليهما إلا هذه التوبة أي من الإيمان بوجوده. إنها هي التوبة كل التوبة إلى هذا الكائن الإله. !

آه يا عباقرة وأذكياء وأتقياء وشعراء كل البشر. .

ويا أغبياءهم وجهلاءهم وفجارهم وأنذالهم وقبحاءهم. .

كيف لم تفهموا ذلك؟ كيف لم تفهموه؟

هل تستطيع جميع أجهزة ووسائل وأساليب وحيل التعجيز أن تعجز أحداً عن فهم ذلك؟ إذن أيها البشر، يا كل البشر كيف استطعتم أن تملكوا أو أن تكونوا كل هذه القدرة على العجز. . على هذا العجز يا أذكى الكائنات التي نعرفها وأغباها. . يا أفجرها وأقذرها. . يا أتقاها وأنظفها. ؟

اسمع وافهم أيها العالم، يا كل العالم، ليتك تستطيع أن تسمع وتفهم ما لا يستطيع العجز عن سماعه وفهمه. !

نعم، أطلبك أن تسمع وتفهم بل وأن تروع وتفجع يا كل العالم. . إني وحدي، وحدي أقاسي، أقاسي كل عذاب وتعذيب وقبح وبلادة وفواجع عجزك أيها العالم يا كل العالم عن أن تسمع وتفهم. ليتك أيها العالم تستطيع أن تسمع وتفهم لكي أقول لك إنه لا يوجد معذب ومفجوع ومروع ومصدوم بك ومنك وبكل شيء ومن كل شيء مثلي، مثلي وحدي، وحدي.

ولكن لماذا أقول لك وأريد أن أقول لك وأنت لن تسمع ولن تفهم ولن تغضب أو تحزن أو ترثي أو تفعل أو تنقذ لو سمعت أو فهمت؟

آه أيها العالم يا كل العالم كيف أرجو أو أطلب أن تسمع أو ترى أو تفهم؟

وهل يوجد عاجز عن السمع والرؤية والفهم بل ومعاقب على ذلك ومعلم للعجز عن ذلك غيرك، غيرك أيها العالم؟

هل جاء أنبياءك أو شعراؤك وعلماءك أو فقهاؤك أو أتقياؤك أيها العالم إلا لكي يعجزوا عن السمع والرؤية والفهم وإلا لكي يعلموا العجز عن ذلك بل ولكي يلعنوا أو يهددوا ويعاقبوا كل من لا يعجزون هذا العجز أي لو كان ممكناً أن يوجد من لا يعجزون هذا العجز أي عن الفهم والرؤية والانفجاع والسماع لما لا يستطيع الصمم عن قبحه؟

لقد كان ماكراً كل المكر بكل الذكاء والأنانية من صاغك أيها العالم، أيها الكون لهذا صاغك ضد كل الفهم والرؤية والانفجاع والغضب والاحتجاج وإلا لكانت النتائج أخرى، أخرى. !

الآن لنبدأ الحوار فكن ذكياً قوياً شجاعاً

... يا إلهي أريد أن أفترضك عادلاً عاقلاً حراً تأذن وترضى وتفرح بل وتطالب بأن تحاور وتحاسب وتحاكم أي لأنك عادل عاقل حر قوي شجاع واثق من قوتك وانتصارك... لأنك مطلق القوة والشجاعة لا تخشى أن تسقطك أو تهزمك أو تضعفك أو تهين مجدك أو كبرياءك أية محاورة أو محاسبة أو محاكمة... لأنك أنت تفعل بالآخرين الضعفاء والمهزومين المسحوقين المخلوقين المستعبدين ذلك أي تحاورهم وتحاسبهم وتحاكمهم بكل القسوة والكبرياء والاستعلاء بل وبكل الوقاحة والنزق والجبروت، أي تزعم ذلك!

وهل يرفض العادل العاقل الحر الصادق القوي أن يعامله الآخرون بالأسلوب والمنطق اللذين يعاملهم بهما؟ وهل يغفر له هذا الرفض؟

هل يقبل أن يطالب الخالق مخلوقيه بكمال يرفض أن يطالب هو به؟

هل تقبل يا إلهي أن تكون أقل عدلاً وعقلاً وحكمة ومنطقاً وإيماناً والتزاماً بالحرية من البشر الذين تزعم أنك إنما خلقتهم لكي تعلمهم العدل والعقل والحكمة والمنطق والحرية والبرية لكي يتعلموا ذلك ويحيوه ويلتزموه، ولكي يعلموه الحياة والكون وكل شيء ولكي يعلنوا أنهم بذلك إنما يعلمون ويعرضون ويحيون ويقرأون ويفسرون ويرسخون أخلاقك ومنطقك وعدلك وحكمتك وإرادتك وحبك وإيمانك وتقواك؟ هل تقبل أو يقبل أن تكون أقل من كل أحد في الاشتراط لك وعليك وفيك؟

أرجو ألا يزعجك كثيراً أن أقول لك مرة أخرى: هل تقبل يا إلهي أن تكون أقل من البشر إيماناً والتزاماً بما تعلمهم وتريد منهم ولهم وتفرض عليهم وتعاقبهم لو لم يؤمنوا ويلتزموا به؟. إني أرفض لك ذلك وأنزهك عنه حتى ولو لم ترفضه أنت لنفسك

وتتنزه عنه . إني اشترط لك وعليك أكثر وأسمى مما تشترط لنفسك وعليها . هل عرفت ذلك يا إلهي؟ كم أتمنى أن تعرفه! .

نعم لقد رأيت يا إلهي أن أخبرك وأحذرك وأذكرك أنني في ذلك اليوم الأغبر المسمى بيوم الحساب الأكبر . . . ذلك اليوم الذي تزعم أنك إنما خلقت وبعثت كل أنبيائك وملائكتك وشياطينك لكي يخبرونا ويحذرونا وينذرونا عنه وبه ولكي يذلوا ويفجعوا ويشوهوا به كل ذكائنا وكبريائنا وخيالنا وأخلاقنا وكل رؤانا وتفاسيرنا بل وكل إيماننا وتقوانا، ولكي يطاردوا ويهزموا احترامنا لك .

نعم، إني في ذلك اليوم الأغبر الذي قيل أنك سوف تجمعنا فيه لتحاكمنا وتحقرنا وتشتتنا وتعاقبنا على الضعف والأخطاء والخطايا التي خططتها ودبرتها وأردتها وخلقتها فينا ولنا وخلقتنا وأنت تعلم أننا سوف نفعلها لأنك قد زرعتها بكل الدهاء والخبث والتآمر أو الغفلة وبكل إرادة التعجيز لنا في كل صيغنا وتفاسيرنا المعنوية والنفسية والمادية وفي كل آفاقنا وطرقنا وظروفنا ومستوياتنا وتحدياتنا .

نعم، يا إلهي الذي لم أجده قط في أي شيء أو مكان ولكني حدثت عنه، حدثني عنه من لم يروه أو يجدوه في أي مكان أو في أي شيء بل الذين وجدوا ورأوا كل مكان وكل شيء ينفيانه، بل الذين لم يره أو يتعامل أو يتأثر أو يرحب أو يطالب به أو يشفق إليه أو ينتظره أو يستشره أي معنى أو تفسير من معانيهم أو تفاسيرهم مهما صلت له وهتفت به كل منابرهم ومعابدهم وأفواههم .

- نعم، يا إلهي هذا اني أريد أنا أخبرك أو أحذرك أو أذكرك بأنني في ذلك اليوم الأغبر أي في يوم الحساب الأكبر سوف أفعل بك ما تزعم أنك سوف تفعله بي أي بنا جميعاً أي سوف أحاكمك كما سوف تحاكمنا فيما تزعم .

. . . ولكن ما أعظم الفرق بين المحاكمتين وبين المحاكمين فأنت أيها الإله الذي لا استطاع تفسيره أو فهمه أو حتى تصوره تحاكمنا على ما فعلناه بأنفسنا دون أن ينال منك أو يصل إليك بل تحاكمنا على ما أردته وخططته وأوقعته أنت بنا ورأيت أن إيقاعه بنا يجعلك حكيماً ورحيماً وذكياً منطقياً منتصراً بل ويجعلك راضياً عن دهائك وتدبيرك المنفذ المنتصر على الضحية التي أردت لها أن تضل وتخطئ وتعجز لكي تسعد وتفرح أي أنت بتعذيبها بكل مجاعاتك وشهواتك الرهيبة إلى التعذيب والتحطيم! .

. . . هل يمكن أن تأذن بأي سبب من أسباب التعذيب لولا جنون مجاعاتك وشهواتك إلى أن ترى المعذبين وإلى أن تسعد بسماع صرخاتهم وأناتهم واستغاثاتهم

متزاحمة على أذنيك كأعذب الألحان مستمعة إليها أغوى وأفجر وأعشق الآذان الفئانة .

هل وجدت آذان تسعد وتتلذذ وتتغذى بالاستماع إلى أنات وآهات وصرخات الألم مثل أذنيك يا إلهي؟

... هل يمكن أن يأذن بوجود الأنين أو بإيجاده أو بوجود وإيجاد أسبابه أو بتدبير وإرادة ذلك أو يساعد على وجوده وإيجاده أو ألا يمنع ذلك وهو يستطيع منعه دون معاناة أو تكاليف أو خطأ أو خوف من الخطأ .

- نعم، هل يمكن أن يفعل ذلك أو شيئاً منه إلا من هو عاشق بجنون للأنين ولمشاهدة المعذبين الآنين؟

إذن أألسـت يا إلهي أعظم العاشقين للعذاب ولرؤيته والاستماع إليه؟

... إن المحقونين بالإيمان بك يا إلهي الذي طالما تعذبت بالإيمان به وبالخوف منه وبالاتظار له ومنه بلا حضور أو جواب أو عزاء أو حتى أمل، يقولون إنك تأذن بكل ذلك أي بوجود وإيجاد أسبابه وبوجود وإيجاد الأخطاء والخطايا والضلال والإضلال والغواية والإغواء بل وتريد ذلك وتدبره لأنك تؤمن بالحرية وتحترمها وتلتزمها وبأنه لا محاسبة أو محاكمة أو حتى مسؤولية إلا بالحرية .

... آه يا إلهي الذي طالما أشفاني انتظاره بلا حضور، وسؤاله بلا جواب، وحبّه بلا جزاء، والتحديث فيه بلا رؤية وبلا جمال .!

يا إلهي الذي لم يره أو ير جماله أو يحدثني عن ذلك إلا العميان بكل معانيهم .!

... يا إلهي هذا . . هل الذي يؤمن بالحرية ويحترمها ويلتزم بها يعاقب عليها؟ وهل يعاقب على الحرية مثلك يا إلهي فيما يروي ويقول عنك أنبياءك وكتبك المنزلة؟ ليتك يا إلهي تعلن إيمانك والتزامك بالحرية العقلية لكي أقتنع بأنك لن تعاقبني على حرّيتي .!

هل وجد أو يمكن أن يوجد رافض كاره لاعتن للحرية مثلك ومثل أنبيائك وحراسك وشرطتك يا إلهي الذي طالما عذبني وأحجلني وأعجزني وأذلني الدفاع عن ذكائه وسلوكه ومحاولة فهم وتفسير ذكائه وسلوكه وشهوته ونزواته أعني ذكائك وسلوكك وشهوatk ونزواتك أنت يا إلهي المحبوب بلا أي استحقاق لأي قدر أو نوع من الحب، هل وجد محبوب أو مزعوم حبه مع استحقاقه لكل البغضاء والعداوة مثلك أو غيرك يا إلهي؟

هل يمكن أن يعطى أي كائن الرغبة والقدرة على إطفاء الشمس وإغراق الحقول وتجفيف البحار والأنهار وفقر وقطع عيون وأيدي الآخرين وأن يؤذن له بتنفيذ ذلك بل ويدبر ويراد له ذلك ويعان عليه بحجة احترام الحرية والإيمان والالتزام بها مع كل القدرة على المنع والحماية؟

هل يفعل ذلك أي عاقل بل أو أي مجنون ما لم يكن فاعله أنت يا إلهي العاقل . !
... ألسنت تفعله بمن خلقت ومعهم ثم يقول أنبيأؤك ودعاتك وحراسك إنك إنما تفعله إعطاء للحرية والتزاماً وإيماناً بها يا إلهي الذي لم ينظر إلى وجهه ولا مرة في أية مرآة؟ ولعله لا يعلم أن المرأة قد وجدت، أو لعله يرى أن تحديق المتقادمين سناً في المرأة وإليها شيء يقتل أو يفجع أو يهين أو يضعف أو يزهّد في البقاء أو في العمل المحتوم أو المطلوب الالتزام به . !



... إذن أنت تحاكمنا على ما فعلناه ونفعله بأنفسنا لا بك ولا بآخرين غيرنا نحن البشر يا إلهي الذي كان يجب ألا يوجد أو أن يوجد بصيغ وتفسير أخرى مناقضة كل المناقضة للصيغ والتفسير التي جاء بها أي التي جئت بها أنت يا إلهي الذي لا نموذج لنماذجه في خروجها على كل المعقول والمقبول .

.. وهل يحدث أو يقبل أن يحاكم شعب شعباً أو فرد فرداً على ما فعله بنفسه دون أن يفعل بالشعب أو بالفرد المحاكم أي شيء ضار أو مؤذ لا بالسلوك ولا بالنية!

بل لقد كان الواجب والعدل أن تستقبلنا في ذلك اليوم المسمى بيوم الحساب بالمصافحة والتقبيل والتكريم والترحيب والفرح وبالأغاني، لا بالمحاكمة أو المحاسبة أو الغضب أو العقاب ...

لأننا بأخطائنا وخطايانا المزعومة التي أردتها ودبرتها لنا وعرفتها قبل أن نفعلها قد حققنا حكمتك وخطنك وأهدافك المطوية في أخطائنا وخطايانا وكذلك وهبتك النشوة والسعادة والفرح والكبرياء وكل مشاعر الشماتة وأنت تشاهدنا نمارس أخطاءنا وخطايانا .

... أليست ممارساتنا هذه تهبك كل هذه المعاني السعيدة لهذا جاءت حكمتك وخطنك ومنطقك أن نمارس ممارساتنا هذه داخل عينيك وقلبك وفكرك وضميرك واهبة لك كل الرضا والسعادة بل واهبة لك كل مشاعر الانتصار والمجد والرغبة في المزيد من هذه الممارسات؟

... هل كان محتملاً أن تضع فينا الجرأة والقدرة على أن نفعل الأخطاء والخطايا

لو لم تكن مشاهدتك لنا نفعناها تهيك كل هذه المشاعر البهيجة الفرحة الراضية، أو لو لم يكن فعلنا لها محققاً لحكمتك ولرؤيتك الأخلاقية والمنطقية والفنية؟

فكر يا إلهي في هذه القضية. وإن لم يكن لك عقل تفكر به فقد يكون من الخير والأفضل أن تستوهب أو تستعير مثل هذا العقل...!

... هل يحتمل أن يخلق خالق مخلوقاً أو أن يصوغ فنان عملاً فنياً يصنع له الغيظ والغضب والاشمئزاز والحسرة ثم يستمر يخلقه أو يصوغه وهو يستطيع ألا يخلقه أو يصوغه أو يخلقه أو يصوغه بمستويات أخرى لا تصنع له أي شيء من المشاعر الأليمة بل وتصنع له مشاعر سعيدة مريحة مفرحة!

- نعم، هل يحتمل أن يحدث هذا يا إلهي الذي وجدته وجربته ورأيتة وقرآته وفسرته وفهمته خروجاً شاملاً على كل عقائدي فيه وعلى كل ما قيل له عنه وعلى كل ما سمعت وقرأت عنه وعلى كل التفاسير والرؤى التي لقنت عنه؟

ولأن هذا لا يحتمل أن يحدث حتى ولو تصوراً فإننا لا بد أن نؤمن ونعلن أنك تسعد وتفرح وترضى وتكبر بفعلنا لأخطائنا وخطايانا المزعومة، وترى أننا بذلك نحقق لك حكمتك البعيدة العميقة المرادة المدبرة يا إلهي الذي كنت أتمنى أن أجده غير ما وجدته لهذا فإنك تحشد وحشدت وتوظف ووظفت بكل العناية والدهاء والافتضاح المتآمر علينا كل أسباب وقوى ووسائل الإغواء لنا حتى لقد حشدت ووظفت لذلك كل أعدائك، حتى أعدائك، حتى الأبالسة والشياطين حشدتهم ووظفتهم ووهبتهم الخلود وكل أسباب القوة والانتصار والتفوق حتى عليك وعلى أنبيائك ودعاتك وعلى تعاليمك وكتبك المنزلة...

حتى أعضاؤنا لقد حشدت وسعرت ووظفت فيها كل الشهوات والمجاعات التي لا تغالب أو تقاوم أو تحاور أو تهذب أو تتوقر أو تستحي أو تجامل أو تحترم أو تهاب مكانة صاحبها!

إنه لم يوجد إنسان واحد حاولت مجاعات وشهوات وطلبات وأوامر أعضائه أن تتلاءم مع مكانة حاملها...

- نعم لقد فعلت كل ذلك بكل الدهاء والتآمر الرهيب لكي نكون محاصرين ومحكومين بأخطائنا وخطايانا بلا نجاة أو تخفيف أو اعتذار...

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير أنك تريد ذلك وتسعد وتفرح وترضى به

وترى أن حكمتك ومنطقك لا يتحققان إلاّ به بل وترى أن جمالك وكمالك لا يكونان أو يكملان إلاّ بذلك؟

... إذن فنحن بما يسمى أخطاءنا وخطايانا لا نستحق منك المحاسبة أو المحاكمة أو العقاب أو الغضب بل نستحق كل الرضا والحب والترحيب والتكريم والمصافحة والمعانقة في ذلك اليوم الأغبر المسمى يوم الحساب الأكبر، أي لو كنت كائناً يتعامل بالمعقول أو باللائق أو بالعدل أو بالجمال أو كائناً يخضع لذلك أو يحترمه... أننا بفعلنا لأخطائنا وخطايانا نستحق منك أعظم وأسخى الثواب. فكّر فيما أقول. فكّر.

... نعم، يا إلهي الذي كنت، أي في عمى كينونتي المقهورة، أراه كل الجمال والنبيل والحب والعدل والرحمة والتقوى والعبقريّة والنخوة السامعة المستجيبة.

... اسمع هذا الخبر وحاول أن تتحاور مع أذنك، ولعلك لم تجرب المحاورّة مع أذنك، إن كل شيء يدل على أنك لم تجرب قط هذا الحوار مع أذنك. !

هل من الشروط اللازمة في كل الآلهة ألا تتحاور مع آذانها ولا مع أي شيء فيها؟

... يقول هذا الخبر الذي كان يجب أن أخشى عليك من الاستماع إليه وأن أهاب روايته لك. ولكن كيف؟ هل أخشى أن تتخاطب مع ما تسمع أو ترى أو تواجه أو تفعل؟

... يقول هذا الخبر الفاجع: إن هناك فوق هذا الكون وداخل كل ذرة وهمسة وأنه من ذرات وهمسات وأنات هذا الكون إلهاً هو كل الجمال والرحمة والحكمة والمحبة وكل العقل والعدل والصدق والصداقة والصفاء.

... إنه إله لا يشاء أو يريد أو يقبل أو يحب أو يتصور أو يعمل أو يعامل أو حتى يخاطب إلاّ الاستقامة والبراءة والنظافة والسعادة والفرح والحب للجميع، لكل الكون لكل شيء ولكل أحد ولنفسه.

... هذا الإله الذي هذه الأوصاف هي شيء قليل من أوصافه يذهب بكل الأناقة والإعجاب بالنفس يخلق مخلوقات يُقال إنها عجيبة ومتفوقة وممجدة لعبقريّة خالقها، يسميها بشراً، محلقاً على أجنحة الزهو لأنه استطاع أن يتصور ويخلق هؤلاء الذين يسميهم بشراً، وأن يجعلهم يصبحون رعاياه وعبيده وحده...

وأنه أيضاً ليذهب يزعم ويعلن أنه إنما أراد وخلق هؤلاء البشر لغرض عظيم وكريم ووحيد هو أن يطيعوه ويعبدوه ويفرحوه ويتحولوا إلى أعظم الأمجاد والمسرات

والانتصارات له وإلى أجمل معارض العرض لجماله وعبقرياته وتصوراته الفنية الشاعرية، وأيضاً لكي يسعدوا، أي هؤلاء البشر المحظوظون بهذا الإله والصانعون له الحظوظ، بكونهم رعاياه وعبيده وحده ولكي يفرحوا ويتطهروا أو يحلقوا فوق كل سماوات المجد والحب والكرامة والتقوى، لكي يجلسوا معه فوق عرشه، ليكونوا جلساءه وأخلاءه في وحدته الرهيبة الكثيفة.!

ولكنه أيضاً أي هذا الإله لأسباب وتفسير لا يمكن أن تكون مقبولة أو معقولة أو حتى متصورة يذهب بكل حماسه وقوته ورغبته وحكمته ورحمته يحشد ويحرض ويوظف ويدبر ويدرب كل القوى الخفية والظاهرة، المعروفة والمجهولة... كل الأبالسة والملائكة والشياطين، وكل الأعضاء والغدد والخلايا والذرات، كل وظائف الذات، لكي يذلوا ويضلوا ويفسدوا ويهزموا ويلوثوا هؤلاء البشر الذين إنما اختارهم واصطفاهم وخلقهم بأذكى وأطول التفكير والتدبير ليكونوا له وحده، وأيضاً لكي يقودهم ويسوقهم إلى كل غضبه وعذابه وعقابه وإلى أهوال جحيمه، وإلى كل الخروج عليه والعصيان له والعجز المحتوم عن طاعته وعن البقاء، معه، وإلى أن يصنعوا، أي هؤلاء البشر، كل الغيظ والأسى والحسرة والخسران لقلبه وضميره وعقله وعينييه ومجده وتعاليمه، وكل الهزيمة وأقساها لطموحه وآماله. هل يوجد فاسق بالإنسان مذل هازم فاضح ملوث له مثل مجاعات وشهوات ونداءات وضرورات وإملاءات أعضائه وخلاياه وغدده في كل إفرازاتها واستفراغاتها وتعبيراتها الوقحة.!

آه. هل تستطيع أن تصدق أنه قد وجد أو قد يوجد مثل هذا الإله يا إلهي الذي لن أستطيع أن أجد له أي نموذج في كل النماذج الموجودة والمتصورة بل والمستحيلة... حتى المستحيلة؟

- نعم، إن نموذجك يا إلهي لا يستطيع أن يصعد إلى نماذج المستحيلات. إن جميع نماذج المستحيلات لتستطيع أن تتحول إلى احتمال أكثر مما يستطيع نموذجك أن يتحول إلى احتمال، إلى أي احتمال.

إن وصف نموذجك بالمستحيل ليتحول إلى هجاء لكل تعبيرات ولغات «مستحيل». ! إذن أرجوك يا إلهي أن تحلق طويلاً وبعنف في نفسك لثلاث تكون أنت هذا الإله أو نموذجك الكامل دون أن تدري.

حقوق، حديق في نفسك يا إلهي الذي لم ير قط شيئاً من ذاته أو من أخلاقه في كل تاريخه. يا إلهي الذي لم ير قط شيئاً أو أحداً! أو يره أحداً أو شيء.!

... هل أهين العقل الإنساني أو الكرامة الإنسانية بشيء مثلما أهينا بهذه القصة التي جاء تأليفها هكذا:

أراد الإله أن يكون له صديق وحبيب عظيم متفوق، يصنع له المسرة والمجد والفخر. وبعد تفكير وتدبير وتحديق طويل في عيون النجوم خلق الإنسان ليكون له هذا الصديق الحبيب، ليكون حظه ومحظوظه وحظيه ومحظيه... ليكون عبده وعابده... ليكون كل مجده وحبه وعبقريته فوق الأرض وفي السماء؟

ولكنه أي الإله لم يضع أية حراسة على حبيبه المختار ليكون كما يريد منه ويريد له، بل لقد ذهب بكل همته وقوته يحشد ويعد ويعبئ ويحرض كل القوى الشريرة على إنسانه هذا لإفساده وإغوائه وسرقته منه. بل لقد وضع عليه كل الحراسات المضادة لئلا يكون كما يُراد منه.

... وكان الشيء المذهل الفاجع أنه، أي الإله، كان يعلم أولاً وأبداً أنه، أي الإنسان، لن يكون شيئاً مما أراد ويريد منه وله. لقد فعل وطلب وشرع ضد علمه الأزلي الأبدي.

... لقد خلقه ليكون له ومعه وهو يعلم علماً مطلقاً أنه سيكون مع أعدائه ولهم ضده أي لقد شاد البيت الذي يعلم أنه ساقط عليه بعد الفراغ منه. عاقل يبني بناء يعلم حتماً أنه بعد الفراغ من بنائه سيسقط عليه فوراً. صدقوا، صدقوا!

.. نعم، هل يمكن تصور إهانة للعقل الإنساني وللكرامة الإنسانية مثل تصور هذه القصة؟ من أول من تصورهما؟ وهل تصورهما متصور أول أم تخلقت في ذات الإنسان كما تتخلق فيه الأحزان والآلام والعاهات والتشوّهات والبلادات والتفاهات؟

... والذين طالبوا الإنسان بتصديق هذه القصة هل يمكن تصور مثلهم إهانة لذكاء الإنسان ولكبريائه ولموهبة الخيال والشعر والتصور فيه؟

وهذا النموذج لهذا الإله هل يمكن تصور مثله في انحطاطه وسخفه وجهالته وبلادته بل وفي عداوته لنفسه ولكل شيء وكل أحد وفي عدوانه على نفسه وعلى كل شيء وكل أحد لعل الإنسان لم يعتد على شيء مثل اعتدائه على النموذج الذي تصوره واختاره للإله!

آه كم أتمنى أن يوجد من يطالب البشر، كل البشر بأن يحاسبوا ويحكموا ويسألوا تاريخهم، كل تاريخهم: كيف أمكن أن توجد فيه هذه القصة، أن تمر به، أن تسجل في

أحد سطورهِ، أن يقرأها أحد قرائهِ، أن يحاول تفسيرها وتسويغها أحد من مفسري ومسوغي آثامهِ وجهالاتهِ .

.. كيف لم يوجد هذا المطالب بهذه المحاكمة والمحاسبة والمساءلة؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد غفران فيه كل صيغ وتفسير ومعاني النذالة والهوان والغباء والجبن والكذب والخداع والانخداع مثل غفران الإنسان لتاريخهِ؟ هل وجد وثن مثل التاريخ وعابد لهذا الوثن مثل الإنسان؟ هل وجد مفسد لرؤية الإنسان، مضلل لمثله، ملوث لضميره، معوق لتحليقه، شاتم مشوه لحياته، مثل التاريخ، هل وجد فاسق بالإنسان مثل تاريخهِ؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد غافر ومغفور له يستحقان أقصى الحساب والعقاب بعد أقصى المحاكمات مثل الإنسان وتاريخهِ - الإنسان غافراً وتاريخهِ مغفوراً له؟

هل وجدت أو يمكن أن توجد علاقة غش وتزوير وفسوق وتضليل وإفساد وعدوان مثل علاقة الإنسان بتاريخهِ؟

هل استعبد أو أذل شيء شيئاً مثلما استعبد وأذل الإنسان تاريخهِ؟

.. الآن أرجو أن تكون قد سمعت وفهمت تفاسير وأخلاق محاكمتك لي، لنا في ذلك اليوم الأغبر المزعوم يوم الحساب الأكبر يا إلهي الذي لن يخيب أي رجاء مثل خيبة الرجاء الموجه إليه أي الموجه إليك . !

إن محاكمتك لي أي لنا محاكمة على ما فعلناه ونفعله بأنفسنا دون أن نمسك أنت أو غيرك من ملائكة أو أبالسة أو غيرهم بأي أذى أو ضرر .

.. كذلك هي محاكمة لنا على ما فعلته أنت بنا وعلى ما أردته وخططته واشتهيته لنا، مع إعدادك وتحريضك وأمرك لكل القوى الشريرة ولكل الأبالسة والأعداء لكي يوقعونا فيه بلا فكاك، بأساليب تأمرية لا شبيه لها في كيدها وعدوانيتها وخستها بل وفي جهالتها ونذالتها . !

إنك يا إلهي تحاكمنا على عدوانك علينا . . على إساءتك إلينا . !

.. أنت تغرس بل تصنع فينا الضعف والعجز والشوق والجوع إلى ما تسميه أنت وأنبيائك الذنوب والمعاصي، وتريد وتدبر وتخطط وتشتهي لنا أن نفعل ذلك بل وتفرح وتسعد بأن نفعله لأن فعلنا له يحقق حكمتك وتدبيرك الذكيين الرحيمين، بل وتعد

وتحرض وتسليح وتأمّر كل القوى الخفية وكل الأبالسة لكي لا ننجو من الوقوع فيما يسمى المعاصي والآثام، بل وتخلد هؤلاء الأبالسة والقوى الخفية ليكون ضلالنا وهلاكنا محتومين وخالدين. !

نعم، أنت تفعل كل ذلك وتعلنه بكل التباهي والفرح ثم تجرؤ على الزعم بل على الإعلان بأنك سوف تحاسبنا وتحاكمنا في ذلك اليوم الذي تسميه أنت وأنبيائك وكتبك المقدسة بيوم الحساب الأكبر أي بأنك سوف تحاسبنا وتحاكمنا على ذنوبك وعلى عدوانك وإساءاتك إلينا وعلينا. !

... كيف لا تصاب أنت أو المعلمون عنك وبك بأقل قدر من الاستحياء أو الذكاء أو الرؤية أو من الترفع عن السقوط في أي مهبط من مهابط السخف والوقاحة والسفه والافتضاح يا إلهي الذي كنت يوماً ما أرى كل جماله في أقبح الدمامات والتشوهات والعاهات، وأرى كل حبه ورحمته في أقسى الآلام والأهوال، وأرى كل عدله وحكمته في أضخم صور المظالم والتمييز والتفضيل بين المتساوين والمتساويات، وأرى كل جوده في أخلاق الصحارى وأعوام القحط والمجاعات، وأرى كل نظامه في أبشع أساليب الفوضى والخراب، وأسمع صوته مغنياً محيياً مسلماً مواسياً معزياً في كل الآهات والأنات والصرخات، وأرى كل سلامه وكل عشقه وإرادته للسلام وكل صفات السلام فيه، في كل الحروب والعداوات والملاعنات والمخاصمات، في قلوب وأخلاق وأفواه كل الزعماء والقادة والمعلمين والأنبياء، المعلمين والمورثين للتاريخ وللحياة بكل ما فيهما وكل ما لهما من عداوات وملاعنات ومخاصمات وحروب وأحقاد... !

... يا إلهي الذي كنت أراه وأراه لأنني لم أكن أرى أو أستطيع أن أرى شيئاً. !

... يا إلهي الذي كنت أراه وأعتقد وأتصوره وأقرأه كل الجمال والضحامة والحب والرحمة والعدل والذكاء والعقل والوقار والسخاء والنظام والعبقريّة والفروسية والإنسانية لأنني لم أكن أستطيع أو أجرؤ أو أعرف أن أرى أو أقرأ أو أفسر أو أسأل أو أحاور أو أحاسب أو أحاكم أو أخاصم أو أطارد أي شيء حتى ولا الذباب مستويّاً وباصقاً على وفوق صفحات وحروف المصحف الذي كنت أقرأه دون أن أستطيع أو أنوي قراءته، والذي كنت أرى شفتي الإله تقبلانه ويدي النبي تحملانه وتصافحانه أي لأنني لم أكن أستطيع أو أريد أو أجرؤ أن أرى شيئاً... ! حتى الذباب لم أكن أراه أو أستطيع أو أريد رؤيته باصقاً مستفرغاً على حروف المصحف وعلى أسماء الله الحسنى، وعلى عيني القارئة المحدقة في قراءة أسماء الله الحسنى. ؟

حتى الذباب هابطاً مستقراً مغنياً فوق عيني لم أكن أراه لأن عيني كانت مملوءة
ومسكونة ومشغولة برؤية الإله الذي لم تكن تريد أو تستطيع أن تراه. حتى الذباب كنت
أراه كل جمالك ونظافتك وعبقريتك يا إلهي !

نعم، لقد كانت كل رؤاي مملوءة ومشغولة ومسكونة برؤية الإله لأنني لم أكن
أرى، لم أكن أرى، ما أرى لقد كانت كل رؤاي معطلة عن الرؤية برؤية ما لم أكن وما
لا يمكن أن يرى أي برؤيتك يا إلهي !

لقد كنت أرى كل شيء، كل قبح جميلاً لأنني لم أكن أرى كنت لأنني لم أكن
أرى، أرى أقسى القبح والعذاب والظلم والعبث والغباء جميلاً بل كل الجمال بل كنت
أرى الإله، وأراك يا إلهي كل الجمال لأنني لم أكن أرى أو أستطيع أن أرى شيئاً. لقد
كنت أرى بقدر ما كنت عاجزاً عن الرؤية، كما كنت أعرف وأقتنع وأصدق وأفهم وأؤمن
وأسمع وأحب وأحترم بقدر ما كنت عاجزاً عن كل ذلك وعاجزاً عن أن أجد ما يجعلني
أفعل ذلك !

.. ما أقل معرفة من يعرفون ومن يعرفون أن عليهم أن يعرفوا وأن يعرفوا ما
يعرفون وما أكثر من يعرفون وما يعرفون لأنهم لا يعرفون ولا يعرفون أن عليهم أن
يعرفوا وأن يعرفوا ما يعتقدون وما يعرف ويعلمون أنهم يعرفون !
ما أصعب أن نعرف ما نعرف. ما أصعب أن نعرف إذا كان محتوماً علينا أن نعرف
ما نعرف !

لهذا فإنه لا أحد يعرف كما يعرف الأنبياء الأميون أو كما يعرف المتحدثون عنهم
وعن السماء وعن الغيب والمجهول. لهذا فإنه لا أحد يعرف مثلما يعرف من لا
يعرفون !

كيف يعرف من يعرف أنه يعرف وهو يعرف ويجد ويرى أن كل من لا يعرفون ولا
يمكن أن يعرفوا يعتقدون ويعلمون أنه لا أحد يعرف مثلما يعرفون ؟

كيف عرف أو يعرف هؤلاء الذين يعرفون أنهم ليسوا من أو مثل هؤلاء الذين
يعرفون لأنهم لا يعرفون ؟ إن الأنبياء وأشباههم لا يعرفون ولا يرون أن عليهم أن
يعرفوا، ولكنهم يسمعون أو يحسبون أنهم يسمعون، وحينئذ يصبحون يعرفون كل شيء
لأنهم لا يعرفون أو يستطيعون أو يريدون أن يعرفوا شيئاً. إنهم ليعرفون عدد حبات
المسبحة التي يسبح الله بها لنفسه تعزياً وتداوياً من فراغه الكتيب !

... ولهذا فإنهم يذهبون يتحدثون بكل السهولة عن كل ما قد كان وعن كل ما هو

كائن وعن كل ما سوف يكون بل وعن ما لم يكن على أنه قد كان وعن كل ما لن يكون على أنه لا بد أن يكون، على أنه قد كان...

... يتحدثون عن كل شيء وكان كل شيء إنما تفرزه، تستفرغه، تبصقه، تلده ألسنتهم... يتحدثون عن كل شيء بلغة فيها كل يقين الجهلاء الأميين الذين لا يستطيعون أن يعرفوا أو يتعلموا أو يتكلموا لغة الشك أو الاحتمال!

أليسوا يعرفون بأي يدين يحرك الله المسبحة التي يتسلى ويتداوى من عزلته وكآبته بتحريكها؟

... وهم لا يتحدثون عن الشيء أو يتوقفون عن الحديث عنه لأنهم يعرفون أو لا يعرفون. أنهم حتماً يعرفون. ولكنهم يتوقفون عن الحديث أي الحديث العارف شيء إن توقفوا لأنهم لم يسألوا أو يريدوا أو يفظنوا، أو لأنهم لم يشعروا بالجوع إلى الحديث أو بالرغبة فيه، أو لأنهم في نوبة كسل أو خمود أو غيبوبة. أو المعرفة عندهم ليست مشكلة ولن تكون مشكلة ولم تكن قط مشكلة...

إن الله قد استفرغ فيهم كل علمه وعقله وقلبه وضميره ورؤيته وتاريخه وأخلاقه إن الله قد فرغ كل ذاته في ذواتهم...

... إنه قد وظف ذاته كل ذاته في أفواههم، على أبواب أفواههم!

إن الله ساكن أبداً في أفواههم أي أفواه الأنبياء ليقول كل شيء منها وفيها!

... إنه أي الله ليس له أي اهتمام أو وظيفة غير أن يتكلم بواسطة ألسنتهم...

... إنه لا يستطيع أن يقول ما يريد قوله إلا بألسنتهم... لقد خلق الله أفواههم لكي يستطيع أن يتكلم معبراً عن نفسه، لكي يكون مسموعاً وموجوداً ومعروفاً ومرئياً!

... لهذا فإنهم أي الأنبياء وكل المتحدثين عنهم وعن السماء والغيب والمجهول لا بد أن يعرفوا كل شيء ويتحدثوا عن كل شيء لأنهم لا يعرفون شيئاً...

إن أعلم هؤلاء بكل شيء وأجرأهم على أن يتحدثوا عن كل شيء هم أشملهم وأصلهم وأعمقهم أمية وبدادة وجهالة!

إن أي إنسان ليس مصاباً بالأمية العقلية والأخلاقية والدينية لن يصبح نبياً!

.. نعم، إن هؤلاء لن يتركوا أو يهابوا الحديث عن أي شيء لأنهم يجهلون خوفًا أو حذرًا من الجهل به أو من ألا يكون العلم به يقينًا، أو توقراً أو تقوى. وكيف

يجهلونه أو يخافون أو يحذرون من جهله؟ إنهم يعلمون كل شيء لأنهم يجهلون كل شيء... .

أليس الله قد فرغ كل ذاته في ذواتهم؟ إذن كيف لا يعرفون كل شيء مهما جهلوا كل شيء؟

إذن كيف لا يعرفون كل شيء لأنهم يجهلون كل شيء أو بقدر ما يجهلون كل شيء، أو كلما جهلوا كل شيء؟ هل يمكن أن يصبح الموهوب في تفكيره أو رؤيته أو في محاسبته ومحاكمته لنفسه أو للأشياء نبياً؟ أنه لن يكون نبياً ولن يختار أو يرشح لذلك لأنه لن يكون عارفاً بكل شيء. وهل يكون نبياً إلا العارف بكل شيء أي لأنه جاهل بكل شيء؟

... نعم، قوم لا يستطيع الإله أن يتكلم، أن يعلم أو يحرم أو يشرع أو يأمر أو ينهي أو يلعن أو يمدح أو يعلن عن نفسه، عن وجوده أو عن أي شيء من مزاياه أو طلباته، أو عن أفراحه أو أحزانه أو نياته أو شهواته أو حبه أو بغضه، بل أو يرى أو يقرأ أو يسمع بل أو يقبل أو يرفض أو يحارب أو يسالم أو يرضى أو يغضب أو يبتسم أو ييكي...

- نعم، قوم لا يستطيع بل ولا يريد الإله أن يكون شيئاً من ذلك إلا بواسطة أفواههم كيف يمكن أن يجهلوا أي شيء أو ألا يعرفوا كل شيء؟

... إنهم قوم قد اختارهم الله ليجعل كل ذاته موظفة في أفواههم وعلى أبواب أفواههم وكل لغات أفواههم، أفواههم أبدية الأمية.!

... إنهم هم ذات الله جاءت في ذوات بدو وملابس ولغات بدو.!

وهل جاءت الآلهة أو ظهرت أو وُلدت إلا في ذوات ولغات وملابس بدو أميين؟

... أما محاكمتي أي محاكمتنا لك يا إلهي المحاصر أي الذي سوف يجد نفسه محاصراً بلا إنقاذ أو عزاء أو أمل في البراءة أو الرحمة فإنها محاكمة على ما فعلته وتفعله أنت بي أي بنا وليست على ما فعلته وتفعله أنت بنفسك أو على ما نفعله أو فعلناه نحن بك كمنطق محاكمتك لنا.

إن محاكمتي أي محاكمتنا إذن لك هي أعدل وأوجب وأقوى وأنبئ محاكمة يمكن تصورها. إنه لو ألغيت كل المحاكمات لوجب أن تكون محاكمتك هي التي لن تلغى.

... إنني الآن أطالبك بل أفرض عليك بل أمرك يا إلهي المصاب بكل آفات

الاسترخاء والغفلة بل بكل أعراض النوم الذي لا استيقاظ منه، أن تستعد بكل مخاوفك وتوقعاتك الأليمة للاستماع إلى بدء محاكمتي لك أي إلى ما سوف أبدأ به محاكمتي لك في ذلك اليوم البعيد الذي تسميه أنت وأنبياؤك يوم الحساب الأكبر...

إلى ما سوف أبدأ به محاكمتي لك أمام كل العالمين، أمام كل أجهزة وموظفي شرطتك وحراسك ومخابراتك وزبانيتك وجلاديك وسيافيك.. أمام كل أعوانك الخادعين المخدوعين وكل ضحاياك المخدوعين!

آه إذن كم سوف يكون حرجك رهيباً وموقفك قتالاً فضاحاً!

كم سوف تكون قاسية تلك النظرات والمشاعر المحدقة فيك المحاصرة لك حينئذ. قد يكون الانتحار حينئذ أي انتحارك هو أفضل الحلول بل الحل الذي لا حل سواه. وسوف تفكر في هذا بعد أن تستمع إلى شيء مما سوف أتهمك به في محاكمتي لك التي سوف تكون أي إن كنت قادراً على أن تفكر وعلى أن تعي المواقف التي لا مثيل لقوتها وإلحارجها وفضحها وعلى أن تختار منها بعد المقارنات الشاقة، الشاقة. أي لترى هل انتحارك حينئذ هو العلاج الذي لا علاج غيره لإنقاذك من ذلك الموقف الذي لا يطاق والذي سوف تضعك فيه محاكمتي الآتية لك والتي سوف أبدأ بإسماعك شيئاً منها. وهل يوجد أي علاج لأي إله غير انتحار أو أفضل من انتحاره؟

وفي هذه اللحظة أو اللحظات يا إلهي المصاب بالغيوبة الدائمة توافدت وتكاثرت علي خواطر وتساؤلات حادة تقول: ألا يحتمل أن يلغي الإله ذلك اليوم أي يوم الحساب الأكبر الأغبر بعد أن يسمع شيئاً مما سوف أقوله في محاكمتي له في ذلك اليوم.. ألا يحتمل بل ألا يتحتم أن يتراجع بل ويتوب ويعتذر بل وينكر أن يكون هناك حساب أو يوم حساب ومحاكمة لئلا يكون هو أتعس وأسوأ وأظلم وأذل محاسب محاكم لا شبيه لذنوبه وجرائمه أو للتهمة الموجهة التي لا تحتاج إلى اعتراف أو شهود أو محاولة إثبات لأنها هي كل شيء.. أليس المفروض ألا يرفض المحاسبات والمحاكمات مثل الآلهة لأنه لن يوجد مذنب يستحق كل العقاب مثلها؟

... نعم، إن هذا احتمال قوي جداً في الرؤية المطلقة. ولكن قد يضعف هذا الاحتمال القوي جداً إنك يا إلهي ضعيف الرؤية والمحاسبة، بطيء الرؤية والمحاسبة بل فاقد الرؤية والمحاسبة لنفسك ولكل شيء..

ولا يوجد مثل تاريخك كله تدليلاً على فقدك لكل رؤية ولكل محاسبة..

.. ولكن لو أنك وهبت غير موهبتك فرأيت وفهمت وحسبت وحاسبت بغير

رؤيتك وفطنت فألغيت ذلك اليوم لتنجو من محاكمتي ، من محاكمتنا لك فهل تراك بالغاً ما أردت أي ناجياً من محاكمتي ، من محاكمتنا لك على ما فعلت وتفعل بنا يا إلهي الذي لا أجد أو أرى ما يهبط بتفاسير الآلهة أو يهجوها مثل رؤيتي وتجاربي لك . .
يا إلهي الذي لن يشتم أو يعذب الرؤية والتجربة مثل رؤيتي وتجربتي لك؟

. . إننا لن نكون البشر الذين أبدعوا الحضارات والقوانين والتعاليم والشرائع وخلقوا الآلهة وقتلوها وعبدوها وعافوها إن تركناك تفلت من أقسى وأكبر وأشهر محاكمة على ما فعلت وتفعل من أخطاء وخطايا هي كل الأخطاء والخطايا . إنها جميعاً هي أخطاءك وخطاياك إرادة وتدبيراً وتخطيطاً وتحريضاً وإلهاماً وتنفيذاً وعلماً سابقاً ومنفذاً بل ونشوة علوية .

. . إن من يريد ويصمم ويصوغ ويحرض ويخلق الفاعل عالمياً بما سوف يفعل هو الفاعل حتماً ، هو فاعل الخطأ والخطيئة وكل ما يفعل وما يمكن ويحتمل أن يفعل أي من خلق وصيغ وصمم بإرادة وتدبير وتنظيم ومنطق وبعلم سابق مدروس النتائج والحوافز والأهداف ومرادها . أليس كل الفاعلين هم كذلك في تعاملهم بهم ومعهم وفيهم؟

أليسوا بكل كينوناتهم وتفاسيرهم هم إخراج يديك وعقلك وأخلاقك وإرادتك ورؤيتك؟

. . لقد كان المفروض بل المحتوم أن يكون هذا الرأي في هذه القضية منزهاً عن كل خلاف . فكيف أمكن ألا تراه كل العيون والعقول والأخلاق رؤية واحدة؟ .

إن اختلاف العيون والعقول والأخلاق في أحيان كثيرة ليس اختلاف عيون أو عقول أو أخلاق بل اختلاف تعاليم وأوامر وتلقين وتاريخ وأماكن ورغبات . .

. . إنني أنتظر وأتمنى أن تكون قد تهيأت جداً بكل الحماس والجهد والارتجاف والاستيقاظ والإحساس بضخامة الحساب لتستمع إلى ما سوف أقول في محاكمتي لك في ذلك اليوم يا من تريد محاكمتنا على ما فعلته أنت بنا . !

. . إن محاكمتي لك سوف تكون نموذجاً لجميع من سوف يحاكمونك . .

ها أنا أتكلم بادئاً بتوجيه الاتهامات إليك راجياً وأمرأ أن تستمع بكل الإنصات والتجلد والشجاعة والشهامة والإحساس بالمسؤولية :

لماذا خلقتني وخلقنتني في هذه الذات والصيغة والزمان والمكان والقوم والأهل والآباء والدين واللغة والتاريخ واللون والعرق والجنس محكوماً بكل هذه الضرورات

والمجاعات والشهوات والإفرازات والاستفراغات والتعبيرات وبكل أساليب ذلك
وأساليب البداية والنهاية وما بين البداية والنهاية من أهوال وآلام ومذلات ودمامات
وسخافات وركوع وهبوط وسقوط وأنين وصراخ ودموع ومخاوف وتوقعات واحتمالات
ومواجهات رهيبة بذئثة كريهة مهينة محتومة، محتومة.!

آه. كيف يقبل كينونته من حكم عليه بهذه الإفرازات والاستفراغات بكل تعبيراتها
البذئثة الوقحة؟

. . نعم، لماذا خلقتني وخلقتني كما خلقتني وخلقت كل ظروفي ومواجهاتي
وأسبابي وأقداري واحتمالاتي وأغلالي وبداياتي ونهاياتي وكل تفاسيري وكل أساليبي
الإفرازية الاستفراغية كما خلقتها؟

هل رأيتني أؤدي بكل الركوع وظائف جسدي الاستفراغية؟ هل أعجبك أو أفرحك
المنظر؟

. . كيف فعلت ذلك، كيف جرؤت عليه؟ بأي منطق أو خلق أو قانون فعلته
ورأيت واقتنعت ورضيت أن تفعله كما فعلته؟

اسمع، اسمع. اسمع يا إلهي الذي لم أجربه أو أجده سامعاً ولن أنتظر منه أن
يكون سامعاً:

كيف جاز لك أن تخلقني دون وقبل أن تستأذني وتظفر مني بالموافقة الراضية
الفاهمة المقتنعة الفرحة دون أي إكراه أو شعور بالرغبة في الإكراه أو الإملاء أو التهديد
أو حتى التحريض؟

هل علمت أنني سوف أرضى وأفرح بخلقك لي وأشكرك على ذلك؟

إن كنت حسبت أنك قد علمت فكيف حسبت وعلمت؟

وإن لم تكن حسبت ولا علمت فكيف فعلتها؟ كيف فعلتها إن كنت لا تعرف ذلك
وكيف عرفت أنك عرفت إن كنت لا تفعل إلا بعد أن تعرف؟

. . كيف يقبل من كائن كبير عظيم رحيم بلا حدود، بل من أي كائن كان ليس
كبيراً ولا عظيماً ولا رحيماً أن يفعل بكائن آخر بريء جداً بريء جداً لأنه لم يكن قد
وجد أن يفعل به ما لا يقبل أو يرضى أو يغفر، بل أن يفعل به ما سوف يصيبه بكل
الآلام والأهوال والقبح والسوء والفجائع والورطات؟

إن جميع المتوحشين والمعتدين لن يستطيعوا أو يشتهوا أن يوقعوا أي ألم أو

عدوان بكائن بريء كل البراءة أي بكائن لم يوجد . كائن لم يوجد هل يمكن أن يوجد من يستطيع أو يريد أو يشتهي أو يدبر أن يوقع به أي عذاب أو عقاب أو ألم أو تشويه؟ إذن كيف تستطيع أو تريد أنت أن تفعل من العدوان والوحشية ما لا يستطيع أو يريد أن يفعله جميع المتوحشين والمعتدين؟

... حتى الكائنات المفترسة أو الجائعة إنها لا تصنع الألم أو الإيذاء بغيرها إلا بقدر إحساسها بالجوع أو الحاجة أو الخوف أو بقدر إثارته أو جهالتها أو التحرش بها . وهي تحت كل الظروف لن تصنع شيئاً من ذلك بكائن لم يوجد أو قبل أن يوجد، ولن توجده لكي تصنعه به . هل تقبل أن تكون أنت وحدك الموقع للعذاب بمن لم يوجد والمدير له، وأن تكون أنت وحدك الموجد لمن لم يوجد لكي توقع به العذاب؟

وإن كنت لا تستطيع أن تستيقن من قبولي أو رفضي لخلقك لي فأني في هذا اليوم الكوني أمام كل الحاشرين والمحشورين أهبك هذا اليقين وأعلن رفضي الغاضب المستنكر المتهم المطالب بالحساب والعقاب . أيها الحاشرون والمحشورون اسمعوا، اسمعوا إني أرفض عدوان هذا الكائن المزعوم إلهكم - أرفض عدوانه علي بخلقه لي . اسمعوا واشهدوا وتحركوا واتحدوا .

ولكن ماذا يمكن أن يكون التفسير لإيجادك لي أي إن كنت قد فعلت ذلك بإرادة وتدبير وقصد وليس استفراغاً أو بصقاً أو إفرازاً آلياً ذاتياً اضطرارياً، أي إن كنت قد أوجدتني بالأسلوب الذي يوجد به المهندس أو الفنان عمله وليس بالأسلوب الذي يسعل أو يتقيأ أو يمرض أو ينبت شعر إبطيه به؟

.. هل أنت مصاب بآفة نفسية أو عقلية شاذة ومعقدة تجعلك لا تسعد أو تفرح أو ترضى عن نفسك أو ترى مجدك أو تحترم قوتك إلا بأن تعتدي عليّ بإيجادي الفادح العاثب الأليم العقيم دون أن تحاسب أو تسائل عقلك أو أخلاقك أو تقواك أو كرامتك عن قبولي أو رفضي، عن سعادتي أو شقائي، عن ربحي أو خسراني؟ هل يوجد مثل الآلهة استحقاقاً وانتظاراً للإصابة بالأمراض والآفات النفسية والعقلية التي لا شبه لها في شذوذها وتعقيدها؟

.. هل أنت عاشق لتعذيبي وتوريطي عشقاً مرضياً عدوانياً جنونياً لهذا خلقتني خاضعاً لهذا العشق دون أية حسابات أخرى؟

هل أنت ترى أنك لن تكون قوياً أو عظيماً أو مبدعاً أو فناناً أو عاشقاً محباً إلا بأن توجدني؟ هل أنا كبير ونافع ومفيد إلى هذا المدى؟ هل أنت محب، واهب للحب جداً

فلم تجد من يستحق هذا الحب لتهبه إياه سواي لهذا اضطرتت إلى إيجادي ولو بأسلوب ونيات العدوان علي دون أن تستأذني وتستيقن من رضاي وقبولي كما يفرض العدل والواجب؟

هل قال لك عقلك أو ضميرك أو خلقك إنه لن يكون سعيداً أو نبيلاً أو محترماً لشهامته أو لوظيفته إلا بأن توجدني فصدقته وأطعته دون أن تخشى خديعته لك أو أن يكون ضالاً في رؤيته وقراءته واستجابته لنفسه؟ وهل يمكن أن تثق بعقلك أو ضميرك أو أخلاقك بعد تجربتك الطويلة لها؟ وهل يمكن أن يكون قد بقي فيها ما يوثق به بعد معاشتها الطويلة لك؟

. . هل كانت عينك ترفضان الرؤية أو تعجزان عنها أو تستقبحانها أو تخشيانها ما لم أكن أمامهما؟

هل كانت أي عينك لا تسعدان برؤية العذاب والعبث والضياغ وضحايا العدوان ما لم أكن أي أنا فيما تريان - وكانت أذنك لا تطربان بسماع الأنات والآهات والصرخات والاستغاثات الضائعة دون أية استجابة ما لم تكن أناتي وآهاتي وصرخاتي واستغاثاتي الضائعة المرفوضة فيما تسمعان؟ هل كنت تتداوى من كآباتك الثقيلة بأناتي وصرخاتي الفاجعة المفجوعة؟

. . هل أنت ترى أن الكون لن يكون كبيراً أو عظيماً أو منظماً أو معقولاً أو جميلاً أو باقياً أو مطيعاً لك أو متوازناً ما لم أكن أنا موجوداً؟

هل كنت تخشى أن تنسى يداك أو ترفضان عملية الخلق ما لم تخلقاني، أو تخشى أن تقتلك الوحدة والوحشة والإهمال والضياغ ما لم ترني كل الأوقات أشكو إليك وأشكو منك بكل الحسرة واللهفة والألم والانفجاع بلا مستجيب مداو أو مخفف بل أو فاهم أو ملتفت أو سامع؟

هل كنت ترفض النظر إلى وجهك في أية مرآة ما لم تر وجهي مسكوناً بالشحوبة والانفجاع والألم المتفجر الفاجر؟

. . أه. هل وجد أو يمكن أن يوجد من استطاع أو من قد يستطيع أن يجد تفسيراً، أي تفسير لهذا أي لعدوانك عليّ بإيجادي؟ حتى أنت. هل وجدت لما فعلت أي تفسير؟ إنني أحاكمك، لهذا لا بدّ أن أسألك عن هذا التفسير إن كنت وجدته أو لعلك أنت وحدك ترى أن أي فاعل لا يجب بل ولا يطلب أو ينتظر أن يكون لما يفعل أي منطق أو تفسير. ولعل كل تاريخك يدل على هذا.

.. يقول أطفالك أي أنبيائك والموظفون في محاربك لقراءة وتفسير كلماتك ونياتك وأخلاقك - يقولون :

إنك خلقتني أي سحبتني من هدوئي الأبدي لكي أعبدك . !

سحبتني من نومي الأبدي الذي لا يصاب بالأرق أو القلق أو بالأحلام المزعجة أو بالاحتياج إلى العقاقير التي يزعم لي الطبيب الذي لا يستطيع أن يجد علاجاً لأرقه أو قلقه هو أنها تداويني من القلق والأرق ومن الأحلام التي لا تصعد بي إلى الفردوس ، إلى أحضان الإله ..

سحبتني من كينونة ومكان لن أكون فيهما عاصياً أو مخطئاً أو مفتضحاً أو نذلاً أو خائفاً أو ظالماً أو مظلوماً أو جائعاً مفرزاً مستفرغاً متقيئاً باصقاً في عينيك وأمامك لن أكون فيهما شاتماً غائضاً مغضباً متهماً لك أو مشتوماً مغيضاً مبغضاً متهماً مهدداً بك ، مؤمناً أو ملحداً . لن أكون فيهما مريضاً أو شيخاً هرمأ أو مشوهاً أو ميتاً أو مهدداً بذلك أو مهدداً بالجحيم أو بالجنة المترفة بالتفاهة والفراغ ..

.. لن أكون فيهما حاقداً أو حاسداً أو كارهاً أو شامتاً أو غائراً أو مهيناً أو محقراً أو معاملاً بذلك .. لن أكون فيهما مشحون النفس بالآلام والأهوال .

.. سحبتني من كل ذلك لكي تلقي بي في هذا النقيض الرهيب ..

في هذا الكون المحكوم بالجنون والقبح والمؤامرات والحقاقات والعداوات والمخاصمات والانقسامات وبالآلام والبغضاء والكذب والخوف والنفاق وبكل الرذائل والتفاهات الصارخة والهامسة والصامته بلا أي ثمن أو هدف أو جزاء غير الممارسة نفسها لكل ذلك بكل الافتضاح . !

.. فعلت بي ولي كل ذلك لأنك تريد أن أعبدك . !

لماذا تريد مني وتفرض علي أن أعبدك؟ إنه للذنوب آخر من ذنوبك . !

شيء فاجع في غرابته وجهالته وسفاهته وعدوانيته ..

لأنك تريد أن أعبدك . ! أأست تعلم بل وتعلن أنني لن أعبدك؟

أأست تقول وينول عنك دراويشك : « قتل الإنسان ما أكفره » ، « إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى » ، « وحملها الإنسان . إنه كان ظلوماً جهولاً » ، « إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » ، « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » ، « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بمجانبه وإذا مسه الشر كان يؤسفاً » ..

ثم أليس لك شيء من الرؤية لتعلم أنني أي أن الإنسان لا يعبدك ولم يعبدك قط ،

وإنما يعبد أبدأ أوثانه الخاصة التي لا تختلف تفاسيرها أو نياتها أو أخلاقها مهما اختلفت أسماؤها أو صيغها أو لغاتها؟ إن أي نبي يجيء ليعلن الحرب على كل الأوثان لن يكون إلاّ عابداً خاضعاً لأوثانه الخاصة التي لن تكون أتقى أو أطهر من أية أوثان خاصة أخرى..

نعم، حينما يعبدك الإنسان أي حينما أعبدك فهل أنا أعبدك أم أعبد أوثاني الخاصة بلغة أو باسم العبادة لك؟

ألست مخدوعاً ومكذوباً عليك حينما يبدو أو أبدو أو تحسب أنني أعبدك؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد مخدوع أو مخدوع به مثلك؟ حاول أن تقرأ وترى وتفسر الأشياء لكي تستطيع الفهم لما أقول والافتناع به، أعني لعلك تستطيع ذلك. وهل في قدرتك أو موهبتك أن تستطيع؟ ليتني أستطيع تعليمك أيها الإله الضائع. إن أي تعليم لك لو استطعت أن تتعلم لأفضل جداً من تعليم مواهبك لك.!

كم أتمنى وأرجو أن تسمع وتفهم هذا الذي سأقوله..

... شاعر ينشد قصيدة بين يدي حاكم قوي غني غبي طاغية كلها تعبد وصلاة وإيمان وتذلّل ورجاء وخوف ودموع وركوع بل وتوحيد. هل أرجو أن تكون قد رأيت مثل هذا الشاعر أو سمعت به!

هل يمكن أن ترى هذا الشاعر أو أن يراه أي أبله مقدساً أو محترماً أو محبباً أو حتى مادحاً لهذا الحاكم أو غير خادع له، ساخر منه، هازئ به، معلن عن غبائه وسفاهته أو غير كاذب عليه، أعني إن كنت قد رأيت مثل هذا الشاعر أو قرأت عنه أو سمعت به أو سمعته ينشد قصيدته هذه أمام حاكمه هذا.؟!

وهل يمكن أن يكون وضعك في حسابات ونيات من يؤمنون بك ويعبدونك أفضل أو أقل عاراً أو افتضاحاً من هذا الحاكم في حسابات ونيات هذا الشاعر؟ هل يجوز لك أن ترضى عن نفسك أو عن مجدك أكثر مما يرضى هذا الحاكم؟

.. فكّر في هذا يا من لم يجرب أن يفكر لهذا استطاع أن يكون كما كان واستمر يتقبل كينونته التي لا يستطيع ولا يمكن تقبلها أي لأنه لم يجرب قط أن يفكر. هل تفكر الآلهة؟ هل يفكر الأنبياء؟ هل يمكن أن توجد الآلهة أو الأنبياء لو كانوا يفكرون؟ هل يوجد الإنسان أو يظل باقياً لو كان يفكر كما يجب أن يفكر؟

.. هل يمكن تصور مفتضح عاجز عن رؤية افتضاحه وعن محاسبة افتضاحه مثلك يا إلهي الذي لا أشفق على شيء أو أخجل لشيء مثل إشفافي عليه وخجلي له كلما

حدقت في مقاساته وفي ظروف وحظوظ وجوده وحياته؟ إنه لا يوجد وجه هو كل الدمامة والكآبة والبغض يرى ويزعم كل الجمال والابتسام والحب مثل وجهك يا إلهي المكذوب به المكذوب عليه .

... ثم كيف؟ من يجروء على الزعم أنك تريد مني أي من الإنسان أن يعبدك؟ إذن لماذا وضعت كل الحراسات والحواجز وأقواها وأذكاها وأخبثها بيني وبينك أي بين الإنسان وبينك لئلا يستطيع أو يريد عبادتك أي لئلا أستطيع أو أريد عبادتك؟

ألست قد حشدت وسلّحت وحرضت وخلدت كل القوى الشريرة لتجعل اللقاء أو الوفاق أو التفاهم أو التقارب أو الحب أو السلام أو حتى الهدنة بيني وبينك أي بينك وبين الإنسان شيئاً أكثر من مستحيل .

... لتجعل الشوق إليك أو الاستحياء منك أو الرغبة من مجاورتك أو رؤيتك أو الثقة بك أو احترامك أو الخوف منك أو الانتظار لك أو منك أو تصديقك أو الانحياز إليك ضد أي عدو من أعدائك شيئاً أكثر استحالة من كل مستحيل مهما قالت وكذبت الأفواه والمنابر العاجزون عن رؤية وجوههم أمام كل المرايا؟ إن كل مجدك في كل تاريخك ليس إلا مجد أفواه ومنابر وكتب في كل تاريخ عبدك وصديقك الإنسان !

... حتى الأبالسة أقسى أعدائك وحتى أعضاؤنا وكل أخلاق ووظائف أجسامنا قد وظيفتهم ووظيفتها ليكونوا وتكون أقوى وأشرس هذه الحراسات والحواجز لتصدنا عنك ، عن عبادتك ... !

هل يمكن أن يكون لأي كائن عاقل أو حتى مجنون حقول وقطعان يربّيها ويزرعها لأنه يريدّها ويحبّها ويسعد بها ثم يدس إليها اللصوص والحشرات والأوبئة والسباع المفترسة الجائعة بل ويوظفها لكي تسرقها وتأكّلها وتمرضها وتقتلها بل ويسممها ويحولها أي الحقول والقطعان إلى كائنات مفترسة لك تفترس وتؤذي مربّيها وزارعها؟

هل حدث أو يحدث أن يدبر قائد جيش كل الخدع والحيل حتى ليحرض ويسلّط الأعداء ويتآمر معهم بل ويتحالف لكي يحول جنوده إلى أعداء له ولوطنهم وقومهم؟

هل حدث أو يحدث أن يخلق خالق مخلوقاً ليكون عبده وعابده ووليه ، أو أن يلد والد ولداً ليكون ابنه وحبّه ومجده وسروره ، ثم يذهبان أي الخالق والوالد يخططان وينفذان بكل الحماس كل الظروف والأسباب والوسائل التي لا بدّ أن تجعلهما خروجاً وتمرداً على ما أريد منهما ولهما بل ونقيضاً حاداً شاملاً لذلك ، أو لا يذهبان أي الخالق والوالد يفعلان كل الأسباب والظروف والوسائل التي هي سهلة جداً عليهما بل التي لا

تكلفهما إلا أن يقولاً لها: كوني فتكون، ليكونا أي المخلوق والولد كما يريد منهما ولهما الخالق والوالد؟

إذن أليس المعقول بل والمحتوم أن أساليبك وخططك وأخلاقك لا يمكن أن يكون لها إلا تفسير واحد هو أنك ترفض وتكره أن أعبدك أي أن يعبدك الإنسان؟

وما أقسى تعهدك في هذه القضية حينما قلت وأعلنت بكل الفخر والكبرياء على السنة دراويشك الأنبياء: «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين». أليس هذا تعهداً عالمياً كونياً بأنك سوف تعد كل قوتك ومكرك لتمنع الإنسان أي ل تمنعني من أن أعبدك لئلا تصبح جهنم غير ممتلئة؟

... ولتسمع صرختك هذه: «ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً». ألسنت ترسل الشياطين على الكافرين بكل هذه القوة والحماس لأنك لا تريد أن يؤمنوا بك ويعبدوك؟ أليس المفروض بل والمحتوم أن ترسل الملائكة والأرواح العلوية لتوحي إلى الكافرين وتعلمهم والإيمان بك والعبادة لك لا أن ترسل عليهم الشياطين تؤزهم أزاً أي إن كنت حقاً تريد أن يؤمن بك الإنسان ويعبدك أي لو كنت تريد أن يؤمن بك وأعبدك؟ إنه لن يوجد عذاب ولا تعذيب مثل عذاب وتعذيب العقول والأخلاق التي تريد أن تفهمك أو تحترمك يا إلهي!

... إن دراويشك الأنبياء يروون عنك أنك قلت وتقول: «يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء»، «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله».

... إذن كل الضالين والفاستدين والعاصين أنت الذي شئت لهم أن يكونوا كذلك... وهم لا يشاؤون إلا أن تشاء أنت لهم. أنهم لا يستطيعون كما تقول وتعلن أن يخرجوا على ما شئت لهم. فإذا كنت تريد لهم ومنهم أن يعبدوك فلماذا لم تشأ لهم ذلك وهم لا يستطيعون أو يريدون إلا ما تريد لهم كما تقول وتعلن أي إلا ما تشاء لهم؟ شيء فطيع في قبحه ووقاحته أن تطالبهم بالإيمان بك وتفرض عليهم عبادتك ثم تمنعهم من أن يريدوا أو يستطيعوا ذلك لأنك لا تشاء لهم أن يفعلوا وأنت تعلن أنهم لا يستطيعون أو يريدون إلا بمشيئتك...

تريد مني أن أشاء ثم تمنعني من أن أشاء!.. هل لهذا مثيل في القبح والوقاحة بل وفي الجهالة؟ وإذا كنت تضل وتهدي بالمشيئة فكيف تقسم هذه المشيئة فتشاء لقوم الإيمان والهداية ولآخرين الكفر والضلال ولا فرق بين الفريقين غير المشيئة البادئة؟ ما منطقتك في هذا التقسيم؟ هل لك منطق؟

... إن من أروع ما يروي عنك دراويشك وفصاحوك أي الأنبياء وخلفاؤهم ونوابهم أنك قلت وتقول: «والله لا يهدي القوم الكافرين»، «والله لا يهدي القوم الظالمين»، «والله لا يهدي القوم الفاسقين».

... إذا كنت أيها الإله العبقري لا تهدي هؤلاء فمن تهدي؟. إذا كنت لا تهدي الكافرين ولا الظالمين ولا الفاسقين فهل عبقريتك ووظيفتك وفضيلتك أن تهدي المؤمنين والصالحين والعادلين والمخلصين؟

أصمت، أصمت أيها الإله ومر كل المتحدثين عنك بالصمت بل وأصبهم بالخرس لئلا يتحدثوا أو يرووا عنك، فالصمت أستر لك بل لا سائر لك إلا الصمت الشامل أي إلا أن تختفي عن كل العيون والآذان والعقول والضمائر والمشاعر والتفاسير والمحاسبات والمحاكمات...

آه أيها الإله! ليتك كنت صامتاً كل معاني الصمت منذ كنت...

ولماذا لا تهدي الكافرين والظالمين والفاسقين وهم لا يستطيعون أن يهتدوا إلا إذا هديتهم وأنت تطالبهم أن يهتدوا بل وتعاقبهم إذا لم يهتدوا وهدايتهم لا تكلفك إلا أن تشاء لهم ذلك؟ بل ولماذا تضرب عليهم مشيئتكم المانعة لهم مما تطالبهم به أي المانعة لهم من أن يهتدوا؟ إنهم لم يهتدوا لأنك كما تقول منعتهم من أن يهتدوا! ما تفسير هذه العداوة المتوحشة لهؤلاء الذين رفضت بل وكرهت وقاومت أن يؤمنوا ويتقوا بل أصررت على أن يكفروا ويفسدوا بالتدبير والقصد والمشيئة؟ أليس الذين هديتم وتهديهم قوماً كافرين وضالين وظالمين أو كانوا كذلك. إذن لماذا لا تهدي هؤلاء الكافرين والظالمين والفاسقين الذين قلت إنك لا تهديهم؟

لماذا خصصت هؤلاء بهذا العداء دون أمثالهم؟

هل يمكن أن تكون فاهماً أو مفهوماً أيها الإله الذي لا يستطيع أن يفهمه إلا الذين لا يستطيعون ولا يريدون ولا يحاولون أن يفهموا بل ويخافون أن يفهموا؟.

... إنك تأمر بل وترسل الأنبياء والمعلمين ليحاولوا هداية الكافرين والضالين وتعلن أن هذا عمل عظيم ونبل ومسعد مرض لك...

إذن لماذا لا تفعل أنت ما تطالب الآخرين بأن يفعلوه؟ بل لماذا تمنع أن يحدث ما تطالب هؤلاء الآخرين بأن يحدثوه أي تمنع أن يهتدي الكافرون والظالمون والفاسقون أو أن يهدوا تنفيذاً لا وعظاً؟

كيف تفعل نقيض ما تأمر وتطالب به وتريده وتحبه وتمناه؟

... إذن فالكافرون والظالمون والفاسقون الذين لا يهتدون ليسوا عصاة أو ضالين أو خوارج يستحقون الغضب أو العقاب بل هم قوم أبرياء مظلومون مقصودون بالعدوان عليهم يستحقون كل التكفير والتعويض والمناصرة. لقد أردت أن تسعد وتفرح وترضى بتنفيذ مشيئتك الفظة المعادية فيهم. إنهم إذن ضحايا بريئة لا أعداء ولا خصوم...

لقد أردت أن تجعل من كفرهم وضلالهم وفسادهم معرضاً فنياً يسعد ويفرح وينشرح بمشاهدته قلبك وفكرك وضميرك وتقواك وأخلاقك ورؤاك وزبانيتك وجحيمك يا إلهي الفاعل لما لا يحب والمحب لما لا يفعل...

يا إلهي الفاعل لما ينهانا عن فعله والتارك لفعل ما يأمرنا بفعله...

... إنك عاشق لكفر وضلال وظلم الكافرين والضالين والظالمين!

... إنك عاشق عشقاً يرفض كل العاشقين أن يفسر عشقهم بتفاسيره...

... أما إرسالك الدعاة ليعلموا ويهدوا من شئت ودبرت وأعددت ما يمنعهم من أن يهتدوا بل وكرهت أن يهتدوا، بل وسعدت بألا يهتدوا فهذا يساوي في كل معانيه أو في بعض معانيه أن تضع حراساً على قوم ليحموهم من اللصوص والقتلة ثم تدبر وتحرض وتسليح وتأمر كل اللصوص والقتلة ليفعلوا بكل القسوة والقوة نقيض ما يفعل الحراس ونقيض ما يطلب ويُراد منهم أي من الحراس لحماية القوم المحروسين.

... هل فطنت إلى أسلوبك هذا يا إلهي الفاجع لكل من يبحثون عن الفطنة من أية صيغة أو تفسير من صيغك أو تفاسيرك المشاهدة أو المروية؟

ولكن هل وجد أو يمكن أو يوجد من يمكن أن يكون شيء من صيغه أو تفاسيره نموذجاً لشيء من صيغك أو تفاسيرك أو حتى تذكيراً بها أي بصيغك وتفاسيرك؟

... ثم كيف؟ هل تقبل أو يقبل من يعرفونك ويحترمونك أن تكون معبوداً؟

هل تصورت أو فهمت ما العبادة وما تعني العبادة؟

ليتك كائن يستطيع التفكير لكي تحاول أن تفهم ماذا تعني العبادة!

... إن العبادة تعني كائنين: كائناً محتاجاً أو مضطراً ولو توهماً أو نفسياً إلى أن يكون عبداً عابداً، وكائناً آخر محتاجاً ومضطراً ومدفوعاً ولو نفسياً أو انفعالياً إلى أن يكون معبوداً أي إلى أن يقبل أو يريد أن يكون معبوداً.

... إن احتياج المعبود إلى أن يكون معبوداً يشبه في كل تفاسيره احتياج العابد إلى أن يكون عابداً. إن تفاسير الاحتياج واحدة اختلفت صيغه ولغاته وتعبيراته.

إن تفسيرك محبوباً أو معبوداً مثل تفسيرك محباً أو عابداً . !
نعم ، هل يمكن أن يحتاج القوي الغنى قوة وغني مطلقين إلى أن يكون عابداً أو معبوداً أو هل يقبل أن يكون ذلك إلا أن يكون مريضاً ما بمرض ما؟
إن من يريد أن يكون عابداً مادحاً أو معبوداً ممدوحاً بلا رغبة أو رهبة أو ضعف أو احتياج فلن يكون إلا مريضاً . !

... هل يقبل أي حاكم أو زعيم أو أي إنسان أن يعبد أو يمدح أو يحرس أو يهتف له أو أن توضع الأصباغ أو الألوان أو المجملات على وجهه أو ملابسه أو على عرشه أو كرسيه أو طريقه إلا بقدر ما يُقاسي من مشاعر الخوف أو الضعف أو النقص أو الدمامة أو من احتمالات النبذ أو الطرد أو الرفض أو الكره أو الاحتقار له أو الاستبدال به؟

... إن الرغبة في العبادة أو المديح ليست إلا أسلوباً من أساليب الرغبة في الحراسة أو التجميل أو التأمين أو التقوية . وهذه الرغبة لا تكون لو وجدت القوة والاستغناء المطلقان ، أي لو وجد الكمال المطلق ووجدت الثقة بهذا الكمال المطلق أي ووجدت الصحة العقلية والنفسية والأخلاقية المطلقة . !

... لهذا فإن العبادة والمديح هجاء واتهام وإضعاف للمعبود والممدوح أي إذا تقبلا ذلك بقدر ما هما كذلك للمادح والعابد .

آه . هل عرفت أيها المعبود ، أيها العابد لماذا تقبلتما أن تكونا عابداً ومعبوداً؟

... من لا يخاف أي خوف هل يقبل أن توضع عليه أية حراسة؟

... من لا يحتاج إلى أي عون أو خدمة هل يطالب بأن يكون له خادم؟

... من لا يأكل هل يريد أن يكون في بيته طباط؟

... من ليس له قدمان هل يريد أن يكون له نعلان؟

... الوجه الجميل جمالاً مطلقاً هل يقبل أن توضع عليه أية مجملات أو أن تجري عليه أية عمليات تجميل؟ أليست كل العبادات والمدائح أساليب رديئة من وضع الأصباغ ومن عمليات التجميل الزائفة الكاذبة؟

إنه الاحتياج فقط أي الاحتياج المادي أو المعنوي . . .

فهل أنت محتاج إلى شيء من الاحتياجات لكي تطالب وتريد أن تعبد أو تقبل ذلك يا إلهي الذي هو كل الجمال غير مرئي ، ولك العدل والحب غير محاسب أو محاكم وكل المنطق والذكاء غير مقروء أو مفسر .

وكل التنقيض لكل ذلك مرثياً أو محاسباً أو محاكماً أو مقروءاً أو مفسراً؟

... لتتصور حاكمين، أحدهما حكيم وقور عظيم في كل تفاسيره ورؤاه، والآخر نقيض حاد في كل ذلك. أي هذين الحاكمين سيتقبل أو يطالب أو يرضى أن يكون معبداً يتجمع فيه وحوله ويتوجه إليه المتعبدون والمادحون والهاتفون رجاء أو خوفاً أو هواناً، صدقاً أو نفاقاً وكذباً، وأيهما سوف يرفض ويكره ويطرد ويقاوم ذلك؟

... أي هذين النموذجين تختاره لنفسك يا إلهي الذي لا نموذج لنموذجه؟ وهل جربت أن تختار؟ جرب ولو هذه المرة الواحدة.!

لماذا يرحب ويفرح الوجه بأن يُقال له: أنت جميل، جميل؟ أليس بذلك يبحث عن الاطمئنان على جماله وعن الاقتناع باقتناع المحققين فيه بجماله. إنه ليس إلا وجهاً مرتاباً متخوفاً متلهفاً إلى أن يقتنع ويقنع بأنه كما يتمنى ويريد ويحب...

كم هو تشويه وتلويث وتحقير وهجاء لكل القيم العظيمة أن يكون هناك عابد ومعبود... إنه لن يوجد أو يتصور أقبح أو أوقح من الخيال أو المنطق أو الضرورة التي أوحى أو ابتكرت أن يكون هناك عابد ومعبود...! هل أنتظر أن تعرف ذلك يا إلهي المتعبب المعذب المعجز لكل من يريد أن يجده ويراه كما علمه وتعلمه وقرأه وقرأ عنه... يا إلهي الفاجع لكل من يتمنى ويتنظر أن يجده كما يحب ويجب أو كما تعلمه وعلمه...!

هل يوجد أحوج إلى المعرفة من الآلهة التي لا يساويها في بداوتها العقلية والنفسية والأخلاقية والفنية والحضارية حتى ولا بداوات الزعامات أو القيادات أو النبوات العربية... نعم، العربية.!

... أما البشاعة التي لا بد أن تفجع بها كل البشاعات فهي قولك إنك إنما أوجدتني لكي أكون عبداً لك حين قلت معلناً: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»...

كائن لم تره أو تعرفه ولم يرك أو يعرفك ولم يكن بينكما أية علاقات أو خصومات، وليس مديناً أو مطلوباً لك بشيء ولم يتعلم أو يعرف أو يجرب شيئاً من فنون أو أخلاق التعبد أو العبودية أو العبيد، ولم تعرف أو تقرأ عنه أنه يملك أو يستطيع أن يملك أية موهبة أو قدرة أو مهانة أو خصائص نفسية أو فكرية تجعل منه أو تأذن له بأن يجعل من نفسه عبداً أو عابداً جيداً ذليلاً مطيعاً أو متقبلاً.

- نعم ، كائن مثل هذا كيف رأيت أو استسغت أن توجده ليكون لك عبداً عبداً :
كيف عرفت أنه يستطيع أو يقبل أن يكون عبداً؟ ولماذا فرضت ذلك عليه؟

ولماذا أردته عبداً وأردت نفسك معبوداً؟ كيف تقبلت وتجرات أن توجد كائناً بلا
أي منطق أو مصلحة لك أو له أو لأي شيء غير أن تجعله عبداً لا وظيفة ولا معنى له
غير أن يكون عبداً وتدعوه عبداً ويعلن نفسه عبداً، ليحيا عبداً ويموت عبداً؟

كيف تقبلت أن توجد العبودية؟ كيف تعاظمت غوايتك يا إلهي حتى أردت وتقبلت
وفرحت أن ترى إنساناً أو أي كائن راکعاً أو ساجداً أو هاتفاً أو خاشعاً خاضعاً مصلياً
متملقاً باكياً ذليلاً جباناً مهيناً، مهيناً؟

لنفترضك مريضاً بشهوة مريضة هي أن تكون معبوداً وهي أيضاً إيمانك بأنك لن
تكون عظيماً أو سعيداً أو فرحاً ومعجباً بنفسك ومجداً إلا بأن تكون معبوداً.

وكيف أمكن أن نفترضك كذلك أو ترى وتفترض نفسك كذلك؟ إذا أمكن هذان
الافتراضان فإن السلوك والمعقول بل الواجب هو أن تعالج حيثئذ نفسك من هذا المرض
الأليم القبيح وأنت قادر جداً على هذا العلاج . . .

إن أطفالك الأنبياء يقولون ذلك يقولون إنك تقول للشيء كن فيكون .!

إنه لمن المستحيل أن يوجد أي تفسير لإصرارك على أن تكون معبوداً وعلى أن
يكون كل من سواك عبداً عابداً سوى أنك مريض مرضاً نفسياً أو عقلياً أو أخلاقياً أو
مرضاً آخر مفسداً ومشوهاً لكل تفاسيرك وتصوراتك ورغباتك، بل ومتفوقاً على جميع
الأمراض النفسية والعقلية والأخلاقية .!

. . . وإنه لمن المتوقع بل المحتوم أن تكون ذوات الآلهة هي أخصب الذوات
بكل الأمراض وأخطر الأمراض . هل وجد مرض أو يمكن أن يوجد ليس عدوى من
أمراض الآلهة؟

هل يمكن أن يوجد أي مرض لو لم يكن الإله مريضاً؟

. . . وإذا كنت مرجواً لعلاج وشفاء كل الآخرين من كل أمراضهم أفلا تكون
مرجواً لعلاج وشفاء نفسك؟ والفاجع أن مرضك ليس مرضاً لك وحدك بل للوجود
كله .

أليس أحد أمراضك جعلك تفرض علي أن أكون عبداً، جعلك تخلق كل البشر
ليكونوا عبيداً، ليكونوا عبيداً لك؟

هل يمكن أن يوجد أي مرض أو ألم أو خطأ في هذا الكون لولا أمراضك؟ من أين يجيء ذلك؟

... كم أتمنى أن تقرأ هذا وتفكر فيه ... أن تقرأه وتفكر فيه بموهبة غير عربية ...!

... إن أسفه وأنزق الحكام الطغاة وأوقحهم تألهاً وجبروتاً وكبراً لم يبلغ شيئاً مما بلغت في هذا الجنون ...! كم أرجو أن تعرف ذلك أو أن تحاسبه وتحاوره!

إن أحداً من هؤلاء الحكام لا يذهب يخلق أو يوجد لكي يعبد ويمدح ولكنه قد يتقبل ذلك ويفرح به ويجري عليه مع إنكاره المعلن أنه يريد به أو يرضى به أو أنه أهل له. قد يتقبله ممن وجدوا لا ممن يذهب يوجههم ليقدموه له ..

... وإنه أيضاً لا يجزئ على أن يسمى ذلك عبادة أو تعبداً أو يسمي من يفعله له عبداً أو عابداً. لا يجزئ على النطق بكلمة: «أعبدوني» ولا حتى بكلمة «امدحوني» ..

ولا يجزئ على أن يقول: امدحوني أو احترموني وحدي، أو لي وحدي كل المديح والاحترام كما يقول الإله، كما تقول أنت يا إلهي.

... وهو كذلك لا يجزئ على أن يقول إن كل من لا يعبدني أو يمدحني أو يحترمني أو يحبني فهو كافر أو فاسق أو ضال وعاص. مأواه الخلود في أعماق الجحيم ... لا يجزئ أن يقول «وما حكمت أو ملكت إلا لأتمدحوني وتحبوني» مثل «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني».

... أما أنت فتفعل وتقول كل ذلك بكل الكبرياء والجهر والرضا عن النفس دون أن يتقاطر شيء من العرق على جبينك تعبيراً عن شيء من الخجل يا إلهي الذي كم أتمنى أن تتعلم شيئاً من الوقار أو الاستحياء أو التهذيب أو التواضع أن تتعلم من أنزق وأسفه وأوقح الحكام الطغاة الجبارين الجهلاء الذين لا يتجراؤون على أن يفعلوا أو يقولوا هذا الذي تقوله وتفعله أنت بكل الجرأة والجهر والكبرياء والإعجاب بالنفس أو أن تصاب بشيء من ذلك ...!

أليست الآلهة تصاب ولكنها لا تريد أو تدبر أو تتعلم؟

... يا إلهي الذي لم يعلم أو يتعلم أو يقرأ أن الحياء أو الذكاء أو الوقار أو التهذيب أو التواضع أو الرؤية أو الصدق أو الحب أو المعرفة أو النخوة شيء يمكن أو يطلب أن يكون من أشواق الآلهة أو من أمانيتها أو أخلاقها أو أفعالها أو حتى من أزيائها أو زيناتها. إله يخلق هذا الكون بكل مجراته وحشراته ثم يجزئ على النظر إليه أو إلى

وجهه هل يمكن أن يكون قادراً على التخاطب والتحاور مع نفسه أو مع أي شيء؟
إن الفرق قبيح ووقح جداً بين العبودية التي فرضتها عليّ ووضعتني فيها وخصصت
بها نفسك وبين أية عبودية أخرى. فأنت أقسى وأقبح وأوقح مستعبد.!

إن العبودية التي أردتها لنفسك هي عبودية مطلقة داخلية وخارجية، وليست كذلك
أية عبودية. إنها خارجية فقط وليست مطلقة. إنك لا تستعبد فقط أعضائي وجسدي
ولساني وجبهتي ركوعاً وسجوداً وتذلاً وهتافاً ودعاء كما يفعل جميع المستعبدین بل
وتستعبد عقلي وقلبي وإرادتي وتصوراتي ونياتي وحبّي وبغضي كما يعلن ذلك دراويشك
الأنبياء وكتبك التي أرسلتها معهم. فأنا لا أستطيع أن أفكر أو أفهم أو أحب أو أكره أو
أقبل أو أرفض أو أفتنع أو أؤمن أو حتى أرى أو أشاء إلا إذا فعلت وشئت ووضعت في
وبي ولي ذلك..

حتى النفاق لا أستطيع أو أريد معاملتك به خوفاً من جلاديك أو من الجلادين
باسمك إلا إذا زرعته وخلقته وأذنت وشئت لي بأن أعاملك به. إن كل أجهزة شرطتك
ومخابراتك تعمل بكل قبحها ووقاحتها ووحشيتها داخل ذرات غددي وخلاياي
وهمسات قلبي وأشواقِي وأعصابي ولغات وإيماءات عيني المغلقتين الصامتتين...

إنها، أي أجهزة شرطتك ومخابراتك وكل وسائلك التجسسية، معسكرة داخل كل
المواقع الخاصة المحجبة السرية من ذاتي، إنها داخل كل الحصون، إنك هكذا تقول.
إنك معسكر ساكن داخل العورات، داخل الأعضاء التي يخجل أصحابها والآخرون من
رؤيتها والحديث عنها.!

... إنه لا يوجد ولم يوجد ولا يمكن أن يوجد فضولي متوقّع بذئ نذل يدس
نفسه داخل كل مخابئ وكهوف الذات المحصنة المحرمة ليرى ويتجسس ويكتشف
ويفضح ويفتضح ويعري ويتعري مثلك!

إنه لا هاتك لكل الحرمات بكل القبح والفضح والسخف سواك يا إلهي الباحث
الكاشف المعلن عن العورات... يا إلهي الذي كل العورات وأقبح العورات ليست إلا
سترأ وحياء وجمالاً أمام عوراته، أما عوراتك. يا ملقياً بنفسه فوق وتحت وفي أحشاء
كل السرر التي تتلاقى وتتواقح وتتصارع فوقها وفيها العورات والشهوات الفضاحة
الأساليب والتفاسير...

... هل توجد وقاحة أو جهالة أو بلاهة تنافس وقاحتك أو جهالتك أو بلاهتك
يا إلهي حينما تذهب تتحدث وتعلن عن عورات الناس وتحقق فيها بكل مظاهر التقوى

والغضب والغيرة والبراءة وأنت كلك عورات عقلية ونفسية وأخلاقية وفنية وتاريخية، وأنت ليس في أية خطوة أو صيغة أو تفسير من خطواتك أو صيغك أو تفاسيرك ما ليس أفضح وأبشع العورات. العورات الظاهرة المكشوفة التي لا تستتر ولا تقبل أو تستطيع أو تريد الاستتار؟

أليست كل فضيحة وعورة وعار هي عطاء قدرتك أو خطتك أو حكمتك أو غضبتك أو مشيئتك أو سلوتك أو لعبتك أو لعنتك؟ أليست البدء في كل شيء ولكل شيء؟ والبدء في كل شيء ولكل شيء أليس مسؤولاً عن كل شيء، مفسراً به كل شيء؟ أليس الذي كان ولا شيء قبله أو غيره أو معه ثم يولد أو يتخلق من مشيئته وحكمته وشهوته وخطته وقدرته وصنعتة كل الوجود هو المسؤول عن عورات وعاهات وفضائح وذنوب كل الوجود والمعير المتهم المسبوب بها؟

أليس الذي يخطط ويخلق الأرض بكل قوانينها وظروفها وأخلاقها وعلاقاتها واحتمالاتها هو المخطط الخالق لكل ما يتولد ويتخلق ويحدث فيها ولها قوة وضعفاً، جمالاً ودمامة، جودة ورداءة؟

أليست كل عاهة أو آفة تنبت في جسد أية حشرة أو حيوان أو إنسان فوق هذه الأرض إنما أنبتتها في الجسد الذي نبت فيه يد وإرادة وحكمة وشهوة وقسوة ونزق الذي خطط ودبر وخلق هذه الأرض ووضع فيها كل قوانينها وطاقتها ووضعها تحت كل ظروفها وعلاقاتها ومواجهاتها، أي إنما أنت وحدك فاعلها بكل التزاماتها وشروطها وحتمياتها يا إلهي الذي لم يعرف حتى اليوم لا هو ولا المعلمون به وعنه ما هي حدود مسؤولياته والتزاماته... الذي لم يستطع لا هو ولا المعلمون عنه الموظفون في محاربه ومنابرهم أن يفسروا ما هي حدود هذه المسؤوليات والالتزامات؟ هل يوجد جاهل بحدوده أو من هو بلا حدود مثلك يا إلهي، يا معلم الحدود وهو نفسه بلا حدود؟

... إنك المدير المريد المخطط الفاعل الخالق لكل شيء وأيضاً البريء من كل شيء أي من حيث المسؤولية والحساب والعقاب والمحاكمة..

إنك المسؤول عن كل شيء، المغفور لك كل شيء، المعفى من كل شيء أي من حيث الدينونة.

... إنك المذنب المعاقب للآخرين على ذنوبك أنت.!

ألسنت هكذا تقول ويقول أطفالك الأنبياء والموظفون في محاربيهم!

أليس من لا يقول هذا ويعتقده فهو كافر يستحق كل العقاب في قولك وقول أنبيائك؟

ولكن ما هو الثواب أو العقاب الذي سوف تجزييني أو تعاقبني به لاستعبادك إياي أو لإيجادك إياي عبداً ولكي أكون عبداً، ولكي يكون كل مجدي أن أكون عبداً ممجداً نفسي بكوني عبداً، عبداً.؟

أليس كل مجد دون مجدي لأنك قد خلقتني لك عبداً؟

نعم، ما الثواب أو العقاب الذي أعددت لي ووعدتني به مطيعاً لك وعاصياً؟ ولكن كيف؟ «عاصياً»؟!

أليست إساءة كبرى إليك أن يزعم بأنك قد تكون معصياً؟

هل يوجد أو يتصور عاص لك؟ هل توجد إهانة لك مثل الزعم أنه قد يوجد أو قد وجد عاص أو عصيان لك؟

هل يعصي إلا الضعفاء أو العاجزون أو الجاهلون أو المخدوعون أو الفاسدون أو الظالمون أو الكسلى المسترخون الضالون الضائعون؟

وهل يقبل القادر العادل الشجاع الكامل أن يعصيه من يجب أن يطيعوا؟ أليس العصيان ذنباً وتحقيراً وإذلالاً وغيظاً وحزناً يصيب المعصى ويوجه إليه؟ إن العصيان قد يكون ذنب المعصى أكثر مما هو ذنب العاصي . . .

. . . إن من يترك العصاة يعصون لما تجب طاعته وهو قادر بلا أية مقاساة على منعهم بالقوة أو بالتكوين أو بالإرادة والمشيئة أو بأية وسيلة أخرى فلا بد أن يكون هو، بكل التفاسير والحسابات، أعصى العصاة وكل العصاة وأوقح وأسفه العصاة. حاكم مطلق الحكم والقدرة يترك العصاة يعصون بعلمه. أليس هذا الحاكم هو أعصى العصاة وكل العصاة؟

. . . إنه لا يمكن أن يوجد عاص أو عصيان لك. إن أعصى عاص لك هو مطيع جداً لك، هو أطوع مطيع لك . . .

إنه مطيع لحكمتك وإرادتك ومشيتك ورغبتك ولتخطيطك وتديريك ولنظامك الأزلي الأبدي . . .

وأي المطيعين أتقى وأقوى طاعة لمن تراد طاعته: من يطيعون أوامره أم من

يطيعون حكمته ورغبته ومشيتته ونظامه ومنطقه وتخطيطه وتدبيره؟ أليس الذي يطيع إرادتك ورغبتك وتديرك ومنطقك أكثر طاعة لك ممن يطيع تعاليمك أو خطبك أو حتى أوامرك؟

وهل ترى من يطيع أوامرك ويعصي كل معانيك الأخرى من حكمة ومشيتة ورغبة وتدبير ونظام مطيعاً لك أي لو كان هذا مستطاعاً وممكناً أن يحدث؟

إن القول بأن الله يعصي يساوي القول بأنه أي الله يغلب أو يهزم أو يضطهد أو يطرد أو يؤسر أو يجرح أو يقتل أو تفقأ عيناه أو تقطع يده أو رجلاه أو يسجن!

إن في العصيان لمن تجب طاعته ولمن يريد ويطلب أن يطاع كل تفاسير الهزيمة والإذلال والقهر. إنه أسلوب من أساليب الاضطهاد والطرده والأسر بل والقتل وقطع الأيدي والأرجل بل ومن أساليب الشتم والضرب والبصق والتعبير والسخرية والمبارزة والتحدي المذل. إذن هل يمكن تصرّر من يقبل أن يعصي بإرادته وغربته وتدبيره ورضاه؟

... ومرة أخرى بل مرات أخرى أسأل ما هو الثواب أو العقاب الذي أعددت لي ليكون ثمن أو جزاء عبوديتي الحزينة الأليمة المهينة البذيئة الفادحة القبح في كل تفاسيرها؟

آه ولكن قبل أن نسمع ونعرف الجواب عن هذا التساؤل نقول بكل الذهول: كيف ابتكرت منطق أو مبدأ الثواب والعقاب؟ كيف اهتديت أو اضطررت إليهما؟

هل أنت لا تعلم أن ابتكار الثواب والعقاب والاضطرار إلى الأخذ والالتزام بهما ليسا إلا تعبيراً عن العجز والاحتياج يا إلهي الضائع الذي يزعم أنه يعلم كل أحد وكل شيء ثم لا يريد أو لا يستطيع أو لا يعرف أن يعلم نفسه أشياء لا يستطيع الأميون أن يجهلوا ولا يحتاجون إلى أن يتعلموها لكي يعلموها؟

كيف ابتكر أو نشأ منطق أو قانون الثواب والعقاب؟ إنها قصة.!

... اسمع يا إلهي هذه البدهيات لعلك تتعلمها أو تتعلم منها.!

كان البشر مضطرين إلى حماية أنفسهم ومجتمعاتهم من آلام وشرور وخطايا كثيرة. وكانوا عاجزين عن منع فاعلي هذه الآلام والشرور والخطايا بالتعليم أو الوعظ أو الإرادة أو الحب أو بالحذر والاحتياط، كذلك كانوا محتاجين إلى التحريض على فعل نقيض ما يخافون ويكرهون. إذن لا بدّ من ابتكار الثواب والعقاب للزجر والتحريض...

ولو كانوا يستطيعون المنع من ذلك بهذه الوسائل لما عرفوا فكرة الثواب والعقاب

لأنهم حينئذ لن يحتاجوا إليها أو إليهما أي ويستطيعون التحريض على فعل النقيض وعلى الإلزام به بنفس هذه الوسائل أيضاً أي بالتعليم أو الوعظ أو الحب أو الإرادة أو بالإعجاب والشكر والثناء. إن الثواب نوع من الرشوة أما العقاب فنوع من البحث عن الحماية بالألم والإيلام. . . بالبكاء. إنه بكاء، بكاء.!

إذن كيف خفي عليك شيء لن يخفى على أبلد عبيدك وعبادك؟

إن المتفرس في سلوكك في كل تاريخك قد يرى أو لا بد أن يرى أنك قد وجدت البشر يتعاملون بالثواب والعقاب وبفكرتهما فنقلت الفكرة عنهم مقلداً لهم، غير بارع وغير قادر أو عارف أن تنفذ إلى معرفة التفاسير والأسباب. إن موهبة التقليد فيك ليست أفضل أو أذكى أو أقوى من موهبة التقليد في الإنسان العربي حينما يفرض عليه أن يقلد أي شيء في المتفوقين!

. . . أنت دائماً تسمع وترى بلا رؤية أو سماع أي بلا استماع. أي أنك لن ترى لو رأيت ولن تسمع لو سمعت. إنك مهما رأيت فلن تستطيع التحديق ومهما سمعت فلن تستطيع الاستماع. إن عينيك وأذنيك أبداً بلا وظيفة. ولهذا فإنك مهما رأيت وسمعت لا تفعل شيئاً مما يجب أن يفعله من رأى ومن سمع. هل وجد أو يوجد راء سامع مواجه لا يستجيب ولم يستجب قط لشيء مما يسمع ويرى ويواجه حتى ولا بالانفعال أو النية أو المقاطعة سواك؟

. . . إن أي مرئي أو مسموع أو مرأى ومسمع مهما كانت أهوال تفاسيره لا يستطيع ولم يستطع قط أن يطلق أو يحرك أو يخلق فيك أي قدر أو نوع أو تعبير من الشهامة أو الشجاعة أو الرحمة أو حتى الرئاء أو الاستحياء أو الغضب أو الانفجاء. هل تشك في صدق هذا الحكم عليك أو ترفض تصديقه؟

إذن حذق في نفسك وفي تاريخك لكي تصدق هذه الرؤية لك. . .

إنه لمشهد أو منظر أو موقف أو تبلد يلعن الكون كله وكل من يحترم هذا الكون.

. . . وكم أتمنى أن تتحداني وترغب في تكذبي وتفعل ما يبطل ولو مرة واحدة هذا الحكم الذي حكمت به عليك.!. أرجوك، أتحداك أن تبطل حكمي هذا عليك.

. . ها أنا أنتظر أن تفعل ذلك. . أنتظر، أنتظر وينتظر معي كل المحترقين والهاتفين والمصلين والمستغيثين والصارخين والآنين وكل المعذبين والمشوهين والمتنظرين والمؤمنين الباكين دون أن يجدوا أحداً أو يحضر أحد أو يرد عليهم أو يستمع إليهم أحد. هل رأيت أو سمعت هؤلاء؟ حدثني صادقاً هل رأيتهم أو سمعتهم؟

إن مرآهم والاستماع إليهم ليفتتان الحجارة ويحرقان الحديد ويبكيان الوحوش
فكيف تبلدت أنت؟

... آه يا إلهي هل يوجد أخيب أو أخسر ممن ينتظرونك أو يعاملونك أو يدعونك
أو حتى يقرأونك؟

هل يوجد أضيع من أصدقائك، أصدقائك، وحقاً لو وجدوا، لا أعني أصدقاءك
في العظاات وفوق المناير .

... أجل، إنك أنت وجميع الآلهة لستم إلّا نقلاً ورواية عن البشر وتقليداً لهم
وتخلقاً بأخلاقهم وتكلماً بلغاتهم أي بلغات أعضائهم وأهوائهم وشهواتهم وآلامهم
وتفاهاتهم وأحزانهم ونقائصهم ولكن بلا براعة أو فهم أو رؤية أو قدرة أو موهبة أو
إتقان أي في جميع رؤاكم ومنطقكم وتعاليمكم وأخلاقكم وحتى في طموحكم
وتصوراتكم وتمنياتكم أيها الآلهة، يا من لم يخسر البشر مثلما خسروا في انتظاركم وفي
الإيمان بكم والخوف منكم وفي الانخداع بكم وفي الإنفاق عليكم وعلى دجاليتكم ...

يا من توجدون على كل لسان دون أن توجدوا في أي مكان أو زمان ...

... إن الآلهة دائماً وجميعاً هم تلامذة وأتباع غير جيدين للبشر .

... تلامذة وأتباع للأميين من البشر لا المتحضرين أو المتفوقين منهم .

... لقد تعلمت الآلهة ألوهيتها من البشر، من صغار البشر لا من نفسها . إن
الآلهة دائماً مولودة لا والدة، موهوبة لا واهبة، متعلمة من غيرها لا معلمة لغيرها .

إنها أبداً لا توجد في ذاتها بل في غيرها . !

... والآن لنعد إلى السؤال الصغير الكبير : أي ما الثواب أو العقاب الذي أعدته

لي لكونك خلقتني لأكون لك عبداً ؟

يروى عنك من زعموا أنفسهم أنبياءك أنك قد أعددت لي أي للبشر عقاباً وثواباً في
هذه الحياة وعقاباً وثواباً في الحياة المقبلة أي أعددت عقابين وثوابين ...

الثواب في هذه الحياة أو العطاء أو الثمن الذي أعددت أو وهبت أو وعدت به دون
أن تصنعه أو تهبه هو أن خلقتني جسداً بائس التكوين مشوه التكوين، غبي التكوين،
ذليل التكوين ... يجوع ويظمأ ويخاف ويجبن ويمرض ويشيخ ويهون ويموت ويحقد
ويحسد ويغار ويكره ويكذب وينافق ويخضع لجاذبية التراب والحضيض وتقبل جبهته
التراب ويأكل الضفادع والجراد وأمعاء ونعال الحيوانات وأخفافها ...

خلقتني جسداً ليكون مصنعاً ومعرضاً ومخزناً لكل الأمراض والآلام والتشوهات .

... وأيضاً، أيضاً أيضاً يبصق يفرز ويستفرغ أبداً وأردأ وأوقح وأخطر الفضلات على الإذلال والتحقير والتصغير والتعير - لكل شيء - يبصقها ويفرزها ويستفرغها على ثيابه وسريره وبيته وعلى وجهه وعيونه وكبريائه وأخلاقه ونظافته وشجاعته وشهامته وطهارته وعلى أهله وجيرانه ونظافة وطنه وكوكبه وقبيلته بل وعلى عيني إلهه وعلى أذنيه وعلى شاعريته أي شاعرية إلهه وعلى موهبته الفنية التي لم تستطع أن تصوغه صياغة أكرم أو أنظف أو أذكى تحميه من هذا الاستفراغ والبصق والإفراز القبيح، القبيح... !. إنه لن يوجد أو يتصور مبصوق مستفرغ عليه...

على وجهه وعينه وأذنيه وعلى كل معانيه وأخلاقه وتفسيره مثل الإله !

... هل يمكن تصور كائن مطلق القدرة يقال عنه إنه لا يريد إلا الجمال والنظافة والكرامة والكمال يبدع لنفسه مخلوقاً هو الإنسان ثم يعجز أو لا يريد أو لا يعرف أن يصوغه صياغة تحميه من هذا الإفراز والبصق والاستفراغ الوقح، الوقح المذل، هل يمكن تصوّر كائن نظيف جميل يخلق أحب أحبابه إليه محكوماً عليه بهذا الاستفراغ؟

هل يمكن تصور كائن يخلق كل هذا الكون ثم لا يستطيع أو لا يريد أو لا يعرف أن يخلق حبيباً وقرّة عينه ومجد ألوهيته وعبقريته الإنسان مبرأ من هذا الإفراز والبصق والاستفراغ؟

هل يمكن أن يكون لهذا الكون مالك أو مخطط ثم يأذن بهذا البصق والإفراز والاستفراغ عليه؟

... هل يمكن أن تفسر يا إلهي النظيف الطاهر المطهر إلا بأنك عاشق بجنون لهذا الإفراز والبصق والاستفراغ وبأنك مفتون جداً برؤيته والاستماع إلى أصواته وتصويته مؤدى بالأساليب والأصوات والحركات والأوضاع التي بها يؤدي؟ هل سمعت أو رأيت ذلك؟

هل تسر عينك أو أذناك كثيراً، كثيراً حين تسمع أو ترى ذلك؟

... فكر، أطلبك بأن تفكر: هل تمكن أن تجد لهذا تفسيراً غير هذا التفسير؟

الإله، الإله. نعم، الإله يسعد ويفرح بأن يرى ويسمع هذا، كل هذا !

آه يا جسدي، يا جسدي هذا... كم أنت مهين وهاج معير لمن أرادك وخططك وأخرجك... ! كم أنت مهين وهاج ومعير لكل تفاسيره ومواهبه ولأشواقه وتصوراته الإبداعية والفنية والجمالية !

ماذا يا جسدي هذا لو أن الحشرات هي التي أرادتك وخططتك وخلقتك؟ أليس محتوماً حينئذ أن تصوغك محمياً من هذا الإفراز والبصق والاستفراغ استقذاراً واستقباحاً لذلك وصعوداً بموهبتها وتكريماً وحماية لها من هذا السقوط . . .

. . . حماية لعيونها وآذانها وأخلاقها وكبرياتها ونظافتها من ذلك؟

. . . ولو أنها أي الحشرات لم تصنع ذلك ما وجد إلا تفسير واحد، هو أنها تريد أن تتغذى بالفضلات الرهيبة التي يطلقها هذا الإفراز والبصق والاستفراغ .!

فهل أنت يا إلهي تتغذى بذلك؟

. . . إنه لن يكون جميلاً أو جمالياً أو فناناً أو واهباً أو مثيباً أو صديقاً أو نظيفاً أو مستحقاً لأي شكر أو ثناء من حكم على كل إنسان بأن يكون جهازاً لهذا البصق والإفراز والاستفراغ، وعلى كل بيت بل وعلى كل معبد بأن يكون بيتاً ومكاناً لهذا البصق والإفراز والاستفراغ حتى ولو تحول الكون كله إلى أنبياء وشعراء وخطباء يتحدثون عن جمال وفنون ونظافات وعبقريات وصدقات وهبات وخيرات هذا الذي حكم على كل إنسان وبيت ومعبد بهذا البصق والإفراز والاستفراغ . . .

إن مخطط جسد الإنسان إن كان له مخطط لن يكون إلا قمة الدمامة أو القذارة أو الجهالة أو العجز أو لن يكون إلا وقحاً وعدوانياً أراد أن يذل الإنسان ويحقره بأن صاغه هذه الصياغة الجسدية .

. . . أيها الإنسان الغائب عن نفسه أبداً . . . العاجز عن رؤية وجهه أو ذاته مهما حقد في جميع المرايا . . . أيها الإنسان في كل زمان ومكان . . . هل فطنت إلى ضخامة غفلتك وخديعتك حين ظللت في كل تاريخك وأوطانك تشكر وتعبد وتمجد من حكم عليك وعلى بيتك ومعبدك بأن تكون ويكونا جهازاً وبيتاً ومكاناً لهذا البصق والإفراز والاستفراغ، وحين ظللت في كل تاريخك وأوطانك تتحدث عن مزايا وعطايا وعبقريات ومواهب ونظافة وجمال وصدقة وحب وشهامة من حكم عليك وعلى بيتك ومعبدك بذلك؟ كيف لم تسأل: هل حكم على جسدك بهذه الوظيفة الوقحة الشنعاء متعمداً أم جاهلاً أم عاجزاً؟ كيف؟

صائغ ومخطط جسد الإنسان هل يمكن أن يكون ذكياً أو نظيفاً أو فناناً؟

. . . إذن هذا الذي تحسبه ثواباً أو عطاء أو ثمناً ليس إلا عقاباً بل عدواناً لا شبيه لوقاحته ونذالته أعني به خلقتك لي في هذا الجسد . إنك بذلك تستحق أقصى المحاكمة .! . كل إنسان بل كل نبي وعبري وتقي وقيصر خلق محكوماً عليه .

إذن مجد أيها الإنسان خالقك ومخططك الفنان . !

... ولا تحسبن الشهوات والملذات والمسرات وكل ألوان المتع أو ما يرى ويحسب كذلك، لا تحسبنها نوعاً جيداً أو كريماً من الثواب أو العطاء أو الثمن الغالي تقدمه إليّ جزاء عبوديتي لك أنا الإنسان .

... إن كل ممارسة لما يحسب ويسمى لذة أو شهوة أو متعة ليست إلّا خضوعاً ذليلاً لإملاء وأوامر مجاعات وضرورات وبذاءات ومخاوف ووظائف الأعضاء والخلايا والغدد والذرات التي ألقت جسمي منها وجعلتني خادماً بل عبداً مستسلاً لوقاحتك ونزوات ووظائفها القبيحة العقيمة التافهة، بل جعلتني وعاء لأحوالها وأخطائها وخطاياها وآلامها وأمراضها وتشوهاتنا وهمومها، وميداناً لمعاركها ومغامراتها ومصادماتنا البذيئة الذليلة الأساليب والنيات والنتائج... جعلتني حاملاً لكل أوزارها، مقاسياً لكل عذابها... .

إنك لا تعطيني أو تسعدني حينما يبدو أنك تفعل ذلك بل تذلني وتستعبدني . !
لقد جعلتني لها ولم تجعلها لي، وجعلتني المأمور المطيع لها ولم تجعلها المأمورة المطيعة لي، جعلتها تفعلني وتفعل بي ولم تجعلني أفعلها أو أفعل بها . .

... لقد جعلتني القاتل المتهم بالقتل، المغدور به المزعوم غادراً بل وقاتلاً . !
... جعلتني أفكر وأرى وأقبل وأرفض وأغضب وأرضى وأصادق وأعادي وأحارب وأسلم وأحب وأكره وأعتقل وأجن وأكفر وأؤمن .

... جعلتني أفعل كل ذلك من أجلها وبأوامرها أعني الأعضاء والغدد والخلايا والذرات التي ألقت جسمي منها، ولا أفعله أو أفعل شيئاً منه من أجلي أو بأوامري أي من أجل الإنسان الذي يعيش في داخلي أو بأوامره، أو الإنسان الذي يزعم وأزعم أنه يعيش في داخلي .

إنه لا مستعبد ولا مهان مثل الإنسان أو مثل معاني الإنسان في ذلك الإنسان وبذاته .

... إني في كل ما أفعله حتى ما يبدو أو يظن أسعد وأعلى أساليب الاستمتاع لست إلّا منفذ أوامر... . إني مطيع مأمور مقهور لا مستمتع... . ولنقرأ هذا لنستمع : هل الحب وممارساته والمجد وممارساته والطعام والنوم والراحة والاحتلام والغناء والتصور والتعبد وتعاطي المخدرات والمسكرات والمنومات والمغيبات والمفرحات والمضحكات... .

- نعم، هل كل ذلك إلّا تنفيذ أوامر بخضوع، وليس استمتاعاً بحرية أو اختيار؟
هل الاستمتاع استمتاع أم خضوع لاستعباد لا يقاوم؟ هل الذي يجوع فيأكل يستمتع أم يقاوم أن يخضع؟ هل الذي يستشفى من المرض يستمتع أم يقاسي؟

... إن الاستفراغ في العلاقات الجنسية يساوي استفراغ فضلات الطعام والشراب في المكان المعد الوقح البذيء...! . كن مبصراً وشجاعاً ولا تفزع من هذا. إن كلا الاستفراغين خضوع مهين لإملاء مجاعات ووقاحات وظائف الأعضاء والغدد علينا. هنا، فكّر قبل أن تستنكر، فكّر فكّر...

.. إن استفراغ فضلات الطعام والشراب قد يصنع لنا نشوة وسعادة وفرحاً وراحة أقوى وأكثر مما يصنع لنا ذلك الاستفراغ في اللقاء الجنسي أي حين تحكم بذلك قوة الإملاء علينا. !. أليس تفريغ الذات من فضلات الطعام والشراب أقوى ضغطاً من تفريغ الذات من فضلات الحب؟ لهذا قد تكون النشوة في استفراغ فضلات الطعام والشراب أعظم من النشوة في استفراغ فضلات الحب أو إفرازاته!

... إن قوة النشوة أو اللذة لا تساوي إلّا قوة إملاء الحاجة أو المجاعة أو الألم أو التصور وقوة ضغط ذلك. إن ضخامة النشوة لا تعني أو تساوي إلّا قوة وضخامة الاستعباد والإذلال لمن يحسب متشياً!

... إن جميع ما يدعى لذات ليس إلّا إسكناً للألم وإطفاء لحرائقه المشتعلة أو المتوقعة أو المتخيلة. إننا لسنا إلّا صارخين حين نحسب هاتفين أو مصليين أو شاكرين، ولسنا إلّا باكين حين نرى ضاحكين!

... إن مذاق الطعام يساوي ألم الحاجة والجوع إليه. إنه لا مذاق للطعام في أفواه الذين لا يجوعون إذا لم يأكلوا ولا يقاسون من الألم إذا لم يجدوه. إن ما لا تتألم لفقده لن نسعد بوجوده. إذن فنحن لا نسعد بالشيء إلّا لأنه يصنع لنا الألم. إنه لا لذة ولا سعادة لولا الألم. إن الذي لا يتألم لن يتلذذ أو يسعد.

... إن اللذة بتفجير الخراج لا تعني إلّا ألم الخراج. لهذا فقد نجد في تفجير الخراج من الراحة واللذة أكثر مما نجد من ذلك في ممارستنا لأكثر اللذات...

أقوى مما نجد في ممارستنا للحب المتحول إلى تفجير لخراج أكثر بذاء...

أليست كل نشوة الحب في تفجير ذلك الخراج الوقح الفضح المصاب به كل الرجال؟

... إن مفارقة الجحيم لتهب من السعادة والفرح أعظم مما يهب دخول الجنة .
وهل تساوي الجنة إلا كونها فراراً ونجاة من الجحيم؟

... إذن فإن جميع ما يحسب لذات ومسرات ليس إلا تداوياً من النقيض .

... حتى الفرحة . إنه ليس فرحاً ولكنه فرار واحتماء من الكآبة وفقد لها . !

... حتى الراحة . إنها ليست راحة ولكنها خروج من التعب وتداو منه .

... حتى الغناء مخاطباً للذات . إنه ليس غناء ولكنه استشفاء من الصمت النفسي

الأليم واحتجاج عليه وخداع ومقاومة له ...

... حتى الصلاة للآله . إنها ليست صلاة لا للآله ولا لسواه ولكنها أنين وصراخ

وبكاء ولهفة واستغاثة حائرة ضائعة .

... حتى الضحك والابتسام . إنهما ليسا ضحكاً ولا ابتساماً ولكنهما مقاومة

للعبوس والبكاء وإخفاء لهما ...

إنهما أي الضحك والابتسام لغتان وتعبيران من لغات وتعبيرات العبوس والبكاء .

هل يستطيع أن يضحك أو يبتسم أو يسر من لا يبكون أو يعبسون أو يحزنون إلا بقدر ما
يستطيع أن يحيا من لا يموتون أو أن يموت من لا يحيون؟ هل فكرت في هذا الكائن
الواقع في الهاوية أو الزاحف إلى الهاوية الزاحفة إليه بلا أي مهرب أو خيار آخر؟

... هذا الكائن المحاصر أبداً بين النقيضين: يحزن ويفرح، يضحك ويبكي،

يسعد ويشقى، ويربح ويخسر، يخاف ويأمن، ينتصر وينهزم، يصعد ويهوي، يعز
ويهون، يأكل ويجوع، يجد ويفقد، يمرض ويصح، يشب ويشيخ، محاطاً من كل
جهازته ونظراته وتحركاته بكل أسباب الموت والتحطيم والضياع وبكل الاحتمالات
الأخرى الرهيبة .

- نعم هذا الكائن الذي هو كذلك مع توقعه الدائم لشَر النقيضين وتحديقه الدائم

فيه ومحاصرته الدائمة به أي بشر النقيضين إلى أن يفقد وجوده الفقد المحتوم، هل يصح
أن يحسب مثاباً أو معطى أو مكرماً أو محظوظاً أو رابحاً أو ممنوناً عليه؟ أليس هذا
الكائن حتماً مقهوراً مهاناً معذباً مورطاً خاسراً معتدى مجنياً عليه؟ أليس من حكم عليه
بذلك أو وضعه هذا الوضع إن كان أحد قد فعل به ذلك سفيهاً باغياً يستحق كل
العقوبات التي وجدت وعرفت والتي قد توجد وتعرف بل والتي لن توجد أو تعرف؟

فكيف إذا افترضنا فوق هذا الكائن البائس إلهاً كله شراسة وشراسة وقسوة وقوة

وغيره وأنانية وكبرياء واستعلاء وبداعة وجاهلية، يحدق دائماً فيه بكل الوقاحة بلا أي قدر من الحياء أو الوقار، يحدق في كل ثيابه وجلده، يندس داخل جلده وثيابه ليحدق في كل أعضائه المستترة المحرمة، في كل عوراته ونباته وشهواته وهمساته ونبضاته وأناته بلا أية نبضة من نبضات الحياء أو الوقار أو الاحترام للنفس . محاصراً له بكل حراساته ومخابراته وجواسيسه وزبانيته ليتجسسوا ويحصوا ويبلغوا ويحرضوا ويفضحوا ويرهبوا ويعاقبوا وليقرأوا بمحاسبة ومحاكمة حتى نظرات العيون العمياء، حتى خفقات القلوب الصامتة من الضعف أو الاستحياء، حتى إشارات وإيماءات وتحركات الأعضاء المتوقفة أو المرتجفة من المرضى أو الشيخوخة أو الإعياء أو العجز أو الموت؟

فكيف إذا افترضنا هذا الكائن المسحوق لا يستطيع أن يستتر أو يتنكر أو يهرب في أية لحظة من لحظاته بأي شيء من عوراته أو حرمانه أو نباته أو أسرارته أو حياته ليأمن وينجو من تطلعات عيني هذا الإله ومن رقابة جواسيسه ومخابراته حتى ولو استتر بكل ستائر الدنيا واختفى في أحشاء كل الكهوف وهرب إلى كل آفاق الكون؟

فكيف إذا كان، أي هذا الكائن، يعلم أنه لا يستطيع أن يأوي إلى مخدعه الخاص ليستريح أو ليمارس تلك الممارسة البذيئة الشهية دون أن يبدو عارياً مفضوحاً أمام أوقح عينين وأقسى وأشمل وأنذل رقابة؟

ما أوقحك أيتها الوقاحة . . . حتى حين هذه الممارسة لا وقار، لا استحياء، لا شهامة تزجر هاتين العينين وجواسيسهم ومخابراتهما عن التطلع والتلصص، بل تفقاً هاتين العينين .!

آه هل توجد عينان تستحقان أن تفقاً مثل ما تستحق هاتان العينان العمياوان عن كل الرؤية الرحيمة أو الكريمة أو المستجيبة أو المستحيية أو المنقذة أو حتى الرانية الباكية؟ هل يمكن أن تكون هاتان العينان غير عيني الإله الذي تعيش في عينيه كل هذه العاهات والتشوهات والآلام دون أن تعميا أو حتى تطرفا؟

. . . فكّر أيها الإله . . لو أن أي مؤمن أو أتقى مؤمن رآك تحدق فيه وهو يمارس بذاته الخاصة اللذيذة الفضاحة فوق مخدعه الخاص أليس أول ما يجب عليه حينئذ أن يفقاً عينيك حتى ولو لحمايتك من الوقاحة والندالة وعار الموقف أي إن استطاع أن يفعل بك أو لك ذلك؟ كيف يقبل الإله أن تبقى له عيناه إن كان قد رأى ولو مرة واحدة هذه الممارسة اللذيذة البذيئة؟

. . . جرب أن تفكر يا إلهي الذي لم يجرب قط عذاب التفكير وخطره وبسالته

وجماله وأيضاً دمامته . إن للتفكير دمامة قد تكون أكبر وأشمل من جماله . إن دمامة التفكير ليست في التفكير ولكنها في أنه يرينا دمامة وعبث وقسوة وبلادة الأشياء حتى أجمل وأعظم وأذكى الأشياء . ولكن كيف؟ أليس التفكير دمامة؟ أليس دمامة أن تفكر لكي نعيش الدمامة والغباء والعبث والتفاهة ونتلاءم مع ذلك بل ونرضى عنه ونسعد به؟

... إن كل ضخامة وعظمة وجمال وذكاء ومنطقية في الأشياء لا تساوي إلاّ عجزنا عن التفكير وفي التفكير أو رفضنا له أو هربنا منه أو لا تساوي إلاّ رفضنا لما يقول التفكير أو عجزنا عن الاستجابة لما يقول؟

ولكن يا إلهي الذي لم يعاقب أو يفجع أو يفضح بداوته وسذاجته قط بأي تفكير هل يمكن أن تقبل نفسك أو أي شيء مما أردت وخططت وفعلت لو أنك جربت أن تفكر أي كما يفكر المفكرون لا كما يفكر العرب، لا كما يفكر الأنبياء والزعماء والقادة والمفكرون والعلماء والفقهاء العرب؟

آه . يا إلهي ليتك كنت مفكراً . مفكراً من البدء ، من يوم ولادتك .

... هل كان يحتمل حينئذ أن تجيء أو يجيء هذا الكون، أو أن تجيئنا أي أنت والكون كما جئتما؟

لقد كانت بداية مجيئك ومجيء هذا الكون أو بداية مجيئكما كما جئتما في حين لم يكن هناك أي تفكير لهذا جئتما وجئتما كما جئتما، ثم جاء التفكير متأخراً ليقول: لقد جئتما لأنني لم أكن موجوداً، لم أكن موجوداً في أي طور أو صيغة أو مستوى من أطوار أو صيغ أو مستويات وجودي .

... إن كل صيغ وتفسير وجودكما يرفضها وجودي .!

... لهذا فما أقسى وأدوم عذابي أنا التفكير لأنه قد حكم عليّ بأن أعاشكما وأواجهكما وأقرأكما وأفسركما وبألا أجد غيركما . . .

إني لو كنت البدء لما ولدتكما أو استفرغتكما أي لما وجدتما لثلاث أشقي أو أسب وأعير بكما . . .

... إني أنا التفكير لم أخطط أو ألد نفسي وإنما تولدت وتخلقت من دماماتكما وأخطائكما وعبثكما وآلامكما وتشوهاتكما وتصادمكما والتصادم بكما، ومن الاحتجاج والغضب عليكمما والانفجاع بكما والاشمئزاز منكما ومن محاولة التعامل معكما وبكما والفهم لكمما، أي أنت أيها الإله وأنت أيها الكون .

... إنكما لو كتتما جمالاً وكمالاً مطلقين لا تصنعان الغيظ أو الغضب أو الألم أو الاشتمزاز أو الحيرة أو العجز عن الفهم والاحترام لكما والتلاؤم معكما لما وجدت أنا التفكير. فأنا أي أنا التفكير لست إلا ولادة التصادم الموجه الفاجع الأليم المناقض الدائم لهذا. فإن سكان الفردوس الذي وصفه الأنبياء لن يكونوا مفكرين لأنهم سيكونون بلا ألم أو غضب أو رفض أو انفجاع أو تصادم أو تناقض أو خوف أو اهتمام. إنهم سيصبحون خلايا وغدداً وأعضاء تتغذى وتمارس فقط بلا أي معنى من معاني الإنسان. ...
... إنني أنا التفكير لأجرؤ أن أعترف معلناً أنني لم أكن ولادة الحب أو المال أو الذكاء أو التخطيط والتدبير أو السعادة أو الفرح أو الرضا أو القوة أو الرؤية أو الخير أو إرادة الخير والحق. ... بل لقد كنت ولا زلت ولادة النقيض الحاد الشامل لكل ذلك أي ولادة التصادم بهذا النقيض.

... هذا النقيض الذي رأيته وقرأته وفسرته ووجدته وواجهته وقاسيته فيكما أنت أيها الإله وأنت أيها الكون. إن كل ما فيكما نقيض حاد شامل وقح لكل جمال وحب وخير وذكاء ومنطق وكرامة وشهامة بل وضخامة مهما كانت البدانة.

... لقد كنت ولادة أليمة في ظروف أليمة لأسباب أليمة، بتفاسير أليمة، في مكان أليم، من أبوة وأمومة أليمتين لمواجهة ومعاشة ما يصنع كل الآلام وأقسى الآلام بكل التفاسير والرؤى والحسابات. إنني لم أكن ولادة لقحها الحب والاتفاق والتقارب بل ولادة لقحها التباعد والاختلاف والرفض والمقاومة. ...

إنه لو وجد إنسان أو أي كائن لم يقاس ولا يقاسي أي ألم أو غيظ أو غضب أو حزن أو تناقض أو اشتمزاز أو احتجاج أو خوف أو انفجاع أو استنكار أو حرمان أو مجاعة بكل تفاسير المجاعات والجوع لما أمكن أن يصبح مفكراً مهما كانت طاقاته واحتمالاته الذاتية إلا بقدر ما يمكن أن يئن أو يحن أو يتأوه أو يغني أو يبكي أو يصرخ هاتفاً أو لاعناً أو منشداً أو مخاطباً النجوم أو السحاب أو الأطلال - أي ألا يقدر ما يمكن يفعل ذلك أو بعضه من لا يقاسي من الألم أو الشوق أو الحب أو الخوف أو الحرمان أو الضياع أو الهوان أو الهزيمة أو التذكر - أو إلا بقدر ما يمكن أن ترعد أو تبرق أو تمطر السماء بلا سحاب متزاحم متصادم متناقض محكوم بظروف ومجالات متزاحمة متصادمة متناقضة متعادية، وبآلهة متعادين متنافسين متناقضين متلاعنين متقاتلين مختلفين بلا أية قضية أو هدف أو خطة أو منطق أو تفاهم أو هدنة أو صلح، وبلا أي قدر من الوقار أو الحياء أو الذكاء أو التقوى أو الشهامة أو الفروسية بأي تفسير أو أسلوب من تفاسيرها وأساليبها.!

حتى الإله - هكذا تقول وتدل الأساطير - لو لم يكن يقاسي آلام الوحدة والفراغ والضيق والعبث، ومن آلام الجوع والشوق إلى أن يكون معبوداً ممدوحاً مهتوفاً به وله مرجواً مدعواً دون أن يستجيب أو يستطيع الاستجابة بل ومن آلام الجوع واللهفة إلى أن يرى ويسمع كل الدمامات والتشوهات والأثبات والصرخات والتأوهات وكل القبائح والفضائح والآلام تملأ كل نظراته واستماعاته وأوقاته ومجاعاته - ويقاسي أيضاً من التناقض والتصادم والتنافس المتحارب المتعادي داخل ذاته وبين صفاته بكل القسوة والوقاحة والجهالة .

- نعم، حتى الإله لو لم يكن يقاسي من كل هذه الآلام هل يمكن حينئذ أن يخلق هذا الكون أو هذا الإنسان . . . أن يخلق شيئاً أو يطالب بشيء أو أن يفكر في أن يخلق شيئاً أو يطالب بشيء؟ إن الإله لو كان متكامل الذات متكامل التوافق والتلاؤم معها مستغنياً بها وبالتعامل معها لما خلق شيئاً أو فكر أن يخلق شيئاً .

. . . إن كل فعل وتفكير لن يكونا إلا محاولة للخروج من الألم، الألم بمعناه الواسع الشامل، أو احتجاجاً على الألم أو رفضاً له أو إعلاناً لهذا الرفض وعنه أي ولو الألم الذاتي . والجوع إلى الشيء أو الاحتياج إليه هو أقسى وأشمل أنواع الألم . .

لقد كان ألم الإنسان المتوقع أكبر من ألمه الواقع .

. . هل رأيت أو قرأت هذا في نفسك أو كتبه عنها وتسجيلاً عليها يا إلهي الذي قد مجد نفسه وسوف يظل يمجدها لأنه أبداً يختار أنبياءه ممن لا يقرأون أو يكتبون أو يرون أو يبصرون مهما رأوا أو نظروا أو قرأوا !

. . . يا إلهي الذي يعادي القراءة والكتابة والرؤية بمعانيها الإنسانية الحضارية النقدية بقدر ما تعاديها الزعامات والقيادات والنبوات العربية . . . بقدر ما تعادي النبوات والقيادات والزعامات العربية الذكاء والصدق والتهذيب والوقار والشجاعة الأخلاقية والفكرية والنفسية وحتى التعبيرية؟

ولكن كيف هل يمكن معادة ما ليس موجوداً أو معروفاً؟

أليس السلطان العربي بكل صيغه وأسمائه وألقابه حينما يعادي هذه القيم إنما يعادي شيئاً ليس موجوداً أو معروفاً أي في مجتمعه أو حتى في خياله أو تخوفه؟

وهل يمكن أن يكون ذلك موجوداً أو معروفاً أي في العالم العربي؟

نعم، هل وجدت هذه القيم في العالم العربي لكي تعاديها النبوات والزعامات والقيادات العربية؟

وهل يمكن أن يعادي الكائن ما لا يمكن أن يكون خطراً عليه أو تهديداً أي ما لا وجود له وما لن يكون له وجود في أي حساب أو توقع؟

هل يمكن معاداة عدو أو الخوف من عدو لا وجود له حتى ولا في التصور؟ هل يكون واقعاً في المجتمعات العربية ما لا يكون ممكناً في غيرها أي مما ليس عظيماً أو جميلاً أو نبيلاً أو كريماً؟ هل كل عبقرية العربي أن يفعل المستحيل الرديء؟

... إن معاداة الزعامات والقيادات والنبوات العربية للصدق أو للذكاء أو للتفكير الحر الشجاع وللبسالة الأخلاقية أو النفسية أو التعبيرية وخوفها من ذلك أي في مجتمعاتها العربية تساوي معاداة عدو لا وجود له والخوف منه أي من هذا العدو الذي لا وجود له. إنها معاداة عدو لا وجود له والخوف منه أي من هذا العدو الذي لا وجود له. إنها معاداة لما ليس ممكناً وجوده.

... إن المجتمعات العربية محروسة من هذه القيم الخطيرة المخيفة بكل أصالتها وبكل تفاسيرها التاريخية والعرقية بل والدينية والأخلاقية والنفسية.

.. إذن هل الإنسان العربي خارق في كل تفاسيره لهذا يعادي ويخاف ما لا وجود له وما لن يكون له أي وجود في المجتمعات العربية أي يخاف سلاطينه من وجود الأحرار الشجعان الأذكياء الصادقين الرائيين المحاسبين المقاومين الراضين بعقولهم وأخلاقهم وبقضاياهم الفكرية والإنسانية والحضارية وانتصاراً لها ودفاعاً عنها؟

لقد خاف الإنسان العربي الشيطان وعاداه أي بلسانه لأنه تصوره موجوداً فهل يمكن أن يتصور السلطان العربي أن أصحاب المواقف الحرة الشجاعة الصادقة المناضلة موجودون أو قد يوجدون لكي يخافهم ويعاديهم؟

فهل يؤمل أن تخرج الطبيعة على قوانينها وأخلاقها التي لم تخرج عليها أو عنها ولن تخرج فتأذن بأن يوجد في المستقبل العربي هؤلاء الذين لم يوجدوا ولم يوجد أحد منهم في الماضي أو الحاضر العربي إلا أن يكون ذلك أي وجودهم إشاعة أو غلطة أو تمنياً أو شكوى من الفقد جاءت بأسلوب آخر... بأسلوب أنهم قد وجدوا وملأوا كل مقابر التاريخ حتى لم يبق فيها أي مكان لغيرهم؟

... وهل كانت أكثر الأمجاد العربية وأحياناً غير العربية إلا فنوناً غير فنية أو ذكية من الإشاعات والروايات والتمنيات والتحسر العاجز الأليم الذي لا يجد ما يجب ويحب أن يجد فيذهب يحتلم ويتصور ويغلط وأيضاً يكذب ويدعي تعويضاً أو مجاملة أو حياء أو رثاء أو غباء أو خداعاً أو تجملاً وتزنيماً أو بيعاً لمن يشترون أو نفاقاً لمن يبطشون، ثم

يذهب يتحدث ويحدث ويروي ويكتب ويخطب ويباهي، ناسياً بكل الحسم والتصميم أصل القصة والرواية؟

هل كان يمكن أن يكون للتاريخ العربي أي وجود مقروء أو مسموع أو مكتوب أو مرئي أو مدروس أو مرجوع إليه لولا سلطان الرواية والإشاعة والحكاية والقصيدة؟

ويجب ألا ننسى سلطان السورة والآية. آه. السورة والآية. كم أخذنا منا؟

ما أعظم ما أخذنا منا ولا يزالان يأخذان. ولكن ماذا أعطيا؟ هل أعطيا شيئاً غير تلاوتهما بإنشاد وصراخ، وغير الكذب والخداع والاحتتيال باسمهما. ولنحذر في سدنتهما لنعرف أنهما لم يعطيا إلا الدجل والغباء مسوغاً بهما...

... ثم ماذا من أنواع الثواب أو الثمن الذي وعدتني به في هذه الحياة الأولى جزاء عبوديتي لك يا إلهي؟

أنت تقول كما يحكي دراويشك الأنبياء: إنك سوف تهبني النجاح والقوة والسعادة والفرح والصحة والغنى والذكاء والعقل والتوفيق في كل المجالات والاتجاهات وكذلك كل أنواع الانتصارات على كل الأعداء والخصوم والأشرار والمخاوف والأخطار والهموم والضيايق والحيرة...!

ولكن ليكون محتملاً تصديق هذا الوعد بهذا الثواب أو الثمن يجب ألا نقرأ أو نعرف ما كان قد حدث في كل التاريخ وألا نحذر في ما هو حادث الآن! إن كل ما حدث وكل ما هو حادث مرئي لا يمكن تفسيره إلا بنقيض هذه الوعود...!

لقد كان المؤمنون بك الملتزمون بإيمانهم جداً لو وجدوا يقاسون في كل الماضي والحاضر نقيض هذه الوعود بهذه الأنواع الشهية من أنواع الثواب أو الثمن.

وكل المؤمنين الذين انتصروا أو نجحوا أو تفوقوا في أي شيء في الماضي أو الحاضر كانوا من الضعفاء جداً في إيمانهم والتزامهم أو من الكاذبين في ذلك بل من الكاذبين حتماً في التزامهم وتقواهم. كان إيمانهم وتدينهم شعارات وخطباً فقط أو قوانين وتشريعاً فقط. كانوا في سلوكهم الديني والأخلاقي أفجر وأكفر من كل الكفار والفجار ولن نحتاج إلى التحديق في شيء من الماضي أو الحاضر لكي نقتنع بذلك بل لكي نرى ذلك أي لكي نراه بلا تحديق أو رؤية...

... إن هؤلاء المؤمنين بك الذين ظفروا بانتصار أو نجاح أو تفوق ما لو كانوا
مؤمنين بك ملتزمين بإيمانهم وتقواهم التي تطالبهم بها لما نالوا شيئاً من انتصارهم أو
نجاحهم أو تفوقهم .

... حتى المؤمنون بك والمتعبدون لك على مستويات متفاوتة أو متضادة، أو
صادقين وكاذبين لا بد أن يكون المنتصر المتفوق فيهم هو الأضعف أو الأكذب إيماناً
وتديناً أي إذا تحاربوا أو تعادوا أو تنافسوا . . .

إن كل التاريخ وكل الحاضر ليعلن ويؤكد ذلك بقسوة يجب أن تصنع لك الخجل
والانفجاع والعار ونطالك بأن تقرأ التاريخ الإسلامي يا إلهي الذي لا يقرأ حتى ولو
قرئ . . .

نعم، هل قرأت أو رأيت يا إلهي الأبدى الأمية، الأبدى العجز عن الرؤية .
- هل رأيت أو قرأت ماذا حدث حينما تحارب وتعادي وتنافس وتبارز المؤمنون
بك العابدون المتعبدون لك جدهم وأعدائهم وخصومهم الخارجون عليك الرافضون
لك . أوهم من هم أضعف منهم إيماناً وتديناً في صدر الإسلام وحتى اليوم؟

هل رأيت أو قرأت أو عرفت أو سمعت ما الذي حدث حينما تقاتل وتخاصم
هؤلاء وهؤلاء لكي تعرف أن الإيمان بك والعبودية لك يصنعان الضعف والهوان
والهزائم ولا يصنعان الأشياء الأخرى الجيدة المزعومة الموعود بها بل ولا يأذنان
لصاحبهما بأن يصنع إلا الضعف والهوان والهزائم أي إن كان أو لو كان صادقاً وحراراً
وقوياً ومنقذاً في التزامه بهما؟

إن الإيمان والعبادة أو العبودية ليسا هما اللذين يصنعان الضعف أو الهوان أو
الهزائم ولكن الذي يصنع ذلك هو الالتزام الجاد الصارم بهما أي لو وجد هذا الالتزام .

كذلك فإن فقدان الإيمان والتعبد أو العبودية لا يصنع أي شيء جيد أو عظيم أو
قوي أو جميل، ولكن الذي يصنع ذلك إذا صنع هو الطاقات والمواهب والظروف
الجيدة الملائمة . إن الشرير أو الظالم إذا انتصر فليس لأنه شرير أو ظالم ولكن لأنه
يملك أسباب الانتصار، وإذا انهزم فليس لأنه شرير أو ظالم ولكن لأنه مملوك محكوم
بأسباب الهزيمة، وهو أي الشرير أو الظالم يملك أحياناً هذه الأسباب وأحياناً يملك
الأسباب الأخرى .

... إن أسباب القوة والضعف والانتصار والانهزام ليست أسباباً دينية أو أخلاقية
بل ذاتية .

... وجميع التفسير والتحليلات لا بد أن تؤكد هذا الحكم أو الرأي في المؤمن الملتزم بإيمانه بصدق وشجاعة وإخلاص وتنفيذ أي لو وجد مثل هذا المؤمن ...

ذلك أن الإنسان طاقات مطلقة: رؤية وتفكير وحب وشوق وأمل وطموح وتطلع وغير ذلك وهو كثير... وهي طاقات تتوزع وتستهلك وتستنفذ وتتنقل بين أشتات المجالات وتشغل وتلهي بهذا عن هذا وبهذا عن هذا...

فإذا وجد إنسان مشحونة جميع طاقاته بالإله الذي يتصوره ويؤمن به... مشحون فكره وقلبه وضميره وشوقه وطموحه ورؤاه وتطلعاته وآماله ومخاوفه وكل حواسه وأحاسيسه فكيف يستطيع أو يقبل ألا يرى أو يسمع أي شيء غيره أو يكفر في غيره أو يهتم أو يشغل بغيره أو يريد أو يعشق أو يحب أو يرجو غيره بل أو يجد غيره هذا الإله الذي آمن به بكل تصورات المؤمن به؟

... عينان تحدقان في ذات الإله الموصوف للمؤمن به كيف تستطيعان أو تريدان أن تريا غيره، وعقل يفكر في هذا الإله كيف يستطيع أو يقبل أو يفكر في غيره، وقلب يخفق بحب هذا الإله وبالشوق إليه كيف يستطيع أو يقبل أن يخفق بحب غيره أو بالشوق إلى غيره، وما لك واجد لهذا الإله كيف يفكر أو يقبل أن يملك أو أن يجد غيره، ومفلس يرى كل الأموال والعملات في بنوك هذا الإله كيف لا يظل أبداً يحدث في بنوكه، وجائع يرى كل الحقول تزرع في كف هذا الإله وكل حيوانات اللحوم تولد وترعى في كفه ومن كفه كيف يحاول أن يطلب الغذاء من غير كفه، وظمآن يرى كل الأنهار والسحاب والينابيع إنما تتفجر وتتقاطر من أصغر أكواب هذا الإله كيف لا يظل أبداً يستسقي صاحب هذه الأكواب؟

عينان تسكنهما الشمس وتحدقان في الشمس كيف لا تحترقان وكيف تستطيعان أن تريا غيرها؟

نعم، العيون والعقول والقلوب والضمائر والأشواق والأمانى والاحتياجات والمجاعات التي تمتلئ بهذا الإله ويسكن ويعيش فيها بكل ضخامته ووحشيته وقوته وجبروته وبكل جماله وإشراقه وغناه ومهابته وكبريائه وبكل أوصافه وأخلاقه المتخاصمة المتضادة المتنافسة - كيف لا تحترق أو كيف ترى غيره أو تفكر في غيره أو تبحث عن غيره بل أو أن تجد أو حتى تصور غيره؟

إذن فالمؤمن بهذا الإله العابد له بالالتزام المطلوب كيف يمكن أن يبقى فيه شيء، أي شيء قادر على أن يفعل ويناضل وينجح ويتفوق وينتصر ويصنع الأعمال العظيمة

القوية الذكية؟ بل كيف لا يحترق ويدبل ويهزل ويعمى عن أية رؤية؟

بل كيف لا تتجمع فيه كل الأمراض وأقسى الأمراض العقلية والنفسية والعصبية والأخلاقية والجسدية؟ آه... والأمراض القلبية! القلبية!. قلب يسكن ويعيش فيه كل الأوقات مثل هذا الإله كيف يمكن أن يظل قلباً؟ كيف لا يصبح حريقاً، حريقاً؟

نعم، قلب يخفق أبداً بحب هذا الإله وبالشوق والحنين إليه وبالتعبد والاحترام له وبالخوف منه وبالاتظار له وبالتوقع منه - قلب يقاسي كل هذا وأكثر وأقسى من كل هذا كيف لا يصبح وطناً لكل الأمراض وأفجع الأمراض؟

وصاحب مثل هذا القلب كيف لا يصاب بكل الكآبات والتوترات والهواجس والوساوس المدمرة المشقية؟ كيف يمكن أن يعيش أي قدر من السعادة أو الفرح أو الحب أو الغناء النفسي أو الفكري أو الأخلاقي؟ آه. هل يوجد سارق لا وجود له مثلك أو غيرك يا إلهي، يا أعظم سارق ولكن بأيدي المسروقين لا بيدك.

ولكن لقد كانت الطبيعة وقوانينها دائماً أقوى من عقائد الإنسان. كانت هازمة مذلة أبداً لعقائده، لهذا كان دائماً عاجزاً عن الالتزام بها أي بعقائده بل كان دائماً عاجزاً عن تصديقها وعن الاحترام لها أي من حيث السلوك والتطبيق مهما كانت الادعاءات والدعايات والتشريعات، مهما تليت وحفظت وفُسرَت السور والآيات والأسفار والإصحاحات...

لهذا، أي لكون الطبيعة هازمة أبداً لعقائد الإنسان، استطاع، أي الإنسان، أن يحيا ويعمل ويتدع ويتنصر ويسعد ويفرح ويحب العمل والحياة، طارداً لهذا الإله بلا رثاء أو أسف أو اعتذار أو رهبة أو رحمة من كل تحليقات وتحديات ومجالات فكره وقلبه وضميره وعينه وطموحه وأهوائه وأشواقه ومجاعاته واحتياجاته ومن كل وظائف جسده العضوية والمعنوية، مكتفياً بمضغه بلسانه بلا لذة أو مذاق أو ابتلاع أو حتى شهية، ملقياً به، أي بهذا الإله، في المعبد وفوق المنبر وفي سطور الكتاب وعلى صفحاته، دون أن يأذن له بأن يكون معه في أي شيء من معاملاته أو علاقاته بالحياة أو بنفسه أو بالآخرين أو بأي شيء آخر...

... إذن فإن أعظم مزاياك بل كل مزاياك إنك مهما وجدت فإنك غير موجود ولن تكون موجوداً يا إلهي الذي كل عطايك للحياة وللإنسان وكل تفضلتك ونعمائك عليهما أنك موضوع بلا مهابة أو تكريم أو اهتمام في المعبد وفوق المنبر وفوق سطور وصفحات الكتاب دون أن تستطيع التخطي لذلك ولو بالطموح أو الأمل، دون أن تكون

حرّاً في أن تذهب إلى أي مكان آخر أو أن تعيش فيه أي في أي مكان آخر حتى ولا ضيفاً أو لاجئاً أو هارباً. !

لهذا بقي الكون والحياة والإنسان والحشرات أي لكونك غير موجود إلا في المعبد وفوق المنبر وعلى صفحات الكتاب وإلا لكان محتوماً أن يزول كل شيء تحت نزوة أو غضبة أو ضربة أو لعبة أو سعلة أو أنه أو آهة أو صرخة تطلقها أو تنطلق منك أو تتلهى أو تتعالج أو تعاقب بها أو لتتسلى بما يحدث ولتراه ولتجرب نفسك وعضلاتك أو لتسعد ببقائك وحدك، أو لتنقذ عينيك وأذنك وقلبك وضميرك وأخلاقك من قبح ودمامة ما ترى وتسمع وتواجه وتفعل وتعيش. .

. . . ولكان محتوماً أيضاً أن يموت أو يحترق كل شيء خوفاً منك أو شوقاً إليك أو إكباراً لك أو عجزاً عن احتوائك ومواجهتك أو استحياء من التطلع إليك أو من تطلعك أنت إليه أو فراراً من تحديقك الوقح الشامت الشاتم في عوراته وعاهاته وآلامه دون أن تحزن أو تبكي أو ترثي أو حتى تستحي. . إن أعظم مزاياك يا إلهي إنك مرفوض، مرفوض جداً أي في التعامل والنيات مهما كان مجدك في التعاليم وفوق المنابر والمحاريب. !

. . . إله لا يستحي أو يبكي أو يرثي أو يحزن. ! . هل يمكن تصوّر قباحة أو وقاحة تساوي أو تشبه وقاحة وقباحة طلعت، تساوي أو تشبه وقاحة أو قباحة جبهته أو عينيه أو ابتسامته لنفسه أو تحديقه في مرآته أو قراءته أو روايته لتاريخه أو حديثه أو تاريخه إعجاباً أو تذكراً أو تذكيراً أو دراسة أو تدريساً؟

إن كل مياه الأنهار والبحار والسحاب لو تحولت إلى دموع لكانت أقل من الدموع التي يجب أن تذرفها عيون خالق هذا الكون لو كان يقاسي شيئاً من الشهامة أو الحب أو الرحمة أو الخجل أو الرثاء أو من المحاسبة أو المعاتبة للذات، أو لو كانت تفجعه أو توجعه أو تؤنبه الدمامات أو الآلام أو الأخطاء أو الآثام التي يخطئها ويقترفها أو حتى يراها ويواجهها ويعايشها ويفهمها. . ! . وهل يفهمها؟ هل الآلهة تفهم؟

إن المؤمنين يحقرون الآلهة ولا بمجدونها حينما زعموها تفهم. إن كل ذكائها في ألا تفهم.

هل يقبل أي إله أن يكون إلهاً لو كان يفهم؟ وهل توجد بلادة تنافس بلادات الآلهة؟ أليست كل بلادات الكون بعض بلادات الآلهة؟ هل يمكن أن يكون الكون بليداً لو كانت الآلهة ذكية؟ من صنع بلادتك أيها الكون؟ هل هي الآلهة؟ إذن من صنع بلادة الآلهة؟

هل من جواب؟ ومن ينتظر الجواب؟ وواهب الجواب هل من جواب عنه؟
... إن الذين يرون الكون صياغة جمالية أو فنية أو أخلاقية أو منطقية فلن تكون
عيونهم وعقولهم وأخلاقهم ونماذجهم إلا صياغة وصيغة إله، إلا تعبيراً عن رؤى الإله
للجمال والذكاء والمنطق والأخلاق وعما فيه أي في الإله من ذلك، ولن يكون فيه من
ذلك إلا ما في الكون منه...

إذن من يستطيع أن يرى الكون برؤى إنسانية لا برؤى إلهية، لا برؤى من يرى كل
جماله وذكائه ومنطقه وأخلاقه وفروسيته وعبقريته في أن تلد يداه الصرصار والبرغوث
والجرثومة والوباء والعاهة والشيخوخة والموت وكل الآلام والتشوهات، لا برؤى من
لن يعجب أو يسعد أو يفرح بذاته إلا بأن يرى يديه تلدان ذلك، لا برؤى من يرى الكون
مشوهاً وناقصاً ورميماً وغير فني ما لم ير فيه كل ذلك، لا برؤى من يرى أنه لن يكون
حكيماً أو رحيماً أو فناناً إلا بأن يصيب الوجه الجميل البريء الساجد له على التراب حباً
وتضرعاً بأوقع وأقبح التشويه والتعذيب، لا برؤى من يرى هذا الكون بكل مستشفياته
وملاجه وقبوره وسجونته وأماكن استفراغ فضلات طعامه وشرابه في عيون شموسه
وأقماره قمة الجمال والعبقرية والرحمة والحب والخيال الفنان؟

لماذا لم يوجد هذا الرائي برؤى إنسانية؟ هل يمكن أن يوجد؟ إذن لماذا لم يوجد؟
من يستطيع أو يجزؤ أن يرى هذا الكون لكي يرى الإله برؤيته له؟
هل رأى الكون أحداً؟ هل رآه؟ إنهم جميعاً يعيشونه ويعيشون فيه ولكن هل رأوه أو
رآه منهم أحد؟ هل رأوه إلا كما رآه البرغوث والذباب؟
إن أي نبي أو قديس لم ير أي شيء إلا كما رآته القملة أو النملة!
هل هابوا برؤيته أو رفضوها لأنهم يهابون ويرفضون رؤية الإله؟
هل تطاق رؤية الإله؟ هل تطاق رؤيتك يا إلهي؟ إذن لماذا لم ترقط؟ أحياء أم بخلاً
أم كبراً؟

.. معايشة الشيء تمنع رؤيته أي تحمي منها وتنتهي عنها؟
هل الجوع إلى الخبز يحمي من رؤية الرغبة؟ أليس الجوع إلى الجنس وممارسته
قد حمى من رؤيته ومن رؤية أعضائه؟
رهيب فظيع رؤية الجنس ورؤية أعضائه ورؤية ممارسته وممارستها!
لهذا لم يوجد من يستطيع أو يريد رؤية ذلك مهما حذق فيه بكل وقاحة شهوته!

إنهم بقدر ما يحدقون في الجنس وفي أعضائه وممارساته يعجزون عن الرؤية .

.. إن الكائن لا يستطيع ولا يريد أن يرى ما يعيش ويعامل كما لا يستطيع أو يريد أن يرى نفسه، لهذا لم يستطع أو يرد الإنسان أن يرى الكون أو الإله، ولم يستطع الإله أو يرد أن يرى الكون أو الإنسان أو أي شيء... .

لهذا لم تحدث أية رؤية في هذا الكون ولا في من يتعامل معه من آلهة وكائنات مقدسة. إن شيئاً ما لم ير شيئاً. لهذا أمكنت الممارسة والرضا والتقبل بل والإعجاب حتى بالجنس وأعضائه وممارسته بكل أساليبها دون أن تعمى العيون الرائية أو تموت الأعضاء المرئية... .

لو أن أي كائن من خارج هذا الكون وخارج آلهته لا يعيشه أو يتعامل معه رآه بكل آلهته وإنسانه وبكل وحداته وممارساته وعلاقاته فماذا يمكن أن تكون فجيعته واشمئزازه واستقبحه؟

هل يمكن أن يقبل حينئذ هذا الكائن أن تبقى له عينان إن كان محتوماً أن يظل يرى ما يرى؟ وأنا هنا أفترض أن العيون حتى عيني هذا الكائن تعني الرؤية .

.. إن كل رؤية في هذا الكون ولهذا الكون هي رؤية تجميل وتبرير وتسويق وليست رؤية رؤية، ليست رؤية نقد أو محاكمة أو محاسبة أو حتى مساءلة. وأبعد من كل ذلك أن تكون رؤية اشتراط... .

إن كل رؤية في هذا الكون هي ضد الرؤية ومنع للرؤية وليست فقداً للرؤية فقط. إنك حينما تحقق في المرأة إنما تريد أن تفقأ كل عيون الرؤية فيك .

... إن جميع من يرون إنما يرون ليتلاءموا ويتعاملوا، وليسخروا ويشمتوا، أو ليتسلوا ويتلهوا ويفرحوا، أو ليخدعوا أو يقتلوا أو يشغلوا عيونهم، ولكنهم لا يرون ليروا... . إنه لا هرب من الرؤية أو فقد للرؤية مثل هرب وفقد من يقتلون ويعذبون عيونهم رؤية وتحديقاً .

... حتى الإله فإنه حينما يرى أو لو رأى لا يرى ليرى وإنما يرى أي لو رأى ليسعد ويفرح ويتلذذ برؤية الآلام والتشوهات والنقائص التي أوقعها بالإنسان وبالكائنات الأخرى، وبرؤية الآثام والأخطاء والخطايا التي أرادها وخططها وعشقها ففعلها أي في ما يبدو من أرسل إليهم الأنبياء والكتب المنزل لنهايهم عنها ومنعهم من الاقتراب منها أي من الآثام والأخطاء والخطايا وإلا فالنار، النار، وإلا فالأهوال، الأهوال، وأيضاً يرى أي الإله إن رأى ليتعزى ويتلهى ويتغافل عن وحدته وعزلته وعن فراغه الممل القاتل

الرهيب العقيم. آه. ما أقبح وأوقح وأقسى التفسير لرؤية الإله، للإله رائيًا. لماذا يرى؟ إنه لا يرى ليساعد أو ينقذ أو يغير أو يعالج، إذن لماذا يرى؟

إنه مهما رأى لا يفعل شيئاً مما لا بد أن يفعله من يرى. نعم، إنه لو كان يرى لكان مستحيلاً أن يظل شيء مما نراه كما نرى، أن يظل شيء مما هو كائن كما هو كائن. إنه لو كانت كل العيون للرؤية لكانت عينا الإله وحدهما هما اللتين ليستا لذلك. الإله يرى كل هذا.!. هل يوجد هجاء وسباب له مثل هذا؟

... ولكن ما هي الرؤية التي لا يستطيعها أي كائن حتى ولا الإله؟

إنه مهما كان مستحيلاً تحديدها أو تفسيرها أو كان صعباً فلا ينبغي أن يوجد أي خلاف في أنه لا يوجد في هذا الكون من يرى.

إن أي شيء في هذا الكون لم يوجد ولم يبق إلا بفقدان الرؤية.

إنه لبدهي وسهل وحتم أن يقال إن الحيوانات ترى وكذا الأطفال والبله. ولكن كم هو مستحيل أن تكون هذه أو هؤلاء يرون أو ترى إلا بقدر ما يرى الإله والأنبياء وسكان السماء أي إلا بقدر ما يرون قبح ما يرون.

أي إلا بقدر ما يرون معنى ومنطق ما يرون.!

.. إن الرؤية ليست عيوناً أو نظارات صناعية إنها أصعب وأكبر جداً من ذلك. ولهذا فقد يكون أقوى البشر وأقوى المبصرين عيوناً هم أضعفهم وأقلهم رؤية. إن البشر وغيرهم من الكائنات المبصرة لو علموا أن العيون للرؤية لرفضوا أن تكون لهم عيون.!

أليس الإله الذي يضع كل الأكوان في عينيه دون أن تمتلئ أو تطرفا لاتساعهما هو أعجز وأبعد من كل ذوي العيون عن الرؤية؟ إن البشر مهما تعلموا وعلموا فإنهم لا يتعلمون أو يعلمون الرؤية بل إنهم ليعلمون ويتعلمون ضدها أي لتكون ضدها.!

أنت يا إلهي لست متناقضاً فقط بل إنه لا مثيل أو شبيه لفوضوية وافتضاح تناقضك. إن كل ما في هذا الكون من فوضوية وافتضاح التناقض ليس شيئاً من فوضوية وافتضاح تناقضك... .

إن فوضوية تناقضك في تخطيطك وإخراجك لهذا الكون متلائمة أو متساوية مع فوضوية التناقض في ذاتك ونفسك وأخلاقك ومنطقك. إنه لا شيء يفسر أو يصور قبح فوضوية التناقض مثلما يفسر ويصور هذا الكون قبح فوضوية تناقضك يا إلهي!

... وبقدر ما أنت فوضوي التناقض في أفعالك وأخلاقك أنت فوضوي التناقض في أقوالك، في وعيدك ووعدك.!

... أنت تقول إنك سوف تثيب على العبودية لك بأن تهيب النصر والقوة والنجاح والصحة والغنى والفرح والسعادة وكل تلك الأماني الجميلة ثمناً لعبادتك وللإيمان بك وجزاء لمن صدقوا وتعبدوا.!

ولكنك تقول أيضاً ما يناقض هذا مناقضة ليس فيها أي قدر من الوقار أو الاستتار أو الذكاء أو الفطنة أو المهارة الدعائية... إنك في أساليبك الدعائية متفوق في ضعفك حتى على الزعامات والقيادات العربية في ضعف أساليبها الدعائية!

... إنك تقول - وكأنك لا تقول غير هذا - تقول بفرح عظيم إنك سوف تخصص عبادك المؤمنين الصالحين بكل أنواع الابتلاء والبلاء... بكل الأمراض والتشوهات والهزائم وبكل الفقر والضعف والهوان والتشريد والضياع والمطاردة... بكل الألم. أنت تقول - وكأنك لا تقول إلا هذا - تقول إنك لا بد أن توقع كل هذا بأحبائك وأوليائك جداً وأن تسدد كل رصاصاتك وسهامك وكل أظفارك وأنيابك ومجاعات أخلاقك وحياتك أن تسدها إلى عيونهم وقلوبهم وأجسادهم لكي تدربهم وتروضهم على الصبر، ولكي ترى هل يصبرون ويزدادون إيماناً وصبراً وشكراً لك أم لا يفعلون أم يفعلون النقيض، ولكي تسعد وتفرح برؤيتك لصبرهم وبرؤيتك لعذابهم، ولكي تجزيهم على ذلك لأن من أخلاقك وذكائك أن تعذب لكي تجزي، لكي تجزي من تعذيبي في الحياة الثانية التي وعدتنا بها وحدثنا عنها في الفناجين والحروف والأكف والتعاويد وهمهمات قارئها ومفسريها، وأيضاً لكي يزدادوا بك ولك إيماناً ومعرفة ومحبة وشكراً وإعجاباً لأنك الكائن الذي يجب أن يحب ويعرف ويشكر ويعبد ويقنع بشهامته ورحمته وعدله ونبله وجماله بقدر ما يضرب ويحطم ويؤذي ويقسو ويقبح ويرذل ويعتدي ويفعل ما لا يعقل أو يفعل. وأيضاً لكي تتفجر نشوة وطرباً حين تسمعهم يتضرعون إليك بكل الاحتراق طالبين منك الإنقاذ مما أصبتهم به دون أن تسمع أو دون أن تستجيب مهما سمعت!... أما أعدائك الأشرار الخارجون عليك فإنك كما تقول تملي لهم وتخدعهم وتمكر بهم وتقاتلهم وتعاقبهم وتنتقم منهم وتنتصر عليهم بأن تهيبهم كل شيء طيب وجيد وقوي وجميل ومريح ومفرح ومتفوق في هذه الحياة لكي يظلوا سكرى وغرقى في غيهم وفسادهم وعصيانهم بل لكي يزدادوا من ذلك. إنك تمدهم في طغيانهم.!

... إنك أيها الإله الكائن الوحيد الذي يثاب على قسوته وعدوانه وإيذائه وإذلاله

وتعذيبه وتحطيمه بالمزيد من الشكر والحب والتعبد له ومن الإيمان والإعجاب به،
بذكائه وشهامته ورحمته ووجهه وجماله . !

... إنك الكائن الذي تراه العيون أجمل وأتقى وأروع كلما أضعفها أو شوهاها أو
فقاها أو بصق أو استفرغ عليها وفيها . !!

... إنك الكائن الذي يتعري لكي يقال ما أعظم حيائه، ويفخر لكي يقال ما
أعظم تقواه، ويعتدي ويظلم لكي يقال ما أعظم عدله، ويقسو لكي يُقال ما أعظم رحمته
ومحبته . ! . أليس كذلك يا إلهي الذي لم يهجه أو يسبه شيء مثلما هجاه وسبه إيمان
الإنسان به وتعبدته وشكره له وثناؤه عليه مهما فعل به وكلما فعل به .

... وهذه الألوان من العذاب والإذلال التي قلت إنك سوف تبثلي بها عبادك
المطيعين المتقين جداً هي ألوان العذاب والإذلال نفسها التي قلت إنك سوف تعاقب بها
الأشرار والعصاة والمتمردين عليك، أي تعاقبهم بها في هذه الحياة، إذن أصبح عقابك
أي ما تعاقب به أعداءك هو ثوابك أي هو ما تثيب به أحبابك وأولياءك . !

إذن أنت هنا متناقض تناقضاً فوضوياً ساذجاً بلا شيء من الدعاء أو البراعة أو
الرؤية أو الحذر من الافتضاح . . !

... وقد تقول هنا: وهل الآلهة تفتضح مهما افتضحت . ! ؟

... وقد يقول أيضاً: وهل للآلهة أي مجد أو سرور سوى مجد وسرور
الافتضاح؟ هل للآلهة أية شهوة أو نشوة أو وظيفة غير الافتضاح؟

... وقد تقول أيضاً: وهل قبل أي إله أن يكون موجوداً أو إلهاً أو فاعلاً خالقاً
لولا شوقه واحتياجه إلى الافتضاح، إلى أن يكون مفتضحاً مفضوحاً فاضحاً؟ أليس قادراً
أن يمنع الافتضاح لو كان لا يريده؟

أليس الافتضاح أصالة وموهبة وفرحاً من الإله بقدر ما هو في كل زعامة عربية؟

كذلك قد تقول: وهل لأي إله أي تفسير غير تفسيره بأنه الفاضح المفضوح العاشق
لأن يكون الفاضح المفضوح؟! أجل، سأقول: هل كان يمكن أن يوجد أي افتضاح أو
مفتضح لولا عشق الآلهة للافتضاح؟

... وقد تحاول هنا أن تدافع وتعتذر عن نفسك فتقول: وهل قبل أي موجود أن
يكون موجوداً إلا لأنه يريد أن يكون فاضحاً مفضوحاً أو إلا لأنه فاضح مفضوح؟

... وأيضاً قد تقول: وهل الوجود بكل صيغه وأساليبه وحوافزه إلا افتضاح،
افتضاح؟

هل افتضح أو يمكن أن يفتضح أو أن يتهم بالافتضاح أو أن يخاف الافتضاح إلا
الوجود أي إلا الموجود؟

وهل يمكن أن يفسر الوجود أي وجود أو أن يكون الا أنه أو الا بأنه الافتضاح،
كل الافتضاح؟

هل يحدث افتضاح بلا وجود، أو وجود بلا افتضاح؟

أليست ضخامة الافتضاح مساوية لضخامة الوجود أي الموجود؟

أليست كل تفاسير الافتضاح تساوي فقط تفاسير كل الوجود؟

... هل يقبل أي موجود أن يكون موجوداً لو كان يرفض الافتضاح أو يخاف
الافتضاح أو لا يستمتع ويتغذى ويحيا بالافتضاح؟

هل يقبل أي موجود أن يكون موجوداً لو لم يكن الوجود يعني الافتضاح أو لو كان
الموجود ممنوعاً أو محروماً من كل أساليب ومعاني الافتضاح؟. أيها الافتضاح أنت كل
سعادة ومنطق وفرح كل موجود.!

.. لماذا يجد الإنسان في الممارسة الجنسية أعظم النشوات؟

أليس ذلك لأنها أي الممارسة الجنسية هي أفصح صيغ الافتضاح وأفضح تفاسير
الافتضاح وتعبيراته ولغاته وحركاته وشهواته؟ هل كان يمكن أن يوجد من يضع جبهته أو
من يقبل وضع جبهته على الأرض، على التراب لولا أصالة الافتضاح والرغبة في
الافتضاح في الإنسان والآلهة والطبيعة وفي كل شيء؟ كيف استطاع أو جرؤ الإله أن
يرى مجده في وضع الجباه على التراب؟

هل يمكن تصور شهوات وأشواق بليدة مثل شهوات وأشواق هذا الإله؟

... لماذا حوّل الإنسان والإله وضع الجبهة على التراب إلى عبادة بل إلى أذكى
وأبقى وأعلى أساليب العبادة؟ هل فعلاً ذلك إلا تحت إملاء شوقهما إلى الافتضاح حتى
في علاقات أحدهما بالآخر، حتى في العلاقات بين الخالق والمخلوق؟ أليست
العلاقات بين الخالق والمخلوق أو بين المعبود والعابد هي أكثر العلاقات افتضاحاً بين
أي كائن وكائن آخر، هي أكثر افتضاحاً من افتضاح العلاقات الجنسية حتى الشاذة منها،

أليست الرغبة في الشذوذ الجنسي أقل قبحاً وبذاءة من رغبة الإله في أن يعبد ويحترم
بوضع الجباه على التراب!

هل يمكن أن يفتضح أي إنسان أو كائن في أية علاقة أو ممارسة مثل افتضاحه في
ممارسة للإله وفي ممارسة الإله له أو مثل افتضاح الإله والإنسان في هذه الممارسة؟

هل يمكن تصوّر عشق مذلل مهين بليد شاذ فاضح في كل صيغه وتفاسيره وحوافزه
وأهدافه مثل العشق الموجود أو المطالب المأمور به بين الإله والبشر معطى ومأخوذاً
محولاً إلى ممارسات وعلاقات وإلى وعود ووعيد وثواب وعقاب مرويين منتظرين .

إن كل العلاقات الطبيعية والشاذة لهي أقل قبحاً وافتضاحاً من العلاقات بين الإله
معبوداً كما يعبد وكما يريد ويطلب أن يعبد وبين الإنسان عابداً للإله كما يعبد به بكل
أساليب وتفاسير عبادته له .!

نعم، أنت هنا متناقض تناقضاً فوضوياً مفضوحاً لا يستطيع أو يجرؤ أحد سواك أن
يتناقضه .!

إنك في موقف واحد ودين واحد وكتاب واحد ولغة ونبوة واحدة قلت إنك سوف
توقع بالعصاة والأشرار وبالعاجزين عن رؤيتك - مع أنك قد وضعت في عيونهم يوم
ولادتهم - سوف توقع بهم كل الويلات الموقعة بهم كل العذاب والهوان والتحطيم،
وقلت أيضاً أي في الوقت نفسه والكتاب والدين والموقف الواحد واللغة والنبوة
الواحدة: إنك سوف تهبهم كل ألوان الانتصارات والأمجاد والقوة والنجاح والثراء
والفرح والرضا والسعادة والذكاء والدهاء، إملاءً وإغراءً ومكراً وخداعاً لهم ومكراً بهم
وإمداداً لهم في طغيانهم لكي يزدادوا ضلالاً وفساداً وخبثاً ومكراً وكفراً لكي تقتنع بأنك
ماكر خادع جيد ولكي ترضى عن نفسك لأنك كذلك، ولكي تسعد وتفرح برؤية من
سوف تسوقهم إلى الجحيم وبأنهم كثيرون، كثيرون، وبأنك سوف تملؤه أي تملأ
الجحيم بالسكان، ولكي توظف كل عبقرياتك وأخلاقك لإتقان تعذيبهم، ولكي لا
يكون المؤمنون الطيبون المطيعون كثيرون، كثيرون لا تستطيع الجنة إيواءهم كلهم وحينئذ
تكون متهماً بأنك ضعيف أو مقصر لأنك عجزت عن إيجاد سكن لرعايك المطيعين
المؤمنين الهاتفين الواثقين المنتظرين . . . وقد يكون من أسباب ذلك أنك تتعذب غير
من رؤية السعداء المستمتعين باللذائذ التي أنت محروم منها . فرؤيتك لأهل الجنة
ينعمون بكل ما فيها لا بدّ أن تصنع لك هذه الغير المعذبة!

... لقد قلت هذا وهذا في طبعة وخطبة واحدة. فكيف عجزت عن أن يرى أو يسمع أو يلمس أو يقرأ أو يعرف أو يخاطب أو يحاور بعضك بعضاً؟

كيف لم تصنع علاقات تفاهم وحوار بين وحدات وأجزاء ذاتك؟

أجل، لقد قلت هذا وهذا بصوت واحد وفي جلسة واحدة أمام مشاهدين معينين هم هم لا يتغيرون أو يتبدلون.!

كيف خفي هذا على مساعدك ومستشاريك وحراسك العلميين والإعلاميين والدعائيين والفنيين؟ أين كانوا منك؟ هل يتركونك وحدك ولو أحياناً؟

... كيف لم يفعلوا شيئاً لحمايتك من هذا الافتضاح الفني والعقلي والأخلاقي والقانوني بل والديني؟ هل جهلوا أم أهملوا أم نافقوا خوف غضبك لو نصحوك وحذروك ووجهوك وصدقوك، ورجاء رضاك إذا نافقوك وكذبوك وكذبوا عليك؟

... هل العلاقات بينك وبينهم مثل العلاقات بين الحكام والزعماء والقادة العرب وبين مساعديهم ومستشاريهم؟ وهل العقول والأخلاق والمواهب هي هي هنا وهنا أو هنا وهناك؟ أي الفريقين تعلم من الآخر؟ هل العرب هم المعلمون الكونيون للضعف والكذب والنفاق والكسل والاسترخاء والطغيان البليد حتى للإله وأعوانه؟

... وكما تناقضت في هذه القضية قائلاً واعداً ومواعداً تناقضت فيها فاعلاً ومخططاً مدبراً مع الانحياز الحاد لأحد النقيضين. . .

لقد أرسلت الأنبياء وأنزلت الأديان والكتب المقدسة وفعلت أشياء أخرى ملائمة لأنك كما تقول شهم ورحيم كريم، لهذا أنت حريص إلى حد الاحتراق على هداية الضالين وقيادة الأشرار إلى الخير والتقوى لأنك لا تريد لهم إلا السعادة والفرح والحب في الحياتين وتتعذب كثيراً إذا لم يظهروا بكل هذا الذي تريده لهم. . .

ولكنك ناقضت هذه الرغبة أو هذا الموقف مناقضة سفيهة حمقاء بل أكثر وأردأ من سفيهة وحمقاء.!

لقد وظفت وخلدت جميع الأبالسة ووهبتهم كل الدهاء والذكاء والقوة وكل أسلحة الإغراء والانتصار والتفوق حتى جعلتهم يعيشون ويعسكرون ويعملون داخل الذوات والنفوس وأزلت كل الحدود والحواجز والحراسات بينهم وبين النفوس التي يريدون إغواها وإفسادها. . . لقد جعلت ذواتهم أي ذوات الأبالسة أنفذ وأخف وألطف وأرق وأخفى وأسرع من ضوئية وهوائية لكي يستطيعوا اختراق واقتحام واحتلال النفوس دون

وجود حيلة أو وسيلة لمنعهم بل دون القدرة على العلم بوجودهم وتحركاتهم داخل الذات، داخل النفس المغزوة.

... إنهم احتلال لا يراه أو يسمعه أو يحسه أو حتى يعلم به المصاب به.

إنه احتلال ينافس احتلالك مع الفرق الهائل لمصلحتهم أي لمصلحة الأبالسة !

... لقد فعلت كل هذا للأبالسة لكي يكون انتصارهم ساحقاً شاملاً. إنك لم تهب هذه المزايا المتفوقة الخارقة التي وهبتها للأبالسة - لم تهبها حتى ولا لأنبيائك أو ملائكتك أو جلسائك، حتى ولا لذاتك !

فلماذا فعلت هذا؟ أحاقد أنت على الإنسان ومعاد كاره له إلى كل هذه الأبعاد لهذا سلّطت عليه هؤلاء الأعداء وسلحتهم بكل هذه الأسلحة التي تستحيل مقاومتها؟ أرفض أنت أن يكون الإنسان لك صديقاً ومطيعاً، لهذا حاصرته بهؤلاء الأعداء ليكون لهم صديقاً ومطيعاً ولك عدواً عاصياً؟ إن أحداً لن يستطيع أن يفهم لماذا أنت رافض أن يكون الإنسان لك لهذا سلمته لأعدائك الأبالسة !

ولقد بالغت جداً في تأكيد رغبتك في إفساد الإنسان حين وضعت فيه الاستجابة السهلة السريعة السخية لما يدعوه إليه ويريده منه ويحرضه عليه هؤلاء الأعداء !

ألسنت قد وضعت فيه هذه الاستجابة قصداً لا خطأ؟

كذلك بالغت جداً في تأكيد هذه الرغبة حين جعلت زعماء وحكام وقادة الإنسان بل وأنبياءه، كلهم أو أكثرهم قادة إلى الحماقات والغوايات والشُرور ومعلمين لها محرّضين بل وجازين عليها، واضعين أقوى وأشرس الحراسات والحواجز لمنع الخطو إلى المزايا الأخرى التي زعمت أنك لم تبعث أنبياءك وتنزل كتبك وأديانك بل ولم تقبل حياتك وألوهيتك أي كونك إلهاً خالقاً إلا من أجلها أي إلا من أجل تحقيق هذه المزايا.

... كذلك بالغت في تأكيد هذه الرغبة حين دبرت وخططت وأردت أن يكون الأشرار والعصاة والأنذال في كل الأوقات أو في أكثر الأوقات هم السادة الأقوياء المتوقين المتسلطين المنتصرين بل هم الموجودين ثم نفذت ذلك بكل الإرهاب ..

كم هي فترات التاريخ التي جعلت فيها الأخيار أو النبلاء أو الحكماء أو الشرفاء أو العلماء أو الأتقياء أو المتطهرين أو حتى المؤمنين أي سلوكاً وتنفيذاً لا إعلاناً أو اعتقاداً فقط؟

- نعم، كم هي فترات التاريخ التي جعلت فيها هؤلاء هم السلطة أو القوة أو النبوة

أو الرغبة أو النموذج المطلوب أو حتى الصوت المرهوب أو المحبوب أو المحترم أو المقروء أو حتى المسموع المأذون له بأن يكون مسموعاً؟

بل كم هي فترات التاريخ التي جعلت فيها واحداً من هؤلاء في وضع أو موقف قوي أو مغر لكي يجد أو يوجد من يطعم فيه أو يرهبه لكي ينافقه؟

إن محابباتك للطغاة والأشرار والأنذال لهي شيء أكبر وأوقع من كل ما يصنع الاشتمزاز والغيط والغثيان والانفجاع. !

إن جميع معارف وتجارب ودراسات علماء النفس والعقل والأخلاق لو تجمعت كلها في إنسان أو كائن واحد ليقراءك ويفسرك ويفهمك لماذا أنت عاشق للطغاة والأشرار والأنذال ومصمم بالإرادة والتدبير والتخطيط على أن تجعلهم القادة والسادة والزعماء والأنبياء المنتصرين المحظوظين القاهرين، لما استطاع أن يقول، أي بعد أن يقرأك ويفسرك ويفهمك إلا: أنا حائر، عاجز، مفجوع، مفجوع!!

تذكر، تذكر التاريخ، وانظر، انظر إلى الواقع اليوم. هل أنت عاجز عن الرؤية والتذكر أم خائف منهما؟

لماذا خلدت الشيطان ووهبته كل هذه الأمجاد والسلطان والقوة والشهرة والانتصارات العالمية بل الكونية التي لا تقاوم - هذه الانتصارات المذلة القاهرة لكل شيء ولكل أحد حتى لك أنت يا إلهي المهزوم في كل ميدان ومعركة إلا في معركة وميدان المنابر والعظات الكاذبة المناقفة المعروضة للبيع في أجهل وأرخص الأسواق بأقل وأتفه الأثمان؟

هل يمكن أن يوجد أي تفسير لما فعلت للشيطان إلا تفسير واحد هو أنك عاشق بجنون لإفساد الإنسان وتحطيمه، وإنك حينما بعثت إليه بالأنبياء وأنزلت عليه الأديان والكتب المقدسة لم تكن إلا هازلاً لا عابثاً وقحاً؟

أنت تقاسي وتقاسي لتحمل تكاليف الأديان والكتب المقدسة والنبوات وتكاليف ومتاعب وهموم ومخاطر وضعها وتنظيمها، تفعل ذلك لإصلاح الإنسان ولهدايته وحمايته لأنك صديق ومحِب له جداً، بل لأنك فدائي جداً في حبك وصدقتك له، ثم تحشد أقسى وأقوى وأشرس الأعداء الذين تستحيل مقاومتهم لكي يضلوه ويفسدوه ويقودوه إلى ألوان الهلاك كلها بل وتطالبهم بأن يفعلوا به ذلك بل وتتآمر وتخطط وتدبر معهم لكي يفعلوا به كل ذلك بكل أساليب وشروط وظروف الانتصار فيما ينوون ويفعلون. !

هل يمكن - تصور قبح مثل هذا، بل جنون مثل هذا؟

هل يمكن أن يوجد إفساد أو تشويه أو إذلال أو إهانة لعقل الإنسان أو الأخلاقية أو لخياله أو لكرامته أو لتقواه وبراءته مثل أن يعلم أو يلحقن هذا أو أن يؤمن به أو أن يحترمه، أو حتى أن يقرأه أو يسمعه دون أن يراع ويفجع ويصرخ:

جنون، جنون، جنون...!

بل إن كل جنون لا بدَّ أن يبدو قمة العقل محاسباً بهذا الجنون المحسوب قمة عقل الإله!

نعم، أنت تقاسي وتقاسي لإصلاح الإنسان وهدايته وحمايته وفي اللحظة نفسها تقاسي وتقاسي لإفساده وإضلاله وتدميره...!

... تبعث إليه الملائكة علناً وجهراً ليهدوه ويحموه ويصلحوه وفي اللحظة نفسها وبكل الرغبة والنية والهمة ترسل عليه وإليه جهراً وسراً أقوى وأشرس الأبالسة ليضلوه ويفسدوه ويهلكوه...!

هل يوجد أو يمكن أن يوجد من يستطيع أن يفهم هذا أو يغفره أو يعذره؟

نعم، هل يمكن أن توجد عملية تخريب للعقول والأخلاق والتصورات مثل الاقتناع بذلك أو محاولة الإقناع به،؟ هل يمكن تصور هجاء لك مثل هذا؟ كيف لم تعرف؟

... نعم، أكرر التساؤل، أكرره. ومهما كررته فسوف أظل أشعر بأنني محتاج بذلك أو محاولة الاقتناع به؟ هل يمكن تصور هجاء لك مثل هذا؟ كيف لم تعرف؟ مجرد عرضها أو روايتها أو الاستماع إليها أو كتابتها على الورق حتى ولو للسخرية منها والتكذيب لها.!

أعني بها قصة توظيف الإله نفسه ووقته ومواهبه واهتماماته وكل طاقاته الأخرى لإرسال الملائكة إلى الإنسان لإصلاحه وهدايته وحمايته ولإرسال الأبالسة عليه وإليه لإفساده وإضلاله وتدميره - لإرسال هؤلاء وهؤلاء في وقت واحد.!

... أي يفعل بالإنسان وللإنسان هذا وهذا لأنه يحبه إلى حد العشق المصاب بالهذيان ولأنه حكيم ورحيم وجاد ومخطط عبقرى...!

... أيتها الحشرات، لتصابي بالصمم لئلا تسمعي نروي هذه القصة عن الإله، عن أخلاقه وعبقرياته ونروياها عن أنبيائنا العظام يروونها لنا عن الإله.!

... نرجوك أيتها الحشرات البريئة النظيفة أن تصابي بالصمم لثلاث تسميعنا، سترأ علينا وعلى أنبيائنا وإلهنا ورفقاً بنفسك لثلاث يقتلك الاشمئزاز والانفجاع منا وبنا.!

... يا كل العقول والأخلاق والمواهب والكرامات، ثوري، ثوري غضباً وإنقاذاً لشرفك وكبريائك المهانين بإيمانك بهذه السفاهة، باتهامك بالإيمان بها، بدعوتك إلى الإيمان بها، بمخاطبتك بها بتحويلها إلى آيات في كتابك، إلى معتقدات في دينك...
ثوري، ثوري يا كل العقول والأخلاق والمواهب على هذا الغباء المهين لكل ما في التاريخ من كبرياء وذكاء ومجد وعبقريات...

أليس الإيمان الغبي معبراً عن مستوى ذكاء المؤمن وعن مستوى أخلاقه وكبريائه أو مؤثراً في ذلك أو محاولاً التأثير فيه أو مهيناً ومحقرّاً ومشوهاً وشاتماً له أو باصفاً عليه أو عارضاً له عرضاً دميماً أو مذكراً بتاريخ يجب ألا يكون قد بقي منه إلا تذكره مع التطهر والاعتذار والاستغفار منه وعنه؟

أليس الإيمان بأقبح وأغبي نموذج نموذجاً لأعظم إله في تصورنا واختيارنا وفي التصورات هو أقبح تلويث في هذه الحياة؟

أليس الإيمان بأقبح وأغبي نموذج نموذجاً لأفخم إله في تصورنا واختيارنا وفي رؤانا الفنية والأخلاقية والإنسانية هو أقبح تلويث وإهانة لكل معاني الإنسان فينا ولكل معاني الإيمان والتدين والتصور؟ إنه ليس لأي إله أي نموذج في ذاته.

إن جميع نماذج الآلهة جيدة ورديدة ليست سوى نماذج المؤمنين المنحوتة من آلامهم هل يمكن تصور نموذج للقيح يشبه في قبحه نموذج الإله الذي تصورناه واخترناه وأماناً به... نموذج الإله الذي يطالبنا أن نؤمن به وأن نعبد ويلعننا إذا لم نفعل ذلك ويرسل وينزل علينا وإلينا الأنبياء والأديان والكتب المقدسة لتفرض علينا هذا الإيمان وهذا التعبد ولتوعدنا بكل الأهوال إذا لم نستجب لما تفرض علينا، ولتعذنا بكل الملذات إذا استجبنا وأطعنا، ثم لا يشاء لنا، أي هذا الإله، أن نستجيب لذلك بل يشاء ويدبر ويخطط لنا أن نرفض ونعصى، ويذهب بكل ذكائه الماكر يمد لنا في طغياننا ويملي لنا بكل الوسائل والأسباب المغوية المغرية لنسير في طريق الهلاك، بل ثم وهذا قمة القبح يحشد ويوظف ويغري ويسلح كل الأبالسة الأندال لكي يسوقونا ويقودونا إلى كل فنون الكفران والعصيان والشُرور والفساد أي وفي الوقت نفسه وتحت الظروف نفسها يكي أي هذا الإله حزناً علينا إذا لم نؤمن ونطع وتضرعاً إلينا لكي نؤمن ونطع.

... نموذج الإله الذي يصيب الأطفال والشيوخ والمؤمنين المطيعين بأقبح وأقسى

التشوهات والعاهات والآلام وبكل الشرور والرزايا لأنه حكيم ورحيم وعادل، ولأنه يحبهم ويرحمهم ويرعاهم ويباركهم ويحترمهم ويريد لهم السعادة والفرح وكل ألوان الخير والمجد والجمال، ولأنه عبقرى التخطيط والتدبير والرؤية والشهامة والذكاء ولأنه يريد أن يكون جميلاً وفناناً وأن يكون الكون وكل شيء جميلاً وسعيداً وفرحاً .

.. نموذج الإله الذي يعلن مباحياً أنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ثم يشاء أن تكون الأشياء التي تصنع له الغيظ والغضب والحزن وحالة الحرب بل ثم لا يصنع الأشياء إلا بالأسلوب الذي يصنع له كل ذلك، كل الغيظ والغضب والحزن وإعلان الحرب على نفسه وعلى تحركاته .

... نموذج الإله الذي يعلن أنه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه وفي اللحظة نفسها يعلن أنه قد تعهد لجهنم بأن يملأها من الجنة والناس أجمعين .

... نموذج الإله الذي يخلق إنساناً أو كائناً آخر لكي يعبد له ولكي يطالبه ويرجوه بأن يعبد له وهو يعلم منذ الأزل أنه لن يعبد له ويعلم منذ الأزل أنه سوف يشاء له ألا يعبد له ويمنعه من أن يعبد له ولأن يعبد له ولأن من الحكمة والمصلحة والتدبير الذكي ألا يعبد له .

... نموذج الإله الذي يخلق الجمال ثم يشوهه، والعين ثم يفقوها، والرجل واليد ثم يصيبهما بالشلل، والطفولة ثم يصرعها قبل أن تعامله أو يعاملها، ويشيد البناء ثم يهدمه قبل أن يسكنه، ويزرع الحقل ثم لا يحصده أو ثم يحرقه قبل أن يحصده أو لئلا يحصده .

.. نموذج الإله الذي يأمرنا بأن نفعل من الخير ما لا يفعل وينهانا عن أن نفعل من الشر ما يفعل، ويطلبنا بأن نريد ما لا يريد، وبألا نريد ما يريد، وبأن نقتل ما يخلق ويشاء وبأن نخلق ونحیی ما يقتل وما لا يشاء، وبأن نتداوى ونتطهر مما يخطط ويدبر ويمكر ويصيب به، وبأن نهدم ما يبني وبأن نبني ما يهدم وبأن نشاء ما لا يشاء وبألا نشاء ما يشاء وبأن نرحم من لا يرحمه ونعطي من يحرمه .

... الذي يفعل ما يلعننا ويعاقبنا لو فعلناه ولا يفعل ما يلعننا ويعاقبنا لو لم نفعله... الذي يأمرنا بالمعروف الذي لا يفعله وينهانا عن المنكر الذي يفعله... الذي يطالبنا بأن نكون في معاملتنا له أكرم وأنبل منه في معاملته لنا... الذي يعد لنا كل أنواع العذاب ويقذفنا بكل اللعنات لو عاملناه بشيء من معاملته لنا .

... الذي يصفنا بكل أوصاف النذالات والحقارات لو جرؤنا على التخلق بشيء من أخلاقه... .

... نموذج الإله الذي لا تعني أو تساوي كل عبقریات البشر وإبداعاتهم وحضاراتهم وعلومهم وفنونهم وشاعرياتهم وهمومهم وأمانهم إلاّ التداوي مما خطط ودبر وأراد وفعل أي إلاّ التداوي من عدوانه، وإلاّ التصحيح لأخطائه وخطاياه، وإلاّ التجميل لتشويهاته وتشوّهاته وعاهاته أو الستر عليها أو الاعتذار عنها أو التخفيف من آلامها وقبحها...

... نموذج الإله الذي لولاه لما خططت أية مقبرة ولما وجد أي كفن أو بائع أكفان ولا أي حفار للمقبر ولما أقيم أي مأتم أو كتب أي نعي، ولما عرفت أية لغة كلمة «مات» أو «أرامل» أو «أيتام» ولما فتحت أية صيدلية لتبيع الدواء دون أن تبیع الشفاء، لتبيع الدواء لكي يزداد الداء... لتبيع الدواء لمريض لا تبالي بأن يصاب بمزيد من الداء، بل ولو عرفت أنه لا بدّ أن يصاب بالمزيد وبالجديد من الداء.

... نموذج الإله الذي لن تطلق أو تسمع صرخة أو أنة أو آهة معبرة عن أفسى الأحزان والآلام لولا أشواق أذنيه إلى سماع الأنات والصرخات والآهات المشحونة بكل تفاسير العذاب والانفجاع والروع أي لولا حاجته الدائمة المسعورة إلى أن يغني لنفسه ليلهيها ويعزيها ويفرحها ويطربها ويغازلها ويداعبها ويلاعبها. وقد تكون الأنات والصرخات والآهات المروعة المفجوعة هي أقوى وأجمل ما يصنع له ذلك. قد تكون هي فنونه الغنائية الموسيقية المختارة. قد تكون لحظات استماعه هي كل لحظات سعادته أي استماعه إليها...

نعم، قد تكون الأنات والصرخات والآهات منطلقة ومنشدة ومسموعة هي كل صلوات الإله لنفسه، هي كل ما يصنع له الطرب والفرح والحب وإلاّ فما التفسير لرغبته الحمقاء في أن يخلق ويوجد دائماً المطلقين المنشدين لها أي للآهات والأنات والصرخات. نعم، قد تكون هي كل اعتذاره إلى وجوده الذي لم يجئ أجمل أو أعظم أو أسعد.

... إنه لا يمكن أن يتهم بالعجز عن منع ذلك. إذن لا بد من اتهامه بالرغبة فيه أي في أن يسمع الآهات والأنات والصرخات المعبرة عن أفسى العذاب وكل العذاب. إن كل العالم لو تحول إلى قضاة ومحكمين في هذه القضية لكان الحكم بالإجماع أن الإله لا بدّ أن يكون راعباً في ذلك إن لم يكن هناك احتمال بعجزه عن منع ذلك. وأيهما أكثر هجاء له هنا: أن يكون عاجزاً أم أن يكون راعباً؟

ولكن ماذا يمكن أن تكون أمراضه النفسية إذا كانت سعادته أن يسمع الأنات والآهات والصرخات؟

... نعم، نموذج الإله الذي كل هذه القبائح والفضائح بل وكل القبائح والفضائح ليست إلا بعض قبائحه وفضائحه...!!

أجل، هل يمكن تصور نموذج لكل القبح ولأقبح القبح يشبه في قبحه شيئاً من فبح هذا النموذج الذي رأيناه وتصورناه. واخترناه وأمتاً به نموذجاً للإله الذي حبل به وولده لنا خيال أنبيائنا الذين حبلت بهم وولدتهم لنا أحشاء الصحراء، الصحراء التي حبلت بها وولدتها جاهلية التاريخ الطبيعي والإنساني وبدائته وقحطه وقبحه؟ وأي إله شرير أو جاهل أحمق دبر وصنع لنا وبنا هذا التابع القبيح الأليم في هذا الحبل وهذا التوالد؟ لنحشد كل ما فينا من طاقات التصور والخيال، لنطلقها، لنجلدها، لنطالبها بأن تحاول تصور وتخيل هذا النموذج من القبح الذي تصورناه واخترناه وعبدناه نموذجاً للإله... بأن تحاول تصور وتخيل نموذج يشبهه...

إنها لن تستطيع، لن تستطيع...

إذن هل يمكن تصور عدوان أو وقاحة أو جهالة مثل عدواننا أو وقاحتنا أو جهالتنا حينما تخيلنا وصغنا وألفنا واخترنا وتقبلنا ورضينا هذا النموذج لهذا الإله المعجز في قبحه؟

... إن الكثيرين من الناس حتى الأذكياء جداً منهم ليفقدون ولو أحياناً كل وعيهم ورؤيتهم وذكائهم وكبريائهم الإنسانية والعقلية والحضارية أمام الكثير من معتقداتهم الدينية والتاريخية والوراثية التلقينية التابعة...

... إنهم ليغلقون عيونهم، بل إنهم ليقتلونهم، ويفقأونها لئلا ترى وخوفاً وهرباً من أن ترى، من أن ترى شيئاً حتى ولا نفسها، حتى ولا حاملها.

إن الرؤية لتصبح أحياناً عذاباً لا يطاق ودماة لا تطاق، وتحقيراً لا يطاق. وهل هي كذلك أحياناً أم دائماً أي لو ظلت رؤية ولم تصبح فقداً ورفضاً للرؤية؟

وهل وجدت أية رؤية لتظل رؤية أم لتصبح فقداً ورفضاً وتقيحاً لكل رؤية؟

إنه لا بد من فقد الرؤية بل لا بد من محاربتها والفرار منها لأنه لا بد من فقد بل من محاربة الوعي والذكاء والكبرياء أي ولو أحياناً.

... إن الإنسان لا يستطيع أن يحيا أو يسعد أو يفرح أو يتفأل أو يحب أو يستريح أو حتى ينظر في المرأة لولا هذا الفقد والفرار والمحاربة للرؤية!

إننا لا نستطيع أن نجروء على النظر في المرأة لولا فقداننا للرؤية وفرارنا منها ومقاولتنا لها ولولا تصميمنا على هذا الفقد والفرار والمقاومة واقتناعنا بالقدرة عليها أي أحياناً أو دائماً. !

إن فقد الوعي والرؤية والذكاء والكبرياء فن إنساني عالمي خالد قديم وحديث . .
إنه فقد بالتدبير والتخطيط والرغبة وبالعجز والتعويد والتلقين والاستمرار أيضاً. إنه حاجة وطبيعة موهوبة .

وما حدث هنا أي الاقتناع بهذا النموذج للإله ليس إلا أسلوباً من أساليب فقد الوعي والرؤية والذكاء والكبرياء بل من أساليب المقاومة لذلك والفرار منه . إن الإيمان بنموذج الإله لن يستطيعه من لم تقتل أو تمت أو تغلق فيه كل معاني الرؤية والذكاء والوعي والكبرياء بل والكرامة والاستحياء. !

. . . إنه أسلوب عنيف ورديء ومتوحش من أساليب إغلاق العيون بل قتلها بل فقئها هرباً وخوفاً من الرؤية ومحاربة لها .

إن أحداً لن يقبل أن يقبر أو ينحت فيه هذا النموذج للإله إلا إذا أسكتت أو قتلت فيه كل طاقات الرؤية والاشمئزاز والمحاسبة والمساءلة والكبرياء العقلية والأخلاقية متقبلاً بل مريداً وراضياً ومرحباً أن يفعل به ذلك، أن يفعله به اللصوص والقتلة، لصوص وقتلة المعاني الإنسانية الرائية القارئة المحاكمة .

. . . إن الذين آمنوا بهذا النموذج للإله لم يكونوا إلا قوماً قد فقدوا كل الرؤية والوعي والذكاء والكبرياء، فقدوا كل ذلك رغبة وتدبيراً وهرباً وخوفاً. إنهم قوم قد أغلقوا بل قتلوا وفقأوا عيونهم رفضاً للرؤية وهرباً وخوفاً منها .

. . . لقد أغلقوا وقتلوا وفقأوا عيونهم لكي يستطيعوا التحديق في المرأة ويجروءوا على ذلك ولكي يستطيعوا الرؤية ويسعدوا بما يرون لأنهم لا يرون. !

لقد أوقعت بهم وأوقعوا بأنفسهم عملية قتل للوعي والذكاء والكبرياء والرؤية لكي يستطيعوا يقبلوا أن يحيوا ويؤمنوا ويفرحوا ويروا ويحبوا ويمارسوا الحب عراة ويتحدثوا بإعجاب عن ذكائهم وكبريائهم وحدة وشمول وعيهم ورؤيتهم وعن جمال آلهتهم .

. . . عن جمال عيونها وأخلاقها وأنيابها وأظفارها حينما تشبها في أجساد الأطفال والشيخ الهزيلة المريضة المسحوقة. !

... إن فقدان الوعي ضرورة من ضرورات الحياة البشرية . إنه كالنوم والاسترخاء وكل أساليب الراحة . إنه الموت أو الجنون بدون ذلك .

إن الكائن الحي كما لا يستطيع أن يظل واقفاً وماشياً أو محدقاً أو مستيقظاً دائماً كذلك لا يستطيع أن يظل واعياً دائماً . لهذا علمت الضرورة الإنسان أن يبتكر المعتقدات المختلفة التي تجعله فاقداً لوعيه وذكائه ورؤيته ومساءلته ولو أحياناً . أنه لا بد من محطات أو مواقف راحة للوعي يتوقف فيها وعندها ،

نعم ، لقد ابتكر عقل الإنسان وتاريخه ومعانيه فقدان الوعي للأسباب والتفسير التي بها ولها ابتكر جسمه النوم ، لقد اعتذرت الطبيعة إلى الإنسان عن قسوتها وقبحها بأن حكمت عليه بأن ينام وبأن يفقد وعيه . إنه صمت عن عذاب وقبح الرؤية والتفكير والفهم والمساءلة عن أي شيء ولأي شيء . إنه فرار إلى الغيوبة عن الذات . . .

إنه تعبير عن قسوة وقبح الرؤية ، وإن قبح الرؤية وقسوتها تعبير عن قبح وقسوة ما يرى ويواجه !

... هنا أجرؤ على أن أروي شيئاً لا بد أن يصنع كل التعجب الصانع لكل الدهول بل لكل الانفجاء مع أنني أنا أراه شيئاً عادياً بل شيئاً معقولاً ومنطقياً في تفسير هذه القضية .

... أروي أن بعض دارسي الدين الإسلامي وطلابه في أكبر معهد لتعليم العلوم الدينية في كل العالم الإسلامي كانوا حينما يواجهون مشكلة أو قضية يتمنون النجاح فيها ويخشون النقيض يذهبون يفعلون أنواعاً من المعاصي ويتخلون عن أداء الفروض . . !

وكانوا يفسرون سلوكهم هذا بأن الله يملي للعصاة ويتعمد أن يهبهم ما لا يستحقون ، ويهبهم ما لن يهبهم لو اتقوا واستقاموا وأدوا الواجبات . لأنه أي الله في رأيهم الديني الذي تعلموه يستدرج الفاسقين والفاسدين ويخدعهم ويمكر بهم ويمدهم في طغيانهم وفسادهم بأن يبلغهم ما يريدون بلوغه متذكرين قول القرآن على لسان الإله : «وأملئ لهم . أن كيدي متين» .

.. إنهم يريدون أن يملي الله لهم وأن يخدعهم ويمكر بهم فيعطيهما ما يرجون إغراء لهم وإيقاعاً بهم ليزدادوا غياً وفساداً لكي يوقع بهم العذاب الذي يدبره ويريده لهم .

... إنهم بهذا يريدون أن يخدعوا الله الذي يريد أن يخدعهم . .

... إنهم يريدون أن يخدعوا خديعة الله لهم . !

هل تصدق أن هذا قد حدث أو أنه قد يحدث؟ نعم . . .

هل ينبغي أن يصدمنا أو يفجعنا هذا السلوك أو هذا التفكير؟ لا . . . لأن الدين الذي تعلموه وآمنوا به يعلمهم ويقول لهم هذا بكل نصوصه وتفسيره وتجارب مجتمعاته والمؤمنين به المحكمين له ولو في أقوالهم وتشريعاتهم المكتوبة . . . وهل ينبغي أن ننزههم عما لم ينزه الله عنه نفسه بل عما يمجده الله به نفسه؟ هل ننزههم عما لم ننزه الله عنه؟

إن الدين الذي آمنوا به وتعلموه يقول لهم إن الله يملي للفاسدين والضالين خداعاً ومكراً لكي يزدادوا ضلالاً وفساداً ولكي يستمروا في مسيرتهم إلى أعماق الفساد والضلال .

إذن كيف يلامون إذا فعلوا بالإله نفس ما يفعل بهم، إذا عاملوه المعاملة نفسها، إذا خدعوه ومكروا به وأملوا له لكي يساعدهم على بلوغ ما يريدون بلوغه؟

والفرق بين الإله والمؤمنين فرق عظيم في هذه القضية . والفرق لمصلحتهم لا لمصلحته . إنه هو أي الله يخدعهم ويمكر بهم ويملي لهم ليزدادوا غواية وشروراً وهلاكاً وسيراً إلى الجحيم واستحقاقاً للخلود فيه . !

أما هم فيخدعونه ويمكرون به ويملون له لينالوا فقط غرضاً طيباً بريئاً هم محتاجون إليه وهو مانعهم منه بلا منطق أو حكمة أو مصلحة لا له ولا لهم ولا كائن آخر دون أن يوقعوا به أي بالإله أي ضرر أو ينووا إيقاعه به . .

وفرق آخر بينهم وبين الإله . . . أن الإله يخدع ويمكر ويملي دون أن يحتاج أو يضطر إلى ذلك أو يستفيد منه، إنه عشق لئيم للإيذاء بلا قلب عاشق . . . أما هم فيحاولون أن يخدعوا ويمكروا أو يملوا تحت طغيان الضرورة أو الحاجة التي أوقعها هو بهم . .

وهم لا يفعلون ذلك إلاّ ردّاً على فعله بهم وخداعاً لخداعه . . . أما هو فيفعل ذلك ابتداء . وهل يكون مذنباً أو ملوماً خادع الخداع أو الخادع؟

. . . إنه مهما وجدت كل التفسيرات والمسوغات لكل خداع ومكر وخبث وتدبير فلن يوجد أي تفسير أو تسويق لخداع الإله أو لمكره أو لخبثه أو لتدبيره الشرير للإيقاع بأي كائن حتى ولو بالشیطان لأنه هو البدء والبادئ والأول والمنطق والتفسير لكل أحد ولكل شيء . . .

فالشیطان ليس إلاّ موظفاً جيداً بارعاً في أداء وظيفته التي أرادها وخططها وقررها

وكلف بها هذا الكائن الذي هو البدء والبادئ والأول والمنطق والتفسير والتفكير لكل شيء ولكل أحد . . .

بل إن هذا الكائن أي الإله لم يجد موظفاً من موظفيه قد حقق كل آماله فيه بكل المقدرة والإخلاص سوى الشيطان، لقد أثبت الشيطان أنه أعظم موظف عنده أي عند الإله. لقد خابت وهزمت كل حسابات الإله وتخطيطاته وحكمته وإرادته في كل من وظف إلا في هذا الموظف الواحد - الشيطان. !

. . ليت كل موظفي العالم والكون، موظفي الأرض وموظفي السماء يتعلمون من الشيطان الانتقان والإخلاص والقدرة في أداء ما وظفوا له وفيه .

. . . لقد جاء هذا الموظف الواحد - الشيطان - تعويضاً قوياً وسخياً للإله عن هزائمه المذلة الكاملة في جميع أنبيائه وملائكته وفي جميع عبادته وموظفيه الأقربين . . .

كيف انهزم كل هؤلاء في أداء وظائفهم التي أَرادها منهم وكلفهم بها الإله، وكيف انتصر هذا الموظف الواحد - الشيطان - في أدائه للوظيفة الصعبة المرهقة الأليمة التي أَرادها له ومنه الإله وكلفه بها وخلده لأدائها؟

لقد كانت وظيفة الشيطان أقسى وأكبر وظيفته ولكن الموظف لها جاء أكفاً وأبرع موظف .

. . . إن كل هؤلاء، أنبياء وملائكة وغيرهم، لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يحققوا في كل حياتهم وتاريخهم من حكمة الله وإرادته ورغبته وخططه ما استطاع وما يستطيع هذا الموظف الواحد - الشيطان - أن يحققه في يوم واحد من حياته وتاريخه .

. . . إذن ماذا لو أن الإله أراد أن يثيب كل موظف من موظفيه ثواباً يساوي أو يكافئ أدائه لوظيفته وانتصاره فيها أو انتصارها هي فيه وبه؟

أليس الثواب الذي سوف يقدمه حينئذ الإله لهذا الموظف الواحد أي للشيطان سوف يكون أعظم وأكرم من الثواب الذي سوف يقرره لجميع الأنبياء والأولياء والشهداء والقديسين والصديقين لسكان السماء أجمعين؟

. . . إنه لمن الحق في هذا الحساب أن يصبح الفردوس السماوي كله سكناً وجزءاً لهذا الموظف الواحد أي للشيطان دون أن يقتطع أو يخصم منه أي مكان للآخرين من أنبياء وغير أنبياء، وأن يطالب لهم بمكان آخر قد يستحقونه متلائماً مع ضعف وضآلة ما حققوه في وظائفهم وفي أدائها. !

ولعل الفردوس كله لن يصبح ثواباً مبالغاً فيه حينما يثاب به هذا الموصف الواحد - الشيطان - جزاء له على ما حققه من انتصارات ومعجزات فيما وظفه الإله له وفيه وفيما أراد وانتظر منه، وفيما حقق لقلبه من سعادة وفرح لئيم!

وتخصيص الفردوس كله جزاء وسكناً للشيطان عمل فيه رحمة ورأفة ونبل إذ لو ساكنه فيه الآخرون من أنبياء وأولياء وشهداء وملائكة لعذبهم شعورهم بالفرق بينهم وبينه فيما فعل وفعلوا لوظائفهم وفي القدرة والإتقان على الأداء لها، ولعذبهم أيضاً شعورهم بالفرق بين ما يستحقونهم وما يستحق هو من جزاء!

لقد عذبهم في هذه الحياة بانتصاره وتفوقه الساحق المذل لهم عليهم. إذن كم ينبغي ألا يعذبهم في تلك الحياة الأخرى بمساكنتهم له؟

لقد خفف من عذابهم موتهم. ما أقسى عذابهم لو خلدوا يقاسون هزائمهم أمام انتصاراته في هذه الحياة؟

... ولعل الأفضل والأذكى والأجمل ألا يكون هنالك فردوس سماوي ديني لا لهذا الموظف الواحد ولا لسواه!

لعل قصة هذا الفردوس لم تكن إلا احتلاماً بديناً لمحروم جنسياً جداً، أو لم تكن إلا أكذوبة غير ذكية، أو مزحة غير فنية أو جمالية أو سخرية ليست إنسانية ولا فردوسية، أو غلطة نبوية إلهية سماوية...

ليت جميع التفاهات والسخافات والبلادات والفضائح احتلام جنسي أو أكاذيب أو مزحات أو سخریات أو غلطات حتى ولو غلطت نبوية ربانية سماوية!

... ليت كل قبح هو اتهام، أو رؤيا، أو لغة أو صورة فقط، أو خيال، أو أكذوبة فقط حتى ولو كانت أكذوبة نبي أو ملاك أو إله!

إن أقل تفاسير الآلهة والملائكة والأنبياء قبحاً وفضحاً أن يكونوا أكاذيب وكاذبين! ... ليت كل دمامة هي في اللسان القائل أو في العين الرائية أو في القلب الحاسد المصاب بالغيرة وليست أي الدمامة في الوجه الدميم!

وبمثل هذا التمني: ليت قصة الفردوس السماوي احتلام أو سخرية أو غلطة أو مزحة أو كذبة تقال وتروى وتكتب دون أن يرى أو يوجد أو يسكن أي الفردوس هذا المنزل في الكتب المنزلة...

... إن قصة هذا الفردوس هي دمامة أبشع من كل الدمامات في كل الوجوه...

إن كل الدمامات في كل الوجوه بل في كل الوجود لتتحول إلى كل الجمال محاسبة
بدمامة هذا الفردوس وبدمامة قصته . !

. . . إن كل العيون الوقحة البذيئة لتعجز عن التحديق وتهاب التحديق في دمامة
قصة هذا الفردوس السماوي أي لو كانت العيون المحدقة ترى لترى ، ولا ترى لثلا ترى
ولا ترى كما ترى عيون الآلهة والأنبياء والحكماء والشعراء والزعماء وجميع
العميان . . . أليست عيون هؤلاء جميعاً ترى لثلا ترى؟ أليست دائماً ترى ما لا يرى بل
نقيض ما يرى؟

العقاب عجزً والثواب احتيال واحتياج

يروى عنك أطفالك الأنبياء أنك قد أعددت في الحياة الثانية ثواباً وعقاباً . . . الفردوس ثواباً ثمناً لعبوديتي لك، لعبودية الإنسان لك، والجحيم عقاباً جزاء رفضي لهذه العبودية، لرفض الإنسان لها أو جزاء التقصير فيها أو جزاء العجز عن تقديمها لك بالشروط والأساليب والتفاسير التي تصنع لك الفرح والكبرياء البلهاء . . . وكم هو قبيح وبذئء ومهين ما يصنع لك الفرح والكبرياء يا إلهي الهاجي بفرحه وكبريائه لكل تفاسير الفرح والكبرياء . !

. . . وهنا يا إلهي أجد كل الرغبة الغاضبة في أن أسألك وأحاورك وأحاسبك وأحاكمك مشحوناً بكل مشاعر الرثاء لك والاشفاق عليك لقبح وضعف ضعفك في كل خطواتك وتخطيطاتك ونياتك وفي كل بداياتك ونهاياتك ومحاولاتك المحكومة بكل تفاسير العجز والانهازم والافتضاح والسذاجة البائسة الأليمة . . .
أولاً:

الثواب والعقاب ولا سيما العقاب اضطرار وحاجة وعجز عن البديل . . . وأنت فوق الاضطرار والحاجة والعجز . . . ! ، . أليس كذلك؟ هل ترفض أو تنكر أن تكون ذلك؟
أتضرع إليك أن تستمع إلى ما أقول لك . . !

. . هل يحدث أن يترك اللص أو القاتل أو المفسد المخرب يقتل ويسرق ويفسد ويخرب لكي يعاقب، مع القدرة على منعه ومع العلم السابق أنه سيفعل جريمته قبل أن يفعلها؟؟ والثواب ليس إلا أسلوباً قد يحسب مهذباً أو متخفياً من أساليب الرشوة . وهل يرشو القادرون على بلوغ ما يريدون بلا رشوة؟

وصعب بل وقبيح جداً أن نفسكر بأنك كالحاكم الذي يترك اللصوص والقتلة

والمفسدين يسرقون ويقتلون ويفسدون لكي يعاقبهم بعد أن يفعلوا وهو قادر على منعهم من أن يفعلوا كل أساليب القدرة، وعالم أيضاً بأنهم سوف يفعلون جرائمهم قبل أن يفعلوها. . . !

وحتى مثل هذا الحاكم المتصور هل وجد أو هل يمكن أن يوجد؟

إنه لصعب أن يفعل ذلك أو أن يريد أو ينوي فعله أي حاكم أو إنسان أو أي كائن آخر مهما كان سفهه وجنونه وعشقه للإجرام والفساد ورغبته في ممارسة القسوة والجهالة والבלاهاة. !

فهل تكون أنت وحدك المتفرد بهذا السلوك الذي لا يستطيع أن يقبله أو يفعله أو يعقله أو يغفره أو حتى يتصوره لقبحه وفحشه وبلادته عقل أو خلق أو سلوك أو تصور أي كائن موجود أو منتظر أو مفترض في هذا الكون أو في أي كون آخر سواك يا إلهي الذي لم يفصح أو يهن أو يظلم نفسه أحد مثل فضحك وإهانتك وظلمك أنت لنفسك - يا إلهي الذي لا يمكن فهمه أو تفسيره أو تسويغه أو الغفران له بأي منطق أو خلق أو قانون، بأي حب أو بغض، بأي تسامح أو تعصب، بأي رفق أو قسوة، في أي زمان أو مكان، في رؤية ومحاسبة أي صديق أو أي عدو في أخلاق ومنطق أية حضارة أو عروبة أو بدواة. !

هل يمكن وجود أو تصور كائن لا يقبل بل لا يحتمل الغفران لشيء من منطقته أو تخطيطه أو إرادته أو سلوكه ومع هذا فقد نال كل التقبل والغفران سواك أنت يا إلهي الذي لم تر فيه أية عين أي قدر أو نوع من الجمال أو الضخامة لهذا رأته كل العيون كل الجمال وكل الضخامة. .

. . . يا إلهي الذي رأته كل العيون المغلقة ولم تره عين واحدة شجاعة ذكية قارئة مبصرة. الذي وجدته كل العقول الغائبة المتوقفة ولم يجده عقل واحد حاضر أو متحرك بالمحاورة أو المسألة. . . يا إلهي الذي لن يرى ولم ير إلا في الظلمة. ولم يسمع صوته إلا المصاب بالصمم الشامل ولم يجده إلا المصاب بالغيوبة الشاملة الدائمة. !

. . . إن من يترك المجرمين والمخطئين يفعلون جرائمهم وأخطاءهم لكي يعاقبهم أو ثم يعاقبهم على ما فعلوا وهو قادر كل القدرة على منعهم لهو وحده المجرم المخطئ المستحق للعقاب بل إنه لمستحق للعقاب أكثر من استحقاق من يفعلون الجرائم والأخطاء. وكم يجب عليك يا إلهي أن تعرف هذا. وكيف لم تعرفه؟ إنه لن يخفى على أغبي الأغبياء. من علمك غباءك يا إلهي؟

ثانياً:

إن الثواب والعقاب لن يكونا إلا تعاملًا وتخابلاً مع المستقبل ومحاولة لحمايته وصياغته. إنه إذا لم يبق مستقبل يخاطب ويعامل ليصاغ ويحمى فلن يكون هناك ثواب ولا عقاب أو لن يكون لهما أي معنى أو قيمة .

... إنه لو حكمت قوة ما قادرة على البشر جميعاً بالإعدام وقررت إعداسهم جميعاً بحيث لا يبقى منهم أحد أي بحيث لا يبقى مستقبل لهم يتعاملون ويتحاورون معه ويحمونه ويصوغونه لما بقي للثواب والعقاب أي معنى .

... إن الموتى لا يثابون أو يعاقبون لأنه لم يبق لهم مستقبل. وإذا عوقبوا وأثيبوا، ولا بد أن يحدث ذلك، فلن يكون ثوابهم وعقابهم إلا تخاطباً وتعاملًا مع مستقبل الأحياء وليس مع ماضيهم أي لن يكونا إلا مع الأحياء ومستقبلهم . . .

ماذا لو أن مستقبل الأحياء أصبح شيئاً لا يتعامل أو يتحاور معه الثواب والعقاب ولا يحميانه أو يصوغانه أو يؤثران فيه أي تأثير وأصبح هذا مفهوماً ومقررًا بلا خلاف أو شك؟

أليس محتوماً حينئذ أن يبطل كل ثواب وعقاب وكل معنى من معاني الثواب والعقاب؟

... إن الثواب والعقاب ليسا نشوة أو شهوة أو ممارسة جنسية، ليسا غناء أو رقصاً أو فرحاً أو طقوساً دينية أو تمجيداً أو تكريماً أو تعظيماً أو تكبيراً أو إسعاداً للذات المثيبة المعاقبة، وليس كذلك شفاء أو استجابة للحقد أو الغضب، ولكنهما تداو وجراحة بحثاً عن الشفاء والإنقاذ والحماية والجمال لمستقبل يبدأ من اللحظة الحاضرة. إن الثواب والعقاب ليسا تعبيراً عن الحقد والعداوة والبغضاء بالأساليب والنيات التي تعبر النبوات بها والقيادات والزعامات العربية عن أحقادها وبغضائها وعداواتها. إنهما أكثر تقى وذكاء من ذلك !

إن أي كائن إنسان أو غير إنسان لو أراد أن يعاقب نفسه عقاباً منطقياً أخلاقياً على ذنب أو خطأ فعلته لما عاقبها إلا تحاوراً وتعاملًا مع مستقبلها البادئ من اللحظة الحاضرة المتجهة إلى المستقبل .

وحتى لو أنه لم يرد من عقابها إلا إنقاذ ضميره من التأنيب والتعذيب لما كان هذا الإنقاذ إلا لضميره المقبل المستقبل البادئ من اللحظة الحاضرة لا لضميره الماضي . ولو

أنه لم يبق لهذا الكائن مستقبل يحياه، يرضيه ويغضبه، يتعذب فيه ويسعد، أو يفرح فيه ويحزن لما وجد أي حافز على معاقبته لنفسه . .

. . وكذلك لو أراد، أي هذا الكائن، أن يثيب نفسه أي بقصد الجزاء لها لا بقصد الإرضاء والإعطاء لها فقط . . !

. . . والآن يا إلهي الفاجع المحزن لكل من يحاول أن يقرأه أو يفسره أو يراه أو يحاوره أو يأمله أو يؤمله أو يسأله أو يفهمه أو يتفاهم معه أو يفهم نياته أو أهدافه أو خطواته أو حوافزه أو حتى يجده . لكل من يحاول أن يجعله معقولاً أو مفهوماً حتى موجوداً .

. . . نعم، والآن يا إلهي هذا أريدك أن تفارق خمolk واسترخاءك وغيبوبتك البليدة ولو لحظات لكي تستطيع أن تفكر معي في قضية ثوابك وعقابك في الحياة الثانية. أنا أحترق، أحترق كيف تصورت وتقبلت فكرة الثواب والعقاب أي أن تكون متقبلاً ومريداً أن تحدث كل الجرائم لكي تثيب وتعاقب عليها. !

. . . إن المستقبل كله قد مات في الحياة الثانية، إن كل شيء قد مات .

لقد ماتت كل احتمالات الخطأ والصواب . . . الاستقامة والانحراف . . الضلال والهدى . . الطاعة والعصيان . كل ذلك قد مات ومات انتظاره والمطالبة به والتحريض عليه . كما مات النهي عنه والتخويف منه والوعظ ضده . لقد مات أو توقف كل شيء . فلن يوجد من يستطيع أو يريد أن يفعل الخير أو الشر . إنه لا وجود لمن قد يفعل الشر لكي يعاقب من فعلوه ليكون زجراً لمن قد يفعلونه عن أن يفعلوه . . !

. . . وإنه لا وجود لمن قد يفعل الخير أو لمن يطالب بذلك لكي يثاب من قد فعلوه ليكون ذلك تحريضاً لمن فعلوه ولمن لم يفعلوه على أن يفعلوه .

. . . لقد ماتت الحياة التي تصنع أو التي يصنع فيها ما يستحق الثواب والعقاب . .

لقد ماتت كل تفاسير ومعاني الثواب والعقاب لقد ماتت أوامر الإله وطلباته . بل لقد مات الإله، مات . ! . أليست كل معاني الإله تموت في الحياة الثانية!

. . . إذن لماذا الثواب والعقاب وقد أصبحا لا يعنيان شيئاً؟

. . . إنك لم تعاقب أو تثب في الحياة الأولى حيث كان ينفع بل وينقذ أن تفعل ذلك لو فعلته بأسلوب حازم حاسم ذكي، بل لقد كنت تفعل العكس، كنت تملي

للضالين والفاستدين لكي ينخدعوا فيزدادون ضلالاً وفساداً كما فسرت لك ذلك في الصفحات الماضية . . .

فكيف تفعل حيث لا ينفع أن تفعل ولم تفعل حين كان ينفع أن تفعل؟

أين غاب وذهب ذكاؤك، كل ذكائك يا إلهي؟

. . . كيف لم تتعلم أي فن من فنون الستر على نفسك؟ عمرت كل هذا العمر

والتعمير دون أن تتعلم أو تعرف حتى ولو إلهاماً شيئاً من ذلك . . . !

أليس العمر الطويل يعلم حتى من لا يريدون أن يتعلموا؟

هل ما يعلم كل أحد لا يستطيع أن يعلمك أنت يا إلهي الذي لم يستطع ولا يستطيع أن يتعلم أو يعلم ما لا يحتاج تعلمه وعلمه إلى تعليم ولا إلى معلم؟ شيء مؤلم وفاجع ألا يعني طول عمرك أي تغير أو تطور في معرفتك أو أخلاقك أو رؤاك أو فنونك أو تجاربك أو حتى في قدرتك . . .

. . . شيء مؤلم وفاجع ألا يكون لطول عمرك أي حاصل، أي تغيير جيد أو مفيد في معنى من معانيك أو في أية صيغة من صيغ وجودك أو أخلاقك أو قدراتك أو أفعالك . . . !

. . . إن تطاول العمر لا يعني ويجب ألا يعني إلاّ تخطياً للذات، تخطياً لكيوناتها القديمة إلى كيونات أخرى أذكى وأقوى وأعلم وأتقى .

. . . إن تطاول العمر لا يعني ويجب ألا يعني إلاّ ولادات جديدة متفوقة متصاعدة في تفوقها . .

إن الكائن الحي لا يُولد ولادة واحدة ولكنه يُولد ولادات متعددة تعدد اللحظات والساعات والأعوام والدهور التي يمر بها ومنها وفيها وإلاّ فلن يكون إلاّ حجراً! وحتى الحجر فإنه لا يولد ولادة واحدة لا يتخطاها .

إذن هل أنت يا إلهي أقل من كل شيء حتى أقل من الحجر في ولادتك الواحدة لهذا لم تستطع أن تعلم ما لا يحتاج علمه والعلم به إلى تعلم أو إلى معلم . . .

. . . لهذا لم تستطع أن تعرف هذه القضية التي لن يستطيع أن يجهلها أحد سواك؟ كيف هذا؟ كل من حولك من أعوان ومستشارين كونيين وسماويين عجزوا أو هابوا أو جبنوا أو كسلوا أو جهلوا أن يعلموك هذا الذي لا يستطيع جهله . .

كيف حدث هذا؟ كيف؟ إنك لو استبدلت بهم أعواناً ومستشارين ولو من الأوطان

العربية لكانوا خيراً لك . فلماذا لا تفعل هذا الاستبدال؟ هل هو كسل أم عجز أم جهل؟
ثالثاً:

إن فكرة الثواب والعقاب مفسرة بفكرة ثوابك وعقابك فكرة رديئة وغبية جداً وغير أخلاقية بل وضد الأخلاق...!

لنفكر في هذا... حاكم أو زعيم أو قائد عسكري يفرض على رعيته أو أتباعه أو على جنوده أن يؤمنوا به وأن يطيعوه ويعبدوه ويقصدوه ويمتدحوه ويهتفوا له ويؤلفوا الكتب والقصائد في تمجيده وتنزيهه وتأليهه ويعلن أن كل من يطيع ويفعل ذلك فسوف يعطيه أضخم العطايا... يعطيه الجواري والعبيد والحرير والذهب ليكون حلياً وملابس له، ويعطيه كل ما يؤكل ويشرب ويشتهي ويستمتع به حتى الخمر والغلمان والقدرة الهائلة على ممارسة العلاقات الجنسية... ويعطيه الخمول والكسل والاسترخاء والفراغ الدائم دون أي اهتمام أو حماس أو تفكير في أي شيء أو بأي شيء أو لأي شيء سوى هذا الاستمتاع الجسدي البذيء الوقح الفضاح...

... أما من لم يفعل ذلك عصيانياً أو ضعفاً أو غضباً أو إباء أو شجاعة أو كرامة أو شهامة أو كبراً على الركوع إلى التراب وعلى التراب أو عجزاً عن الاقتناع باليد أو عن تقبل الافتضاح وممارسته أو عن الاستجابة للهوان، فيعلن ويقرر، أي هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد العسكري، أنه لا بد أن يوقع به كل العذاب وأقسى وأندل وأقبح وأسفه العذاب أي لأنه قرر وصمم أن تكون جبهته وقامته وهامته قامة وجبهة وهامة إنسان فيه كل نماذج الإنسان لا جبهة أو قامة أو هامة صرصار أو برغوث.

... أليس هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد سخيلاً وبليداً بل وصغيراً جداً في كل نماذجه وتفاسيره وخارجاً على جميع المقاييس الأخلاقية في كل شروطها وصيغها بل ومفسداً لها ومحرضاً على إفسادها معلماً لإفسادها؟

... أليس هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد جاهلاً ضد نفسه ومحقراً لها مسيئاً إليها جداً، صانعاً وواهباً ما يهبها كل معاني الذم والهجاء دون أن يصنع أو يهب لها أي نوع أو قدر من المجد أو الجمال أو الحب أو حتى القوة؟

ولكن هل وجد أو يمكن أن يوجد مثل هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد؟ وهل يقبل أن يوجد مهما كانت سفاهته أو بلاهته أو وقاحته أو أشواقه إلى العار والافتضاح؟ أليس هناك افتضاح يرفض جميع المفتضحين الافتضاح به؟

... نعم، هل وجد هذا الطراز من البشر لكي يتحول إلى شيء من الاعتذار عن

فضائح الإله، عن فضائحك يا إلهي، عن ضعف مستوياتك، ومستوياتك التي لن يوجد لها شبيه في ضعفها وفي خروجها على جميع التفسيرات المعقولة أو المقبولة أو المفهومة أو المغفورة بل أو حتى المفعولة؟

... نعم، لكي يقال: أيها الإله تعزّ، تعزّ ولا تمت انفجاءً وعاراً فقد وجدت لك أشباهاً ونماذج فيمن خلقت، فلست وحدك في حضيضك...!

ولكن وأسفاه يا إلهي. إنك وحيد، وحيد في قاع حضيضك.!

إن أحداً لن يستطيع أو يقبل أن يهبط الهبوط الذي يجعله يستطيع أو يقبل أن يساكنك في قاع حضيضك..!

إنك يا إلهي وحدك في حضيض حضيضك..!

إن أي كائن لن يستطيع حتى ولو أراد أن يهبط إلى حضيض حضيضك.!

... نعم، أي مجد أو سعادة أو فخر أو فرح لأي كائن في أن يمدح أو يطاع أو يسجد بين يديه بالثمن ببيعاً وشراء أو بالتخويف والتهديد؟

هل يوجد من يقبل ذلك علناً وجهراً بلا أي استتار أو اعتذار؟

هل توجد ندالة أو سفاهة أو سذاجة أو جهالة أو وقاحة أو بلادة تساوي ذلك أو تفعله؟ كائن يطالب بأن يمدح وبأن يرى كل الجمال والكمال بالوعد والوعيد.

هل يوجد مثل هذا الكائن خسة وجهلاً؟

... ثم أليس من يطيع هذا الحاكم أو القائد أو الزعيم تحت هذه الظروف وبهذه التفسيرات منافقاً وذليلاً كذاباً، جباناً، صغيراً، صغيراً في كل معانيه وتفسيره، لا يختزن في ذاته أي معنى كبير أو مجيد أو كريم يمكن أن يطمع فيه أو يطلبه أو يطالب به أحد ليكون له مجداً أو فرحاً أو سعادة أو قوة أو جمالاً لكي يدفع ثمنه مهما هان وصغر ثمنه؟

إنه أي هذا المطيع ليس مطيعاً بأي تفسير من تفسير الطاعة...

إن الطاعة ليست صيغة أو مظهراً أو لغة ولكنها معنى وتفسير ونية واقتناع ومحبة...

هل يمكن أن يحسب من يمدح أو يعبد أو يطيع طمعاً أو خوفاً مادحاً أو مطيعاً أو عابداً؟ بل هل يمكن أن يحسب صامتاً أو محايداً؟ بل أليس هاجياً ومحقراً بأجبن وأصغر

التفاسير والأساليب؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد محقر لكل تفاسير ومعاني الحب والإيمان مثلك يا إلهي؟

... أليس أمجد وأكرم وأشرف وأسعد لك أن تعصى وترفض ويكفر بك من أن تعبد وتطاع وتمدح وتشكر بهذه التفاسير والنيات والأخلاق؟ أليس من ينكر أقل تحقيراً لك ممن يبصق عليك؟

هل يوجد هجاء كالامتداح المدفوع ثمنه أو المطالب بثمانه؟

هل يوجد هاج لنفسه مثل من يقول أعبدوني واشكروني لكي أدخلكم الجنة؟

... ثم أليس الذي يعصى ويرفض بل ويكفر هو حينئذ الأتقى والأقوى والأصدق والأنبل إيماناً وهو وحده الذي يستحق الجزاء والتكريم بل والحب والاحترام أي حب واحترام المعصي المرفوض المكفور به إن لم يكن، أي المعصي المرفوض المكفور به، ندلاً وسفهاً وبليداً بلا حدود أو نموذج، أي إن لم يكن إلهاً عربياً أو زعيماً عربياً؟

... إن المطاع المعبود الممدوح بهذه التفاسير والحسابات ليس إلا مبصوقاً مستفرغاً عليه. لهذا فإنه لا يوجد ولم يوجد مبصوق مستفرغ عليه مثل الإله ومثل الحكام والسلاطين والقادة والزعماء والأنبياء العرب، في كل الكون، في كل التاريخ.

هل وجد أو يوجد مثل البصاق الذي بصق على وجه الإله العربي أو الزعيم العربي؟

آه. كيف لا يعلم الإله وجميع حُكام العرب وقادتهم وزعمائهم وأنبيائهم أنهم حينما يمدحون ويطاعون ويعبدون إنما يبصق ويستفرغ عليهم؟ وكيف لا يعلمون نوع هذا البصاق والاستفراغ عليهم؟

كيف لا يعلمون أنه أوقح وأقذر بصاق واستفراغ؟ كيف لا يعلمون؟

... كيف لا يعلمون من الذين يبصقون ويستفرغون عليهم، وما الذي يبصقونه ويستفرغون عليهم. وماذا يساوي بصاقهم واستفراغهم عليهم من المجد أو الجمال أو النظافة أو الكرامة؟

... كيف يمكن أن يكون انفجاعتك وأسأك أيها الإنسان العربي حينما تعلم أنه لا شيء يصنع السعادة والمجد والفرح والفخر لحكامك وزعمائك وأنبيائك وقادتك الكبار العظام مثل أن يستفرغ عليهم الضعفاء والجبناء والأغبياء ويبصقون عليهم ضعفهم وجبنهم وهوانهم بأسلوب الامتداح والتمجيد والحب والطاعة والعبادة لهم، هل

الامتداح في العالم العربي إلا استفراغ للضعف والحققد والندالة على الممدوح.

... لتعلم أيها الإنسان العربي أنه لم يبصق أو يستفرغ ولن يبصق أو يستفرغ على شيء أو أحد كما بصق واستفرغ ويبصق ويستفرغ على أعراض وأمجاد وكرامات وكبرياء وأسماء أنبيائك وخلفائك وحكامك وقادتك وزعمائك بل وإلهك بأسلوب الامتداح والتمجيد والعبادة والحب والولاء والطاعة والاتباع لهم. كيف؟

أأنت لا تعلم ذلك أيها الإنسان العربي؟

آه. هل الإنسان العربي يستطيع أن يجهل ما لا يستطيع جهله؟ كيف؟

من يستطيع التحديق في هذا المنظر أو المشهد؟

ها هو إنسان عار من كل ما يستر، من كل شيء إلا من جسده المغطى كله بكل التشوهات والدمامات والعاهات الرهيبة...!

وها هو شاعر أو خطيب أو واعظ يلقي بين يديه قصيدة أو خطبة أو موعظة ضاجة راقصة محلقة متوهجة متفجرة تتحدث بكل المباهاة والجرأة والرغبة الإعلانية عما في جسده من معجزات الجمال والاكتمال اللذين لا تستطيع كل الآلهة متحالفة متعاونة أن تبدعهما وتصوغهما بل ولا أن تتصورهما...!

نعم، هل يوجد من يستطيع أن يحدق في هذا المنظر أو يحضره أو حتى يتصوره؟ ولكن هل وجد مثل هذا المنظر أو المشهد؟

- نعم، أليس كل خليفة وسلطان وقائد وزعيم وحاكم ونبي عربي بل وإله عربي في كل زمان ومكان يصنع ويكرر هذا المنظر وحوله حشود المادحين والشاكرين والمؤمنين والمصلين العابدين الهاتفين المتضرعين المتحدثين عما في أقبح العاهات والدمامات والتشوهات العارية المتعرية في كل العيون من معجزات الجمال والاكتمال والعبقرية التكوينية الباهرة الساحرة لكل العيون الرائية بل والعيون العمياء؟

أليس التاريخ العربي أو الوجود العربي كله مؤلفاً من هذا المنظر أو المشهد؟ هل وجد أو يوجد في الحياة العربية مشهد أو منظر يساوي أو يشبه هذا المنظر في عراقته وأصالته أو في ديمومته؟

... أجل، يا إلهي أأنت في ثوابك وعقابك نموذجاً أو تقليداً رديناً جداً لهذا الحاكم أو الزعيم أو القائد العسكري الذي يفرض على أتباعه أو رعيته أو جنوده أن

يهبوه كل إيمانهم وعبادتهم ومدائحهم ليعطيهم ثمن ذلك أو ليقع بهم كل العذاب والهوان إن لم يفعلوا؟

بل ألسنت أردأ وأسفه وأصغر منهم جداً في كل تفاسيرك وتفسيرهم؟

كيف قبلت يا إلهي أن تصوغ نفسك أو أن يصوغك غيرك هذه الصياغة؟

من صاغك يا إلهي؟ هل صغت نفسك؟ هل صاغك غيرك؟ وكيف قبل أو استطاع أو عرف أن يصوغك كما صاغك؟

هل يمكن تصور معتد ومشوه ودميم وباحث عن الدمامة عاشق لها مثل من صاغك؟ كيف وجد من استطاع أن يهبط في جميع نماذجه وأشواقه ورؤاه الفنية والأخلاقية والفكرية والإبداعية كل هذا الهبوط لكي يستطيع ويقبل أن يصوغك كما جئت؟ أي إن لم تكن أنت الصائغ لنفسك؟

والسؤال المحير حقاً هو: كيف اهتدى من صاغك إلى النموذج الذي صاغك به وعليه سواء أكان الصائغ أنت أم غيرك؟

كيف اهتدى بعقله أو بخياله أو بفنه أو بحاجته أو بتمنياته إلى هذا النموذج الذي لا نموذج له، وهل يمكن أن يأتي النموذج من الفراغ المطلق؟ ونموذجك قد جاء من فراغ مطلق أي دون أن يكون مأخوذاً من أي نموذج آخر أو متأثراً به ومقلداً له أو موحياً به أي احتياج أو اضطرار أو تصور أو تمن أو منطق أو أخلاق أو عاطفة جيدة أو رديئة.

إنه، أي نموذجك، خروج على كل الاحتمالات والاحتياجات والتصورات وعلى كل القوانين والقيم والنماذج الوضعية والطبيعية والافتراضية والأخلاقية بل والخارجة على كل ذلك...

... إن أي شيء موجود أو متخيل لن يوحى بنموذجك أو يذكر أو يحتلم به أو يتصوره أو يراه ويتمناه أو يحتاج إليه أو يسعد أو يفرح به أو يرضاه نموذجاً له أو ملهه يلهو بها ويسخر منها وبها.

إن جميع الآلهة لو تجمعت كل تصوراتها في تصور واحد لما استطاع أن يتصور نموذجك!

... إن أي ممثل هازل أو جاد، صانع للأسى أو للفرح، للضحك أو للبكاء لن يجرؤ أو يستطيع أو يقبل أن يتخذ من نموذجك نموذجاً أو مثلاً لفنونه الهازلة أو العجاجة، الضاحكة أو الباكية ليقصه أو يعرضه على أطفاله أو على نظارته ليطلق فيهم

ومنهم الضحكات والسخریات أو الصرخات والأناث المفجوعة الرائية المتفجرة اشمئزازاً وأسى. إن أي كائن لن يجد فيك شيئاً يمكن أن يتعامل أو يتحاور معه بأي شيء من أخلاقه أو عقله أو فنونه أو تصوراته أو أمانيه. !

... إذن كيف ومن أين جاء نموذجك يا إلهي؟ إن أي قبح أو تشوه أو ألم أو عبث أو جنون أو أي شيء آخر يمكن تصويره على أنه نموذج ذاته وطبيعته غير المدبرة أو المخططة أو المرادة ولكن لا يمكن تصور شيء من ذلك على أنه نموذج تدبير أو منطق أو خلق أو فن أو قوة أو عبقرية.

... إذن يا كل أصدقائي، يا كل البشر وكل من ليسوا بشراً، يا كل من في هذا الكون وكل من هم خارج هذا الكون..

حذار أن يطالب أحد منكم الآخرين بأن يطيعوه أو يعبدوه أو يمدحوه أو يشكروهم أو يهتفوا له ليعطيهم ثمن ذلك جواري وغلماًناً ولبناً وخمراً وحريراً وذهباً وخملاً وكسلاً وفراغاً كثيباً بليداً، أو أن يحذرهم من ألا يفعلوا ذلك له لئلا يصنع لهم أقسى وأقبح عذاب في أعماق أقسى وأقبح جحيم..

... حذار، حذار أن يفعل أحد منكم هذا أو هذا لئلا يكون مثل هذا الإله، لئلا يهبط إلى هذا الحضيض الذي لا يستطيع الهبوط إليه سوى نموذج هذا الإله...

هل يقبل أن يتحمل أحد أن يكون فيه شيء من منطق أو من أخلاق أو من شهوات أو من أنانيات هذا الإله أو من تاريخه أو من صداقاته وعلاقاته بنفسه أو بغيره أو بمن وما خلق أو زعم أنه خلق؟

بل إن جميع من يعاملونك وتعاملهم وكل من يحبونك ويحترمونك ويعبدونك ويرجونك ليتمنون أن تكون نقيضاً حاداً لنفسك في كل كينوناتك ومعاملاتك وشهواتك يا إلهي المرفوض.

... نعم، إنه قد يوجد بل لا بد أن يوجد من لا يستطيعون أو يريدون أن يكونوا قساة أو متوقحين في تصورهم وفهمهم لك بل رحماء بك مشفقين عليك، باحثين عن التفاسير المحابية لك ضد نظرات العقول المحدقة فيك، واضعين على ذاتك، على وجهك الكثير من الأصباغ والملابس المجملة المزورة لتستر وتخفي عن العيون النازرة إليك ما لا تستطيع رؤيته مغطياً لكل وجهك وجسدك ولكل تاريخك وتفاصيلك... وحينئذ لا بد أن يقولوا أي هؤلاء الرحماء المشفقون المحاولون الستر على من لا

يستطاع الستر عليك والتجميل لما لا يمكن تجميله، والإخفاء لدمامات لا تستطيع كل أجهزة وأدوات ووسائل الإخفاء إخفاء شيء منها.

- نعم، لا بد أن يقول هؤلاء حينئذ: إنك يا إلهي لم تكن في قصة وعدك ووعدك بالثواب والعقاب إلاّ واعظاً ومحرضاً كاذباً أي كذباً نبيلاً بريئاً...

لقد قلت ذلك حينما كان الثواب والعقاب والوعد والإيعاد بهما شيئاً قد يكون مفيداً... لقد أردت بهذا الكذب البريء النبيل أن تصلح وتعالج وتنقذ...

أما هنا أي في الحياة الثانية فلم يبق للثواب والعقاب ولا لانتظارهما أي نفع، لهذا لن تنفذهما ولا سيما العقاب...!

ولأن تكون يا إلهي كذاباً وبليداً وساذجاً عاجزاً خيراً وأفضل وأنفع لك ولغيرك من أن تكون وقحاً وحشاً فاعلاً ما لا يعقل أو يفيد... من أن تكون نذلاً وسفياً. ما أنبلك كاذباً خيراً إذا كان البديل أن تكون صادقاً شريراً...!

ولكن قد يضعف أو يفسد أو يرفض هذا الدفاع الطيب النبيل الرحيم عنك أنه لا يكذب أو لا يجوز أن يكذب لتحقيق شيء نافع أو جيد إلاّ من لا يستطيع أن يحقق ذلك بغير الكذب...

... إنسان أو كائن يستطيع بلا أية معاناة أو عجز أو كذب أن ينال شيئاً يريده هل يمكن أن يحاول نيل هذا الشيء بالكذب أي أن يؤمل نيته بالكذب دون أن يناله بل مع استيقانه بأنه لن يناله بالكذب مهما كذب؟

هل تقبل يا إلهي أن تكون هذا الإنسان أو الكائن الذي لن يكون سواك إن وجد؟
... إن أردأ أو أقبح أو أقسى ما فيك يا إلهي أن جميع المدافعين عنك مهما كان حماسهم وذكاؤهم بل وعبقريتهم وفدائيتهم وإخلاصهم لن يستطيعوا أن يبلغوا بل أو أن يؤملوا شيئاً مما يريدون... إنهم مهزومون، مهزومون...
... إنك الكائن الوحيد الذي لا يعني أو يساوي انتصاره إلاّ ضعف وغباء وهزيمة جنوده...!

... إنك يا إلهي الكائن الوحيد الذي لن ينتصر جنوده أو محاموه أو محبوه أو المشفقون عليه الراحمون له في أية معركة أو قضية...

... إنك الكائن الوحيد الذي لا ينتصر إلاّ حيث لا توجد مقاومة أو منافسة أو حتى محاورة...!

... إنك الكائن الوحيد الهازم المذل الفاضح لكل من يريدون أن يروه أو يعرضوه أو يثبتوه أو يقرأوه أو يفسروه أو يمتدحوه أو يحبوه أو ينتظروه أو يبشروا أو ينافسوا به بل أو يجدوه...!

... إنك الكائن الوحيد الهازم المخجل لكل العيون التي تريد أن ترى جماله، ولكل العقول التي تريد أن تفهم وتفسر عقله، ولكل الأخلاق التي تريد أن تتلاءم أو تتعامل مع أخلاقه، ولكل أدوات ووسائل الستر والإخفاء التي تريد أن تخفي عيوبه وذنوبه أو تستر عليها، ولكل عمليات التجميل التي تريد أن تصوغ أي شيء فيه ليكون جميلاً بل ليبدو أو ليرى جميلاً أو لكي لا يكون كل القبح والنشوه والوقاحة...

إنك الكائن الوحيد الذي لن يكون مقبولاً أو معقولاً أو مفهوماً أو جميلاً أو كريماً أو رحيماً أو ذكياً أو تقياً إلاً بالآ تكون خالفاً أو فاعلاً أو مدبراً أو مرثياً أو أمراً أو ناهياً، بل إلاً بالآ يكون موجوداً أو متهماً بأنه موجود أو أنه قد يوجد أو أنه قد كان موجوداً.

... إنك يا إلهي الكائن الوحيد الذي لن يستطيع أن يراه أو يقرأه أو يحاوره أو يفسره أو يفهمه أو يكتبه إلاً الأميون... الأميون الذين لن يستطيعوا أن يكونوا رائيين أو قارئين أو كاتبين أو محاورين أو مفسرين أو فاهمين...

... إنك الكائن الوحيد الذي لولاه لما وجد أي زنديق أو فاجر أو مجرم أو قاتل أو ظالم أو كذاب أو منافق أو نذل أو وقح أو سفيه أو جبان أو تافه أو حساب أو عقاب أو جحيم أي كما يقول أنبيأؤه والمؤمنون به، بل الذي لولاه لما وجد أي عاص أو مغضب أو مؤلم أو مشوه له أو كاذب عليه وكاذب به أو هاج أو شاتم أو محقر له..

حتى الكافر بك والشاطم العصي لك، إنه لولاك لما وجد أو وجدوا...

... إنك الكائن الوحيد الذي لا يشاء أو يفعل ما يحبه ويسره ويرضيه ويطلب به والذي يشاء ويفعل ما لا يحبه أو يسره أو يرضيه وما يطلب بنقيضه... إنك الكائن الوحيد الصانع لنفسه الغيظ والغضب والأسى والعصيان والهزيمة والتحقير بمشيئة وتخطيط وتدبير بل وبفرح عظيم!

... إنك الكائن الوحيد الذي لم تهن أو تهبط أو تسفه وتجهل العقول والأخلاق والتصورات مثلما هانت وهبطت وسفهت وجهلت لكي تستطيع أن تراه أو تجده أو تعقله أو تحترمه أو تتصوره أو حينما أرادت أن تفعل ذلك أو أن يفعل بها ذلك!.

... إنك الكائن الوحيد الذي لا تستطيع أن تراه إلاً العين المتوقفة عن الرؤية بل الكائن الذي لا يستطيع أن تراه أية عين إلاً بعد أن تصاب بالرؤية المضادة لكل الرؤية

والذي لا يستطيع أي عقل أن يعقله أو أن يعقل أي شيء فيه إلا بعد أن يصبح بلا أي شيء من معاني العقل أي إلا بعد أن يصبح عقلاً مضاداً لكل العقل، مفكراً ضد كل التفكير، والذي لا يستطيع أن تتعامل أو تتوافق أو تتفاهم معه أية أخلاق إلا بعد أن تموت فيها أو تسحب منها كل تفاسير الأخلاق أي إلا بعد أن تصبح في كل معانيها وأشواقها مضادة لكل الأخلاق ومسحوبة منها كل الرؤى والحسابات والمحاکمات والنماذج والأحاسيس الأخلاقية . . !

. . إنك الكائن الوحيد الخارج على كل نماذج وشروط وأماني العقل والمنطق والأخلاق والحب والفنون والقوانين والجمال واللاعن المهدد بكل العقاب كل من يخرج على شيء من ذلك، كل من يخرج على شيء مما أنت خارج عليه . . !
. . إنك يا إلهي المذنب كل الذنوب الذي لا يغفر لغيره أي ذنب من الذنوب .
أعني لا يأذن لغيره بأي ذنب من الذنوب التي يفعلها هو بكل الجهر والفخر . . !

الجحيم والفردوس ثواباً وعقاباً

قال أطفالك الأنبياء إن الثواب والعقاب اللذين قررتهما وأعددتهما في الحياة الثانية هما الجحيم والفردوس. !. قالوا ذلك فهل علمت يا إلهي؟

. . وقبل محاسبتك على هذا الثواب والعقاب وعلى ضخامة سخائك فيهما رأيت أن أسألك بكل الانفجاع عن شيء كيف عجزت أو جهلت أن تسأل نفسك عنه. . !

لماذا قاسيت وقاسيت في تصور وتخيل هذا الثواب والعقاب وفي التفكير والتدبير والتخطيط والإعداد والإخراج لهما، وفي خلق وحشد الزبانية الغلاظ الشداد وغيرهم وغيرهم ليكونوا موظفين وحراساً ومعذبين فيهما وعليهما وقابلين لأن يكونوا أو يظلوا أبداً كذلك دون أن تحاسبهم أو تعاقبهم أو تزجرهم أو تلعنهم أو تمنعهم ضمائرهم أو أخلاقهم أو تقواهم أو عيونهم أو قلوبهم أو رحمتهم أو أي معنى من معاني الكينونة والتكوين فيهم ليشمئزوا أو يكرهوا أو يغضبوا أو يشفقوا أو يستنكروا فيعلنوا الرفض والعصيان والتمرد على ما كلفوا به بل ويعلنوا الثورة على من اختارهم لذلك وكلفهم به، بل ويلقوا به أي بمن اختارهم لذلك وكلفهم به - يلقوا به هو إلى هذا العذاب فهو وحده الذي يستحقه؟

. . . كيف وجدت هؤلاء الموظفين في جحيمك وفردوسك الذين لن يتخلق فيهم أي ضمير أو قلب أو خلق أو رحمة أو رؤية أو غضب أو رفض أو اشمئزاز أو تدين من أي نوع أو بأي مقدار؟ حتماً أنهم لو عايشوا أو حتى حاوروا أي نوع أو قدر من التدين لنهاهم وزجرهم عن أن يظلوا موظفين في هذه الوظيفة التي لا مثيل لها في قذارتها ونذالتها وقسوتها وفي هوانها وقبحها بل وفي جنونها. . . إنه لا يوجد خارج على أخلاق وأوامر الدين والتدين مثل الإله. !

. . . وما هو الثمن الذي من أجله قبل هؤلاء الموظفون وظائفهم هذه في الجحيم

بل وفي الفردوس؟ هل قبلوا ذلك بلا أي ثمن؟ وهل يمكن تصور ثمن يمكن أن يقبل ثمناً أو أجراً للقيام بهذه الوظيفة أو الوظائف؟

رهيب، رهيب أن يقبل ذلك بلا ثمن، ورهيب، رهيب أن يقبل بأي ثمن حتى ولو أصبح كل شيء كل الكون له ثمناً، بل حتى ولو أصبح الإله نفسه بعض الثمن. . . ! إن امتلاك الإله نفسه لن يستطيع أن يكون جزاء أو عزاء لكائن فرض عليه أن يكون أحد زبانية الجحيم يوقع العذاب بسكانه ويشاهد عذابهم ويسمع صرخاتهم ويقيم الحراسات لئلا يهربوا وينجوا.

. . . حتماً يا إلهي الأليم كانت مقاساتك النفسية والفكرية والتصورية والفنية والأخلاقية فادحة جداً حينما ذهبت تتصور وتخيّل الجحيم والفردوس وتفكر وتدبر وتخطط لإعدادهما وإخراجهما وفي خلق وحشد وإعداد الزبانية الغلاظ الشداد الأندال الذين سوف يكونون موظفين وحراساً وجلادين فيهما وعليهما بكل الإخلاص والهوان والطاعة بلا عصيان أو غضب أو رفض أو حتى استنكار أو اشمئزاز أو احتجاج أو حتى شك أو مساءلة، كل الزمن وإلى نهاية الزمن وبلا نهاية للزمن، بل وبلا زمن. ! كيف يطبق هؤلاء ما يفعلون؟ أليس التخليد لصانع التعذيب مثل التخليد للمصنوع به التعذيب أي إن لم يكن أقسى وأندل! إنه حتماً أندل!

. . . نعم، لماذا قاسيت هذه المقاساة المجنونة في خلقك للجحيم والفردوس وفي خلقك لزبانيتهما؟ لماذا دبرت لنفسك هذه المقاساة الشريرة وأوقعتها بها؟

ما الثمن أو المجد الذي ظفرت به أو وعدت به نفسك أو احتلمت به إذا أنت فعلت ذلك؟ هل يمكن أن يكون لذلك أي ثمن أو مجد؟ وهل يقبل أي ثمن لذلك؟ كيف قبلت أن تتحول إلى أضحوكة أليمة ساخرة حين تقول: إنك خلقت هذه وهذه ثواباً وعقاباً مضطراً لأنه قد وجد من يستحقون هذه ثواباً وهذه عقاباً؟

ألست أنت المدبر المريد الفاعل لهذه وهذه ولمن تزعم أنهم يستحقونها؟ فلماذا أوجدت وأردت بادئاً من يستحقون وما يستحقونه، معذباً ومحقرّاً وهاجياً بذلك قلبك وعقلك وضميرك وعينيك وأخلاقك وكل مواهبك وتفاسيرك؟ لماذا أصبحت تستحق كل الرثاء حتى رثاء أقسى الأعداء؟

. . . هل يمكن أن يوجد من يقاسي أقسى المقاساة لكي يصنع سجن تعذيب رهيباً، ثم يذهب يقاسي أيضاً أقسى المقاساة لكي يوجد من يستحقون أن يعذبهم في هذا السجن أو من يرى أو يزعم أنهم يستحقون ذلك لكي يضعهم ويعذبهم فيه. دون أن

يكون مضطراً إلى أن يفعل ذلك ودون أن يكون له أي نفع فيه، بل لكي يقاسي كل العذاب والانفجاع والروع في رؤية ومواجهة ومعاشة ذلك؟ آه. لقد صنع أو خطط أو أريد سجن التعذيب، إذن لا بدّ أن يوجد المعذبون المستحقون للتعذيب فيه ولو سحبوا من الفردوس لثلا يظل أي سجن التعذيب بلا معذبين. لقد أريد أن يوجد السجن إذن لا بدّ أن يوجد من يسكنونه.

. . ففكر في سلوكك هذا يا إلهي. هل فكرت فيه؟ أرجوك أن تفكر فيه لقد اضطررت إلى أن تقاسي كل العذاب والوقاحة والنذالة والافتضاح والعار والوحشية لكي تصنع الجحيم والفردوس وحراسهما لأنه قد خلقت من يستحقون الخلود فيهما. . . نعم، لأنك قد فعلت ذلك. !

ولكن لماذا خلقت من يستحقون ذلك؟ هل سألت نفسك هذا السؤال؟

كيف تعاني في خلق من يستحقون التعذيب لكي تذهب تعاني في خلق أجهزة وأدوات وموظفي التعذيب وفي توقيع ومواجهة التعذيب وفي رؤية المعذبين وسماع صرخاتهم وآهاتهم؟ كيف تفعل ذلك؟

ما مصلحتك أو لذتك أو فرحك أو مجدك في أن توجد من يستحق العذاب لكي توجد العذاب؟ هل يمكن تصوّر من قد يفعلون ذلك أو حتى من يتصورونه؟

آه. من علمك تفكيرك ومنطقتك وأخلاقك؟ هل يوجد من يقبل أن يكون معلماً لك؟

. . . إن جميع العقلاء بل وغير العقلاء قد يصنعون أو حتماً يصنعون التعذيب وأجهزته ومنفذه لأنه قد وجد ولو في رأيهم وحسابهم من يستحقون ذلك أي ولو في رأيهم وحسابهم ونظامهم ومصلحتهم. ولكن أحداً منهم لن يصنع من يستحق التعذيب لكي يصنع التعذيب وأدواته ومنفذه. .

وإن أحداً منهم أيضاً لن يصنع التعذيب وأجهزته وزبانيته لكي يذهب يصنع من يستحقون ذلك ومن ينفذ فيهم ذلك. إن أغبياء وأضخمهم وأصلهم سفهاً وحماقة لن يفعل ذلك. !

. . . إذن يا إلهي من وضع فيك أو علّمك كل هذه البلادة وكل هذا السلوك الذي لا شبيه له في بلاهته؟ وهل يمكن أن يوجد أغبياء أو بله يستطيعون أن يهبطوا إلى غبائك وبلهك لكي يتهموا بأنهم هم معلموك ذلك؟

. . ليتنا يا إلهي نستطيع أن نعلمك شيئاً من العقل أو التعقل ومن السلوك المعقول أو المتعقل أو حتى المقبول. . ليتنا. ليتنا. هل يوجد كائن لا يتعلم سواك؟

. . إنه لا يوجد مثل الإله احتياجاً إلى أن يتعلم. ! . ولكن هل يوجد أو هل وجد من يشبهه عجزاً عن أن يتعلم؟ أيها المعلمون في كل الكون هل تستطيعون تعليم الإله؟

آه يا إلهي لقد تعمدت أن تخلقني مستحقاً للجحيم لكي تذهب تقاسي وتقاسي لكي تخلق الجحيم الذي أستحقه بكل أدواته وأجهزته وموظفيه ووقاحاته وقبحه وجنونه. آه كم أنا حزين من أجلك، من أجل عذابك من مقاساتك لصنع عذابي.

إني حزين القلب والضمير من أجلك يا إلهي لأنني أعذبك بإعدادك وتخطيطك وصنعك العذاب لي. إني آسف جداً.

. . . آه يا إلهي. كم يجب الرثاء لك. كم يجب الرثاء لعقلك وقلبك وضميرك وذكائك وأخلاقك ولكل تفسير من تفاسيرك.

. . . كم يجب الرثاء لك لأنك وجدت وقبلت أن توجد وأن تمارس وتعيش وتواجه وجودك. !

. . . آه يا إلهي هل أنت موجود؟ هل تقبل أن تكون موجوداً؟

هل يوجد عدوان عليك أو هجاء أو تحقير أو تصغير أو اتهام لك مثل أن تكون موجوداً؟

هل يوجد من يفعل بك ولك كل ذلك مثل وجودك أو غير وجودك؟

. . . آه يا إلهي اغفر لي، سامحني إن كنت قد حسبتني وقحاً أو متوحشاً أو ندلاً فظاً أو عدوانياً أو محقراً مهيناً إلى المدى الذي يجعلني أفكر في أنك موجود أو في احتمال أن تكون موجوداً! أو في أن أتقبل كونك موجوداً أو في أن أغفر لمن يزعمونك موجوداً. آه. هل يوجد من يستحق أن تذرف كل الدموع من كل العيون رثاء له لأنه قد وجد أو اتهم بأنه قد وجد سواك يا إلهي؟

. . . إنك الكائن الفريد الذي لا جمال ولا ذكاء ولا نظافة ولا براءة له من أن يكون الفاعل لكل الذنوب والدمامات والوقاحات والفضائح والعار إلاً بالألا يكون موجوداً.

ولأنني أريد لك هذا الجمال والذكاء والبراءة والنظافة فإني أرفض أن أتصورك موجوداً. إني أحاكمك لثلاث تكون موجوداً. !

نعم، إن محاكمتي لك ليست إلا أسلوباً صارماً وصديقاً من أساليب الإصرار على تبرئتك من أن تكون موجوداً!

إني بمحاكمتي لك إنما أحاكم من يتهمونك بأنك موجود!

أليس الذين يتهمونك بأنك موجود إنما يعنون ويريدون بل ويعلنون أنك أنت المدير المخطط المريد الفاعل بكل الإصرار والنشوة لكل آلامهم وأحزانهم وعاهاتهم وتشوהاتهم وهزائمهم وفضائحهم وعارهم وخطاياهم بل والحافز المخطط لكل قبورهم والغازل الناسج الخائط لكل أكفانهم، بل والواضح الحاشد المعلم المدرب في أجسامهم وثيابهم وبيوتهم وغرف نومهم كل قملها وجراثيمها وبرايغيشها وصراصيرها وذبابها وكل حشراتھا؟

... إذن هل يوجد متهم مثلك محسوباً موجوداً، أو متوحشون وأنذال في اتهامهم مثل من زعموك وأعلنوك موجوداً؟

إذن هل يوجد من يستحق التبرئة من وجوده مثلك أو من يستحقون أقصى العقاب والحساب مثل من اتهموك أو يتهمونك بأنك موجود أو بأنك قد وجدت أو قد توجد؟ أليس من يزعمونك موجوداً يا إلهي يتهمونك بأنك أنت واضع القملة والجراثومة في رأس وصدر الطفل اليتيم؟

... إذن هل يوجد دفاع عنك يساوي في نبلة وتقواه وشهامته دفاع من يناضلون ويناضلون ليبرئوك من هذه التهمة، تهمة إنك موجود، أي من اتهامك بأنك أنت خالق وواضع القملة والجراثومة في جسم الطفل اليتيم؟

... إذن كم يستحق هؤلاء المناضلون من الشكر والثناء والحب والثواب؟

كيف يوجد أو كيف وجد من يعجزون عن فهم هذه الحقيقة؟

ثم بكل الاندهاش واللهفة أسألك: ما الذي تخسره أو تخاف أو تتوقع أن تخسره لو أنك لم تصنع الجحيم العقاب والفردوس الثواب ونزلاءهما؟

هل تخشى أن تصبح وحيداً وعاطلاً بلا عمل ولا وظيفة ولا لعبة أو ملهه وأن لا تطيق ولا تريد ذلك وتراه كل العذاب والخسران والضياع فاخترت أن يكون لك عمل ووظيفة وملهه ولو في أهوال هذا الجحيم، ولو في خرافات وسخافات هذا الفردوس، كما اخترت أن يكون معك وحولك آخرون لثلا تكون وحيداً ولو كان هؤلاء الآخرون

هم المعذبين في هذا الجحيم والمتعطلين الفارغين في فردوسهم لكي تسعد وتلهي بالاستماع إلى صرخات وأنات المعذبين وبرؤيتك لهم يقاسون عذابهم ، وأيضاً لكي تسعد وتلهي باستماعك إلى قهقهات وضحكات هؤلاء المتعطلين الفارغين في فردوسهم الخرافي وبرؤيتك لهم وتحديقك فيهم وهم يمارسون شهواتهم البذيئة العارية مع جواريتهم وغلمانهم وفي أنهار خمورهم وألبانهم - يمارسون ذلك في مكان واحد متواجهين متنافسين عراة يصرخون ويغنون ويتدافعون من التفاهة والفراغ ومن نشوة الممارسات الرخيصة الوقحة؟ فظيع وبذيء أن تتصور نفسك من سكان هذا الفردوس أو من المشاهدين لهم يمارسون فراغهم . .

عيب، عيب يا إلهي، عيب لا يستطيع غفراته أن يكون هذا التفسير هو التفسير لخلقك هاتين اللعبتين البلديتين المخيفتين أي الجنة والنار بكل أوصافهما وسكانهما وظروفهما القبيحة المجنونة . !

إنه لعار كل العار أن توجد هذه النار أو هذه الجنة في أي تصور . !

من يحتمل أن يكون هو أول من تصورهما؟ كيف ومن أين يجيء التصور الأول لأي متصور أول؟

. . . هل تقبل أن تتهم بأنك لا تستطيع أو لا تعرف أن تتخيل أو تصنع شيئاً هو أذكى أو أبقى أو أنبل أو أجمل أو أرحم من هذا الجحيم وهذا الفردوس لتجد لك فيه أي في هذا الشيء عملاً ووظيفة وملهاة ولعبة، ولتجد فيه أيضاً أي في هذا الشيء آخرين حولك ومعك وداخل عينيك لئلا تكون وحيداً أي إن كانت حاجتك إلى ذلك هي التي ألهمتك وألزمك أن تخلق جحيمك وفردوسك بنزلائهما وأوصافهما؟

جريمة وسفاهة هما أكبر من كل الجرائم والسفاهات إن كنت تستطيع وتعرف أن تخلق هذا البديل، وجهل وضعف هما أجهل وأضعف من كل ضعف وجهل إن كنت لا تستطيع أو تعرف أن تخلق هذا البديل . !

ما أقسى وأردأ الخيار أمام من لا بد أن يراك إما فاعلاً وعاشقاً لأكبر الجرائم والسفاهات وإما متصفاً ومحكوماً بأجهل وأضعف الجهل والضعف . !

هل يمكن أن يوجد كائن هو اما كل هذا الإجرام والسفه وإما كل هذا الجهل والضعف وإما كل هذا سواك يا إلهي؟ بائسة هي العقول والأخلاق والقلوب والعيون التي تريد أو تحاول أن تراك أو تقرأك أو تقبلك أو تحبك أو تفهمك . !

. . . نعم، يا إلهي أرجوك مكرراً أن تسمع مني هذا السؤال الصادق الساخن

البريء : ما الذي كنت تخشى وتتوقع وتحسب أن تخسره لو أنك لم تحقر وتلوث عقلك وضميرك وفنونك وأخلاقك ويديك وعينيك وتاريخك وكل تفاسيرك بإرادتك وتدبيرك وتخطيطك وخلقك لجحيمك الذي زعمته عقاباً وفردوسك الذي زعمته ثواباً؟ كيف عجز خيالك يا إلهي عن أن يتصور عقاباً غير هذا الجحيم أو ثواباً غير هذا الفردوس؟

... كم أتمنى يا إلهي أن تصدقني وثق بي وتسمع مني ولو هذه المرة الواحدة حين أؤكد وأقسم لك أنك لن تخسر شيئاً لو لم تفعل ما فعلت أي في قضية جحيمك وفردوسك... هل أنت بسيط وساذج إلى الحضيض الذي يجعلك لا تفهم ذلك؟ فطبع، فطبع أن تكون كذلك.

... نعم، أرجوك، صدقني وثق بي واسمع مني ولو في هذه القضية فقط. إذن هل أنتظر منك أن تندم وتأسف وتراجع وتصدق وتثق وتسمع فتلغي وتهدم جحيمك وفردوسك معلناً أنك كنت ساذجاً ومغفلاً جداً حينما حسبت أنك بدونهما تخسر شيئاً، أي شيء؟

... آه. ما أجمل وأعظم وأنفع أن يتعلم الإله من الإنسان. وما أقبح وأردأ وأخسر أن يتعلم الإنسان من الإله.!

ما أتقى وأذكى الإله الذي يتعلم ويسمع من الإنسان وما أجهل وأقسى وأغبى الإنسان الذي يتعلم ويسمع أو يريد أن يتعلم ويسمع من الإله.

إن كل حضارة ومعرفة لم تولد أو توجد إلا حينما كان الإله يتعلم ويسمع من الإنسان. وإن كل بداوة وجهالة لم تولد أو توجد أو تبقيا أو تعظما أو تنتصرا إلا حينما كان الإنسان يتعلم ويسمع من الإله.!

إن كل المعارف والحضارات إنما تعلمها الإنسان من الإنسان، وإن كل الجهالات والحقائق والبلادات والبداوات إنما تعلمها الإنسان من الإله، من منطق الإله وأخلاقه وفنونه ونظامه وغرائزه وتخطيطاته ومن بداواته التاريخية والكونية والتكوينية بل والنفسية.!

ولكن أليس الإله هنا مظلوماً ومكذوباً عليه ومكذوباً به؟

أليس الإله هو أبداً متعلماً لا معلماً؟

أنت كل العقل لأنك كل الجنون

كل شيء فيك يا إلهي يصنع أقسى الغيظ والغضب والانفجاع والأسى لمحاوريك وقارئك ومحاسبيك ومحاكميك أي لو وجدوا...!

... أنت فاجع لكل من يريدون أن يروك أو يفسروك بشيء من المنطق أو الأخلاق أو الاتزان أو الجمال أو النظام أو الحب. ولكن هل وجد هؤلاء؟

أنت بكل صيغك وتفاسيرك وفنونك وحساباتك وضرباتك ومصافحاتك هازم ومحرج لكل من يريدون أن يهبوك أي شيء من احترامهم أو تعظيمهم أو توقييرهم أو حتى من الصمت عن اشمئزازهم واستقباحهم..

... إنك يا إلهي الكائن الذي لن يجد فيك أي باحث عن الجمال أو الذكاء أو العقل أو التعقل أو الفن أو الحب أو الشهامة أي شيء مما يبحث عنه...!

... إن كل العيون لو تجمعت في عيون واحدة لترى فيك أي قدر أو لون من الجمال لما استطاعت أن تراه حتى ولو ركبت فيها كل العيون الصناعية..!

... وإن كل العقول لو تجمعت في عقل واحد ليجد فيك أي لون أو قدر من العقل لما استطاع أن يجده..

... وإن كل القلوب المحترقة بالحب وشوقاً إلى الحب وإلى ما يصنع الحب ويرويه لو تجمعت كلها في قلب واحد ليداوي بك وليصب فيك كل حبه لما استطاع أن يجد فيك أي شيء يهبه أي شيء من حبه أو يطفئ أي شيء من حرائق حبه أو حتى يحاوره أو يحرق فيه حبه...!

... وإن مفسري الشهامات لو تجمعوا ليقروك ويفسروك ويحاسبوك لكي يجدوا فيك أي تفسير من تفاسير الشهامة ولو احتمالاً وتمنياً لما وجدوا أي شيء من ذلك، بل

لوجدوا كل النقيض بكل القبح والقسوة والافتضاح والشمول والوقاحة حتى ولو تعلموا من أنبياء وشعراء وخطباء وأدباء ومفكري العرب تفسير كل شيء رديء بنقيضه . !

... إنك الكائن السحري الذي قد أصبح كل الجمال والحب والذكاء والعقل والأخلاق والشهامة، أو الذي رأى واعتقد كل ذلك لأنه لم يكن فيه أي شيء من ذلك، بل لأنه كان النقيض الحاد الشامل لكل ذلك !

... إنك الساحر الذي صنع وعلم مسحوروه ساحرهم سحره . !

... إنك الكائن الذي لم تفقد العيون والعقول والأخلاق والضمائر كل صدقها وشرفها وذكائها وكبريائها وبسالتها ورؤيتها وشهامتها وجميع وظائفها بل ولم تصبح نقيضاً لكل ذلك إلا في رؤيتها وفهمها وتفسيرها وقراءتها ومعاملتها ومخاطبتها واحترامها لك وفي زعمها أنها قد وجدتكم حينما حاورتكم أو ساءلتكم أو انتظرتكم أو أنها احترمتكم أي حينما علمت أن تحترمكم وأرادت وأحبت واحتاجت واشتقت أن تحترمكم أو زعمت ذلك !

... نعم، يا إلهي إن إحدى التهم الكبرى الموجهة إليك أو التي يجب أو لا بدّ أن توجه إليك هي أنك مجنون، ولا بدّ من الاعتذار هنا إلى جميع المجانين لأنهم لا بدّ أن يشعروا أنهم قد ظلموا وأهينوا أكثر مما يستحقون حين تحسب يا إلهي واحداً منهم . إن جنونك يا إلهي ليس هو الجنون الطيب المعقول الذي يداويه ويحكمه الأطباء والعقلاء بل الذي يباركه ويوزعه الأطباء والعقلاء .

... هل يستطيع أي مجنون مهما كان جنون جنونه أن يقدر أو يقرر هذا الثواب والعقاب اللذين قررت وقدرت لمن رأيت وزعمت أنهم عبدوك وأفرحوك، ولمن رأيت وزعمت أنهم لم يفعلوا لك وبك ذلك ؟

... الخلود في جحيمك أو في فردوسك لهؤلاء وهؤلاء بلا نهاية أو توقع نهاية، بلا حساب للزمان بل بلا زمان يحسب أو يتحرك أو يصنع أملاً في أي تغيير أو تراجع أو انقضاء . لقد مات الزمن، مات . وإذا مات الزمن فلا نهاية لشيء لا نهاية لأي شقاء أو سعادة .

... من ابتكر لك أو علمك أو ألهمك هذا الثواب والعقاب أو فكّر لك فيهما؟ وهل يمكن أن يوجد أي مبتكر أو معلم أو ملهم لذلك أو مفكر فيه حتى ولو كان أعظم مجنون أو أعظم عاقل مجنون أو أعظم عاقل عبقرى في تصويره وتعليمه وتخطيطه وصياغته للمجنون؟

من هذا الماكر الأعظم الذي استطاع أن يدس على عقلك وضميرك وأخلاقك
واتزانك فكرة هذا الثواب والعقاب؟

... أجل، إن أرداً وأعظم الجنون لا يستطيع أن يصنعه أرداً وأعظم المجانين،
وإنما يصنعه ويريده أرداً وأعظم العقلاء أو من يزعمون كذلك. !. إن أعظم العقلاء هم
وحدهم الذين يخططون لأعظم الجنون!

... أليس العظماء العقلاء في كل التاريخ هم أعظم جنوناً من كل المجانين؟

بل أليس العظماء العقلاء هم كل المجانين في كل التاريخ، في كل المجتمعات؟

أليس ما صنعه عاقل واحد من الجنون في لحظة واحدة من لحظات التاريخ
لا يستطيع جميع المجانين في كل التاريخ أن يكتبوا أو يقرأوا أو يفسروا سطرًا واحدًا من
سطوره أو أن يصبحوا سطرًا واحدًا من سطوره؟

نعم، أليس العظماء العقلاء هم صانعي ومعلمي ومصدري كل الجنون؟

... إذن لن ينتظر أعظم الجنون إلا من أعظم العقلاء أي من يحسبون ويفسرون

كذلك؟

... فهل بهذا التفسير جاء جنونك يا إلهي أعظم جنون بل أعظم جنوناً من كل

جنون؟ هل جاء جنونك كل الجنون لأنك لك العقل والضحامة والقوة؟

أو هل أردت أن تكون كل الجنون لأنك تريد أن تكون كل العقل والقوة
والضحامة؟

أو هل فسرت بكل الجنون لأن مفسريك يريدونك كل العقل والضحامة والقوة؟

... إن كل الطغاة القتلة المجانين قد رضي واكتفى وشبع طغيانهم المجنون بأن

يكون القتل أي الإعدام أي سلب الحياة من الكائن الحي هو أعلى وأقسى عقاب لأقسى
وأعلى ذنب أو خطيئة أو جريمة، ولأبشع تمرد وخروج عليهم وعلى نظمهم وقوانينهم
وحكمهم، بل هو أعلى وأقسى عقاب لمحاولة قتلهم بل لقتلهم ولل كفر بهم ولل دعوة
إلى الكفر بهم.

ولعل الكثيرين من هؤلاء الطغاة المجانين كانت ضمائرهم أو عقولهم أو أخلاقهم
أو حتى وحشيتهم تعاقبهم أو تشاتمهم أو حتى تعاتبهم أو تسائلهم أو تطالبهم بالتوبة
والاستغفار والندم والاشمئزاز حين كانوا ينفذون هذه العقوبة أو يأمرؤن بتنفيذها، مع
أنهم حينما يفعلون ذلك أي الإعدام زجراً أو عقاباً إنما يفعلونه تحت رهبة الخوف

وإملاء الضرورة والاحتياج إلى حماية الذات أو السلطان أو النظام أو القانون أو العقيدة أو المجتمع الذي يريدونه ويحكمونه !

... حتى أنت قد جعلت القتل أي الإعدام في شرائعك وكتبك التي أنزلت علينا هو أقصى وأقصى عقوبة لأكبر وأخطر وأردأ ذنب وإجرام...
إنك لم تطالبنا أو تشرع لنا بأن نعاقب عقاباً أكثر من القتل أو مع القتل...
لم تقل لنا عذبوا القاتل أو العاصي أو الكافر أو المجرم بالنار بدل الإعدام أو مع الإعدام.

... فلماذا إذن لم تجعل القتل أي الإعدام هو الحد الأقصى لأي عقاب؟

كيف خرجت في جنون وقسوة عقابك على كل ما عرف وفعل وأقر كل المشرعين والمعاقبين حتى أعظمهم جنوناً وطغياناً واحتياجاً إلى الإرهاب والإذلال وتوكيد السلطان مع أنهم هم محتاجون إلى أن يوقعوا العقاب والقسوة وأنت لست محتاجاً إلى ذلك كما تزعم؟ هم محتاجون إلى ذلك دفاعاً عن أنفسهم وإرادة لها. فهل أنت كذلك؟

إن كل من جمعت في الحياة الثانية قد عاقبتهم أقصى عقوبة يعاقب بها أكبر ذنب وكل ذنب. لقد قتلتهم، أعدمتمهم موتاً... لقد عاقبت بهذه العقوبة حتى من لم يبلغوا طور من يعدون مذنبين !

... إذن لماذا خرجت على كل القوانين والأديان والأخلاق والعدالات والتقاليد وذهبت تعد لهم عقاباً آخر في الجحيم، الجحيم الذي لن تستطيع كل النفوس والعقول والأخلاق والتمنيات المريضة الحاقدة الشريرة العدوانية بكل الوحشية أن تتصور مثله أو أن تتقبله عقاباً لأي مذنب أو لأي عدو؟ صعب جداً أن نتصور كيف أمكن أن تولد صور هذا الجحيم في أي خيال...

... وأنت لم تعاقب هؤلاء الذين تريد أن تحاسبهم لتعاقبهم، لم تعاقبهم بالموت أي بالقتل فقط الذي هو أقصى عقاب لأكبر ذنب، بل لقد أوقعت بهم كل ألوان وأكوان العقوبات بل العدوانيات قبل أن تعاقبهم بالقتل...

أنزلت بهم أقصى وأوقع وأقبح وأنذل الأمراض والعاهات والتشوهات والمجاعات والمخاوف والهجوم وكل الشرور والآلام...

وشر من كل ذلك أنك حكمت عليهم وأعلنت حكمك عليهم جميعاً بالإعدام منذ وُلِدوا ليعيشوا ويتحركوا تحت رهبة وتوقع التنفيذ لهذا الحكم عليهم في كل

لحظاتهم... ليتربوه متطلعاً مهدداً حاملاً كل الأسلحة وكل أدوات ومركبات القتل والتعذيب، متسللاً مهاجماً مخترقاً زاحفاً نافذاً من كل الآفات والأبواب والنوافذ والشقوق...

من كل ما يرى ويلمس ويواجه ومن كل ما لا يرى أو يلمس أو يواجه...
من كل ما يؤكل ويشرب ويشتهي ويراد... من كل ما يصنع الفرح والنشوة والسعادة من كل رقصات القلب وخفقاته وهمساته وخطواته ونداءاته...
... ليتربوه متلصصاً متنكراً حتى في ضحكات السحاب وقطراته وابتساماته وفي حنين الأنهار وحنانها، في تقبيل واحتضان الزهرة واستنشاق شذاها، وفي هبات النسيم ونداه. وفي أصفى وأتقى معانقة حب وحنان...

... إنه لا يمكن وجود أو حتى تصور إرهاب قذر نذل سفيه مهين مثل أن يكون كل كائن حي مهدداً، وهو يعلم، كل لحظات حياته بأن ينفذ فيه حكم الإعدام، بكل أساليب وأدوات الإعدام وبشر الأساليب وشر أدوات الإعدام... ينفذه فيه كل شيء، حتى أعضاؤه وغدده وخلاياه وثيابه قد تنفذه فيه أية لحظة، شاهرة معلنة أو مخفية كل أسلحة التنفيذ، تنفيذ الإعدام؟

هل يمكن وجود أو حتى تصور كائن متوحش نذل وقح عدواني مثل الكائن الذي يدبر ويريد ويفعل هذا الإرهاب، أو كائن بائس محطم معتدى عليه مثل الكائن الذي يواجه هذا الإرهاب منفذاً فيه بكل الحتم والقبح والقسوة؟
للتصور هذا:

كائن يذهب يصنع لنا أعظم الأشياء في زعمه لكي نسعد ونفرح ونتحول إلى شكر وحب دائمين خالصين له كل أوقاتنا. بكل طاقاتنا.

... إنه يضعنا في غرفة مملوءة ومحاطة ومحاصرة بالحشرات والجراثيم والوحوش والحيوانات الجائعة المفترسة بلا أية حراسة أو وقاية من أي نوع، لنكون وحدنا غذاء وفرائس هذه الكائنات. وإنه أيضاً ليضعنا في سفينة سابحة في الفضاء مسددة إليها كل الأوقات من كل الجهات كل أجهزة وقذائف الإسقاط والتفجير والتحريق والمطاردة والقتل والإرهاب. والسفينة بلا أية حماية أو مساعدة من خارجها! ليتك تستطيع أن تعلم يا إلهي المنان بما يجب أن تدم وتعاقب عليه لا بما يمكن أو يجوز أن تمن به أو تطالب بالشكر أو بالحمد له.

- نعم، يا إلهي ليتك تستطيع أن تعلم أو حتى تفهم حينما أقول لك: إن جميع هؤلاء الذين جمعتهم هنا بكل مشاعر المن والتفضل لتتحدث إليهم عن نعمائك وحقوقك عليهم، ولتحاسبهم وتعاقبهم على أخطائهم وخطاياهم التي قدمتها إليك وقرأتها عليك أجهزة مخابراتك وجاسوسياتك، لم يكونوا في حياتهم الأولى التي تريد أن تعاقبهم وتحاسبهم عليها بكل مشاعر المن والتفضل والكبرياء والجبروت - لم يكونوا إلا مثل هؤلاء الذين وضعوا في هذه الغرفة ومثل هؤلاء الذين ألقى بهم في هذه السفينة، بل لقد كانوا أردأ وأسوأ حظاً ووضعاً وأقسى إرهاباً وتعذيباً .

لقد كان وجودهم إرهاباً وعقاباً وإذلاً وترويعاً شاملاً دائماً بكل الأساليب والوسائل .

... لقد كانت حياتهم ووجودهم أسلوباً رهيباً شاملاً دائماً من أساليب الإرهاب والعقاب لا شبيه له في جميع أساليب الإرهاب والعقاب . . .

... إن حياتهم ووجودهم لم يكونا شيئاً يمكن أو يجوز أن يطالب له بثمن أو أن يدفع له أي ثمن أو يستحق أي ثمن أو أن يمن أو يباهي به أي كائن مصاب بأقسى أمراض المن والمباهاة مثلك يا إلهي المصاب بكل الأمراض المعروفة وغير المعروفة والتي لا يمكن أن تصبح معروفة بل التي لا يجوز أو يعقل أو يغفر أن تصبح معروفة . !

بل لقد كانت حياتهم ووجودهم تحت كل الصيغ والظروف والمستويات إرهاباً وعدواناً وتحقيراً وتحطيماً ودمامات وتوقعات ومهانات لا تستطيع كل العقوبات أن تكون شيئاً قليلاً من العقاب الذي يستحقه الكائن الذي تصور وأراد ودبر وخطط ونفذ حياتهم ووجودهم ليحيثا كما جاء، أي من العقاب الذي تستحقه أنت يا إلهي الذي لا مثيل له متهماً ومجرماً ولا مثيل له بريئاً . يا إلهي الذي لا مثيل له براءة ونظافة إن لم يكن موجوداً، والذي لا مثيل له إجراماً وقبحاً وتلوثاً وخسة وعدواناً لو كان موجوداً . !

ومرة أخرى لنقرأ هذا:

كائن فرض الوجود على كائن حي آخر دون أن يستأذنه أو حتى يخبره، وأمره أن يحيا وأن يحافظ على حياته وأن يستمسك بها مهما كان قبحها وعذابها وهوانها ونذالتها، بل مهما كانت ذلك فقط . .

ثم حوله إلى هدف مكشوف من كل جهاته، ثم سدد إليه كل السيوف والسهام والرماح والخناجر وكل وسائل القتل والتشويه والتجريح، قابضة عليها أيد باطشة متحركة عدوانية، وأطلق عليه كل ما يصيب بكل الأمراض والعاهات والآلام والمآسي

والمخاوف وجميع الاحتمالات والتوقعات الرهيبة الكثيرة ثم بالموت المنتظر في كل اللحظات . .

إنه في كل لحظاته أين كان يتوقع كل أنواع الإصابات والضربات من كل الأيدي التي لا ترى .

. . هل يمكن تصوّر مجرم أو سفیه وقح مجنون يستحق كل العقاب والسباب والاحتقار مثل من يفعل ذلك؟

ألست يا إلهي أنت وحدك الفاعل لذلك؟ إن أحداً سواك لن يستطيع أو يريد أو يتقبل أن يفعله مهما كان هبوطه الأخلاقي والعقلي والإنساني تحت كل حضيض .

إني يا إلهي في هذه اللحظة والقلم في يدي ليخط هذه الكلمة موجهة إلى كل الأيدي كل الأسلحة الضاربة والجارحة والمشوهة والقاتلة التي لا ترى!

إن الحياة التي يحيها أو التي كان يحيها كل الأحياء ليست إلّا نموذجاً بائساً وأليماً لحياة هذا الكائن الذي فرضت عليه الحياة أو أوقعت به الحياة أو زرعت فيه الحياة أي في هذا التصور الذي تصورناه . .

إن هذه الحياة في الواقع نموذج رهيب لهذه الحياة في التصور بكل آلامها وأخطارها ومخاوفها وهوانها وقبحها وتشوهات وخسراتها وبكل توقعاتها ونهاياتها العابثة السخيفة الدليلة وبكل تفاسيرها التي ليست لها أية تفاسير .

كفى تعبيراً عن قسوة وجرائم وعدوان وجهالة صانع وواهب هذه الحياة، إنه لا يستطيع التخلص أو الحماية من فظاعاتها هذه إلّا بالضربة الأخيرة القاتلة . . ! ولكن التعود الطويل، الطويل عليها بالرؤية والممارسة والالتزام وبالتعاليم . . والتفاسير والمداخل لها وبعنف ضغوطها وإملاءاتها المتوحشة المذلة القاهرة لكل رفض واحتجاج واشمئزاز وتفكير ومنطق بل ولكل تساؤل .

- نعم، ولكن هذا التعود الطويل الأليم المذل جعل الذين يحيونها لا يرونها، بل جعلهم يرونها في غير أزيائها وثيابها وذاتها . . جعلهم يرون وجهها في كل المرايا غير وجهها . . يرون وجوهاً كثيرة ليس وجه واحد منها .

هو وجهها . . لماذا ابتكرت وحمدت المرايا وخلقت العيون؟ أليس لكي ترى الأشياء والوجوه غير الأشياء وغير الوجوه أي أجمل وأعظم؟

هل يوجد من يريد أن تكون العيون والمرايا صادقة أي ترى ما ترى بلا تزوير؟

... نعم، كم هو قليل أو نادر أو شاذ جداً أن يرى الكائن الحي مهما كان طوره التكويني والذاتي بعينه أو بمنطقه أو بأخلاقه أو بنماذجه أو بكرامته أو بكبريائه أو حتى بتعاليمه وشعاراته، أو كم هو مستحيل. !

... ولكن كم هو محتوم أن يرى باحتياجاته ومجاعاته وبضروراته وآلامه وأعصابه ومخاوفه ومواجهاته وبذنوبه وهمومه وبعاره وهوانه وهزائمه، أو كم هو محتوم أن يرى بها وحدها. !

.. كم هو محتوم أن يرى الكائن الحي العاقل والصادق جداً، بخطوات يديه ورجليه وبآلام يديه ورجليه وبأهواء واتجاهات يديه ورجليه أكثر وأعمق مما يرى بعينه، بتحديق عينيه، بمواجهة عينيه، بقدرة عينيه على الرؤية؟

إن العيون ترى بالأقدام والأيدي أكثر من العكس أو دون العكس. !

... كم هو محتوم أن يرى بآلام وتشوهات وقدرة قدميه أقوى وأفسى مما يرى بقوة الإبصار في عينيه. ...

... أن يرى برغبة عينيه أكثر وأصدق مما يرى برؤية عينيه. . هل العيون عيون أم هي جهاز ضد العيون؟

هل العيون للرؤية أم هي حارس من الرؤية؟ هل يوجد من يطيق أن يرى مهما رأى؟

... إن الألف الطويل يقتل أو يضعف أو يفسد الانفجاء والاندهاش والاستنكار والاشمئزاز والتعجب والغضب بل والرؤية والتساؤل. إن الألف الطويل إذلال وترويض وإسكات بل وإغلاق لكل تحديات الإنسان الشجاعة المحاوراة المحاكمة. إنه هزيمة شاملة للإنسان لكي يرى كل دميم وذميم جمالاً وكمالاً. .

... إنه يصنع علاقة صداقة وشوق ورضا وتوافق بل وأحياناً يصنع علاقة حب وإعجاب وانبهار وتعبد بين الكائن وبين أقبح وأوقح وأردأ وأنذل وأغبي الأشياء. إنه لولا الألف لما استطاعت العيون أو العقول أن ترى أو تعقل أو تقبل أو تحترم أو حتى تغفر. ... !

... ماذا يساوي جمال أو ذكاء أو عظمة أو نظافة أو ضخامة أو نفع كل الأشياء أو أكثر الأشياء أو أي شيء لولا طول ألفنا له بالرؤية والمواجهة والممارسة والسماع والتعاليم والتلقين المختلف الصيغ والملقنين؟

... حديق في وجه الإله وفي عضلاته وعقله وأخلاقه وتاريخه . .

حديق في عيني الإله وفي ضميره وقلبه وذاته وأزيائه . . حديق، حديق.

... هل يمكن أن ترى أو تجد أي شيء من الجمال أو الذكاء أو القوة أو الحب أو المجد لولا ألفنا الطويل لرؤية ومواجهة وممارسة ومعايشة كل الدمامات والبلادات والتشوهات والهافات والخطايا والنقائص مزعومة هي أعلى مستويات جمال الإله وذكائه وأخلاقه وقوة عضلاته، وكذلك لولا ألفنا الطويل للاستماع إلى الامتداح والتمجيد المجنون لكل هذا الذي نرى ونواجه ونمارس ونعايش، وللإستماع إلى التهاويل، التهاويل في امتداح وتمجيد جمال وجه الإله، وذكاء عقله، وقوة عضلاته، ونبيل أخلاقه وتاريخه؟ هذا الإنسان العادي الذي يهرب التحديق في وجه الإله خوف أن يصعق انبهاراً بجماله كيف ومتى رأى وجهه وجماله؟

. . حديق في أي شيء، في أجمل وأعظم شيء . . حديق في عمليات التوالد أو في علاقات الأمومة والأبوة، أو في الممارسات الجنسية أو في الجسد الإنساني وفي أعضائه الظاهرة والمستترة، أو في المائدة الضخمة الشهية التي تعني حتماً الذهاب بهوان واستسلام ومسكنة إلى مكان الاستفراغ لأنها أي المائدة تتحول إلى فضلات تستفرغ بمذلة واستقذار واستحياء واختفاء . . .

آه. ماذا تعني المائدة؟ إنها تعني حتماً الذهاب إلى ذلك المكان الوقح البذيء .!

... حديق في الإنسان مصلياً راکعاً ساجداً باكياً متضرعاً قارئاً كتابه المقدس . .

... حديق فيه محارباً منتصراً أو منهزماً، مبايهاً بانتصاره أو منكسراً ذليلاً بانهزامه . .

... حديق فيه مصادقاً أو معادياً، ملاعناً أو مادحاً، محباً أو مبغضاً . .

... حديق فيه حزيناً أو مسروراً، ضاحكاً أو باكياً، راثياً أو شامتاً، هاجياً أو هاتفاً، مريضاً أو صحيحاً، طفلاً أو شيخاً، عزيزاً أو ذليلاً .

... حديق فيه واقفاً أمام المرأة، أمام نفسه، أمام وجهه، محدقاً في تحديقه .

حديق فيه محدقاً في وجهه واجداً فيه كل الجمال والمجد والعظمة والسحر . . !

حديق فيه محدقاً إلى المرأة محاوراً مغالاً متضرعاً لها واجداً فيها كل الحكم عليه وكل الحكم له . . .

... حديق فيه فوق مهده، فوق نعشه، في ثيابه، في كفته . .

... حـدق فيـه فـوق عـرشـه أو فـوق أـرضـه، قـيـصـراً أو رـعيـة .
.. حـدق فيـه كـاسـياً أو عـاريـاً، نائـماً أو مستيقظاً، مشوهاً أو سليماً، نحيلاً أو
بديناً .

... حـدق في الشـمـوس والنـجـوم والمـجـرات وفي الأـنـهـار والسـحـاب والـحـقـول .
... حـدق فيـها عـامـلة نـفـسـها مـتـعـامـلة مـع غـيـرها ذاهبة آتية بلا أشواق أو أهداف دون
أن تريد أو تدري أو تستطيع أن تكون أو لا تكون. دون أن تعرف ماذا تفعل ولا لماذا
تفعل ولا لمن تفعل ولا من جعلها تفعل ولا لماذا كانت أو متى كانت أو مما كانت .
دون أن تستطيع أن تقبل أو ترفض تحب أو تكره أو حتى تسأل أو تختار شيئاً من
كينوناتها أو من معاملاتها أو علاقاتها أو متى ينتهي هذا التسخير السخيف العاثر لها
وهل ينتهي وهل يستفيد منه أحد، ومن هو هذا الأحد الذي من أجل تحقيق فائدته أو
بحثاً عن فائدته أو رجاء أن يستفيد من ذلك تسخر هذا التسخير الذليل الضخم السخافة
والغباء والسفه .

حـدق فيـها نـاظـرة بـكل البـله والعمى إلى من يتعاملون بها ويبصقون عليها كل
أوحالهم وقبحهم .

حـدق، حـدق في قـلبـك وضمـيرك ونيـاتك وأخـلاقك وأعضـائـك وثـيـابـك وفي آبائـك
وأبنائك وأربابك وأنبيائك وزعمائك وفي بداياتك ونهاياتك . . .

... حـدق في إيمـانـك وكـفـرك، في شـكـك ويـقـينـك، في تقـواك وفـجـورك، في
مذهـبـك وفي عـدائـك المـذهـبي، حـدق جـداً في عـيـني إلهـك اللـتين تـريـان كل شـيء، كل
هذا كل الأوقات دون أن تتقاطر منهما دمة واحدة في أي موقف!

... حـدق في بـيتـك وقـبرـك، في مـعـبـدك ومـلـهـاك، في عـرسـك ومـأتمـك . .

حـدق في عـيـني الإله المـحـدقـتين في كل هـذه الآلام والتشوهات والمهانات
والنذالات والذنوب بلا أية رؤية أو انفجـاع واعتذار أو تصحيح أو غضب أو حتى أسي
أو دمة .!

آه يا عـيـني الإله . هل يـوجـد مثـلكـما بـلادـة وقـسوة وعمى؟ آه يا عـيـني الإله .

... نعم، حـدق في كل ذلك وانظر ماذا ترى أو تجد لولا ألفك الطويل لكل ذلك
رؤية وممارسة وتعليماً وتمجيذاً بل وتديناً وإيماناً .

لولا عـجـزك عـن أن تـرى أو تـقرأ أو تـسأل أو تـحـاسب أو تـشـترط؟!

نعم، ماذا لو أنك رأيت الإله يرى كل هذا دون أن يفعل شيئاً بل أو يحزن أو يفجع أو يبكي؟

إذن لماذا النار والعقاب بالنار وأنت قد عاقبت كل المذنبين ومن لا ذنب لهم بالموت أي بالقتل وهو أقصى عقوبة لأعظم ذنب في الشرائع والقوانين التي رآها وقررها ونفذها أرحم وأتقى الأنبياء والمؤمنين وأقصى الطغاة والجبارين؟ إنك بالموت قد استوفيت كل ما لك من حقوق وشهوات في القصاص والعقاب، أو كل ما تزعمه لنفسك من ذلك دون أي احتمال بأن يكون زعماً معقولاً أو مغفوراً. وهل يمكن أن يكون لك أي حق على أي شيء أو على أي أحد؟ إن كل الحقوق عليك وليس منها شيء لك.

... والمأساة الكبرى أو الجريمة الكبرى إنك لم تعاقب كل المذنبين وكل من لا ذنب لهم بهذا العقاب وحده. بل لقد جعلت كل حياتهم من بدايتها حتى نهايتها سلسلة شريرة متواصلة الحلقات بل مركبة الحلقات من العقوبات بل الاعتداءات المتعددة المتنوعة الأساليب والصيغ والأسلحة والضربات والأيدي الضاربة حتى لقد جعلت الموت أي القتل أي قتلك لكل كائن حي هو قمة رحمتك ونبلك وحبك المنقذ من شرور هذه العقوبات والاعتداءات.!

وإني هنا لأختار لك هذه التعريفات الصادقة والأليمة جداً:

إنك الكائن الذي لا ينقذ من عدوانه وتعذيبه وعقابه إلا قتلته أي إلا أن يكون قاتلاً..

.. أو إنك الكائن الذي لن يستطيع أن يكون رحيماً إلا بأن يكون قاتلاً..

... أو إنك الكائن الذي لن ينتظر أحد رحمته إلا بأن يقتله...

بالقتل، أو الكائن الذي لا تكتمل رحمته أو يبلغ قمة رحمته إلا بأن يقتل ضحيته.!

... أو أنك الكائن الذي لن يتفر أحد رحمته إلا بأن يقتله..

الذي لن ينجو أو يأمن أي كائن من غدراته وضرباته إلا بأن يضربه الضربة القاتلة..

... أو إنك الكائن الذي لا خيار له إلا في أن يكون محارباً معادياً مهدداً أو في

أن يكون قاتلاً. إلا في أن يخيف ويهدد ويؤذي ويجرح ويضرب أو يقتل.!

... أو إنك الكائن الذي لا يستطيع أن يرى كائناً إلا معذباً مفجوعاً مروعاً أو

مقتولاً... الذي لا بد أن يضرب ويستمر يضرب كل أحد وأي أحد دون أن يتوقف عن الضرب أو يتعب من الضرب حتى يقتله؟
... أو أنك الكائن الذي لا يشفي أحقاده على الأحياء إلا بأن يقتلهم..

... أو إنك الكائن الذي حرم من كل متعة، متعة الطعام والشراب والنوم والجنس والصداقة والحب والأصدقاء والأبناء والأقرباء، ومن الاستمتاع بأي نوع من المهدئات أو المسكنات أو المنومات أو المفرحات، فحاول أن يعوض عن حرمانه هذا، فذهب يضرب ويضرب ويظل يضرب حتى يقتل وحينئذ يندم على القتل لأنه يحرمه من أن يضرب ويضرب ويظل يضرب، إذن فالعلاج أن يذهب يخلق كائنات حية جديدة أخرى لكي يظل يضرب ويضرب ويضرب. ألسنت تكرر الخلق لكي تكرر الضرب؟

... أو إنك الكائن المفتون بممارسة الرياضة البدنية والعقلية والنفسية بل والأخلاقية دون أن يجد وسيلة يمارس بها غوايته هذه غير أن يذهب يضرب ويضرب بكل عضلاته وقدراته وانفعالاته كل أوقاته على كل الاتجاهات بلا هدف أو تحديد أو تسديد أو منطق أو اختيار أو تفسير أو تنظيم... يضرب، يضرب من لا يحتمل أن يحسب مستحقاً وتخطئ ضرباته من قد يحسب مستحقاً جداً... ينفق العين ويقطع أو يشل اليد اللتين يزعم أنهما يجب أن تسلما وتحميا، ويخطئ العين واليد اللتين يزعم ويرى أنهما يجب أن تضربا وتفقد... يضرب اليد التي تشيد المعبد له وتكتب كتابه المنزل ويخطئ اليد التي تهدم المعبد وتحرق كتابه المنزل... ولكن دون أن ينجو أحد من جميع ضرباته المطلقة بل المنطلقة بلا تحديد أو تسديد أو رؤية أو فكرة. هل حدث يا إلهي أن تركت أحداً أو حتى أخذت أحداً إليك دون أن تضربه ولو الضربة القاتلة؟

... نعم، إن ضرباتك كضربات الطبيعة. إنها تنطلق منك ولا تطلقها كما تنطلق ضربات الطبيعة، لهذا فإنك والطبيعة تضربان بلا تحديد أو تسديد أو رؤية أو فكرة وبلا أي هدف مقصود أو مختار أو معروف أو مرئي!

... ومن يضرب بهذا الأسلوب والتفسير فلا بد أن يضرب نفسه. والطبيعة لهذا تضرب نفسها بل لعلها لا تضرب إلا نفسها. فهل أنت أيضاً يا إلهي تضرب نفسك؟ ولعلك تقول وهل يوجد ضارب لنفسه مثلي أو غيري!

... إن جميع تصرفاتك تدل على أنك مضروب، مضروب وأبدأ تضرب ضربات مخربة معوقة مفسدة لكل حالاتك ومستوياتك وقيمك النفسية والعقلية والأخلاقية والعصبية...!

إنه ليس هناك أي احتمال بأن تكون سوياً أي بأن تكون غير مضروب ضربات هادمة مشوهة لكل نماذج ذاتك ومعانيها وتعبيراتها. . !

وهل يمكن أن يكون ضاربك غيرك أو أن تكون ضارباً غير ذاتك؟

إنك مهما ضربت غيرك فإنك لست ضارباً إلا نفسك وأنه مهما كان المضروب غيرك فإنه ليس إلا إياك أي فإنك أنت المضروب وحدك.

. . . ان من يضرب يديه وعينه وعقله وتخطيطه وتدبيره وإرادته وعمله فلن يكون ضارباً إلا نفسه. إذن فأنت أيها الإله حينما تضرب أي شيء فلسنت ضارباً إلا يديك وعينيك وعقلك وإرادتك وتدبيرك وتخطيطك وإبداعك أي ما عملت وفعلت وبنيت. ألسنت أنت المستفرغ على ذاتك وعلى جميع معانيك وحينما تستفرغ أية حشرة أو جرثومة على أي شيء؟

. . . كذلك أي كائن غيرك حينما يضرب أي شيء أو أحد في هذا الكون فلن يكون ضارباً إلا يديك وعينيك وأذنيك وعقلك وقلبك وتدبيرك وتخطيطك وإرادتك وأعمالك وإنجازاتك وفنونك. !

كذلك فإن كل من يكره أو يلعن أو يحتقر أو يعيب أو يذم أو يهدم أو يقتل أي شيء أو أي أحد أو أي كائن حتى ولو كان حشرة إنما يفعل ذلك بك أنت، بكل معانيك التي أرادت وشاءت ودبرت وخططت وصاغت كل شيء وكل أحد. إذن كم أنت مضروب ومسبوب ومكروه ومحقر ومذموم ومهدوم ومقتول. !

آه يا إلهي كم أقاسي من العذاب والخجل حين أعتقد أو أحسب أنك محتاج إلى أن أعلمك ذلك وأحاول بكل المعاناة والحماس أن أقنعك به. !

. . كم أقاسي من ذلك حين أجدني معلماً لإلهي وأجد إلهي محتاجاً إلى أن أعلمه. . . ؟ كيف يمكن أن تكون رؤيتي لنفسي حين أجد أن إلهي محتاج إلى أن يعلم مثل ذلك ويقنع به لأنه لم يستطع أن يعلم بلا معلم ما لا يستطيع جهله؟

أليست تفاسير الإله تفاسير لمن تصوره وآمنوا به، تفاسير لرؤاهم وأخلاقهم وتطلعاتهم وتمنياتهم وتحليقاتهم ولطموحهم وأطوار تاريخهم؟

. . . هل يمكن أن يتصور أو يتمنى أو يختار أو يخلق الإنسان الذكي أو الشريف أو النظيف أو العظيم أو الشجاع أو الشهم أو الأخلاقي إلهاً مناقضة صفاته لهذه الصفات؟ هل يمكن أن يكون إله المتحضر بدوياً أو أن يكون العكس؟

هل يمكن أن يكون إله أو نبي الأُمِّي غير أُمِّي أو يكون إله أو نبي غير الأُمِّي أُمِّي؟
أليس إله الإنسان هو الإنسان، هو إحدى صيغه أو أحد أطواره التاريخية جاء باسم
أو بتعبير آخر؟ أليس التمثال هو الفنان صيغ ذاتاً أخرى أو في صورة أخرى؟
أليس إله الإنسان هو إحدى لغات الإنسان المعبرة عنه في كثير من مستوياته وفي
أحد مستوياته أو في كل مستوياته؟ أليس الإله هو إحدى رؤى الإنسان وتفسيره للتاريخ
والوجود وتصادمه وتناقضه معهما وبهما؟

.. إذن كم يجب عليّ يا إلهي أن أتعذب وأحزن وأخجل لأنك بهذا المستوى من
العجز عن فهم ما لا يستطيع العجز عن فهمه؟

... إنك يا إلهي أنت صيغتي ورؤيتي وطموحي وخلقي واختياري أنا الإنسان..!

إنك التعبير الأليم عن عذابي وعجزتي وجهلي وضياعي ومجاعاتي!

.. إذن كم يجب عليّ أن أتعذب وأحزن وأحترق خجلاً وعاراً حين أراك وأجدك
كما رأيته ووجدتك، حين أجدك محتاجاً إلى أن أعلمك ما لا يحتاج أحد إلى أن
يتعلمه لكي يعلمه. إنك يا إلهي هجاء لمواهي لأن مواهي هي التي تصورتك ورأتك
واختارتك وصاغتكَ..!

... نعم، ما أعظم مجدك أو مأساتك حين تجد أنك محكوم عليك بأن تكون
معلماً لإلهك دون أن يكون قادراً أو مريداً أن يتعلم شيئاً مما تقاسي لكي تعلمه إياه.
وهل أنت تعلم إلهك؟ أجل إن كان إنسان لا بدّ أن يكون معلماً لإلهه وإن لم يعرف أن
كل البشر في كل تاريخهم يعلمون آلهتهم كل شيء دون أن تتعلم آلهتهم شيئاً مما
يعلمونها. إن كل من يدعو إلهه أو يطلب أو ينتظر منه أو يؤمل فيه أو يشكو إليه أو
يصرخ أو يئن أو يبكي من المرض أو العجز أو الظلم أو القبح أو من أي ألم أو خوف
أو عار أو فساد أو طغيان.

- نعم، إن كل من يفعل ذلك مع إلهه وفيه وبه وأمامه وتضرعاً إليه إنما يعلمه
بأقصى وأقوى أساليب التعليم. إن الدموع والأنات هي أقصى معلم للإله!

- إنها أقصى رفض وتعبير وتأنيب وتفسيق وتوبيخ واتهام له..!

... إنه يقول له بأقصى وأذكى وأتقى الأساليب التعليمية: تعلم يا إلهي مستويات
أخرى من الأخلاق والذكاء والمنطق والرحمة والحب والحماس والنشاط والإبداع
والتدبير والتخطيط والإخراج أرقى من جميع مستوياتك.. تعلم أن تكون إلهاً بتفسير إله
لا إلهاً خارجاً على كل تفاسير الإله..!

... إنه يقول له تعلم أن ترى وتعامل وتصوغ وتفهم كل شيء وكل أحد بأساليب غير أساليبك المجرية والمشهودة، بأساليب أكثر تحضراً وتعقلاً وتوقراً أو ذكاءً وحباً ونبلاً ورحمةً وشهامة. إنه أكثر التعليم قسوةً وتوبيخاً وتأثيماً وتصحيحاً.

أجل، إن الإله هو أكثر المعلمين استحقاقاً للقسوة والتأثيم والتوبيخ وحاجة إلى التصحيح.

... إنه يقول له: تعلم، تعلم يا إلهي من دموعي وصرaxي وآهاتي وأناتي وشكاياتي وتضرعاتي وصلواتي ومن كل آلامي الباكية اليائسة الفاجعة المفجوعة.

... تعلم من كل هذا أنك محتاج إلى أن تتعلم كل شيء. تعلم من هذا إنه لا يوجد محتاج إلى أن يتعلم مثلك لأنه لا يوجد خارج على كل التعاليم والتعليم مثلك...

إنك يا إلهي الكائن الذي كل الآهات والأنات والدموع تعليم له دون أن يتعلم أو يفهم ذلك!

... نعم، إن البشر يعلمون الآلهة بكل الأساليب. إن كل حياتهم بكل ما فيها من آلام وأخطاء وشقاء ومن سعادة وفرح وصواب وقوة وضعف تعليم لها. إن كل حضارتهم ومعارفهم وإبداعاتهم وانتصاراتهم في الطبيعة وضدها وعليها تعليم لها أي للآلهة. أليس الذي يصحح أعمالك وخطئك أمامك ويتفوق على أخطائها وعيوبها ويحمي من آلامها وقبحها هو معلماً لك؟

... بل إن كل بداوات البشر وجهالاتهم وهزائمهم وعجزهم وضعفهم وهوانهم تعليم لها أي لآلهتهم. إن كل ذلك تعليم لها بأعنف الأساليب والتفاسير نقداً وتأنيباً وتجهيلاً وذماً ويأساً ولكن بغير لغة التعليم بالكلمة...

... آه. إن الآلهة هي وحدها التي لا تتعلم مهما علمت!

إن البشر لم يخسروا خسراناً شاملاً كاملاً فاضحاً بليداً معذباً مرهقاً بلا أي تعويض أو ثمن أو جزاء أو شكر إلا في تعليمهم للإله، أي تعليمهم له لا بالكلمات بل بكل حياتهم وممارساتهم المتحولة أحياناً إلى كلمات هي أقسى من كل الكلمات!

... أريد أن أكرر وأقول: إنك لأقسى وأقوى وأذكى تعليمياً للإله من كل المعلمين لمن يريدون تعليمهم حينما تصرخ قائلاً بكل الأسى والحسرة والأمل يا إلهي أنا مريض مشوه عاجز مقهور مفجوع خائف ضائع حائر وحيد...

أنا، أنا.. آه، آه أين أنت يا إلهي. أريد أن أراك. أجدك.. أن أراك وأجدك
سميعاً مجيباً مغنياً رحيماً حبيباً قريباً سريعاً نشيطاً حاضراً فعلاً... أريد أن أراك وأجدك
كما ينبغي وكما أحب أن أراك وأجدك.!

... كن يا إلهي كذلك وكل ذلك. إني لاجئ ضارع إليك وحدك، وحدك،
وحدي، وحدي. إني أشكو إليك. أشكوك إليك، أشكوك.
... إني مؤمن بك وحدك ومنتظر منك وحدك وواثق بك وحدك..

إذن أين أنت، أين أنت؟ هل كذب وهزم وضاع وخسر إيماني وثقتي بك وانتظاري
لك ومنك؟ هل ذلك كذلك؟

آه يا إلهي. انقذ إيماني وثقتي وانتظاري، وانقذ سمعتك ومجديك وشهامتك
وألوهيتك. افعل هذا الإنقاذ افعله. أأستطيع ذلك؟ أأستطيعه؟ هل يمكن أنك
لا تستطيعه أو لا تريده؟

هل يمكن ذلك؟ هل يمكن؟ هل كذب علي أبواي وأهلي وكل الآخرين الذين
حدثوني عنك وعلموني إياك؟ هل كذبوا علي؟ ولماذا؟ ومن كذب عليهم هم؟

... آه يا إلهي أنا لست حزينا على نفسي ولنفسي فقط بل أنا حزين لك وعليك
أعمق وأدوم وأقسى. آه. ما أفظع وأقبح أن تحزن على إلهك ومن أجله لأنه قد استحق
أن تحزن عليه ومن أجله.!

إن دموعي وأحزاني ليست إلا دموعك وأحزانك أنت تفجرت من قلبي وعيني حين
لم تتفجر من عينيك وقلبك لأن قلبك وعينيك لم يكونا حاضرين أو واعيين أو راثنين أو
حماسيين أو أخلاقيين لكي تتفجر أي دموعك وأحزانك منهما لا من عيني وقلبي.. لقد
نقلت الدموع والأحزان التي يجب أن تذرفها وتقاسيها عينك وقلبك إلى عيني وقلبي.؟

... إن كل الدموع والأحزان المتفجرة من كل العيون والقلوب هي دموعك
وأحزانك أخطأت عينيك وقلبك أو لم تجد عينيك ولا قلبك فسالت من العيون والقلوب
الأخرى متحدية وهاجية لعينيك وقلبك، يائسة ساخرة من عينيك وقلبك، فاضحة عينيك
وقلبك.!

لقد أصبت الأبرياء بكل الآلام التي يجب أن تصاب بها كلها أنت وحدك.!

نعم. إنها أي كل الدموع والأحزان هي يا إلهي دموعك وأحزانك، أو يجب ألا
ترى أو تقرأ أو تحاسب أو تفسر إلا بأنها دموعك وأحزانك سالت من العيون والقلوب
الأخرى حزناً وبكاء عليك ومنك وإعلاناً عن بلادة عينيك وقلبك وأخلاقك الصانعة لكل

الدموع والأحزان دون أن تأسى أو تداوي أو تعاتب أو تعاقب نفسها بل ودون أن تخجل بل أو ترى.!

... أجل، إني مهما حزنت وبكيت فأنا لا أحزن ولا أبكي ولم أحزن أو أبك ولكنك أنت تحزن وتبكي بقلبي وعيني... تبكي وتحزن بعيني وقلبي لئلا تحزن أو تبكي بعينيك أو قلبك، أو لأنك أنت لا تحزن بقلبك أو تبكي بعينيك أو لأنك أنت بلا قلب ولا عينين. إنك لو كنت أعظم مما كنت لما حزنت ولا بكيت لا رثاء لك أو إشفافاً عليك ولا اشمئزاً أو انفجاعاً من أخطائك وخطاياك.!

... إني لم أبك أو أحزن قط إلا بكاء وحزناً عليك ومن أجلك رثاء وإشفافاً وانفجاعاً وشمئزاً، ولكنني خطأ أو تعمداً أو تأدباً بكيت وحزنت بصيغة من يبكي ويحزن غضباً واحتجاجاً على الكينونة التي فرضتها عليه... على الكينونة التي حكمت بها عليه لتكون حكماً عليه بهوان الطفولة والشيخوخة والمرض والموت وبكل الآلام والأحزان والدمامات والتشوهات والحماقات والتفاهات والفضائح والخوف وبالذهاب إلى مائدة الطعام التي تعني حتماً الحكم عليه بالذهاب إلى مكان الاستفراغ لأقبح الفضلات المسقطة المذلة لكل الهامات والقامات حتى للهامات والقامات المناطحة للنجوم شموخاً وكبراً ووقاحة.!

هل أطمع يا إلهي أن تتصور أو تفهم شيئاً من قبح ونذالة عدوانك هذا لأطمع في أن تتوب وتعتذر وتكفر وتعوض وتصوغ نفسك وأخلاقك صياغة أخرى؟

.. العذاب أو العقاب بلا أجل.!. كيف أمكن أو يمكن أن يحدث هذا؟

بل كيف أمكن أو يمكن تصور هذا؟ كيف يمكن أن يعقل أو يقبل أو يغفر؟

كيف أمكن أن يوجد أو يتصور من يعاقب هذا العقاب أو يعذب هذا العذاب؟

إن كل عقاب أو عذاب لا بد أن يكون بأجل مهما كانت الجريمة أو الذنب ومهما كان المعاقب أو المعذب أو مشرع العقاب والتعذيب. إن البشر والكون لم يعرفا حتى اليوم عقاباً أو عذاباً بلا أجل. عقاباً أو عذاباً مطلقاً أي بلا نهاية.!

... لقد خرجت يا إلهي على كل المعقول والمقبول والمفعول والمغفور بل وعلى كل أبعاد وآفاق التصور. آه يا إلهي كم تعذبني حينما أحاول أن أفهمك أو أفسرك.!

ولكن أليس من الشروط المحتومة في كل إله أن يكون خارجاً على المعقول والمقبول والمفهوم؟

إن جحيمك بلا أجل ينتهي عنده وإن عقابك أو عذابك فيه بلا أجل . . ! من أين جاءك أو ورثت أو تعلمت هذا الذكاء أو العدل أو الوحشية أو الفروسية الأخلاقية أو النفسية أو المنطقية أو الإلهية؟

من أشار عليك من مستشاريك بهذا؟ هل شاورتهم فأشاروا عليك بهذا العقاب أو العذاب أو حتى قبلوه منك ورضوه لك؟ إن كان ذلك كذلك فهل فكرت في أنهم قد يكونون كاذبين مخادعين إما جبناً وملقاً ومتاجرة، وإما رغبة في فضحك وإيذاءك لأسباب وحسابات في أنفسهم؟

هل درست واختبرت وجربت الثقة بهم فوثقت ثقة من حاول فعرف لا ثقة من أراد ورغب وعجز وكسل فسكت أو فاعتقد أنه قد عرف؟ ما أكثر من عرفوا لأنهم عجزوا عن أن يحاولوا فيعرفوا . !

. . ما أكثر من يعرفون لأنهم لا يعرفون . .

أليس أعوان ومستشارو الحاكم المطلق القوة والسلطان والحكم والرأي هم أكثر وأقبح الأعوان والمستشارين جبناً وملقاً ومتاجرة ونذالة ورغبة في الفضح والإيذاء والتحطيم والخداع؟

وأنت النموذج الأعلى لهذا الحاكم المطلق المتفرد في كل شيء . إذن لا بد أن يكون أعوانك ومستشاروك هم النماذج الكاملة العليا لكل سوء ورداءة بل ونذالة .

لهذا كما أنا راغب في أن أنصحك يا إلهي بالحدز منهم والحدز من الثقة بهم مصوتين لك أو صامتين بابتسامات تفضحها عيونهم وملامحهم . .

يفضحها كونهم أعوانك ومستشاريك، يفضحها كونك الباحث الأعظم عن الافتضاح والصانع الأعظم لكل افتضاح أعظم والمجازي الأوفى على كل افتضاح . .

. . . بل تفضحها لحاهم المرخاة وشواربهم المحفاة وعمائمهم المعوضة بضخامتها عن ضالة وقبح ما تحتها . ! . آه ما أقبح وأكثر العمائم الضخمة على الرؤوس التي لم توجد . . ! . ما أكثر الرؤوس التي هي لفة فقط !

. . . إنسان عصى أو كفر لحظة أو ساعة أو يوماً أو مئة سنة أو ألف عام تحت أسباب وظروف قد تكون معقولة أو مفهومة جداً أو حتى معذورة أو عاذرة أي صانعة للعدر . أو حتى معتدية على المصاب المحكوم بها . .

هذا الإنسان يعاقب ويعذب في الجحيم المعروفة أو المقروءة المنزلة أوصافه يعاقب ويعذب بلا أجل، بلا نهاية، بلا موت أو إنقاذ . . !

من قائل هذا؟ قائله أنت ودرأويشك الأنبياء في كتابك المنزل المقروء المحفوظ
المرتل المصلى به . . الذي يعد أقبح وأوقح زنديق من شك في أي حرف من حروفه في
أنه ليس الحرف الذي نطقت به أنت. نطقت به أنت بكل مواهبك الفنية والبلاغية
والأخلاقية بل والصوتية .!

. . . كيف لم تهذب وحشيتك الحمقاء أو تتعقل ولو قليلاً جداً لتقول إن مثل
الإنسان يعاقب أو يعذب في جحيمك زمناً يساوي الزمن الذي عصى أو كفر فيه أو حتى
أضعاف أو حتى أضعاف ذلك؟

إننا لو جمعنا جميع الوحشيات والحماقات من قلوب ونفوس وأخلاق جميع الطغاة
المتوحشين في جميع العصور .

- إننا لو جمعناها في قلب ونفس وأخلاق طاغية متوحش واحد لما استطاع أو قبل
أو حتى تصور هذا الطاغية المتوحش الواحد أن يكون عقاب أو عذاب من عصاه أو كفر
به مهما كان قبح كفره أو عصيانه بلا أجل، بلا نهاية كما فعلت أو أعددت أو قررت
أنت يا أرحم الراحمين وأعدل العادلين وأسخى المحسنين . . . أي يا أجهل الجاهلين
وأظلم الظالمين وأقسى الطغاة الجبارين . . .

. . . أي يا أغبى المشرعين والمعلمين والمعاقبين والمؤدبين والواعدين
الموعدين . .

. . . أي يا أغبى الباحثين عن الحب والصدقة والطاعة، وأذكى الباحثين عن
البغض والعداوة والعصيان .!

اسمعوا هذا . وهل تستطيعون أن تسمعوه؟

. . . إنسان يعذب في أقسى عذاب لا يستطيع تصويره بلا أجل ينتهي فيه عذابه لأنه
في لحظة من لحظات الحب أو الغضب أو الرؤية أو المحاورة أو الشوق حلق بصدق
وعمق وحماس في ذاته وفي كل شيء باحثاً عن إله فلم يستطع أن يراه أو يجده في أي
مكان ولا في أي شيء، أو رآه ووجده صغيراً في كل أحجائه وتفسيره، أو رآه ووجده
بلا أي جمال أو ذكاء أو استواء أو إشراق أو روعة أو نخوة أو ضخامة أو أية
جاذبية . . . رآه ووجده بلا أي معنى أو نموذج معقول أو مقبول مروي مزعوم له
وعنه . . . وهنا جاءت صدمته مروعة فاجعة، فامتلاً وتفجر غيظاً وغضباً ويأساً وشكاً
واستكاراً وإنكاراً ورفضاً بكل مشاعر الأسى والرتاء . .

. . . وبعد هذه اللحظة المحاورة الرائية الصادقة الفاجعة يموت هذا الإنسان

ولنفترض أن من أسباب موته المفاجئ مأساته في إلهه وحزنه على ما رأى ووجد فيه - يموت ليعذب في أقسى عذاب، عذاب.. أقسى جحيم بلا أجل ينتهي عنده عذابه ليعذب تعذيباً ليس له نهاية زمنية، عقاباً له على شك أو رفض أو إنكار أو غيظ أو غضب أو استنكار لحظة واحدة من لحظات حياته..!.. هل تصدقون هذا؟ هل يوجد من يستطيع تصديقه؟

وقد يكون هذا الإنسان من أتقى وأصفى وأصدق وأنظف وأنبّل الناس قلباً وعقلاً وقصداً وأهدافاً وأخلاقاً.. قد يكون إنساناً يخجل العذاب ويهرب أن يقترب منه، بل يتعذب العذاب لو فكّر في تعذيبه، بل يحاول الجحيم أن ينطفئ أو يضرب عن العمل عاصياً الآلهة، رهبة واستحياء من مزاياه النفسية والعقلية والأخلاقية..! لماذا أيها الإله لم تفعل في هذه القضية شيئاً هو أقل قبحاً ووحشية بل أقل فضحاً وإيذاءً لك؟ لماذا لم تحاكم كل من تريد تخليدهم في نارك الخالدة ثم تحكم عليهم بالإعدام بأي أسلوب من أساليب الإعدام المرضية لشهواتك في التعذيب ثم تنفذ حكمك بكل القسوة التي ترى أنها تصنع لك الفرح والمجد والسعادة كما يصنع جميع الطغاة بمن يرونهم شر وأخطر أعدائهم الخارجين على سلطانهم؟ من أين جاءت هذه الشهوة التعذيبية التي لا يشبعها إعدام من تريد تعذيبه؟

... إنك حينئذ تكون قد عاقبتهم مرتين بالإعدام أي بالقتل الذي هو أقسى العقوبات: مرة بلا محاكمة أي حينما قضيت عليهم بالموت، والمرة الأخرى بعد المحاكمة... ألسنت بذلك تكون قد تفوقت في عقابك وعذابك على جميع الطغاة والجبارين، على جميع القتلة لأن أحداً منهم لا يستطيع أن يقتل معاقباً أو غير معاقب إلا مرة واحدة، أما أنت فقد قتلت مرتين؟ إنك إذن بلا منافس..!

.. ألا يكفيك هذا التفوق مجداً وفخراً ورضاً عن النفس وإعجاباً بها؟ كيف جهلت هذا العقاب البديل عن العقاب بالتخليد في الجحيم والبديل عن الالتزام بتكاليف إنشاء الجحيم والإنفاق عليه وإعداده وحراسته..!

والآن لقد ذكرت بهذا البديل فهل تأخذ به؟ وهل تشكرني وتجزيني على ذلك؟

لا.. لا أطلب بشكر أو جزاء.. فقط أطلب بأن تكون متعلماً مستفيداً جيداً بسرعة ولهفة وقوة وبراعة وتواضع... فقط أطلبك أن تتراجع عن هذا الجنون الذي يترفع عن الهبوط إليه كل جنون..!

... إن هذا البديل ينقذ سمعتك وأخلاقك وعينيك وضميرك وتاريخك بل

وذكاءك من آلام وشورور وفضائح بل ومن أعباء لا تحتمل .!

... إن أي كائن مهما كان مستوى ذكائه وأخلاقه لو كان أمامه خياران أحدهما أن يصنع جحيماً فيه كل أجهزة التعذيب وحراسه وموظفيه ليكون جحيماً خالداً ليلتزم بكل تكاليف ذلك وتبعاته واحتمالاته، ليعذب فيه أعداءه تعذيباً أبدياً لا خلاص منه ولا نهاية له، وثانيهما أي وثاني الخيارين أن يحكم بالإعدام على هؤلاء الأعداء وينفذه فيهم وينتهي كل شيء معهم .

- نعم إن أي كائن مهما كانت جهالته ونذالته وبدائوته النفسية والعقلية والأخلاقية لو وضع أمام هذين الاختيارين لكان محتوماً أن يأخذ الاختيار أو الخيار الثاني . . .

هل تجرؤ على أن تخالف في هذا أو هل يمكن أن يوجد من يقول إنني قد أخالف في الأخذ بهذا الاختيار؟

... كم يجب أن يحزن ويفجع كل من يريدون أن يؤمنوا بك ويحترموك ويدافعوا عنك ويرضوك لهم إلهاً حين يجدونك في كل ذكائك ومنطقك وتصرفاتك أقل من كل المستويات والاحتمالات بل خارجاً على كل المستويات والاحتمالات خروج التخلف والمناقضة لا خروج التفوق أو التجربة .!

إن من أردأ ما فيك أنك لا تستفيد من التجارب بل وليست لك تجارب لهذا أنت صيغة واحدة دائمة .

إنك الكائن الفريد الذي لا يدخل على كينونته أو تاريخه أي تصحيح أو تعديل إنك ولادة واحدة!

... يا إلهي الفاجع لكل من يريدون فهمه أو محاسبته بأي منطق أو نموذج معقول أو مقبول أو حتى مغفور . . .

... يا إلهي الفاجع لكل من يريدون فهمه أو محاسبته بأي منطق أو نموذج معقول فيه بلا زمن أو تاريخ بحدده؟

سأحاول أن أفكر في هذه القضية بديلاً ونائباً عنك .

وأريد أن يكون تفكيري في هذه القضية نائباً عنك تعويضاً أو اعتذاراً عن ذكاء وكرامة الذين آمنوا بك وصدقوك حينما أخبرتهم عن جحيمك الأبدي وعن التعذيب الأبدي فيه وحينما هددتهم به وحينما وجدوا ذلك معقولاً وجيداً بل كل المعقول وكل الجيد . . .

إني حينما أحاورك أو أحاكمك لا أريد إحراجك أو إذلالك أو هزيمتك أو فضحك يا إلهي ، ولكني أريد بذلك إنقاذ ذكاء الإنسان وكرامته من الحضيض الذي يهوي إليه إيمانه بك وتصديقه لك أو تصوره وتصويره لك . !

إن شيئاً ما أو كائناً ما لم يهن أو يفضح أو يهيج ذكاء الإنسان وكبرياءه مثلما فعلت به ذلك بأقصى الأساليب وأشملها تعاليمك له وتصديقه لها ، وتصديقه لك . أعني تعاليمه عنك وبك التي زعمها وأعلنها تعاليمك له . !

.. إذن فإن إنقاذ الإنسان من تعاليمك وعودك ووعيدك ومن كل رواياتك وأخبارك عن أهوال جحيمك وخرافة فردوسك إنقاذ لذكائه وكبريائه وكرامته بل وإنقاذ لمنابره ومحاريبه ولغاته وصلواته ...

... بائسة هي المنابر والمحاريب متحدثة عنك وعن أهوال جحيمك وخرافات فردوسك !

... أجل لقد فكرت نيابة عنك في هذه القضية . وقد قال لي تفكيري :

هل الذين سيعاقبون بخلودهم في الجحيم سيتحولون إلى مؤمنين بك مطيعين لك وهم في جحيمهم أم سيظلون منكرين عصاة كما كانوا في حياتهم الأولى . !
إن الاحتمالين لا بد أن يتحولا إلى ورطة أليمة محيرة لا خلاص لك منها إلا بأن تلغي أو تنسف جحيمك بكل ما فيه ومن فيه وأن تعتذر إلى نفسك عن أخطاء نفسك . !

إن كان الافتراض الأول هو الذي سوف يكون فكيف يجوز لك أو تتقبل أن تظل أبداً تعذب أقصى العذاب من يؤمنون بك ويصلون لك ويطيعونك بكل الصدق والافتناع والحرارة والإخلاص والتأمل والتوبة والتضرع والبكاء؟

كيف تستطيع أنت أو زبانية وحراس جحيمك رؤية ذلك أو تقبله؟

.. إن إيمانهم بك حينئذ سيكون أقوى وأتقى وأصدق وأدوم إيمان . إذن كيف تستطيع أو يقبل منك أن تظل تعذب هؤلاء الذين يؤمنون بك هذا الإيمان تعذيباً أبدياً؟

... وأما الافتراض الثاني فهل يمكن أن يكون هو الذي سوف يكون؟

هل يمكن أن يظلوا منكرين أو عاصين لك بعد أن قابلوك ورأوك ورأوا جحيمك وأهوالك وجنونك في حبك لنفسك وفي غضبك وانتقامك لها؟ إنهم حين أنكروك أو عصوك لم يفعلوا ذلك عناداً أو نزقاً أو استهانة بالعذاب الذي سوف يلقون . ولكنهم أنكروك وعصوك لأنهم لم يروك أو يجدوك البتة أو بالحسابات الكافية المقنعة ، أو لأنهم

رأوك ووجدوك نقيضاً لما كانوا يريدون ويتتظرون أن يروك ويجدوك نقيضاً لما ينبغي أن تكون ونقيضاً لكل ما تعلموه واعتقدوه عنك. إن أحداً لن يكفر بك أو يعصيك استهانة بجحيمك وعذابه الموصوف وإنما يكفر ويعصى تحت إملاء حسابات أخرى !

... لقد رأوا ووجدوا كل نماذجك ومواقفك نماذج ومواقف مروعة بائسة في كل تفاسيرها فهربوا من أن يروك ويجدوك. فتظاهروا بالعمى والعجز لئلا يروك ويجدوك كما رأوك ووجدوك...

لقد كانوا بذلك يريدون احترامك والابتعاد بك عما أنت !
أليس الذين يريدون أن يروك مهما كانت بشاعة ودمامة مرآك هم من أفسى المحقرين لك؟

لقد تعذبوا وعاقبوا أنفسهم من أجلك، من أجل الإبقاء على احترامك .
لقد فقأوا عيونهم وأسكتوا عقولهم حماية لك، خوفاً من أن يروك أو يجدوك كما أنت في نفسك وفي كل شيء. أليس فقء العيون لئلا ترى عارك أو قبحك أو هوانك هو أفسى أساليب التمجيد والاحترام والحب لك؟

... لقد كانوا في ذلك مثل كائن رأى كائنًا يحبه ويحترمه ويشتاق إليه جداً - رآه شيئاً أو نموذجاً أليماً فاجعاً، فاجعاً في كل صيغه ومعانيه، فأغلق عينيه، أغلقهما بكل الارتياح والذهول والانفجاع والأسى القاتل، القاتل، أغلقهما لأنه محب محترم مخلص صادق في حبه واحترامه !

إن كل الذين لم يؤمنوا بك لم يكونوا إلا عاجزين عن رؤيتك أو خائفين عليك من رؤيتك أو مفجوعين مصدومين برؤيتك أو متألمين هاربين من رؤيتك أو منكرين أن تكون رؤيتك هي رؤيتك، أو محترمين لك فلم يستطيعوا أن يروا في كل ما رأوه، فلم يستطيعوا أن يروك مهما رأوك !

إن أحداً لن يكفر بك ترفاً أو نزقاً. إن من يكفر بك عاجز عن الإيمان لا هاو للكفر . إنه لصعب جداً يا إلهي أن يراك أو يجدك في أي مكان أو في أي شيء أي كائن أو أي إنسان يحبك أو يحترمك أو يشترط لك أو فيك أية شروط جيدة أو جميلة . . إن كل الذين رأوك ووجدوك لم يروك أو يجدوك إلا بعد أن فقدت عيونهم وعقولهم وأخلاقهم كل رؤية أو إلا لأنها أي عيونهم وعقولهم وأخلاقهم وُلدت بلا رؤية، أو إلا بعد أن اشتروا عليها أن تظل بلا رؤية بل بعد أن اشتروا عليها أن ترى ضد الرؤية. أن ترى لئلا تُرى، بل أن ترى غير ما ترى، نقيض ما ترى، أو إلا بعد أن

روضت أي عيونهم على ألا ترى إلا ما تعلم لا ما ترى أو يرى أي ألا ترى إلا بالتعليم لا بالرؤية. !

. . هل أحد من الذين رأوك ووجدوك رآك أو وجدك بعينه أو بعقله أو بأخلاقه أو بتجربته؟

هل حاول أحد ممن رأوك ووجدوك أن يراك أو يجدك بعينه أو بعقله أو بأخلاقه؟
هل تستطيع أية عين أو عقل أو خلق أن تراك أو تحبك في أي حدث أو شيء؟
إن كل الأشياء والأحداث نفي، رفض لك. إن تفاسير كل الأشياء والأحداث نقيض نكل تفاسيرك بل هجاء لكل تفاسيرك!

. . وأنت يا إلهي هل رأيت أو وجدت نفسك في أي حدث أو شيء؟ وهل حاولت أن ترى أو تجد نفسك؟ وهل رأيت أو وجدت نفسك حينما حاولت أن تراها أو تجدها؟ وهل رضيت عن نفسك حينما رأيتها ووجدتها أو إن كنت رأيتها ووجدتها، أو هل قبلت أن يكون ما رأيت ووجدت هو أنت، هو نفسك؟

هل تقبل أن ترى ذاتك أو أن يراها غيرك إن كنت قد رأيتها ولو بلا تحديق؟
. . . حقد، حقد يا إلهي، حقد في كل حدث وكل شيء وحاول أن ترى أو تجد نفسك؟ افعل ذلك بكل الجرأة والاطمئنان. .

نعم، اطمئن إذا حدقت ومهما حدقت فإنك لن ترى أو تجد نفسك. لا تخشى أن ترى أو تجد نفسك في أي مكان أو حدث أو شيء. .

إني أنا المسؤول عن ذلك والمتعهد به. جرب أن تثق بي. لا تخف أن تجد ثقتك بي مثلما وجدت ثقتك بنفسك. إنك يا إلهي لن ترى أو تجد نفسك في أي حدث أو شيء أو مكان بقدر ما تكون جيد الرؤية.

إنك يا إلهي الكائن الذي لن تراه عين جيدة الرؤية أو صادقتها وشجاعتها.
. . إن جودة الرؤية وقوتها وصدقها وشجاعتها حماية لك من أن ترى أو تجد نفسك في أي حدث أو شيء أو مكان. !

. . حقد، حقد إنك إذاً أو لو حدقت كما أطلب وأنتظر منك وأرجوك فلا بد أن تجد كل مجدك وجمالك وذكائك وكرامتك وكبريائك في ألا تجد أو ترى نفسك في أي حدث أو شيء أو مكان. .

ولكن هل لك عيان يا إلهي لتحقق بهما؟

هل يحتمل أن تكون لك عينان؟ إذن أين هما؟ أين رؤيتهما؟

هل تطيق أن تكون لك عينان تريان كل ما يرى أو أرى أو شيئاً مما يرى وأرى؟

آه يا إلهي لو أنك استعرت مني رؤيتي ولو لحظة ولو لرؤية مشهد واحد من مشاهدة القبح والعذاب والهوان والعار والسخف العالمي والكوني.!

هل من المجد أو السعادة أو المديح لك أن تكون لك عينان، أن تكون رائياً أي شيء أو أي كائن أو أي حدث مما يوجد ويرى؟

إنك ليجب أن تكون أعمى، أعمى، أعمى. إن هذا العمى لو أقل أو أخف صيغ الذم والتحقير والتعذيب لك.!. هل تدرك حوافز دفاعي عنك وغيرتي عليك حينما أختار وأريد لك أن تكون أعمى؟

. . إنك أعمى لأعظم لك في كل التفاسير والحسابات من أن ترى مشهداً واحداً من مشاهد هذا الوجود الدميم الأليم الأحمق الفاجع العاثر ثم تظل ترى وترى بكل التبلد والبله والاسترخاء والصمت، منتظراً بل ومطالباً أن يشكرك ويصلي لك كل المعذبين والمصابين بكل أنواع الآلام والمهانات والتشوهات والدمامات والعاثات والأمراض، فانا متفضلاً عليهم لأنك تصيبهم، ولأنهم يدعونك لتنقذهم، ولأنك لا تسمعهم ولا تستجيب لهم، ولأنهم يهبونك دون أن تهبهم، ويعبدونك دون أن تجزيهم، وينتظرونك دون أن تجيء، دون أن يجدوك.!

. . اسمع يا إلهي هذه النصيحة من أصدق ناصح لك بل مشفق عليك. .

اسمع. . إذا كان الذين سوف نخلدهم في النار الخالدة سيظلون كما يقول الافتراض الثاني كفرة وعصاة فأني خير أو مجد أو سعادة أو فرح لك في تخليدهم؟

ألست تقول أن الكفر والعصيان يأذيانك ويغضبانك ويغيظانك؟ إذن لماذا تخلد من يصنعون لك الغيظ والغضب والإيذاء ويفرضون عليك تكاليف فادحة منها أن تلتزم بإيجاد ما يأكلون ويشربون ليظلوا أحياء؟

نعم، أليس تخليدهم في الجحيم يأخذ منك بلا أي عطاء أو نفع؟

هل أنت معاد محارب لنفسك بكل هذه القسوة؟

. . إنني أريدك ألا تكون بكل هذه القسوة في معاداتك وحربك لنفسك وفي صنعك وتدميرك لها الغيظ والغضب والإيذاء في إيجادك وإبقائك لما يصنع لها كل ذلك. . كم أنت محتاج إلى الناصحين الصادقين!

لهذا أنصحك بكل الحزم أن تلغي الجحيم الخالد وتلغي التعذيب الخالد فيه
وتصنع البديل الذي دلتك عليه ونصحتك به وهو أن تعدم كل من تريد تخليدهم في
الجحيم وهو العقاب الأقصى والأقصى في رأي وسلوك كل المنفذين للقوانين والعدالات
يستوي في ذلك أقسى وأطغى الطغاة والقساة وأتقى وأرحم الأتقياء والرحماء !
وأنت تقول : «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» .

... وقد أفترض هنا أن هؤلاء الذين سوف تخلدهم في الجحيم لن يعبدوك ولن
يؤمنوا بك بل سوف يظلون أبداً يصنعون لك عذاب الغيظ والغضب والاستهزاء بك
والتحدي لك بكفرهم وعصيانهم .

فإذا كنت لا تخلق ولم تخلق إلا لكي تعبد فكيف تخلد من لن يعبدوك بل من
سوف يظلون أبداً يعذبونك كل العذاب بكفرهم؟

من أجل ماذا تذهب تتحمل تكاليف تخليدهم في جحيمك الخالد وتتحمل تعذيبهم
وتحديهم لك بكفرهم الذي سوف يكون أبدياً، بل وتعاقب وتفجع حراس وزبانية
جحيمك بتوظيفهم لأداء هذا التعذيب الخالد العاثر المجنون؟

إن الحكمة والعقل ليطالبانك بالخلاص من هذه الورطة، من هؤلاء المعذبين .

.. فكّر يا إلهي أو دعني أفكر لك بل أقول لك لأن القضية المعروضة لا تحتاج
إلى أي تفكير . دعني أقول لك بعقل وقلب الناصح المشفق :

أطلق هؤلاء الذين تريد تخليدهم في العذاب الخالد واغلق أبواب جحيمك أو دمره
وبع أنقاضه أو تصدق بها، وأعف حراس وزبانية عذاب جحيمك وحررهم من هذا
التوظيف القبيح الأليم البليد المهين . ودعهم ينطلقون حيث يشاؤون .

وقد يختارون حينئذ الذهاب إلى دول النفط العربي . وقد تكون لديهم خبرة هائلة
في جميع شؤون الطاقة في معرفة أماكنها ومصادرها ومخابئها وفي حمايتها واستخراجها
وتشغيلها وتوزيعها بل وتعقيلا أي معاملتها والتعامل بها ومعها وفيها بالعقل الذي لم
يوجد حتى اليوم !

ليت النفط العربي لم يجرى إلى العرب إن كان البديل أن يجيء إليهم العقل
الخلق .

آه . لقد نسيت ، لقد ظننت أننا لا نزال في الحياة الأولى حيث تحتكر بلدان النفط
العربية كل التفكير والاهتمام وشروط الآمال !!

ولدي فكرة أخرى أطحها عليك لعلك ترضاها وتنفذها لعلك تجد فيها تجميلاً لعقلك وأخلاقك وتاريخك أو شيئاً من الستر على عقلك وأخلاقك وتاريخك أو شيئاً من التهوين والتصغير أو الإخفاء لعارك الذي كتبه وأعلنه وفضحه عقلك وتاريخك وأخلاقك . !

.. هذه الفكرة هي أن تعيد هؤلاء الذين تريد تخليدهم في الجحيم - تعيدهم إلى الحياة الأولى . . إنك أنت كما تقول تريد أن تعبد وأنك من شهوتك في أن تعبد لتغامر وتخلق من لن يعبدوك بل من تعلم أنهم لن يعبدوك مؤملاً بسذاجة عجيبة أن يعبدوك . إذن أنت أكثر من مجنون في رغبتك أن تكون معبوداً حتى لتذهب تخلق من تعلم أنهم لن يعبدوك موحياً إلى رغبتك هذه التي جعلتك أكثر من مجنون بأنهم قد يعبدونك . . ! . الإله يخلق من يعلم أنهم لن يعبدوه لكي يعبدوه . ! .

من يستطيع تصديق هذا أو قبوله أو فهمه أو غفرانه؟

.. وهؤلاء الذين أنصحك بإعادتهم إلى الحياة الأولى لا بد أن يحققوا لك بأعلى الحسابات وكل الحسابات رغبتك التي هي أكثر من مجنونة في أن تكون معبوداً، معبوداً حتى تتعب وتتخم وتتضخم من عبادتهم لك . !

هل هناك ما يحقر ويهجو ويفضح الكائن ويحوّله إلى سخرية مثل أن يكون معبوداً؟

.. لقد رأوا جحيمك وعقابك وذاقوا أهوال كل ذلك . .

إذن لا بد أن يكونوا أكثر جداً مما تريد منهم وتطالبهم به . !

وقد قيل في كلمة سابقة أن الكافر بك لم يكفر ترفاً أو نزقاً أو لعباً أو هواية أو غواية بل كفر بك لأنه لم يستطع أن يراك أو يجدك، أو لأنه حينما رآك ووجدك لم يصدق أنك أنت هو ما رآه ووجده، أو رفض تصديق ذلك لأنه يعتقدك ويريدك أعظم وأجمل مما رآك ووجدك، أي أعظم وأجمل مما رأى ووجد حين رآك ووجدك . .

وكم أود أن أقول بتكرار: إنك الكائن الذي لن يرى أو يجد جماله أو كماله إلا من لا يراه ولا يجده ومن لا يحاول أن يراه أو يجده . !

أجل، إنها فرصة وهدية عظيمة لك يصعب أن تتكرر أعني بها أن تعيد إلى الحياة الأولى هؤلاء الذين تريد تخليدهم في العذاب الخالد!

آه . كم أتمنى وأرجو أن تسمع نصيحتي هذه وأن تعمل بها يا إلهي الذي لم يجد في كل تاريخه ناصحاً صادقاً أو راثياً أو واعياً أو مخلصاً واحداً، واحداً . إنك يا إلهي تريد عبيداً أذلاء لا أصدقاء ناصحين أحراراً شجعاناً . !

إنك في هذا الخلق وهذه الرغبة تنافس بمقدرة جميع القيادات والزعامات العربية!

.. هل تقبل أو تأذن يا إلهي أن تسمع مني هذه الكلمات الحارة المؤلمة الصادقة:
إن أغبى وأقبح وأخطر ما في الطغاة الجهلاء أنهم يريدون أن يُقال لهم ما يريدونه وما
يرضيههم لا ما ينقذهم أو ينفعهم أو يمجدهم أو ما يتحول إلى احترام لهم وأنت يا إلهي
أطغى هؤلاء الطغاة..!

ولأنني هنا أتحدث عن تصرفاتك يا إلهي مستنكراً أو راثياً فإنني أجد رغبة لا تقاوم
في أن أقول مكرراً:

ما أعظم ذكائك وحكمتك ورحمتك وعبقريتك يا إلهي حين تطالبني وتريد مني أن
أؤمن بك وأعبدك ثم تقرر وتدبر وتخطط وتشاء ألا أؤمن بك وألا أعبدك. ضارباً على
كل الموانع من أن أكون ما تريد مني.

.. ولا يساوي تصرفك هذا من ذكائه وحكمته ورحمته وعبقريته إلا تصرفك حينما
تخلق أو تعلم أنهم لن يعبدوك لكي يعبدوك ثم لا تريد ولا تعرف أن تعيد إلى الحياة
الأولى هؤلاء الذين سوف يعبدونك حتماً بدل أن تخلدhem في الجحيم ملتزماً بتكاليف
ذلك وبكل آلامه وعاره وقبحه وسخفه ونذالته. إني يا إلهي احترق دائماً بهذا التساؤل:

أيهما المعقول: أن توجد من تعلم أنك لا بد أن تتعذب بكفرهم وفسوقهم ثم
تتعذب بتعذيبك لهم أم ألا توجدهم، وأن تشاء لمن أوجدت الطاعة والاستقامة والإيمان
أم الكفر والفسوق؟

.. أنت يا إلهي تتناقض كثيراً في أقوالك بقدر ما تتناقض أو أكثر مما تتناقض في
أفعالك ورغباتك وانفعالاتك. فهل تناقضك هذا عن نسيان أم عن ضرورة أم عن إهمال
واسترخاء وكسل أم عن عبث ولعب وشهوة أم بحثاً عن الإثارة والتحدي وصنع الغيظ
والحيرة لقارئك ومحاوريك ومفسريك؟

ألست تقول بل تعلم وتعلن مفاخرأ فرحاً أن الخلود لك وحدك، وأنت أنت الأول
والآخر والظاهر والباطن...

أي الأول الذي كان قبل كل شيء، الذي كان ولا شيء معه، والآخر الذي سيكون
ويبقى ولا شيء معه.. أي الذي يزول كل شيء ويبقى وحده لأنه وحده الخالد.

.. وإنك لترى أن مشاركتك في الأزلية أو الأبدية أي في أنك الأول ولا شيء
معك والباقي الخالد وحدك ولا شيء معك.

- نعم، لترى أن مشاركتك في هذا أو هذا يساوي مشاركتك في الألوهية أو الخالقية أو الوجدانية، وأن الذي يؤمن بهذه المشاركة لك هو مشرك بك كالذي يؤمن بالأوثان ويعبدها. !

... إذن كيف تناقضت هنا وقلت إنك سوف تصنع جحيماً خالداً خلودك أو أنك سوف تعذب فيه معذبين سوف يخلدون فيه خلودك؟

... هل كانت هذه غلطة إله أم كذبة إله غلطها أو كذبها الإله للزجر والوعظ والإرهاب لكي يكون معبوداً مرهوباً اضطرته إلى أن يكذب ويغلط شهواته في أن يعبد ويرهب؟

وإذن فليس هناك جحيم خالد ولا معذبون خالدون في العذاب لئلا يكون هناك مشاركون له أي للإله في الخلود الخلود الذي هو له وحده. .

. . هل ذلك كذلك يا إلهي الذي مهما تمنيت وأردت له فلن يكون شيئاً مما أريده وأتمناه له. . . يا إلهي الذي ليته يحب ويكره لي وفي شيئاً مما أحبه وأكرهه له فيه. . . الذي ليته يغضب لي ويحزن ويغار عليّ ومن أجلي شيئاً من غضبي له ومن حزني وغيرتي عليه ومن أجله. . . يا إلهي الذي ليته يصاب بشيء من الخجل خجلاً من قسوة وديمومة خجلي له ومنه. . . يا إلهي الذي ليته يتعذب ببعض العذاب الذي أتعذبه له. . الذي ليته يقرأ آلامي وهمومي وورطاتي وأخطائي ويحرق فيها ويرثي لي ببعض ما أفعله لآلامه وهمومه وأخطائه وورطاته. . ؟ آه. ما أفظع عذابك وانفجاعتك بعارك وهوانك يا إلهي لو رأيت وقرأت نفسك كما أراك وأفرؤك أو كما ينبغي ويجب أن ترى وتقرأ نفسك. !

هل تقبل يا إلهي أن تتحول إلى مشرك بنفسك أي أن تجعل لك شركاء في الخلود أي أن تصنع الجحيم الخالد ليخلد فيه من تريد تعذيبهم؟

- نعم، هل تقبل أن تفعل ذلك تحت إملاء وضغط شهواتك في التعذيب وللتعذيب؟ هل تقبل أن تفقد وحدانيتك في الخلود لترضي أشواقك إلى رؤية المعذبين؟ استمتاعك برؤية العذاب بلا حدود ولكن ألا تحاول أن تلتزم بشيء من الوقار والالتزان والعقل؟

... تحت كل هذه التفاسير كم أرجو ألا تكون صادقاً أو جاداً في حديثك عن جحيمك وعن المعذبين الخالدين فيه أو أن تتراجع عن ذلك تائباً نادماً معتذراً.

أريدك أن تكون أي شيء يجعلك غير صادق أو جاد في حديثك عن جحيمك. !

... إني يا إلهي لا اختار لك أن تكون كاذباً أو هازلاً أو متورطاً مخطئاً على أن تكون سخيماً أو أحمق أو نذلاً أو أكثر جنوناً وإيذاءً وفضحاً لنفسك من أي مجنون، من أي مجنون عاقل أو مجنون مجنون...!

أعتقد أنك سوف تقتنع بما سمعت مني في هذه القضية مهما كان انغلاقك عن أن ترى أو تسمع أو تقرأ أن تتعلم أو تفهم أو لعلي أتمنى ذلك تمنيّاً.!. آه. ما أخيب التمنيات الموجهة إليك والمنتظرة منك يا إلهي الذي لم يجمال في كل تاريخه أمنية واحدة هفت به.!

وأريد أن أذكرك بشيء آخر لعله يساعدك على الافتناع بما أقول لك وأريد منك. فكّر، فكّر جداً كم أنا ناصح لك مريد السّر عليك.!

... إن كل البشر منذ بدء بدايتهم المجهولة إلى نهاية نهايتهم المجهولة سوف يدخلون جحيمك إما دخولاً مؤبداً وإما دخولاً مؤقتاً. وهذا الدخول المؤقت لعله لا يستحق الاستثناء لندرة أصحابه.!

إذن هل نستطيع أن نتصور اتساع الجحيم الذي يستطيع أن يؤوي كل البشر؟ هل يستطيع أي خيال أو أية حسابات وتقديرات علمية أن تتصور ذلك؟

وجحيم بهذا الاتساع الذي يعجز كل خيال ولك حسابات علمية عن تصويره كيف يمكن أن يكون احتياجه إلى الوقود أي إلى ما تسميه الحضارة والعلم بالطاقة، وكيف يمكن أن يكون استهلاكه لها؟

إن كل الأجهزة والوسائل والتصورات والحسابات العلمية والفنية لعاجزة عن تسديد احتياجات هذا الجحيم من الطاقة الكافية ليظل أبداً جحيماً محرقاً كما تريده. إنها لا بدّ أن تتحول إلى ورطة قاسية ومخرجة محيرة لمن ألزمهم بأن يكونوا موظفي جحيمك هذا من ملائكة وزبانية.!

وأنت أيها الإله بدوي بدائي في فعلك ومنطقك، لا تستطيع أن تكون حضارياً أو علمياً أو فنياً أو منطقياً في أي شيء تخططه أو تفعله أو تخلقه.

... إنك تخطط الأشياء وتخلقها لتكون ما يسمى بالمادة الخام أو بالمواد الأولية كما فعلت أو خلقت هذا الكون الذي يخيفنا ويرهقنا ويتعبنا ويفجعنا بضخامته وبلادته وبدائوته بدون أن يعجبنا أو يرضينا أو يلائمنا أو يريحنا أو يصادقنا أو يسالمنا أو يعاملنا بأي قدر من الشهامه أو الذكاء أو حتى الاستحياء...

... إنك تخلق وتخرج بل وتخطط الأشياء كتلاً ضخمة صماء عمياء بكماء

فوضوية همجية أمية لا تقرأ أو لا تكتب ولا تفسر ولا تتكلم ولا تصنع القلم أو الورق أو الحبر ولا نقول: أو المطبعة.!

... إنك تصنع الجبل ولا تصنع البيت أو حتى الكوخ أو الخيمة، وتصنع الشمس ولا تصنع المصباح أو الشمعة، وتصنع الغرق والبحار ولا تصنع القطرات لتنفذ بها ظمآن يموت في الصحراء، وتصنع الأنهار والسحاب ولا تصنع أنابيب المياه الموصلة إلى البيوت، وتصنع النفط ولا تصنع الأجهزة التي تعمل به وتتعامل معه ولا تحوله إلى طاقة، إلى وظيفة، إلى أي عمل....

... إنك تخلق النفط ولا تخلق خيمة أو عباءة يستدفئ بها من خلخته تحت عباءاتهم وخيامهم.!

... إنك لا تخرج أو تخلق أو تخطط أي شيء بأسلوب أو منطق وظيفي أي ليؤدي وظيفة ما كما يراد أو يطلب أو يعقل أو يجب أو يمكن أو يستطاع. إن كل ما تخططه وتدبره وتصنعه خارج على كل شروط وتفاصيل التوظيف.

... إنك لو عملت في أي عمل هندسي لكنك فاجعاً لكل من تعمل معهم ولما قبلوك حتى ولا حارساً!

... إذن فأنت مهما كانت ضخامتك العضلية أو البدنية أو ضخامة ما تخلق فإنك لن تصنع شيئاً وظيفياً أي شيئاً موظفاً ليؤدي وظيفته. فأنت مضاد لكل معاني النظام.

.. إنك لن تخلق الطاقة التي يحتاج إلى استهلاكها جحيمك الخالد مهما خلقت المواد الخام الأولية المخزنة للطاقة. لقد كان هذا سلوكك في الحياة الأولى وسيكون حتماً سلوكك في الحياة الثانية. إن الآلهة لا يتغيرون!

... ولأن الآلهة لا يتغيرون فقد تغير كل شيء في الحياة الأولى إلا أنت يا إلهي...! إذن من أين تأتي بالطاقة التي سيعمل بها جحيمك الخالد؟

إنك لن تجد خبراء يولدون ويصنعون لك الطاقة الكافية لجحيمك حتى ولو وجدت المواد الأولية الكافية لتوليد الطاقة المطلوبة...

إنك لن تجد هؤلاء الخبراء الذين وجدوا في الحياة الأولى لكي يعرفوا ويولدوا ويصنعوا الطاقة التي يحتاج إليها جحيمك.

... إن هؤلاء وأمثالهم وكل من يستطيعون أن يكونوا خبراء في موضوع الطاقة وفي أي موضوع آخر لن يكونوا إلا من سكان جحيمك. إنهم لن يكونوا من سكان

فردوسك لكي تستعين بهم ليصنعوا الطاقة المطلوبة والكافية لجحيمك . إن سكان فردوسك لن يكونوا إلا مستهلكين ومبشرين ومخربين ومهينين للطاقة المظلومة والمحقرة والمشتومة بولادتهم فوقها وبانتمائها إليهم كما كانوا في الحياة الأولى أي كما كانوا في الحياة الأولى مستهلكين ومبشرين ومذلين وشامتين فقط للطاقة بسلوكهم وبكل معانيهم وتفاسيرهم ومواقفهم بل وبلغاتهم وعباداتهم وإيمانهم وتقواهم . . حتى لغاتهم وإيمانهم وصلواتهم وتقواهم كانت هجاء وسبايا للطاقة، لأعظم أنواع الطاقة أي في الحياة الأولى .!

... أما خبراء سكان جحيمك يا إلهي فلن يهبطوا إلى مستواك في الذكاء أو في التصرف لكي يذهبوا يصنعون ويستخرجون الطاقة لتشغيل جحيمك لكي تخلدهم في عذابه .

بل إن هؤلاء الخبراء لن يقبلوا أن يساعدوا على تشغيل جحيمك حتى ولو أخرجتهم أو خرجوا منه ليبقى فيه الآخرون لأنهم لن يقبلوا بل ولن يستطيعوا الهبوط إلى مستواك العقلي أو النفسي أو الأخلاقي أو الفني أو القانوني . .

إلى مستواك الذي هبط إلى أن يتصور هذا الجحيم وإلى أن يرى ويجد كل جمال وعبقورية وعظمة العدل والذكاء والإبداع والقوة والفروسية بل والألوهية في أن يفكر ويدبر ويخطط ويريد ويقاسي، يقاسي، ويستنجد بكل أخلاقه وآثامه وأخطائه ونزواته وبكل شهواته في التعذيب ورؤية المعذبين وفي الاستماع إلى أناتهم وآهاتهم وصرخاتهم التي لن تجد سميعاً أو مستجيباً . ويستنجد أيضاً بكل أعوانه ومستشاريه وبكل ملائكته وزبانيته وأبالسته لكي يستطيع أن يخطئه أي يخطط جحيمه ويخلقه ويخرجه ليكون قادراً على إشباع شهواته في رؤية العذاب والمعذبين وفي الاستماع إلى استغاثاتهم الضائعة بلا عزاء أو رثاء، وليجعله خالداً، خالداً ليخلد في عذابه أطفالاً وشباناً وكهولاً وشيوخاً ورجالاً ونساء، أصحاء ومرضى، أقوياء وضعفاء، عظماء وحقراء، مشوهين وأسوياء، شجعاناً وجبناء، فجاراً وأتقياء، بعد أن قاسوا في حياتهم الأولى كل ألوان التعذيب والترويع والتشويه والهوان والإذلال، أي بعد أن قاسوا ما يستحقون عليه كل أنواع التفكير والتعويض والاعتذار والتوبة، بل بعد أن قاسوا ما لا يمكن أو يستطاع التكفير أو التعويض أو الاعتذار أو التوبة منه وعنه لضخامته ووقاحته ووحشيته ونذالته، ليخلدهم في عذابه لأنهم لم يستطيعوا أن يكونوا عمياناً، ولم يستطيعوا أن يكونوا مبصرين إلى أن يروا ما لا يرون أو يرى أو ما لا وجود له .

... لأنهم لم يستطيعوا أن يروا أو يفهموا أو يعقلوا ما لا يمكن أن يكون مرئياً أو معقولاً أو مفهوماً، ولأنهم رأوا وعقلوا وفهموا ما لا يستطيع العجز عن رؤيته أو فهمه أو عقله.

... لأنهم عجزوا عن رؤية ما لم يوجد ولن يوجد، أو عجزوا عن رؤية وعن تقبل ما رأوا، ولأنهم رأوا ما لا يستطيع العجز عن رؤيته أو الكف عن رؤيته.

... لأنهم علموا هذه اللغة وهذه الصلاة فتعلموها وتكلموها وصلوها، ولأنهم يعلموا تلك اللغة ولا تلك الصلاة فلم يتعلموها أو يتكلموها أو يصلوها..

... لأن معلميهم كانوا من متكلمي هذه اللغة ومصلي هذه الصلاة، ولم يكونوا من متكلمي تلك اللغة أو من مصلي تلك الصلاة الأخرى..

... لأنهم تولدوا من هذه المقابر والأرحام ولم يتولدوا من مقابر وأرحام أخرى أو من تلك المقابر والأرحام الأخرى.

... لأنهم وُلِدوا هناك بعيداً عن الكعبة ولم يولدوا فوق أحجار الكعبة.

... لأنهم لم يُولدوا وحجر الكعبة الأسود يقبل أفواههم، يملأ أفواههم.

... لأنهم ولدوا في غرف فيها كتاب غير مقدس أو مقدس ولكنه لم يكن القرآن، ولم يولدوا في غرف فيها كتاب هو القرآن.

... نعم، لأنهم لم يستطيعوا أن يروا كائناً لا تستطيع أية عين رؤيته لصغر وضآلة حجمه أو لأنه معتم ومغطى بأكثف ظلمة، أو لأنهم خلقوا عاجزين عن كل رؤية وأية رؤية.

... أو لأنهم رأوا كائناً رهيباً فاجعاً في قبحه وتشوهاتة وحماقاتة وشطحاته فأغلقوا عيونهم بل فقأوها بل أنكروها لثلا يروه، استقباحاً لرؤيته، وانفجاعاً برؤيته، واشمئزاً من رؤيته... إن الرؤية لتعذيب وفجعة للرائي، وتحقير وسباب للمرئي أي أحياناً أو دائماً. وبهذه الرؤية كيف يمكن أن تكون الرؤية للإله؟

.. نعم، يا إلهي الذي لا يستطيع أن يكون المعياً بل ولا ذكياً بل ولا عامياً عادياً في أي شيء من معانيه أو تصرفاته أو توقعاته أو حساباته أو معاملاته أو رؤاه.

... نعم يا إلهي هذا لا تكن ساذجاً أو غافلاً مغفلاً إلى الحضيض الذي يجعلك تنتظر أو تؤمل أن يساعدك خبراء جحيمك أي الخبراء الذين تعذبهم في جحيمك والذين

هم كل الخبراء على أن يجدوا ويولدوا الطاقة الكافية لتشغيل جحيمك تشغيلاً أبدياً لكي تخلصهم هم وغيرهم أو غيرهم دون أن يكونوا هم مع المعذبين في عذاب جحيمك . . .

إني أطالبك باليأس من هذا الأمل . وتذكر أنني قد أصبحت أول صديق ناصح لك في كونك هذا . وإن قراءاتي لك وتفكيري فيك قد أقنعاني أنك في تأميلاتك وتوقعاتك ضعيف جداً بل أضعف من كل أوصاف الضعف . ولقد وجدت أسفاً راثياً لك أن أكثر وأقوى آمالك هي أكثر المستحيلات استحالة . .

إن تأمليك ليس تأميراً ولكنه تكلم بلغة ليست موجودة ولن تكون موجودة . إن كل سلوكك وأخلاقك وكلامك ليس إلا تكلماً بلغة غير موجودة . . .

وقد حاولت بكل الشفقة والحنان وبكل الرغبة في البحث عن أي معنى أو تصرف جيد أو معقول أو مفهوم فيك ولك أن أجد أملاً واحداً من آمالك ممكناً أو محتماً أو ليس مستحيلاً أو يمكن أن يراه أحد غيرك أملاً يستحق أن ينتظر أو حتى يعرض أو يسمع أو يحاور أو حتى ينفي لأن نفيه يحتاج إلى النفي ، فلم أجد هذا الأمل الواحد فغصصت بالإشفاق عليك وبالرثاء لك يا إلهي الذي لن يوجد من يستحق الرثاء والشفقة عليه وله مثلك . !

. . . يا إلهي الذي لن يجرؤ على النظر إليه من رآه ما لم يكن شامتماً مستمتعاً بشماتته !

. . . إذن عليك أن تيأس من أن يفعل الخبراء والعلماء الموجودون جميعاً في جحيمك شيئاً لمساعدتك على إيجاد الوقود لتشغيل جحيمك . . .

بل إن احتمالاً خطيراً كبيراً يهدد جحيمك تهديداً مدمراً له ومدمراً لفكرتك وخطتك اللتين قادتاك إلى صنع جحيمك أو ورطتك وفضحتاك في صنعه . !

هذا الاحتمال الخطير الكبير الذي لم تظن أنت إليه حتماً هو أن يعمل جميع هؤلاء الخبراء والعلماء بكل عبقرياتهم وخبراتهم التي دخلوا بها إلى جحيمك والتي سوف تتولد وتتفجر فيهم وهم يعايشون ويواجهون ويقرأون ويفسرون ويقاومون جحيمك غاضبين مفجوعين مشمئززين . . التي سوف تزايد فيهم هناك .

- نعم ، أن يعملوا على تعطيل وإلغاء ونسف جحيمك وتحويله إلى نقيض لجحيمك بكل الأساليب والوسائل العلمية والفنية . . .

إنه لاحتمال قوي أن يريدوا ذلك ويستطيعوه ويحققوه . . .

لقد فعلوا مثل هذا في الحياة الأولى . . . إن كل عمل وخطط العلماء والخبراء أن يصححوا ويصلحوا أو يفسدوا ويلغوا تدبيرك وتخطيطك وأعمالك وأن يحولوها من بليدة وضارة وشريرة وفوضوية وعقيمة وعمياء إلى النقيض . إنه لا معنى ولا وظيفة لأي عالم أو عبقرى مبدع إلا أن يناقضك ويداوي منك !

. . . إنك تدبر وتخطط وتريد وتصنع الأمراض والعاهات والتشوهات والقحط والمجاعات والزلازل والبراكين والفيضانات والصحاري والجهل والامية وجميع الآلام والنقائص والتفاهات والعبث وكل القبائح والفضائح والمذابح والنوائج . . والعلماء والخبراء هم الذين يدبرون ويخططون ويناضلون لإلغاء وإبطال كل ذلك أو لإصلاحه وتصحيحه وللمداواة والشفاء منه ولتحويله إلى نقيض ما أردت ودبرت وخططت وفعلت . إنه لا تعريف للعلماء والعباقرة والمبدعين إلا أنهم المقاومون المحاربون لك الحامون منك أيها الإله المعادي المخرب .

. . . إنهم أي الخبراء والعلماء هم الجيش المحارب الهازم لك . . أي المحارب الهازم لكل إراداتك وتخطيطاتك وتدبيراتك وشهواتك وصياغاتك وحكمتك ومنطقك وأميتك وبدواتك الفنية والنفسية والأخلاقية والعقلية . . . !

. . انظر إلى هذا النموذج الواحد من محاربة وهزيمة العلماء والخبراء لك . . لقد دبرت وخططت وأردت وخلقت الصحراء والوباء . . .

فخطط ودبر وأراد العلماء والخبراء إزالة الصحراء والوباء ففعلوا ذلك . . . أليس هذا أفسى وأقوى وأتقى وأنبل حرب وهزيمة لك؟ هل توجد أو وجدت حرب نافعة أو مشروعة مثل أو غير حرب العلماء للإله؟ هل يوجد انتصار مفيد أو هزيمة مفيدة مثل انتصار العلماء على الإله وهزيمة الإله أمام العلماء؟

. . . قال أحد المفسرين للأشياء بآلم وقسوة وانفجاع صادق عميق :

إن أي مريض يذهب إلى أي طبيب لو فسر ذهابه إلى الطبيب بالكلمات لجاء التفسير هكذا :

أيها الإنسان، أيها الطبيب الإنسان إن ذلك الكائن المسمى إلهاً . . . الجالس النائم المسترخي بعيداً، بعيداً بكل البلادة والغفلة والقسوة قد اعتدى عليّ دون أن أعتدي عليه، دون أن يراني أو أراه، دون أن تكون بيني وبينه أية حسابات أو خصومات أو عداوات أو منافسات أو حروب، فانقذني منه، من عدوانه عليّ !

. . . ولكانت استجابة الطبيب له تعني لو تحولت إلى كلمات :

نعم، نعم، سوف أحاول إنقاذك من هذا الجاني، من هذا الجاني الذي يجني دون أن يعرف أو يسأل لماذا يجني ودون أن يستفيد شيئاً من جانياته. !
. . . سوف أحاول إنقاذك من هذا الإله الضارب بكل قوة يديه دون أن يرى بعينه أو بعقله أو بقلبه أو بأخلاقه أو بكرامته المفترضة!

. . . هذا الإنسان القلق المتعذب بمساءلاته ومحاوراته وتحدياته دون أن يستطيع إقلاق أو تعذيب أحد بقلقه وعذابه وتحديقه قال ذات مرة لطبيب ذهب إليه طالباً الشفاء لديه :

لماذا يمرض الإنسان. !؟ كان الطبيب قمة الغفلة والبلادة والعمى الفكري. !
لهذا كان الجواب : الله في ذلك حكمة!. قالها برضا عن ذكائه وإيمانه!
قال طالب الشفاء :

إذن أنت لست طبيباً تشفي من المرض ولكنك تشفي من حكمة الله ورحمته وإرادته. . إنك قاتل محارب، قاتل للإله ولحكيمته ورحمته وإرادته. فإذا عالجت وشفيت مريضاً من مرضه فقد اعتديت عليه واعتديت على الإله وعلى الحياة وعلى المجتمع لأن قتل أو طرف حكمة الله هو اعتداء شرير على كل شيء. . . فإذا كان المرض حكمة خص الله بها أحد عباده فإن الواجب عليك حراسة وتثبيت هذه الحكمة لا العلاج منها بل وإعطاؤها القوة. !

إن من يعالج من حكمة الله فلن يكون إلاّ عدواً لله وعدو الله عدو لكل شيء جميل.

. . . إنك طبيب عالم مثقف. فكيف يخفى عليك ذلك؟

. . . ماذا قال الطبيب حينئذ؟ لتذكر ما قال بدءاً لئلا نحتاج إلى هذا السؤال.

. . . إن الصمت هنا أفضل وأستر. إن الصمت فيه كل الجواب.

إن ما قاله أي الطبيب في بداية الحوار يفسر ما قاله في نهاية الحوار. . !

لقد كان الطبيب عربياً مسلماً. إذن هل يمكن أن نحتاج إلى معرفة ما قال؟

. . . كان هذا الإنسان القلق المتعذب بشحنات الاحتجاج والانفجاع المحرق لكل

رؤاء وتفاسيره ومحاسباته لكل شيء، يطلق أسئلته على كل من يستطيع إطلاقها عليه.

إنه مقاتل. مقاتل ولكنه لا يقتل. إنه مقاتل لأنه يكره ويرفض القتل؟.

إنه محارب لكل المحاربين دون أن يلمس أي سلاح. !

... كان إذا رأى أو كلما رأى إنساناً بريئاً مصاباً بعاهة أو آفة أو بأية آلام أو أمراض وبيلة يطلق هذا السؤال على من حوله :

لماذا فعل الإله ذلك . . . آه . أريد أن أفهم لماذا فعل الإله الكبير الرحيم ذلك؟ فيجيب الجواب المعروف المحفوظ المكرر: له في ذلك حكمة !

وهنا يتفجر احتجاجاً وانفعاعاً وغضباً ورفضاً قائلاً اسمعوا أو اسمع :

الله إما أن يكون قادراً على أن يكون حكيماً وعلى أن يرى نفسه حكيماً بدون أن يفعل بهذا الإنسان البريء ما فعل، أو هو لا يستطيع أن يكون حكيماً ولا أن يجد أو يرى أنه حكيم إلا بأن يفعل هذا العدوان الفظيع . . .

إن كان الرأي هو الأول فلماذا فعل هذا الذنب الوبيل، وإن كان الرأي هو الثاني أي أن الله لا يستطيع أن يكون حكيماً أو يرى أنه أصبح حكيماً إلا بأن يصيب هذا الشيخ أو الغلام أو الفتاة بهذه العاهة أو العلة أو التشوه أو التعجيز القبيح الوقح فأى إله هذا الإله الذي لا يستطيع أن يصبح حكيماً أو يحسب نفسه حكيماً أو يرضى عن حكمته إلا بأن يفعل هذه الفعلية وإلا بأن يعرض أو يشق نفسه ووجهه وجماله فوق هذه العاهة، ومغطى بهذه العاهة، مرسومة منقوشة مكتوبة مقروءة مرئية فوقه هذه العاهة؟

... أية حكمة هذه الحكمة؟ لماذا الحكمة إذن لتسقط الحكمة ولتنهض السفاهة . . . ليكن الإله سفيهاً لا حكيماً . نريده سفيهاً لا حكيماً إذا كانت حكمته تعني أن يصيب الأبرياء بالعاهات والتشوهات والأمراض والآلام وكانت سفاهته تعني ألا يصيبهم بشيء من ذلك أو تعني أن يحميهم من كل ذلك . إن وصف الإله حينئذ بأنه حكيم هو أقسى أساليب الذم والهجاء له . أما وصفه بأنه سفيه، بأنه أسفه من كل سفيه فلن يكون إلا قمة المديح والتمجيد له بهذه التفاسير للحكمة والسفاهة !

... آه . كيف يقبل أي كائن أن يكون حكيماً أو يرفض أن يكون سفيهاً بهذه التفاسير للحكمة والسفاهة؟

... إذن يا كل أصدقائي، يا كل الناس، كونوا سفهاء ولا تكونوا حكماء . لا تكونوا حكماء لئلا تكونوا مثل الإله الحكيم، لئلا تصيبوا الأبرياء من الشيوخ والأطفال والفتيات بالعاهات والتشوهات وبكل الوقاحات مثلما يفعل الإله الحكيم الذي يريد أن يثبت بذلك أنه حكيم ويقنع بأنه قد أصبح حكيماً !

يا كل أصدقائي، يا كل الناس، كونوا سفهاء جداً لتكونوا أتقى وأرحم وأنبل من الإله الحكيم، الحكيم جداً لأنه يفعل ما لا يفعله أو حتى يتصوره أسفه السفهاء !

هل الطغاة الذين يفعلون كل الشرور والآلام يفعلونها ليكونوا حكماء كالإله؟ هل هذا هو التفسير؟

... اسمعوا هذا، هل سمعتموه؟

إن حاكمنا أو سلطاننا يصيب الأبرياء بالعاهات والتشوهات والآلام والأمراض... يفقأ عيونهم ويقطع أيديهم وأرجلهم وأنوفهم وأنداءهم ويفتك بكل جمال وتناسق أجسامهم ويلقي بهم في المعتقلات ويطاردتهم بالإرهاب والتهديد والتشريد... إنه يفعل بهم كل ذلك لكي يكون حكيماً وعظيماً ورحيماً وعادلاً وممجداً لشعبه وللإنسانية كلها ولكي يرى نفسه كذلك...!

إن حاكمنا أو سلطاننا لا يمكن تفسيره إلا بالتفسير التي يفسر بها الإله... إنه لا يرى نفسه كذلك إلا ملطخاً وجهه ويداه وضميره وأخلاقه وتاريخه بكل التشوهات والعاهات والخطايا والذنوب كما يرى الإله نفسه!

... وإن جميع الشعراء والأدباء والخطباء والوعاظ والكتاب والمعلمين بل والفلاسفة والمفكرين ليتحدثون بكل الصدق والعمق والإيمان والحماس والإعجاب والديمومة عن حكمة حاكمنا أو سلطاننا وعن حبه ورحمته وتقواه لأنه يفعل كل ذلك بالأبرياء من شعبه... يفعل بالشيخ والأطفال، يفعل بالأتقياء الأبرار المؤمنين المخلصين المتطهرين المطيعين الصادقين المتعبدين... وإن هؤلاء المتحدثين عن حكمة حاكمنا أو سلطاننا ليرون ويفسرون ويقولون إنه أي حاكمنا أو سلطاننا لن يكون حكيماً أو رحيماً أو عادلاً أو محباً لو لم يفعل ذلك بمن يفعله بهم...!

هل سمعتم عن حاكمنا أو سلطاننا هذا؟ نعم، لأنكم سمعتم عن الإله...

هل رضيتم عن حاكمنا أو سلطاننا هذا؟ نعم، يجب أن ترضوا عنه لأنكم رضيتم عن الإله... هل ترون حاكمنا أو سلطاننا هذا حكيماً ورحيماً وعظيماً ومحباً وعادلاً لأنه يفعل ذلك؟ نعم يجب أن تروه كذلك كما رأيتم الإله هذه الرؤية. إنكم إن لم تروه أي حاكمنا وسلطاننا هذا هذه الرؤية لوجب عليكم ألا تروا الإله هذه الرؤية.

... آه. هل تستطيع أن تتذكر يا إلهي؟

لقد كنت يوماً ما عبداً لك أحترق من هوان وقسوة التعبد لك. واليوم أريد أن أكون صديقاً ناصحاً معلماً لك بكل لهفات الصدق والإخلاص والحماس...

ففي أي حالتي هاتين تراني أنفع لك؟

لقد عبدتك بكل الهوان والمسكنة والصدق والأمل والرغبة . فماذا استفدت أنت من عبادتي لك وماذا استفدت أنا منها؟

أما نصائحي وتعليمي وصداقتي لك فكم أرجو ألا تكون بلا ثمن أو نفع كما كانت عبادتي . . . ولكن هل يمكن أن يصدق أي رجاء في الإله ، أي فيك يا إلهي؟ هل يمكن تصور خائب وخاسر في رجائه مثل خيبة وخسران المتوجه برجائه إلى آلهة؟

نعم ، هل يمكن أن يوجد أو يتصور خسران كخسران العلاقات والمعاملات والمحاورات بين الآلهة وعبادها أو بين الآلهة وأي شيء؟ هل خسر أحد مثلما خسرت الآلهة وخسر البشر في العلاقات والمحاورات والمعاملات بينها وبينهم؟

نعم ، ماذا ربح أي إله من أية علاقات أو معاملات أو محاورات بينه وبين عبيده ، وماذا ربح عبيده من هذه العلاقات والمعاملات والمحاورات؟

ولكن كم هي هائلة وفادحة الخسائر التي أصابت ولا تزال تصيب الفريقين : الآلهة والعبيد من هذه العلاقات والمعاملات والمحاورات؟ والمأساة أن الفريقين لم يعرفا ذلك ولا يريدان أن يعرفاه ولو عرفاه لما عملا بمعرفتهما . .

والمأساة أن المعرفة ليست دائماً هي الأنفع أو الأفضل أو المطلوب أو الهدف . !

إن المعرفة قد تصبح هي العذاب والدمامة واليأس والرعب . !

. . . إن العلاقات بين أي إله وعبيده تشبه العلاقات بين عاشقين أو بين من يزعمان أنهما عاشقان ، ينفقان الكثير من أوقاتهم وطاقاتهما واهتماماتهما في المناجاة والمراسلة وفي البكاء والأنين والتأوه والصراخ والإنشاد شوقاً وحباً أو باسم الشوق والحب . . . وأيضاً ينفقان الكثير من الأوقات والطاقات والاهتمامات في رسم الصورة وصنع الملابس وتشديد البيوت والقصور وزراعة الحقول والحدائق وإقامة المتاحف والمعارض وتنصيب التماثيل وتوظيف الحراسات الهائلة على ذلك بأضخم وأغلى التكاليف . .

كل منهما يفعل ذلك للآخر . لإرضائه وإسعاده وتكريمه وانتظاراً وإعداداً واستعداداً للقاءه لتفريغ كل طاقات وأسلحة الغرام والهيام في جسد وقلب الآخر . .

نعم ، مع أنهما لن يلتقيا أو يسمع أو يرى أو يعانق أو يصفح أو يلامس أو يجالس أو يعرف أحدهما الآخر ، بل ولا يريدان أن يحدث ذلك بل ولعلمهما يعرفان أو يعرف

أحدهما أن ذلك لن يحدث وأن ذلك لو حدث لكان هو العذاب والخسران والافتضاح وكل القبح والسخف بل وقد يكون أحدهما غير موجود وغير ممكن أن يوجد ولن يكون من راحة أو مصلحة الآخر أن يوجد .

وحتماً فإن أحدهما أي الموجود حتماً لا يهرب من شيء أو يهاب ويرفض شيئاً مثلما يهاب ويرفض لقاء الآخر . !

هل يقاوم أو يمقت الإنسان المؤمن شيئاً مثلما يقاوم ويمقت لقاء الإله؟

أجل ، إن العلاقات بين أي إله وعبده تساوي في كل تفاسيرها أو في أذكى وأجمل تفاسيرها أو في أقبح وأغبى تفاسيرها ما تساويه العلاقات بين عاشقين مجنونين مفتضحين في حبهما وفي الحديث والإعلان عن حبهما وفي الإنفاق على حبهما وفي الصلاة والأغاني لحبهما ، دون أن تكون لهما قلوب تحب وتحاب ، أو عقول أو أخلاق تتشابه أو تتفاهم أو تتقارب ، أو أهواء وأشواق تتجاوب أو تتجاذب ، أو عيون تتغازل وتتخاطب وتتبادل النظرات المنادية الهاتفة ، أو أيد أو شفاه أو صدور تتصافح أو تتعانق أو تتلامس أو تقبل ، أو أعضاء مشحونة بالسائل البذيء لتبصق وتستفرغ أو ليبصق ويستفرغ فيها ، أو غرف وسرر ليتلاقيا فيها وفوقها ، لكي يتعريا من كل وقارهما واستتارهما واستحيائهما ويستفرغا السائل البذيء أي يستفرغه أحدهما ويستقبله الآخر .

.. إنه عشق فيه كل لغات العشق وادعاءاته وطقوسه وتكاليفه ومغارضه وتمائيله وشعره وشعرائه وشعاراته ولكن ليس فيه أي شيء من مشاعر العشق أو حنينه أو تفاسيره أو نياته أو حراراته أو سلوكه ، بل إنه نقیض حاد لكل ذلك . !

.. إن عشق الإله لعبيده وعشق عبده له لهما العشقان اللذان لا يوجد فيهما أي عاشق أو معشوق أو عشق .

.. إنهما العشقان اللذان يصنعان أبداً الخسران للعاشق والمعشوق . !

إنها لا توجد قصة حب كاذبة وأليمة ومخيفة ومهينة وخاطئة وخاسرة وعدوانية وبليدة ومناقضة لكل مشاعر الحب وأخلاقه وشروطه وأحاسيسه ونتائجه وعطاياه مثل قصة الحب المزعومة بين الإله ومخلوقاته . !

إنها لا توجد قصة حب بلا أي حب وبلا أي خلق أو سبب من أخلاق الحب وأسبابه وبلا أية مسرة من مسراته مثل قصة حب الإله لأي شيء غيره أو حب أي شيء غيره له . !

إنه لا يمكن أن يوجد أو حتى يتصور بعد كالبعد بين قلب الإنسان وقلب الإله أو

بين قلب الإله وقلب أي كائن آخر. إن كل العلاقات بينهما تباعد... تباعد.

.. إنها لا توجد ولن توجد قصة حب هي هجاء وتحقير وسباب لكل قصص الحب كقصة الحب المزعوم بين الإله والإنسان، أو بين الإله والصرصار والذباب وأية حشرة أخرى أو أي شيء آخر أو حتى بين الإله ونفسه.!

هل يمكن تصور عاجز عن حب نفسه أو مخطئ في حب نفسه أو جاهل بحب نفسه أو هاج محقر مبغض لنفسه وهو يحسب بل يعتقد أنه يمتدحها ويمجدها ويحبها، مثل الإله؟

هل يمكن أن يوجد من قبل أو يريد أو يغفر أن يكون محباً أو محبوباً لو عرف أو اقتنع أو ظن أن كل الحب أو بعض الحب لا بد أن يفسر أو قد يفسر بشيء من الحب المتبادل بين الإله والإنسان أو بين الإله وأي كائن أو أي شيء آخر، أو حتى بين الإله وأنبيائه وأوليائه وقديسيه أو حتى بين الإله ونفسه؟ هل يمكن تصور جاهل بكل تفاسير الحب معطى ومأخوذاً مثل الإله؟ هل يمكن تصور مبغض محقر لنفسه وهو ينوي ويريد احترامها وحبها مثل الإله؟

نعم، يا إلهي إني لا أخاف أن تواجه ورطة صعبة ومؤلمة وفاضحة لذكائك وحساباتك من نوع وبحجم الورطات التي لا بد أن تواجهها جميع الزعامات والقيادات العربية كلما حاولت أي الزعامات والقيادات العربية أن تحارب أو تسالم، أن تصادق أو تعادي، أن تتحول إلى هذا الاتجاه أو المذهب أو النظام أو إلى النقيض...

أليست كل تحركات القيادات والزعامات العربية تنقلاً بين الورطات؟ بل أليس توقفها عن التحرك هو أيضاً تنقلاً بين الورطات ومعاشة للورطات واستسلاماً وتثبيتاً لها؟ أليست كل التفاسير لكل الزعامات والقيادات العربية هي كل التفاسير الأليمة لكل الورطات التي لن تعالج إلا استعارة أو صدقة مستوردة؟

والورطة التي أخاف عليك منها بل التي أتوقعها لك هي ألا تجد الوقود لتشغيل جحيمك. وقد فسرت لك الأسباب التي جعلتني أخاف هذا الخوف وأتوقع هذا التوقع في الصفحات السالفة..

ولأنني وضعت نفسي في مكان الناصح الصديق المخلص لك فإني أطلبك بكل الصرامة والحزم أن تتدبر أمورك وتعيد حساباتك في هذه القضية بل وفي كل قضاياك الأخرى..

وفي هذه اللحظة تذكرت شيئاً خطيراً أسارع إلى تذكيرك به . .

إن الشيطان لن يكون إلا من سكان جحيمك . هل تخالف في ذلك؟

والشيطان هو أعظم عبقرى منتصر في هذا الكون . لقد انتصر عليك وعلى جميع رسلك وأنبيائك وملائكتك وعلى كل ما أردت ودبرت وخططت وعلى كل دعواتك وشرائعك ووعودك وتواعاداتك . .

لقد سحب من كل ما أردت وخططت وفعلت كل تفسير وقيمة ونتيجة وجعله لغواً وعناء . .

. . . لقد أصبح هو وحده حاكم وقائد بل وإله كل شيء وكل أحد في هذا العالم والكون . . يحكمه ويقوده ويصوغه كما يشاء بالدهاء والذكاء والتحريض والتعليم والتسلل وبكل الحيل والأساليب العبقريّة المنتصرة كل تفاسير الانتصار حتى إنه لم يترك لك أي مجد أو نفوذ أو رأي أو مكان أو أتباع بل لقد جعلك غريباً مرفوضاً منبوذاً وحيداً بلا أي مكان أو أصدقاء أو محبين أو حتى معزّين أو مجاملين في أي مكان من هذا الكون . !

. . بل لقد جعلك بلا أي وظيفة . نعم، لقد أصبحت بلا أية وظيفة يا إلهي . !

. . . لقد أصبح كل شيء وكل أحد له تابعاً مطيعاً محباً بل عاشقاً أي للشيطان . ! لقد خلقت الإنسان أي آدم وحواء وأسكنته الجنة لتكون هي مكانه الأبدي ليكون لك جاراً جليساً عبداً صديقاً مسلياً مفرحاً . ولكن بكل السهولة والسرعة استطاع أي الشيطان أن يهزمك وأن يخرجك من جنتك مفسداً عليك كل ما خططت وأردت ودبرت وأحببت . لقد سحبه علناً وقسراً وبكل الكبرياء من أحضانك وتركك حزيناً ذليلاً كسيراً حزيناً . !

لقد كان أو أصبح الشيطان هو أعظم منتصر وكنت أو أصبحت أنت يا إلهي أعظم أو أصغر أو أذل منهزم . .

حتى جحيمك يا إلهي من أراده وخطط له وشيّد ودفع جميع تكاليفه أو ألزمك بدفع جميع تكاليفه؟ أليس الشيطان هو الذي فعل كل ذلك لأنه هو وحده الذي أغوى وأغرى وعلم وقاد كل من يستحقونه أي يستحقون جحيمك أو من رأيت أو زعمت أنهم يستحقونه؟

لقد أراد أي الشيطان وأحب وقدر وحكم عليك أن تخلق الجحيم، فخلقته وأنت حزين باك مقهور لأنه بارزك ونافسك على الإنسان الذي أردته لك وحدك عبداً خالصاً . فحوّله هازماً مذلاً لك إلى نقيض ما دبرت وأردت وأحببت وخططت، وحينئذ حاولت

أن تنتقم بأسلوب همجي ليس فيه أي قدر من الذكاء أو الوقار أو العبقريّة، فخلقت الجحيم . . !

إذن فالشيطان بكل التفاسير هو خالق الجحيم . .

أجل، الشيطان هو مخطط الجحيم وخالقه ليعذب ويعاقب به هو وأتباعه . !

من يصدق هذا من يصدقه؟ ولكن من يستطيع أن يكذبه؟

هل يمكن يا إلهي أن تتهم بالعجز عن أن تفهم ذلك أو عن أن تفهم وتقتنع بأن الشيطان الذي يملك كل هذه القدرات والعبقریات والانتصارات لن يعجز أو يكف عن تدمير أو إفساد أو تعطيل جحيمك أو تحويله إلى نقيض ما أردت ودبرت وخططت؟ كيف وهو حتماً سيكون من سكان جحيمك كما لا بد أن يكون جميع من معه في جحيمك هم أصدقاءه ورعاياه الأبرار الأوفياء الذين أطاعوه وأرضوه وأكدوا مجده . . الذين عصوك وأغضبوك لكي يطيعوه ويرضوه؟

. . الشيطان من سكان جحيمك . ! . إذن كيف وثقت ببقاء جحيمك يا إلهي

الساذج . . الساذج المستحق لكل الرثاء والبكاء لسذاجة سذاجته؟

. . سأقول لك شيئاً لا بد أن يكون بعيداً عن فهمك مع أنه لن يكون بعيداً عن أي

فهم آخر . وأرجوك ألا تغضب عليّ يا إلهي لقسوة حكمي عليك . فلقد وجدتك دائماً آخر من يفهمون بل آخر من لا يفهمون!

إن عقابك بالتعذيب في الجحيم عقاب مادي همجي، ليس ذكياً ولا فنياً ولا أخلاقياً ولا مهذباً أو متلائماً مع قدرة أو مكانة أو أخلاق أو ذكاء من أراده وخططه وأخرجه . ! . إنه عقاب يخجل حتى من تصويره أكبر وأبلد المجرمين . !

. . إن المعقول والمفروض أن يكون عقابك وكذا عقاب كل من في مستواك عقاباً

أديباً . . نفسياً أو عقلياً أو أخلاقياً أو شيئاً من ذلك أو يشبه ذلك لا عقاباً بالحطب أو الخشب أو بالغاز أو بالنفط أو بالحديد المحترق المحرق . .

إن مثل هذا العقاب لا يعاقب له إلا العاجزون الجاهلون الأجلاف الأوغاد المرضى

بأمراض لا تستطيع معرفتها ولا العلاج منها . وحتى هؤلاء قد يكون من الصعب أو المستحيل أن يعاقبوا بمثل هذا العقاب .

وهل يمكن اتهامك بالعجز عن أن تعرف أو تجد أو تصنع العقاب الأدبي الملانم؟

وإني لأعذك بالمساعدة على اختيار هذا العقاب الأدبي بل وعلى تخطيطه وصياغته

وإخراجه أي إذا أنت أعلنت بأسلوب مقنع أنك سوف تتراجع عن العقاب المادي الهجمي بالنار إلى العقاب الأدبي . .

وإني لوائق بأننا سوف نجد صيغاً كثيرة وجيدة وذكية وفنية ومحترمة لهذا العقاب الأدبي بل وبلا تكاليف أو بتكاليف قليلة وسهلة محاسبة بتكاليف الجحيم . إن العقاب الأدبي أكثر وأنبل رحمة بعينيك ويديك وعقلك وأخلاقك ووقارك من العقاب المادي . هل تجهل ذلك؟ هل استطاع جهله؟

لو أن إنساناً حكيماً عاقلاً قوياً مهذباً محترماً غضب على إنسان آخر غضباً عقلياً أو مذهبياً أو نفسياً أو أخلاقياً أي غضباً أدبياً بل أو أي غضب حتى ولو لم يكن أدبياً، وأراد أن يعاقبه انتقاماً أو زجراً فهل يمكن أن يعاقبه بالإحراق أو بالكي أو بالشبي بالنار أو بفوق عينيه أو بالبصق عليه أو بتشويه وجهه؟ أليس المحتوم أن يعاقبه عقاباً أدبياً . . أخلاقياً أو نفسياً أو فكرياً أو شبه ذلك أي إن كان محتوماً أن يعاقبه؟

أما الجاهل أو الوغد أو المجرم أو القاتل أو المعتوه أو المجنون أو الخارج على كل القوانين والأخلاق والنظم فهو الذي قد يقال أنه قد يعاقب بهذا العقاب الذي لن يعاقب به الإنسان الحكيم العاقل القوي المحترم المهذب .

وهؤلاء الذين تريد معاقبتهم بهذا العقاب المادي الهجمي الجاهل لأنهم قد أغضبوك وأساءوا إليك أو هكذا زعمت وظننت إنما فعلوا بك ولك ذلك أدبياً أي فكرياً ونفسياً وأخلاقياً واعتقادياً لا مادياً أي أنهم لم يسجنوك أو يضربوك أو يشوهوك أو يسرقوك أو يشووك بالنار أو يقطعوا شيئاً من أعضائك أو يدمروا عرشك أو يطفئوا شمسك أو يسقطوا سحابك أو يشربوا مياه أنهارك أو يخفوا أو يلغوا صحراءك . . !

إذن عاقبهم إن لم يكن بد من معاقبتهم بالأسلوب أو بالمنطق الذي به عاقبك أو أغضبوك أو أساءوا إليك إن كانوا أو لو كانوا قد أغضبوك أو أساءوا إليك وأصبحوا يستحقون أي عقاب . .

ولرغبتني الصادقة في تحريضك على أن تتراجع عن العقاب الهجمي المادي إلى الأخذ بالعقاب الأدبي الذي أنصحك به وأصر على أن تلتزم به أعرض عليك نماذج من ذلك . . من هذه النماذج للعقاب الأدبي أن تهب هؤلاء الذين تريد تخليدهم في الجحيم عيوناً مطلقة الرؤية وأن تفتح لهم وأمامهم نوافذ على فردوسك لكي يستطيعوا رؤية أنبيائك وأحبابك وأوليائك العظام الزهاد الأتقياء المتوقرين الروحانيين اللاعنين للمادة والماديين جداً وهم متحلون بالأساور والقلائد والخواتم الذهبية، وهم متزينون بالملابس

الحريرية ذات الألوان والأصباغ الكونية الجنونية بين حشود الجواري والهوريات
والغلمان المخدلين الذين هم كاللؤلؤ المكنون، والكؤوس، كؤوس الخمور والألبان
تتعاقب وتنقل عليهم من أيدي الجواري والغلمان والهوريات فوق الموائد التي أنت
وملائكتك وأعوانك بعض أو كل طهاتها وجرسوناتها ومربي حيوانات وطيور لحومها،
وهم أي أنبياءك وأولياؤك وأحبائك العظام جداً يغنون ويرقصون ويتشاءبون ويضحكون
ويغازلون الجواري والغلمان والهوريات وينظرون بكل الفرح الأبله إلى أساورهم
وخواتمهم وقلاندهم الذهبية وإلى كوفياتهم وعقالاتهم وعباءاتهم وجلابيبهم الحريرية،
وأنت من فوق عرشك تطل عليهم فرحاً مبتسماً غريقاً في مشاعر الزهو والكبرياء
والمباهاة، نشوان سكران من الاستمتاع بما ترى كأنك حين ترى تستمتع جميع أعضائك
وشهواتك ومجاعاتك بكل ما تراهم به يستمتعون.

... كأنك تراهم يمارسون ممارساتهم بأعضائك وشهواتك ومجاعاتك. كأنهم
بذلك يعالجونك من حرمانك الأزلي الأبدي ويعوضون ويكفرون عنه..

.. ثم تظل ويظلون هكذا أبداً لا تتغير ولا تبدل ولا طموح ولا تفسير كل القبح
والبلادة والعذاب في الديمومة، ديمومة الزمان والمكان والكينونة في كل مواجهاتها
وتطلعاتها ومعاملاتها.!

... نعم، أليس هذا أي لو فعلته بهؤلاء المغضوب عليهم عقاباً أدبياً موجعاً
كافياً؟ أليس هذا الذي سوف يرويه حينئذ في فردوسك لا بد أن يصيبهم بأقصى عذاب
الانفجاع والاشمئزاز لسخف وقبح وتفاهة المنظر والفكرة والتفسير والنهاية والهدف؟

أليس محتوماً أن يصابوا بكل آلام الذعر والغثيان والاحتقار والرثاء للنفس لو
تصوروا أنهم قد يحكم عليهم بمثل هذا المصير ليمارسوا مثل هذه الممارسات التي
يمارسها أنبياءك وأولياؤك وأحبائك العظام في فردوسك هذا تحت رعايتك ورؤيتك
وخدمتك ومجالستك، راضين عن ممارساتهم هذه كل الرضا فرحين بها كل الفرح
وأنزق الفرح، دون أن يبقى لهم أي طموح أو تطلع أو شوق أو تأميل أو عمل غير
هذا.. دون أن يكون أو يبقى لهم أو فيهم أي صعود أو هبوط أو ارتحال أو رؤية أو
كينونة أو مكان بل أو زمان بل أو إله مواجه مصادق معامل راع حام مدبر مريد مفكر
غير هذا؟ إن عذاب المواجه لهذا من خارجه لا بد أن يكون رهيباً، رهيباً..

أما الممارسون له العائشون فيه فمحتوم أن تموت كل معانيهم لكي يتقبلوه
ويرضوه.!

.. ومنها أي من نماذج العقاب الأدبي التي أعرضها عليك لتعاقب بها من أصابوك بالغضب والغضب لتكون بديلاً عن معاقبتهم بالجحيم يا إلهي .

- نعم، من هذه النماذج أن تخلق أو تركب في هؤلاء الذين استحقوا عقابك عيوناً ترى وتقرأ وتحقق أي تراك وتقرؤك وتحقق فيك وأيضاً ترى وتقرأ كل شيء وتحقق فيه، وعقولاً وأخلاقاً وضمائر وكبرياء وبسالة وتقوى إنسانية ومنطقية تحاسبك وتحاكمك وتفسرك وتسائلك وتحاصرك وتطالبك وتشتري عليك وفيك وأيضاً تفعل كل ذلك في كل شيء ولكل شيء ومع كل شيء وبكل شيء .

آه.. ما أقسى وأدوم عقاب وعذاب من تخلق أو تركب فيهم هذه العيون والأخلاق والضمائر والكبرياء والبسالة والتقوى التي لم تقتل أو تمت أو تسكت وظائفها.. إن كل نظام ومذهب ودين ومجتمع لا بد أن يمارس بأسلوب ما قتل أو إسكات أو إفساد أو خداع العيون والأخلاق والضمائر والكبرياء والبسالة والتقوى .!

.. لقد قبل الناس عيونهم وعقولهم وأخلاقهم وضمائرهم وكبرياءهم وبسالتهم وتقواهم الدينية والإنسانية بعد أن جربوها فوجدوها لا ترى أو تقرأ أو تفسر أو تحاكم أو تحاسب أو تسائل أو تحاور أو تطالب أو تشتري، بل بعد أن جربوها فوجدوها تؤدي أخلاقها ووظائفها ضد أخلاقها ووظائفها وخروجاً على أخلاقها ووظائفها أي بعد أن علموها أن تكون نقيضاً حاداً لأخلاقها ووظائفها المزعومة لها .

.. ما أقسى عذاب أي إنسان ظلت أو لو ظلت عيناه وعقله وضميره وأخلاقه وبسالته وتقواه وكبرياؤه أو أي معنى من معانيه ترى أو تقرأ أو تفسر أو تحاسب أو تحاكم أو تسائل أو تطالب أو تشتري أو حتى تحيا أو تؤدي أية وظيفة من وظائفها التي تحدث عنها كل الأديان والنبوات والأخلاق والتعاليم .!

وأيضاً من نماذج العقاب الأدبي التي أعرضها عليك بكل اللهفة والمودة أن تلزم بأي أسلوب تختاره هؤلاء الذين تريد عقابهم بأن يقرأوا ولكن بموهبة غير عربية كل ما قالته وكتبته جميع الزعامات والقيادات والشاعريات والفلسفات والعقول والتعاليم والأخلاق العربية بل والنبوات العربية في كل التاريخ.. بأن يقرأوها ويقرأوها ويظنوا يقرأونها ولكن قراءة غير عربية. إن القراءة العربية ليست قراءة ولكنها ثأوب أو سعال أو استفراغ فوق الحروف .

.. أليس في هذا الإلزام بهذه القراءة عقاب أدبي فادح، فادح؟

.. قاس عذابك جداً أن تكون غير عربي المواهب ثم تقرأ بمحاسبة وحرارة

وحماس وتحديق ما كتبته وقالته وعلمته واستفرغته العقول والأفواه والأخلاق العربية في كل تاريخها.!

قاس جداً عذابك أن تقرأ هذا وأنت تفاسير إنسان لا أن تقرأه وأنت صيغة إنسان!.. وأطالبك يا إلهي أن تسمع هذا الأسلوب الآخر من أساليب التعذيب الأدبي فقد تختاره لتعذب به من يستحقون التعذيب بدلاً عن التعذيب في الجحيم.. إني يا إلهي أريد أن أبرئك من الجحيم ومن جنون التعذيب به!

.. هذا الأسلوب يفرض عليك أن تكشف عن ذاتك، أن تخرجها من المخابئ المتداخلة وتلقي عنها كل الأقنعة والحجب الكثيفة لكي تصبح مرئي الذات والوجه والملامح والتعبيرات لكي يستطيع هؤلاء الذين يراد تعذيبهم أن يروك مستنجداً بكل عبقرياتك وفنونك وذكائك وعضلاتك وبكل هماتك واهتماماتك وهمومك خيفة أن تنسى أو تخطئ أو تضعف أو تعجز أو ترق أو ترحم أو تتسامح وأنت تدبر وتخطط وتلهث وتجلد أعصابك وتدق أسنانك لكي تصيب بهذا الزلزال أو الإعصار أو الفيضان أو الوباء أو القحط أو المجاعة أو بأي بلاء أو عذاب.

.. لكي تفقأ عين هذا وتقطع يد أو رجل هذا وتصيب هذا بالسل وهذا بالشلل وهذا بالسرطان وهذا بالجذام وهذا بالدماة وهذا بالتشويه وهذا بالجنون أو العته أو البلادة أو العار أو الهوان أو الهزيمة أو الضياع أو بأي شيء مما في كونك الوقح السفیه من قبح وآلام وخطايا وحماقات، ثم تذهب تحديق فيمن أصبت وفيمن فعلت به وفيما فعلت متهلاً متفجراً بالنزق والفرح والضحك والسعادة والإعجاب بالنفس، راضياً عن رحمتك وحبك ورقتك وشاعريتك وفروسيك وعدالتك وعبقريتك متغزلاً بوجهك ولوجهك الممتلئ بالابتسام لأنه يواجه من فعلت به، من أصبته بما أصبته، منزلاً الكتب المقدسة الخالدة في تمجيد ومديح نفسك، ملزماً من أصبتهم وفعلت بهم أن يشكروك ويعبدوك ويمدحوك ويجزوك على كل ما فعلته بهم وأصبتهم به..!

إن أقطع ما فيك يا إلهي أن تفعل كل هذه الفظائع بالديمومة ثم تجرؤ على إنزال الكتب المقدسة لتحدث بكل الصوت عن رحمتك ورأفتك وشهامتك وحبك.!

والأفطع من كل ذلك أن يصدقك الأنبياء ويجيئوا إلينا ليحدثونا بكل أصواتهم عن أنك كذلك. فهل هم أي الأنبياء أغبياء أم جبناء؟ هل هم كتاب عرب يمدحون سلطانهم؟

... نعم، أليس عذاب هؤلاء الأدبي سيكون من أقسى أنواع العذاب أي لو ظهرت لهم ورأوك هذه الرؤية، ممارساً لكل ممارساتك المعروفة المكررة الثابتة؟

أجل، ولكن بشرط لا بد منه هو أن تكون رؤى وحسابات ومحاكمات وقرارات
وتفاسير هؤلاء لك ولأي شيء غير عربية وغير المساوية أو المشابهة للعربية. !

هذه أربعة نماذج من العقاب الأدبي قرأتها بحرارة واستحياء على ضميرك وعقلك
وأخلاقك وكرامتك مؤملاً ومطالباً أن تأخذ بواحد منها أو بها كلها وتراجع عن العقاب
بالجحيم، أي أن تأخذ بها نصاً أو فكرة. . إنك إن أخذت بها نصاً فقد أرضيتني
وأرحتني وأرحت نفسك. أما إن أخذت بها فكرة أي مبدأ فقد أرضيتني ولكنك لم
ترضني إذ أنني حينئذ لا بد أن أكون محكوماً عليّ بالبحث لك عن نماذج أخرى من
نماذج العقاب الأدبي مؤملاً ومطالباً أن تقبلها أو تقبل واحداً منها نصاً لا فكرة فقط. .
إن فكري يقول لي إن إلهك أي إنك أنت محتاج إلى العون والمساعدة والمشورة في
هذه القضية وفي كل قضاياك الأخرى، وإن ضميري ليلزمني بهذه المساعدة والمشورة
والعودة وإنه أي ضميري ليعاقبني أشد العقاب ويحرضني أقسى التحريض لكي أنفذ هذا
الإلزام. .

إن الإنسان ليعلم ويصحح ويساعد إلهه أكثر من العكس بل دون العكس.

إن جمال الإله وذكائه لهما ذكاء وجمال في الإنسان، ولكن ذكاء الإنسان وجماله
لن يكونا جمالاً أو ذكاء في الإله أو له بل قد يكونان دمامة وغباء في الإله أو كاشفين
عن غبائه ودمامته ومعلنين عن غبائه ودمامته. !

إن الإله لن يكون أو لن يرى ويبدو ذكياً وقوياً وعبقرياً وجميلاً إلا بقدر ما يكون
الإنسان غيباً وجاهلاً ودميماً وأعمى. !

. . إن الالتزامات بين الإله والإنسان هي دائماً التزامات على أحدهما أو من
أحدهما. وأن أحدهما هذا هو الإنسان دائماً. .

إنها لا توجد ولم توجد شهامة أو محبة أو تضحية أو فروسية بين فريقين يلتزم
ويتعذب ويموت بها ويفعلها دائماً واحد من الفريقين مثل أو غير الشهامة والمحبة
والتضحية والفروسية المعلننة أو المزعومة أو المتصورة بين الإله والإنسان، وإن هذا
الواحد من الفريقين هو الإنسان أبداً، أبداً. . إنه لا يوجد كائن غير الإله لا يفعل أي
خير للآخرين مهما فعل له الآخرون. إنه غائب أبداً. !

آه. كما أنا راث لك ومشفق عليك يا إلهي لأنك أنت دائماً المحسن إليه المتفضل
عليه الموهوب المساعد المدين المفعول له بل وبه. .

لأنك أنت دائماً المتصدق عليه المدافع عنه المدفوعة عنه وله الغرامات . . !

. . هل وجد أو يمكن أن يوجد مفعول به وله ومدين ومساعد وموهوب ومتفضل عليه أبداً، أبداً دون أن يجزي أو يقابل ذلك بأي شيء مثل الإله أو غير الإله أي مثلك أو غيرك يا إلهي الذي لا أستطيع أن أقتنع بأنني بكيته كما أريد ويستحق أن أبكيه أو أبكي من أجله وعليه حتى ولو تحولت كل البحار والأنهار والسحاب إلى قطرات من فيضانات دموعي . !

نعم، إنه لا أحد مثل الإله أو غير الإله يذهب كل الحب والعطاء والعمل له والشوق إليه والتأمل فيه والانتظار منه بلا أي جزاء أو شكر أو ثمن أو حتى اعتراف منه بالجميل !

إنه أي الإله هو الآخذ أبداً بلا أي عطاء مادي أو حتى أدبي . !

. . إن الإله في كل أوطانه وتاريخه وصيغته هو الكائن أو هو المشروع الذي لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد أفدح من الإنفاق عليه والعمل له وفيه والاهتمام به دون أي ناتج أو إنتاج أو نتيجة . .

. . إن البشر في كل تاريخهم وأوطانهم لم يقاسوا ويتعذبوا ويخسروا للإنفاق على مشروع لن يعطي أو ينتج أي شيء مثلما تعذبوا وقاسوا وخسروا للإنفاق على الإله وعلى الإيمان به . . للإنفاق عليه من أموالهم وأعمالهم وأوقاتهم وطاقاتهم بل ومن أخلاقهم وعقولهم وكرامتهم وكبريائهم بل ومن حبههم وصدقاتهم وإخوتهم الإنسانية والبشرية . إنه لم يوجد معتد على كل تفاسير الإنسان الجمالية ومفسد مشوه لها مثل الإله أي مثلك يا إلهي . !

. . إنه إذن لمن القول المبالغ في صدقه وتواضعه أن يقال إن الإله هو أي إنك أنت يا إلهي أكبر وأفزع لص كوني سرق من البشر أضخم وأعلى ما يمكن أن يسرق منهم بل ما لا يمكن أن يسرق منهم ولا من غيرهم، دون أن يدروا أحياناً، ودون أن يقاوموا أو يرفضوا لجبنهم أو عجزهم أو حمولهم أو نفاقهم أحياناً أخرى . . إنهم لم يستسلموا لأي لص مثلما استسلموا لك أيها اللص الأعظم، أيها الإله اللص !

. . إنك يا إلهي لتقسو بلا أي قدر من الرحمة أو الوقار في مقاومتك واستفطاعك للسرقة حتى لتلزم بقطع يد أصغر وأطيب وأفضل سارق سرق أصغر وأتفه شيء في حساب ورؤية مجتمعه بينما لك أنت في كل المجتمعات أو في أكثرها أعداد هائلة من المراكز والمكاتب والنوادي والجمعيات والمدارس والمعاهد والبيوت والمحارِب

والمنابر التي تعلم بكل الإعلان والمباهاة كل أنواع السرقة لك وباسمك والتي تزدهم بالسارقين باسمك والسارقين لك . . بالمعلمين المشرعين الممجدين للسرقة لك وباسمك . . بالموظفين في السرقة وللسرقة فقط ، لسرقة أموال وأعمال وطاقات واهتمامات وصدقات وحب ووقار وكرامة وذكاء وأخلاق وضمائر وتاريخ مجتمعاتهم . انظر . كم هم الموظفون في كل المجتمعات لكي يسرقوها لحسابك ولحسابهم باسمك . انظر ، انظر .

. . ما أصغر وأردأ وأكذب وأتفه المجتمع الذي يعاقب أصغر وأنبل وأتقى لص بينما يعيش ويعيث فيه أكبر وأفدح لص بكل موظفيه وجيوشه ودعائه ودعاياته ومهرجاناته ومواكبه ومنابره ومحاربه بكل الجهر والدوي والكبرياء بل وبكل السب والتحقير والإهانة لكل ما فيه ومن فيه . .

أي بينما يعيش ويعيث فيه مثل هذا الإله بكل أوصافه وتاريخه .

. . أي بينما تعيش وتعيث فيه أنت يا إلهي الذي لن يتعذب أو يفجع أو يعجز أو يقاسي من الاستحياء والهزيمة والتفاهة أحد مثلما أتعذب وأفجع وأعجز أنا وأقاسي من الهزيمة والاستحياء والتفاهة حينما أحاول التفسير لك أو الدفاع عنك أو الإيمان بك أو عرضك في أي سوق أو معرض أو رؤية لتبدو جميلاً أو معقولاً أو مقبولاً أو مفهوماً أو حتى مغفوراً أو حتى موجوداً . . !

إنه لا يوجد يا إلهي صانع للعذاب مثلك ولا مصنوع به وله العذاب مثلي أي راثياً ومحاسباً ومحاكماً ومفسراً ومعاتباً ومشرطاً لك أي محاولاً ذلك . !

انظر وفكر يا إلهي . . هل وجد كائن معذب لي مثلك أو وجد إنسان متعذب بإلهه ومن أجل إلهه مثلي ؟

إن مأساتي أنني لا أستطيع الصمت عنك برؤاي أو بتفكيري أو بتفسيرتي أو بمحاسباتي أو بشروطي وأنت بكل معانيك ونماذجك لا يمكن أن تتلاءم مع شيء من ذلك بل وأنت نقيض حاد لكل ذلك ، وأنت كذلك لا تستطيع أن تصمت أو تأمر أجهزتك وموظفيك ولصوصك أن يصمتوا . إنه لا شيء يستطيع الستر على قبح وفضائح ونذالات أي إله غير الصمت عنه وصمته . !

. . إنه لا جمال ولا ذكاء ولا مزية لأي إله إلا بالصمت عنه ، صمت الرؤية والتفكير والمحاورة والمطالبة والتأمل والاشتراط ، وبصمته هو ، صمت أجهزته ولصوصه وموظفيه ، وصمت الباصقين عليه وعلى كل شيء بأسلوب ودعوى تجميله

وتمجيدہ . . إنه لا يوجد مبصوق عليه ومبصوق به على كل شيء بادعاء الاحترام والتمجيد له مثل الإله أو غير الإله أي غيرك أو مثلك يا إلهي، يا من يبصق أوقع وأفبح وأرذل الناس بصاقاً على كل الوجوه والعقول والأخلاق والكرامات والعبقريات باسمه، باسم أنبيائه وأديانه ونبواته وكتبه المقدسة، وباسم الاحترام والتمجيد والحب والأفراح والإسعاد له، لعينيه وقلبه وضميره وعقله وأخلاقه وكبريائه، وباسم الدفاع عنه والتكريم لكرامته والتكبير لكبريائه . . يا إلهي، يا من تصعد أصغر وأقصر وأعجز وأجبن القامات والهوام فوق أعلى وأشمخ وأنبل الهامات والقامات وأبسلها باسمه، باسم أديانه ونبواته وأنبيائه وكتبه المقدسة وبدعوى التكريم والتمجيد والاحترام والحب له والدفاع عنه .

. . يا من يزعم كل الموظفين والعاملين في دواوينه أنه لا يستطيع أن يكون كريماً أو عظيماً أو يقنع أنه قد أصبح كريماً أو عظيماً إلا بتحقيق وسباب كل شيء عظيم وكريم . !

. . يا إلهي يا من لا يوظف أو يتوظف أو يعمل في دواوينه إلا اللؤماء أو الأغبياء أو العاجزون أو الضائعون أو المنافقون أو الخادمون أو الذين يصعب تفسيرهم لأنه ليست لهم تفاسير ولأن كل التفاسير ترفض أن تكون من تفاسيرهم أو أن تحاور لتكون بعض تفاسيرهم أو مذكرة بتفاسيرهم . .

. . يا إلهي يا من يخجل من كل الموظفين والعاملين من الموظفين والعاملين عنده . يا من يرفض كل الشرفاء والأتقياء الأذكياء أن يكونوا من موظفيه أو مصادقيه أو مفسريه أو أنصاره أو دعاة . !

عاقبني بجحيمك لئلا تعاقبني بفردوسك

إني يا إلهي أتهمك بأنك قد هبطت بالإنسان العربي هبوطاً فاجعاً . . هبطت به في تصورك له وإعلانك عنه أو في تكوينك له أو في كل ذلك . . لقد تصورته وعرضته عرضاً وتصوراً بائساً ومهيناً أو كونه تكويناً صغيراً مهيناً أو فعلت به كل ذلك في عرضك وتصورك وتكوينك له وليس فقط في بعض ذلك . . إني عربي يتهمك بذلك !

نعم ، لقد هبطت بالإنسان العربي هذا الهبوط الذي يجب أن تحاكم عليه حين أنزلت أوصاف فردوسك الذي سوف تجعل تخليده فيه جزاءه الأبدي الأعظم على عبادته لك ، باللغة العربية ، على النبوة العربية ، مخاطباً بها أي بأوصاف فردوسك الإنسان العربي . . ! . . لقد دبرت واخترت وتصورت ووضعت جزاءه ليكون مرضياً له كما تفهمه وتتصوره وتراه . !

. . إذن لقد تصورت الإنسان العربي وعرضته أو تصورته وعرضته وكونته بالأسلوب أو بالطور أو بالصيغة التي تجعله يرى أن النموذج أو المثل أو الطور أو الطموح أو الأمل الأعلى أو الكينونة العظمى للإنسان أو لأي كائن هو أن يوضع في خيمة أو في كوخ أو في قصر أو في ملهى أو في أي شيء من ذلك ، محشود مخزون فيه كل شهوات الأعضاء البدائية الحيوانية الأولية التكوينية والكينونة من الغلمان والجواري والخمور واللهو وكل أنواع الأطعمة والأشربة الخرافية ، دون أن يكون أو يبقى في هذا الكائن أو الإنسان الذي وضع في هذا المكان أية قيمة أو تفسير من القيم أو التفسير التي هي فوق أو بعد ممارسات الجنس والطعام والشراب واللهو والاسترخاء والخمول والتفاهة الشاملة ، أي دون أن يعاني أو يحيا أي نوع من التفكير أو الطموح أو المغامرة أو الإبداع أو العمل أو الحماس أو الاهتمام بأي شيء أو أحد بل أو من

الهجوم والانفجاع والغضب الفكري أو النفسي أو الأخلاقي أي ليموت فيه كل شيء وتحيا أعضاؤه فقط . . !

هل يمكن تصور تحقير أو تهوين أو هجاء لأي كائن أو لأي إنسان مثل تصويره أو عرضه أو خلقه بهذه الصيغة أو في هذه الصيغة أي أعضاء تجوع وتتغذى وتتلوث وتفترس لا كائناً يفكر ويدبر ويغامر ويرتحل ويبدع ويتطور ويقفز فوق وجوده . !

. . هل يقبل أي كائن أرقى من الحيوان والحشرة أو غير الحيوان والحشرة أن تكون هذه الصيغة أو الكينونة هي صيغته أو كينونته أو أمله أو طموحه أو حتى تصويره؟ وحتى الإنسان العربي هل يقبل ذلك، هل يقبله في كل مستوياته أو في أكثر مستوياته أو حتى في بعض أو أدنى مستوياته؟ لقد أصبحت أنت المتهم الأول للإنسان العربي بهذه التهمة الوقحة . .

. . إن كل هبوط الإنسان العربي لن يساوي هبوطك به في هذه القضية . !
. . ألسنت قد أخطأت وأذنبت جداً يا إلهي في تصورك للإنسان العربي مهما كانت ضخامة ذنوبك وأخطائك في تخطيطك وتدبيرك وصياغتك له؟ لقد هبطت به حينما كونه ثم هبطت به هبوطاً آخر أقسى حينما صورته وتصورته وتعاملت معه . !

. . ليتك يا إلهي تستطيع أن تفكر أو ليت التأمل في أن تفكر ممكن لكي أقول لك: فكر، فكر في هذا يا إلهي الذي عذبنى وفجعني وأخجلني كثيراً، كثيراً أُملي في أن تكون مفكراً وعجزي عن أن أجعلك أو أجذك شيئاً من ذلك . وعذابي شديد، شديد لأنك بعيد، بعيد عما أريد!

نعم، لكي أقول لك: فكر، فكر . .

هل يقبل أي عربي مهما كان طول هامته وقامته أن يقال له: إنك إذا كنت كما يراد ويطلب منك طاعة وتقوى وصدقاً وإيماناً وإخلاصاً ونظافة وبراءة وعبقريّة فإن جزاءك الضخم الأعظم الأبدي أن توضع في خيمة أو كوخ أو قصر أو ملهى أو في شيء يشبه ذلك فيه كل ما تتغذى به وتجوّع إليه أعضاء الحيوانات والحشرات . . كل ما تتغذى به وتجوّع إليه أعضاؤك الأولية الحيوانية ثم لا شيء آخر يرجى أو يطلب منك أو تطمح أو تشاق إليه أو تفكر فيه أو تقاسي وتناضل وتخاف وتتعذب عذاباً نبيلاً شهماً من أجله . . ؟

إن كل الحياة، كل جمال الحياة وعزائها في مقاساة وتحمل العذاب النبيل والخوف الباسل . .

.. كلا، إن العربي لا يقبل أن يقال له ذلك أو يوعد أو يتهم به أو بأنه قد يريده أو يقبله مهما كان حجمه أو وزنه !

.. إنه ليرفض أن يكون حيواناً أو تفاسير حيوان حتى ولو كان الثمن أن يوضع في فردوسك .. !

.. إنه ليرى في ذلك كل الهجاء وأقسى الهجاء له ولمن يريد له ذلك !

لقد أراد عربي أن يهجو عربياً آخر هجاء يحوله إلى كل الدمامة والعار والهوان في كل العيون والعقول والأخلاق والحسابات والتفاسير العربية الدائمة الأصلحة فقال محلقاً فوق كل المحلقين في هجائهم المحلق فوق كل الهجاء المحلق :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

إن هذا الشاعر الهاجي العربي ليرى بهذا أنه قد هجا أقسى هجاء، وإن هذا المهجو العربي ليحس أنه لم يهج أحد بمثل هذا الهجاء الذي به قد هجي . آه . رهيب، رهيب أن تكون في حساب الإنسان العربي أو الشاعر العربي جسداً أو أعضاء فقط تأكل وتلبس وتحيا حتى ولو في الفردوس ..

.. إذن يا إلهي ألسنت قد قسوت وظلمت واعتديت جداً حينما أنزلت أوصاف فردوسك باللغة العربية على النبوة العربية مخاطباً ومساوماً ومغازلاً ومغرياً مغوياً الإنسان العربي لكي تسحره وتبهره بهذا الثمن؟

لماذا تخلص الإنسان العربي بكل هذه القسوة في تصويره وتصويره وعرضه وفي الإعلان والحديث عنه بل وفي تكوينه؟ هل الحافز لك على ذلك هو البغض أو الحسد أو الغيرة أم الحب والاحترام والشوق أم الجهل والخطأ والضلال؟ إنه لا ينبغي أو يقبل الاختلاف على أنك قاس كل القسوة في صياغتك وتصورك وتصويرك وعرضك للإنسان العربي ولكن الاختلاف أو الخلاف لن يكون إلا في تفسير أسباب هذه القسوة !

لقد بالغت جداً في تصغيره حينما أردته وخططته وكونته وصغته ثم بالغت مبالغة أخرى حينما تصورته وصورته وعرضته وتحدثت وأعلنت عنه . ولقد جاءت مساومتك له على فردوسك تعبيراً أليماً عن هذا التصغير له المتعدد التفاسير ولعلك يا إلهي المتوحش في كل صيغك وتفاسيرك وتاريخك لم تحقر أو تصغر أحداً أو شيئاً مثلما حققت وصغرت الإنسان العربي حينما صغته وكونته وأردته وخططته وصورته وتصورته وعرضته وأعلنت عنه مواجهاً لإسرائيل ومتعاملاً مع نفظه أو مع نفظهم المزعوم لغوياً وخطابياً وتسامحاً دولياً نفظه هو ..

إنك يا إلهي لو كنت كريماً أو شهماً أو مهذباً في تعاملك مع الإنسان العربي وفي إرادتك وتصورك وعرضك له لما رأيت أو قبلت أن يكون جزاؤه فردوسك أو الوعد بفردوسك إن هو أطاعك وعبدك بل لجعلت جزاءه شيئاً أكرم وأكبر وأمجّد وأذكى، بل لجعلت جزاءه نقيضاً لهذا الجزاء ورفضاً له واعتذاراً عنه، بل عقاباً لهذا الجزاء، بل لما وجد هذا الجزاء في تصورك كما لن يوجد في أي تصور آخر! لقد كان المفروض والمعقول بل كل المفروض وكل المعقول أن يكون الجزاء الذي تراه وتعهده للإنسان العربي وتعهده به إن هو آمن بك وأطاعك وعبدك أن تجعله كائناً كونياً بل كائناً ربانياً أي رباً جديداً يريده ويخططه ويصوغه بعد أن يتمناه ويتخيله الرب القديم، أي يلده الرب القديم ليكون رباً جديداً بتفسير رب جديد، ليكون صحيحاً للرب القديم وتوفقاً عليه وتجاوزاً له وعلاجاً من أخطائه أي من أخطاء الرب القديم ومن عجزه وجهالته وبدائته ووحشيته كما يفعل الأبناء بآبائهم ومع آبائهم الذين يخلقونهم ..

اسمع وافهم يا إلهي:

.. وكم أتوقع بل كم يجب أن تسخر من الكلمات والقلم والورق حين أطلبك أن تسمع وتفهم. ومع هذا أكرر: اسمع وافهم يا إلهي:

إنه لم يكن من المنتظر أو المقبول منك أو المغفور لك أن تجزيه أي الإنسان العربي بفردوسك أو أن تعده بذلك بل أن تشحنه بأضخم الطاقات العقلية والعلمية والفكرية والنفسية والأخلاقية والمادية والعضلية ثم تطلقه في هذا الكون وفي جميع الأكوان الأخرى مغامراً فاتحاً خالقاً مبدعاً مرتحلاً محلّقاً بلا حدود أو توقف أو استراحة أو استرخاء، صائغاً الكون الموجود وكل من فيه صياغة جديدة فنية عبقرية مبرأة من كل النقائص والعيوب والتشوهات والآلام والتفاهات والبلادات التي عجزت أنت أو لم ترد أن تجعل أي شيء في هذا الكون الموجود مبرراً أو محمياً منها. وصائغاً أيضاً أكواناً أخرى لا تصاب بأي شيء غير جيد أو جميل أو ذكي أو فني أو مريح، لا تصاب بأي شيء مما يزدحم به كونك هذا، لتكون أي الأكوان الأخرى الجديدة تعويضاً وتفكيراً واعتذاراً عما كان في كونك الهمجي البدوي الصحراوي الأليم الخارج على جميع النماذج والشروط الفنية والعقلية والأخلاقية، عما كان في كونك الذي لا يستطيع جنون كل المجانين أن يهبط إلى شيء من جنونه!

.. أليس هذا هو الجزاء الجيد الكريم المطلوب المحترم النافع بل العبقري؟

لا أن تلقي به إلى فردوسك الأبله لكي تحوله إلى كائن يعذب العيون والعقول

والأخلاق بل والآذان أن تراه أو تقرأه أو تتصوره أو تفسره أو تسمعه أو تفهمه أو تحاسبه .

. . لتحوّله إلى أمعاء وأعضاء حيوانية تأكل وتشرب وتمارس الجنس وتحلّي وتنزّل بالأساور والخواتم والقلائد الذهبية وبالجلابيب والعباءات والكوفيات الحريرية، وتستلقي تحت الخيام بكل الخمول والبلادة والتفاهة والتغفيل والغفلة، بين الغلمان الذين لم يعرف أو يكشف أو يسمح لهم بالاختلاط بالجوّاري المسميات حوريات .
إن ها هنا لعقدة أو مشكلة . .

نعم، إن لم يكونوا مسموحاً بهذا الاختلاط لهم فالفردوس إذن فيه قيود وتحريم وتعذيب وغيره وعذاب غير . ولا غير بلا نتائج حزينة .

أما إن كان مسموحاً لهم أو سوف يسمح لهم بهذا الاختلاط فهل التفسير لذلك أن سكان الفردوس حتى سكانه من الأنبياء والأولياء فاقدون لكل غير؟ ويوجد غموض مؤدّ في تفسير وظيفة هؤلاء الغلمان . ولماذا اخترتوا غلماناً؟ هل لهذا الاختيار تفسير مريح؟ أنا عاجز عن الفهم!

. . إن مجازاتك للإنسان العربي بالأسلوب الذي عرضته وقرأته عليك وفسرته لك لا بدّ أن يتحوّل إلى تصحيح وتمجيد وتجميل وتكريم وشفاء وإنقاذ لكل شيء عجزت أنت أو لم ترد أو تعرف أن تفعل له ذلك :

بل إن ذلك لا بدّ أن يهيك أو أن يبدو وكأنه قد وهبك شيئاً من الشهامة أو الذكاء أو الجمال أو الحب أو الحكمة أو الرحمة أو الرصانة أو الكرامة وأنت أبداً تبدو وتقرأ وترى يا إلهي فاقداً لكل ذلك، فاقداً له فقدماً لا يستطيع الاختلاف عليه . إن الاختلاف عليك يا إلهي مزعوماً جيداً ومزعوماً رديئاً ليس اختلافاً عليك أو فيك ولكنه اختلاف بين المختلفين، بين أماكهم !

آه يا إلهي . إن أعظم وأنبل وأنفع وأذكى وأتقى شيء تفعله وتطالب بفعله أن تخلق أو تلد أو تفرز كائناً متفوقاً عليك لكي يشفى وينقذ من كل عيوبك وذنوبك وعجزك وأخطائك وخطاياك وبدوااتك .

. . لكي يعرضك في هذا الكون وفي أي كون آخر عرضاً أجمل وأعظم وأذكى وأكرم وأرحم وأشرف من عرضك لنفسك في كل تاريخك .

. . لكي يكون تعويضاً وتكفيراً عن تخلفك الأليم مثلما أصبح الإنسان الصاعد فوق القمر تعويضاً وتكفيراً عن تخلف آبائه الذين كانوا يجنون خوفاً وإيماناً وتعبداً حين

يرون خسوف القمر. إن الفن والخلق والولادة يجب أن تكون صعوداً دائماً وإن الفنان والخالق والوالد يجب أن يعطوا أعظم من الموجود وأعظم منهم هم.!

. . والآن هل تعلن يا إلهي بكل الحزم والاقتناع والصرامة والفرح رجوعك عن المجازاة بفردوسك إلى هذا النوع من الجزاء الذي سمعته مني؟
إني لأطالبك بذلك وأرجوه منك.

. . والآن أيضاً هل تعلن بكل الشجاعة والصدق والندم اعتذارك وتوبتك واستغفارك إلى الإنسان العربي عن تصغيرك وتحقيرك له حينما اعتقدت أنه قد يقبل فردوسك ثمناً لإيمانه الأبله بك ولعبادته الذليلة لك، بل حينما تصورت أنه قد يقبل العيش في فردوسك هبة وهدية منك بلا إيمان أو عبادة لك، بل حينما خفي على ذكائك وأخلاقك وكبريائك أنه لا بد أن يرى العيش في فردوسك أقصى ألوان الإهانة والتحقير والإذلال والقتل له. . لفروسيته ورجولته بل ولإنسانيته.!

إني لأرجوك وأطالبك يا إلهي أن تتقدم بكل التواضع والتضرع إلى الإنسان العربي بهذه التوبة والاعتذار والاستغفار، وأن تنتظر منه بكل اللهفة والرغبة أن يتقبل توبتك واعتذارك واستغفارك.

. . وكم هو انتصار لك وعطف عليك ورحمة بك أن يتقبل أو حتى أن يسمع منك ذلك.!. لقد أعلنت اتهامك له بأنه يقبل العيش في فردوسك هذا أجراً لعبادته لك. فسكت على هذه الإهانة بل وتظاهر بالقبول. وأحذرك أن تخدع. لقد فعل تأدباً وحياء مع استفظاعه الغاضب جداً لهذا التحقير له.!

والعربي مبالغ جداً في تأدبه مع آلهته وحكامه ومع كل طغاته وعتاته.

. . نعم. يا إلهي لتمتلي رضا عن فردوسك هذا وعن سخائك بجعله هو ثوابك الأعظم لمن أسعدك وأفرحك بسجود جبهته وكرامته وشجاعته وحرية وعقله لك. . . للحجارة والقبور والمكتوب والمقروء عليها اسمك.

. . ولكني أحذرك بانزعاج من أن تظل متفائلاً أو آمناً أو مسترخياً. إن أخطاراً ضخمة تحيط بفردوسك وتهدد بقاء فردوساً بل بقاءه حياً ومكاناً للحياة والأحياء. إن من أخطر هذه الأخطار أن جميع سكانه وملاكه والمواطنين فيه لا بد أن يكونوا متخلفين في كل معاني القوة والنشاط والإبداع والعمل والعبقرية العقلية والعلمية بل واليدوية.

. . إذن فمن المحتمل أو المحتوم أن يعجزوا عقلاً وعلماً وفناً وحماساً ونشاطاً

وخبرة بل وإدارة عن أداء الأعمال التي لا بدّ منها لكي يبقى فردوساً بل لكي يبقى مكاناً للحياة والأحياء دون أن يتحول إلى قحط، إلى خراب، إلى صحراء . .

. . إنه ليفترض بل ليجب ويتحتم أن تكون الآلات والأدوات التي سوف تعمل في الفردوس علمية حديثة متقدمة جداً. وهؤلاء المتخلفون الذين هم كل سكان الفردوس كيف يمكن أن يشغلوا هذه الآلات والأدوات أو كيف يستطيعون صيانتها أو كيف يصنعونها أو يستوردونها. ومن أين يستوردونها أي لو أرادوا استيرادها ووجدوا العملات الدولية التي تقبل ثمناً لاستيرادها؟

وقد ذكر في كلمات سابقة أن الإله لا يخلق أو يوجد الأدوات أو الأجهزة أو الأشياء المصنعة المعدة لأن تؤدي عملاً وظيفياً منظماً منضبطاً معقولاً فنياً. وإنما يوجد المواد الخام أو المواد الأولية المحتاجة أبداً إلى خالقين آخرين يحولونها من صيغة إلهية أو أولية إلى صيغة إنسانية حضارية علمية. !

. . إذن لا أمل في أن يصنع أي الإله أي أنت يا إلهي الأجهزة والآلات التي لا بدّ منها لكي يبقى الفردوس فردوساً بل لكي يبقى مكاناً للحياة والأحياء، كذلك لا أمل أن يصنعها أو يشغلها أو يصونها لو وجدت مكانه أي سكان فردوسك يا إلهي. . . أأست قد رأيتم في حياتهم الأولى كانوا عاجزين كل هذا العجز؟

وهل يوجد أمل في أن يستورد خبراء شراء أو صدقة للعمل في الفردوس كما يحدث في الحياة الأولى؟ أليس هذا الاستيراد هو أعظم وأنفع وأنبل عطايا الحضارة؟ هل وجدت عملية خلق في هذا الكون تساوي في ذكائها وعطائها وإنقاذها شيئاً مما تساويه عمليات الخلق التي يؤديها هؤلاء الخبراء المستوردون أو الواردين في الأوطان التي لا يوجد أو يتخلق فيها الخبراء إلا الآلهة والأنبياء والخلفاء والزعماء والقادة والحكام المصابون بالأمية التكوينية وإلا القارئون المصلون لكتبهم لكي يجيء السحاب الذي لن يجيء، لكي يولد السحاب الذي لا تحبل ولن تحبل به البحار أو الأنهار أو دموع الآلهة أو دموع الطبيعة أو أخلاقها أو ضمائرهما . .

. . نعم، الآلهة والأنبياء والخلفاء والقادة والحكام الأميون هم أعظم الخبراء في كثير من الشعوب!

. . ولكن ما أردنا أن نحفظ هذا الفردوس وحظوظ سكانه. لقد جاء إليهم هؤلاء الخبراء بكل السخاء في حياتهم الأولى فأعطوها وفعلوا لهم ما لا يستحقون أو يستطيعون فتحولوا أي هؤلاء الخبراء إلى أنبل وأعظم ستر على قبحهم وعجزهم

وجهلهم ودمايتهم، وإلى أعظم وأنفع علاج لفقرهم وبؤسهم وأمراضهم وآلامهم وإن كانوا قد جاءوا فضحاً لهم بتفاسير وأساليب أخرى. . !

. . أما هنا في حياتهم هذه. في فردوسهم هذا فلن يأتي إليهم من هؤلاء الخبراء والعلماء المنقذين بل الخلائق الذين هم جميعاً من سكان الجحيم، إذن لن يؤذن لهم بدخول الفردوس حتى ولا بوظيفة خبراء. !

. . إذن ما المصير المحتوم أو المحتمل جداً؟ المصير أن يتحول الفردوس إلى موات، إلى ضياع، إلى جهالة، إلى قحط وفقر ومجاعة وكآبة. !

ولنفسر ما سوف يحدث للفردوس في الحياة الثانية بما حدث في الحياة الأولى. أن الخالق لهما واحد. وهو أحد لا تصاب أخلاقه أو مواهبه أو عقله بأي تغيير. . كانت أوطان هؤلاء المتخلفين الذين قد أصبحوا هم سكان وملاك الفردوس وكذا كانت حياتهم. قحطاً وفقرًا وعجزاً وبداءة وجهالة وخراباً، بل كانوا يحولون أوطانهم وحياتهم إلى كل ذلك. ولم يكن الإنقاذ من ذلك أو التخطي لشيء من ذلك ممكناً إلا بمجيء أولئك الخبراء والعلماء الذين هم اليوم ومعهم كل مواطنهم من سكان الجحيم. أأست كنت ترى ذلك وتعرفه؟ ولكن ألم يكن يحزنك ويحرجك أن يكون أعداؤك هم المنقذين الواهبين المعلمين لأحبابك؟

. . والآن هل رأيت واقتنعت يا إلهي أن فردوسك مهدد بأخطر الأخطار أي بالآي يبتى فردوساً؟ هل يجوز لي أن أفرح وأسعد لأنني قد استطعت أن أفنك بهذا الخطر الذي كان من المؤلم والمهين جداً ألا تظن إليه؟ هل من أخلاقك يا إلهي أن تغضب أو تأسى أو تفجع إذا نبهت إلى أخطائك وإلى الأخطار الموجهة إليك أم ترضى وتسعد وتفرح؟

أليس هذا يعني أو قد يعني ويقنع أن الفردوس سوف يحوله سكانه المتخلفون العاجزون إلى جحيم كما أن سكان الجحيم سوف يحولونه إلى فردوس مثلما فعل هؤلاء وهؤلاء في الحياة الأولى؟ أليس التفسير واحداً؟

إذن قد يعني هذا أن على الذين يريدون الفردوس أن يعملوا الأعمال التي تعاقب بالجحيم. وأن على الذين يريدون الجحيم أن يعملوا الأعمال التي تثاب بالفردوس هل فطن هؤلاء وهؤلاء إلى هذه القضية؟ وهل هم يعملون بما فطنوا إليه؟

أي هل طلاب الفردوس يعرفون أنهم ذاهبون إلى جحيم. وطلاب الجحيم يعرفون أنهم ذاهبون إلى فردوس؟ إن هؤلاء قد يعرفون أما أولئك فلا. !

وتهديد آخر يهدد فردوسك يا إلهي الغافل جداً عن مصالحه وحقوقه وأملاكه .
نعم . إنه لا يوجد غافل أو متغافل عن ذاته وعن مصالحه وحقوقه وأملاكه ومملكته
مثلك يا إلهي مهما قيل أو ظن العكس . !

.. ألسنت قد رأيت في الحياة الأولى أن المتفوقين يغزون أوطان المتخلفين أو
يملكونها أو تسلم نفسها لهم بلا غزو . أو تتضرع أي أوطان المتخلفين إليهم أي إلى
المتفوقين ليغزوها ويملكوها ويحموها ويحبوها ويغفوها ويشفوها؟

.. لا بدَّ يا إلهي أن تكون قد رأيت ذلك مهما كان عجزك عن الرؤية، بل مهما
كانت رؤيتك فقدراً للرؤية بل وعدواناً على الرؤية؟

إني سأقتنع بأنك رأيت ذلك . فهل أنا مغفل جداً أم أني محترم ومحب لك إلى أن
أصبح أو أبدو من قوة حبي واحترامي لك مغفلاً جداً؟

وهل يمكن أن أكون أو أبدو أو أحسب غير مغفل جداً وأنا أتعامل وأتحدث
وأخاطب معك بكل هذه اللهفة والحرارة والقوة، بل وأنا أعاتبك وأحاسبك وأحكمك
وأنتظر منك بهذا الأسلوب الجاد المتعذب المعذب الملهب الصادق؟

أليس أسلوبى هذا معك يعني أنني أراك كائنات يمكن التعامل معه ويمكن تصحيحه
وإصلاحه وتعليمه؟ أما الصامتون عنك ومعهم يا إلهي فهل يمكن أن يعني صمتهم غير
اليأس منك؟ فهل تعترف لي بهذا التمجيد لك الذي جعلني أبدو أو أحسب مغفلاً جداً
بل وأتهم نفسي بذلك؟

نعم، إني أعاتبك وأحاسبك وأخاطبك وأطالبك محاولاً وراجياً إصلاحك
وتصحيحك وتعليمك . .

إذن هل يوجد مغفل مثلي؟ وإذن هل يوجد من يستحق رضاك وحبك وشكرك
وجزاءك السخي مثلي؟

ليتك تستطيع معرفة هذا، معرفة ما لا يستطيع العجز عن معرفته . !

هل وعيت هذا التهديد الآخر لفردوسك؟ إنه احتمال الغزو الخارجي .

.. لقد تجمع في الجحيم كل المتفوقين من كل الشعوب والأعراق والانتماءات
في كل تاريخ الحياة . ووطن هؤلاء المتفوقين أي الجحيم مواجه لوطن المتخلفين أي
الفردوس . إن كل التفاسير إذن تقول إن هؤلاء المتفوقين سكان الجحيم لا بدَّ أن يغزوا
الفردوس ولن توجد أية مقاومة لهذا الغزو أو أية مقاومة مانعة . إن هذا الغزو سيكون

أسلوباً من أساليب غزو المتفوقين المتحضرين للمتخلفين في الحياة الأولى مع الفروق الهائلة لمصلحة هذا الغزو ومحاسناً ومفسراً بذاك الغزو . . وهذه الغزوة لن يكون غزاتها متناقضين أو متنافسين لتعدد أوطانهم وانتماءاتهم كما كان يحدث في الحياة الأولى . إنهم سيكونون متفقين جداً .

إنهم أهل وطن واحد هو الجحيم وانتماء واحد . إن كل الانتماءات الأخرى قد ماتت وقبرت ونسيت في أكفان وجثث مقابر تلك النبوات والزعامات والقيادات الحمقاء التي كانت تتغذى وتسعد وتبحث عن المجد والشهرة بصناعة وترسيخ وتعليم العداوات والأحقاد والبغضاء والانشقاقات والملاعنات والحروب بين الشعوب في تلك الحياة الأولى البائسة المجنونة الشقية بنبواتها وزعاماتها وقياداتها وبكل منابرها ومحاريبها ومعابدها وتراثها وبكل أصواتها ولغاتها وصلواتها المتصارعة المتشائمة المتنايحة بكل الفظاظ والبذاءة والوقاحة والبلادة والقبح والفجور والزور . .

لقد ماتت كل النبوات والزعامات والقيادات . إذن ليحيى الحب والصدقة والسلام العالمي والكوني . !

. . وإذا وقع هذا الغزو الحاسم فلن توجد حينئذ قوات أو منظمات أو تناقضات أو منافسات أو تكتلات دولية تقاومه أو تجليه أو ترفضه أو تنكره أو تهدده أو تصدر قرارات ضده كما كان يحدث في تلك الحياة الأولى . إنه إذن غزو بلا أية مقاومة حتى ولا لغوية منبرية أو أخلاقية إنسانية . !

وهنا لا بد أن يهجم سؤال ضخم مزعج مؤلم ليقول :

وحينئذ ما الذي سوف يحدث لسكان الفردوس المغزوين المهزومين؟ هل يطردون من الفردوس ليكونوا لاجئين؟ أين يلجأون حينئذ؟ وهل يمكن أن توجد منظمات خيرية عالمية ترعاهم وتطعمهم مثل الذي كان في الحياة الأولى؟

أو هل يتركهم الغزاة في مكانهم . في فردوسهم ، ليصبح الغزاة إنقاذاً لهم وحماية لفردوسهم من أن يتحول إلى قحط . إلى خراب . إلى بدادة . إلى صحراء لو لم يأت إليه هؤلاء الغزاة المتفوقون مثل الذي كان يحدث في الحياة الأولى؟ أليس الذين أنقذوا في الحياة الأولى من الصحراء والبدادة والفقر والجهالة هم الذين سوف ينقذون في الحياة الثانية من الموت في الفردوس؟ ولكن هل يمكن أن يقبل هؤلاء الغزاة المتفوقون الحياة في هذا الفردوس أو الإبقاء عليه؟ أليس محتملاً أن يروا أن الإبقاء عليه والحياة فيه قتل لكل طموح ونشاط وعبقريّة وفروسية بل ولكل إبداع وكرامة وشهامة وكبرياء؟

إذن لماذا يغزونه أي الفردوس؟ هل يغزونه ليحولوه من مزرعة حيوانات إلى منطلق أو إلى مصعد أو إلى مطار لرحلة، لمغامرة كونية حضارية تبدأ ولا تنتهي؟
هل يغزونه لينفذوا منه لا ليمتلكوه أو ليعيشوا فيه؟

أليس الإنقاذ من الحياة في هذا الفردوس أنفع وأعظم من الإنقاذ من أمية التاريخ والحياة ومن بداوتهما ووحشيتهما وجاهليتهما؟

ولا يوجد أي احتمال أن يتدخل حراس الجحيم والفردوس وموظفوهم ليمنعوا هؤلاء الغزاة من أن يخرجوا من الجحيم أو أن يدخلوا الفردوس غزواً. لأن حراس الإله وموظفيه مثل الإله لا يتدخلون أو يعملون أو يحاربون جبهة أو بأسلوب مادي مرئي مباشر.

إن سلوكهم أي الإله وحراسه وموظفيه في الحياة الثانية لن يكون إلاً مثل سلوكهم في الحياة الأولى. إن التطور خطو إلى الكمال أو إلى الأكمل أو بحث عنه. إنه إذن تعبير عن النقص. إذن فليتنزه الإله ومن معه عن كل تطور وتغير.

لقد جاء الإله طوراً تكوينياً واحداً. هكذا يقول الدعاة ويقول تاريخه ويقول كل شيء في الحياة والكون. إن الإله لو كان يتطور لجن كل شيء من سرعة تغيره.!

.. نعم، في الحياة الأولى كان الأبالسة والأشرار والكفار وكل أعداء السماء يفعلون ما يريدون ويستطيعون. . يقتلون الأنبياء والأولياء وكل المؤمنين ويهزمونهم ويذلونهم ويطاردونهم ويحاكمونهم ويسجنونهم ويتهمونهم ويهينونهم. وكذا كانوا يحاربون ويهزمون ويفتحون البلاد المؤمنة ويقهرون أهلها ويحكمونهم ويذلون إيمانهم ودينهم ومعابدهم وعباداتهم وكتبهم المقدسة ويهزأون بها ويتعالون عليها بكل الأساليب. .

.. كانوا يفعلون كل ذلك في كل التاريخ بكل الجبروت والقهر والدوي الكوني دون أن يتدخل الله أو جنوده من ملائكة وزبانية وأرواح وكائنات سماوية ذات وظائف إلهية مألوفة لكل هذا الكون رائية سامعة عارفة مواجهة لكل هذا العدوان الشنيع الذي يحدث أبداً، بل الذي لا يحدث سواه.

- نعم، دون أن يتدخل الله أو أحد من جنوده وموظفيه وحراسه هؤلاء حتى ولا بالصوت المسموع أو بالإنذار المكتوب المقروء أو بالتهديد المرئي باليد أو بالنظرات أو بالعبوس. . لا بالصهيل ولا بالزئير ولا بالعواء أو النعيب أو النهيق أو النقيق أو الصفير ولا بأي شيء يمكن أن يرى أو يسمع أو يقرأ أو يعرف أو يتوقع. .!

. . إن صمت الإله وجنوده وموظفيه وحراس مجده غير المنظورين عن كل مقاومة للأعداء المهاجمين المنتصرين أبداً. عن كل مقاومة مرئية أو مسموعة أو فاعلة أو زاجرة أو حتى منتظرة لهو صمت يعجز عن فهمه وتقبله وغفرانه وتفسيره جميع المفسرين .

. . إنه لصمت يفجع ويهزم ويهين بل ويقتل كل إيمان بهم أو احترام لهم وانتظار منهم بل وكل حديث عنهم أي عن الإله وجنوده وموظفيه وحراس مجده غير المنظورين أي من ملائكة وزبانية وجنود سماويين .

إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد صامتون كل الصمت عن كل مقاومة لا يوجد أنذل ولا أقبح من الصمت عنها غير الإله وحراسه وموظفيه وجنوده .
وكما سبق لن تتغير أو تتغير أو تتطور أخلاق أو نيات أو أفكار أو مستويات الله ومن معه .

. . إذن سيصمتون عن المقاومة في الحياة الثانية مثل صمتهم في الحياة الأولى .
إذن لن يصدوا الغزو للفردوس لا يمنع الغزاة أن يخرجوا من الجحيم ولا يمنعهم من اقتحام الفردوس !

إذن فردوسك يا إلهي مغزو . مغزو كما غزيت وقهرت كل أمجادك وحرماتك وأخلاقك وحدودك . ! . هل غزي وقهر بلا أية مقاومة مثلك يا إلهي المهزوم أبداً . والمزعوم منتصراً أبداً؟ هل وجد مثلك مهزوماً ومثلك مزعوماً منتصراً؟ .

. . ولو أن حراس الجحيم أو حراس الفردوس تدخلوا ليمنعوا هؤلاء الغزاة من أن يخرجوا من الجحيم أو يحتلوا الفردوس فما الذي لا بد أن يحدث؟

لا بد أن يهزمهم هؤلاء الغزاة لأن الغزاة لا بد أن يكونوا متفوقين جداً بأسلحتهم الحديثة وبفنونهم القتالية لأنهم بقيادة جميع الخبراء والعلماء المتجمعين جميعاً في الجحيم ، ولأنهم هم الذين صنعوا لهم الأسلحة العلمية جداً ، وهم الذين دربهم عليها . إنها أحدث وأفتك أسلحة وخبرات وتدريبات كل علماء وخبراء الشرق والغرب . أليس كل علماء وخبراء الشرق والغرب سيكونون من سكان الجحيم؟ .

. . . أما حراس الجحيم والفردوس فلا بد أن تكون أسلحتهم وتدريبهم وفنونهم القتالية بدائية أي إن كان معهم وفيهم شيء من ذلك . . لا بد أن تكون أسلحتهم إن كانت لهم أسلحة شيئاً من الرماح والسيوف والخناجر والخيول مدربين عليها تدريباً بدوياً تاريخياً دينياً . ولا بد أيضاً أن تكون شيئاً من الرقى والتمائم والتعاويذ وقراءة الكتب المقدسة . وأيضاً من الدعوات واللعنات والتهافتات . .

بل لا بدّ أيضاً أن تكون أجسامهم غير قتالية . لأنهم ولا بدّ مؤمنون متعبدون متخوفون من الآلهة محبون لها طالبون منها عطاء كل ما يريدون والأمن من كل ما يخافون . !

.. والطبيعة توزع نفسها توزيعاً يعده قوم كل الذكاء والشهامة ويراه آخرون كل الغباء والنذالة . . إنها أي الطبيعة تهب قوماً طاقات إيمانية تعبدية دينية لتحرمهم من الطاقات الخالقة المبدعة القوية المنتصرة، وإنها لتفعل بقوم أو لقوم العكس . ولكنها ترفض أبداً أن تجمع لقوم بين هذا وهذا . .

.. وأنت يا إلهي حينما تركت الطبيعة تفعل ذلك هل تركتها تفعله عن كسل وغفلة من إعجاب أم عن شماتة أم عن استمتاع أم عن حيرة أم كنت متعباً أو مشغولاً بسعادة ما أم كنت متأمرّاً مع الطبيعة؟ هل تتأمر الآلهة؟

.. لهذا فإن الطبيعة لن تأذن بأن يكون صانعو النظريات والفتوحات العلمية والحضارية والكونية بل والإنسانية ملائكة أو أنبياء أو أئمة دين . كما لن تأذن بأن يكون هؤلاء صناعاً أو حتى دعاة لشيء من ذلك . .

لن يكون أي نبي أو ملاك أول نازل فوق القمر أو صانعاً للسفينة الهابطة فوق القمر . !

- ولهذا أيضاً حكمت أي الطبيعة بأن يكون الشيطان هو المنتصر أبداً وأن يكون الإله أي أنت يا إلهي والملائكة والأنبياء وكل سكان السماء وموظفي السماء أي موظفيك يا إلهي مهزومين أبداً . لماذا يا إلهي لم يجمع الملائكة وكل موظفيك وأعوانك وحراسك وعبادك بين عبادتك والإيمان بك وبين القوة والمجد والشجاعة والذكاء والانتصار والعبقريّة العلمية والإبداعية؟ هل رفضوا أم عجزوا؟

ولماذا لم يجمع الشيطان وجنوده بين طاعتك وعبادتك وحبك والتوظف عندك وبين قوتهم وعبقريتهم وشجاعتهم وذكائهم وانتصاراتهم؟ لماذا رفض أحدهما الآخر؟ وأيهما الرافض؟

.. هل يبقى الشيطان وجنوده بكل هذا التفوق العبقري الخارق الهازم المذل لكل شيء حتى لك أنت يا إلهي ولملائكتك وأنبيائك ولكل أتباعك وأصدقائك وموظفيك وجنودك، لو أنهم أصبحوا لك عباداً وأتباعاً وأحباباً وجنوداً؟ هل تقبل أو تأذن الطبيعة أن يكونوا هذا وهذا؟ هل تقبل الخروج على قوانينها وأخلاقيها أي الطبيعة؟

إذن لقد حكمت الطبيعة بأن تكون أنت يا إلهي وموظفوك وحراسك وعبادك أنتم

المتخلفين المهزومين الأذلاء العاجزين المغزوين أبدأ، وأن يكون أعداؤك وخصومك ومحاربوك هم المتفوقين المبدعين الخلاقيين المنتصرين الغازين للقمر، للنجوم، للسماء، للكون أيضاً لفردوسك وللأوطان المملوءة بالجباه والهجمات والقامات والأفواه والصلوات الراكعة الساجدة المنحنية المصلية الهاتفة لك وبك. !

. . إنك قاس متوحش جداً، لهذا لا بد أن تدمر وتذل وتضعف وتهزم كل ذات تسكن قلبها أو أشواقها أو حبها أو تتخاطب أو تتعامل مع فكرها أو أخلاقها أو حتى مع لسانها وأعضائها.

هل هذا هو التفسير؟ هل ذاتك جرثومة أمراض تقتل كل ما تلامس وتواجه؟

أم التفسير أنك أنت يا إلهي كائن عدواني دميم كريحه خارج في كل تفاسيرك على كل التفاسير الذكية المنطقية الأخلاقية الكريمة المطلوبة. لهذا لا يمكن أن يستقبلك ليتعامل معك أو ليثق بك أو ليجد فيك شيئاً جميلاً أو كريماً أو عظيماً أو مريحاً أو حتى مقبولاً أو مفهوماً إلا المتخلفون العاجزون الجبناء الضعفاء في كل معانيهم وصيغهم وتطلعاتهم؟

. . نعم، هل التفسير أنك أنت يا إلهي تخلق التخلف الشامل الأليم فيمن يتعامل معك ويؤمن بك؟

أم التفسير أنه لا يتعامل معك أو يؤمن بك إلا من وُلِدَ وخلق فيهم هذا التخلف الأليم الشامل؟ هل التفسير إنك تخلق وتلد الضعف أم التفسير أنك لا توجد إلا حيث يوجد الضعف؟ هل داعية الدين بليد وضعيف وجبان لأنه تعامل معك أم لأنه كذلك أصبح لك صديقاً وعميلاً ولساناً؟

. . إذن فإن حراس وموظفي جحيمك وفردوسك لن يستطيعوا أن يصدوا أو حتى يقاوموا هؤلاء الغزاة حينما يخرجون من الجحيم ليحتلوا الفردوس إلا بقدر ما يستطيع أئمة المساجد وخدمها والمصلون فيها أن يصدوا أو يقاوموا غزوة دولية بل كونية تتحالف للقيام بها كل جيوش الغرب والشرق بكل أسلحتها الأرضية والشمسية، أو إلا بقدر ما يستطيع حفظة القرآن ومفسروه أن يعرفوا ماذا يربح الإله من خلقه للحشرات والجراثيم والعاهات والآلام أو ماذا يربح أي الإله من خلقه للكون أو للإنسان أو لأي شيء أو من وجوده. !

. . وهنا أرجو يا إلهي ألا تراني قاصداً الإيذاء أو الإيلام أو الإقلاق أو التخويف لك أو الثأر منك حينما أذكرك بخطر لعله لا يمر ببالك يهدد فردوسك. مع أن من

العدل والشهامة أن أفعل لك وبك ذلك قاصداً لأنك تستحقه . إنك يا إلهي لو وجهت إليك كل الضربات لكان ذلك بعض ما تستحقه، بعض ما يجب لك!

.. أظن يا صاحب الجلالة أو الألوهية أنكم قد علمتم أو سمعتم بذلك التقدم في ابتكار وصناعة الأسلحة المخترقة لحواجز وقوانين الكون، الفاقئة لعيون النجوم والشموس، المرهبة والمفسدة والمخجلة لكل تقديرات وأقدار الآلهة، بل المخيفة والمهددة لأنها واسترخائها أي لأمن الآلهة واسترخائها.

.. ذلك التقدم الذي لم يكن ينتظر منك يا إلهي ولا من أي إله آخر أن يتصوره أو يتخيله، والذي لن تلام أو يلام إله آخر إذا عجز عن تصويره وتخيله وإذا عجزت أنت عن تصويره وتخيله، بل الذي لن تلام أو يلام أي إله آخر إذا ذعرت وفجعت وصرخت وبكيت أو ذعر أو فجع أو صرخ أو بكى حين رأيته أي رؤية ذلك التقدم في ابتكار وصناعة الأسلحة.

ولن نتعب كثيراً لكي نستطيع الاقتناع أو تجرؤ على الاقتناع بأنك تعلم أن جميع الذين ابتكروا وصنعوا هذه الأسلحة هم من سكان جحيمك .. إنهم جميعاً من سكان جحيمك المواجه لفردوسك ..

ألمست تعلم حتماً من سكان جحيمك؟ إذن ألمست تعلم أن جميع العلماء والخبراء هم من سكانه؟

إذن كيف لم تعلم أو تظن أو تقدر أو تخف أنهم قد أو لا بد أن يصنعوا هذه الأسلحة في جحيمك ليطلقوها على فردوسك ليزيلوه أو يخربوه أو يحولوه إلى أقسى جحيم؟

كيف لم تعلم أو تظن أو تقدر أو تخف أنهم قد يفعلون ذلك أو لا بد أن يفعلوه قاصدين الانتقام أو الأخذ بالثأر أو إحراجك وإيذاءك وقهرك وفضحك والإفساد عليك والتعذيب لك وإضعاف مجدك، أو معبرين عن الغضب والألم والغيط والاستقباح والرفض والمبارزة، معبرين عن كل حوافز وأهداف وتفاسير الثورة، بل وقد يقصدون إصابة ذاك لتسويهك أو قتلك؟ هل ينتظر من سكان الجحيم أن يكفوا عن فعل أي شيء يستطيعونه؟

.. ألمست أنت حينئذ وحدك المسؤول عن دماء وآلام سكان فردوسك الضعفاء البؤساء الذين لن يستطيعوا أن يفعلوا حينئذ شيئاً إلا أن يموتوا أو يهربوا أو يبكون أو يلعنوا أو يصلوا لك أو ينتظروك أو ينتظروا منك مستغيثين هاتفين بك يا من لن يحضر أو يسمع أو يستجيب أو حتى يرثي ويكي؟

إنه لا إنقاذ ولا محاولة إنقاذ حينئذ لفردوسك ولا لسكانه. إنها لن توجد منظمات أو تكتلات دولية لتحتج أو تغضب أو تتدخل أو تهدد أو تساعد أو تصدر قرارات. إنك حينئذ يا إلهي ستصبح أذل وأردأ مهزوم مفضوح ويصبح سكان فردوسك أردأ وأقبح الكائنات خطأً ووضعاً!

آه.. شيء فضيع، فظيع. لقد كدت أنسى. كم هو ذنب فظيع أن أنسى يا إلهي تذكيرك وتحذيرك من أقبح وأردأ الأخطار المتوقعة تهديداً لفردوسك الحزين. شكراً لذاكرتي لقد أنقذتني من هذا الذنب وهذا والنسيان.

نعم، سكان الفردوس سيوضعون كما يقول دراويشك الأنبياء في أنهار وبحار من الترف والرخاء والاسترخاء.. في بحار وأنهار من الألبان والعسل واللحوم المتساقطة في الأفواه دون أن تمتد إليها الأيدي ومن الغلمان والجواري.. في بحار وأنهار تمطرها العلاقات الجنسية.. تفرزها الممارسات والعلاقات البذيئة بين الأعضاء البذيئة.. في بحار وأنهار من الخمر ومن الأشياء الأخرى التي هي أكثر خمرًا وتخميرًا وخماراً من كل الخمر. أظنكم تعرفون هذه الأشياء التي هي أخمر من الخمر!

إن أحد دراويشك الأنبياء يقول «إن في الفردوس من اللذات والشهوات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وتقول في كتابك على لسان درويشك الأكبر:

«فيها ما تشتهي الأنفس» أي في الفردوس.

ألست تعلم يا إلهي بتجاربك ورؤاك ومواجهاتك الطويلة الأليمة الفاجعة كم هي وما هي الأنواع، التي تشتهيها الأنفس ولا سيما أنفس سكان فردوسك؟ أليس مما تشتهي الأنفس ولا سيما أنفس سكان فردوسك كل المخدرات وكل الآثام الوقحة الباصقة على كل كبرياء ومجد في هذا الوجود؟

.. إنها تشتهي كل الأحوال والتن والعار والقباح والفضائح والذنوب والسقوط في كل مهاوي الحضيض والدنس. إنه لا مكان في الكون يختزن من العفن المتعدد الجنسيات والتفاسير مثلما تختزن نفس الإنسان..

.. إنك كنت تطالب في الحياة الأولى بمقاومة شهوات النفس وبنيهي النفس وزجرها عن الهوى وتقول لمن تحب وترضى مادحاً ومحرضاً: «ونهي النفس عن الهوى»..

إذن كأنك كنت تعرف ماذا تشتهي الأنفس من أنواع الدنس والإثم .

.. تعرف ماذا تعني الاستجابة لهوى النفس من التدنيس والتلويث . !

.. كأنك كنت تعرف أن ما تشتهي نفس واحدة لو نفذ لاستطاع أن يدمر ويشوه

ويفسد ويلوث كل العالم، كل شيء في العالم ..

ماذا يمكن أن يبقى في هذا الكون أو منه لو نفذ ما في نفس إله واحد من الشهوات

والأهواء؟

هل تعرف يا إلهي هذا؟ هل تعرف أن إعطاء سكان الفردوس كل ما تشتهي الأنفس

يعني حتماً إسقاط جميع التكاليف والالتزامات الدينية والأخلاقية والعقلية والنفسية

والإنسانية بل والتطهيرية والجمالية عنهم - يعني حتماً الإباحية المطلقة؟ كيف تعد

بالإباحية المطلقة لكي تحرض على الإيمان بك، لكي تكون هذه الإباحية ثمناً للإيمان

بك؟ قوم يعدهم الإله بإعطائهم كل شهوات أنفسهم ليؤمنوا به . أي قوم هؤلاء؟

.. نعم لقد قلت : «فيها ما تشتهي الأنفس» أي في فردوسك ولم تقل ما تشتهي

أنفسهم أي أنفس سكان فردوسك . وهل يمكن أن يخفى عليك الفرق بين التعبيرين؟

وأنت قد خاطبت بهذا الوعد من كانوا يحيون الحياة الأولى حينما كانوا يحيونها ..

إذن هم حتماً قد فهموا ما تشتهي أنفسهم وأنفس البشر الآخرين حين قلت «فيها ما

تشتهي الأنفس» . إله يهب الأنفس كل ما تشتهي . ! . هل يتصور مثل هذا الإله ملوثاً

ومفسداً ومخرباً؟

.. ولا بد أن يكونوا قد ذهبوا حينما سمعوا هذا الوعد المجنون في سرفه وسخائه

وإباحيته يسائلون ويحاورون أنفسهم وينقبون فيها عما تشتهي ليتنظروا الظفر بكل ذلك

وبممارسته حين الوصول إلى ذلك المكان الجنوني المجنون المسمى بالفردوس ..

بممارسته بكل الجنون المتلائم مع جنون من وعد به وجنون من صدقه وآمن به !

نعم، إله يعد بمكان فيه ما تشتهي الأنفس . ! . أي إله هذا الإله؟

.. بل لا بد أن يكونوا حينئذ قد ذهبوا يعلمون ويحرضون ويطالبون وينصحون

أنفسهم لتكون شهواتها بلا قيود أو شروط أو حدود أو خجل أو وقار أو تقوى أو رهبة

أو كرامة، بل لتتعلم أي أنفسهم أنواعاً جديدة من الشهوات لم تكن تعرفها .. أنهم لا بد

أن يحرضوها على أن تتعلم هذه الأنواع الجديدة من الشهوات .. إنها فرصة لا تستطيع

كل قوانين الكون وقواه أن تهب مثلها أي أن تعطي النفوس كل ما تريد وتشتهي . ! .

نفوس تمارس كل ما تريد وتشتهي.!. هل يتصور ما يصنع الذعر والغثيان مثل هذا؟

.. إذن فسكان فردوسك يا إلهي سوف يعيشون غرقى في بحار وأنهار من الترف والسرف والشهوات واللذات ومن الممارسات الجنسية ومن مجالسة ومنادمة الولدان والجواري ومن الخمر مما هو أكثر وأعنف خمراً وتخميراً أو خمراً من كل الخمر بين قصات وهتافات وأغنيات ومعانقات وضحكات الجواري والولدان أي الغلمان وتصفيقهم بأيديهم بل بكل أعضائهم وأعضائهن.

.. نعم، سوف يعيشون غرقى في كل هذه الأنهار والبحار بلا أية مسؤولية أو التزام أو اهتمام أو نضال أو محاولة نضال لا بالعضلات ولا بالعقل ولا بالعواطف والمشاعر ولا بالأخلاق ولا بأي شيء غير الغرق في هذه الأنهار والبحار... بلا أي خوف أو توقع محذور أو مرفوض من أية نتيجة أو مستقبل مجهول أو متعدد الاحتمالات والكينونات والحسابات والمسيرات في عديد الاتجاهات.

.. وهل يمكن وجود أو حتى تصور حياة بهذا الموت والخمود والقيح؟

.. وهنا لا بد أن يجيء السؤال الفاجع القاتل القاتل:

ماذا يقول علماء النفس والاجتماع والصحة الجسدية والعقلية والعصبية فيمن يعيشون غرقى في كل هذه الأنهار والبحار، فيمن يحيون هذه الحياة في مثل هذا الفردوس بكل ظروفها وأساليبها وتفاسيرها وأخلاقها.!.!

أنت يا إلهي حتماً لست عليماً أو خبيراً بهذه القضايا والعلوم وليس لديك أي خبراء أو علماء بشيء من ذلك مع أنه لا يمكن تصور محتاج إلى كل ذلك مثلك... إإنك محتاج جداً إلى ذلك لذاتك أي لعلاج وحماية ودراسة ذاتك ولإجراء الفحوص والكشوف عليها..

ومحتاج إلى ذلك لأعمالك ووظائفك.!

هل يوجد أو وجد فاقد لكل ما يحتاج إليه أقسى وأشمل وأدوم احتياج مثلك يا إلهي؟ إن كل علم وخبرة كل العلماء والخبراء لن يكفيا لحمايتك وعلاجك من آلامك وهمومك ومشاكلك وورطائك الوظيفية الإلهية.!

.. هل يوجد مريض بكل الأمراض ومعرض معروض للإصابة بكل الأمراض بلا أي طبيب أو معالج أو حتى مشفق أو راث واحد مع قسوة وشمول وديمومة احتياجه إلى كل الطب والأطباء إلى كل الإشفاق والرثاء وإلى كل المشفقين والرائثين مثلك أو غيرك يا إلهي؟

.. إنه لا يوجد ولن يوجد أمة بكل قوانين وأعراض وظروف الصحة والمرض
مثلك يا إلهي، كما أنه لم يوجد ولن يوجد بلا أية حماية أو رعاية صحية مثلك يا إلهي
مع أنه لا يوجد ولن يوجد مثلك احتياجاً إلى ذلك !

.. إنه إذن لن يكون محتملاً أو منتظراً منك أن تعرف أن من يحيون حياة سكان
فردوسك لا بد أن تكون كل الأمراض العقلية والنفسية والعصبية هي بعض الأمراض
التي سوف يصابون بها، كذلك جميع الأمراض الأخلاقية. كذلك جميع الأمراض
البدنية ولكن بقسوة أخرى، بقسوة لا تطاق، بقسوة إله بدوي.

.. إن جميع الأمراض التي عرفت لن تكون إلا بعض أمراضهم أي ولكن بعنف
يتلاءم مع ظروف وحالات هؤلاء المرضى !

آه من أمراض الملل واليأس والخمول والاسترخاء والديمومة !

آه من أمراض وقبح الجلوس الدائم أو الاستلقاء الدائم أو الاسترخاء والخمول
الدائم أو النوم الدائم أو المكان الدائم أو الحالة الواحدة الدائمة أو الفكر أو الشعور
الواحد الدائم الراكد !

آه من دمامة وقسوة الحياة المفرغة من اللهفة والحماس والتوجس والتوقع والتطلع
ومن الشوق والحنين بل والأنين والتفاؤل والتشاؤم الحارين ومن الاحتمالات المتضادة
المتصادمة المتحاوره بحرارة.

بل ومن الخوف والقلق والهزائم والحرمان بالتناوب والتعاقب الساخن المثير
المحرك الملهم المفجر للتفكير والانفعال والحماس !. آه من حياة من يسقط الطعام في
فمه دون أن يحرك يديه وترتمي الجوّاري والغلمان فوق سريره دون أن يحرك شفّتيه !

.. إن الحياة لا تساوي أن تحياها وتطمئن عليها بل أن تخاف عليها وتدافع عنها
وتحترق بها وتهدد بفراقها وتنتظر فراقها. هل تظل الحياة حياة بلا خوف عليها؟

إن قيمة الحياة ليست في ممارستها بل في مشاعرها وانفعالاتها المتضادة المتوجسة
المتحركة ..

.. إن الحب لا يساوي الحب أو الظفر به ولكن يساوي الشوق والحنين والتطلع
والانتظار والخوف والغيرة والحرمان والمغازلة والمرودة والهجر والوصل والبعد
والقرب. أليست ممارسة الحب قتلاً للحب؟

إن جمال الحب وقوته وحياته ونبضه ليس في فعله بل في الشوق إليه والبحث عنه
والخوف عليه.

.. إن السعادة والفرح لا يساويان أن تبقى في ذاتك وأن تتعامل بها وتحياها وحدها بل أن تخرج وتهاجر منها خوفاً ومللاً ورفضاً وطموحاً وشوقاً وتطلعاً وبحثاً عن الجمال والحب والفرح والسعادة بل وبحثاً عن الذات ..

إن الخروج والهجرة من الذات ليسا إلا خروجاً وهجرة إليها وبحثاً عنها. إن البقاء أبداً في الذات ليس إلا موتاً أو شيئاً أكثر موتاً وتعذيباً من الموت.

.. هل يخرج أو يهاجر من ذاته إلا من يبحث عنها ويهاجر إليها؟

هل تمكن الهجرة إلى الذات أو البحث عنها إلا بالهجرة والخروج منها؟

هل تطاق الحياة أو الذات إلا بالصراع ضدها ومعها وفيها ومن أجلها؟

آه يا إلهي.!. إن ورطتك وحيرتك وأزمتك وهزيمتك وأحزانك ستصبح صعبة. صعبة جداً حين يمرض سكان فردوسك بكل هذه الأمراض.

.. لقد أردت أن تجزيهم وتسعدهم فإذا بهم يتعذبون أقسى العذاب وكل العذاب.!. كيف ترى حينئذ نفسك وكيف يرونك؟ قبيحة، قبيحة هي الرؤية والصورة والنهاية، وكذا أيضاً البداية.!

.. أنت يا إلهي لن تستطيع أن تعرف أن تداوي أو تشفي أو تخفف من العذاب من عذابهم إلا بقدر ما كنت تفعل في الحياة الأولى.!. هل تتذكر ماذا كنت في تلك الحياة؟

هل تتذكر كيف كنت تداوي وتشفي من الأمراض والآلام في الحياة الأولى؟

هل تجرؤ على تذكر ذلك، على تذكر تاريخك؟ ما أجمل وأوجب أن تنسى!

.. وفي الفردوس هل يمكن أن يوجد أطباء يعالجون ويشفون لا ملابس وأدوات أطباء أي لا أطباء بملابس وشهادات أطباء فقط.

.. أي لا أطباء يقرأون ويرتلون ويحفظون ويكتبون أسماء الأمراض والأدوية فقط كما يقرأ ويرتل ويحفظ ويكتب رجل الدين نصوص كتابه المقدس أو نصوص رقيته أو تعويذته السحرية ليكون هذا كل شيء؟

أليس أكثر الأطباء هم ملابس وأدوات أطباء فقط لا أطباء؟ إذن أليس جميع الأطباء المعالجين الشافين في الجحيم دون أن يكون واحد منهم في الفردوس بل دون أن يقبل واحد منهم أن يكون من سكان الفردوس؟

أجل، إن أحداً من هؤلاء لن يقبل بل لن يستطيع أن يكون من سكان الفردوس كما

أن أحداً من سكان الفردوس لن يستطيع أو يعرف أو يريد أن يكون واحداً منهم أي من الأطباء الذين يعالجون ويشفون، كما أن أي عربي لن يستطيع أن يستحق دخول الجحيم بفسوق وعصيان عقله لا بتلوث أعضائه وأخلاقه ونياته!

آه. هل وجد عربي واحد يستحق الجحيم عقاباً له على فجور فكره أي على صعود فكره لا على هبوط أعضائه وأخلاقه ونياته؟

ليت ذلك حدث. ألا يمكن أن يحدث؟

ليت العرب يصابون بفسق العقول وزندقتها وبتدين الأعضاء والأخلاق والنيات وتقواها. ليت تقواهم الفكرية تتحول إلى تقوى أخلاقية!

ليت وقار الإيمان في الإنسان العربي يتحول إلى وقار في سلوكه ونفسه. . ليت كل آلهة وأنبياء إيمان الإنسان العربي يمرضون أو يهربون أو يموتون أو يسقطون ليتحول كل شيء إلى آلهة وأنبياء لقلبه وضميره وحياته. ليت كل آلهة وأنبياء الإيمان يذهبون ليجيء آلهة وأنبياء القلب والضمير والحب.

. . ليت الإنسان العربي يجلي كل حراس إيمانه ليجعلهم حراساً لأعضائه وأخلاقه وعواطفه وشهوته بل وحراساً للسانه. !

ليت كل حراس إيمانه يتحولون إلى حراس للسانه. !

. . لماذا آلهة العرب وأنبيأؤهم يتعاملون أبداً مع عقولهم أي عقول العرب وإيمانهم ولا يتعاملون البتة مع إنسانياتهم، مع أي معنى من معاني الإنسان فيهم؟ هل التفسير أنهم قد ضمنوا الانتصار إذا تعاملوا مع عقول العرب وإيمانهم، والانهمزام لو تعاملوا مع أي معنى إنساني أو أخلاقي فيهم؟

. . لماذا يتحولون دائماً إلى أغلال لعقولهم وأفكارهم ولا يتحولون إلى أية مزية أو فضيلة أو تقوى في سلوكهم أو نفوسهم أو حتى في تعبيرات ولغات وجوهمهم؟

لماذا جاء آلهة العرب وأنبيأؤهم أبداً كذلك؟ لماذا جاؤوا ليكونوا أبداً هبوطاً بهم صعوداً. . ليكونوا لهم أبداً أثقالاً وقيوداً لا أجنحة؟

لماذا لم يتحول أي إله أو نبي عربي قط إلى جناح طيران؟ لماذا ظلوا جميعاً وأبداً قيوداً وأثقالاً؟

. . إنها أسئلة فهل لها من أجوبة؟ إنها أسئلة لم تصبح حتى ولا أسئلة عند العرب. حتى الأسئلة لا تصبح أسئلة عند الإنسان العربي. !

إن الذين يسألون أو يتساءلون هم الذين يرون وينكرون ويتعجبون ويدهشون . . أما الثابتون أبداً في صيغة وعقل وصور وانفعال وتاريخ وقدرة رؤية وكيونة واحدة فلن يسألوا أو يتساءلوا . .

ولماذا يسألون؟ أو يتساءلون؟ إن الصامتين في صيغة واحدة لا بد أن يصابوا بالصمت عن كل الأسئلة والتساؤلات . . !

إن الصيغة الواحدة الثابتة ترفض وتنكر وتنافي كل سؤال وتساؤل . إن التساؤل والسؤال ليسا إلا صيغ تغير وبحثاً عن التغير ورغبة فيه .

إن السؤال أو التساؤل لن يكون إلا ارتحالاً أو قدرة على الارتحال أو غربة في الارتحال من الذات والمكان والكيونة والتاريخ أو رفضاً للقيود والأغلال التي غزلها ونسجها وقتلها وعقدتها وربطها على الرؤى والعقول والأخلاق والتطلعات والأمانى الآلهة والأنبياء والتاريخ والقبور والمنابر والمحاريب والنصوص المقدسة أو المزعومة مقدسة أو التي هي أكثر تقدساً من المقدسة . . !

لماذا يسأل من لا يريد أن يستطيع أن يتغير أو يفارق أو يرفض أو يقاوم؟

لقد جاء كل الآلهة والأنبياء والأديان والتعاليم والمذاهب والانتماءات لتكون رفضاً ومقاومة لكل الأسئلة والتساؤلات، لتكون قتلاً وطرداً وعقاباً وإسكاتاً لكل من يريدون أن يسألوا أو يتساءلوا . . إن الأسئلة ليست إلا أسلحة تطلقها العيون والعقول والأخلاق على الآلهة والأنبياء والزعماء وعلى جميع المعلمين والملقنين وعلى كل وجود . . إن الأسئلة هي أذكى وأتقى وأفضل وأنفع الأسلحة التي قاتل بها الإنسان في كل حياته!

آه ليت هذا هو كل الخطر . . ليت هذه الأمراض هي كل الخطر على سكان الفردوس . !

. . إن هذه الأمراض التي سوف يصاب بها سكان فردوسك يا إلهي لا بد أن تتحول فيهم إلى نتائجها المحتومة، إلى آفات وأمراض أخرى . إن أمراضهم لن تصبح تقية أو نبيلة أو رحيمة أو حية أو مهذبة لتظل بلا نتائج أليمة محتومة فاجعة .

. . إنها لا بد أن تصيبهم بالعدوانية، ليشيع فيهم القتل والخصام والبغض والحقن والسباب وكل ألوان الاعتداء والإيذاء والوقاحات والبذاءات . .

وقد يتحولون إلى جماعات أو مقاطعات أو إلى شعوب متعادية متحاربة لها أنبياءها وزعمائها وخطبائها وشعراؤها ودعاتها وقادتها المتخاصمون المتلاعنون المتواجهون بالاتهامات والمبارزات والتحديات والمفاخرات التي لا بد أن تتفوق في قبورها ووقاحتها

وغباؤها وفحشها على كل ما تتواجه به الزعامات والقيادات العربية ولا سيما الثورية .
.. إن التحديق في قوانين الأشياء وفي تفاسيرها ليتحول إلى أقوى إقناع بحدوث
هذا الخطر . إن أي منطق مهما كان جبينه ونفاقه وكسله لن يجزؤ على ألا يعلن اقتناعه
بذلك .. !

كيف والعرب سيكونون جميعاً من سكان الفردوس لأن شروط الدخول في
الجحيم لن يستطيع أي عربي أن يتكلمها . إنها شروط صعبة . والعربي لا يستطيع السهل
فكيف الصعب ؟ إن العربي لم يستطع الصعود إلى السحاب فكيف إلى القمر ؟ وإلى
الجحيم أصدق اعتذاري لأنني قد اتهمته بأن كل الناس حتى العرب سيكونون من
سكانه .

كم أرجو أن يغفر لي أي الجحيم هذا الاتهام . وكم أخاف ألا يغفر لي . إنني أطمع
في نبلة !

إذن .. العرب جميعاً من سكان الفردوس . هذه حقيقة نرجو ألا يوجد من يحاور
أو يحاسب عليها . نرجو ألا يشك فيها أقوى الناس ولاءً وتمجيذاً للعرب .. ! . إن الولاء
والرغبة في التمجيد لا ينبغي أن يخترقا كل حدود العقل . !

.. إنه لصعب أن يوجد من يرى أن العرب يستطيعون بمزاياهم الحضارية أو
العقلية أو الإبداعية أو التحررية أو الإنسانية أو حتى العسكرية أن يستحقوا دخول
الجحيم الذي يصعب بل ينذر وجود المزايا الصعبة الكثيرة التي لا بدَّ منها لاستحقاق
دخوله أي دخول الجحيم .. !

.. إنك مهما كنت مسحوراً إعجاباً وإيماناً بمزايا العرب الأصيلة الدائمة الخالدة
فإنك لا بدَّ أن تتورع أو تتردد أو تهاب أو تخجل أن تقتنع أو تزعم أنهم قد ملكوا أو قد
يملكون المزايا التي يستحقون بها وعليها دخول الجحيم للإقامة الدائمة أو المؤقتة فيه . !
لننظر كم هي مزايا وعقربيات الشيطان التي جعلته يستحق أن يكون المعلم والقائد
الأعظم إلى الجحيم ؟ هل يوجد مجد يساوي مجد القائد إلى الجحيم ؟

.. هل يمكن أن ينال أو يستحق الشيطان هذه القيادة أو هذه المكانة الكونية التي
حولت الإله إلى كائن محاصر مهزوم منبوذ مجهول .. إلى كائن يتملق ويذل ويهون
ويتضرع وينافق مدحاً ووعداً وتواضعاً وتودداً لكي يظهر معروفاً أو مذكوراً أو مقروءاً أو
مروياً دون أن يستطيع .

- نعم ، هل كان يمكن أن ينال أو يستحق الشيطان هذه القيادة أو هذه المكانة لولا

مزاياه وعبرياته المتفوقة على تدبير وتخطيط وإرادة وذكاء وعبقريه وكرامة ومشية ومجد الإله والهزيمة لها، وعلى عقل وإيمان ونظافة وتقوى وكبرياء الإنسان والهزيمة لها؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد مهان مثل الإله أو مهين مثل الشيطان؟

آه. لماذا لم يتحول ذكاء الشيطان وقوته ومجده إلى الإله ويتحول غباء الإله وضعفه وهوانه إلى الشيطان؟

.. إن ثمن الاستحقاق لدخول الجحيم غال، غال جداً لا ينبغي أن نكون قساة ومتوحشين إلى أن نزعم أو نظن أن الإنسان العربي قد يملك هذا الثمن أو قد يدفعه.!. إن المطالبة بالكمال أو بالصعود فوق الذات، فوق احتمالات وقدرات الذات قد يكون أفسى أنواع القسوة.!

إذن العرب جميعاً من سكان الفردوس حتماً إذن كم أنت بائس أيها الفردوس. العرب جميعاً من سكانك أيها الفردوس.!. هل تستطيع أو تقبل تحمل ذلك؟ لك العزاء والثناء!

.. إذن لا بد أن تتولد وتتجمع وتتفجر في الفردوس أقبح وأفجر العداوات والخصومات والمبارزات والأحقاد والبغضاء بلا أسباب ومهما كانت الأسباب!

إن العدا والكراهة والحقد والخصام والانتقام في الإنسان العربي ليس حالة ولكنه وجود وذات وكيونة.. ليس حالة طارئة أو متغيرة أو سببية أي يوجد حين يوجد السبب ويزول حين يزول السبب، وإنما هو ذاتية وجودية طبيعية يوجد مع الوجود ولا يزول إلا بزوال الوجود..!. إن الإنسان العربي ليحيا وينتشي بالعدوان النفسي أكثر مما يحيا وينتشي بالطعام وبممارسة الجنس محولاً هذا العدوان إلى علاقات وممارسة.. إذا قلت: العربي موجود أو إذا قال العربي: أنا موجود كان كل المعنى وكل التفسير: إن الأحقاد والعداوات والخصومات واللعنات والبذاءات والوقاحات والبغضاء موجودة، موجودة بلا أسباب بل وضد كل الأسباب.!

إذن لا بد أن يمتلئ الفردوس ويتعذب ويعاني من هذه المواهب والخصائص بل الذاتيات العربية.!

ولو أنهم أي العرب عجزوا عن تنفيذ مواهبهم وخصائصهم الذاتية هذه في الفردوس لتحولوا إلى تحريش وإغراء وتحريض للآخرين القادرين على تنفيذها لكي ينفذوها مثلما فعلوا في الحياة الأولى.!

إن كل قوة العرب ومجدهم وشهرتهم في كل التاريخ أنهم يتحولون إلى تحريش

وإغراء وتحريض ووشاية وإلى سلعة تصنع المنافسة الأليمة القتالة أي بشرط أن يظلوا سلعة لا بشراً!

. . . والآن يا إلهي لعلك قد استطعت أن تعي مأساتك هذه، مأساة فردوسك الذي سوف يتحول إلى ميدان قتال تتحارب فيه جيوش مريضة بكل الأمراض وأخطر الأمراض العقلية والنفسية والعصبية والأخلاقية والبدنية التي لا بد أن يصاب بها كل سكان فردوسك والتي لا بد أن تكون قد آمنت بحتمية إصابتهم بها بعد أن استمعت إلى تفاسير ذلك يا إلهي الذي لا يوجد أي مكان في ذاته ليس مصاباً بأفسى وأعمق الجراح التي لا تبحث عن أي طبيب ولن يوجد لها أي طبيب . . .!

آه يا إلهي ويا قرائي لو كان لي قراء . كم أخشى واستحيي من أن أتهم بوقاحة وبلادة الغرور أي من أتهم بأنني أراني أي أرى نفسي أستحق أن أكون من سكان الجحيم أو أنه قد يسمح لي بذلك أي بأن أكون من سكان الجحيم . . . لا، يا قرائي الذي لم يوجدوا أنا لست بكل هذا الغرور الذي يصعد بي لأؤمل بأن أكون من سكان الجحيم .!

. . . إني أقاسي فكرياً ونفسياً محاولاً أن أفهم أو أتصور ما الذي تستطيع أن تفعله حين مواجهتك الآتية المحتموة لهذه المأساة يا إلهي المحاصر بكل الهزائم والورطات .

. . . آه . إنك سوف تكون وحدك في مواجهة هذه المأساة دون أي عون دولي أو عون أي حليف أو صديق أو صاحب أي مصلحة مثل الذي كان يحدث في الحياة الأولى حينما تقع حرب أو خصومة ساخنة ومخيفة بين خصمين . . .!

إنك يا إلهي محتاج أبداً إلى من يفكرون لك ويخططون ويتصرفون ويعالجون بدلاً عنك وحين تواجه أية مشكلة أو خطر أو مأساة . إنك لا تفكر أو تفعل حتى ولا لنفسك . . . بل كل تاريخك بكل ما فيه من قوة وضعف ومن ذكاء وغباء وانتصار وهزائم ومجد وهوان إنما فعله وفكر له الآخرون . . .

إن كل ما تفعله أو تزعم أنك فعلته أن يقال أو تقول إنك أمرت بهذا ونهيت عن هذا، وأحببت هذا وكرهت هذا، أو أنك فعلت هذا أو دمرت هذا وأنت فوق السحاب، فوق النجوم دون أن يراك أو يشعر بك أو يجده أو ينتظرك أحد، بل ودون أن تجد نفسك أو تراها وتشعر بها أو تنتظرها أو تنتظر منها . . .

. . . إنك يا إلهي الكائن الذي يفعل له الآخرون كل أفعاله وينسب إلى نفسه كل أفعال الآخرين، والكائن الذي لا يجد نفسه مهما وجده الآخرون، والذي لا يجده الآخرون مهما عاملوه وحاوروه وعاهدوه وزاروه ووهبوه وبحثوا عنه بكل العيون

والأشواق، في كل الآفاق والأشياء والأحداث والصور. ! لقد أصبحت يا إلهي أقوى وأحضر موجود لأنك أخفى وأضيع وأضعف مفقود. !

.. إنك الغائب الذي لا يتعذب أو يخجل من طول انتظار المنتظرين له ولهفتهم عليه بلا حضور، والذي لا ييأس أو يمل أو يشكو أو يعاتب أو يعاقب المنتظرون له مهما علموا أنه لن يحضر وأنه أيضاً لن يعتذر أو يفسر الأسباب التي تمنعه من الحضور بأي معنى من معاني الحضور...!.. كائن كل العالم ينتظره بكل اللهفة والشوق ولكنه لا يحضر ولا يعتذر ولا يفسر... من هذا الكائن الفظيع؟

.. إذن من الذي سوف يفكر ويفعل لك وعنك حين تواجه هذه الورطة؟

هل فكرت في ذلك وعرفت ودبرت له العلاج أو الحل؟

تذكر، تذكر أنك سوف تكون وحدك. ! إنه لا مثل لعجز الإله حين يكون وحده أي حين لا يوجد من يفعلون له وعنه وباسمه دون أن يفعل أو حتى يدري هو... !

.. وهذه الأمراض التي لا بد أن يصاب بها سكان الفردوس تحت الظروف التي يعيشونها لا بد أن تصيبهم بتمزق وانحلال أخلاقي وديني وإنساني شامل... ستهوي بهم إلى حضيض الانحرافات وأنواع الشذوذ البذيء. وقد يصابون أو لا بد أن يصابوا بكل ألوان الرفض والزندقة والضلال والتحريف. وقد يؤلفون الكتب ويؤسسون النوادي والجمعيات ويلقون الخطب والبيانات، يعلنون الكفر بك والنقد والسب لك والخروج عليك والتجهيل لك مخططاً ومريداً ومفكراً وفاعلاً... ! وقد يمارسون أيضاً كل أنواع الإضراب والمظاهرات والعصيان والتخريب، تخريب كل شيء. وقد يتحولون إلى غيظ وإذلال لك أكثر وأقسى مما كان يفعل لك وبك أعداؤك في الحياة الأولى. !

.. إنهم قد أصيبوا بكل الأمراض العقلية والنفسية والعصبية والبدنية وبكل آفات الترف والخمول والاسترخاء والكسل والفراغ والتبلد والغرق الدائم في الشهوات الرخيصة البذيئة، وبالغرق في حضيض الشهوات الوقحة. !

.. إذن كيف لا يهون في كل مهاوي الانحرافات والشذوذ بكل ألوانه الفظيعة الأليمة المخربة المعروفة وغير المعروفة؟

إنهم حينئذ قد يحاولون الهرب من فردوسك. كما قد يحاولون قتل أو اختطاف أو إفساد أو إغواء أو رشوة أو تهديد موظفيك في فردوسك. إن موظفيك حينئذ لن يستطيعوا الدفاع كما لم يستطيعوه في الحياة الأولى. !

. . وأيضاً قد يحاولون الامتناع عن ممارسة الحياة والحب والعلاقات الجنسية .
وقد يحاولون أيضاً الانتحار الجماعي الكوني الفردوسي . .

آه . لو أضرَبوا عن ممارسة الجنس .! . كيف يمكن أن يكون حينئذ عذابك
وحرمانك وحزنك وغيظك يا إلهي؟

هل لك يا إلهي أي عزاء أو فرح أو مسلاة أو تعويض أو تكفير أو اعتذار أو ثمن
أو أجر عن مأساة حياتك وفي حياتك وعن حياتك وتجميلاً وتسويغاً لحياتك، لهماوم
وآلام وهزائم وتفاهات وعبث حياتك غير أن تشاهد الممارسات الجنسية بكل قبحها
ووقاحتها وجنونها وافتضاحتها؟ هل تجرؤ على الإنكار أو الإخفاء؟ هل الذي يخلق
الافتضاح ويخلق أسبابه ومغرياته الملزمة يخجل من مشاهدة ممارسته أو يتوقر عن ذلك؟

. . لماذا يا إلهي الفضاح المفضوح صغت العلاقات والممارسات الجنسية بكل
هذه البذاءة والوقاحة والجنون والافتضاح والغيوبة القبيحة المهيئة . . بكل هذا الهبوط
بكل صيغ وتفاسير الهبوط؟

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير أنك بذلك تصنع أو تريد لنفسك الفرحة
والسعادة والعزاء والثناء والتعويض بل والثلث والأجر والتكريم والتمجيد حين تشاهد
ذلك بكل وقارك وكبريائك، بكل حرمانك ومجاعاتك وشهواتك الشاذة المريضة؟

إن أحداً حتى ولا من ملائكتك وحراسك الأقربين يستطيع أن يفسر أو يسوغ
تدبيرك وتخطيطك وصياغتك للممارسات الجنسية بكل هذا القبح والافتضاح والجنون
والوقاحة والغيوبة إلّا بكونك تسعد وتفرح وتتعزى وتتغذى وتتسلى بمشاهدة ذلك
وبالاستماع إلى نهيقه وشهيقه وصهيله وأنيته . . إلّا بكونك تريد أن تتداوى من كآبتك
وفراغك وضياعك وهزائمك بالمشاهدة والاستماع لهذه البذاءة البائسة .!

نعم . ولكن ماذا يمكن أن ترى أو تفعل حينما يفعل سكان فردوسك كل هذا أو
بعض هذا أو أكثر وأقبح من كل هذا يا إلهي الذي لا علاج له من آلامه ومشاكله ومن
وجوده إلّا بأن يفقد وجوده؟

أجل، يا إلهي أنت وحدك الكائن الذي لا علاج له من ورطاته ومآسيه وذنوبه
وأخطائه وآلامه إلّا بأن يفقد وجوده .!

نعم، إذا سكان فردوسك فعلوا كل هذه المآسي والهماوم والورطات لك فما الذي
سوف تعاملهم أو تعاقبهم به؟

هل تحول حينئذ الفردوس إلى جحيم؟ هل تطردهم من الفردوس إلى الجحيم؟

هل تعيدهم إلى الحياة الأولى لتعيد القصة كلها من جديد وبتكرار سخيـف؟
هل تبعث إليهم حينئذ بالأنبياء والكتب والأديان ليؤمنوا ويتقوا ويعبدوا مكرراً
تجربتك السابقة الخائبة الخاسرة الحزينة؟

هل تأس وتخجل وتستسلم للهزيمة حينئذ وتعترف بها وتعلن تخليك عن الكون
وهريك منه لاجئاً إلى أحد الأديرة أو المغارات لتعيش راهباً مجهولاً خاملاً منسياً أو
تحاول أن تتحول إلى حشرة أو إلى أية كائنة أخرى محظوظة تستمتع باللذات والشهوات
والسعادة والفرح أكثر منك ولا تواجه شيئاً من الورطات والآلام والمآسي والمسؤوليات
والهزائم والفضائح التي تواجهها أنت؟ ألا تشعر يا إلهي بالغيرة الحادة من الحشرة حينما
تحاسب حظوظك بحظوظها؟ حاول مرة أخرى أن تقارن بين حظوظها وحظوظك .
جرب ذلك .

.. أيهما أفضل أو أنبل أو أنفع لك : أن تكون كائناً ضخماً معذباً مهزوماً متورطاً
مفتضحاً محروماً أم أن تكون كائناً صغيراً ضئيلاً مستوراً مستريحاً مغنياً راقصاً محظوظاً
أي أن تكون إلهاً بائساً أم حشرة سعيدة؟ ألا تتمنى يا إلهي ولو أحياناً أنك قد جئت
حشرة ولم تجئ إلهاً حين تقرأ شيئاً من الفروق بين حياتك وحياتها؟
.. إنها حيرة بل غرق في الحيرة ..

كل أسفي عليك يا إلهي .! . هل أنت مصاب بكل هذا النسيان أم مصاب بكل هذا
العجز عن أن تتعلم من تاريخك وتجاربك ومواجهاتك الضخمة الصعبة أم أنت مصاب
بهذا وهذا وبأكثر من هذا وهذا بل بأفصح وأفجع من هذا وهذا ومن كل شيء؟

إني فكرياً ونفسياً وأخلاقياً مضطر إلى أن أقول بالتكرار: كل أسفي عليك ، كل
أسفي عليك يا إلهي ، يا من يصيب بكل الأسى والأسف دون أن يصيب بأي قدر أو
شيء من الفرح أو الرضا . . يا من يذنب كل الذنوب دون أن يقدم أية كفارة أو اعتذار
عن أي ذنب من الذنوب . من ذنوبه هو . . يا من يقاسي كل الأسى والأسف والغضب
والغيظ والتوتر دون أن يعيش أي قدر من الفرح أو الرضا أو الحب أو الأمان أو الراحة
النفسية أو العصبية أو الأخلاقية أو الذاتية . .

.. دون أن يحاول الخروج من المأزق . . دون أن يجدد أو يغير أو يتغير أو
يثور .! يا إلهي هذا ألا تتذكر أنك قد أردت لأسباب لا يمكن فهمها أو تسويغها في فترة
من التاريخ لا يمكن أن ترى أو ترى من كثافة وشمول ظلمتها أن تبدأ خلق كائن سميته

الإنسان؟ آه. يا لها من لحظة تعجز عن حسابها وتفسيرها كل الحسابات والتفسير أعني تلك اللحظة التي رأيت أن تبدأ فيها هذا البدء..

.. لماذا رأيت أن تبدأ بخلق هذا الكائن المسمى إنساناً وقد عشت كل تاريخك الطويل، الطويل بدونه؟ لماذا بدأ بك الشوق إليه في الفترة التي بدأ بها لا قبلها ولا بعدها؟ هل كنت بلا شوق قبل هذه الفترة أم كنت ناسياً أو عاصياً لشوقك؟

.. إنه لمن الصعب بل المستحيل أن تجد جواباً ذكياً أو معقولاً أو مقبولاً أو محترماً أو حتى مغفوراً أو مسموعاً عن هذا السؤال الذي لم تحسب أو تتصور أو تحتلم أن أحداً قد يقذفك به، قد يخترق ويدل ويفضح به عبقرياتك العقلية والحسابية والفنية والتصورية والأخلاقية.

إن كل الحسابات تقول إن أردأ وأبلد كائن لن يقدم على أن يخلق هذا المخلوق المسمى إنساناً إن كان يريد شيئاً من الفرح أو الرضا أو السعادة أو المجد أو الحب أو الكرامة أو النظافة لنفسه، أو كان لا يعمل إلا متحاوراً متفاوضاً مع العقل أو الأخلاق أو الجمال أو الصدق أو حتى مع الإيمان والتدين أو إن كان يريد أن يصنع المجد للعقل أو للأخلاق أو للجمال أو للصدق أو للإيمان والتدين!

.. إن جميع الحسابات تقول إن وجود هذا الكائن المسمى إنساناً خسران لكل شيء حتى لنفسه ولخالقه!

.. نعم، ألا تتذكر أنك أردت أن تبدأ بخلق الإنسان أو أنك بدأت بخلقه دون أن تريد، وهذا أفضل لك وأستر لعيوبك وضعفك، فكان البدء أن خلقت آدم وحواء؟ يا لها من قفزة إلى العذاب والقبح والظلام. إلى العداوات والبغضاء والحروب!

آه. ماذا حدث؟ ماذا أصابك يا إلهي حينما رأيت الرؤية الأولى لهذين المخلوقين أتمنى لك الاتزان والوقار أمام هذه المفاجأة..

.. لقد قفز بك الفرح خارج وقارك بل خارج ذاتك حينما رأيتهما..

.. لقد نسيت أمام فرحك ألوهيتك، نسيت أنك أنت الإله وحدك المعبود وحدك بل لقد تنازلت من عنف فرحك عن ألوهيتك أو عن شيء منها، ولعل أي كائن لم يصبه فرحه بمثل الذي أصابك به فرحك حين رأيتهما أي آدم وحواء قافزين من بين أصابع يديك المملوءتين بالتراب. قد يكون حينئذ إعجابك بنفسك وببيدك اللتين حولتا التراب إلى هذين المخلوقين المتعاشقين الممارسين لعشقهما بالأسلوب الوقح المثير الذي

حينما رأيته ذهبت بلا شك تحديق فيه بكل الانبهار واللهفة . هل تجرؤ على الإنكار أو الإخفاء؟ لا تحاول، لا تحاول.

- نعم، قد يكون إعجابك بنفسك ويديك حينئذ قد أنساك من أنت .!

.. لقد نسيت نفسك وألوهيتك أو تنازلت عنهما أمام هذين المخلوقين .!

.. الإله ينسى نفسه وألوهيته أو يتنازل عنهما .! من يصدق هذا؟ من يصدقه؟

.. لقد جنت بهما حباً وإعجاباً . لقد تحولت إلى نموذج من نماذج العبيد لهما .

لقد تحولت إلى داعية لعبادتهما وإلى معاقب لمن يرفض عبادتهما لأنه يريد أن يعبدك وحدك ويرفض الاشتراك بك . .

.. لقد حولك فرحك المجنون إلى داعية للشرك بك . لقد صرت من عباد الأوثان يا إلهي!

.. لقد فاجأت وفجعت بل وأذلت وأبكيت ملائكتك الأبرار السماويين حين أمرتهم أن يعبدوهما أي آدم وحواء، أن يسجدوا لهما . .!

.. آه . آه . كيف كان شعور الملائكة حين سمعوا هذا الأمر يوجه إليهم؟

.. إنني أريد أن أفترض أن الملائكة حينما سمعوا هذا الأمر لهم بالسجود لهذين المخلوقين من التراب قد قاسوا من الشك والتساؤل: هل الله جاد في هذا الأمر أم هو مختبر لذكائنا ولقوة وصدق التزامنا بعبادته وحده . ولعل إبليس الذي كان أتقى وأذكى وأعظم الملائكة إنما رفض الأمر بالسجود الموجه إليه لأنه قد استيقن أو رجح جداً أن الله لم يكن جاداً في ذلك وإنما كان ممتحناً وإلا كيف خاطر بالرفض؟

ولن يلام إبليس إن كان اعتقد ذلك أو رجحه . إنه الاعتقاد أو الافتراض الملائم لذكائه وتقواه ولحبه واحترامه للإله .!

إن تكذيب الإله حين يقول غباءً أو جهلاً أو سفهاً لهو أعظم أساليب الدفاع عنه والتمجيد له!

إن أي افتراض آخر لن يكون إلا أقسى إهانة لإبليس ولآمره .!

قد يقال إن إبليس عصى أمر إلهه احتراماً لإلهه ورفضاً لأن يعبد غيره مواجهاً . . إن كل عاقل متوقر محترم لإلهه ولنفسه لن يفهم الموقف إلا كما فهمه إبليس أي بالفهم الذي تصورنا أن إبليس قد فهمه . .

أما إن كان إبليس قد أخطأ فلن يلام على خطئه بل يجب أن يشكر ويجزى على

خطئه، ولكن اللوم كله يجب أن يقع على من جعله يخطئ فيما لا يمكن الخطأ فيه. على من جعله يحسب مخطئاً حيث يجب أن يرى ويحسب مصيباً بل كل المصيب. ! إن من أخطأ في فهمه الممجد المعظم للإله لأتقى وأذكى ممن أصاب في فهمه المحقر للإله. !

. . أليس الذي يخطئ في فهمه لك لأنه أراد أو حين أراد أن يفهمك جميلاً وكراماً وعظيماً وذكياً أفضل وأنبل وأتقى وأذكى وأكثر وأصدق تمجيذاً وحباً لك من الذي يصيب لأنه أراد أو حين أراد أن يفهمك دميماً بليداً. سفيهاً ندلاً؟

ولكن هل كان إبليس مخطئاً في فهمه هذا الذي تصورنا وافترضنا أنه فهمه من أمر الإله بالعبادة والسجود لآدم وحواء؟

إذن أي إن كان مخطئاً وعاصياً للإله فلماذا وهبه أي الإله كل هذا المجد والتفوق والانتصارات على كل شيء وكل أحد أبداً، أبداً في كل معاركه؟

هل وجد واهب النصر مثل الإله وموهوب النصر مثل إبليس؟ كيف وهب الإله كل نصره لإبليس؟

هل يمكن أن يكون قد وهبه كل ذلك إلا بعد أن بهره بذكائه وبكل مواهبه الأخرى ووثق به كل الثقة ورضي عنه كل الرضا؟

لعل للإله تفسير آخر أعمق وأتقى وأذكى وأنبل من تفسير أنبيائه ومن تفسير أوامره وكلماته وصرخاته له ومن كل التفسير التي فسّر ويفسر بها!

لعل التفاهم والتوافق والصدقة والتخطيط بين الإله وإبليس أكثر وأدوم وأعمق من التفاهم أو التوافق أو الصدقة أو التخطيط بين الإله وأنبيائه أو بين الإله وملائكته. لعله لم يفهم أحد الإله كما فهمه إبليس ولم يفهم إبليس أحد كما فهمه الإله. لعل العلاقات بينهما هي أفضل وأقوى العلاقات بين أي متعاملين. !

لعل كل أحد فهم الإله فهماً ضالاً ما عدا إبليس، ولعل كل أحد فهم إبليس فهماً ظالماً ضالاً ما عدا الإله. لعل أحداً لم يفهم العلاقات بين الإله وإبليس لأنها علاقات تتفوق على كل الأفهام والتصورات والحسابات. لعل العشق والتوافق بينهما أكبر وأعمق من كل ما عرف وتصور من عشق وتوافق. !

ولعلهما يفاجئان العالم والكون يوم الحشر الأكبر بأن يتصافحا ويتعانقا بكل الحرارة والصدقة والمحبة والعشق معلنين وكاشفين بذلك عن العلاقات الحقيقية بينهما.

. . نعم ثم ماذا فعل بك فرحك بهذين المخلوقين الترابيين؟ لقد قفرت وراء كل الحدود المعقولة والمقبولة والمحترمة محاولاً أن تهيبّ لهما كل ألوان السرور والسعادة والمجد والاستمتاع بممارستهما لعشقهما بالأساليب البذيئة التي رأيت فافتتن .

لقد تحولت إلى زارع وبستاني ومولد وراعي ومربي أبقار وأغنام ودجاج وديوك وإلى جزار وطباخ وإلى كل شيء لازم أو مطلوب لكي تصنع لهما وحدهما فردوساً كاملاً ليأكلوا ويشربوا ويرقصا ويغنيا ويناما ويمارسا عشقهما داخل عينيك وأذنيك وكبرياتك وإيذاءً وتعذيباً لحرمانك ليمارساه بالأساليب والأشكال والصيغ وبالنهيق والشهيق والأنين والآهات التي رأيت واستمتعت وسمعت فافتنت وفقدت عينك وأذناك كل الوقار والكرامة والكبرياء والذكاء والحياء والجمال والغضب والانفجاع من مواجهة أو رؤية أو سماع أي قبح أو فحش أو افتضاح أو عار . أليست مداومتك الرؤية والسماع لآدم وحواء وهما يمارسان عشقهما قد روضتك على تقبل ما لا يجوز أو يغفر تقبله؟

. . ثم ذهبت بكل التضرع والتخضع والتواضع والحنان واللهفة تعاشرهما وتعاملهما وتخاطبهما وتغني لهما وتغدق عليهما بالوعود والابتسام والإخلاص ، وتعرض عليهما كل خدماتك وطاعاتك ، واهباً لهما كل تحدياتك والتفانياتك واهتماماتك وأوقاتك ، واضعاً أمامهما حجمك وكل مستوياتك وصورك ونماذجك ولغتك بالصيغ والمقادير والألوان التي تفرحهما وترضيهم وتبههما الأمن والثقة والفخر بل والكبر عليك ، نعم ، عليك .!

لقد ذهبت تفعل لهما وبهما كل ذلك وأكثر من كل ذلك حتى وجب الرثاء لك والإشفاق عليك . لقد صغرت ، صغرت في استرضائك لهما حتى جعلتهما يمارسان الجنس بكل هذا القبح .

. . لقد أصبحت علاقاتك بهما أي بآدم وحواء ومعاملتك لهما قصة عشق لا مثيل لها في العطاء والفداء والخضوع والإخلاص ولكن من جانب واحد . .

. . لقد نسيت وأهملت وهجرت كل شيء من أجلهما حتى كرامتك وكبرياتك وعزتك ووحدانية عبادتك نسيتهما وأهملتها وهجرتها بل وأهنتها وقهرتها . .

إنه لشيء مزنون أو محتوم أنك قد أحرقت ملائكتك وكل أصدقائك وعبادك السماويين بالغيرة وبالشعور بالاضطهاد لما رأوا من عنف حفاوتك بهما أي بآدم وحواء وخدمتك ومحباتك لهما اللتين تحولتا إلى أقسى ظلم وإذلال لهم أي لسكان السماء ولكل من سواهما . .

.. إن كل واحد في هذا الكون قد شعر أنه قد ظلم وأهين أمام معاملتك لآدم وحواء. !

وإنه لاحتمال معقول جداً أنهم أي سكان السماء قد أصيبوا بسبب ذلك بحالات نفسية وعصبية بل واعتقادية وأخلاقية أليمة. ولعلمهم قد ذهبوا يعبرون عن ذلك بأساليب احتجاجية شتى، منها التباطؤ والتراخي والإهمال المتعمد في أدائهم لوظائفهم.. بل ولعلمهم قد أصيبوا أيضاً بالعجز أو بالضعف العام تفكيراً وإرادةً وحزماً وعزماً وعضلات. لعل شعورهم بالإهانة والاضطهاد والمحابة ضدهم قد أصابهم بالانبهار الشامل المدمر المتحول إلى انهزام وانقهار في كل شيء. إنه لا يوجد ولم يوجد عجز مثل عجز سكان السماء أمام خصومهم. !

ألم يقولوا أي سكان السماء محتجين وغاضبين على هذا التفضيل الجنوني والمحابة لآدم وحواء بلا أي قدر من الاتزان أو العدل أو الذكاء أو المنطق.

- نعم، ألم يقولوا صارخين في وجه الإله أي في وجهك يا إلهي:

«أتجعل فيها - أي في الأرض - من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.. قال إني أعلم ما لا تعلمون..».

إنها لأعمق وأصدق وأقوى وأذكى صرخة احتجاج وغضب واستنكار. بل صرخة تعنيف وتجهيل بل تعليم وتحذير وإنذار.. !

ولكنها صرخة ضائعة. لقد ذهبت بلا مستقبل أو سامع أو فاهم. !

هل توجد صرخات ضائعة بلا سامع أو مستقبل مثل الصرخات الموجهة للإله؟ آه يا إلهي لقد كنت متسرعاً جداً حينما قلت رداً على هذه الصرخة العاقلة الواعية الرائية المخلصة بل المنقذة حتى لك أنت. حين قلت:

«إني أعلم ما لا تعلمون».

.. ألا تقاسي الآن يا إلهي من الخجل والندم والعار ومن تجهيل الذات وقسوة الجهالة لقولك هذا؟

آه. ليتك تعلمت الخجل والندم ومعاقبة الذات.

.. حتماً أنت الآن قد استطعت أن تعرف مهما كان ذكاؤك ومحباتك لنفسك بل مهما كان عجزك عن نقدك لنفسك وعن رؤيتها وتصحيحها أنك لم تكن تعرف ما لا يعرفون أي الذين نصحوك بالآلا تغلط غلطتك الكبرى القاتلة أي بخلقك لآدم وحواء أي

للإنسان بل إنهم هم الذين كانوا يعرفون ما لا تعرف . نعم ، لقد كانوا أصدق وأنفذ رؤية منك لقد كان خطؤك وذنوبك يا إلهي عظيمين حين لم تسمع وتستجب لما قالوا لك . !

.. كل حزني عليك مفاجئاً ومصدوماً ونادماً وآسفاً ومعاتباً لنفسك إن كنت قد عرفت ذلك أي لو كنت تفعل شيئاً من ذلك بنفسك أو تفعله بك نفسك .

.. وكل حزني وأسفي عليك بليداً وجاهلاً وخاملاً غافلاً إن لم تكن قد عرفت ذلك . ولكن هل الآلهة تعرف؟ وكيف افترضت أنها تعرف أو قد تعرف؟ إن كل ما يحدث في الكون ليعطي كل اليقين بأن الآلهة لا تعرف ولا يمكن أن تعرف . !

.. آه هل وجدت أو يمكن أن توجد نصيحة غالية نافعة منقذة ذكية عظيمة قد رفضت مثل هذه النصيحة أي مثل النصيحة التي تقدمت بها الملائكة إلى الإله بكل الصدق والإخلاص والحب والوعي والتهذيب فرفضها الإله أي رفضتها أنت يا إلهي بكل البداوة والجهالة والنزق والعنف البذيء المغرور . إن أي طاغية جاهل بدوي الفكر والأخلاق واللغة لن يرد على مشورة مستشاريه بمثل ردك هذا .

.. آه يا إلهي لو أنك فهمت ووعيت وتقبلت هذه النصيحة . !

إنك حينئذ لن تجدني أمامك أحاورك وأحاسبك وأحكمك وأعاتبك بكل القسوة والصدق والإخلاص والانفجاع وكم في هذا من الراحة والإنقاذ لك؟

بل كم في هذا من الستر عليك؟ وهل يوجد محتاج إلى الستر عليه مثلك يا إلهي؟
آه ما أقسى وأكثر وأقبح العذاب الذي واجهته وقاسيت لأنك رفضت تقبل هذه النصيحة وعجزت عن فهمها وعجزت عن أن تكون شيئاً مما يجب أن تكون . !
ما أعظم وأروع النتائج لو أنك فهمت وأطعت هذه النصيحة أو هذا التعنيف أو الزجر الذي وجه إليك . !

.. ما أكثر وأعظم وأقبح الآلام والورطات واللعنات والانتهاكات والدماصات والمشاكل والقبائح والذنوب والأحزان التي كان محتوماً أن تنجو منها لو أنك سمعت وفهمت وتقبلت وأطعت ونفذت هذه الموعظة الذكية التي وجهها إليك ملائكتك بل هذه النبوة التي هي أصدق من جميع نبواتك ونبوات جميع أنبيائك . !

نعم ، كانت الإهانات والصدمات والحماقات وأساليب القهر والإذلال والإحباط التي أوقعتها بأعوانك وأصدقائك وجلسائك السماويين من ملائكة وغير ملائكة ، وكذا ما رأوا وسمعوا وواجهوا وجربوا بكل الانفجاع والرعب من خروجك على كل منطق

المنطق وعلى كل شروط الاشتراط وعلى كل أخلاق الأخلاق وعلى كل صيغ وتفسيرات
الاتزان والوقار والذكاء والاستحياء بل والتقوى . . !

- نعم، كان ذلك فاجعاً، فاجعاً بكل القسوة والوحشية لهم أي لأعوانك
وأصدقائك وجلسائك السماويين . !

ولقد كان محتوماً أن يردوا على ذلك . ولكن لقد جاء ردهم متوقفاً مهذباً .

لقد كان المفروض والمتوقع أن يكون ردهم عليك يا إلهي رداً ملائماً ومكافئاً لما
فعلت بهم، وأيضاً ملائماً ومكافئاً لأخطائك وتصرفاتك المدمرة البليدة . أي أن يكون
ردم على كل ذلك وعلى الأشياء الأخرى من أفعالك وأخلاقك يا إلهي ثورة مدمرة
ومسقطه لك ولعرشك وحكمك ومجدك بل ولاسمك وتاريخك . إن أية ثورة ضد أي
مسؤول أو نظام لن تكون أسبابها مساوية لأسباب الثورة التي كان المفروض أن يثورها
ضدك ملائمتك وأعوانك الآخرون . !

. . لقد كان البشر في كل التاريخ يثرون على حكمهم وقادتهم ويسقطونهم
ويطردونهم أو يشنقونهم مع أنهم لم يقتربوا شيئاً قليلاً جداً، جداً مما اقترفت ومع أن
الحكام والقادة إذا اقترفوا شيئاً رديئاً أو قبيحاً أو بليداً أو ظالماً أو سفيهاً أو وقحاً فإنما
يفعلون ذلك لأنهم محتاجون أو مضطرون أو خائفون أو جاهلون أو عاجزون . . أما أنت
يا إلهي فتفعل وتفعل جرائمك وسفاهاتك وعدوانياتك وأخطاءك بلا اضطرار أو حاجة
أو عجز أو خوف أو جهل . ولا تزال وسوف تظل تفعلها، تفعلها أبداً، أبداً . !

إن أي نذل أو أحمق أو سفيه أو متوحش لن يفعل أي عدوان أو قبح أو ظلم أو
ألم أو إيذاء إلاً مضطراً إلى ذلك بعجزه أو جهله أو خوفه أو حاجته أو مجاعته إلاً أنت
يا إلهي فإنك تفعل كل ذلك، كل الأوقات بكل شيء وكل أحد، دون أي سبب أو
تفسير من هذه الأسباب والتفسيرات . . !

أجل، لقد جاء رد هؤلاء السماويين عليك رداً مهذباً متواضعاً، خفيفاً سهلاً جداً
غير متكافئ بل وبعيداً عن أن يتكافأ مع ما تستحق يا إلهي . !

لقد كان ردهم أن تراخوا وتباطأوا في أدائهم لوظائفهم أو عجزوا أو ضعفوا في
أدائهم لذلك . !

لهذا جئت أنت وهم مهزومين وعاجزين ومتخلفين في مواجهة جميع الأعداء، في
كل الميادين والقضايا، ولا بد أن تظلوا كذلك أبداً . .

إنهم مهزومون ومهانون وغاضبون ورافضون محتجون مستنكرون لما يرون

ويعرفون ويعانون منك. إذن لا بد أن يؤديوا أعمالهم ووظائفهم التي فرضت عليهم بعجز وبلادة وفقر وأخطاء إما متعمدين أو غير قادرين.!

.. إن أي موظفين لا يؤديون أعمالهم بالعجز والبلادة والأخطاء التي يؤدي أعمالهم بها موظفوك.

.. إن أي أعوانك ومستشارين لأي حاكم أو مسؤول لن يقاسوا ويواجهوا أو يعرفوا أو يروا مثلما يقاسي ويواجه ويعرف ويرى أعوان الإله ومستشاروه مما يثير كل الغضب والغيط والانفجاع والاستنكار والاشمئزاز بل والشعور بإرادة الإذلال والاضطهاد لهم أي من الضعف والإهمال والاسترخاء والغباء والظلم والجهل.

.. إنه لا يوجد ولن يوجد أعوان أو مستشارون بلا أي جزاء أو ثواب أو شكر أو أية حقوق أو مصلحة من أي نوع بل وبلا أية كرامة أو انتصار أو مجد أو ظروف ملائمة غير أعوانك ومستشاريك يا إلهي الذي لا يوجد ولن يوجد ظالم محقر مذل خاذل لمستشاريه وأعوانه بل وسارق لكل حقوقهم بل وحارم لهم من كل الحقوق مثلك أو غيرك.!

كيف؟ هل مستشاروك وأعوانك لا يعلمون أن للأعوان والمستشارين أجوراً وحقوقاً ومتعاً ومسرّات؟ ألم يروا مستشاري حكام البشر وأعوانهم أو يقرأوا عنهم ليعرفوا أن لهم أجوراً وحظوظاً وحقوقاً ومتعاً ومسرّات كثيرة ضخمة؟

هل فقأت عيونهم أي عيون أعوانك ومستشاريك وأغلقت عقولهم وآذانهم وخيالاتهم وتمنياتهم لئلا يروا أو يقرأوا أو يسمعوا أو يفهموا أو يتصوروا أو يتمنوا أو حتى يشتهوا؟

إذن ما الثمن لوجودهم ومعاناتهم ولآدائهم لأعمالهم ووظائفهم؟

كيف لم يفتنوا إلى ذلك ويفعلوا شيئاً للخروج عليه؟ هل أفسدتهم وقهرتهم وسحبت منهم كل معانيهم بعملية سحر لا يستطيع فهمها أو تصورها؟

كيف؟ ألا توجد منظمات دولية أو كونية تطالب لهم بأي حق من الحقوق الواجبة لهم والمحرومة عليهم؟.!

إنه لا يوجد من يستحقون كل الرثاء والإشفاق والغضب والنضال من أجلهم والانتصار لهم لمثل هؤلاء الأعوان والمستشارين والموظفين المنفذين عندك يا إلهي.!

.. إنهم يعملون ويواجهون أرواً وأقبح وأفظع الأعمال الأليمة الفاجعة المهينة

بالفرض والإلزام بلا أي ثمن أو استمتاع أو جزاء أو شهوة أو انتظار لأي شيء من ذلك .

. . . لنفكر في الملائكة أو الزبانية الذين يوقدون الجحيم ويحرسونه . والذين يسرقون الأرواح ويوقعون العاهات والتشوهات وأقصى الآلام بالشيوخ والأطفال . ويتجسسون على الناس في غرف نومهم وتحت ثيابهم وداخل نياتهم وضمائرهم . والذين يدمرون ويغرقون ويقتلون المدن والبيوت والمعابد والمستشفيات والمدارس والحقول بالزلازل والبراكين والفيضانات ، والذين يحولون الأبناء والآباء والأمهات والأزواج والزوجات والأصدقاء المتحابين إلى أيتام وأرامل وحزاني وفاقدين ومفقودين . ! إن كل هذا الكون لا يكفي ثمناً أو جزاء أو تعويضاً لمن يقومون بشيء من هذه الأعمال القذرة . !

- نعم ، لنفكر في هؤلاء الملائكة والزبانية الذين يفرض عليهم أن يفعلوا كل ذلك ويواجهوه ويروه ويقرأوه ويحرقوا كل معانيهم ووجودهم وعيونهم وقلوبهم وأخلاقهم وأيديهم به دون أي أجر أو ثمن أو متعة أو شهوة أو حتى وعد بذلك . !

هل يوجد مظلومون محرقون بائسون أذال جنباء مثل هؤلاء؟

إذن هل يمكن تصور من تجب الثورة لإنصافهم وإنقاذهم مثل أعوان الإله ومستشاريه وموظفيه أي مثل أعوانك ومستشاريك وموظفيك يا إلهي الذي لا بد أن يتحول أعوان وموظفو كل الطغاة ومستشاروهم محاسبين ومفسرين بأعوانك ومستشاريك وموظفيك إلى أعظم محظوظين وممجدين ومكرمين وموهوبين؟

قبيح وفظيع ومهين بلا مثيل أن يوجد أقدر وأندل جلادين بلا أي ثمن بل كل الثمن أن يؤديوا أعمال ووظائف الجلادين التي ليس لها أو فيها أي سبب أو تفسير أو منطق أو غاية أو نتيجة من أسباب وتفسير ومنطق وغايات ونتائج أي عمل أو وظيفة من أعمال ووظائف الجلادين الآخرين الموظفين عند أقدر وأجهل وأطغى الطغاة . ! . هل يعلم أي ملاك أنه ليس إلّا قاتلاً أو مشوهاً أو ممرضاً أو مغرقاً أو محرقاً أو مخرباً أو موظفاً عند من يفعل ذلك بلا أية قضية وبلا أي أجر أو ثمن أو غرض أو شيء يطلبه أو ينتظره أو يحققه أو يعرفه أو يتمناه أو يشتهي؟

ولكن ماذا حدث بعد هذا الجنون في التمجيد والتكريم والمحابة والحب والإسعاد لهما أي لآدم وحواء؟

إن ما حدث لا بدّ أن يتحول إلى تفسير أليم رهيب لما سوف يحدث لفردوسك ولسكانه يا إلهي الذي لا يستطيع أن يقرأ أو يعرف أو يرى أو حتى يتخيل أو يتوقع

النتائج والتفاسير التي لا بد أن تقرأها وتراها وتعرفها وتسمعها من وراء سدود وحدود الغيب كل العقول والآذان والعيون حتى العمياء الصماء البلهاء الأمية . بل حتى عيون وآذان وعقول الزعامات والقيادات والنبوات والشاعريات والعبقريات العربية . !

اقرأ أو اسمع هذا يا إلهي الأمي . اقرأ أو اسمع هذا يا إلهي الذي لم يسمع أو يقرأ قط . . !

لقد نسيك أي آدم وحواء وعصياك وهجراك وهزماك وهما في أحضانك وفي فردوسك وعينيك وأمامك مخترقين لكل حراساتك ورعاياتك وكبرياتك . . لقد تمردت مجاعاتهما إلى العصيان على كل ما أردت وفعلت لهما . وكانا اثنين فقط بل وكانا نبين ، بل كانا أول أنبيائك . . والأقلون عدداً مفترضون أبداً أقل ضللاً وأكثر توقراً وتعقلاً واتزاناً . أليس محتوماً أو متوقفاً جداً أن تكون أخطاء وذنوب العشرة أكثر من أخطاء وذنوب الواحد؟

نعم . نبيك الأولان اللذان كانا أولى تجاربك في ولادتك للبشر ، للأنبياء . وفي صداقتك وحبك ورؤيتك لهم وتحالفك وتعاهدك معهم ، وفرحك بهم . وكانا أولى ولاداتك المشوهة لجمالك وأول حبلك المفسد لعفتك وحصانتك .

. . نعم ، هذان النبيان الأولان اللذان ولدتهما عبقرتك عصياك وغازطك وأغضبك ليطيعا شهواتهما الصغيرة البليدة السخيفة .

. . عصياك وغازطك وأغضبك وبصقا في عينيك المحدثتين فيهما عاريين بكل قبحهما ووقاحتهم ونشوتهم البذيئة . !

. . وكانا لم يجربا بعد لذة ونشوة وإغراء بسالة العصيان . وكانت نياتهما وأشواقهما وأعضاؤهما لم تذق بعد طعم التمرد على الأوامر والتعاليم والتحليل والتحریم . ولم تروض بعد أي نياتهما وأشواقهما وأعضاؤهما على الاقتحام . اقتحام حرمان الآلهة وحصونها ومعتقلاتها ومضاجعها ومعابدها وأوهامها وكبرياتها . ولم تعرف بعد ضعف ووهن وكذب هذه الحرمات والحصون والمعتقلات والمضاجع والمعابد والأوهام والكبرياء بل والحراسات . وكانا لم يعرفا بعد أن الإله وحده دون كل أحد هو الكائن الذي لا ينفذ أبداً أي شيء من أقواله أو أخلاقه أي المزعومة !

وكانا بعد لم يعلما أن الإله ليس إلا زعيماً أو قائداً أو حاكماً أو نبياً أو شاعراً وصداقته وعداوته ، حربه وسلامه ليسا إلا زئيراً ، تصويتاً ، صهيلاً ، رعوداً بلا أي سحاب أو مطر . .

وكانا بعد لم يعلما أن الإله ليس إلّا زعيماً أو قائداً أو حاكماً أو نبياً أو شاعراً أو مفكراً عربياً يدمر أو يعمر، يهزم أو ينصر، يعطي أو يحرم بأن يقول. يقول فقط، بل بأن يصرخ، يصرخ فقط دون أن يقول..

.. وقد يُقال أو لا بدّ أن يقال إن ما فعله أي آدم وحواء بك ومعك وضدك دليل على أنك يا إلهي ضعيف الشخصية والجاذبية والإيحاء والتأثير والإقناع.. كيف؟ لننظر ونفكر..! لنقرأ عليك القضية..!

لقد عشقت أن تخلقهما فخلقتهما بكل الافتتان والحب والفرح والمباهاة، ثم قابلتهما وصافحتهما وعانقتهما وخاطبتهما وعاملتهما وتحدثت عنهما وطالبت وصنعت وأمرت لهما بكل التكريم والإعزاز والسخاء والاحترام بل وبكل الركوع والتواضع لهما بل ووظفت كل ألوهيتك لخدمتهما وطاعتهما وللاستجابة لشهواتهما ومجاعاتهما..

لقد فعلت لهما كل ذلك مواجهة وبلا أي وسيط أو واسطة ثم بكل البرود والاطمئنان والأمن بل وبكل الجرأة الوقحة فعلا بك ما فعله. مواجهاً راثياً مغيضاً مفجوعاً مسحوراً مقهوراً.. هل يمكن تصور أي تفسير لذلك غير أنهما وجداك وفهماك وقرأك وفسراك ضعيف الشخصية والجاذبية والإيحاء والتأثير والإقناع. بل وأنهما قد وجدا أن شخصيتك توحى بل وتأمّر بنقيض ما تطالب به وبنقيض ما يفترض فيها ولها. بل وجدا أن شخصيتك تفرض الخروج عليها وتوحى بالخروج عليها بل وتقعن وتلزم بالخروج عليها كما قد وجد كل ذلك كل من تعاملوا ويتعاملون معك..!

.. إن جميع المتعاملين مع الحكام والزعماء والرؤساء والأصدقاء والأهل..

الآباء والأخوة وغيرهم وغيرهم ومع السوق والمجتمع ومع كل من يتعاملون معهم وحتى مع اللصوص والأعداء والأشرار.

- نعم، إن جميع المتعاملين مع كل هؤلاء ليخشونهم ويحذرونهم ويتقونهم ويحترمونهم ويتأبون ويتهذبون في تعاملهم معهم ويستحيون منهم ويرهبون أن يعرفوا عيوبهم وذنوبهم وتلوثاتهم ويحاولون أن يصدقوهم ويرضوهم ويفرحوهم وينالوا إعجابهم بهم ورضاهم عنهم. بل ويفزعون من نظراتهم وتحدياتهم وهمهماتهم وهمساتهم وتلميحاتهم. فكيف من عداواتهم ومخاصماتهم وضرباتهم؟

ويصبغون وجوههم وذواتهم بالأصباغ الجميلة لينالوا احترامهم واستحسانهم

وثناءهم..

- نعم. إن جميع المتعاملين مع هؤلاء ليفعلون لهم ومعهم وأمامهم كل ذلك أكثر

وأصدق وأحر مما يفعلونه معك أو لك أو أمامك يا إلهي، بل ولعله من الشاذ القليل جداً أن يعاملوك بأي شيء من ذلك. فما التفسير؟

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير قراءة ورؤية وتفسير المتعاملين المتخاطبين معك الناظرين إليك لضعف شخصيتك وعجزها عن أن تكون موحية مؤثرة مقنعة مرهوبة مغرية أو موثوقاً بها حين الرهبة أو الرغبة، حين التأمل أو الخوف؟

كم أرجو يا إلهي أن تكون قد فهمت لماذا ذكرت بك قصتك الحزينة الفاجعة مع آدم وحواء. !. ما أقسى عذابي يا إلهي كلما توقعت ألا تفهم ما لا يستطيع العجز عن فهمه!

. نعم، كم أرجو أن تفهم أنني أريد أن أقول لك: إلا إذا كان آدم وحواء وهذه قصتك معهما قد غدرا بك وبفردوسك ونسيك ونسيا أوامرك لهما حتى استحقا الطرد من الفردوس الذي صنعه لهما فطردهما منه فماذا يمكن أن تفعل الأعداد الهائلة من البشر التي تعجز كل خيالات الأرقام عن تصورها والتي ألقيت بها في فردوسك المبتلي برداءة وقبح وضعف وجهل وبداءة وبلادة سكانه حتى إنه لمحتوم أن يخجل فردوسك من أن تقوم بين مزايأ سكانه ومزايأ سكان جحيمك أية منافسة!

نعم. ماذا يمكن أو يتصور أن تقترب هذه الحشود الكونية التي حشدت في فردوسك أو طردت إلى فردوسك أو عوقب وأهين وشوه بها فردوسك زاحفة إليه أو منقولة إليه من الحياة الأولى حاملة معها كل ضعفها وجهلها وبلهها وأحقاها ومجاعاتها وكل تاريخ حرمانها وتمنياتها وشهواتها البدوية العدوانية التي تعذبت طويلاً. طويلاً بالحرمان والهوان. حاملة معها أعضاءها التي لم تستطع أن تشبع من المعاصي الكبيرة عجزاً وفقداً، زاعمة أنها لم تشبع منها إيماناً وتقوى.

نعم، ماذا يمكن أو يتصور أن تقترب هذه الحشود في فردوسك من الأخطاء والخطايا والبلاهاات والجهالات والحقاقات والعداوات والمخاصمات والنذالات والتلوثات التي لن يستحقوا عليها فقط أن يطردوا من الفردوس كما طرد منه آدم وحواء بل التي يستحقون عليها أكثر من أن يطردوا من الفردوس ومن أن يغلق أو يلغى الفردوس، بل التي يستحقون عليها أكثر وأقوى من أن يلقي بهم في الجحيم، بل التي يستحقون عليها من العقاب والعذاب أكثر مما تستطيع الآلهة والنبوات أن تفعل أو حتى تتصور أي في تصور الآلهة والأنبياء للعقاب والعذاب. !

من الذي علم الآلهة والأنبياء قسوتهم في تصورهم للعقاب والعذاب؟ ومعلمهم من علمه؟

.. نعم، نبيان أي آدم وحواء فعلا في الفردوس ما أوجب طردهما منه وهما في يدي الإله وعينيه وصياغته وصدافته وخدمته وحضرته بل وفي غرفته. . !

إذن كيف لم يفتن الإله أي لم تفتن يا إلهي إلى ما لا بد أن تفعله هذه الأكوان الهائلة من الحشرات البشرية المتجمعة في فردوسك، المتجمعة فيها كل نذالات وحماقات ومجاعات وبلادات وعدوانيات وضعف كل الطبيعة وكل الحياة التي قاسوا وجاؤوا منها وجربوا واختزنوا فيها ومنها كل الخبث والقيح والفحش والشهوات البذيئة. والتي طالما جاءت أي هذه الأكوان البشرية في حياتها الأولى وظمأت وتلهفت إلى أن تغرق وتسبح في كل بحار المعاصي والآثام البهيجة؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد جائعون ومتلهفون إلى الآثام مثل سكان الفردوس؟

.. كيف وقد جربوك ورأوك وقرأوك وعرفوك في التعامل معك في الحياة الأولى فوجدوك لا تعاقب أو تمنع أو حتى تؤذي من يعصونك ويرتكبون كل الخبائث والمظالم والفواحش والعدوان إما لأنك غائب أبداً، أو لأنك لا تعلم، أو لأنك مشغول بأشياء أخرى تستغرقك عن كل شيء غيرها، وإما لأنك تسعد وتفرح بارتكاب هذه الآثام وتعوض على نفسك برؤيتك لها ممارسة. وإما لأنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً. وإما لأنك رحيم إلى أن أصبحت مهيناً مهاناً. أو لأنك حكيم إلى أن أصبحت سفيهاً مسفوهاً عليك، أو لأنك ممهل ومهمل ومؤجل إلى أن أصبحت الناسي المنسي بلا منافس، نعم يا إلهي هل يوجد من ينافسك في أنك ناس ما يجب عليك وفي أنك منسي حتى لقد أصبح كل وجودك وكيونياتك وأفعالك وعلاقاتك رواية، رواية فقط في حساب وحياة جميع المتعاملين معك وبك وعليك، أي رواية غير مثيرة لا للرغبة ولا للرهبة ولا حتى للشوق أو النشوة أو المحبة أو الحماس، أي رواية كالرواية عن الموتى أي عن الموتى الذين لم يوجدوا لا عن الموتى الذين وجدوا فماتوا. !؟

.. نعم، يا إلهي أرجوك ألا تفجع أو تكذب حين تسمع مني أن الموتى نوعان: موتى كانوا أحياء وموجودين فماتوا، وموتى لم يحيوا بل ولم يوجدوا أي أنهم موتى فقط. آه. ما أجمل وأنظف أن يكون الميت ميتاً فقط لا ميتاً كان حياً. !

هل يوجد أقبح أو أفجع أو أجهل أو أخسر من أن تصبح ميتاً بعد أن كنت حياً؟ هل تستطيع أن تعرف من أي النوعين أنت يا إلهي؟ أي الموتى أفضل أو أسعد خطأً: من كانوا أحياء وموجودين فماتوا وأصبحت لهم قبور وذكريات تصنع العذاب والشوق أو الاشتزاز والاحتقار، أم الموتى الذين لم يحيوا ولم يوجدوا ولم تصبح لهم قبور ولا ذكريات؟

.. كم أنت قبيحة، قبيحة أيتها القبور، أيتها المقابر. !

كم هو سفيه ونذل من ابتكرك أو لجأ إلى ابتكارك أيتها المقابر. !

هل وجد أو يمكن أن يوجد أقبح أو أوقح أو أسخف أو أجهل أو أنذل أو أفسى من أن توجد القبور والمقبرون، أو أن يوجد من قضى وأراد وأحب وقرر واشتهى ورأى جماله وكماله وذكاءه وعدله وعبقريته في أن توجد القبور والمقبرون؟ هل تعلمون أو تصدقون أنه يوجد عاشق ومخطط لوجود القبور والمقبرين؟

هل يمكن تصور ابتكار سخيـف وبلـيد وخسيس وسفيه وجاهل وعدواني مثل ابتكار المقبرين والمقابر؟ كيف حدث هذا؟ كيف حدث؟

.. إنه لجمال وروعة وفرج ونظام أن توجد وتحيا! .. إذن لماذا تموت وتفقد؟

وإنه لضرورة وعقل ومنطق وراحة وحكمة أن تموت وتفقد! إذن لماذا توجد وتحيا؟

.. إنه لعدل وصواب أن تفقد عينيك أو يديك أو قدميك!

إذن لماذا وجدتا؟

.. إنه لواجب وحق أن تكون لك عينان ويدان وقدمان؟

إذن لماذا تفقد كل هذه أو بعضها؟

ولكن إلى من يوجه السؤال؟ ليت فوق هذا الكون من يسأل فيسمع ويفهم ويحب! وهل يمكن أن يوجد من قبل أن يكون فوق هذا الكون أو مسؤولاً عنه أو متهماً أو محاسباً به؟

.. كم هو جمال وفرح ومنطق وسعادة أن يموت ويفقد من لم يحيَ أو يوجد. ! . بل كم هو نبل وشهامة وبراءة وسلامة وحب وعدل. !

ولكن كم هو قبح ونذالة وعدوان وظلم وسفه وحزن وبغض أن يموت ويفقد من كان موجوداً وحياً! .

بل كم هو تحطيم وتخريب وحماقة بل وجنون، جنون. !!

إنه لجنون يرفض كل جنون أن يكونه وكل مجنون أن يكون مجنونه. !

.. كائن يصنع موجوداً حياً لكي يحوله إلى مفقود ميت! هل يقبل أي مجنون أن يكون هذا الكائن؟

.. أنت حي وموجود، وتعلم أنت وكل أهلك ومحبيك أنك ستموت، ستصاب بالموت والفقدان في كل لحظة وأية لحظة!

هل يوجد أسخف أو أوقح أو أقبح أو أنذل أو أقسى من هذا؟

هل يوجد ترويع أو إرهاب أو إذلال أو عدوان أو سفه مثل هذا؟

.. وأنت غير موجود وغير حي أي أنك لم توجد ولم تحيَ لتموت وتفقد.!. هل

يمكن أن يكون في هذا أي شيء من العدوان أو السفه أو الخروج على المنطق؟

بل أليس هذا شيئاً جميلاً ونبيلاً ومعقولاً ورحمة؟ أو أليس شيئاً ليس فيه أي شيء من القبح أو السخف أو الوقاحة أو النذالة أو القسوة أو الإيذاء أو الخسران أو الجنون؟ أنت لا تحيى لتقتل من حييت ولا تبني لتهدم ما بنيت. ألسنت أقل قبحاً وذنباً ممن يقتل ويهدم لأنه أحيا وبنى؟

.. إذن أي الميتين تختار أن تكونه يا إلهي لو أنه قد حكم عليك بأن تختار أو لو

أنك أردت أن تختار، وكنت مصمماً على أن تكون أحدهما أي أن تكون الميت الذي كان حياً أم الميت الذي كان ميتاً؟

وشيء آخر لعلك يا إلهي فهمت أنني أحاول أن أجعلك تفهمه من تذكيري لك

بمأساتك مع آدم وحواء.!.!

حينما أخطأت خطأك القاتل والفاضح لكل أخلاقك وتفاسيرك المنطقية والنفسية والفنية بخلقك لآدم وحواء وبالقائك بهما إلى فردوسك الساذج الهمجي كان إبليس غلاماً أو تلميذاً أو شيطاناً أو معادياً أو رافضاً أو ثائراً أو محارباً مبتدئاً. . لم يتقن بل لم يتعلم شيئاً من فنون الخداع والمكر والتضليل والتسلل والاقترام. .

.. لم يدرس شيئاً من ذلك في أي معهد ولا على يد أي أستاذ ولم يقرأ أي كتاب

يتحدث عن أي شيء من هذه الفنون حتى ولا كتاباً عربياً يعلم نقيض ما يراد تعليمه وما لا ينبغي تعليمه. أليس كل كتاب عربي يعلم ضد العلم؟

.. لقد كان أي إبليس حينذاك غلاماً أمياً بدوياً لم يحمل أو يرَ أو يعرف أو يقرأ

قلماً أو حرفاً. لقد كان أي إبليس في أميته الشاملة مثل كل النبوات العربية في جميع تفاسيرها. وكان وحيداً بلا أي صديق أو رفيق أو مساعد أو حتى مجالس أو مساكن.

كان طفلاً تاريخياً. كان بداية تاريخ، كان ولادة تاريخ، كان بداية تاريخ بلا تاريخ!

كان أي إبليس بدءاً بلا بداية أي بلا تاريخ، بلا أهل أو أصدقاء أو رفقاء أو

مساعدين أو معلمين أو مؤيدين أو حتى محرضين أو موافقين أو صامتين أو محايدين .
كان بلا أي قائد أو معلم . !

.. كان بلا شعب أو وطن أو انتماء أو زملاء ..

بلا أية تجربة أو حراسة أو خطة معلمة أو منفذة أو قدوة سابقة .

.. كان يتيماً ووحيداً وغريباً وشدوذاً وتحدياً لكون كامل ، لأكون كاملة ، ولكل ما فيها ومن فيها من آلهة وأنبياء وملائكة وزبانية وقديسين . كان محارباً وثائراً كونياً بلا شبهة . !

كان بداية وجود وطفولة وتاريخ ومسيرة وحرب لا مثيل لها في ضعف ووحدة وقسوة بدئها وفي قوة بدئها أيضاً . !

كان أي إبليس بداية تتحدى وتخجل وترهب كل البدايات باقتحامها وشجاعتها ووحدتها وقدرتها بل وكل النهايات . !

.. كان غلاماً بل طفلاً يتيماً بل لقيطاً وحيداً وقف في الميدان وحده ضد كل شيء ، ضد كل الآلهة والأنبياء والجهالات والنذالات والمهانات والعبوديات والأكاذيب والغوايات والإستسلام والضعف والنفاق والهوان .

.. كان بداية أفسدت وهزمت وأذلت وشوهت وعاقبت بل وقطعت كل العلاقات والصدقات بل والمجاملات والمسالمت والمهادنات بين الإله والإنسان في كل تاريخهما بل أقامت بينهما حواجز ومسافات لا يستطيع اقتحامها . !

كان أي إبليس بداية صغيرة وضعيفة نسفت أعظم وأكبر فكرة وخطة فكرتها وخططتها يا إلهي لتكون أي الخطة والفكرة في حسابك وأملك واهبة لك أعظم وأبقى أمجادك ومسرارك أي خطتك وفكرتك في خلقك للإنسان وتنفيذك لها لكي يكون لك وحدك العبد العاشق المجنون في عشقه .

لقد حوّل أي إبليس كل حساباتك وآمالك في إيجادك للإنسان إلى نقيض حاد شامل لكل حساباتك وآمالك بل ولكل الحسابات والآمال المحسوبة ناجحة وذكية ومنطقية وعبقرية بل المحسوبة قمة ذلك . !

لقد هدم كل حساباتك وآمالك وكل حسابات وآمال أخرى في هذا الكائن المسمى إنساناً . ! إنه لم يوجد ولن يوجد مصنع أهان وفضح صانعه مثل الإنسان بما فعل بصانعه .

. . لقد كانت كل حساباتك وآمالك أن يصبح الإنسان لك عبداً ومجداً وسعادة وسروراً ورضاً وحباً وجمالاً ونظافة ونصراً وفخراً وكبراً وحليفاً وجندياً وحامياً وصديقاً أو حتى عدواً مسالماً أو مهاناً أو حتى عدواً محارباً ولكن بشهامة أو نبيل أو صدق أو كرامة أو نظافة أو شجاعة أو شرف .!

. . لقد كانت كل حساباتك وآمالك تعني وتريد وتعتقد وتنتظر وتقدر أن يصبح الإنسان كل ذلك . . إن أي كائن لم يهدم ويكذب ويفضح آماله وحسابات أي كائن آخر مثلما هدم وكذب وفضح إبليس هذا حساباتك وآمالك يا إلهي!

نعم، ولكن هذا الغلام اليتيم الأمي الوحيد البادئ المبتدئ الذي لم يتعلم أو يجرب أو يقرأ أو يمارس أو يعرف أي علم أو فن أو قراءة أو حرفة أو مهنة أو تدريب أو مكر أو دهاء أو خداع أو استعمال لأي سلاح أو تحالف مع أي حليف ضعيف أو قوي، ذكي أو غبي، شهيم . أو نذل، متم إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء، إلى هذا المذهب أو النظام أو الدين أو الإله أو إلى ذاك الآخر أجل . أجل، ولكن هذا الغلام الذي كل هذه الأوصاف والآلام بعض أوصافه وآلامه، أي، ولكن إبليس هذا، قد نسف وأفسد كل حساباتك وآمالك وتقديراتك ورغباتك وتمنياتك وأشواقك هذه . بل إنه لم يهزمها ويفسدها فقط بل لقد حولها إلى النقيض، إلى أقسى وأقبح نقيض .!

. . لقد حول هذا الكائن الذي سميته إنساناً والذي أردت منه وبه أن يكون لك أكثر وأدوم وأشمل فرح وسعادة ولذة إلى أكبر وأدوم وأشمل وأقسى تعذيب وحزن وشقاء وهوان وهزيمة وتكذيب وتجهيل وتحقير لك، لكل حساباتك وآمالك وتقديراتك وتدابيرتك ورؤاك وتفسيرك لكل الأشياء أي لقد حول هذا الغلام اليتيم الأمي المسكين الوحيد أي إبليس هذا الكائن الذي سميته إنساناً إلى كل هذا النقيض . .!

ولا بدّ من الاعتذار إلى ما قلنا في سطور سابقة من الاحتمال بأن تكون الصداقة والتوافق بين الإله وإبليس لا مثيل لهما بين الصداقات والتوافق ولكن إعلان العداوة والبغضاء والخصومة بينهما إنما خداع أو خطأ .

. . نعم . يا إلهي لعلك قد فهمت هذا الشيء الآخر الذي لا بدّ أن يسيئ إلى كل تفاسير ذكائك وتذكرك ألا تكون قد فهمته والذي أردت لك أن تفهمه .

. . نعم، هذا الكائن المسمى إبليس قد استطاع بكل اليسر محكوماً بظروفه القاسية الضعيفة الأليمة التي حدثتك عن بعضها أن يخدعك ويقهرك ويخدع ويقهر كل أجهزة أمنك وحراساتك القوية ويتسلل مخترقاً عينيك وضميرك وكبرياءك إلى فردوسك الذي

أنشأته لتسكن فيه نبيك أو ولدك الأولين اللذين أشقياك وأذاك بتدليلهما وبالحفاوة والفرح بهما، آدم وحواء...!

.. لقد كان كما سمعت مني غلاماً بل طفلاً مبتدئاً أمياً أمية مطلقة وقاسية في كل تفاسيره حتى لقد كان في عينيه وشهواته أمياً. ومع هذا فلقد استطاع بمحاولته الأولى أن يتسلل إلى فردوسك بل أن يقتحمه اقتحاماً معلناً إعلاناً كونياً وأن يمارس أعماله بدوي كوني ضد نبيك أو ولدك في فردوسهما وأن يتفوق عليهما وعلى أوامرك وتعاليمك وتدليلك وتكريمك ومحباتك وحبك وصادقتك لهما، أي أن يتفوق عليك وعليهما بالذكاء والدهاء والتخطيط والتدبير والصدق والشجاعة بل وبالإيمان والتصميم وبأسلوب ولغة الحوار والمفاوضة. أليس انتصاره الشامل الحاسم عليك يا إلهي وعليهما يعني حتماً أنه قد تفوق عليك وعليهما في كل هذه المعاني وفي كل المعاني الأخرى القوية؟

أريدك يا إلهي أن تفكر بل أطلبك أن تفكر: هل يمكن وجود أو حتى تصور أي تفسير لانتصاره أي لانتصار إبليس عليك وعليهما هذا الانتصار المرهق المخيف المذل للكون كله ولكل ما فيه ومن فيه غير هذا التفسير؟

ولأنه أي إبليس كان متفوقاً كل التفوق فلقد استطاع بكل السهولة والسرعة أن يخدعهما ويغويهما ويسحب منهما كل إيمانهما وتقواهما واحترامهما لك وخوفهما منك وحفظهما وتذكرهما لأوامرك لهما، بل ويسحب منهما وقارهما وحياءهما وكرامتهما وشرفهما، ويلقي بهما إلى الحضيض إلى عصيانك ونسيانك وإلى هزيمتك وإهانتك، خاضعين لإغراء أنفه وأصغر الأشياء إغراء، فتجد نفسك مهاناً منبوذاً مهزوماً حزيناً باكياً، يائساً، فلا تجد ما تعالج به آلامك وأحزانك أو ما ترد به على من فعلا بك كل ذلك إلا أن تتصرف تصرفاً عصبياً مهزوماً عاجزاً صغيراً ساذجاً وهو أن تخرجهما من فردوسك وتغلق أو تهدم فردوسك أو تؤجره أو تبيعه أو تتركه فراغاً وخلاء مع الالتزام بتكاليف صيانتة وحمايته وحراسته، وتلقي بهما أي بولدك أو نبيك آدم وحواء إلى عدوك وعدوهما إبليس لكي يعاملهما بعقرياته المعادية المتفوقة والمنتصرة على كل شيء وكل أحد بل القاهرة المذلة لكل شيء وكل أحد حتى لك أنت يا إلهي الذي لم ينتصر في أية معركة من معاركه في كل تاريخه بل الذي لم يهزم. بشرف أو كرامة أو ذكاء أو قوة أو عقلانية في أية معركة من معاركه التي لا بد أن يهزم فيها جميعاً والتي هو مهزوم فيها كلها أبداً... التي لا يمكن أن يهزم فيها بأي تفسير أو صيغة من تفاسير أو صيغ الهزائم الجديدة أو المحترمة أو المتوقعة أو المعقولة أو المقروء أو المعروف لها مثيل...!

نعم، ألسنت وحدك يا إلهي المهزوم أبداً وإن هزائمك هي وحدها التي لا يستطيع بل ولا يمكن تفسيرها أو تسويتها بأي قدر من المنطق أو الذكاء أو الاحترام أو الشجاعة أو الكرامة أو القوة مهما كان محتوماً أو محتملاً أن تفسر أو تسوغ كل الهزائم وشر الهزائم وأردأ الهزائم بشيء من ذلك أو بكثير من ذلك؟

ولقد جاء ردك يا إلهي على هزيمتك المميتة هذه رداً لا مثيل له في قبحه وضعفه وجهالته. لقد عالجت أو واجهت هزيمتك بأن فعلت ما هو أقبح أساليب الانتحار بين يدي عدوك المنتصر. . بأن سلمت إليه كل بقايا حصونك وقلاعك وخطوط دفاعك، وكل بقايا جيشك المهزوم وبقايا أسلحته، بل وكل بقايا أرضك التي بدأ عدوك يغزوها. .

لقد فعلت كل ذلك وما هو أقبح وأردأ من كل ذلك يا إلهي حينما سلمت نبيك أو ولدك آدم وحواء بلا قيد أو شرط إلى أرض وقبضة خصمك المنتصر الجبار ليفعل بهما وبذريتهما ويقودهما ويقود ذريتهما كما يريد ويستطيع. ومن المحتمل وقد يكون من الواجب أو المحتوم أنك تعرف ماذا يستطيع ويريد. ! لقد أكون مبالغاً كثيراً في تقديري لقدرك على أن تعرف يا إلهي. ولكن أليس محتوماً أن ترى أنني معذور في هذه المبالغة؟

. . لقد أخرجتهما من الفردوس المحروس والمحمي بك وبجيشك وحرسك السماوي وألقيت بهما وبذريتهما إلى الأرض التي هي وطن إبليس، إلى الكون الذي هو وطن وملك ودولة الأبالسة. !

لقد فعلت ذلك لأنهما عصياك وأطاعاه مرة واحدة، فعلا ذلك عن ضعف أو خطأ أو عن نسيان أو نزوة أنت خلقتها فيهما. !

فهل كنت في فعلتك هذه تعالج وتنقذ وتحمي وتصلح وتصحح أم تفعل النقيض؟

هل فكرت في هذا وعرفت ماذا فعلت وأردت ما فعلت؟

هل اعتقدت أنك بهذا تعاقب وتحارب وتهزم عدوك وتنتقم منه، وتؤدب وتصلح وتنقذ نبيك أو ولدك، وتعظم وتمجد وتكرم نفسك وشهامتك وفروسيك وقوتك وغضبك؟

هل يوجد أي احتمال بأن يكون هذا هو اعتقادك واقتناعك؟

وإن لم يكن هذا الاحتمال محتملاً فما التفسير إذن لما فعلت؟

هل أنت يا إلهي كالزعامات والقيادات والنبوات والألوهيات العربية التي إذا غضبت أو هزمت أو عجزت أو أهينت أو افتضحت فعلت ما يوقعها في المزيد من ذلك بأساليب أكثر وأعلى ضجيجاً وافتضاحاً.

- نعم، فعلت ما يوقعها في المزيد من ذلك بأساليب وظروف تفسيرها بأنها تتعمد ذلك وتستشفى به من كل ما لا تريد ومن كل ما لا يهبها كل التفوق على كل العالم والكون، بكل تفاسير التفوق؟

هل تعلمت يا إلهي هذه الموهبة أو العبقرية من الموهبة العربية أو العبقرية العربية أم أن الموهبة والعبقرية العربيتين هما اللتان تعلمتا ويتعلمان ذلك من مواهبك وعبقرياتك؟

إنها لقضية معجزة للفهم والتفسير أعني قضية التشابه الكامل بين أخلاق ومواهب الإله وأخلاق ومواهب القيادات والزعامات العربية.

.. كيف يا إلهي عجزت عن أن تعرف أو تتذكر أو تجد أو تستطيع أو تريد أي علاج آخر أو موقف آخر حين حلت بك هذه الهزيمة بل هذه الكارثة؟ أليس حولك مستشارون وخبراء؟

هل كل مستشاريك وخبرائك عرب أو من العالم الثالث أي من أردته؟

.. اسمع أو تصوّر أو اقرأ يا إلهي هذه القصة أو المأساة أو الحماسة التي يصعب أن يوجد من يفعلها بل التي يصعب أن يوجد من يتصورها.. نعم. اسمع وقرأ وتصور ولكن بكل طاقاتك الحماسية والعقلية والأخلاقية والنفسية. لكن وأسفاه على طاقة طاقاتك..!

.. كائن أو إنسان أو إله له ابن يحبه جداً وينتظر منه أن يكون له كل المجد والفخر والقوة والفرح والسعادة..

هذا الابن اتصل به أو صادق عدو له ولأبيه مخادع لعين فأغواه وأغراه بأن يفعل شيئاً قد يحسبه أبوه عصيانياً له ففعل ذلك الشيء خطأً أو ضعفاً أو نسياناً أو تسامحاً أو مجاملةً أو تجربةً أو إيماناً بالحرية وتذوقاً وطاعةً لها. فجن أبوه كل الجنون..

فعاقب ابنه هذا بأن تخلى عنه وسلمه لعدوه هذا وعالج وشفى جنونه وغضبه بهذا التسليم لابنه إلى عدوه..

سلمه إليه لماذا؟ قيل تفسيراً لذلك: ليصلحه ويهديه، وقيل ليهبه كله لخصمه..!

هل يمكن التصور بأن هذا الكائن أو الإنسان أو الإله قد وجد أو أنه قد يوجد؟
آه.. أأست يا إلهي بما فعلته بولديك أو نبيك آدم وحواء تساوي هذا الكائن أو
الإنسان أو الإله الذي يصعب أو يستحيل تصوره؟

... والذي يضخم جداً من قبح ما حدث: إن الابن المعاقب هذا وهنا كان غراً
لم يجرب بعد الخديعة ولا الانخداع ولم يعلم أنه يوجد هذا أو هذا..
ويلتاه يا إلهي..! هل يمكن أن يوجد من يستطيع أو يجزؤ أن يقرأك أو يفسرك أو
يفهمك أو يحدد فيك ما لم يفقأ ويغلق ويسكت بل ويقتل عينيه وعقله وضميره وأخلاقه
بل وغضبه واشتمزازه وكل شروطه ونماذجه وتفاصيله الإنسانية؟
أأست حتماً قاتلاً لكل معاني كل من يريدون أن يروك أو يقرأوك أو يفسروك أو
يفهموك أو يحبوك؟

.. لا تصدق يا إلهي المريض بالتصديق من يزعمون أو يزعم لهم أنهم يقرأونك
أو يفسرونك أو يفهمونك أو يحددون فيك أو أنهم يفعلون ذلك أو يستطيعونه أو
يريدونه. ولكن هؤلاء إنما يقرأون ويحفظون ويروون ويفسرون أنفسهم وظروفهم
وأهواءهم ومصالحهم وضعفهم ونفاقهم وخوفهم وملقناتهم وقبورهم وتاريخهم وأكاذيب
وأوهام وأحلام وخدع معلمهم ودجالهم وأنبيائهم الأطفال الشيوخ..!

لا تصدق أن من يتحدثون عنك. يتحدثون عنك أنهم يتحدثون عن أنفسهم
وظروفهم لا عنك.. إنك يا إلهي أنت الصورة التي لا يراها إلا من خلقوا بعيون لا
يمكن أن ترى. والحرف الذي لا يمكن أن يقرأه إلا الأمي الذي لا يستطيع أن يتعلم
القراءة أو لا يستطيع أن يقرأ مهما تعلم القراءة..!

هل تعرف يا إلهي أن أكثر من يتعلمون القراءة لا يستطيعون أن يقرأوا؟

.. آه يا إلهي كم أنا محتاج إلى الاعتذار الحار إليك لأنني قد ذهبت بك بعيداً عما
كنت أريد أن أقول لك، ولأنني قد أوجعتك وفجعتك وروعتك بما فسرت وفكرت لك
وبما أسمعتك من أخطاء وسذاجة وضعف تصرفاتك وردودك على مواجهاتك ومواقفك
الأليمة الصعبة البائسة..!

ولكن آه ليتك يا إلهي ممن يفجعون أو يروعون أو يتوجعون. إذن لجئت أكبر
وأعظم وأنبل وأذكى وأتقى مما جئت، أو لجأت رؤيتك لنفسك وللناس والأشياء
والكون أكثر حياةً ووقاراً وتهذيباً وحباً وشهامةً وصداقةً وجمالاً وإغضاءً وتديناً وتواضعاً
بل لجأت أكثر تعذيباً وإحراجاً وتأنيباً وعقاباً لك..! ولكن هل الآلهة ترى؟ أليس

شرطاً محتوماً في كل إله أن يكون فاقداً للرؤية عاجزاً عنها رافضاً لها؟

أجل يا إلهي لقد أخذتك بعيداً عما كنت أريد أخذك إليه !

ولكن هل الآلهة تستجيب لمن يأخذها مهما وجب أن تستجيب؟

نعم، يا إلهي كنت أريد أن أقول لك بكل نيات وحوافز وعواطف الرثاء والتحذير والنقد والإحراج والتأثيم والتأنيب والتجهيل ومحاولة التعقيل والتعليم لك أن أقول لك :

لقد استطاع هذا الكائن العجيب الهازم المفسد المبطل المخترق لكل التفاسير والحسابات والحدود المحروسة المقدسة . . هذا الكائن المسمى بإبليس المتفوق على كل الحسابات والتقديرات حتى على حساباتك وتقديراتك يا إلهي الذي لم يوجد ولن يوجد مهزوم مثله ولا منتصر مثل خصمه وعدوه .

- نعم، لقد استطاع وهو في بداية طفولته وجهالته وأميته ووحدته وغربته وسذاجته، في بداية كينونته التاريخية النضالية أن يغزو فردوسك المحروس بكل كبرياتك وقسوتك وفروسياتك البدوية الجاهلية . وأن يغزو إيمان وتقوى وعقل وأخلاق وبكارة وطهارة من قاسيت لكي تعرف وتستطيع أن تصنع فردوسك الهمجي البدوي الخرافي الأسطوري في ترفه لكي تقدمه رشوة إليهما لكي يمدحاك ويعبداك وينافقاك ويتملقاك يا إلهي، يا أسفه وأسذج مستقبل للمديح والملق والنفاق والهوان ومطالب بذلك .

- أن يغزو كل ذلك بكل اليسر والسرعة والانتصار بلا أية مقاومة أو عقاب أو معاناة، بل أية حاجة إلى أي تخطيط أو تدبير أو تفكير أو تحذير أو حذر . أي حاجة إلى موهبة أذكى أو أتقى أو أقوى أو أصفى من موهبة الإله أو النبي أو القائد أو الزعيم أو الحاكم أو الشاعر أو الفنان أو المفكر أو العبقرى العربى . . وكم أخشى أن تكون مبهوراً بموهبة الإنسان العربى ومذعوراً منها محاسباً لها بموهبتك أنت يا إلهي !

. . وهل يمكن تصور موهبة بل عبقرية تساوي في ضعفها وهوانها وضآلة حجمها وتفاسيرها وفي سهولة ورخص وسرعة الحصول عليها موهبة بل عبقرية الإنسان العربى، صاعداً واقفاً متحدثاً مبرزاً من فوق قمة نبوته أو عبقريته أو شاعريته أو فلسفته أو فنيته أو قيادته أو زعامته إلا أن تكون موهبتك أو عبقريتك أنت يا إلهي الذي لعله تعتمد أن تجيء الموهبة العربية كما جاءت لكي يعجب بموهبته أو يغفر لها ضعفها حين يحاسبها بالموهبة العربية .

الذي لعله قد صاغ الإنسان العربى كما صاغه لئلا يحتقر صيغة ذاته مقارناً ومحاسباً . !

أجل يا إلهي كنت أريد أن أقول لك بكل الصدق والإخلاص والبراءة، أو بكل الزندقة والوقاحة والجنون في الرأي الآخر.

- أن أقول لك، حتماً بكل الصدق والبراءة والإخلاص مهما كان أو قال الرأي الآخر.

- أن أقول لك :

إذن هل يمكن تصور ما يستطيع أي هذا إبليس أن يفعله بفردوسك الأخير وبسكانه القادمين إليه من الحياة الأولى حاملين معهم في حقائبهم الجسدية والنفسية كل هزائمهم ومهاناتهم وآلامهم وأناتهم وآثامهم وبلاداتهم وكل ضعفهم وتمنياتهم العاجزة المفروضة المتحرقة؟

لقد أصبح إي إبليس شيئاً آخر، أكبر جداً مما كان حينما غزا فردوسك القديم الأول، فردوس آدم وحواء . .

لقد أصبح مكتملاً وناضجاً في كل تجاربه وفنونه وانتصاراته. لقد أصبح تاريخاً ضخماً، ضخماً. بل لقد أصبح تاريخه كل التاريخ، وأصبح كل التاريخ بعض تاريخه . . لقد أصبح هو أقوى وأذكى وأشهر من يكتبون ويقرأون ويفسرون ويوجهون التاريخ بل ويقودونه ويصنعونه . . هل تجرؤ يا إلهي أن تنكر أنه أي إبليس قد أصبح هو أقوى وأذكى وأعظم موجه وقائد وصانع للتاريخ حتى لتاريخك أنت يا إلهي؟ هل لك يا إلهي أي تاريخ معروف أو مكتوب أو مقروء أو موجود أو مثير غير تاريخك مع إبليس وغير مقاومتك وسبك وبغضك له، وغير خوفك وتخديرك وغيرتك وغضبك منه وعليه وتعاليمك ضده، وغير مواجهاتك وقراءاتك لضرباتك وانتصاراتك ولنتائج ضرباتك وانتصاراته، وغير أنيمك وأحزانك وآهاتك متلقياً ضرباته وانتصاراته وغزواته وتحدياته الساحقة المذلة، محولاً أحزانك وأناتك وآهاتك الحائرة العاجزة إلى أديان ونبوات وكتب مقدسة لا تستطيع أن تهب أو تفعل إلا أن تلعن وتلعن هذا الخصم أو العدو أي إبليس الذي هو أكبر وأقوى وأذكى من كل الأعداء مع أن كل اللعنات حتى لعناتك أنت يا إلهي ولعنات كل ملائكتك وأنبيائك بل وزبائيتك لا تستطيع أن تسحب أو تقتل شعرة واحدة في لحية أو شارب أصغر أو أضعف عدو أو خصم أو حتى في جسد فأرة؟ نعم، هل الأديان وتعاليمها إلا أناتك وأحزانك وآهاتك يا إلهي حاولت أن تداري بها اندحارك الشامل أمام عدوك إبليس؟

. . أنظر أو تذكر يا إلهي. إن ضربة أو قفزة أو همسة واحدة ضربها أو قفزها أو

همسها هذا العدو أي إبليس قد كتبت وصنعت كل تاريخك وتاريخ الإنسان بل وتاريخ الكون كله لأنك تقول يا إلهي إنك لم تخلق الكون إلا من أجل الإنسان . إذن فتاريخ الكون جزء من تاريخ الإنسان . .

هل تذكرت يا إلهي هذه الضربة أو القفزة أو الهمسة التي كتبت بل التي صنعت تاريخك وتاريخ الإنسان وتاريخ الكون؟

هل استطعت أن تتذكر أو أن تفهم يا إلهي تسلل إبليس إلى فردوس آدم وحواء وإغواؤه لهما وطردهما من الفردوس وما تلا من عواقب لعلك لن تنساها أو تنكرها؟

لو أن إبليس هذا لم يضرب ضربه هذه وظل آدم وحواء في فردوسهما الخرافي الغبي فهل كان ممكناً أن يوجد أو يعرف أو يقرأ تاريخك أو تاريخ الإنسان أو تاريخ هذه الأرض والكون وما ازدحم فيهما من أديان ونبوات وتعاليم ومذاهب وكتب منزلة وأمم وشعوب وأوطان وحروب وعداوات وآلام وجنون، جنون؟ نعم، جنون، جنون!

أليس هذا هو كل تاريخك وكل التاريخ؟ أليس إبليس هو كاتب وصانع كل هذا؟ إذن أليس إبليس هو كاتب وصانع كل التاريخ حتى تاريخك يا إلهي؟ هل فطنت يا إلهي إلى هذه الحقيقة أو الكارثة؟ إذن ما أبشع آلامك إن كنت قد فطنت؟ هل تراني شريراً جداً لأنني أعلنتها وفسرتها لك؟

إن السلطان العربي يكره بل ويعاقب من يقول له الحقيقة . وأنت يا إلهي ألسنت سلطاناً عربياً . . إن العالم الآخر أي عالم الحياة الثانية بكل ما فيه من بعث وحشد وأجهزة وإعداد وتكاليف وذعر وآلام وتوترات وحراس وزبانية غلاظ شداد ومن جحيم وفردوس .

- نعم إن هذا العالم الآخر بكل ما فيه ومن فيه إنما أوجده إبليس وحده لأنه أي هذا العالم إنما أوجد لمحاسبة ومعاقبة من أطاعه أي من أطاع إبليس ولمحاسبة وإثابة من عصاه .!

إذن فهو الذي أوجده لأن موجد أسباب الشيء وتفسيره موجد للشيء . .

إنه إذن، أي عالم الحياة الأخرى، هو شيء من تاريخ إبليس .!

صدق هذا يا إلهي وكن كريماً وشجاعاً وشهماً في تقبل الحقائق المؤلمة . . وإنه لمن المحتوم أن ضربة إبليس هذه وما صنعت من نتائج مؤلمة ومؤذية ومذلة محرجة لك يا إلهي بكل القسوة والقبح والشمول لا بد أن تكون أي هذه الضربة بكل نتائجها قد صاغت حالتك النفسية والعصبية صياغة عنيفة حزينة جريحة مهورة مصابة بكل العقد

المعروفة وغير المعروفة. وهذه الصياغة النفسية والعصبية التي أصابتك بها هذه الضربة الإبليلية لا بد أن تكون هي التي صاغت كل رؤاك وأفكارك وأخلاقك وعواطفك وعلاقاتك بنفسك وبكل شيء هذه الصياغة العاجزة اليائسة الكثيرة العدوانية المتشائمة البعيدة عن الاتزان والوقار والجمال والحب والرحمة وعن الذكاء والوفاء والكبرياء بل والبعيدة جداً عن القوة والبسالة وعن محاولة التنظيف والاحترام للذات ولتاريخ الذات وصورة الذات. هل يمكن تصور عارض لنفسه بالضعف أو القبح أو الإهمال أو الضياع أو الهوان الذي به أنت عارض نفسك يا إلهي؟

... وقد جاء هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه من آلام وتشوهات وقبح وفظائع ومظالم وأخطاء وبؤس وعبت وتعذيب وفوضى وإهمال ومن سخف وجهل وظيفي يعجز كل تصور عن تصوره.

- أجل، لقد جاء هذا الكون بالقبح والسفه الشامل الذي جاء به تعبيراً عن صياغتك هذه النفسية والعصبية التي صاغتك بها هذه الضربة التي وجهها إبليس إلى كل تاريخك والتي صاغ بها كل تاريخك!

.. إذن هل تستطيع يا إلهي البائس كل معاني البؤس وتفاسيره أن تنكر أن إبليس هو وحده كاتب وصانع وصائغ تاريخك؟

هل يمكن أن يجيء تاريخك أو تقبل أن يجيء كما جاء لو كنت أنت كاتبه وصانعه وصائغه ومريده ومخططه، يا إلهي الذي لا يوجد ولن يوجد من يحتاج مثل احتياجه إلى الصديق المشير الناصح الصادق الشجاع القوي الذكي التقى. والذي لا يوجد ولم يوجد فاقد مثل فقدته لمثل هذا الصديق المشير المستشار إلا أن يكون حاكماً أو سلطاناً أو نبياً عربياً؟ أيهما أعجز عن أن يجد الصديق المشير الأمين الشجاع الذكي التقى القوي: الإله أم السلطان أو المسؤول العربي؟

.. هل كان يمكن أن تجيء صياغتك النفسية أو العصبية أو الأخلاقية أو التعبيرية أو الفنية كما جاءت لو أن الضربة الإبليلية لم تصوب إليك أو لو أنها أخطأتك ولم تصبك؟ لماذا أصابتك؟ لماذا؟

أطالب جميع علماء النفس في هذا الكون وخارجة بالإجابة عن هذا السؤال.
.. إذن اسمعوا يا من يستطيعون أن يسمعوا ويا من لا يسمعون ولا يستطيعون أن يسمعوا.. اسمعوا.. اسمعوا..

وكم أحب وأهاب أن تسمعوا وأطلب منكم الغفران حين أطلب أن تسمعوا..

. . إن ضربة واحدة ضربها هذا الكائن المسمى إبليس قد كتبت وصنعت وصاغت كل أخلاق وتاريخ الإله والإنسان والكون وكل شيء وكل آلام وأحزان وهزائم وفضائح ومشاكل الإله والإنسان والكون وكل شيء . آه . كيف أطلبكم أن تسمعوا ذلك؟ كيف؟ هل تصدقون هذا؟ هل تصدقونه؟ إنني أطلب بأن تصدقوه مع أنني أهاب وأرفض وأخجل أن تصدقوه .!

أواه . ما أفسى عذاب وموقف من يطالب بشيء يخشاه ويرفضه ويخجل ويشمئز منه ويتعذب به! آه . أليس كل إنسان بل كل كائن يطالب بأشياء يخشاها ويرفضها ويخجل ويشمئز منها ويتعذب بها؟

إذن ما الإنقاذ من العار والهوان والافتضاح؟ إنه لا إنقاذ من ذلك إلاّ بالألا يكون الموجود موجوداً . ولكن كيف يمكن إنقاذ من وجد من وجوده أو من أن يكون موجوداً؟ كيف يمكن إنقاذ الصرصار أو الإنسان من أن يكون إنساناً أو صرصاراً؟

* * *

أجل يا إلهي هكذا جاءت الغزوة الأولى لفردوسك الأول ولك ولطفليك آدم وحواء التي غزاها الغازي الكوني الأعظم أي إبليس . . التي غزاها تحت ظروفه الضعيفة الأليمة التي حاولت أن أقرأها وأفسرها لك . نعم، أنا أحاول أن أقرأ وأروي وأفسر لك تاريخك يا إلهي . هل توجد وقاحة أو جرأة تساوي هذا؟ إذن غفرانك، غفرانك يا إلهي .!

. . آه ما أفدح الأهوال التي لا بدّ أن تصنعها غزوته الثانية التي لا بدّ أن يغزوك بها ويغزو فردوسك الثاني وسكانه القادمين إليه من الحياة الأولى حاملين معهم كل حقائبهم النفسية وأعضائهم المشحونة بكل الأوحال والقبح والذنوب الباحثة عن التنفيذ والانحدار والانحدار .!

آه . أي الذنوب والوقاحات أقبح: المنفذة أم المنتظرة للتنفيذ . . ؟

إنه في هذه الغزوة لن يحتاج إلى التسلل الخافت الهامس لكي يدخل بل يحتل فردوسك كما فعل في غزوته الأولى . بل إنه سيقترحه بموكب بل بجيش أفراده ووحداته وكل سكانه أي سكان فردوسك قادمين إليه من قبورهم المسكونة بالعفن والوحشة والقبح والظلام . . !

ماذا يمكن أن تكون نفوس وأخلاق ورؤى من يقدمون، من يخرجون من القبور؟
.. إنه سيغزو فردوسك هذا غزواً معلناً متحدياً بكل جهر وجهارة وتحدي الغزو.
وسيدخله من كل الآفاق والطرق والأبواب والنوافذ والشقوق بكل الإعلان الكونية والدولية.!

إنه سيدخله، أي يدخل فردوسك، محمولاً بكل التمجيد والحب والصدقة فوق رؤوس وظهور وعمائم ومصاحف القادمين إليه من المقابر. ومحمولاً داخل قلوبهم وضمايرهم ولحاهم وحبات سبحاتهم وداخل خلايا وذرات جباههم وهاماتهم وركبهم وكل أعضائهم التي طالما عذبها وأهانها وشوهها الركوع والسجود والصلاة والعبادة لك فوق كل تراب، فوق كل وحل وهوان يا إلهي المهين المهان!.

نعم، يا إلهي إنه لن يوجد بل لن يتصور مهين مهان مثلك!

إنه، أي إبليس، سيدخل فردوسك هذا فوق العيون المحدقة فيك والآذان المستمعة إليك والأفواه القارئة لك وللكتب المنزلة، وفوق أجنحة الملائكة الحاملة لعرشك. وأنات وآهات وهتافات الأنبياء المتضرعة إليك.!

إنه أي إبليس سيدخل فردوسك منقوشاً بحروف كتبهم المقدسة على صفحات كتبهم وكتبك المقدسة. إنه سيدخله محمولاً على أكتاف وظهور حملة عرشك. إن ملائكتك لا بد أن يصبحوا بعض دعائه ومستشاريه.!

.. وهل تستطيع كل أجهزة وطاقت التصور أن تتصور شيئاً من الحفاوة التي لا بد أن يستقبل بها هذا الغازي أو التي قد يستقبل بها أي التي لا بد أن يستقبله أو قد يستقبله بها سكان فردوسك الذين كانوا في حياتهم الأولى يلعنونه أبداً بأفواههم وفي صلواتهم، ويصلون ويهتفون ويتسمون ويقبلون ويضاجعون له أبداً أي لإبليس بشهواتهم وتمنياتهم وآهاتهم بل وبأعضائهم. الذين كانوا يشتهونه ويحبونه بقدر ما كانوا يذمونه، ويسبونه، أو الذين كانوا يذمونه ويسبونه لأنهم يتمنونه ويشتهونه ويحبونه، أو الذين يعلنون كراحتهم له أي لإبليس ويحولون هذه الكراهة إلى أديان وتعاليم وخطب وأخلاق وتقوى لأنه يرفض أن يكون لهم صديقاً أو عشيقاً أو رفيقاً أو عميلاً أو أن تكون العلاقات بينهم وبينه كما يشتهون ويتمنون لأنهم لا يستحقون ذلك أو لا يستطيعونه أو لا يستطيعون أن يدفعوا الثمن المطلوب والمستحق بل ولا يملكونه.!

أليست لمصادقة الشيطان ومرافقته وعشقه وللظفر بثقته وإقامة وترسيخ العلاقات به شروط صعبة وقاسية بل وذكية جداً؟

أليس الشيطان أعني إبليس يشترط لنفسه أي لنيل رضاه وثقته وصدافته وحبه ومعاملته وإقامة وتوكيد العلاقات معه أكثر وأذكى وأقوى بل وأتقى مما يشترط الإله لنفسه؟

أليست إقامة العلاقات الجيدة جداً مع إبليس أغلى وأقسى شروطاً من إقامة مثل هذه العلاقات مع الإله؟

أليس حب الشيطان أي حب إبليس هو أغلى الأشياء وحب الإله هو أرخص الأشياء؟ أليس المتعاملون مع إبليس المتبادلون معه الحب والعشق والشوق هم أغلى ثمناً ومجداً من المتعاملين مع الإله المتحدثين معه عن حبهم وعشقهم له وشوقهم إليه؟ أليس إبليس يشترط في أصدقائه وأعوانه وفي المتعاملين معه شروطاً هي أفسى وأذكى من شروط الإله فيمن يعامل ويحب ويرضى؟

نعم، إنه أي إبليس لا بد أن يدخل فردوسك ممتطياً صهوات كل خيول ونياق وبغال وأغنام كل المؤمنين بك المصلين لك. وأن تتحول كل الحدود والحراسات والحواجز المقامة على فردوسك وكذلك يتحول كل سكان فردوسك إلى هتاف وغناء وصلوات لاستقباله أي لاستقبال إبليس وللترحيب به وإعلان مبايعته بالحب والصدقة والولاء الدائم المخلص الخالص. !

إن كل أمجاد التاريخ والكون لا بد أن تصغر وتتصاغر وتهون وتنسى أمام الأمجاد التي سوف يتوج بها عرش ورأس إبليس في فردوسك. . إن سكان فردوسك لا بد أن يتحولوا إلى كل الظروف والشروط المؤاتية والمطلوبة لكي يكون انتصار إبليس في تعامله معهم وبهم وفي قيادته لهم انتصاراً محتوماً شاملاً دائماً حين التكاليف عليه بل بلا تكاليف. !

بل إنه لو أراد أن يكون مهزوماً أو فاضلاً أو تقياً متورعاً لما استطاع ذلك ولما تركه سكان فردوسك ليكون ذلك أو شيئاً منه. !. إن سكان فردوسك لا بد أن يغتصبوا شرف وبراءة وطهارة وتقوى إبليس اغتصاباً. !

* * *

حنانيك وسعديك ولبيك يا إبليس. . يا إبليس. يا حروفاً قليلة وصغيرة تعني في تفاسيرها وتاريخها وانتصاراتها شيئاً بل أشياء هي أقوى وأكبر من كل شيء، من كل الكون بكل آلهته وأنبيائه وأديانه وتعاليمه وتاريخه وحضاراته وعباقرته وبشره وكل شعوبه وأممه وأوطانه. !

يا إبليس، يا أعظم وأكبر وأخلد مجداً ونصراً وحظاً وذكاءً وتفوقاً من كل أحد حتى من الإله .!

نعم، يا إبليس هذا. هذا الذي يرتجف ويدعر ويفجع ويغار من اسمه ومجده وتفوقه وانتصاراته ومواكبه كل أحد حتى الإله!

وهل يمكن أن يعاقب أو يهان أو يهجي أو يخاف أو يحقر أحد مثلما يفعل كل ذلك بالإله محاسباً ومواجهاً ومفسراً ومقروءاً بإبليس، بك يا إبليس، يا أشهر وأعظم ملعون وأشهر وأعظم معبود محبوب مطاع متبوع أي مثلما تفعل أنت كل ذلك بالإله؟ هل فعل أحد بأحد أو يمكن أن يفعل أحد بأحد من الهزائم والإذلال والقهر شيئاً مما فعلته يا إبليس بالإله؟

.. نعم، يا إبليس هذا ما أعظم حظوظك وسرورك فيما سوف تجد في هذا الفردوس، في فردوس هذا الإله الذي لم يحدث أو يتصور ولن يحدث أو يتصور انتصار أحد على أحد مثل انتصارك عليه أي مثل انتصار إبليس على الإله .!

ومع هذا فإنني لا بد أن أنصحك يا إبليس ألا تبالي في غرورك وكبرائك بانتصارك على الإله. فالانتصار على الإله ليس شيئاً صعباً أو كبيراً. إنه لا يعني مجداً أو تفوقاً أو أي قدر من العبقريّة أو الذكاء أو الشجاعة أو القوة أو الفدائية. إن كل من يريد الانتصار على الإله لا بد أن ينتصر .!

إن الذي لا ينتصر على الإله هو الذي لا يريد وليس الذي لا يستطيع، فكل أحد يستطيع .!

هل أستطيع أن أقنعك يا إبليس أو هل أنت محتاج إلى أن تقنع أو تقتنع بأن الانتصار على الإله لن يساوي في كل معانيه أو في أي معنى من معانيه أكثر أو أعظم مما يساويه الانتصار على القيادات أو الزعامات أو العبقريات أو النبوات أو الجيوش العربية؟

ألست قد عرفت وفجعت وتعذبت بمعرفتك لما يساويه الانتصار على أي شيء عربي؟

.. أرجوك، أرجوك يا إبليس أن تفكر في هذا:

هل يجزئ أي منتصر على أي شيء عربي أن يفخر بانتصاره بل أو أن يحسب انتصاره انتصاراً مهما كانت ضخامته أو سرعته أو حسمه أو دويه أو شموله؟ إن من حسب انتصاره هذا انتصاراً فلا بد أن يكون مسرفاً في هجائه لنفسه!

.. ليتك يا إبليس تستطيع أن تسأل إسرائيل ماذا تعني أو تساوي الانتصارات على القيادات أو الزعامات أو النبوات أو العبقريات أو الجيوش العربية مهما كانت قوتها وروعتها. وهل يغفر الافتخار بها أو حتى التحدث عنها أي عن هذه الانتصارات على أي شيء عربي؟

حتى النملة حينما صرعت الفيل الضخم السمين جداً وظلت تصرعه وتطرحة إلى الحضيض، تصرعه وتطرحة مرات متلاحقة.

- نعم، حتى النملة الإسرائيلية حينما فعلت ذلك بكل السرعة والسهولة والحسم وظلت تفعله تعاقباً وتلاحقاً بالفيل العربي الضخم السمين المتخمد المحظوظ جداً لم تجرؤ على أن تفخر بما فعلت أو أن تجد فيه أي مجد أو تفوق أو حتى أي نصر.

.. إنها أي إسرائيل لم تر النصر هنا نصراً.. إنها لم تر أن انتصار النملة على هذا الفيل يمكن أن يحسب نصراً. إنها أقسى المبالغة في التهوين من قيمة ودلالات وتفسير الانتصار على أي شيء عربي، أو في أية مواجهة مع العرب، مع أية قيمة عربية!

لقد كانت إسرائيل ذكية وحذرة ودقيقة الحساب جداً في عرضها وقراءتها وتفسيرها لنفسها على العالم لهذا لم تحاول أن تباهي بشيء من انتصاراتها على العرب. ولعلها من داخلها قد عت ما تساوي هذه الانتصارات التي تبدو مذهلة بل معجزة لكل من لا يعي ماذا يساوي أي انتصار على العرب.

.. نعم، النملة لا ترى في انتصارها على الفيل انتصاراً. إذن ماذا يساوي هذا الفيل في حساب هذه النملة أو في أي حساب آخر؟

.. أجل، يا إبليس إنك سوف تجد في هذا الفردوس كل الشروط والظروف التي لا بد أن تجعلك فيه وفي سلوك وإيمان وطاعة سكانه لك أنت الفاتح القائد الزعيم الحاكم الملك المالك المعلم العالم النبي الصديق الحبيب المطلق الواحد المتفرد.

.. بل التي لا بد أن تجعلك أنت الإله القديم الجديد الدائم الذي له كل الطاعة والاتباع والحب والشوق بلا أنبياء أو أديان أو تعاليم أو كتب منزلة أو وعاظ أو معابد أو منابر، وبلا وعيد أو وعد بالجحيم أو الفردوس.. ولن تجعلك الإله القديم الذي لم يكن له إلا الرفض والعصيان والهجران والنسيان والإهمال والأعراض والهزائم بل والإذلال والتحقير والتصغير، والذي كان له أقبح وأوقح وأثقل وأجهل وأقسى وأطغى وأغبى الأنبياء والمعلمين والأديان والكتب المنزلة والمنابر والمحارب والوعاظ والوعد والوعود والوعيد والتهديد.

. . إنك يا إبليس ستكون أي في الفردوس وبين سكانه أول إله حقيقي في هذا الكون وفي كل كون. له كل مجد الإله وسلطانه وكبرائه. . أول إله مطاع معبود منفذة أوامره ورغباته بالحب والعشق والهوى والضمير والقلب والأعضاء لا باللسان والوعظ والتعاليم التشريع والمنابر فقط كما كان ذلك هو كل حظ الإله القديم وكل الآلهة القديمة في كل التاريخ وخارج التاريخ.

إن كل البشريات بكل الحظوظ لك يا إبليس في الفردوس الذي سوف يصبح مملكتك المثالية الدائمة بلا منافس أو مشارك والذي لا بد أن يصبح سكانه شعبك أو رعيتك المطيعة المحبة المستسلمة التي لن يوجد فيها أي معارض أو رافض أو كاره أو ناقد أو عاص لك أو ثائر عليك أو على سلطانك المطلق الشامل الدائم. . !

إنك لن تجد أي مقاوم لك في الفردوس حتى ولا بالشتائم مثل الذي كان يحدث في الحياة الدنيا.

. . إنك ستجد هناك أي في الفردوس كل البشر بكل شعوبهم وأمهم وتواريخهم وانتماءاتهم وألوانهم وأعرافهم وحروبهم وعداوتهم وخصوماتهم وأحقادهم وملاعنتهم وأديانهم ونبواتهم وأنبيائهم وزعمائهم وأبطالهم وشعرائهم ومفاخراتهم ومهاجياتهم ومبارزاتهم وتحدياتهم وكل ذكرياتهم المريرة الأليمة الغاضبة الحاقدة الحاسدة المتربصة الحزينة الباكية. !

آه هل يمكن وجود أو تصور تجمع شرير أليم مثل هذا التجمع؟

. . ستجد كل ذلك مختزناً مشحوناً متربصاً مركبة فيه كل أجهزة الإطلاق والانفجار والتفجير في كل عقول ونفوس وأخلاق سكان هذا الفردوس بل وداخل كل خلايا وذرات ووظائف ذواتهم وأعضائهم.

وسيكونون أي سكان هذا الفردوس أي رعاياك ومواطنو مملكتك المثالية متواجهين متداخلين مختلطين متعايشين بلا أية حراسات أو قوات أمن أو جيوش أو حدود منزلية، أو قوانين أو تعاليم أو تقاليد أو أي تفسير أو نموذج من تفاسير ونماذج الشهامة أو التقوى أو التدين أو الفروسية أو الحياء أو الرحمة أو النبيل أو الحب أو الكرامة أو الشجاعة أو الإنسانية أو خوف الحساب والعقاب والموت. لأن كل هذا قد ترك سلوكاً وتعليماً وتمنياً وشوقاً وتفكيراً في الحياة الأولى. ترك وراء، وراء ولم يبق حتى ولا ذكرى لمن تركوه وراءهم أي سكان الفردوس إلا أن يكون ذكرى مضادة منبودة بل مكروهة ملعونة.

إذن يا إبليس ألسنت مقتنعا بأنك لا بد أن تكون كل شيء ومالكاً ومدبراً ومريداً وفاعلاً ومحركاً كل شيء أي في الفردوس تحت هذه الظروف والحظوظ الراكعة العاشقة المستسلمة لك. الباحثة عنك أبداً وفي كل مكان حتى في الفردوس الذي هو مسكن ومأوى ونهاية وثواب أعدائك ومكان اللقاء والمعاشة والمعايشة والمعاينة والمحاورة والمصادقة والمساكنة بين الإله عدوك وأعدائك؟ ألسنت في هذا المكان، في هذا الفردوس تحت هذه الظروف قادراً أن تفعل كل الشرور حتى الحروب. حتى الحروب؟

ألسنت قادراً دون أن تستعمل أي قدر من عبقرياتك أن تسوق وتقود هؤلاء الفردوسيين إلى كل ما تريد وأن تفجر فيهم كل ما اختزنوه في حقائبهم النفسية وكل ما حملوه معهم إلى الفردوس أي في حقائبهم النفسية والتاريخية ليتحول ذلك إلى كل القبح والخبث والشر والفساد والعداوة والنذالة والعصيان والفسوق والوقاحة، بل وإلى شر وأدوم وأقبح وأنذل الخصومات والحروب؟

بل ألسنت عاجزاً مهما أردت أن تمنعهم أو تحميهم من أن يكونوا كل هذه الآثام والخبائث والقبائح في فردوسك هذا أي في مملكتك هذه؟

آه يا إبليس المظلوم المتهم البريء الصابر الصامت الوقور الغفور. . !

هل أنت الفاعل بالإله والبشر ذنوبه ووقاحاته ونقائصه وذنوبهم ووقاحاتهم ونقائصهم أم هو وهم الفاعلون المؤذون الملوثون لك الملقون عليك؟ هل أنت المعتدي أم المعتدى عليه؟ اغفر لهم يا إبليس. اغفر للإله وللشجر وقاحاتهم وعدوانهم وأكاذيبهم عليك بل لا تغفر لهم. لا تغفر. أرجوك، أرجوك أن تعاقبهم وتؤذنبهم وتهذبهم وأن تحول ذلك إلى أخلاق وتدين وتقوى وذكاء فيهم أي في الإله والبشر. افعل ذلك يا إبليس. أرجوك، أرجوك.

. . ألسنت يا إبليس أنت أبداً الذي يقع عليه التلويث والاتهام؟

أليس الإله والأنبياء والناس هم أبداً الذين يقع منهم ويصدر عنهم التلويث والاتهام؟

ألسنت أنت يا إبليس الذي يجب أن يطلب منه الغفران وأن يعتذر ويتاب إليه وبين يديه؟

أليس الإله والأنبياء والمعلمون والبشر هم الذين يجب عليهم أن يستغفروا ويعتذروا ويتوبوا، وأن يرفعوا اعتذارهم وتوبتهم بل وبكاءهم وصلواتهم إليك يا إبليس وأيضاً إلى غيرك وإلى كل شيء لأنهم أي الإله والأنبياء والمعلمين والبشر لم يكتفوا بأن

يكونوا ملوثين ومذنبين وعاجزين وأغبياء وأندالاً بل ذهبوا يتهمون غيرهم بما فيهم، ذهبوا يلقون بكل أحوالهم وخطاياهم وقباحتهم عليك وعلى من لا يعلمون أو يستطيعون شيئاً من ذلك؟

حتى ما يسمونه القدر والصدفة والحظوظ هي الفاعلة لذنوبهم وأخطائهم ونقصهم! . . هل يوجد أجهل أو أبلد أو أوقح أو أنذل ممن يخلق الشيطان أي إبليس . يخلقه ويريده ويعدده مفسداً ويهبه كل القدرة والحماس على الإفساد وكل الرغبة في الإفساد وكل الظروف المواتية المحققة لانتصار إفساده ثم يعاقبه ويلعنه ويكرهه ويذمه لأنه فعل ذلك أو لأنه هو كذب أو جهل أو عجز أو سفه أو ظلم فاتهمه بأنه قد فعل ذلك دون أن يفعل شيئاً من ذلك؟

من علم الإله أخلاقه هذه؟ من علمه أن يخلق كائناً بريئاً، يخلقه ليكون ليفعل أشياء معينة، واهباً له كل القدرة والظروف والأسباب والمواهب المحتوم أن تحقق له كل الانتصار، ثم يلعنه ويحاسبه ويعاقبه لأنه قد فعل وكان الأشياء المعينة أو الوظيفة المعينة التي خلقه وأعدده وأرادته وحرضه وسلّحه ليكونها ويفعلها؟

أو من علمه أي من علم الإله أن يريد ويشتهي ويعشق ويدبر ويفعل الشرور والوقاحات والسخافات والبذاءات والمظالم والفضائح ثم بكل النذالة والصفافة والبراءة من الحياء والصدق والعدل والوقار يذهب يعلن إعلاناً عالمياً كونياً بكل الأساليب والضجيج أنه ليس هو الفاعل لأي شيء من ذلك متهماً بكل ذلك أي بكل ما فعل هو بريئاً، بريئاً من أن يكون موجوداً وليس بريئاً فقط من أن يكون الفاعل؟

إنه اتهام بكل الذنوب لكائن لا يمكن أن يذنب لأنه لا يمكن أن يوجد . !

. . نعم، من علم الإله أخلاقه؟ وكيف أمكن أن يوجد من يستطيع أن يتصور أخلاق الإله لكي يعلمه إياها؟ إذن كيف استطاع الإله أن يتصور أخلاقه لكي يذهب يعلمها نفسه ويروض عليها سلوكه وضميره وعينه وحياءه؟ كيف استطاع أي الإله أن يتصور تصوره؟ كيف استطاع أو جرؤ أي الإله أن يصعد أو أن يهبط إلى كل هذا الحضيض في التزوير؟

وقد يرى أو يُقال: إن السؤال في هذه القضية الحزينة الفاجعة الفاضحة يجب أن يكون هكذا:

الذين تصوروا الإله بهذه الأخلاق من علمهم تصورهم هذا، أو كيف استطاعت عقولهم أو أخلاقهم أو تمنياتهم أو رؤاهم أو شاعرياتهم أو أحلامهم أو احتمالاتهم أن

تفرز أو تبصق أو تستفرغ هذا التصور للإله أو أي كائن مهما كان سخفه وجهله وقبحه وهوانه؟

كيف قسوا على الإله كل هذه القسوة ليروه هذه الرؤية؟

إن للتصور حدوداً وأخلاقاً مهما كان مطلقاً ومهما كان أو حسب بلا أخلاق أو حدود. حتى الجهل والسخف والغباء لا بد أن تكون له حدود.!

. . إن هذا التصور للإله قد جاء بلا أية حدود أو أخلاق مع أن كل شيء وكل أحد لا بد أن يكون محكوماً بشيء من الحدود والقيود والأخلاق مهما كان أو أراد أو حسب بلا أية أخلاق أو قيود أو حدود.

إن أي كائن لا يستطيع أن يكون ندلاً أو جاهلاً أو وقحاً أو بليداً أو حتى مجنوناً بلا حدود.!

إذن كيف أمكن هذا أي كيف أمكن أن يحدث هذا التصور؟ وحين حدث هذا التصور للإله الذي كان يبدو مستحيلاً تصوره أو الذي كان يجب أن يكون مستحيلاً تصوره للإله كيف يفتح ويروع العالم، لينهض مسرعاً مذهولاً مقهوراً لينشئ ويؤلف المجمامع والنوادي ويضع الدراسات النفسية والعقلية والأخلاقية والتاريخية والإنسانية بحثاً عن الأسباب ودراسة للأسباب التي جعلت هذا التصور للإله الذي كان يجب أن يكون مستحيلاً والذي كان يبدو أنه أعظم مستحيل واقعاً. ويواجه ويرى ويفسر ويعامل ليس واقعاً فقط بل ومنطقياً وأخلاقياً وعبقرياً وفنياً وشاعرياً جداً، بكل الرؤى والتفسير والأخلاق العالمية؟

. . إنه لن يمكن تصور هجاء أو تحقير أو تشكيك في ذكاء الإنسان وعبقريته وأخلاقه وفي كل قيمه المزعومة والموجودة ولكل ذلك فيه وله مثل أن يوجد فيه، أي في الإنسان، ومنه من تصوروا أخلاق الإله وذكاءه وعقله وعدله وكل مستوياته ونماذجه هذا التصور دون أن يتفجر كل شيء فيه رفضاً واستنكاراً واشمئزازاً وانفجاعاً وتصحيحاً ومقاومة.!

إنه لو كان ممكناً أن يفهم ويعقل ويغفر كل شيء في هذا الوجود وكل شيء في الإنسان وله لما كان ممكناً أن يفهم أو يعقل أو يغفر هذا التصور الذي تصوره للإله وتصوره أي الإنسان نموذجاً للإله ثم صمته على هذا التصور بل ورضاه عنه وإعجابه وإيمانه به أي بهذا التصور وتعلمه له، إنه أي الإنسان يعلم هذا التصور للإله تعليماً.

ولعلك يا إلهي قد فطنت إلى أنني هنا أدافع عنك وأنزهك وأحاول احترامك في الموقف والوقت اللذين أحاكمك فيهما .

إذن لا بدّ أن تعجب بل وتبهر بإنصافي وعدلي وصدقني وتهبني كل رضاك وتقبلك لي محاكماً لك .

والآن لنعد إلى الحديث عن الاحتمالات الرهيبة التي لا بدّ أن تقع في فردوسك يا إلهي الغريق في كل قضاياه ومواجهاته وتصرفاته وكياناته . !

لقد افترضنا في الصفحات السابقة أن سكان الفردوس سيكونون عالميين أي من كل العالم والشعوب والبشر والأديان والتاريخ وحاولنا أن نتطلع إلى النتائج التي لا بدّ أن يصنعها هذا الحشد البشري الكوني الجمع المركب المؤلف بلا تدبير أو تخطيط أو تفكير أو حساب من كل المتضادات والمتناقضات بكل وحشية وقبح ومرارة وعداوة التناقض والتضاد .

ولكن هذا الافتراض قد يكون افتراضاً فقط . وقد تكون احتمالات الخطر فيه أقل وأعقل من احتمالات الخطر في الافتراض الآخر الذي قد يكون أو لا بدّ أن يكون هو الذي سوف يكون . !

إنه الافتراض الذي يقول: إن سكان الفردوس جميعاً لا بدّ أن يكونوا عرباً فقط ، من العرب فقط . والعرب ملاك وأصحاب وسكان الفردوس وحدهم هم كما يقول ويعترف كل التاريخ وكل أحد وكل شيء مرضي بالنخوة والشهامة والسخاء والحب والإيثار والفروسية . إنهم مرضى بهذا المرض بلا أي أمل في الشفاء . إنهم يرفضون أن يداووا منه وإن كل المداوين عاجزين عن مداواتهم .

.. ولأن العرب مرضى بهذا المرض فقد يأذنون أو لا بدّ أن يأذنوا للمسلمين الذين هم ليسوا عرباً بأن ينزلوا ضيوفاً عليهم في فردوسهم الذي لم يكن ولن يكون إلاّ عربياً . .

وقد يكون إيواء العرب للمسلمين من غير العرب في فردوسهم مراداً به التعويض أو التكفير أو الاعتذار أو الاستغفار عما فعلوه أي العرب بهذه الشعوب التي أصبحت مسلمة أو محسوبة مسلمة ، عما فعلوه بها من غزو واحتلال واستعباد واسترقاق واستعمار وسلب ونهب وتحقير وإذلال لها ولتاريخها وأمجادها وأديانها وآلهتها وأنبيائها ولروايتها وقراءتها لنفسها ولآبائها وتاريخها بل ولأوطانها وقومياتها وقبورها وأيضاً عما

فعلوه بها من خداع وإفساد وتضليل وتعويض وتأخير وتعجيز عقلي ونفسي وحضاري بل وإنساني.!. وهل فعلوا بهم ذلك حقاً؟

نعم، قد يكون هذا هو التفسير النبيل الجميل لإيواء العرب غير العرب في فردوسهم الأسطوري الخرافي. إنه التفسير الذي تمناه والذي يجب أن يكون. . ولكن هل من أخلاق العرب أو من منطقهم أن يعوضوا أو يكفروا أو يعتذروا أو يستغفروا عن ذنوبهم وأخطائهم وخطاياهم أو يحاولوا ذلك أو أن يعرفوه أو يعترفوا به أم أنهم أي العرب أبداً، أبداً يذهبون يمنون على الآخرين وعلى التاريخ بما فعلوه وأوقعوه بهم وبه أي بالآخرين وبالتاريخ من مأس وهوان وتدمير وتشويه؟ إن من أخلاق العرب الأصلية أنهم لو أطفأوا كل الشموس والشموع وشربوا كل الأنهار وأغرقوا أو أحرقوا كل الحقول لذهبوا يمنون على العالم بما فعلوا ووهبوا.!

. . ألم يذهبوا وهم لا يزالون وسوف يظلون يفخرون ويمنون على الآخرين بكل الإعجاب والرضا عن النفس لأنهم قد حولوهم إلى رعايا وأتباع وعبيد وموال، وحولوا أوطانهم إلى إقطاعيات وولايات وخراج وغنائم للغزاة، ولأنهم نفوهم من تاريخهم ولغاتهم وأزيائهم وأديانهم ومعابدهم ومعاهدهم ومدارسهم ومدنهم وحقولهم ومصانعهم ليلقوا بهم إلى الصحراء. . إلى أخلاق الصحراء وإلى آلهتها وأديانها وأزيائها ولغاتها وقحطها وظمئها وأميتها وفوضاها وإلى معابدها وكعبتها وإلى كل تاريخها. .

. . لأنهم نفوهم من آلهتهم ونبواتهم وتعاليمهم البريئة المتواضعة المتسامحة الفنانة الشاعرة المحبة الإنسانية الصديقة المبتسمة الضاحكة المصافحة المازحة. . ليحولوهم إلى طعام وعبيد لأكثر وأشمل الألوهيات والنبوات والأديان والتعاليم قسوة وتعصباً وحقدًا وغضباً وشراسة وكآبة وعبوساً وعدوانية وأنانية وكبراً وقهراً وإذلالاً لكل معاني الحياة وقيمها وتفاسيرها في الإنسان وغير الإنسان. . لأنهم نقلوهم من آلهة الفن والمرح والخيال والجمال إلى إله الغضب والعقاب والجحيم والزبانية؟

. . يا كل الآلهة والألوهيات والأنبياء والنبوات، يا كل الأوثان والأصنام والخرافات والهيكل والمعابد، يا كل مذابح وكعبات الصلوات والقرابين، في كل التاريخ والشعوب والأوطان، نعتذر ونستغفر ونتوب إليك لو حاولنا أو فكّرنا أو قبلنا أن نقيم أية مقارنة أو منافسة أو حتى مواجهة بين حبك وجمالك وتسامحك وتواضعك وحنانك وإنسانيتك وشاعريتك وبين قسوة وغلظة وبدانة وتعصب وكبرياء وبغضاء وجفاء وحقد وجاهلية وصحراوية ووقاحة وبذاءة إله العرب أو نبهم أو دينهم أو

كعبتهم أو كتابهم المقدس أو حكامهم أو زعمائهم أو قادتهم أو مفكريهم أو فنانيهم أو شعرائهم . . حتى شعراؤهم وفنانوهم لن يكونوا فناً أو شعراً. إن الشعر والفن لن يكونا إلا حباً وجمالاً ورؤية وبسالة وصدقاً. وهل يستطيع شعراء العرب وفنانوهم أن يكونوا شيئاً من ذلك؟

هل يمكن أن يكون مداحو الخلفاء والسلاطين والعبيد فناً أو شعراً؟

نعم، ومهما كان التفسير في هذه القضية، قضية إيواء العرب للمسلمين من غير العرب في فردوسهم .

- نعم، سواء أكان التفسير لذلك هو التفسير الذي نريده ونتمناه أم التفسير الذي نخجل منه ونتعذب ونقاسي من عار تصويره فإن القضية ستظل هي القضية بكل تفاسيرها ونتائجها .

أي أن هذا الافتراض يعني أن سكان الفردوس، سكان فردوسك يا إلهي سيكونون جميعاً بلا منافس أو معارض أو رافض أو مستنكر أو مقاض من العرب وحدهم، وفي قول آخر ومن ضيوفهم المسلمين أو المزعومين مسلمين أي الذين تحولوا إلى رعايا وأتباع وغللمان ومحظيات للعرب لا يرون أو يقرأون أو يفهمون أو يفسرون أو يخاطبون الله أو الكون أو أنفسهم أو التاريخ أو أي شيء إلا بعيون وعقول ولغات ونصوص وحروف وأصوات العرب الأمية .

وإلا بمعلقات العرب وبسورهم وآياتهم وأحاديثهم عن أنبيائهم وشعرائهم وحكمائهم وفقهائهم الذين غطوا وشوهوا كل وجه التاريخ وضميره وأخلاقه وثيابه وجلده بل وسرره بما بصقوا واستفرغوا عليه من كذبهم وهوانهم ونفاقهم وبلاداتهم ووقاحاتهم وجاهلياتهم ومن كل أحوالهم .

. . الذين بصقوا واستفرغوا وظلوا ولا يزالون يبصقون ويستفرغون على كل جسد التاريخ وثيابه وأخلاقه حتى أصبحت رؤيته أي رؤية التاريخ والتحديق فيه وقراءته ومخاطبته ومحاسبته أقصى وأقصى أساليب التعذيب والترويع، بل حتى أصبحت رؤيته أي رؤية التاريخ وقراءته والتحديق فيه صعبة جداً أو مستحيلة لضخامة وكثافة ما تجمع وتراكم فوقه من استفرغهم وبصاقهم ومن كل فنون أحوالهم !

. . هل تستطيع رؤية الشمس أو النجوم لو ألقي فيها أو عليها كل ما بصقه واستفرغه كل أنبياء العرب وشعرائهم وحكمائهم وفقهائهم وخلفائهم بل وآلهتهم من

كذب ونفاق وهوان وغباء وسفه ووقاحات وأوحوال في كل تاريخهم، أو هل يستطيع أن يتسلل أي قدر أو شيء من ضوئها مخترقاً كثافات وتراكمات هذا البصاق والاستفراغ عليها وفيها؟

هل تستطيع أو تطاق رؤية أي شيء لو أن كل هذا البصاق والاستفراغ العربيين قد ألقى فيه أو فوقه؟

هل يمكن أن تظن البحار أو الأنهار بحاراً أو أنهاراً لو أن كل هذا البصاق والاستفراغ العربيين صب فيها؟ هل تقبل حينئذ أن تظل بحاراً أو أنهاراً؟

هل يمكن أن تقبل الحقول أو تستطيع أن تظل حقولاً لو أن شيئاً من هذا البصاق أو الاستفراغ العربي تقاطر عليها أو مر فوقها مهدداً بالتقاطر عليها أو حتى بالاقتراب منها؟

كل الرثاء والعزاء لعيني الإله وأذنيه التي استقبلت واستفرغ وبصق فيها كل هذا البصاق والاستفراغ العربيين في كل العصور . . كل الإشفاق على الإله إن كانت له عيان أو أذنان أو إن كان قد قبل أن تكون له عيان أو أذنان أو إن كان قد بقي له أو فيه شيء من عينيه أو أذنيه، أو إن كانت عيناه أو أذناه قد ظللتا عينيْن أو أذنين ليبصق ويستفرغ فيهما وعليهما كل هذا البصاق والاستفراغ اللذين بصقهما واستفرغهما كل أنبياء العروبة وشعرائها وفقهائها وخلفائها وآلهتها . . !

هل يمكن حينئذ تصور وعاء لاستقبال واختزان كل الدمامات والوقاحات والسفاهات والبلادات والأوحوال مثل عيني الإله وأذنيه؟ إذن هل يوجد أو وجد محتاج إلى أن يصاب بالصمم والعمى الشاملين الأبديين مثل الإله، بل إلى أن يوجد أو يولد مصاباً بهذا العمى والصمم الشاملين الأبديين؟ أليست أنبل وأرحم العاهات عاهتي الصمم والعمى حين يصاب بهما الإله؟

. . كيف تقبل المؤمنون بالإله المحترمون له المريدون له كل النظافة والبراءة والسعادة والفرح والمجد . . المريدون حمايته من كل ألم وهوان ودمامة وكآبة ووقاحة .
- نعم، كيف قبلوا أن يعتقدوه أو حتى يتصوروه يرى أو يسمع أو يقبل أن يرى أو يسمع؟ كيف لم يروا ما في هذا التعذيب والتحقير والتهوين والالتهام ومن الإحراج والإيذاء والتعير له؟

هل يوجد اتهام أقسى أو أغبى أو أنذل أو أظلم من هذا الاتهام، أي من اتهام الإله بأنه يرى أو يسمع، أو أنه قد يستطيع أن يرى أو يسمع أو أنه يريد أو يتقبل ذلك أو أنه

قد يصبح كذلك أو أنه قد كان كذلك في فترة من فترات وجوده؟

هل يوجد ما يتفوق في قبحه على اتهام الإله بأنه يرى أو يسمع أو بأنه قد يقبل أو يستطيع أن يصبح يرى أو يسمع إلاّ اتهامه بالوجود أي إلاّ اتهامه بأنه موجود أو بأنه كان موجوداً أو أنه قد يصبح موجوداً أو بأنه قد يقبل أن يكون موجوداً ليواجه ويعايش أو يوجد أو يشارك في إيجاد كل هذه الآلام والأخطاء والتشوهات؟

هل يوجد أو وجد اتهام نذل وقح غبي مهين قبيح ظالم مثل اتهام الإله بأنه موجود أو كان موجوداً أو قد يصبح موجوداً حتى ولو لم يكن لوجوده من عواقب مؤلمة ومهينة وفاجعة إلاّ رؤيته وسماعه ومواجهته لهذا البصق والاستفراغ العربيين في عينيه وأذنيه وعلى وجهه وثيابه وأخلاقه وكبريائه؟ والفظيح في هذه القضية أن العرب هم أقرب الكائنات إلى الإله، إلى عينيه وأذنيه وإلى كل أحاسيسه وحواسه. إذن سيكون استفراغهم عليه أكثر إيلاًماً.

. . هل يقبل أي كائن مهما كان قبحه وطغيانه وعدوانه وسفاهته ونذالته وتحمله للعذاب والعار والقبح والهوان والإذلال أن يكون موجوداً أو أن يتهم بأنه موجود مثل وجود الإله بكل صيغ وتفاسير وظروف ومسؤوليات وأخلاقيات ودمامات وتفاهات وآثام وآلام ومشاكل وعواقب وحرمان وفوضى وعبت وتناقض وجوده أو بأنه يرى ويسمع مثلما يرى الإله ويسمع، وكل ما يرى ويسمع بكل الصمم والعمى والغفلة والتبльд والعجز والعذاب والقبح والغليظ البليد وتحت كل الظروف والمسؤوليات والمواجهات التي يرى ويسمع بها وتحتها الإله، أو أن يكون موظفاً مثل وظيفة الإله مؤدياً ملتزماً منفذاً لوظيفته بالأساليب أو الذكاء أو المنطق أو الأخلاق أو الأحاسيس والاهتمامات الوظيفية التي يؤدي ويلتزم وينفذ بها الإله وظيفته أو وظائفه؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد موظف أو فاعل مهين وفاضح لوظيفته وفعله مثل الإله؟

نعم، هل يقبل أي كائن أن يكون شيئاً من هذا أو أن يتهم بأي شيء منه؟
إذن كيف وجد من يرون الإله موجوداً كل هذا الوجود زاعمين أنهم بذلك يحترمونه ويرضونه؟

ها. لقد ثبت صدق الافتراض القائل بأن فردوسك المزعوم يا إلهي لن يدخله إلاّ العرب ومن أصبحوا لهم موالى ورعايا لأنهم قد أصبحوا مسلمين، أي مسلمين للعرب

الذين أعطوهم أو لقنوهم أو فرضوا عليهم الإله والنبي والكتاب والدين والعقل والإيمان العربي بالرؤى والتفسير والنماذج والأخلاق والتصورات العربية . . الذين صنعوا وأبدعوا لهم الجحيم والفردوس بكل أوصافهما وأهوالهما بكل غلمان وجواري هذا وبكل زبانية هذا، وشقوا وخططوا وحددوا وعرفوا لهم الطريق أو الطرق إليهما، واحتكروا صناعة وامتلاك واختزان وتوزيع مفاتيحهما، وجعلوا آيات قرآنهم وأحجار قبر نبيهم وعمامات خلفائهم ومنابر فقهاءهم وأغبيائهم حراساً وشهوداً عليهما وعلى أبوابهما وحملة لمفاتيحهما . .

هل يوجد من يخالف في أن العرب هم وحدهم الذين خلقوا وصاغوا الجحيم والفردوس بكل أوصافهما وما فيهما، وأنهم هم وحدهم الذين يأذنون بدخول هذا أو هذا أي الفردوس أو الجحيم بل هم وحدهم الذين يفرضون دخول هذا أو هذا، بل هم الذين يدخلون في هذا أو هذا، وأنهم هم وحدهم الذين شقوا وحددوا وعلموا الطريق أو الطرق إليهما، وأنهم هم وحدهم الذين يصنعون ويمتلكون ويختزنون ويحملون ويقسمون ويهبون مفاتيحهما، وأنهم هم وحدهم الحراس عليهما؟

هل يوجد من يخالف إلا أن يكون زنديقاً في أن آيات قرآن العرب وأحجار قبر نبي العرب وعمائم خلفاء وسلاطين العرب ومنابر فقهاء ودراويش العرب هي التي تصنع وتملك وتحترق وتقسم وتهب وتعلم وتفعل وكل ذلك؟

إذن لن يوجد من يخالف أو حتى يشك في أن العرب هم كل ذلك أي إلا أن يكون زنديقاً سوف يضعه العرب في أعماق جحيمهم حتى ولو كان هو الذي قاد الرجال الذين طاردوا الإله وسابقوه وغزوه وتحذوه وأذلوه وبحشوا عنه فوق عرشه وقمره وسماواته ولكنه عجز عن المواجهة ورهبها فاختفى مذعوراً مفجوعاً حتى ليخشى أن مستشاريه وأعدائه وزبانيته وجميع العاملين معه لا يعرفون الآن أين مكانه، مكان اختفائه وهربه، وأنهم الآن يواجهون ويقاسون أقسى وأعجب مشكلة أو قضية وهي فرار الإله واختفاؤه ذعراً عن المواجهة . .

ألسنت قد فعلت ذلك يا إلهي؟ لا تحاول أن تنكر . جرب أن تكون صريحاً أو صادقاً أو شجاعاً أو ذكياً ولو أحياناً يا إلهي . !

. . إن الفردوس والجحيم أي بكل أوصافهما المروية ليسا إلا صناعة عربية . !

إذن لتركع وتذل كل العبقريات والقدرات العالمية والكونية للقدرات والعبقریات العربية!

نعم، لقد صدق الافتراض بأن العرب هم وحدهم ملاك الفردوس ومعهم تكراً منهم رعاياهم وعبيدهم ومواليهم المحسوبون مسلمين. لأن العرب هم وحدهم المالكون للإله كله. . لكل حبه ورضاه وأشواقه وأحلامه ولكل اهتماماته وهمومه وطموحه. !

لهذا لقد جعل أي الإله مراسلته ومخاطبته للعرب نهاية لمخاطبته ومراسلته للأرض وأهلها حين أعلن أن دين العرب ونبوتهم نهاية لكل الأديان والنبوات وإبطالاً لكل الأديان والنبوات، أي نهاية لعلاقات الإله بالأرض ومن عليها أي نهاية لصوت الإله ونشاطه وتحركاته بل لوجوده فوق هذه الأرض. !

. . إله هذا الكون يجعل علاقته بالعرب معلماً ومراسلاً ومخاطباً ومحباً ومادحاً ممجداً نهاية وخاتمة لكل علاقاته بالأرض ومن عليها. !

إذن لتخجل كل الأمجاد وترهب أن تواجه مجدداً واحداً من أمجاد العروبة. لقد وقف الإله فوق كل مسمع الكون بكل التواضع والاستحياء بل والكبرياء، وقف عارياً متوتراً مفتضحاً فوق كل المنابر والمحاريب والكلمات ليقول: إنه لا دين ولا نبوة بعد دين العرب ونبوتهم وغير دين العرب ونبوتهم، وليقول بكل لغات السماء ولغات الأرض: إني لن أتصل بالأرض وأهلها محباً أو عاشقاً أو مفاوضاً أو معاملاً أو معلماً بعد اتصالي بالعرب. !

. . ليقول: لقد استفرغت كل حبي للعرب فلم يبق منه شيء لكي أحب به أحداً أو شيئاً في هذه الأرض أو غيرها. . لقد سحب حبي للعرب كل طاقات الحب في. . ! أنا الإله أنا الإله. لقد أصبحت مفرغاً من كل تفاسير وتعبيرات الحب. إني موحد في حبي. . أنا الإله، أنا الإله. هل يوجد مقهور في حبه وضال مفتضح في حبه مثلي؟

. . . نعم لقد توقف الإله عن الحب والشوق بعد أن استفرغ كل حبه وشوقه في العرب وعليهم ولهم. ! لهذا لقد أعلن أنه لن يتكلم مع أحد أو يفكر في أحد بعد العرب. !

هل يمكن تصور مجنون في حبه وشوقه ومحاباته مثل الإله في حبه وشوقه ومحاباته للعرب؟ هل يوجد عاشق يستحق كل الرثاء والإشفاق لقسوة تعذيب عشقه له مثل الإله في عشقه للعرب. . في عشقه الذي جاءت إحدى صيغ التعبير عنه إعلانه أنه لن يخاطب أو يرسل قوماً أو أحداً بعد أن خاطب وراسل العرب. .

لن يبعث نبياً أو ينزل ديناً أو ملاكاً أو حتى يتكلم بعد أن فعل كل ذلك للعرب؟

آه . . لقد أصابت مزايا العرب الإله البدوي بجنون الحب ، كما أصاب نبط العرب العالم المتحضر بجنون وهوان النفاق والاستسلام والمهانة . . !

إذن أي مجد مثل مجد العرب ، أو أي تشويه أو عدوان مثل عدوان العرب على الإله وعلى كل العالم المتحضر ومثل تشويههم للإله وللعالم المتحضر؟ أرجو يا إلهي أن تكون مستمعاً لما أقول . إني أخاطبك وأحاكمك بما أخاطب وأحاكم به كل من سواك . . كن يا إلهي ذكياً ولو بعض الذكاء . !

آه . . إننا هنا لا بد أن نفزع وأن نهاب التحديق في تصور نتائج هذا الافتراض . ! ما أقسى وأصعب التحديق في أي شيء وفي نتائج أي شيء . ! . هل نستطيع أن نتقبل أي شيء أو أن نرى أو نجد فيه أي جمال أو حب أو فرح أو سعادة أو منطق أو مجد لو حدقنا فيه؟

. . إنه لن يستطيع أي شيء أن يعايش أي شيء لو حدق فيه تحديق محاسبة أو محاكمة أو رؤية أو تساؤل أو تقبل ورفض أو تفسير . .

. . إن الإنسان لن يستطيع أن يعايش الإله لو حدق فيه هذا التحديق ، وإن الإله لن يستطيع أن يعايش الكون أو الإنسان أو حتى نفسه لو حدق هذا التحديق . !

إن كل شيء يرفض التحديق في نفسه وفي ما حوله لكي يستطيع أن يعايش نفسه ويعايش ما حوله . ! هل وجد من يصدق وصفه بأنه كائن محقق؟

. . ليدعر ويفجع كل شيء طيب وجميل ونبيـل . . لتتوقف كل القلوب عن الخفقان ، وكل الضمائر عن الابتسام ، وكل العيون عن التحديق ، وكل الآمال عن التفاؤل .

. . لتتنازل الآلهة عن كبريائها وعن فرحها بأمجادها . . لتسقط من فوق عروشها . . لتنطفئ الشمس . . وتجف الأنهار . . وتجذب الحقول والمروج . .

. . لتساقط النجوم ، وتدك الجبال ، ويتوقف الكون عن الدوران . عن مسيرته العابثة الحزينة . عن طاعته لإلهه الضال الضائع العابث . !

. . ليرفض التاريخ نفسه . ليرفض أن يكون مقروءاً أو مروياً أو مكتوباً أو قارئاً أو كاتباً أو راوياً لنفسه . . بل ليرفض أن يكون موجوداً . هل توجد قراءة فاجعة ومؤلمة ومهينة مثل قراءة التاريخ لنفسه أي لو قرأ نفسه؟ وهل يستطيع التاريخ أن يقرأ نفسه مهما قرأ وقرأها؟

. . لتعجز الأيدي عن الإمساك بالأقلام، لترفض الأقلام أن تمسك بها الأيدي، ليرفض الحبر أن يتقاطر من الأقلام، ولترفض الأوراق أن تخط أو تتحرك عليها الأقلام. ليرفض كل شيء أن يكون شيئاً. . كيف قبل أو استطاع أي شيء أن يكون شيئاً؟

كيف كان الشيء الذي كانه؟ من فرض عليه أن يكونه؟ من فرض على أي شيء أن يكون الشيء الذي كانه أو أن يكون أي شيء آخر؟ كيف لم يوجد من يسأل مهما فقد من يعرف أو يجيب؟ إن السؤال لا يساوي الجواب أو معرفة الجواب. إن السؤال يساوي: هل وجد الإنسان بتفاسير الإنسان؟

. . من فرض على الصرصار أن يكون صرصاراً وعلى الإنسان أن يكون إنساناً وعلى العبقري أن يكون عبقرياً وعلى التافه أو الساذج أو الأبله أن يكون ذلك. وبأي منطق حدث ذلك، بل وضد كل منطق كيف حدث ذلك، بل وبلا أي منطق كيف حدث؟

. . من فرض على الإله أن يكون إلهاً؟ هل كان من فرض على الإله أن يكون إلهاً يريد تكريمه وإسعاده أم تحقيره وتعذيبه وإذلاله وإحراجه وتوريطه بل وإغراقه؟ وكيف اختار له صيغته التي جاء بها دون غيرها؟

كيف يمكن اختيار النموذج الأول أو الصيغة الأولى؟ كيف تمكن الرؤية بلا مرئي؟ . . هل يقبل الإله أن يكون إلهاً لو كان مختاراً ولم يفرض عليه ذلك فرضاً؟ هل يوجد فرض أقسى وأقبح وأوقح وأظلم من الفرض على الإله بأن يكون إلهاً؟ هل يوجد مظلوم معذب محقر مورط مثل الإله أو ظالم صانع للتحقير والتوريط مثل من فرض على الإله أن يكون إلهاً؟

هل عرف العالم من فرض على الإله أن يكون إلهاً؟ هل سأل العالم عن ذلك؟ هل عرف الإله من فرض عليه ذلك؟ هل عاقبه أو حاسبه على ما فعل به؟ بأي منطق أو تخطيط أو مصلحة أو عدل أو تفسير فرض على الإله أن يكون إلهاً وعلى الصرصار والذباب أن يكونا ذباباً وصرصاراً وعلى الإنسان والجمال أن يكونا جملاً وإنساناً وعلى كل شيء أن يكون في الذات وفي الصيغة التي جاء بها؟

. . من قرر ذلك ونفذه، وبأي منطق أو قانون أو حساب قرره ونفذه؟ كيف حدث هذا التوزيع؟ كيف حدث؟ هل يمكن أن يكون حدوثه معقولاً أو عادلاً أو منطقيّاً؟

أليس ممكناً أن يتغير ويتبدل هذا التوزيع ثم يصبح المنطق والعقل والعدل هو المنطق والعقل والعدل؟

. . أو أن الكائن الذي أصبح إلهاً أو إنساناً أصبح صرصاراً. والكائن الذي أصبح صرصاراً أو فرض عليه أن يكون كذلك أصبح إلهاً أو إنساناً؟ فهل يمكن أن يكون في ذلك أي خروج أو عدوان على المنطق أو العدل أو الرحمة إلا بقدر ما في الواقع من هذا الخروج والعدوان على ذلك؟

. . أو أن كل ما في الآلهة والكون والأشياء والبشر من عقول وذكاء ورؤية تجمع في عقل واحد ثم طرح عليه هذا السؤال: لماذا جاء الإله إلهاً والإنسان إنساناً والحيوان حيواناً والحشرة حشرة ولم يجرى العكس أو أية صيغ أخرى لما استطاع أن يفكر أو يؤمل أن يجد جواباً بل لما جرؤ على هذا التفكير أو التأمل في أن يجد أي جواب! .

. . لتتصور أن حشرة أو حيواناً، ولتتصور أنهما الذباب أو الجمل، سألت أو سأل مريد ومخطط وخالق الأشياء والأكوان: بأي منطق أو ذكاء أو مصلحة أو هدف أو حاجة أو جمال أو حب أو رحمة أو عبقرية أو ضرورة أخلاقية أو فنية أو عملية أو اقتصادية أو حتى نفسية خلقتني في الذات والصيغة التي خلقتني بها وخلقت الكائنات الأخرى في الصيغ والذوات التي خلقتها فيها وبها. . !

. . لماذا لم تفعل العكس أو تصنع صيغاً وذوات أخرى. إنني أسألك أنا الذباب، أنا الجمل: كيف حدث هذا الذي حدث وحدث كما حدث. . كيف يثير تساؤلي وحيرتي ورفضي أنا الذباب، أنا الجمل ما لا يفعل لك أنت شيئاً من ذلك؟ هل في من مواهب الجمال والتساؤل والرؤية والرفض والحب ما ليس فيك يا مريد ومدبر ومخطط وفاعل هذا الكون بل الفاعل بهذا الكون؟

. . هل رأيته ووجدته قبل أن أوجد ورأيت ووجدت كل شيء وكل أحد قبل أن يوجد، ورأيت وأمنت واقتنعت بأن كل شيء وكل أحد لا يعقل ولا يقبل ولا يغفر ولا يستطيع أن يكون إلا في الذات والصيغة والكينوية التي كان وجاء بها. . !؟

هل ذلك كذلك؟ إنني أسألك بل أحاسبك وأحاكمك وأحاول تصحيحك وتعقيبك يا من افترضته مريد ومخطط ومدبر وفاعل كل شيء وكل أحد ومختاراً لكل شيء وكل أحد ذاته وصيغته وكينوته. . مختاراً له بمنطق وتدبير وتخطيط وفهم وصدق وحب وإيمان! .

نعم لتتصور ذلك . لقد تصورناه، تصورناه، إذن كيف تصورنا أو كيف يمكن أن نتصور حينئذ المسؤول المحاسب المحاكم عن كل ذلك؟

هل يحتمل حينئذ أن يفكر في أن يدافع عن نفسه أو أن يبحث عن أية أجوبة يواجه بها هذه المحاكمات والمحاسبات والأسئلة؟

إنه لن يحاول أن يفعل شيئاً من ذلك إلا أن يكون إلهاً أو نبياً أو زعيماً أو حاكماً أو مفكراً عربياً لا بد أن يدافع ويسوغ ويصنع الجواب حتى ولو كان في ذلك كل العار والافتضاح والوقاحة والبلادة . إن العربي لا يدافع أو يسوغ أو يؤمن أو يمجد لأنه يرى أو يعرف أو يقتنع أو يحترم أو حتى يحب بل لأنه يريد أن يفعل ويرى أن عليه أن يفعل ذلك ولأنه وجد الآخرين ومن قبله يفعلون ذلك .

إنه لا يرى أن الرؤية أو المعرفة أو الصدق شرط في أن يدافع ويسوغ ويؤمن ويمجد . !

نعم، إنه لن يوجد من ينافس خالق هذا الكون في وقاحته وبلادته حين يدافع عما فعل أو حين يفسر ويسوغ ما فعل ويجد كل الأجوبة عن كل الأسئلة الموجهة إليه وإلى ما فعل أي لو وجدت هذه الأسئلة . !

نعم إنه لن يوجد من ينافس مدبر وخالق هذا الكون بل من يتفوق عليه في كل ذلك إلا الزعامات والنبوات والقيادات والعبقريات العربية حين تجد كل الأجوبة والمسوغات والتفاسير الحاسمة النهائية لكل أخطائها وجهالاتها وبلاداتها وفضائحها . !

. . أيتها الآلهة المدبرة المخططة المخرجة الصانعة لكل هذا الجنون والعبث والبلادة والأخطاء والعار والقبح، لا تحزني، لا تفجعي . فإن في كل الزعامات والقيادات والنبوات والعبقريات العربية كل التعويض والعزاء والدفاع والستر لك وعنك وعليك محاسبة مقاربة بها . ولا بد من الاعتراف بأن في هذه المقارنة مبالغة كبيرة في محاباتك يا إلهي . !

إن مقارنة أي كائن بك لظلم فادح لذلك الكائن . !

. . أليس دفاع الزعامات والقيادات والنبوات والعبقريات العربية عن مواجهاتها لإسرائيل دفاعاً وعزاءً وسترأً جيداً عليك وعنك ولك يا إلهي حين تذهب بكل الغرور والسذاجة والغفلة تدافع عن كونك هذا وعن كل ما فيه بل حين تذهب تبعد وتؤلف وتكتب وتنشد السور والآيات الشعرية البدوية المصوتة بكل الطبول والدفوف تسويغاً بل تمجيداً لكل نزواتك وأخطائك وورطائك وتهويماتك وتشوهاتك وتشويهاتك وآلامك

وأحزانك وعقدك وضياعك ومتاعبك الباصقة المستفرغة لهذا الكون الذي لن تستطيع أو تقبل رؤيته أية عين لم تستفرغ فيها كل الحشرات كل قبحها وأحوالها وهوانها، بل الذي لن تستطيع أو تقبل رؤيته أو مواجهته أية عين لم يبصق ويستفرغ عليها وفيها كل الأنبياء والمعلمين كل غباثهم وعماهم ودما ماتهم وتشوهاتهم وتشويهاهم. نعم، هل الكون تخطيط أم استفراغ؟ هل يقبل أي كائن أن يكون الكون تخطيطه مهما قبل أن يكون استفراغه؟ أيها المؤمن: قل لقد بصق الإله الكون ولا تقل خططه.

.. أليس الأنبياء والمعلمون أفسى وأفطع تشويهاً وتشوهاً من كل الحشرات؟

هل تستطيع جميع الحشرات أن تحمل أو تستفرغ القبح أو الدما مات التي يحملها أو يستفرغها أو يحياها نبي أو معلم واحد؟

إننا هنا لن نفترض هذا النبي أو المعلم الواحد عربياً. فكيف إذا افترضناه عربياً؟ هل تستطيع أو تقبل جميع الحشرات أن تبصق أو تستفرغ القبح أو البذاءة أو القسوة أو العدوانية التي استفرغتها وبصقتها نفس نبي واحد حينما ذهبت واستطاعت تصور الجحيم، جحيم الأنبياء والأديان وحين ذهبت تتصوره واستطاعت أن تتصوره بل وأن ترضاه وتباهي به وتعلنه عذاباً وجزاء عادلاً كريماً؟

.. نفس تلد هذا الجحيم الموصوف في السور والآيات أو ينبت فيها، تلده وينبت فيها تصوراً وتديناً وتمنياً وحباً بل وتسويغاً وتشريعاً وتمجيداً لمن سوف يعاقب به ويخلد في عذابه فرحاً سعيداً ممجداً لرحمته وحيه وعدله وشهامته بكل المباهاة والزهو.

- نعم، نفس تفعل ذلك أو تستجيب لذلك ولمن يصوغها كذلك هل يستطيع أو يجرؤ كل ما في الكون وكل ما ليس في الكون من قبح ووحشية أن ينافس قبحها ووحشتها؟

نفس أو ذات أو أخلاق أو تمنيات أو تصورات يتخلق فيها الجحيم..

الجحيم الذي روته وقرأته وفسرته وغنته وصلت به وله الآيات والسور هل يمكن أن يتخلق فيها أي في هذه النفس أي جمال أو حب أو رحمة أو تقوى أو إنسانية؟ كيف استطاع كل ما في الكون من دما مة ووحشية وخبث وعدوان أن يصوغ هذه النفس التي صاغت وولدت هذا الجحيم؟

... كيف لم يقرأ أو يفسر البشر نفوس وضمائر أنبيائهم ومعلميهم الذين تخلق في نفوسهم وضمائرهم كل هذا القبح والوحشية والعدوانية؟

أعني كيف لم يقرأوا أو يفسروا نفس وضمير النبي الواحد الخاتم لكل الأنبياء.

.. نفس وضمير النبي الواحد الذي تخلق فيه هذا الجحيم محولاً له أي لهذا الجحيم إلى أخلاق ورحمة وعدل وجمال وحب وأعظم إله؟

.. كيف أصيب البشر أو حتى بعض من يسمون بشراً بكل هذا العمى والضلال حتى لقد آمنوا وأعلنوا أن النفس التي استفرغت هذا الجحيم هي نفس إنسان بل نبي وصفوه بأنه سيد وخاتم أنبياء الرحمة والحب والجمال؟

أي شعب هذا الشعب الذي وُلد واستفرغ وأعطى هذا الإنسان أي هذا النبي؟ ولكن لماذا كل هذه التهاويل..؟

إن هذه التهاويل ليست إلا شيئاً من التعبير الذي لا بد أن يصنعه التصور للعواقب الرهيبة لهذا الافتراض أي افترض أن العرب هم ومواليهم ورعاياهم بالدين والإيمان والنبوة سوف يكونون ملاك وسكان الفردوس وحدهم.!

.. هل يمكن تصور شيء يصنع كل الهول والذعر مثل مكان تتجمع فيه كل العروبة بكل قياداتها وزعاماتها ونبواتها.. الثورية والتقدمية والجمهورية.. والرجعية والملكية والسلطانية.. بكل أحقادها وعداواتها وبغضائها ومنافساتها ومخاصماتها وملاعنتها.. بكل رعاياها جماهيرها المطيعة المستسلمة الهاتفة العاشقة لكل السياط المتناقضة المتعادية المتعاقبة عليها.. الضاربة لها كل الأيدي المتناقضة المتعادية عليها المقسمة لها، المقسمة عليها أي السياط المنسوجة من خلال ظهورها.. في كل تاريخها أي تاريخ العروبة.

- نعم، تتجمع فيه بلا أية حراسة أو حماية أو ضبط أو إرهاب أو أوامر أو تحديد من خارجها، وبلا أية حدود موضوعة لها مفروضة عليها، تتجمع فيه كل هذه العروبة بكل صيغها وتفسيرها وأخلاقها وأبطالها وصناعاتها، في كل مناخاتها وتاريخها وظروفها؟

.. اسمعوا.. العروبة كلها بكل تفسيرها وانتماءاتها وشعاراتها وقياداتها وأوطانها وأديانها تتجمع في مكان واحد بلا أية قوى أو دول أو كتل خارجية حضارية تفرض عليها شيئاً من العقل أو التعقل أو التعاقل أو الاعتقال أو شيئاً من التستر أو الستر أو الاستتار أو شيئاً من الصمت عن التعري وعن إعلان العورات والعار وعن الانتحار تحاسداً وتباغضاً وتنافساً وتعادياً وتشاتماً وتفاخراً وتبارزاً واقتتالاً وجنوناً وفضحاً وافتضاحاً وتفاضحاً..!

.. هل تطيق يا إلهي أن تعامل أو تعيش أو تعاصر مثل هذا المكان أو تحديق فيه أو حتى تتصوره أو تتصور أنه جزء من كونك أو أنه موجود فيه؟ أليس محتوماً أن ينهالك

ويزجرك عن ذلك رهبتك واستحيائك واشمئزازك من بشاعة وجهالة . . لقد كانت القوى والدول والكتل الكبرى المتفوقة كل معاني التفوق أي في الحياة الأولى تحرس وتحمي العروبة من نفسها .

. . كانت تحصنها أي تلقحها ضد أخلاقها وعداواتها وحماقاتها وبداءاتها وجهالاتها وتاريخها وضد كل احتمالاتها البائسة الرديئة التدميرية العدوانية حتى بدت أي العروبة وكان من الممكن أن يصبح أبنائها عقلاء ومتحضرين بل أن يصبحوا دولاً وشعوباً مهذبة تتعايش بالحب والسلام والذكاء !

. . أما الآن في هذا المكان أي في الفردوس فقد أصبحت العروبة وحدها مع نفسها بلا حامٍ أو حارسٍ أو مانعٍ أو تلقيحٍ ضد النفس . !

إذن أيتها الأحوال الشريرة القبيحة البليدة . . تألقي، تألقي فإن كل المجد والمستقبل لك . افرحي أيتها العداوات والوقاحات والبغضاء وكل الشرور لأن حظوظك في الفردوس عظيمة، عظيمة . !

. . تذكر يا إلهي تاريخك وقرأ مؤلفاتك ومذكراتك إن كانت لك مذكرات . إن النسيان مهما أمكن أن يكون مغفوراً أو شيئاً ليس قاتلاً فإن نسيان الإله لن يكون كذلك . !

. . لقد قلت ذات مرة يائساً وصانعاً اليأس من احتمال أن تشفى قلوب العرب أو أخلاقهم من أدوائها، مخاطباً بيأسك هذا من ختمت به أنبياءك وأغلقت بمجيئه كل أبواب رحمتك وسماواتك وأخرست بصوته كل أصوات نبواتك ورسالاتك وبلاغاتك ومحاوراتك . واستحييت أو رهبت أو عجزت أن تكلم أحداً بعد أن كلمته، أو خفت أن يموت أو يمرض أو يغضب عليك غيرة وأنانية أو خاطبت أحداً بعد أن خاطبته، أو بالغت بلا وقار أو كرامة أو اتزان في محاباتك ورعايتك لأنانيته وغيرته فقررت أن تموت صمتاً لئلا تخاطب أحداً بعد مخاطبتك له، أو من ألهمته غيرته وأنانيته أن يقول إنك قد قلت له : إنه لا دين ولا نبوة ولا نبي ولا رسالة منك إلى الأرض أو إلى أحد بعده . فأعلنت تصديقك لما قال أي لما كذبه عليك حياة أو رثاء أو ضعفاً أو تأدباً أو خوفاً أو تملقاً أو حيرة أو عجزاً عن أي تصرفٍ آخر ملائم، أو فرحاً بما كذبه عليك لأنك سئمت وتعبت وتعذبت طويلاً طويلاً من هذه القضية أي من إرسال الأنبياء وإنزال الأديان والتعاليم والكتب المقدسة ومخاطبة الأرض وأهلها بلا أي ثمن أو مجد أو فرح أو جمال أو تقوى أو أي شيء جيد مأخوذ أو منتظر، فأردت أن تستريح من هذا العبث

الأليم السخيف البليد المرهق الفاضح لك يا إلهي . يا إلهي الذي لم يوجد ولن يوجد مرهق متعب خاسر بوجوده ومن وجوده وبكل ما يريد ويدبر ويخطط ويفعل وخاسر من كل ذلك مثله .

- نعم، يا إلهي لقد قلت ذات مرة مخاطباً هذا الإنسان أو النبي الذي سحب منك هو وقومه كل كبريائك وكرامتك وحريتك واستقلالك وذكائك وعدلك ونظافتك بل وشجاعتك ورؤيتك وشهامتك .

- قلت له : «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم» . . . هكذا قلت عن العرب مجرباً مقتنعاً صادقاً معلناً ما تراه الحقيقة ولكنك قلت بعد هذا : «ولكن الله ألفت بينهم» !

. . . إن القولة الأولى هي الواقع الرديء المؤلم . أما القولة الثانية فهي دعاية أو خطابة أو تأمل أو تخفيف . إنه أسلوب زعامة أو قيادة أو نبوة عربية . !
إنها أصالة عربية أن يقول الزعيم والنبي والإله العربي ما لا يعني أو يريد أو يفهم . !

. . . إنك يا إلهي تخاطب وتكلم بأساليب ولغات وأخلاق القادة والزعماء والأنبياء والحكام العرب . هل تنكر أو ترفض ذلك أو تخاف أو تشمئز منه؟
فالعربي الكبير المسؤول قد يقول أو لا بد أن يقول اضطراراً أو خداعاً : إن كل ما نرى ونجد ونواجه ونعيش ونفعل ونخطط ، أو أن كل ما كان وكل ما هو كائن رديء وأليم ومذنب وضعيف وبليد بل وخائن ، ولكننا سنعالج ونصلح كل شيء بل لقد عالجتنا وأصلحنا كل شيء ، بل لقد حولنا كل شيء إلى أعلى نماذج الجمال والعظمة والقوة والحب والذكاء والإبداع . . . !

. . . لقد قال الصدق الذي لا يستطيع تكذيبه أو إخفاؤه قاله اضطراراً أو قاله لكي يقول الكذب الذي يرجو تصديقه أو يرجو أن ينتظر الموعودون المخاطبون صدقه أو أن يشغلوا بانتظار صدقه عن التفكير في الواقع الأليم المرئي . . .

إن هذا هو أسلوبك وخلقك يا إلهي المعلم للعرب أو المتعلم منهم حينما قلت : «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم» .

. . . إن الكذب والباطل قد يروج لهما وينصران ويستقويان بقول الصدق والحق ، كما أن الغباء والسفاهة بل والجريمة قد تؤكد وتفرض وتنشر بالذكاء والعقل والحكمة بل لا بد أن يكون ذلك كذلك ولو أحياناً . !

أليس الذكاء أقدر على نشر الغباء وتوكيده من الغباء؟

.. إن الذين يقولون الصدق والحقيقة ليكونوا كاذبين ومعادين محاربين للحقيقة أكثر وأشهر من الذين يقولون الصدق والحقيقة ليكونوا صادقين ومحترمين ملتزمين للحقيقة أو لأنهم صادقون يريدون للحقيقة محترمون لها مؤمنون بها ساعون إليها. إن الذي يقول الصدق أو يقول أنه صادق لأنه كاذب أكثر من الذي يقول الصدق أو يقول إنه صادق لأنه صادق. !

.. أليس الذي يهبنا الشمس زاعماً أنه يريد بما وهبنا أن نرى أنفسنا ونرى الحقيقة وكل الأشياء كما هي بل وأن نراه هو أي من وهبنا كما هو كاذباً مثل كذب أو أكثر وأوقح من كذب من وهبنا الليل زاعماً أنه وهبنا إياه لكي نراه ونرى أنفسنا نرى كل شيء رؤية صادقة رائية أو لكي لا نرى شيئاً لئلا نجن أو نموت أو نمرض انفجاعاً وروعاً واشمئزازاً وعذاباً مما نرى أو مما يحتمل أن نرى؟ نعم، أليس الذي يقول الصدق وهو كاذب أو لأنه كاذب أكثر من الذي يقول الكذب وهو كاذب أو لأنه كاذب؟ أليس الصادق أحياناً أكثر وأندل كذباً من الكاذب؟

.. ولكن يا إلهي كيف جاء أسلوبك في التعبير عن هذه القضية كما جاء؟

كيف جاء هكذا:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم».

هل تريد بهذا التعبير أن تقول: إن قلوب العرب لا يستطيع أي شيء أن يؤلف بينها وأنها لن تبرأ أو تتطهر أو تغتسل من أدرانها وأحقادها وعداواتها وخبثها مهما تلاقت وتعانقت وتتصافحت وتغازلت أجسادهم وشفاههم وعيونهم وأيديهم وكلماتهم وبياناتهم ومؤتمراتهم؟

هل تريد أن تقول إن أيدي العرب وشفاههم وعيونهم وكلماتهم وبياناتهم وتصريحاتهم ومؤتمراتهم تتعانق وتتصافح وتتضاحك بل وترقع حباً وشوقاً وحناناً بل وتبكي، ولكن قلوبهم وأخلاقهم ونياتهم وضمائرهم وأعمالهم لا تريد ولا تستطيع أن تفعل شيئاً من ذلك بل لا تستطيع أن تحيا أو تسعد أو تشفى إلا بقبض ذلك؟

هل هذا هو ما أردت؟ عجيب، عجيب جداً، أن يكون ذلك كذلك!

.. هل أنت يا إلهي ذكي وفنان في تعبيراتك إلى هذا المدى البعيد؟

لم أكن أظن أو أتصور ذلك أو أنتظره منك، بل لم أكن أجروء على شيء من ذلك.

هل ذكاؤك هذا غلطة أم خبطة؟ هل يمكن أن يكون أصالة أو طاقة؟

إن الذكاء قد يكون غلطة يغلطها الأغبياء . نعم ، قد يكون كذلك فهل هو هنا كذلك؟ أنا حائر ، حائر جداً في فهم وتفسير ذلك .!

.. إني خائف يا إلهي ، خائف جداً من أن أكون مغفلاً بلا شبيه لو اتهمتكم بالذكاء أو بالصدق أو بالرؤية أو بالدقة في التعبير عما تريد قوله .! . ولكنني هنا أكاد أقع في هذا التغفيل بل أتعمد الوقوع فيه بل يفرض عليّ الوقوع فيه .! . كيف ذلك؟ نعم . . لقد جاء تعبيرك في هذه القضية هكذا :

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» .

لماذا قلت : «ولكن الله ألف بينهم» ولم تقل : «ولكن الله ألف بين قلوبهم»؟

هل جاء تعبيرك هذا خطأ أم تدبيراً؟ أتمنى أن يكون تدبيراً ولكن كم هو صعب أن أعتقد ذلك بعد أن رأيتك وقرأتك وفسرتك وجربتك وحدثت فيك يا إلهي . .

إن حبي وأخلاقي وتمنياتي وأشواقي وضروراتي واحتياجاتي وكل إنسانياتي بل وهمجياتي تطالبني وتفرض عليّ أن أراك وأفهمك كما أريد وأتمنى وكما يجب أن أراك وأفهمك ولكن كل شيء أجده وأراه وأواجهه وأفهمه وأحاكمه وأحاسبه فيك وفيما أردت ودبرت وخططت وفعلت يصدمني ويفجعني ويلعنني ويسخر مني لو رأيتك أو فهمتك كما أريد وأتمنى وكما يجب عليك وعليّ .!

إني لو رأيت كل القادة والزعماء والحُكام والأنبياء العرب هم كل الجمال والذكاء والصدق والعبقرية والبسالة والطهارة أو أحداً منهم كذلك أو شيئاً من ذلك لكانت رؤيتي هذه أقل عمى وكذباً وغباء من أن أرى فيك يا إلهي شيئاً معقولاً أو شيئاً ليس فاجعاً فاضحاً محزناً فاقئاً لكل العيون الرائية .!

.. أأست يا إلهي . أي لو افترضناك تعرف الفرق بين تعبير وتعبير أي لو افترضناك ذكياً أو فناناً أو حتى وسطاً في الذكاء والرؤية والفن البلاغي واللغوي ، أي لو افترضناك شيئاً يقرأ ويفسر وينقد ويفهم ويقوم .

- نعم ، أأست إذا افترضناك شيئاً من ذلك تعني أن العرب مهما تلاقت أجسامهم ومؤتمراتهم وخطبهم وبياناتهم المشتركة فإن قلوبهم لن تتلاقى؟

أأست بهذا التعبير تعني أن البعد بين قلب أي قائد أو زعيم أو حاكم أو نبي عربي وبين قلب أي قائد أو زعيم أو حاكم أو نبي عربي آخر هو أبعد من أي بعد في هذا

الكون، من أي بعد بين أية وحدة من وحدات هذا الكون وأية وحدة أخرى أي وكل
الوحدات الأخرى؟

هل تستطيع كل المسافات الكونية أن تتصور أو تنافس المسافات الفاصلة بين قلوب
الزعامات والقيادات العربية؟

. . لو أمكن الاقتناع بأنك بتعبيرك هذا تعني هذا لوجب الاقتناع بأنك يا إلهي على
مستوى مقبول أو معقول أو حتى محتمل من الذكاء والرؤية وصدق النبوة. !
لقد طرحت هذه القضية هكذا:

«ألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله
ألف بينهم».

في أول الكلمات قلت إن الله قد ألف بين قلوبهم، وفي الثانية قلت إن الكون كله
لا يستطيع أن يؤلف بين قلوبهم، وقلت في الثالثة: ولكن الله ألف بينهم، ولم تقل ألف
بين قلوبهم. ولو كنت تعني في الكلمة الثالثة أنك قد ألفت بين قلوبهم لا بين
أشخاصهم فقط في المؤتمرات والبيانات والخطب لكان ذلك تكراراً ضعيفاً للكلمة
الأولى. إذن لا بد أن تكون الكلمة الثالثة تصحيحاً للكلمة الأولى وتراجعاً عنها
وتصريحاً بالحقيقة الدائمة عن الزعامات والقيادات والنبوات العربية التي لا يستطيع شيء
حتى ولا أنت يا إلهي إخفاءها أو تغييرها. . !

إذن فأنت تعني أنه لن يستطيع ولن يحدث التأليف بين قلوب الزعماء والقادة
والحكام والأنبياء العرب مهما ألفت بينهم الخطب والبيانات والمؤتمرات أي ظاهراً. .

فظيع، فظيع هو التأليف بين ذوات من لا يستطيع التأليف بين قلوبهم ونفوسهم
وضمائرهم ونياتهم وأفكارهم. إنه تحريض وتأجيج للسوء. !

. . إنها نبوءة لا تستطيع جميع قوانين الأشياء وتبدلاتها وتناقضاتها أن تكذبها أو
تضعف الاقتناع بها. ولكنك يا إلهي لا تستحق التهئة عليها أو الفرح بها. وهل يستحق
أي إله التهئة بأي شيء أو يجوز له أن يفرح بأي شيء أو حتى يمدح أو يشكر على أي
شيء؟

إنها نبوءة لا تحتاج إلى نبي أو متنبئ. إنها رؤية لشيء لا تستطيع العيون العمياء ألا
تراه، وقراءة لحروف لا يستطيع الأميون أن يقرؤوها. !

إنها لن تكون مخطئة أو كاذبة أية عين ترى الإنسان العربي أو تقرؤه قراءة أو رؤية

أليمة أو فاجعة حينما أعلنت يا إلهي أن القلوب والنفوس العربية لن تتطهر أو تصفو كان العرب قبائل أو شبه قبائل لن يتعب أو يرهب عد أحادهم ذلك الذي قاسى وناضل وتعذب خياله لكي يستطيع أن يتصور أن هذا الكون كله يستطيع أن يبلغ أو يؤلف الرقم أو العدة الذي يقال له: مئة ألف، والذي قال وكأنه يتخطى ويتحدى ويرهق ويخجل كل الكون بعبقريته خياله:

«فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون» . . !

. . «مئة ألف أو يزيدون» . . «أو يزيدون». لتذعر أيها الخيال، لتذعر!

. . نعم، حينما أعلنت ذلك يا إلهي لم يكن تعداد العرب يرهب أو يتعب خيال أو تصور ذلك النبي الذي أرهب وأتعب وعذب خياله لكي يتصور أنه يوجد في الكون أو في الخيال رقم أو عدد يساوي ما يسمى مئة ألف، مئة ألف، فقال مدعوراً مندهشاً خائفاً مستحيماً من أن يصدق خياله:

«فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون» . . !

. . كم أشعر بالرتاء لهذا النبي وبالإشفاق عليه حين تجرأ على أن ينطق بكلمة:

«مئة ألف» وبكلمة: «أو يزيدون» . . أو يزيدون!

لقد كان يقاسي من الذعر والاندحاش وضخامة المخاطرة والعبقرية أكثر من مقاساة مريد ومدبر ومخطط وفاعل ومخرج كل هذا الكون والمتقبل أو المحكوم عليه أن يكون المسؤول كل المسؤول عن كل ما فيه أي في هذا الكون، وأن يكون المحاكم المتهم المعاقب المفسر بكل ما فيه!

آه. مظلوم ومتهم ومكذوب عليك بلا مثيل يا من اتهمت بأنك المريد المدبر المخطط الفاعل المخرج لهذا الكون المسؤول عن كل ما فيه المحاكم المعاقب المفسر بكل ذراته وحشرات خلاياه وبكل أناته وآهاته وصرخاته وأخلاقه ودموعه وبداياته ونهاياته!

. . ولكن فاعل هذا الكون بتدبير أو حتى باستفراغ هل يمكن التصور أنه يملك أو يعاني أو يفهم أي قدر أو معنى أو نموذج من المقاساة العقلية أو النفسية أو الأخلاقية أو العلمية أو الفنية؟ إن المقاساة المعنوية نوع من النقد والرؤية. وهل يمكن أن يكون فاعل هذا الكون مصاباً بشيء من هذه المقاساة؟

إن أي كائن مهما كان صعوده أو هبوطه، ضخامته أو ضآلته، تقواه أو فسوقه، نظافته أو تلوثه، ذكاؤه أو غباؤه، شرفه أو نذالته لن يقبل أن يكون فاعل هذا الكون، لا

إرادةً وتديباً وتخطيطاً ولا استفراغاً أو إفرازاً ذاتياً اضطرارياً كإفراز الأعضاء والغدد والخلايا لوقاحاتها وبداءاتها وأحوالها. ! . كائن تفرز أو تستفرغ أو تبصق أحشاؤه وأعضاؤه أو غدده وفمه أو عاهاته كل هذا الوجود وما فيه هل يمكن تصور قبحه؟

. . إن أقبح المستفرغين الباصقين المتقيئين المفرزين لن يقبل أن يكون هذا الكون بكل صيغه ونماذجه وتفاسيره وبدائياته ونهاياته. . بكل إنسانه وحيوانه وحشراته. . بكل أممه وشعوبه وأوطانه وأديانه ومذاهبه وانتماءاته وحروبته وعداواته وزعاماته وقياداته وآلهته وأنبيائه بكل حوافزه وأهدافه وغاياته وأناته وصرخاته ومسراته وأحزانه. . بكل قبوره ونعوشه وشجونه ومستشفياته وشيوخه ومرضاه. .

- نعم، إنه لن يقبل أن يكون هذا الكون بكل ذلك شيئاً من بصاقه أو قيئه أو استفراغه أو إفرازه الذاتي الاضطراري فكيف يقبل أن يكون أي هذا الكون من تدبيره أو تخطيطه أو إرادته أو فعله أو حتى من ممتلكاته أو رعاياه أو مواجهاته؟

حتى القيء والبصاق والإفراز الذاتي الآلي يجب أن يكون مستوى وأسلوباً وأن يكون محكوماً بشيء من الشروط. !

. . إن أي كائن لو أعطى أو ملك قدرة مطلقة ثم طلب منه أو فرض عليه أو أراد أن يصنع كوناً أو وجوداً مطلقاً أو ضخماً ضخامة هذا الكون لحماه عقله أو حبه أو تهذيبه أو رحمته أو شهامته أو تقواه أو فنه أو شاعريته أو وقاره، أو لحماه كل ذلك من أن يصنع الكون أو الوجود الذي قرر أن يصنعه مثل هذا الكون أو هذا الوجود مهما كان جنونه أي جنون هذا الكائن وبلهه وجهله وحماقته ووحشيته وبدائته ونذالته. !

. . إن أية حشرة، صرصار أو ذباب أو فأرة أو بعوضة أو نملة لو أنها ملكت قدرة مطلقة وأرادت أن تصنع شيئاً أو وجوداً أو كوناً لمنعتها عبقريتها وتقواها ورحمتها وشهامتها وشاعريتها وحباها وحياؤها وكبرياؤها وذكاؤها من أن تصنعه كما صنع هذا الكون الإله المفترى عليه. !

. . إني أطالب كل من لا يصدق هذا أو يشك فيه أن يحاسب ويسائل ويحاول نفسه وخياله:

هل يقبل أن يريد أو يخطط أو يصوغ أو يصنع أي شيء يستطيع أن يريده ويخططه ويصنعه ويصوغه، لكي يجيء كما جاء هذا الكون أو هذا الوجود أي إذا كان قادراً أن يجعله يجيء شيئاً آخر. !

إن أي إنسان بسيط جداً ليموت أو يحترق خجلاً وفراراً من العار والهوان والسخف

والشعور بالذنب والنقص والافتضاح والندالة والوحشية والدمامة لو أنه صاغ أي شيء يستطيع ويريد صياغته بالمنطق والأسلوب اللذين صاغ بهما هذا الكون صائغه .!

إذن فكيف لو صاغه بهذا الأسلوب والمنطق وهو يستطيع أن يصوغه بأسلوب ومنطق آخرين أذكى وأتقى وأقوى وأنبّل وأجمل وأرحم وهو يستطيع ذلك بقدر ما يستطيع الإله أن يصوغ ما يشاء كما يشاء؟ إن الاعتقاد بأن الإله لا يستطيع أن يصوغ الكون أفضل وأذكى مما صاغه لأقل تأثيماً وهجاءً وتعبيراً له من الاعتقاد بأنه يستطيع ذلك . ولكنه لم يرد .!

.. ليفكر من يرفضون هذا الذي أقول أو ينكرونه .. ليفكروا: لماذا يحزنون ويغضبون ويخافون ويفجعون ويستنكرون ويلعنون ويقاومون ويغيرون ويتمنون ويدعون ويصلون ويبكون ويشكون ويثنون ويصرخون ويتهمون بل ويعادون ويخاصمون ويحاربون ويموتون .. ليفكروا ليجدوا أن كل هذا ليس إلا رفضاً وهجاءً وسباً لهذا الكون ولصانعه لأن سب المصنوع سب لصانعه أليس كل هذا وكل شيء تصديقاً وشهادة لهذا الذي أقول ولكن بلغة أخرى، بلغة أقوى وأصدق من كل اللغات؟

هل يمكن أن تبكي أو تحزن أو تشكو أو تئن أو تتأوه أو حتى تؤمن وتصلّي لو لم ترفض وتهج وتلعن وتتهم وتحقر صانع هذا الكون؟

أليست كل دمعة تذرفها أية عين هي سباباً وهجاءً واتهاماً لصانع هذا الكون؟

.. أرجو أن يفكر في هذا كل من لا يصدقون أو يقرأون أو يفهمون أو يقبلون هذا الذي أقول .! كيف أمكن أن يوجد من لا يفهم إن رفض المصنوع المخلوق ولعنه واحتقاره وعيبه واتهامه هو رفض ولعن واحتقار وعيب واتهام لمن أراده ودبره وخططه وخلقه ورضيه؟

كيف وجد من يرضى الإله ويعجب به رضاءً وإعجاباً مطلقين ثم لا يرضى كل شيء ويعجب بكل شيء رضاءً وإعجاباً مطلقين؟

.. نعم، يا إلهي هكذا كان تعداد العرب حينما أعلنت واعترفت للكون والحياة والتاريخ ولنفسك أيضاً بصراحة وبسالة لم يعرف مثلهما منك قط أن أي شيء وأي أحد وأن كل شيء وكل أحد لن يستطيع أن يؤلف بين قلوبهم أي قلوب العرب أو بين نفوسهم أو أخلاقهم أو أحقادهم مهما أزعجوا وشغلوا وملأوا وضايقوا وشوهوا وفجعوا وصدّموا الدنيا بمؤتمراتهم واستغفاراتهم وتطهراتهم من كل أحقادهم وخصوماتهم وعداوتهم وتحدياتهم ومبارزاتهم الدائمة الضاحجة المثيرة لغضب وغيط واشمئزاز ورثاء

وحيرة وتساؤلات كل العالم بل والمعجزة له عن أن يفهم أو يصدق والحاكمة عليه بالحاجة إلى العلاج والوقاية .!

.. نعم، حينما أعلنت ذلك كان تعداد العرب هكذا فقط أو أقل يا إلهي البدوي الأمي الذي لم يجهل معنى الأرقام ومنطقها وتفسيرها وحساباتها وتبعاتها وأخلاقها والتزاماتها وهمومها ومشاكلها مثله ..

يا إلهي الذي لم يخطئ أحد في ذلك أو يتعذب ويعذب ويتورط ويورط ويفتضح ويفضح ويعاقب ويعاقب فيه أحد مثله ..! إن كل المتعاملين مع الأرقام يرون لها حساباً ونظاماً وأخلاقاً وتفسير ونتائج والتزامات إلا أنت يا إلهي .

.. وأيضاً حينما أعلنت ذلك واعترفت به كانوا أي العرب يعيشون محاصرين منحصرين محصورين في جزيرتهم المهجورة، في صحرائهم الهاجرة، في تاريخهم الهاجر المهجور الناسي المنسي الأمي في كل ملابسه ونماذجه وصيغته وحدوده وتفسيره ..

الأمي في إيمانه وصلواته وفي كل تقواه وعبادته وفي ألوهياته ونبواته، بل الأمي في قراءاته وكتاباته . حتى قراءاته وكتاباته لن تكون إلا أمية، أمية ..!

إن أردأ الأميات وأبشعها وأخلدها هي أمية القارئ الكاتب . ما أعظم أمي الأمية محاسباً بأمي القراءة والكتابة .!

.. كانوا أي العرب حينما أعلنت ذلك يتناجون ويتخاطبون ويتشاكون ويتباكون ويتزاوون ويتصافحون ويتعانقون ويتلاقون بكل التواضع والبساطة والثقة والاطمئنان مع ألهمهم أي أصنامهم المادية الأرضية الطبيعية الإنسانية المرئية المرادة المدبرة المخططة المحكومة المخلوقة .. الموهوبة المعروفة البداية والنهاية .. أي الصديقة المسالمة الضعيفة البريئة النظيفة من البغض والحقد والمخاصمة والمنافسة من امتلاك الجحيم والوعيد بعذابه . ومن امتلاك، الفردوس الهمجي الخرافي ومن الوعد بالتخليد في نعيمه ..!

إن أنبل وأذكى الأديان والمعتقدات هي التي يكون فيها الإله ضعيفاً والمؤمن بها قوياً ..

.. لم يكونوا أي العرب حينئذ قد أخرجوا أو خرجوا من جزيرتهم أو صحرائهم أو تاريخهم أو أميتهم البسيطة المتواضعة بل الطيبة أحياناً إلى الكون، إلى العالم ليتلقوا

ويتعلموا منه كل ألوان الانتماءات والتجمعات والتحزبات العالمية بل الكونية شرقية وغربية ووسطية . . اشتراكية وثورية وتقدمية وحضارية علمانية ودينية سماوية .

. . بكل انشقاقاتهما ومبارزاتهما وتحدياتهما وملاعناتها وعداواتها وتهديداتها ومفاخراتها وحروبها .

. . ليتلقوا أي العرب ذلك ويتعلموه ويتدربوا عليه ويؤمنوا به بل وليزعموه ويعلموه كل القيم الثورية والتقدمية والحضارية بل والدينية والأخلاقية والإسلامية .

. . ليفعلوا كل ذلك بمواهبهم الممتازة المتفوقة في عنف وشمول وديمومة كرهها وحقدتها وعداوتها وخصامها واتهامها وبذاءتها وسبابها . !

أليس العرب يحولون كل ما يتلقون ويلقنون من مزايا إلى نقائص وفضائح . .

. . هل يوجد من يتفوق على العرب أو يساويهم في تلقي وتعلم ذلك بكل التفوق والحماس والصدق أي تلقي وتعلم البغضاء والحقد والعداوة والخصام والاتهام والسباب البذيء ولا سيما الزعماء والقادة والحكام والمعلمين والأنبياء . ولا سيما من زعموا ثواراً وتقدميين واشتراكيين منهم أي من العرب ؟

إن العرب يملكون أضخم وأقوى الأجهزة النفسية والأخلاقية بل واللغوية لاستقبال والتقاط واختزان البغضاء والأحقاد والعداوات والبذاءات والاستفراغها وإطلاقها على كل شيء وكل أحد جيد وعظيم بل وغير جيد وغير عظيم أحياناً بعد أن يكشفوها ويضخموها ويوقحوها . !

. . أجل، يا إلهي لقد رأيت العرب هذه الرؤية وأعلنتها بكل هذا الصدق والجرأة والبسالة والصراحة التي كان من الصعب أو المستحيل أن ينتظر منك أو يروى عنك مثلها . !

. . رأيتهم هذه الرؤية وأعلنتها بكل هذا الحزم والقوة والتقوى والنزاهة وكبرياء الأعصاب، بلغة لن تكون عربية ولن تكون كذلك لغة إله عربي أي لصدقها وشجاعتها . !

. . إننا لن نجرؤ على أن نتهم أي متحدث باللغة العربية بأي قدر من شجاعة التعبير أو صدقه حتى ولو كان المتحدث بها هو الإله . !

. . إنه لم يوجد ولن يوجد جهاز للتعبير عن الجبن والكذب مثل اللغة، مثل اللغة العربية، وأحياناً مثل كل اللغات أو أكثر اللغات . !

إن جميع الأنهار لا تستطيع أن تفيض أو تتدفق مثل فيضان وتدفق اللغة العربية بالكذب والجبن وأيضاً بالغبار والبذاءة !

وقد يكون من الصدق والعدل أن يقال إن اللغة العربية ليست وحدها في ذلك .

.. رأيت العرب يا إلهي هذه الرؤية المعلنة حينما كان تعدادهم كما أسمعك وقرأت عليك ورويت لك ..

هل تستطيع يا إلهي أن تكذبني في شيء مما قلت وقرأت ورويت لك؟ لا أحسبك تجرؤ على ذلك مهما كانت جرأتك غير المحموده أو المقبولة أو المتوقرة أو الشجاعة ..! وأيضاً رأيتهم هذه الرؤية حينما كانوا محاصرين محصورين منحصرين في جزيرتهم، في صحرائهم، في جاهليتهم التي لم يكونوا فيها يرون أو ينتظرون أو يعرفون أو يحاورون أو يعاملون أو يعيشون أو يتصورون أو يقرأون أو يتعلمون أو يواجهون إلاّ عبوس الإله وقحطه وفقره وقسوته وبخله وجوعه وعجزه وهربه الدائم الذي لا عودة ولا رجعة عنه أو منه، أي دون أن يفكروا أو يسألوا: هل يمكن أن يكون أي الإله أفضل أو أتقى أو أذكى أو أقوى مما كان، أو من فرض عليه أن يكون كما كان، أو هل يستطيع أن يكون هذا الشيء الذي لم يكنه، أو لماذا لم يكن ذلك الشيء الأفضل الأتقى الأقوى الأذكى؟ أذلك عجز أو رفض؟

.. آه هل يوجد مثل عبوس الإله أو مثل قحطه وفقره وشحه وقسوته ومجاعته وغيبته وغيبوته؟

إن ضعف وعجز كل الضعفاء والعاجزين بمقدار إلاّ ضعف الإله وعجزه فإنهما مطلقان أي إلاّ ضعفك وعجزك يا إلهي الضعيف العاجز بلا مثيل وأيضاً القادر القوي بلا مثيل إنه لا مثيل لك معتقداً ولا مثيل لك واقعاً !

.. إنه لا أحد واجه وقاسى ورأى وجرب عبوس الإله وشحه وفقره وقسوته وضعفه وعجزه وغيبته وغيبوته وهربه الدائم مثل المؤمن به الراجي المنتظر المصلي له الهاتف المستغيث الذي لم يجد ولن يجد أحداً !

.. إنه لا أحد ينتظر دون أي احتمال لأن يجد مثل المؤمن بهذا الإله المنتظر له !

.. إنه لا أحد مات فيه كل تفاسير الرؤية والمواجهة والمقاساة والتجربة والقراءة والانتظار مثلما ماتت في المؤمنين، في رؤيتهم ومواجهتهم وتجربتهم وقراءاتهم ومقاساتهم وانتظارهم للإله !

إنه لن يوجد رافض للإله هارب يائس منه مثل المؤمن أي لو أنه ملك أي قدر من أخلاق ومنطق ومحاسبة المواجهة والرؤية والتجربة والقراءة والمقاساة والانتظار .
إن هذا هو المفروض والمعقول والمنتظر لأن المجرب المصدوم هو الذي يعرف ويحكم . .

هل يمكن تصور تجربة أخسر وأخيب وأضيع وأقسى من تجربة المؤمن لإلهه؟
. . هل يكون شيئاً سخيلاً أن تقول إنها تتولد أو تتخلق في ذوات المؤمنين بالإله أو في ذوات كل المؤمنين أجهزة أو غدد أو مواد لم تعرف حتى اليوم، تقتل أو تسكت فيهم كل أسلحة وأخلاق الرؤية والمواجهة والتجربة والقراءة والتساؤل والمقاساة والاحتجاج والرفض والفهم؟
هل يمكن أن نجد أي تفسير غير هذا التفسير الذي قد يرى سخيلاً جداً نفسر به المؤمنين؟
انظر وفكر . .

. . أنت وكل آبائك وأجدادك واقفون راكعون باكون صارخون على باب وتحت أقدام كائن ترونه وتزعُمونه كل القوة والجمال والحب والرحمة والنخوة والإحساس والحماس والرؤية والاستماع والحضور والسرعة والكبرياء والاستحياء . . تدعونه وتطالبونه وتنتظرونه وتشكون إليه وتصلون له وتذرفون كل دموع الحب والرجاء والاستسلام تحت تراب قدميه، وتقرأون عليه وفي أذنيه كل آلامكم وهمومكم ومجاعاتكم ومظالمكم ومخاوفكم وآمالكم وتفرشون على كل الطرق وأشواقكم ولهفاتكم كل تفاسير الهوان كل جباهكم ومعانيكم وتفاسيركم وأخلاقكم وأشواقكم ولهفاتكم وكبرياتكم ليحضر أو يظهر أو يستجيب أو يفعل أو حتى يسمع . . دون أن يحضر أو يظهر أو يستجيب أو يفعل أو ينطق ليقول أو ينقذ أو يعزي أو يجامل أو حتى يتعذر أو حتى يبعث رسالة أو رسولا ليقول شيئاً أو ليجامل بشيء أو ليقول لقد سمعت وعلمت وأسفت .

. . ثم تظنون أبدأ تفعلون كل ذلك بكل الحماس والتعصب والصراخ أبدأ، أبدأ، ويظل هو أبدأ، أبدأ لا يفعل أو يرجى أن يفعل شيئاً من ذلك، مما ينتظر ويطلب أن يفعله كله . هل توجد أية علاقة حزينة بليدة خاسرة كهذه العلاقة بينكم وبين إلهكم هذا؟
. . هل يوجد لهذا تفسير معقول أو مقبول أو مغفور أو محتمل غير هذا التفسير الذي قد يرى يحسب سخيلاً؟

.. آه. أيها المؤمنون بهذا الإله. إنكم خارجون على كل الحسابات المعقولة وغير المعقولة حتى الحسابات غير المعقولة أنتم خارجون عليها.!

.. إنكم أيها المؤمنون بهذا الإله لمفسدون ومحقرون ومخترقون وكذّبون لكل حسابات العقل والأخلاق والمنطق والكرامة بل والطبيعة.!

.. هل أجد من يعذرني أو يفسرني بلا خطأ أو عدوان؟ إني هنا محكوم عليّ بأن أكرر بالكلمات انفجاعي وحيرتي وعجزتي عن التقبل أو الصمت.

.. كم أتمنى أن يفهم من قد يرفضون مني التكرار أحياناً أسباب وتفسير ومعاني تكراري. إننا نكرر بقدر ما نحيا ونريد ونرى. إن الحياة القوية الفاعلة لن تكون صمتاً، وإن التكرار بمعناه الصحيح ليس إلا رفضاً للصمت أي للموت!

هل يوجد أو كيف يوجد من يجهلون أو ينكرون تفسير تكرار الرؤية والحب والشوق والحنين والأمل والمطالبة وتفسير تكرار التعبير عن ذلك؟ إن الآلام والانفجاع يتكرران إذن كيف لا يتكرر التعبير عنهما؟

.. إن التكرار هنا أو أحياناً ليس تكراراً لفظياً أو لغوياً ولكنه حالة فيضان وجيشان فكري ونفسي وأخلاقي لا يستطيع وقفه أو تخفيفه أو تنظيمه أو حتى التفاهم معه، يتحول إلى كلمات.!

إنه أنات وآهات. وهل يستطيع منع تكرار الأنات والآهات أو يرفض؟

.. إنه احتراق وحريق لا يستطيع إطفائه أو تبريده. . احتراق وحريق لا تستطيع جميع أجهزة الإطفاء إطفاءه.!

أليس تكرار الانفعال والانفجاع محتوماً ومطلوباً؟ إذن أليس تكرار التعبير عن ذلك محتوماً ومطلوباً؟

نعم، هل أجد من يعذرني أو يفسرني بلا خطأ أو عدوان حينما اضطر هنا إلى أن أقول مكرراً:

إنه لم يوجد ولن يوجد انتظار أطول أو أقسى أو أغبى أو أضيع أو أخيب من انتظار المؤمنين للإله ليحضر أو ليجيء بأي تفسير أو معنى من تفسير ومعاني المجيء والحضور. . بأي أسلوب أو صيغة أو تعبير من أساليب وصيغ أو تعبيرات أخلاقه أي أخلاق الإله أو صفاته أو أسمائه أو وظائفه أو التزاماته المزعومة أو المنتظرة أو المروية أو المعلمة أو المحلوم والمحتمل بها.!. إنه لن يحدث ولم يحدث أن حضر الإله إلى

منتظره في أي زي من أزيائه، وفي أية حالة أو لهفة من حالاتهم ولهفاتهم!

.. حتماً.. التكرار أحياناً بلادة وغفلة وخمود وضياح، ولكنه أحياناً أخرى شيء آخر، آخر، مناقض، مناقض جداً. هل تكرار الأنات والآهات والصرخات والاحتجاجات والمطالبات أمام الآلام والفظائع والفضائح والخطايا والأخطاء المتكررة الدائمة تكرار! . وهل حدث أو يحدث شيء جميل أو عظيم بدون التكرار له وبه وبدون أن يرفض ويقاوم نقيضه بالتكرار كذلك؟

.. إن الذين لا يكررون انفجاعهم وغضبهم ورفضهم ونقدهم وصيحاتهم أمام القبح والغباء والسقوط والهوان والسخف المتكرر الدائم لن يكونوا إلا موتاً عقلياً ونفسياً وأخلاقياً شاملاً بليداً!

.. هذا الكائن أو الإنسان ولنفترضه كائناً عربياً يواجه ويعايش ويقاسي كل ما في الكون والحياة وكل ما في الإنسان العربي والمجتمعات العربية، كل أوقاته، دون أن يقاسي من الانفجاع والأسى والرفض والغضب الدائم، أو دون أن يعبر بكل وسائل التعبير تعبيراً مكرراً دائماً عن انفجاعه وأساه وغضبه ورفضه ومقاومته النفسية والفكرية والأخلاقية وغيرها ما استطاع.

- نعم، هذا الكائن أو الإنسان الذي افترضناه وافترضناه إنساناً أو كائناً عربياً، هل يمكن أن يكون فيه شيء من معاني الإنسان أو من لغاته؟

وكذلك يا إلهي حينما رأيت العرب هذه الرؤية وأعلنتها كان من أعظم وأشهر وأجمل ما يفعلون أن يتوجهوا إلى أوثانهم الطيبة البريئة، أن يتوجهوا إليها بأسلوب ونيات العطف والحنان والوفاء والمجاملة والتلهي الفنان بل والحب والإشفاق والعزاء، وأن يطوفوا بها ويلمسوها ويصافحوها ويعتذروا إليها، ويقرأوا عليها ولها أحزانهم ومسراتهم وحروبهم ومخاصماتهم وأحياناً أشعارهم، دون أن ينتظروا منها أو ينتظروها أو يحاسبوها أو يعاتبوها إذا لم تفعل أو تنفذ أو حتى تتكلم، أو إذا لم تداوهم من بداواتهم وعداوتهم وقحط صحرائهم وهي لن تفعل شيئاً من ذلك وهم لن يطالبوها أن تفعل.. إن الآلهة في رؤية الفنانين والإنسانيين ليست خالقة أو واهبة بل مخلوقة موهوبة..!

.. كذلك كان حينئذ من أعظم وأشهر وأجمل ما يفعلون أن يذهبوا يصلون ويتعبدون للكعبة بأشعارهم المعلقة على أجنحتها أي أجنحة الكعبة.. يذهبون يقرأونها وينشدونها ويغنونها ويسمعونها، لتكون أي قصائدهم المعلقة على أستار الكعبة وتكون

قراءتها وإنشادها والتغني بها والاستماع إليها بديلاً وتعويضاً عن أن يجدوا أو يفعلوا،
وتكفيراً واعتذاراً عن أن يفقدوا ويعجزوا. كانت صلواتهم وعباداتهم شعراً وإنشاداً لا
تملقاً أو رشوة لإله كالح يرشو بالفردوس ويعاقب بالجحيم. . !

. . نعم، يا إلهي إن أنبل الآلهة وأنقاها وأشرفها وأنظفها وأعظمها براءة وإنسانية
هي الآلهة المخلوقة المنحوتة المزعومة المرئية التي اختيرت وحددت لا التي فرضت. .
التي جاءت من داخل الإنسان وظروفه لا التي جاءت من خارجه أو من فوقه، جاءت
من تفاسيره لا من غيبه وجهله أو من ورائه. !

. . أما أقبح الآلهة وأوقحها وأكثرها نذالة وعدواناً وسخفاً فهي الآلهة الخالقة
الغازية القادمة من فوق ومن وراء الحدود، حدود الحياة وحدود الإنسان. . المريدة
الآمرة الناهية المتحكمة المتجبرة المطلقة القدرة المطالبة لنفسها بأن تكون وحدها
المعبودة المرهوبة الممدوحة المذكورة المهتوف المصلى لها. . المصابة بكل جنون
ونزق الغرور والأنانية والكبرياء البلهاء. . التي فرضت فرضاً عشوائياً جنونياً بلا أي
حساب أو قياس أو تخطيط أو رؤية أو منطق، وبدون أن يحضر أو يرى أو يعلم أو
يوافق أو يستشار أو يرضى أو يستطيع من فرضت عليهم. !

أليست هذه الأوصاف لهذه الآلهة هي بعض أوصاف آلهة الأنبياء؟ أليست آلهة
الأنبياء ستفجر غيظاً وغضباً وذعراً وغيرة إن قرأت أو سمعت هذه الأوصاف لهذه الآلهة
المتصورة والمفسرة خوفاً من أن يكون هناك آلهة أخرى تنافسها أو تشابهها في أوصافها
هذه؟

أليس كذلك يا إلهي الذي كم أتمنى أن يكون مستمعاً لما أقول مرتاحاً إليه موافقاً
عليه مهتماً به مثل اهتمامه بأن يزرع العاهات والتشوهات والدمامات والأمراض والآلام
والأحزان والمهانات والهزائم والمآسي في الوجوه والأجسام والقلوب والضمائر
والأخلاق لكي يستمع إلى الأنات والآهات والتأوهات والصرخات بكل نزق الفرح
والسعادة والإعجاب بالنفس والرضا عنها وعن أخلاقها وعبقرياتها؟ إنه لو أمكن أن تفهم
كل انفعالاتك وأخلاقك يا إلهي لما أمكن أن يفهم فرحك وسعادتك بالاستماع إلى
الأنات والآهات والصرخات.

. . إنه لجمال وفن وملهاة وإبداع أن تصنع إلهك وتصوغه بمواهبك ومقاساتك
وتصوراتك وتمنياتك وتهويماتك، أو أن ذلك لمعقول ومغفور. . إنك بذلك لست إلا
رساماً أو نحّاتاً أو مصوراً بل ومزخرفاً لثيابك وبيتك ومقبرتك وحديقتك.

.. أما أن يصنعك إلهك فإن كل القبح والهوان والطغيان والتشويه والتحقير هو بعض ما يعنيه ويفسره ذلك. !. إله يصنعك كما يريد كما تريد. !. هل يوجد أقبح من هذا؟

.. ما أجمل أو أروع أو أعقل أو أنفع أو أطيب هذا أي إنسان خالق، وإله مخلوق ولكن ما أقبح وأردأ وأجهل وأسخف وأبلد وأظلم هذا أي إنسان مخلوق وإله خالق. !. !. إنسان أو كائن مخلوق في قبضة خالق مطلق القدرة والأخلاق والانفعالات والنزوات. !

هل يمكن تصور مثل هذا قبحاً وهواناً وعدواناً وتشويهاً وتحقيراً؟

.. كانت آلهة العرب في جاهليتهم آلهة مخلوقة منحوتة من حجارة وأخلاق أرضهم ومن خيالهم وتمنياتهم وبساطتهم ومن أشعارهم المعلقة على أكتاف الكعبة. !
.. لهذا كانت آلهة. فنية شعرية إنسانية غنائية، لا غضبية أو عقابية أو تهديدية أو سبائية أو جهنمية. كانت أي آلهة جاهلية العرب إنشاداً وغناء وصداقة ومصافحة، لأسباباً أو وعيداً أو عداوة أو حقداً أو خصاماً وقحاً بذيئاً مثلما يفعل آلهة الأنبياء أو مثلما يفعل إله أنبياء العرب وحدهم. !

كانت أي آلهة العرب في جاهليتهم الشاعرة الفنانة تصوراً وتمنياً وقراءة، لا بغضاً أو حقداً ووعيداً أو جحيماً أو زبانية جحيم كانت سلاماً وأماناً لا حرباً أو رعباً. . كانت أحلاماً طيبة مبتسمة غير مزعجة أو محزنة أو مخيفة أو مؤرقة أو محتاجة إلى تفاسير. . ما أجمل الآلهة الأحلام، وما أقبح الآلهة الواقع. !

.. لقد كانت قصائدهم الجاهلية بعض آلهتهم أي أوثانهم بل لقد كانت أجمل وأذكى وأتقى وأقوى أوثانهم لهذا كرموا ومجدوا وقدسوا وجملوا الكعبة بتعليقها فوق أركانها بل لقد تعبدوا لها بذلك. كانوا أحياناً يرون قصائدهم عابدة للكعبة وأحياناً يرون الكعبة عابدة لقصائدهم. !

كانت آلهة العرب في جاهليتهم آلهة فنية شاعرية إنسانية عاطفية أخلاقية لا تستطيع أن تتعلم أو تتصور أو تقبل أو تمنى أو تتحمل الحقد أو البغض أو التهديد أو الجحيم أو الأنبياء المولودين في الجحيم القادمين من الجحيم حاملين الجحيم ليتحدثوا بلغة وأخلاق الجحيم عن الجحيم، ليصفوا أخلاق الجحيم وأخلاق رب الجحيم وخالفه ومريده. !

إذن ما الذي أصابهم أي العرب لكي ينتقلوا من جاهليتهم هذه إلى إله محمد

والقرآن، أي إلى إله العقاب والغضب والجحيم والزبانية والملائكة الغلاظ الشداد أي في قسوتهم وحقدهم؟

هل كانت مؤامرة دولية عالمية كونية شريرة لنقل العرب من جاهليتهم ووثنياتهم الإنسانية إلى ديانتهم وألوهيتهم الهمجية البدوية الجهنمية؟ كان العرب شعرا فأصبحوا نبوة تخلق الجحيم وتصلي له وتبارك ضخامة عذابه وتتحدث عن جمال ونبل وتقوى عذابه. !

أليس التآمر على العرب هو كل تاريخ التاريخ، وعبقورية العبقورية وبشرية واهتمامات ونضال كل البشرية؟

هل كانت هناك مؤامرة لا مثيل لها فظاعة وخبثاً لتعليم العرب أحقاد وبغضاء وتعصب وقسوة محمد والقرآن! آه. ما أبشع البغضاء والقسوة والتعصب والأحقاد التي جاء محمد والقرآن ليعلمهاها لجميع البشر أو للعرب وحدهم. !. كيف لم يعرف العالم كل العالم ذلك؟ ما ذنب العالم لكي يعلمه ويستفرغ فيه نبي العرب أحقاده وبغضاءه وتعصبه؟

.. ولكن كيف ومن أين جاءهم محمدهم هذا ومن الذي علمه تعاليمه وأخلاقه وأحقاده وبغضاءه وقرآنه؟ كيف وجد من يستطيع أن يعلمه كل ذلك؟

من الذي يعلم المعلمين ما يعلمون؟ إنه سؤال يحتاج إلى جواب لن يوجد..

.. إن نقل العرب من وثنية جاهليتهم الفنية الشعرية الإنسانية الطيبة المتسامحة المبتسمة المحبة الغافرة إلى ألوهية أو وثنية محمد والقرآن الجهنمية العدوانية المتعصبة الفظة المبغضة العابسة المعادية المشاتمة المعيرة للإنسان بما فعلت هي به الإله يعير الإنسان بما فعل به هل يصدق هذا؟

.. الإله يعير الإنسان بما فعل هو به.. هل تصدقون هذا؟

- أجل، إن نقلهم من هذا إلى هذا لهو أكثر إثارة وصنعاً للحريرة من نقل أضخم وأقوى وأخلد قوانين الطبيعة من النقيض إلى النقيض أي نقلها بالكلمة وبالاحتلام والحلم والتمني. !

كيف انتقل مبدعو الشعر الإنساني المبشر بالحب والجمال والفرح والصدقة وقارئوه وحافظوه ومنشدوه وسامعوه إلى مخترعين للقرآن وإلى قارئين ومنشدين ومفسرين وسامعين وحافظين له أي للقرآن، وإلى مستقبلين ومستمطرين لاستفراغ

وبصاق أبي هريرة، ومؤلفين لأضخم الكتب أي أكثرها كلمات وورقاً تمجيداً وتفسيراً
لهما أي لبصاق أبي هريرة واستفراغه، وإلى متعطين ومتداوين بإفرازات وبخر فمه
مستنشقين لذلك بكل السعادة والإيمان والتدين والتقوى؟ هل وجد مجد مثل مجد بصاق
أبي هريرة؟

هل يوجد أو وجد انتقال خارج على كل الاحتمالات والحسابات وصانع لكل
الآلام والأسى والانفجاع مثل هذا الانتقال؟

كيف أمكن أن ينتصر إله محمد والقرآن أي إله الجحيم والزبانية والملائكة الغلاظ
الشداد على آلهة الشعر والفن والغناء والحب والجمال أي على آلهة الإنسان المطلوب
والمنتظر؟

هل يمكن تصور انتصار أليم وحزين وكره مثل هذا الانتصار؟

.. واشوقاه إلى أبي لهب وأبي جهل وأبي سفيان وإلى امرئ القيس وإلى كل
أخوته في الشاعرية والجاهلية أي إن لم نجد بديلاً عن ذلك أو عن هؤلاء إلا أبا هريرة
وأبا ذر وأبا تراب وأبا حنيفة وأبا حامد الغزالي وإلا رواة البصاق والاستفراغ المزعومين
أحاديث نبوية كونية إلهية رواها أبو هريرة عن النبي محمد، ورواها محمد عن غار
حراء، ورواها غار حراء عن الملاك جبريل، ورواها الملاك جبريل عن الإله، ورواها
الإله عن جبريل، عن غار حراء، عن النبي محمد، عن أبي هريرة. ورواها أبو هريرة
عن قبيلته وولادته وأخلاقه وتاريخه وظروفه وثقافته وذكائه وعن رؤيته وتجربته للنبي
محمد...! هل يوجد تحقير يساوي الرواية العربية للتاريخ والحياة وللراوي والمروي
عنه ولكل شيء؟

.. واشوقاه إلى القصائد المكتوبة أو المنقوشة أو المعلقة فوق أحجار الكعبة
محاسبة ومفسرة ومنافسة بالسور والآيات القرآنية، وبلغات وخطابات وبيانات وروايات
وقراءات وتفسيرات وتشريعات وعظات بل وعبقريات ونبوات كل خلفائنا وفقهائنا
وأبنائنا وحمة اللحي والعمائم والمصاحف فينا..!

آه أيتها اللحي والعمائم والمسابع والمصاحف..! ما أفظع ما تحملين إلينا
وتستفرغين علينا..!

إن ما تحتزنه لحية أو عمامة واحدة أو سورة أو آية واحدة من سور وآيات
المصحف الشريف.

- نعم، إن ما تحتويه وتحتزنه من جهالة وبلادة وعداوة ووقاحة ومن بغض

وتعصب ليستطيع لو نفذ أن يغرق أو يغطي أو يشوه كل شيء بالجهل والقبح والبغض والنذالة والعدوان والوقاحات والعداوات.

.. هل توجد تعاسة أو ردة مثل تعاسة وردة من نقلوا من عصر وأخلاق الشعراء إلى عصر وأخلاق الأنبياء والفقهاء والرواة والمفسرين؟

... إلى عصر حملة اللحي والعمائم والمصاحف والمسابح.. إلى عصر المسوغين بل المقدسين المصلين للعايات والتشوهات والوقاحات التي يزرعها الإله في وجوه وأجساد وقلوب وضمائر وأخلاق وعيون وطرق من قال إنه لم يخلقهم إلا لأنه يريد أن يهبهم الجمال والحب والسرور والسعادة والقوة، وإلا لأنه لا يريد أن يرى أو يصنع إلا الحب والجمال والسعادة والسرور والقوة؟ كيف يوجد فيمن يواجهون هذا الكون من لا يرون الإله هو أعظم مجنون في عشقه لأوقع الدمامات والآلام والأحزان والعار والبغضاء والفضائح؟

.. هل تغفر المقارنة أو المماثلة أو المنافسة بين شاعر يغني للحب والجمال والصحة والحرية والسعادة والفرح والقوة ويبشرنا بذلك ويتمناه لنا ويدعونا إليه ويقرؤه علينا ويحرض ضد نقيض ذلك بل ويقاومه.. وبين نبي أو فقيه أو واعظ يهددنا بالجحيم ويحدثنا عن مزايه أي مزايا الجحيم الإلهية والأخلاقية والقانونية والدينية بل والإنسانية.

ويحدثنا عن روعة وضخامة وشمول حكمة الإله ورحمته وعدله وحيه وجماله وشهامته. ويحاول أن يعلمنا ويقنعنا بأنه أي الإله كذلك لأنه يتعمد ويخطط ويدبر ويحب أي الإله مهاجمتنا الدائمة والشاملة بكل ألوان العاهات والتشوهات والأمراض والأحزان والفضائح والقبايح. بل وأن يوقعنا في الضلال والغوايات والفساد، قائداً لنا إلى كل ذلك بكل الوسائل والحيل والأساليب الماكرة الشريرة الخفية والظاهرة. محرصاً بل وموظفاً جميع زبانيته وأبالسته بل وملائكته ليفعلوا بنا ولنا كل ذلك بكل الإتيان والقوة والخبث؟

أليست هذه هي بعض الفروق بين ما يفعله الشاعر وما يفعله النبي والفقيه والواعظ. أي بين وظيفة وأخلاق الشاعر ووظيفة وأخلاق الواعظ والنبي والفقيه؟ ما أسخف وأوقع المقارنة بين الوظيفتين. وظيفة الشاعر ووظيفة النبي.

.. إذن هل يمكن تصور ردة تساوي أو تشبه في ضلالها وقبحها وسقوطها ردة من انتقلوا من عصر الشعراء إلى عصر الأنبياء والوعاظ والفقهاء أي إلى عصر العمائم واللحي.. عصر لعن وتحقير الشعر والذكاء والمنطق والقوة والعلم الإنساني.. عصر

تعليم مزايا وحكمة أن نمرض وننشوه ونجوع ونهون ونتعذب ونضعف ونشيخ ونموت بل ونضل ونكفر ونفسد بل وأن يوظف الشيطان لكي يقودنا إلى ما سوف يعاقبنا عليه ويلعنا ويعيرنا به موظفه ليفعل بنا ولنا ذلك؟ إن موظف الشيطان سوف يعاقبه على قيامه بوظيفته ويعاقب من يستجيب له . إن الأنبياء والفقهاء والوعاظ يعلمون ذلك ويفسرون مزاياه !

... إن الأمم العظيمة قد انتقلت من عصور الشعر والفن إلى عصر الحضارة والعلم والعقل والشعر والفن والفكر والحرية والتسامح !

ومن عصور الألوهيات والنبوات واللاهوتيات إلى عصر الإنسان !

.. أما أمتنا العربية فقد انتقلت أو نقلت من عصر الشعر إلى عصر الوعاظ والفقهاء والأنبياء .. إلى عصر حملة اللحي والعمائم والمصاحف والمسابح والبدواة والجهالة معلمي الحقد والتعصب والبغض والسباب والخصام الديني والأخلاقي والنفسي والثقافي والمنبري الإعلاني ..! إلى عصر صانعي الجحيم ومادحيه ومفسريه وقارئيه !

.. وحتى الشعر العربي لقد انتقل من شعر شعراء إلى شعر فقهاء وأنبياء ووعاظ في جميع تفاسيره وصيغته ومواقفه وتعبيراته الفكرية والثقافية والنفسية والأخلاقية والعدوانية التعصبية بل واللاهوتية واللغوية والانتمائية !

أليس من المحتوم أن يكون الشعر الذي تحول إلى شعر أنبياء وفقهاء ووعاظ وحملة لحي وعمائم هو أردأ وأسخف الكلام، وأن يكون الشعراء الذين تحولوا في رؤاهم وتعاليمهم وأخلاقهم وانتماؤاتهم ولغاتهم بل وفي وعظهم وتدينهم إلى وعاظ وفقهاء وأنبياء هم أردأ وأسخف الناطقين؟

ما أفتح المنظر، منظر يد الشاعر قابضة على المصحف أو على كتاب وعظ أو دين، محدقة فيه عيناه قارئتين مفسرتين مسائلتين متعلمتين، ما أقبح حينئذ يديه وعينه !
والآن يا إلهي كم أرجو وأطالب أن تكون حاضراً وسامعاً مستيقظاً عارفاً أنني بكل ذلك إنما أعنيك وأخاطبك وأحاكمك وأحاول أن أعلمك ! . ما أصعب تعليمك يا إلهي .
إن الآلهة هي أعجز التلاميذ عن أن تتعلم ولكنها أي الآلهة أحوج التلاميذ إلى أن تتعلم !

.. وكما أتمنى ألا تكون قد أصبت نفسك بالصمم أو بالعمى وألا تكون قد انتحرت أو هربت من كل هذا الكون والوجود استحياءً وخوفاً وعاراً وانفجاعاً مما سمعت في محاسنبي ومساءلتي ومحاکمتي لك وفراراً من أن تظل تسمع مني مزيداً مما سمعت !

وإني لأعترف أنني هنا لست رحيماً ولا إنسانياً حينما رجوت وطلبت وتمنيت أن تكون حاضراً سامعاً مستيقظاً وألا تكون قد انتحرت أو هربت أو أصبت نفسك بالصمم وبالعُمى هرباً واستحياءً وانفجاعاً وعاراً من أن تسمع أو تقرأ أو تفهم محاسبتني ومحاكمتي لك. !

إن كل معاني وتفسير الشهامة والرحمة والإشفاق والإنسانية لتطالبني بألا أتمناك حاضراً أو سامعاً مستيقظاً أو مبصراً أو حياً أو حتى موجوداً لئلا تسمع أو تقرأ أو تفهم محاكمتي لك لئلا تناسي كل العار والهوان والافتضاح والهزيمة!

. . إنه لا يمكن تصوّر متوحش وقع نذل عدو لك يا إلهي مثل من يريدك موجوداً سامعاً قارئاً مستيقظاً فاهماً حاضراً هذه المحاكمة ووضعك اليائس الحزين البائس فيها وأمامها بل وضعك الذليل بلا مثال. !

. . إن كل أحبابك العقلاء يا إلهي لو سمعوا أو فهموا شيئاً من محاكمتي هذه لك لصرخوا جميعاً بكل الصدق والرغبة والحماس منادين لك طالبين منك: لتصب بالصمم، بالعمى، بالموت، بالانتحار، بالهرب من كل الكون والوجود يا إلهنا، يا إلهنا الذي لا منقذ له إلا أن يكون غير موجود، إلا ألا يكون قد اتهم اتهاماً سخيلاً بليداً وقحاً عدوانياً بأنه موجود أو بأنه قد كان موجوداً يوماً. . !

أعني لو كان ممكناً أن يوجد في أحبابك عقلاء أو رحماء أو شرفاء أو حتى أذكىاء. . ما أجمل وأفضل وأنبل وأنظف أن تكون يا إلهي غير موجود إذا كان البديل أن تكون يا إلهي موجوداً لتكون متهماً بكل هذا الكون وبكل شيء، ولكي يكون كل هذا الكون وكل ما فيه وكل شيء مستفرغاً ومبصوقاً في عينيك وأذنك وضميرك وقلبك وعقلك ومواجهاتك وأخلاقك، ولكي تصبح مسؤولاً عن كل ذلك ومحاسباً محاكماً مقروءاً مفسراً بكل ذلك. !

آه يا إلهي. إن كل أعدائك هم المؤمنون بوجودك المتحدثون عن وجودك، وإن كل أصدقاك هم الرافضون المنكرو لوجودك. !

أي هم الرافضون لأن يكون كل هذا الكون استفراغك ومستفرغاً عليك وفيك. !

. . حتماً يا إلهي سيكون هذا القول أو الرأي أو الرؤية أو الصدق الأليم القاتل مفاجأة رهيبة وغريبة وعجيبة لك ولكل المؤمنين بك وبوجودك. . الذين كانوا يرون أنهم بإيمانهم هذا يهبونك كل المجد والفرح والسعادة والكبرياء والرضا والقوة والتقوى

الإلهية، ويرون أنهم بهذا الإيمان بك يصبون ويلقون كل العطور ومواد وألوان وعمليات التجميل على ذاتك وثيابك وعرشك . !

لهذا أرجوك يا إلهي الذي أرفض أن يكون موجوداً لأنني أرفض بل لأنني لا أستطيع أن أكون ندلاً ووقحاً وبليداً تحت كل المقاييس .

- نعم، أرجوك يا إلهي هذا أن تفكر في هذا الذي أقول تفكيراً غير إلهي وغير عربي لكي تعلن بكل اللغات والأصوات والديانات والنبوات أنه لم يهتك أو يحترق أو يظلمك أو يلوثك أو يورطك أو يعذبك أو يفضحك إلا من آمنوا بك وبوجودك فوق هذا الكون وفوق كل شيء، وإنه لم يحترمك أو ينظفك أو يبرئك أو يرحك أو يستر عليك إلا من لم يجدوك ولن يجدوك ويرفضون أن يجدوك لأنهم يرفضون أن يتهموك ويحتقروك إلى أن يجعلوك مريد ومدبر وعاشق وفاعل كل هذا القبح والسخف والسفه والعبث والبله والعذاب والضياع المصوب في كل وجود وموجود، وإلى أن يروا كل ما يرون ويعرفون ويقاسون قمة عبقرياتك العقلية والفنية والنفسية والأخلاقية، بل كل عبقرياتك المستطاعة . !

. . إنه لن يوجد أغبى أو أقسى أو أسفه وأوقح عدواناً من إنسان يرى حشرة، نعم، حشرة مشوهة أو جائعة أو ضائعة أو مريضة أو حزينة أو مظلومة أو مطاردة أو خائفة ثم يؤمن ويعلن أن فوق هذا الوجود أو داخل ضميره وقوانينه كائناً واحداً مسؤولاً عنه كله ومريداً ومدبراً مخططاً صانعاً له كله حتى هذه الحشرة الطاردة لكل معاني وتفسير أي إله عن كل هذا الكون ومنه . . المعلنه براءة الكون وبراءة كل شيء من كل إله . إن هذه الحشرة لو نطقت لتفجرت استهزاء بمن يرون أن إلهاً فعل بها أو أراد أو رضي لها ذلك أو رآها كذلك ثم بقي فوق عرشه فرحاً بمجده . !

. . نعم، إنه لن يوجد أو يتصور أي دفاع معقول أو مقبول أو مفهوم عن إله هذا الكون إلا بنفيه أي إلا بتبرئته من أن يكون موجوداً ومن أنه قد كان موجوداً أو أن من الممكن أن يكون موجوداً . !

إن الإله هو الكائن الوحيد الذي لا يمكن تبرئته وبراءته من كل الذنوب إلا بنفيه !

. . إنني أكرر بلا حاجة إلى الاعتذار عن التكرار . . أكرر أنه لا يوجد ولن يوجد محترم للإله ومدافع عنه وحام لضميره وأخلاقه وعينيه من كل القبح والتشوه والندالة والبلادة والعذاب إلا المنكرون لوجوده، كما أنه لا يوجد ولن يوجد معتدون عليه محقرون ومتهمون وشاتمون وهاجون له إلا من قالوا إنهم وجدوه، وجدوه في هذا

الكون وفوقه، مريداً مدبراً مخططاً صانعاً له راضياً به وعنه، واجداً كل مجده وذكائه وعقله ورحمته وفنه وعبقريته بل كل تقواه فيه، في هذا الكون، في كل حشرات وطغاته وعاهاته وتشوّهاته ووقاحاته ونذالاته وبداياته ونهاياته وأمراضه وآلامه ومقابره ومعابده ومستشفياته... نعم، إن الواجدين الرائين لك يا إلهي لا يجدونك أو يرونك في أجمل وأتقى وأنبّل صيغك وأزيائك وصلواتك إلاّ في المقابر والمصححات وفوق المرضى!

.. هل هناك أي احتمال أن إله هذا الكون أو من زعم إله هذا الكون لم ير أو يقرأ أو يفهم كونه هذا، أو أي احتمال أنه رآه وقرأه وفهمه ثم قبل أن يتهم به، بأنه مريده ومدبره ومخططه وفاعله؟ وأي الاحتمالين أكثر سخفاً وقبحاً؟

وهل يوجد في هذه القضية أي احتمال غير هذين الاحتمالين؟

وهل يوجد في هذين الاحتمالين أي مجد أو عزاء أو غفران لمن كان أحدهما أو كليهما أو محكوماً عليه بأحدهما أو بكليهما؟ نعم، فظيع جداً يا إلهي أن تكون قد رأيت وقرأت وفهمت ثم تقبلت وفضّحت جداً ألا تكون رائياً أو قارئاً أو فاهماً.!

.. اسمع يا إلهي. إني أطلبك بل أمرك أن تسمع لأن موقفك منك موقف المحاسب المحاكم لا المصلي العابد..

.. اسمع. هل يحتمل أنك لم ترّ أو تقرأ أو تفهم هذا الكون المزعوم كل مجدك وفنك وحبك وعبقريتك وقدرتك وتقواك وإيمانك وفرحك وسعادتك، أو هل يحتمل أن تكون قد قرأت وفهمت ورأيت وفسرت هذا الكون ثم قبلت أن يكون من فعلك أو تدبيرك أو إرادتك أو تخطيطك أو حتى من رؤيتك أو مواجهتك؟

هل تقبل أن تكون هذا أو هذا؟ إنه لا يوجد أي احتمال غير هذا وهذا أي إن كنت أو لو كنت موجوداً؟

إذن هل تقبل يا إلهي أن تكون موجوداً أو أنك كنت موجوداً أو أن تصبح موجوداً؟ أي هل تقبل أن تكون هذا أو هذا أو هذا وهذا؟

.. إن محاولتي لتفسيرك وفهمك يا إلهي لتعذبني أكثر مما سوف يعذب جحيمك أعداءك.!

.. فكر جيداً يا إلهي المزعوم. إني أحاكمك. نعم، ولكني لا أحاكمك بنيات المحاكم المعاقب بل بنيات المبرئ المنقذ بأقوى وأشمل وأصدق أساليب التبرئة والإنقاذ وهي التبرئة لك من أن تكون قد وجدت أو أنك قد توجد في أية فترة من فترات التاريخ الكوني أو في أية صيغة من صيغ الوجود أي من صيغ وجودك؟

إذن ألسنت أنا في محاكمتي لك أرحم محاكم عرفته يا إلهي أو قرأت أو سمعت عنه، أو عرفه أو سمع أو قرأ عنه الكون أو البشر؟

.. آه يا إلهي لو تستطيع أن تفهم أو تتصور قسوة إشتاقي عليك وحناني وراثتي لتعاسة ويأس ودمامة وضعك وموقفك. !

إنك لو فهمت أو تصورت ذلك لرأيت لضخامة وقبح ذنبك إنك أنت وحدك الذي يجب أن يعذب في جحيمك الذي أعدته لتعذيب خصومك. .

.. إنني أطالب كل عقل أن يحاور ويحاكم ويسائل نفسه كما أطالب كل عاقل وكل من يحتمل أن يكون أو يزعم عاقلاً أو بعض عاقل أن يحاور ويحاكم ويسائل نفسه:

هل يمكن الدفاع عن الكائن الموضوع المزعوم المفروض فوق هذا الكون أو الغفران له أو الستر أو الإشتاق عليه إلا بطرده من هذا الوجود ومن نفسه أي إلا بتبرئته من الاتهام الوقح العدوانى بأنه موجود أو بأنه كان موجوداً، أو بأن من المحتمل أو المعقول أو المقبول أو المغفور أن يصبح موجوداً. !. !. إنني أطالبك أنت يا إلهي أن تحاور وتحاكم وتسائل نفسك وعقلك وأخلاقك في هذه القضية. !

.. ما أعظم وأصعب وأقسى وأقل أن يحاور ويحاكم ويسائل العقل نفسه أو العاقل عقله أو العقل صاحبه!

ما أكثر وأبشع وأردأ تسامح العقل مع نفسه والعاقل مع عقله والعقل مع صاحبه مع أنه لن يوجد أو يتصور أفضل أو أنبل أو أنفع أو أوجب من قسوة وصرامة العقل في محاسبته ومحاكمته ومخاطبته ومساءلته لنفسه، وكذا العاقل لعقله، وكذا العقل لصاحبه. أما أنت يا إلهي فيجب أن تحرق هذه المحاورة والمحاكمة والمحاسبة والمساءلة.

. آه يا إلهي. . إن كل مواجهاتك حرائق، حرائق. إذن كيف لم تحترق؟ ما أقسى وأقبح برودتك!

.. هل وجد أو هل يمكن أن يوجد صمت مثل صمت العقل عن محاورة ومحاكمة ومحاسبة ومساءلة نفسه، أو مثل صمت العاقل أمام عقله وفي تعامله مع عقله أو مثل صمت العقل أمام صاحبه وفي تعامله معه؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد مذب أو متبلد في صمته عن أية محاورة أو محاسبة أو محاكمة أو مساءلة أو حتى معاتبة أو مراجعة أو مشاورة لعقله أو ضميره أو أخلاقه أو نياته أو إراداته أو لأي شيء من تاريخه مثلك يا إلهي الأصم الأخرس في كل تفاسيره وصيغه. . الذي لا يستطيع كل العلم في كل التاريخ والكون أن يعالج شيئاً من خرسه

وصممه؟ ليت عبقرياتك واهتماماتك التي استهلكك لخلق العاهات والتشوهات والحشرات استهلكك لعلاجك من الخرس والصمم يا إلهي.. آه يا إلهي! ليتك تستطيع أن تعرف ماذا يهبك المنكرون لوجودك من جميل وإنقاذ وستر بل ومحبة وتكريم.. ليتك تستطيع معرفة ذلك، ليتك تستطيع معرفة ما لا يستطيع أحد جهله!

.. ولو عرفت هذا الذي أتمنى أن تعرفه لتقدمت إليك بأصدق الرجاء طالباً الغفران لكل من اعتقدوك موجوداً فوق هذا الكون مسؤولاً عن كل ما فيه، محاكماً محاسباً به..!

إني حينئذ سوف أطلبك بالغفران مع أنهم لا يستحقون أي غفران. إني أعترف جداً بذلك. إنهم يستحقون كل العقاب وأقساه..

ولكني أريدك حينئذ أن تكون نبياً وشهماً وغفراً بقدر يتساوى مع ضخامة ذنبهم وإساءتهم واتهامهم أي الذين زعموك موجوداً. وهل يمكن أن يتساوى أي شيء مع إثم وقبح وعدوان من تصوروا مسؤولاً فوق الكون؟

.. إن عدوانهم عليك ضخم بلا نموذج لهذا أريدك أن تكون ضخماً لأنك غفرت لهم عدوانهم الضخم القبيح الذي هو بلا نموذج..!

ولكن ألسنت أنا هنا أراك موجوداً لأنني أخاطبك وأطلبك بالغفران لهم؟ إذن أنا مذنب مثلهم أطلب لنفس الغفران الذي أطلب به لهم. ولعلي حينما طالبت بالغفران لهم إنما أردت الغفران لي..!

هل أنا ساذج جداً حين كشفت لك عن هذه الحقيقة التي لعلك لن تعرفها لو لم أقلها لك؟ إن فهمي لمستوى فهمك ليكاد يقنعني أنك لن تفهم ذلك وحدك أي دون أن أبوح به لك..!

ولأنني هنا يا إلهي أحاورك وأحاكمك فقد بدت متأثراً بك، بأسلوبك ومنطقك أي بدت أهذي بأسلوب ونيات من يفكر ويحاور ويحلل ويتكلم مثلما تفعل أنت يا إلهي حينما يروى عنك أنك تأمر وتنهى وتعلم وتخبر وتطالب وتوحي وتنزل الكتب والتعاليم وتتحدث عما في العاهات والتشوهات والأمراض والآلام والجنون من حكمة ورحمة وإبداع وشهامة..!

... ولكن الفرق عظيم بين هذياني وهذيانك. فأنت تهذي جاداً راضياً عن هذيانك معجباً مقتنعاً مباهاياً متحدياً شاماً مشاتماً به..!

أما أنا فأهذي هازلاً ساخراً مستحيماً متألماً مفجوعاً محاولاً كشف وإبطال هذيانك

أي هديانك الذي ترويه الكتب، عن الأنبياء، عن الأشباح عن الملائكة، عن العرش، أو الذي يرويه العرش عن الملائكة عن الأشباح، عن الأنبياء، عن الكتب . . عن الكتب التي كتبها وقرأها وأنزلها من لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعلمون لماذا يقرأون ويكتبون ولا ماذا تعني أو تفيد القراءة والكتابة، ولا كيف تكون القراءة والكتابة وهل لهما شروط أو أخلاق، وماذا يُراد منهما وهل يراد منهما أي شيء . . ولا لماذا القراءة والكتابة، وهل للقراءة والكتابة أهداف أو تفاسير غير القراءة والكتابة، غير التعبد والصلاة والتصديق لما يقرأون أو يكتبون .

. . ومن يرون أن من يقرأ أو يكتب لا يقرأ ولا يكتب ولا ينبغي له ذلك وإنما يصلي ويتعبد ويؤمن !

. . ومن يتحسرون على الإنسان لتمرده على فطرته وعفته وبرائه وطيبته وتقواه حين ابتكر القراءة والكتابة وتعلمها وحاول أن يتعلمها ويعلمها . .

. . ومن يرون أنه لو كانت القراءة والكتابة شيئاً طيباً أو جميلاً أو نافعاً أو عظيماً أو تقياً لتحولت كل السموات وعروش الإله ومخابئه ومجالسه ومراقده إلى مدارس لتعليم القراءة والكتابة، ولتنزل الله وملائكته وزبانيته وكل سكان سمواته بل وسكان جحيمه وفردوسه من سمواتهم وأماكنهم، ليتحولوا جميعاً بقيادة الإله إلى معلمين للقراءة والكتابة . .

ليحولوا كل البيوت والمعابد إلى مدارس ليكون الإله فيها الأستاذ الأول لتعليم القراءة والكتابة !

نعم، إنهم ليفكرون ويتساءلون ويقولون دون أن يستطيعوا أو يجرؤوا أو يعرفوا أن ينطقوا:

إذا كانت القراءة والكتابة شيئاً طيباً أو جيداً أو مطلوباً أو أخلاقياً أو شيئاً غير ضار أو مفسد أو قاتل أو مهين أو محقر أو هاج للإله وللقيم النفسية والعقلية والإنسانية والسمائية الإلهية فلماذا يزرع ويخلق الإله في الإنسان همومه وشيخوته وموته وأمراضه وعاهاته وتشوهاتة وتفاهاته وفصائحه وشعره وأظفاره وجميع إفرازاته ساعة ولادته بل وقبل ولادته ولا يزرع أو يخلق فيه القراءة والكتابة، أو لا يخلقه ويصوغه قارئاً كاتباً بالأسلوب والحتم والسهولة والضرورة التي يخلقه ويصوغه بها باكياً وحزيناً ومستغرباً باصقاً مريضاً ميتاً مفتضحاً . .

. . لماذا يخلقه أي يخلق الإله الإنسان مريضاً وشيخاً ونذلاً ومفتضحاً ولثيماً

وحزيناً وباكياً وجباناً ومنافقاً وذليلاً بلا تعليم أي يخلقه محكوماً عليه بأن يكون كل ذلك بلا تعليم أو تعاليم بل وضد كل التعليم والتعاليم . ثم لا يخلقه قارئاً وكاتباً بهذا الأسلوب والحنتم أي بلا تعليم؟ إنه يخلقه يمرض ويضعف ويهرم ويموت بلا تعليم فلماذا لا يخلقه قارئاً وكاتباً أو عارفاً القراءة والكتابة بلا تعليم؟

. . أليس الإله الذي يخلقنا ويخططنا ويدبرنا ويصوغنا محكوماً علينا بالمرض والشيخوخة والموت والتفاهة وبكل أساليب الاستفراغ تحت كل الظروف ثم لا يخلقنا أو يخططنا أو يدبرنا أو يصوغنا كذلك أي محكوماً علينا بمعرفة القراءة والكتابة تحت كل الظروف ، هو إلهاً معادياً للقراءة والكتابة ، إلهاً يرفض أن نكون قارئين أو كاتبين ، وحين نصبح قارئين أو كاتبين فلسنا إلا عصياناً وغيظاً وتعذيباً بل وإهانة له . لإرادته خطته وكرامته ورؤيته بل ولبداوته وجهالته؟

في الفردوس تتجمع كل أسباب الشر والعرب وعبيدهم في الدين.. هم كل سكان الفردوس

نعم . يا إلهي لقد رأيت وأعلنت أن أي شيء وكل شيء لا يستطيع أن يداوي قلوب أو أخلاق أو حتى السنة قومك وأصدقائك العرب من الأحقاد والبغضاء والعداوات والخصومات والسباب المعجز في تفوق كل ألوان بذاءاته على كل البذاعات . .

رأيت وأعلنت أن كل الأنهار والبحار وكل المطهرات والمعقمات لا تستطيع أن تطهر أو تنظف أو حتى تذيب أو تخفي شيئاً من عفونات جلودهم وثيابهم الأخلاقية كل الرثاء للأذان التي تنصب فيها الأصوات والشنائم العربية . !
. . رأيتهم يا إلهي هذه الرؤية القاتلة ولكن دون أن تكون ظالمة .

. . رأيتهم كذلك حينما كان عددهم لن يتجاوز كثيراً أو لن يبلغ العدد الرهيب في ضخامته . . الذي قاسيت وقاسيت مستلهماً ومعتصراً كل خيالك الإلهي لكي تستطيع تصوره وتجراً على تصوره وعلى النطق والجهر به حين قلت وكأنك تعلن عن عبقريتك الخيالية وترهب من سوف يسمعونك :

«فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون» . . !

. . لا بد أنك يا إلهي حينما نطقت بكلمة : «مئة ألف» كنت مبهور الأنفاس مخنتق الصوت حتى لبكت الملائكة حولك وكل من رأوك أو سمعوك رثاء لك وإشفافاً عليك واستحياء لاستحيائك أو لفقدك الاستحياء وحاجتك إليه حينما تجرأت على النطق بكلمة : «مئة ألف أو يزيدون» . .

هل كنت يا إلهي تتصور جرأة أو عبقرية مثل جرأتك وعبقريتك حين نطقت بـ :
«مئة ألف أو يزيدون» ؟ يزيدون عن مئة ألف ! .

.. كذلك يا إلهي رأيت العرب هذه الرؤية القاتلة ولكن دون أن تكون جائرة أو كاذبة أو مبالغ أو مخطئة أو حتى مرادة أو متعمدة أو مفرحة لك أو لأحد من أعوانك أو مستشاريك .

- نعم رأيتهم هذه الرؤية حينما كانت خيامهم ومكتهم ويشربهم وزمزمهم ومأربهم وبلقيسهم وهددهم وصحراؤهم ودهناؤهم وقصائدهم ومعلقاتهم وأصنامهم الطيبة البريئة المسالمة المصنوعة من التمر والخشب والحجارة والتراب الظمان، الظمان المصنوعة من التمر أحياناً المفقود الغالي القليل جداً . . المصنوعة من هذا التمر إن وجد لتكون مقدسة جداً . .

- نعم، حينما كان ذلك هو كل كونهم وعالمهم ورؤاهم وتطلعاتهم وأشواقهم وقرائاتهم وتصوراتهم وكل آلهتهم ومذاهبهم وفلسفاتهم وعباداتهم وانتماءاتهم وتفسيراتهم وكل عداواتهم وصدقاتهم المذهبية والفكرية والأخلاقية والدينية والكونية والعالمية والتحالفية الانتمائية . .

رأيتهم أي العرب يا إلهي هذه الرؤية التي لن تستطيع ولن يستطيع أي إله ولا أي كائن آخر أن يرى مثلها في قبحها وإيلامها وصدقها حينما كان عددهم ووجودهم ومكانهم وكيوننتهم وكل تفاسيرهم وحدودهم هو ما ذكرت وقرأت وفسرت لك وأسمعتك . .

إذن ماذا يمكن أن تكون رؤيتك لهم أي للعرب وماذا يمكن أن يكونوا بعد أن يصبح تعدادهم شيئاً تهاب وتذعر جميع أجهزتك وأجهزة أعوانك الحسابية من التحديث فيه والتصور له . . بعد أن يصبح كل ما لديك ولدى مساعدك من أوراق وأقلام ألواح ومداد عاجزاً عن إحصاء تعدادهم . . بعد أن يصبح ملائكتك المجندون للرقابة والاحصاء والتجسس على البشر عاجزين عن القيام بعملهم لقلة عددهم مهما حاولت أن تزيد في تعدادهم أمام تعداد أبناء العروبة . .

.. بعد أن تصاب يا إلهي بأقصى أزمة ورقية قلمية مدادية أي خبرية ورقابية تجسسية، أي بعد أن يصبح كل ما لديك وكل ما تملك وتستطيع أن تنتج وتخلق وتعد من ورق وأقلام ومداد أي حبر وألواح محفوظة وغير محفوظة ومن ملائكة وزبانية للتجسس والرقابة على البشر .

.. بعد أن يصبح كل ذلك عاجزاً عن أن يؤدي شيئاً من وظائفه أمام تعداد أبناء العروبة الذي لا بد أن يغرق فيه أي في تعدادهم كل خيالك وتصورك وحساباتك ورؤاك

العقلية والرياضية والحدسية أنت وكل أجهزتك ومعاونيك الكونيين والسمائيين؟ . نعم
يا إلهي إن تعداد أبناء العروبة لا بدّ أن يتحول إلى أقسى أزمة لجميع أجهزتك الحسابية
والاحصائية والرقابية التجسسية . . . ويبدو يا إلهي أنك قد أصبت بغفلة شاملة أو بغلطة
قاتلة حين عجزت أو غفلت عن تصور العدد الذي لا بدّ أن يكونه أبناء العروبة قبل أن
تستقبلهم لكي تضعهم في فردوسك البائس الكئيب الحزين المهان بساكنيه والمهان به
ساكنوه . !

وحتماً سيصنع لك تعداد العروبة الذي كان والذي لا بدّ أن يكون والذي عجزت
عن معرفته بل وعن تصوره سيصنع لك ورطة هائلة . !

. . . إن جميع أجهزة الإحصاء والرقابة والمحاسبة والتسجيل أو الجاسوسية ستعجز
عن الإحصاء والرقابة والتسجيل عليه وعن المحاسبة له لتفوق أعداده الساحق على
أعدادها وقدراتها . إن هذه الأجهزة لا بدّ أن تعلن هزيمتها أمام أعداده !

. . . وأيضاً سيعجز فردوسك الذي خططته وقدرته وأعدته لإيوائهم عن إيوائهم . .
سيتحول إلى أزمة سكن ومكان وحركة لا مثيل لعذابها وقبحها . وهذه الأزمة في
الفردوس لا بدّ أن تتحول إلى فوضى لتتحول هذه الفوضى إلى فساد أخلاقي . . !
ولكن هل يجوز يا إلهي أن تلام على عجزك عن تقدير أو تصور التعداد الذي لا بدّ أن
تنتجه موهبة التناسل أو التفريخ العربية أو موهبة الاستفراغ القبيح البليد فوق السرر
العربية المسمى توالد أو ولادة؟

إن كل حظوظ وحقوق واحتمالات وطاقات الإنسان العربي في أن يلد العبقريّة أو
الذكاء أو الإبداع أو الأخلاق القوية أو الشجاعة أو الجمال الإنساني في أية صيغة من
صيغة قد تحولت إلى توالد وتفريخ عدد بلا قيمة أو معنى بل ضد كل قيمة ومعنى . . بل
ضد كل قيمة ومعنى .

إنني أكرر يا إلهي إن توالد العرب إن لم تفعل شيئاً لوقفه لا بدّ أن يتحول إلى
اختناق في الأرض والفردوس معاً .

. . إنه توالد ازدحام وتضخم لا ضخامة . لقد جاء هذا التوالد أو التفريخ العربي
ليكون فيما يبدو تعويضاً أليماً بليداً عن المعاني الإنسانية الأخرى . !

إنه أي الإنسان العربي بقدر ما يتحول إلى طوفان في ولادة صيغة أو صورة الإنسان
يتحول إلى قحط شامل في ولادة معنى الإنسان . .

إنه لا أخسر ولا أردأ من توالد العدد والتراكم بلا أية ولادة لأية قيمة . !

.. ولا بدّ أن تزداد الأحقاد والبغضاء والعداوات وتزداد أسباب واحتمالات تصادمها بقدر ما تزداد أعداد من تقذف وتفرض نفوسهم وأخلاقهم وذواتهم وألستهم كل أنواع السوء والقبح إفرازاً وقذفاً آلياً . ولا بدّ أن يزداد هذا الإفراز والقذف في أي مكان وفي كل مكان تزداد فيه أعداد هؤلاء المفرضين القاذفين حتى ولو كان هذا المكان هو الفردوس بل ولا سيما إذا كان هذا المكان هو الفردوس . !

أليست احتمالات الشر والقبح في بيت يقيم فيه عشرة من هؤلاء البشر المفرضين القاذفين آلياً وذاتياً للأحقاد والبغضاء والعداوات أكثر من احتمالات ذلك في بيت يقيم فيه خمسة فقط من هؤلاء البشر ؟

.. لهذا أليس العرب كلما تكاثرت أعدادهم في الدولة أو في البيت أو في الفردوس أو في أي مكان تكاثرت الشرور والأحقاد والعداوات والبغضاء بينهم وتكاثرت احتمالات المواجهات الأليمة البذيئة الفضاحة بينهم؟ . أليسوا كلما كثروا قبحوا وافتضحوا؟ لهذا أليسوا أي العرب كلما كثروا ضعفوا؟ سلوا إسرائيل عن ذلك، سلوها . سلوا التاريخ . سلوا تاريخ التاريخ . ! .

ولكن أليست مساءلة التاريخ عن معاملة العرب له وعن مسيرتهم فيه نكأً أليماً لجراحه وتذكيراً بذيئاً له بفضائحه وضعفه؟

أليس التاريخ يحتاج إلى أعمال كثيرة من أعمال الستر والتجميل ولو كذباً؟

.. إذن كم يعذبنا تصورنا لقبح الفردوس وقبح وبؤس حظوظه كلما تصورنا وقد رنا تعداد أبناء العروبة الذي سوف يكون بعد أن آمنا وأعلننا أن العرب جميعاً لا بدّ أن يسكنوا الفردوس وأن يكونوا هم وحدهم سكانه وملاكه أي ومن يأذنون له بأن يكون معهم هناك لأنه كان من مواليتهم ورعايتهم وعبيدهم في النبوة والإيمان والدين والإله . ! إن أتباع ورعايا نبي من الأنبياء هم رعايا وأتباع لشعبه .

أليس العرب هم أنبياء العالم ومعلميه لأن نبيهم هو نبي كل الأنبياء ومعلمهم؟

أليسوا أي العرب هم خاتم البشر والعالم كله لأن نبيهم هو خاتم الأنبياء؟

هل لكون النبي العربي خاتم الأنبياء تفسير غير أن الشعب العربي هو خاتم الشعوب؟ أليس الشعب الذي يلد نبياً معلماً لكل العالم يصبح المعلم لكل العالم؟ أليس الشعب الذي يعطي ديناً هو المنقذ للعالم يصبح أي هذا الشعب هو المنقذ للعالم؟

.. إذن هل يمكن أن يكون الفردوس سكناً أو ملكاً لغير الشعب الذي هو خاتم الشعوب والذي نبيه هو خاتم الأنبياء أي وسكاناً لرعايا وموالي وعبيد هذا الشعب الذي هو خاتم الشعوب؟ لماذا نبي العرب هو خاتم الأنبياء؟

هل لهذا من جواب غير أن يقال: لأن العرب هم خاتمة الشعوب؟

.. أليس النفط العربي قد قال ذلك وشهد عليه وأقنع به؟ أليس النفط العربي قد جاء شهادة للعرب بكل ذلك أقوى إقناعاً وروعة مما جاء نبيهم وكتابهم اللذان هما خاتم الأنبياء والكتب؟

هل استطاع أو يمكن أن يستطيع الإله أن يجد وسيلة يقنع بها أن العرب هم خاتم الشعوب كما كان نبيهم وقرآنهم خاتم الأنبياء والكتب المنزلة. وعلى أنهم هم وحدهم ملاك الفردوس وسكانه والمتصدقون به على من يشاؤون.

.. نعم، هل استطاع الإله أن يجد وسيلة لإثبات ذلك مثل النفط أو غير النفط العربي؟ كان الإله مسحوراً بالنفط قبل أن تعرف أو يعرف قيمته. ويظهر أن له حدساً حضارياً!.

.. إن الإله لم يهب شهادته لأحد أو لشعب مثلما وهبها للعرب حينما وهبهم النفط بالأسلوب الذي وهبهم إياه!.

لقد أراد أن يشهد للعرب بالكلمة والنبوة فلم تستطع شهادته أي شهادة الإله هذه أن تفعل شيئاً أو تقتنع بشيء إلا لدى الذين لا يعون معنى الشهادة أو معنى الإقناع والافتناع ولا معنى أي شيء.. فاهتدى أي الإله أن يشهد لهم أي للعرب الشهادة التي لا بد أن تسقط أمامها بل وتحتها كل الشهادات والمساءلات والمقاومات بل وكل الشبهات والكرامات والبسالات. أي فاهتدى إلى أن يشهد لهم بالنفط. النفط!.. لعلك يا إلهي قد قاسيت لكي تفعل شيئاً تعرض به عبقريتك وقوتك وثراءك فلم تجد إلا النفط. ثم قاسيت وقاسيت لكي تجد من يستحق أن تهبه هذا الكائن المجنون بكل جنون السرف فلم تجد إلا العرب. أو لعل هذا الكائن المجنون رفض أن يكون عاشقاً أو معشوقاً إلا للعرب!

.. ولكن يا إلهي قد يكون التفسير لسلوكك النفطي العربي تفسيراً أليماً لا كريماً ولا تكريماً. وهل يمكن أن يكون شيء من سلوكك يا إلهي كريماً أو تكريماً؟

.. قد يكون التفسير أنك قد ظلمت العرب ظلماً إنسانياً فحاولت بتسرع وبلا ذكاء أو دراسة أو رؤية أن تكفر أو تعوض عن ذلك تكفيراً أو تعويضاً نفطياً. أي أنك لم

تستطع أو ترد أو تعرف أن تهبهم حقهم من المواهب والطاقات الإنسانية فذهبت تحت تأنيب وتعذيب ضميرك لك وتحت استنكار من حولك من سكان السماء تهبهم هذا الكائن العجيب المسمى نفطاً بكل هذا الجنون دون أن تدري أو تحاسب ما تفعل. ! . وهل وجد أو يمكن أن يوجد من لا يدري ما يفعل أو من لا يحاسب ما يفعل مثلك أو غيرك يا إلهي؟

وأيضاً يا إلهي لقد رأيت العرب هذه الرؤية التي تعلن وتعني تمكّن وأصالة الأحقاد والبغضاء والتعادي في أنفسهم وعلاقاتهم ومواجهاتهم - رأيتهم هذه الرؤية القاسية الصادقة حينما كانوا مختبئين وراء رمالهم وصحرائهم وخيامهم مع أغنامهم ونياقهم وأصنامهم النظيفة الصامته المهذبة التي لا تستطيع أو تريد أو تعرف أو تقبل أن تعلم الحقد أو البغض أو الغرور أو التعصب أو العداوة أو العدوان أو الاتهام أو الصراخ أو تفضيل إله أو حقد أو غباء أو سفه على إله أو حقد أو غباء أو سفه آخر . .

. . التي لا تستطيع أو تريد أو تعرف أو تقبل أن تعلم أو تفسر أو تبتكر الألوهيات أو النبوات أو الزعامات أو الانتماءات أو المذاهبيات أو التكتلات أو الشعارات أو القراءات المسوغة والمعلمة والمفسرة والمبتكرة والخالقة والمحرضة لكل الأحقاد والبغضاء والعداوات والنذالات والملاعنات والمخاصمات والانتهاكات والحروب لكي تزداد اشتعالاً واحترافاً وإحراقاً وانتشاراً وقسوة وضجيجاً وقبحاً وافتضاحاً وسخفاً وجنوناً عالمياً وكونياً تحت كل تفاسير التقوى والحب والرحمة والفداء والذكاء والعطاء والإنسانية . .

آه يا إلهي أريد أن أسألك وأن أسمع منك الجواب الذي أطلب وأرجو أن يكون جواباً صادقاً وشجاعاً وذكياً . .

. . نعم. أريد أن أسألك: هل عوقب البشر أو أهينوا أو فضحوا بشيء مثلما عوقبوا وأهينوا وفضحوا بالألوهيات والنبوات والزعامات والقيادات والانتماءات والشعارات والمذاهبيات والتكتلات المتخاصمة المتعددية المتلاعنة المتحاربة المتبارزة المتفاخرة المتكبيرة الزاعمة أنها هي كل تفاسير ومنطق الحياة والتاريخ والكون وكل شيء . . أي الزاعمة كل واحدة منها أنها هي وحدها كل ذلك ولا سيما الثورية منها؟

أليست هذه أي الألوهيات والنبوات والزعامات والقيادات والانتماءات والشعارات والمذاهبيات هي أشمل وأشهر وأقوى أجهزة شحن الإنسان والتاريخ بالحقد والبغض

والعداوة وبكل معاني الشر والقبح المفسر تفسيراً دينياً أو علمياً أو تقدماً أو أخلاقياً أو إنسانياً أو حضارياً أو وطنياً قومياً أو مفسراً بكل ذلك؟

هل استطاع الإنسان أن يحارب نفسه مثلما حاربها بأفاته هذه؟

.. هكذا يا إلهي رأيت العرب وأعلنت عن رؤيتك لهم بكل هذا الصدق الأليم حينما كانوا كما ذكرت لك مكاناً وكيونة ومعتقدات وآلهة . .

إذن ماذا يمكن أن تراهم وأن يكونوا بعد أن أصبحوا منتشرين أي وجوداً ومواجهة فوق كل قمم العالم وتحت كل حضيضه . داخل كل عيوبه وذنوبه وثيابه وصعابه وعذابه . . وبعد أن تكون مواهب الحقد والبغض والتعصب والبذاء النفسية واللغوية فيهم قد استقبلت وتعلمت واستوردت وامتصت وقرأت وغنت كل أحقاد وبغضاء وقبح وسفه ونذالة كل العالم . معلمة ومفسرة ومسوغة بل ومقدسة ممجدة موزعة بكل الأساليب واللغات . من فوق كل المنابر والأصوات .

باسم كل المذاهب والثورات والتقدم والحب والجمال ومقاومة كل أعداء الإنسان . . كل الأبالسة الذين لم يروا أو يسمعوا أو يوجدوا ولن يروا أو يسمعوا أو يوجدوا .

.. وبعد أن تكون مواهبهم أي مواهب العرب قد حولت كل الآثام الشرور والسيئات والدمايات النفسية والأخلاقية واللغوية التي تلقتها واختزنتها - قد حولتها إلى أخلاقها وخصائصها هي الأصلية المتفوقة جداً في هذه الرذائل الإنسانية . . في تخلقها وإنباتها وقوتها وعدوانيتها وشمولها واستفراغها وبذاءتها . وأيضاً في استقبالها لها وتعلمها وتطويرها إلى الأقبح الأوضح الأكثر فضحاً .؟

.. إنه لمحتوم أن يحول المستقبلون الآخذون المتعلمون ما استقبلوه وأخذوه وتعلموه إلى أخلاقهم وطاقتهم وخصائصهم هم ويحكموه ويصوغوه ويفسروه ويعبروا عنه بها . .

.. إن الإنسان بل وأي كائن لا يساوي ما يقرأ أو يرى أو يواجه أو يسمع بل يساوي معانيه وقدراته وأخلاقه في ذلك وفي كل ما يفعل بل ويريد . . يساوي قدرة كل معانيه على التعامل مع ذلك .

ولهذا فإن الإنسان العربي وكذا كل إنسان آخر يحول كل نظام أو مذهب أو اعتقاد أو انتماء أو حتى دين أخذه أو آمن به إلى شيء عربي في كل صيغته وتفسيره وأخلاقه

ولغاته . في ضعفه وانهزامه . ولا يتحول أو يستطيع أن يتحول أي الإنسان العربي إلى مستوى أو ذكاء أو أخلاق أو تفاسير ما أخذه وأمن به . إن الإنسان لا يساوي انتماءاته وشعاراته المذهبية إلا بقدر ما يساوي ذاته المادية والمعنوية ثيابه . أليست الانتماءات المذهبية نوعاً من الملابس الخارجية؟

.. قد يكون الحقد والبغض والبذاءة النفسية والتعبيرية والعدوانية عند الإنسان ما عدا الإنسان العربي حالة شاذة وطارئة وقليلة تصنعها ظروف وانفعالات خاصة تجيء بقدر الحاجة أو الضرورة أو الغلظة .. تجيء وكأنها الدفاع عن النفس والحق وعمما يجب الدفاع عنه .. تجيء باعتذار واستحياء ومقاساة عقلية ونفسية؟

.. تجيء بلا شهوة أو شوق أو فرح أو سعادة .!

.. أما عند الإنسان العربي فإنها أي الأحقاد والبغضاء والبذاءات النفسية واللغوية العدوانية أصالة وولادة وموهبة ..

.. إنها خصوبة ذات كينونة وتاريخ تاريخ .!

.. إنها تتخلق فيه تتخلقاً ذاتياً كما تتخلق أعضاؤه وأظافره وإفرازاته الكريهة .. إنها وجود وحياة وغذاء وسعادة وعبادة وفرح ..

.. إنها مجد وبطولة وعبقريّة وقومية ووطنية ونضال ضد كل الأبالسة بل ضد كل الملائكة أي الأحقاد والبغضاء والبذاءات النفسية والأخلاقية والتعبيرية، أي في حساب ومنطق وسلوك الإنسان العربي .! . إنها أي الأحقاد والبغضاء والخصومات والبذاءات النفسية والأخلاقية والمنبرية هي أخلد وأشهر أمجاد وبطولات الإنسان العربي في كل تاريخه .!

.. إنه لو وجد أو اعتقد أن كل من في الوجود يستحقون حبه ورضاه وإعجابه وثنائه ولم يجد أو يعتقد من يستحقون حقه وبغضائه وعدوانه النفسي والأخلاقي والتعبيري لعذبه ذلك أشد العذاب ولكان مضطراً إلى أن يوجد أو يتصور أو يعتقد من يستحقون أن يستفرغ عليهم كل كنوزه النفسية والأخلاقية المعفنة البذيئة . إنه لا يسعد بأن يجد من يستحقون الحب أو الإعجاب أو التقدير أو الاحترام بل بأن يجد من يستحقون كل النقيض لذلك .!

.. ولكن أليس الذين يستحقون حبه ورضاه وإعجابه وثنائه هم الذين ينالون أردأ وأكثر أحقاداً وبغضائه ولعنائه واتهاماته؟

إنه لو وجد من يستحقون الحب والرضا والإعجاب والتمجيد لامتلأت نفسه لهم بنقيض ذلك. !

ولكن كيف؟ هل الإنسان العربي يحب أو يرضى أو يعجب؟ هل يتخلق بشيء من هذه العواطف لكي ينقسم الآخرون في رؤيته وحسابه إلى من يستحقون الحب أو الإعجاب أو الرضا أو أنه يمكن أو يجب التعامل بها أو ما الفرق بينها وبين نقيضها؟ وهل يعرف الفرق بين من يستحقون الشيء ومن يستحقون النقيض؟

إن كل عواطف الإنسان العربي هي: يشتهي أو لا يشتهي، يريد أو لا يريد، يجد أو لا يجد، يخاف أو لا يخاف أي من هذا الشيء أو الإنسان أو المكان أو الحدث مثل عواطف كل الكائنات الحية التي هي دون الإنسان تطوراً. !

. . إن حبه ليس حباً بل شهوة وجوع واضطرار وإن ثناءه ليس ثناء بل نفاق وملق، وإن إعجابه ليس إعجاباً بل عجز وضعف، وإن تقييله ومصافحته ليسا مصافحة أو تقييلاً بلا عض وبصق وضرب وتلويث. . كما أن صلاته وهتافه وإيمانه ليست صلاة أو هتافاً أو إيماناً بل صراخ وجهل واستفراغ وسباب وجبن ورشوة. . كما أن رؤيته وقراءته ومحاورته ليست شيئاً من ذلك ولكنها ذهول وفراغ وتثاؤب ووقاحة ومشاتمة وتعمر وعدوان وفضول وكسل وضياع وعمى. . كما أن تعليمه ليس تعليماً لا طلباً للعلم أو شوقاً أو حاجةً إليه ولكنه تجمل أو تكبر أو تدلل أو توقع أو تشبه أو تعطل أو تبطل أو تشبه أو تله أو مزاحمة.

. . كما أن لغته ليست كلاماً ولكنها انفعالات كريمة رديئة مسموعة. إنها ملاعنات ومخاصمات ومبارزات بذيئة. !

أكرر الاعتراف لك يا إلهي أن رؤيتك هذه للعرب رؤية نافذة حينما قلت:
«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم».

. . إنها رؤية تستحق التهئة والإعجاب. .

. . إن جميع الذين قاسوا كثيراً لكي يدللوا على ألوهيتك الصادقة الرؤية والنبوءة العالمية بكل الغيب، ويدللو على صدق نبوة نبيك الذي روى لنا رؤيتك هذه للعرب وعنهم.

- نعم، إن جميع هؤلاء مهما حاولوا وناضلوا وتعبدوا لن يجدوا برهاناً يدللون به

على ذلك مثل رؤيتك هذه في قولك هذا عن العرب في أجيالهم وتاريخهم: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم»..

.. إن أي كائن يحدق في العالم العربي اليوم ثم يقرأ رؤيتك هذه لهم يا إلهي فلا بد أن يصرخ بكل انبهاره وتعجبه: صدقت أيها الرائي القائل..

صدقت أيها الإله.. لقد كدت أيها الإله بهذه الرؤية المتنبئة أن تفرض علينا الإعجاب بك بل الإيمان بك وبنيك الذي روى لنا رؤيتك هذه..! آه يا إلهي هل أنت في هذه الرؤية للعرب إله أم ساحر أم دجال كذاب قال كلمة بلا رؤية ولا علم ولا ذكاء ولا صدق بل وبلا إرادة لأي شيء، فتحالفت وتناصرت كل أبالسة هذا الكون وأبالسة كل الأكوان الأخرى لتجعل هذه الكلمة صادقة جداً لتكون خدعة عالمية كونية كبرى، فاستنجدت أي كل هذه الأبالسة بكل مواهبها ومكرها وخيثها لكي تصوغ العرب في كل أجيالهم وتاريخهم صياغة تجعلهم تصديقاً مذهلاً باهراً للكلمة التي قالها هذا الدجال الكذاب؟

هل جاء العرب بكل هذا القبح الذي وصفته أو الذي وصف لتكون هذه القولة أو الرؤية عنهم ولهم صادقة؟

هل العرب ضحية كلمة غبية كاذبة قيلت أو قلتها أنت عنهم فأردت أو فأريد أن تكون صادقة؟

.. آه يا إلهي. إنني لأخاف على كل العالم أن يخدع. ويؤمن بك وبالنبي الذي روى عنك هذه الرؤية للعرب لو أنه أي كل العالم حدق في العرب اليوم بعد أن كان قد قرأ تاريخهم ثم قرأ أي العالم قولك عنهم عن العرب:
«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم»..

حاول أن تجعل العالم يرى العرب اليوم ويسمع قولتك هذه عنهم لكي يجن إيماناً وإعجاباً بك!

.. إنني أنصحك يا إلهي أن تقرأ وتسمع وترى وتفسر وتعامل وتواجه عرب اليوم، دولاً وأحزاباً وانتماءات وشعارات ومذاهب وعقائد وزعامات وقيادات وصحافة وإذاعة وكتباً وأقلاماً وشعراء وعلماء وفنانين وهيئات ومؤسسات نيابية وبرلمانية واستشارية.. إسلامية واشتراكية.. شرقية وغربية، ولا شرقية ولا غربية.

- نعم، يا إلهي المحتاج إلى أن يجد ما يفرحه ويرضيه عن نفسه ومجده أنصحك

أن ترى وتقرأ وتسمع وتفسر وتواجه وتعامل كل ذلك أو حتى شيئاً من ذلك لكي تمتلئ فرحاً وسعادةً ورضاً وإعجاباً بنفسك وعبقريتك وبرؤيتك المخترقة لكل السدود والحدود والأحجية حينما قلت راثياً للعرب في كل أجيالهم وأوطانهم وتاريخهم ومذاهبهم وانتماءاتهم:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم» .!

ولكن يا إلهي كم هو عذاب وخطر على عينيك وأذنك وكل شيء فيك أن ترى أو تسمع أو تعرف عرب اليوم!

. . إذن يا إلهي كم أرجوك بل وأطالبك أن تعرف وألا تنسى للعرب هذه اليد التي أسدوها إليك، هذه الشهادة الكونية التي شهدوها لك أمام كل محاكم ومحاكمات التاريخ وفوق كل سطوره حين أثبتوا أنك صادق النبوة والرؤية عالم بالغيب لأنهم قد جاءوا في كل أجيالهم وتاريخهم كما قلت:

«لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم» . .!

لقد كنت يا إلهي في مجاعة قاتلة إلى أن تسجل في تاريخك الحزين مثل هذه الرؤية الصادقة التي صدقها لك العرب وحدهم.

. . أية أمة من الأمم استطاعت أو أرادت أن تصدق نبوءتك الرديئة الأليمة أو رؤيتك الغيبية الأليمة لها وعنهما مثلما فعلت الأمة العربية؟ بل إن حياة كل الأمم تكذيب قاتل مهين لكل رؤاك ونبوءاتك المتشائمة والمتفائلة .!

فتش يا إلهي في كل سجلاتك وتاريخك تصدق كل ما أقوله لك؟

. . إذن ألسنت مطالباً بأن تعرف للعرب هذه النعمة التي أنعموها عليك . . هذه النعمة التي لن يتركوها أو يخترقوها . . التي لن يتراجعوا عن الالتزام بها ما بقيت وما بقوا، أن عليك ولك أن تطمئن إلى دوام هذه الهبة العربية لك بلا أي تراجع .!

. . إني لأفجع بكل إله وأرثي لكل إله تقبل أن تكون أو أن تظل له عينان أو أذنان أو عقل وقلب يحاسب ويحكم ويفسر بهما الأشياء فلن يكون في كل تفاسيره إلا جماداً، جماداً أو كائناتاً عاشقاً لتعذيب نفسه .!

. . إن أردأ وأغبى وأنذل الحشرات لن ترضى أو تقبل أن تكون أو أن تظل لها عيون أو أذان أو أخلاق ترى وتسمع وتقرأ وتفسر وتفهم وتحاسب الأشياء وتشرط عليها ولها لو أنها رأت أو سمعت أو قرأت أو فهمت أو فسرت أو واجهت العرب اليوم،

وشهدت شيئاً من اجتماعاتهم ومؤتمراتهم محاسبة واعية لنياتهم ومعانقاتهم ومصافحاتهم وضحكاتهم وهمساتهم وحركاتهم وإيماءاتهم ونحنحاتهم ونظراتهم التي لا تعني شيئاً والتي ليس فيها ولا يمكن أن يكون فيها شيء من التحديث أو الرؤية أو النظر أو شيء من معنى العيون والنظرات أو من تفاسيرها ووظائفها ونياتها وأخلاقتها! ما أشد احتياج العيون إلى أخلاق العيون، أي إلى أن تكون لها أخلاق. ما أقل العيون التي لها أخلاق والملتزمة بأخلاقتها والعارفة لها.!

.. ما أقبح العيون بلا نظر، وأقبح النظر بلا رؤية، وأقبح الرؤية بلا رؤية ومحاورة ومحاسبة وأخلاق وقبول ورفض وإعجاب واستقبح.. ما أقبحها وأوقعها بلا أخلاق.!

ما أقبح صيغة العيون بلا عيون.. ما أقبح العيون ضد وظيفة العيون، إن العيون التي لا تؤدي وظائف العيون لن تكون إلاّ عاهات وتشوهات وعبثاً بليداً..

.. ما أقبح الوجوه المزروعة فيها العيون التي هي ضد العيون، ضد وظائف العيون..! أليست كل العيون ضد وظائف العيون حتى عينا الإله هما ضد وظائف العيون؟

أليست عيون الإله وملائكته وزبانيته وأنبيائه وأوليائه وأصدقائه وحراسه هي أكثر وأقوى وأندل العيون خروجاً على تفاسير ووظائف العيون وعجزاً عنها وجهلاً بها؟

أليست عيون الإله وأعوانه هي أخرج العيون على أخلاق العيون وأفقدتها لها؟

أليست عيون الإله وملائكته وزبانيته وأنبيائه وأوليائه وأصدقائه تتفوق على كل العيون في خروجها على كل وظائف العيون وفي عجزها عنها وتجاوزها لها حتى على عيون الزعامات والقيادات والعبقريات العربية.. حتى على جميع العيون العربية؟

وهل وجدت عيون تستطيع أن تتفوق على العيون العربية أو حتى تساويها في مناقضتها ومقاومتها وتجاوزها لوظيفة العيون وأخلاقتها؟

نعم، لقد وجدت. إنها عيون الإله وأنبيائه وكل أصفياؤه وأوليائه وأعوانه.!

.. إننا لا بد أن نقاسي من الحرج والرغبة والاستحياء حين نحاول أن نستثني بعض العيون من الحكم بأن كل العيون ضد وظائف العيون.!

ولكن ما هي وظيفة العيون وهل لها وظيفة معروفة أو مرادة؟

أليس من الممكن أن يقال أن وظيفة العيون هي ألا ترى لأن الرؤية عذاب وقبح ودمامة وعدوان وفضح وافتضاح؟

أليس هذا القول أصدق وأذكى وأرحم وأنبل من أن يقال: إن وظيفة العيون أن تحدد وترى لتكون عذاباً وتعذيباً شاملين وحشيين؟

إنه حينئذ لا يوجد ما يتفوق على العيون أو يساويها في التزامها بوظيفتها إذا كانت وظيفتها ألا ترى أي ضد الوظيفة لا بلا وظيفة!

.. هل تقبل العيون أن تكون لها وظيفة؟ وهل قبلت أن توجد، أن تلتصق بالوجوه إلا لأنها بلا وظيفة، أي إلا لأنها ضد الوظيفة المزعومة لها والمعلمة عنها؟

إنها لا توجد وظيفة تساوي أو تشبه وظيفة العيون في قبورها وفضحتها وقسوتها وهجائها وإساءتها وتحقيرها لكل شيء لو وجدت ونفذت.. لهذا كان محالاً أن تكون لها وظيفة ومحالاً ألا تكون لها وظيفة مضادة لوظيفتها المزعومة والمعلمة..

مضادة لها بكل التفاسير والنتائج والمزاعم والتعاليم. هل كان يمكن أن يجروا أي كائن أو إنسان على النظر إلى المرأة أو يقبل أن توجد لو لم تكن عيناه مضادتين لوظيفتهما أي المزعومة؟

.. هل يمكن أن يوجد أو حتى يتصور مثل العيون رفضاً ونفيّاً وتقبيحاً وتشويهاً ولعنّاً وتسفيهاً لكل شيء ولكل أحد ولكل امرأة ولكل وجه وجمال بل ولكل إله ولكل من هو أعظم وأجمل من الإله أي إلهنا ومن كل إله آخر لو لم تكن ضد وظيفتها أي المزعومة والمعلمة؟ إن العيون الرائية لن ترفض أو تنفي أو تطرد شيئاً مثل رفضها ونفيها وطردها لاحتمال وجود أي إله فوق هذا الكون!

.. إن العيون لا تقبل بل ولا يستطيع أن تكون بلا وظيفة بل لا بد أن تكون لها وظيفة مضادة لكي يمكن التعامل بها ومعها وتكون قابلة مقبولة؟

بل ولكي تمكن معايشة الذات والكون ولكي يبدو ويرى جميلاً أي الكون أو أي شيء فيه.. إنه لا يمكن تصور عذاب وشقاء وانفجاع مثل عذاب وشقاء وانفجاع العيون وحاملها لو لم تكن مضادة لوظيفتها المزعومة والمعلمة. ما أكرر وأخبر وأدهى من علم العيون أن تكون ضد العيون!

.. ماذا لو كان للإله عينان مبصرتان تريان أبداً كل ما يرى لتظلا أبداً تريان كل ما يرى ويظل كل ما يرى كما يرى أي تظل العلاقات بين عينيه وبين كل ما تريانه وكل شيء علاقات رضا وإعجاب وفرح وتلاؤم ومعانقة ومصافحة ومحبة وصداقة دون أن يتلأعن أي عينا الإله وما تريانه ويتعادي ويتضارب ويتقاتل ويتفجر بكل تعبيرات وتفسيرات الغيظ والغضب والانفجاع والاشمئزاز والاستقباح والاحتقار؟

.. إن الإله لو كان يرى لما وجد عذاب مثل عذابه بعينه ومثل عذاب عينيه به ومثل عذابه وعذاب عينيه بكل شيء يرى ولا مثل الاحتقار والغضب والبغضاء والمخاصمة بينه وبين عينيه وبينه وبين كل شيء مرئي وبين عينيه وبين كل الأشياء التي يريهاها !

إذن فالعرب يا إلهي لن يدخلوا فردوسك وهم يحملون فقط الحقد النفسي والأخلاقي واللغوي والديني والطبيعي الذي رأيت ورويت وأعلنت مفجوعاً مذعوراً حزيناً يائساً، بل سوف يدخلونه وقد تضاعف وتعظم حقدهم هذا تضاعفاً وتعظماً يعجز خيالك يا إلهي وخيال جميع سكان سمواتك أن يتصوره أو يقرأه أو يحقد فيه .. نعم، سوف يدخلونه حاملين معهم كل ما في الكون والطبيعة من طاقات الحقد والبغض والفحش والأنانية والعدوانية والتعصب الأحقق البذيء محولاً كل ذلك إلى مواهبهم هم ومعبراً عنه بها !

.. إذن يا إلهي هل يمكن أن توجد شرور أو احتمالات شرور أو مواقع تجمع للشرور مثل فردوسك ومثل شروره واحتمالات وحتميات شروره؟

إذن كم يجب الرثاء والبكاء والأسى على فردوسك هذا الذي سوف يخلف فيه أبناء العروبة وحدهم، وحدهم تقريباً .. أبناء العروبة الذين لم تسرف الطبيعة أو تسرف الآلهة في عطاياها مثل إسرافها حينما أعطتهم وزرعت وصنعت وأصلت وخلدت فيهم مواهب الحقد والبغض والمعاداة والمخاصمة والمشاتمة والمناطحة والعدوانية بكل صيغها وتفاصيلها ونياتها وتعبيراتها وبذاءاتها وسوقياتها؟ إن أحقاد العرب وعداوتهم ومخاصماتهم وبغضهم وخلافاتهم بلا شروط لا تعبيرية ولا عقلية ولا حسابية مع أن هذه الرذائل هي أشد الأشياء احتياجاً إلى الشروط .. ليتك يا إلهي تستطيع أن ترى كما يجب أن ترى وكما أريدك أن ترى لكي أقول لك انظر بجزء من عينيك إلى عرب اليوم بكل خصوماتهم وعداوتهم وملاعناتهم وتهديداتهم واتهاماتهم ومفاخراتهم المتبادلة المتبارزة المتحاقدة المتباغضة بكل هذه البذاءات والنذالات والقبح، ولكي أقول لك: إن هؤلاء بكل رذائلهم هذه سوف يخلدون في فردوسك أي وحدهم تقريباً !

هل يمكن أن يصاب أحد بالذعر أو الافتضاح أو اليأس أو الكآبة أو بالعار الذي لا بد أن تصاب أنت به حينئذ؟

.. ولكنك يا إلهي لا تستطيع أن ترى أو تسمع لهذا لا أستطيع أن أعاقبك هذا العقاب .. إن في الصمم والعمى والبلادة والخمول أحياناً لراحة ونجاة وعزاء وعذراً ولا سيما إذا كان المصاب بذلك هو الإله !

لعل أذكى التفاسير لعماك وصممك وخمولك وبلادتك يا إلهي أن يقال أنك قد أصبت نفسك بذلك لثلاث ترى العرب أو تسمعهم أو تحاول أن تفهمهم أو تفسرهم أو تقرأهم بعد أن رأيت أو سمعت أو قرأت شيئاً منهم أو بعد أن تصورتهم . .

. . وهنا أي في هذه القضية شيء مؤلم وحزين أنت حتماً يا إلهي لم تفتن إليه وهو أن كل أحد قد يرفض أن يكون من سكان فردوسك هذا الذي سيكون سادة مكانه وملاكه هم أبناء العروبة . إنه لاحتمال مزعج . .

. . . إن التعايش والتعامل مع العرب قد يكون ممكناً أو مستطاعاً أو محتملاً ما لم يكونوا هم السادة والقادة والأقوياء، أو ما داموا يذلون كل عبقریات وحضارات وإنسانيات وعقول وأخلاق العالم بجبروت نفطهم الذي هو ليس نفطهم ولن يمكن أن يكون نفطهم إلا بقدر ما يمكن أن تكون طاقته وقوته وجبروته وأخلاقه ونظامه وحضارته ولادة وإبداع طاقتهم وقوتهم وجبروتهم وأخلاقهم ونظامهم وحضارتهم، أو إلا بقدر ما يمكن أن يكونوا هم واهبيه ومعلميه كل مزاياه وسلطانته وانتصاراته أو إلا بقدر ما تساوي الذات أو الجسد ما تلبس أو يلبس من ثياب وأصباغ وحلى وزينات، أو إلا بقدر ما يساوي حامل الكتاب أو قارئه الكتاب الذي يحمله أو يقرؤه !

. . هل يمكن أن نتصور ما لا بد أن يحدث لو أن سادة العرب وقادتهم وحكامهم وأنبياءهم ومعلميهم كانوا هم السادة والقادة والأقوياء والمحركين الموجهين لكل العالم في هذا العصر، مالكين كل قواه وعلومه وفنونه وأساليبه ووسائله وكل إنجازاته وإبداعاته المختلفة؟

هل استطاع حينئذ تصور ما لا بد أن يصيب كل العالم والكون والحياة من خراب وعذاب وسفه وجنون وكبرياء وإذلال وطغيان؟!

لنتصور أن زعيماً أو قائداً أو حاكماً أو أحداً من هؤلاء الزعماء والقادة والحكام العرب الذين نراهم ونسمعهم اليوم يصرخون فوق منابر الدنيا ويبصقون ويتقيأون على مسامع وعيون وعقول وأخلاق ونظافة كل العالم تحدياً وسباباً وتهديداً وتباهياً ولا سيما من يحسبون ويزعمون ثواراً أو ثوريين عرباً . . ثوريين اشتراكيين أو ثوريين إسلاميين . .

وهل يوجد فرق بين الثوري الاشتراكي العربي والثوري الإسلامي العربي؟

أليس كلاهما ثورياً إلى الراء؟ وهل توجد ثورة أو ثورية أم يوجد إنسان يسمى ثورياً وثورة؟ أليس من لا يحسب ثورياً هو أحياناً أكثر ثورية من كل الثوار؟

.. نعم، لتتصور أن واحداً من هؤلاء العرب يملك كل الأسلحة المختلفة التي يملكها العالم اليوم ويحكم بل ويملك كل صانعي ومبتكري كل هذه الأسلحة، أو أنه قد أصبح أقوى من يملكونها ويحركونها ويوجهونها ويطلقونها ويهددون بها.. ولكن كم هو رهيب ومزعج تصور ذلك.!

.. لتتصور كل ذلك لكي ينتحر خيالنا وتفكيرنا لئلا يتصورا أو يفهما ما لا بد أن يحدث حينئذ من الرزايا والأهوال والدمار والقبح والإذلال والجنون الخارج على أخلاق وذكاء ووقار ومنطق وأسلوب كل جنون..

إنه تصور فقط. إذن ليكن الانزعاج غير قاتل.!

.. هل نستطيع أن نتصور ما سوف يقول لنا تصورنا لو تصورنا أن علماء وشعب قائد ثوري عربي من هؤلاء القادة الثوريين العرب المعاصرين ومثلهم من قبلهم وبعدهم هم أي علماء وشعب هذا القائد الثوري العربي أول من هبطوا فوق القمر أو أول من أطلقوا السفن والصواريخ الكونية، أو أول من صنعوا وفجروا القنابل النووية وعرفوا أسرار وتحويل الطاقة الذرية أو هم كل من عرف وفعل كل ذلك؟

إن كل تقوى العرب وفضائلهم ووقارهم وحبهم وتهذيبهم في أنهم ليسوا الأقوى أو الأعرف أو الأعلم أو الأذكى أو الأكثر..! رهيب، رهيب أن يصبحوا أي العرب هم أقوى من يريدون ويأمرون ويدبرون ويحكمون ويفعلون.!

.. أما الفردوس فإن العرب سوف يكونون فيه هم الأقوى والأعلى والأعظم والأسود والأكثر.. إذن هل يمكن تصور بشاعات وقبح هذا الفردوس؟

.. إذن افزعوا، افزعوا يا سكان الفردوس ويا حراسه وموظفيه وزواره وعشاقه وطلابه، افزعوا، افزعوا لأن العرب سيكونون حكام الفردوس وحدهم دون أية قوة أخرى أقوى منهم تضبطهم وتزجرهم وتخيفهم وتعلمهم وتؤدبهم وتحددهم وتحكمهم وتضطرهم إلى أن يبدوا صيغاً بشرية.!

.. إذن هل يمكن أن يقبل أحد أن يكون من سكانه أي سكان الفردوس أو من زواره أو عشاقه أو طلابه أو من حراسه وموظفيه إذا عرف أو لو عرف هذه الحقيقة أي إذا عرف أو لو عرف أن الشعوب العربية التي نراها ونسمعها ونقرؤها اليوم سوف تكون هي وقادتها وزعمائها الثوريون الذين نراهم ونسمعهم ونقرؤهم ونعرفهم ونقاسي منهم اليوم كل العار والافتضاح والهوان والقبح والهزائم والحقاقات.

- نعم، ستكون هي وقادتها وزعماؤها هؤلاء هم سكان الفردوس وهم القادة والزعماء والحكام والأكثرين الأقدرين فيه أي في الفردوس؟

.. ففكر يا إلهي في هذه القضية فقد يعصيك حينئذ كل من تريد أن تدخلهم فردوسك هذا أو أن تحولهم إلى حراس وموظفين فيه .

ففكر يا إلهي الذي لا مثيل له في عجزه عن التفكير ولا مثيل له في حاجته إلى التفكير .! . نعم، هل يوجد مثل الإله عجزاً عن التفكير واحتياجاً إلى التفكير؟

إنه لا أحد غير الإله يبصق ويستفرغ ويفرز كل أفعاله بلا أي تفكير أو تدبير . . اسمعوا، اسمعوا أيها الباحثون عن الفردوس المشتاقون إليه المؤمنون العاملون من أجل الخلود فيه .

.. اسمعوا واعلموا أن سكانه وقادته وزعماءه وحكامه المنفردين وكل سلاطينه وأنبيائه ومعلميه ومنظميه سيكونون جميعاً من العرب، من نماذج قاداتهم وزعمائهم وأنبيائهم وثوارهم وتقدميهم الذين سمعتم ورأيتم وجربتم وقرأتم وقاسيتم وفجعتم بهم ومنهم طويلاً، طويلاً، ماضياً وحاضراً أو مستقبلاً . . حدقوا، حدقوا في عرب اليوم . هل تقبلون أن تكونوا من رعاياهم أو مواطنيهم؟ إن دخولكم الفردوس يجعلكم ذلك!

.. إنه لواجب لكم وعليكم أن تعرفوا ذلك لئلا تقعوا في الخدعة الكبرى التي لا يمكن تصور ما يساويها في بشاعة وقبح نتائجها أعني التورط بدخول الفردوس الذي ستحكمه حكماً مطلقاً متفرداً أخلاق وعقول وأحقاد وعداوات وخصومات ومشاتمات ووقاحات ونذالات الزعامات والقيادات والنبوات والثوريات العربية التي تكاد الحشرات بل أردأ وأبلد وأنذل الحشرات أن تتفجر أو تنتحر أو تهرب من هذا الكون أو تضرب عن التوالد وعن ممارسة الجنس انفجاعاً واستحياءً واشمئزازاً واستقباحاً واستنكاراً كلما رأت أو سمعت أو قرأت أو فسرت أو عرفت أو ساكنت أو عاملت أو واطنت شيئاً من هذه الزعامات والقيادات والنبوات والثوريات العربية المعاصرة التي فرضت على إنسان هذا العصر كله أن يصاب بكل أنواع الغثيان والتقيؤ النفسي والفكري والأخلاقي والإنساني والحضاري لتقيؤها وبصقها من فوق كل منابر على كل قيمه ومعانيه وثيابه الإنسانية والحضارية والعقلية والأخلاقية دون أن يستطيع الهرب أو الوقاية أو الحراسة منها أو أن يغلق أبوابه ونوافذه أو آذانه أو عيونه أو حتى منابر أو محاربه أو اهتماماته أو مؤتمراته دون أي شيء أو نوع من تقيؤها أو استفرغها .!

احذروا . . احذروا . .

إن الفردوس سيحكمه ويملكه ويصوغه ويتحكم فيه ويكون الأقوى الأكثر فيه
العرب بكل زعاماتهم وقياداتهم ونبواتهم وأخلاقهم وأفكارهم وعداواتهم وأحقادهم
وخصوماتهم ومنافساتهم وملاعناتهم وكبرياتهم وادعاءاتهم وبداعاتهم . سيكون كل رعايا
للعرب . !

إذن هل يطاق أو يقبل المقام فيه؟

إذن أي عقاب أو عذاب يساوي المقام فيه؟

حديثك عن غلمان الفردوس تحريض على الشذوذ الجنسي واتهام لك ولمن خاطبت بذلك

لا بدّ أن أتصورك يا إلهي تقاسي في هذه اللحظات أقسى وأقصى حالات العذاب والحزن واليأس والانفجاع والخجل ومشاعر الهزيمة والخيبة بل والإذلال بعد هذه الجولة التفتيشية الكثيرة الفاضحة في فردوسك التي عرضتها وقرأتها عليك بكل الاستحياء والرغبة ولكن أيضاً بكل الصدق والجرأة بل وبكل المقاساة النفسية والعقلية والأخلاقية. إن الجولة في العذاب عذاب، أما في أقبح القبح فهي أكثر من عذاب وهذه الجولة جولة في أقبح القبح.

.. وإني لأنتظر منك بل وأطالبك ألا تنزعج أو تدعر أو تغضب إلى أن تعجز عن الاستماع أو ترفض الاستماع إليّ بوقار وصبر وفطنة وتحمس بل وبشوق ولهفة وفرح ورغبة في الفهم والتقبل حين أقول لك ولأنني أريد أن أقول لك مضطراً يا إلهي: إنني محتاج إلى أن أستمّر أقرأ عليك وأسمعك مستقبل أخلاق وأوضاع وتشوهات فردوسك. إن قضية فردوسك هذا قضية كبيرة جداً. إنها تستحق كل الاهتمام والجهد. إن ها هنا خدعة عالمية بل كونية عظيمة!

.. لقد بدأت التفتيش عليه والقراءة والتفسير والرؤية له والرحلة المحدقة المحاسبة في أحشائه ومخابئه. إن ما أسمعتك وقرأت وفسّرت لك ليس إلاّ البداية الأليمة لجولة طويلة في أسوأ وأردأ مكان قد جند كل شيء لكي يزعم ويقنع بأنه أجمل وأعظم مكان بل بأنه كل الجمال والعظمة والروعة والحب والسعادة والمستقبل البشري!

.. إنها أي الجولة في فردوسك بالقراءة والتفسير والتفكير والتحديق والمحاسبة لهي أقسى وأعجب وأفجع جولات أو رحلات أقسى العذاب وكل العذاب وأبشع العذاب. أعني العذاب الذي هو في كل تفاسير أكثر وأقسى من العذاب. إنه العذاب والتعذيب لكل معاني الإنسان وليس لجسده فقط!

.. إنه لا أحد يستحق الإعجاب والشكر أو الرثاء والعزاء أو الاشمئزاز والاستنكار والغضب مثل من يقبل أن يقوم بهذه الرحلة أو الجولة مختاراً أو مكرهاً أو مثل من يقبل أو يستطيع أن يرويها أو يصفها أي مثلما فعلت أنا .

إنها رحلة أو جولة بلا أي نموذج في أي تفسير أو نهاية من تفاسيرها أو نهاياتها ..

إنها جولة أو رحلة في أقبح وأغبي أسطورة تخيلها ووصفها أقبح وأغبي خيال !

هل يمكن أن يوجد نموذج للتعذيب والترويع والتفجيع مثل رحلة أو جولة التفكير والتحديث والتفسير والمحاسبة والمساءلة في منطق وضمير وأخلاق وسلوك هذا الوجود، أو في منطق وضمير وأخلاق وسلوك مخططة ومدبره ومريده وخالفه الجالس المستوي المسترخي بكل الكبرياء والسذاجة والرضا والفرح فوقه يضاحك ويغازل نفسه، أو في أحشاء ومخابئ وتفسير هذا الفردوس المزعوم؟

.. إنني لأرجو وأنتظر يا إلهي ألا تكون أقل تحملاً بل واقتحاماً للعذاب الواجب النبيل الشجاع ممن يواجه ويروي ويرى ويقرأ ويفسر لك كل هذا العذاب منفذاً ومقتحماً رحلته أو جولته في فردوسك هذا فوق وتحت وبين كل الأهوال النفسية والفكرية والأخلاقية بل والجسدية الذاتية أي ألا تكون أقل تحملاً واقتحاماً مني أنا الغريق في قراءة قبائح فردوسك!

إنني قادم من رحلة تفتيشية إنسانية في دمامات وبلاغات فردوسك . إذن هل يوجد عذاب مثل عذابي؟

.. هل يمكن تصور متحمل مقتحم للعذاب الواجب النبيل الشجاع مثل من يقوم برحلة أو جولة بعقله أو بضميره أو برويته أو بأخلاقه أو بقراءته وروايته أو حتى بتصوره داخل فردوسك هذا يا إلهي الغائب أبداً عن أن يكون رائياً أو مرئياً، سامعاً أو مسموعاً، فاهماً أو مفهوماً، قارئاً أو مقروءاً، عاقلاً أو معقولاً؟

إذن يا إلهي كم أستحق عليك من التعويض التكفير في حسابات نخوتك وعدالتك وضخامتك؟ إن عليك أن تتصور ما قاسيت من عذاب وأهوال رحلتي التفتيشية داخل فردوسك قبل أن ترى ماذا أستحق وكم أستحق عليك من التكفير والتعويض بل وغير ذلك ..

وقد أتقبل منك كل ما قد تفعله وتراه تعويضاً وتكفيراً . والشيء الواحد الذي لن أقبله هو أن تفكر في التنازل لي عن ألوهيتك أو عن شيء منها أو في أن تجعلني من سكان فردوسك أو من حراسه وموظفيه .

.. نعم، أرفض أن أكون إلهاً أو جزءاً من إله لأنني لا أملك الوقاحة أو القسوة أو
البلادة أو البلاهة التي لا بد أن يملكها إله هذا الكون وكل إله لأي كون آخر..

.. ولست أرفض ذلك كبراً أو تواضعاً أو فراراً من التبعات والالتزامات أو
المسؤوليات الكبرى. إن من يقبل أن يكون إله هذا الكون أو أي كون آخر فلن يوجد
مثله في جنونه أو في وقاحته أو قسوته وبلادته أو بلاهته أو في كل ذلك..! من ابتكر
الألوهية والآلهة أو تصورها وتصورهم؟

من أول من فعل أو رأى أو أراد ذلك؟ كيف وجد من أراد أو رأى أو فعل ذلك؟

.. أما رفضي لأن أكون من سكان فردوسك فلا بد أن تكون قد عرفت ولا بد أن
تعرف أسباب رفضي لذلك مما قرأت ومما سوف أقرأ عليك ولك عن جولتي ورحلتي
التفتيشية في أعماق وأحضان وغرف وسرر فردوسك يا إلهي المطرود من كل الأعماق
والأحضان والغرف والسرر ولا سيما أعماق وأحضان وغرف وسرر العاشقين
والمخادنين والمتزوجين لك بكل منابرهم ومحاريبهم ومعابدهم وأصواتهم وتعاليمهم
ونبواتهم وتلاواتهم وآيات قرآنتهم وقرآنك..!

آه يا إلهي. ما أكثر العاشقين والمخادنين والخاطبين والمتزوجين لك دون أن توجد
في قلب أو عشق أو حضن أو سرير واحد من هؤلاء..! إنك يا إلهي أنت المعشوق
الخدن الزوج المنفي أبداً خارج البيت وخارج غرفة النوم وبعيداً عن السرير بل خارج
القلب والشوق، بل المرفوض الممقوت لقاءه، بل المهروب من لقائه بكل الأساليب
والوسائل الذليلة المهينة الفاضحة..!

هل يوجد معشوق محبوب كل العشق والحب ومع هذا ممقوت مكروه مرفوض
كل المقت والكره والرفض لقاءه مثلك أو غيرك يا إلهي؟

.. إنه لا يوجد مثلك يا إلهي مذكوراً ولا مثلك مهجوراً..!

ولعل أعجب وأردأ ما فيك وما في قضيتك يا إلهي أن عاشقك ومحبيك ومريديك
ومخاطبيك والمتوجهين إليك بكل الشوق واللهفة والتضرع والهوان والدموع هم أكثر
وأقبح رفضاً وبغضاً ولعناً للقائك من رافضيك ومنكريك. هل تعرف يا إلهي تفسير
ذلك؟ هل فكرت في ذلك؟

هل غاظك وآلمك جداً ذلك؟ هل غاظك وآلمك إلى حد القتل أن وجدت أنبياءك
وأوليائك وعشاقك ومريديك والمجانين بحبك وبالشوق إليك وبمناجاتك يكرهون

ويرفضون ويلعنون لقاءك أكثر جداً من أعدائك؟ هل رأيت أو قرأت كيف يجن أنبياءك وأولياؤك وأحبائك خوفاً من لقاءك؟ هل وجدت كائناً يخاف لقاءه مثلما يخاف لقاءك؟ . .
إني هنا أفترض أنك يا إلهي قد عرفت هذه الحقيقة . فهل أنا أبله جداً في افتراضي هذا؟ أو هل أنا مبالغ جداً في تفسيري وتقديري لك!

أي الاحتمالين تختار يا إلهي الذي لا يوجد مثله احتياجاً إلى الاختيار ولا يوجد مثله عجزاً عن الاختيار وحماقةً وخطأً وسخفاً وبلادةً وقسوةً وافتضاحاً في اختياره أي لو اختار؟

. . اسمع يا إلهي ماذا قلت كما روى عنك نبيك العربي الذي زعم أنك قد أغلقت بنوته كل أبواب ومنافذ السماء لئلا يأتي بعده نبي آخر . نبي العرب أغلق كل الطرق التي يأتي منها وحي السماء إذن مجد العرب قاهر لمجد السماء .!

. . اسمع ماذا قال عنك . إني بمحاولتي أن أسمعك ماذا قال وروى عنك أفترض أنك قد نسيت ما قلت له وما قال هو راوياً عنك أو أنك قد تنسى .! . هل يغيظك ويؤلمك اتهامك بالنسيان؟ أليس هذا الاتهام دفاعاً جيداً عنك؟ أليس هو البديل عما هو أقبح وأوقع وأسف؟

. . فهل أجرؤ على أن أضع في افتراضاتي هذا الافتراض؟

إن كل التجارب والرؤى لك تلزمني بأن أفترض هذا الافتراض .!

ولكن هنا افتراض آخر لا يمكن ولا يجوز إغفاله . .

إن الذي روى وقال عنك ذلك هو عربي . . نبي عربي .!

آه . ماذا تعني أو تساوي رواية العربي أو حتى رواية النبي العربي عن الإله، عن الإله العربي؟ هل جربت وعرفت ماذا يساوي ويعني العربي راوياً وأيضاً مروياً ومروياً عنه؟

وهل النبي العربي إلّا راوٍ عربي؟ وهل النبوة العربية إلّا رواية عربية ولكن مع مزيد من الوقاحة والسخافة والجرأة حتى الملاك الذي يأتي إلى النبي العربي راوياً له عن الإله لا بدّ أن يصبح راوياً عربياً .!

هل يساوي الإنسان العربي راوياً وقائلاً إلّا ما يساويه مفكراً وعالمياً وملتزمًا ومبدعاً؟ أليست ألسنة العرب وأذانهم وعقولهم وعبقرياتهم متكافئة لا تتفوق أية قبيلة منها على القبيلة الأخرى في أية مزية أو رذيلة؟

. . أليس الاستماع إلى جميع أجهزة الكلمة العربية ولا سيما في هذا العصر يفسر ماذا يساوي الإنسان العربي راوياً وقائلاً ومفكراً وعالمياً ومبدعاً وملتزماً، ويفسر أيضاً ماذا يساوي ويعني النبي العربي راوياً عن الملاك عن الإله عن السماء؟

وأيضاً أليس ذلك يفسر ما يعنيه ويساويه قول ورواية الإله المتخاطب والمتعامل مع الإنسان العربي . . في العالم العربي وفي التاريخ والعقل والأخلاق العربية؟ هل يساوي إله الإنسان العربي إلا ما يساويه الإنسان العربي؟ أليست قراءة أحدهما قراءة للآخر؟

. . هل يمكن أن يكون أي إله أفضل أو أعظم من القوم الذين يتعامل معهم؟
. . إذن لماذا لا يهيبهم ما هو به أفضل أو أعظم؟ هل يمكن تفسير ذلك بأنه حاسد أو عاجز أو أناني أو عاشق لفقدتهم هذا الأفضل الأعظم؟

لو أن حاكماً أو زعيماً أو نبياً يملك أفضل وأعظم المزايا في ذاته وكان يستطيع أن ينقل إلى شعبه هذه المزايا ثم لم يفعل ذلك فبماذا يجب أن يمكن أن يفسر هذا الحاكم أو الزعيم أو النبي؟

إذن بماذا يجب أو يمكن أن يفسر الإله الذي لا يهب عباده المزايا التي يريدونها ويطلب بها ويفرض الالتزام بها ويستطيعها بلا أية معاناة عضلية أو فكرية أو نفسية والتي تفرحه وتسعده وترضيه جداً وتهبه المجد والجمال والانتصار، والتي يصنع له فقدتها الغضب والغيط والحسرة والهزيمة؟ نعم، بماذا يمكن أو يجب أن يفسر ويفهم مثل هذا الإله؟ أليس من يجد تفسيراً لهذا الإله ويفهمه هو أفسى حاج لكل التفسيرات والأفهام؟
كيف أمكن تصور مثل هذا الإله أو مثل هذا الكائن المسمى إلهاً؟ كيف أمكن أن يوجد من يستطيع أو يقبل تصوره؟

من هذا الإنسان أو الكائن الأول الذي كان أول من استطاع وتقبل أن يتصوره؟ كيف أمكن أن تغفر أخلاق الإنسان وعقله ومنطقه وضميره وكرامته لمن كان أول من تصور ودعا إلى تصور وعلم تصور هذا الإله أو هذا الكائن المزعوم إلهاً؟

إن البشر في كل تاريخهم لم يفقدوا ويذلوا ويهينوا ويهزموا ويشوهوا كل عقولهم وضمائرهم وأخلاقهم ورؤاهم بل وإيمانهم وتقواهم بكل الافتضاح والبلادة إلا أمام فكرتهم عن هذا الإله وإيمانهم به ورؤاهم له ودفاعهم عنه وتسخير أفكارهم وفصاحتهم وأوقاتهم بل وعبقريتهم تفسيراً وتمجيداً وتديلاً على كماله وجماله . !

هل هان وافتضح الإنسان مثلما هوانه وافتضاحه حينما ذهب بذلك على وجوده هذا

الإله؟

هل كان تصور مثل هذا الإله تعبيراً عن ضخامة البلادة وإرادتها أم تعبيراً عن ضخامة الافتضاح والسقوط وإرادتهما؟

هل محتوم على الإنسان أن يكون غيباً بقدر ما يكون ذكياً وعبقرياً، وأن يكون هابطاً بقدر ما يكون وبقدر ما يستطيع أن يكون صاعداً، وأن يكون ضعيفاً جباناً مستسلماً بقدر ما يكون ويستطيع أن يكون قوياً وشجاعاً ورافضاً، وأن يكون لئيماً بقدر ما يكون ويستطيع أن يكون كريماً عظيماً؟

.. هل الطبيعة أو الآلهة تعاقبه على تفوقه ومزاياه بأن تصيبه بالنقيض وتفرض عليه أن يكون هذا النقيض؟

هل الطبيعة أو الآلهة حاسدة لتفوقه ولمزاياه فعبرت عن حسدها بأن ذهبت تشوه وتفسد وتضعف تفوقه ومزاياه بشتى الأساليب والحيل اللثيمة التي أقبحها وأقواها أن جعلته يتصور مثل هذا الإله أو مثل هذا الكائن المدعو إلهاً؟ كم أذعر وأعجز عن الفهم والتفسير حين أفكر أن هذا الإنسان الذي أبدع كل هذه الإنجازات الحضارية قد استطاع وتقبل أن يتصور هذا الإله.!

.. كيف أمكن أن يجيء أذكى الكائنات أغباها، وأقواها أضعفها، وأشجعها أجننها، وأعلمها أجهلها، وأكثرها حرية وبحثاً عن الحرية أكثرها عبودية وبحثاً عن العبودية وإرادةً وتشيداً للعبودية ولأمجاد العبودية؟

كيف أمكن أن يصاغ هذا الكائن؟ كيف اهتدى صائغه إلى صياغته واستطاع ذلك؟

.. كيف أمكن ذلك؟ كيف لم يتجمع جميع الدارسين والمفكرين والعلماء والشعراء والمفسرين المحللين المعالجين من كل الشعوب وفي كل التاريخ ومن كل الانتماءات لكي يدرسوا ويفهموا ويعالجوا هذه القضية؟

أليست هذه القضية أعظم وأحدّ وأكثر إساءةً وضرراً أو نفعاً من جميع القضايا الأخرى التي يحدث دائماً التجمع العالمي لدراستها وفهمها وعلاجها ولمحاولة اتقاء أضرارها؟

هل البشر متآمرون ضد أنفسهم في هذه القضية وأيضاً في قضايا أخرى؟ هل التآمر ضد النفس قانون وضرورة من قوانين وضرورات الحياة والوجود؟ أليس اتهام البشر بهذا التآمر أنبل من اتهامهم بكل هذه البلادة؟

هل القضية هكذا وتقرأ وتفسر وتفهم هكذا:

أنا موجود وحي إذن أنا متأمر ضد نفسي، ضد وجودي وحياتي؟
هل الوجود والحياة جريمة وعدوان لهذا لا بد من التأمر ضدّهما، لهذا لا بدّ أن يتأمرا أي الوجود والحياة ضد نفسيهما؟

هل كل موجود يرى أن وجوده قد اعتدى عليه بمجيئه إليه ليصبح محكوماً عليه بالوجود وأن كل حي يرى أن حياته قد اعتدت عليه بحلولها فيه ليصبح محكوماً عليه بأن يكون حياً، لهذا لا بدّ من أن يعاقب كل حي حياته وكل موجود وجوده؟

.. هل هذا هو التفسير أو بعض التفسير لهذه القضية أي قضية تصور مثل هذا الكائن المحسوب إلهاً أي تصور وجوده وجماله وكماله وذكائه ولا سيما حينما يخترق كل حدود وقوانين وتفسير الجمال والكمال والذكاء بكل القبح والفضح والفحش؟

أليس هو أبداً مخترقاً لكل الحدود والقوانين بكل الشمول والافتضاح؟
أم إن جميع التفاسير تعجز وترفض وترهب وتنكر أن تكون شيئاً من تفاسير هذه القضية أو أن تتهم بذلك؟

وهل يوجد تفسير لأي شيء؟ أليس كل تفسير هو إعلاناً للعجز عن وجود أي تفسير؟

أليست كل التفاسير اعتذاراً عن ضياع وفقدان كل التفاسير؟
أليس كل تفسير يصبح محتاجاً إلى التفسير أكثر من احتياج الشيء أو الوجود أو الموجود أو القضية أو المشكلة التي زعم أنه فسرها؟ هل احتيج إلى التفاسير وإلى البحث عنها لأنها موجودة ومفهومة أم لأنها مفقودة ولا يمكن أن تكون موجودة أو مفهومة ولا يمكن أن تكون مفهومة مهما كانت موجودة؟

.. أجل، هل أمكن تصور كائن خارج على كل احتمالات وتفسير الوجود والأخلاق والكمال والجمال والذكاء والعقل والمنطق مزعوماً كل الوجود والأخلاق والجمال والكمال والذكاء والحب والعقل والرحمة والمنطق؟

نعم، لقد أمكن بل لقد وجد هذا التصور حينما أمكن ووجد تصور الإله..! لقد أصبح التصور للإله هو التصور الذي لا يمكن تصوره..!

آه أيها الإنسان. إنك لم تهج تصوراتك وكل قيمك ومزاياك الإنسانية مثلما هجوتها حينما تصورت الإله، وإن جميع تصوراتك لم تهجك مثلما هجاك تصورك للإله..! ما أقسى هجاءك لنفسك في هذه القضية؟

إن البشر لم يجنوا مثلما جنوا حينما آمنوا وأعلنوا أن فوق هذا الكون، أن فوق كل وحدات وحشرات وعاهات وتشوهات وأنات وذرات هذا الكون وفي داخلها، في داخل كل صيغها وتفاصيلها وأخلاقها إلهاً لا يمكن ولا يجوز تصور مثل قوته أو رحمته أو شهامته أو محبته أو عدالته أو كماله أو جماله أو ذكائه أو حنانه أو شجاعته أو رؤيته أو حماسه .!. آه كم هو صغير وضئيل ودميم وبائس ووقح هذا الكائن الذي قبل واستطاع أن يكون بكل مواهبه وأخلاقه وتفاصيله وعواطفه داخل حشرة أو عاهة أو ذرة من هذا الكون!

. . إنه إذن لصدق وحق أن يقال إنه لم يوجد متآمر على عبقریات الإنسان وفاضح مفسد مهين لها مثل الإله، أي مثلك يا إلهي أي مثل الإيمان بك .

. . إن جميع بلادات وجهالات وسفاهات وفضائح الإنسان لن تكون شيئاً مذكوراً أو محسوباً أو مشيراً أو حتى مرئياً لو حوسبت بإيمانه وإعلانه وادعائه أن فوق وداخل أخلاق ومنطق هذا الوجود كائناً كاملاً بكل تفاسير ونماذج وشروط وحدود الكمال المطلق، المطلق . .

إن منظراً واحداً من أحداث ونماذج وعبث هذا الوجود لهو أقسى تسفيه وتجهيل وهجاء لمن يرون في هذا الوجود أي جمال أو منطق أو أخلاق أو تدبير أو مجد لأي كائن مهما كانت نقائصه .!

. . إن أبلد وأجهل الحشرات تستطيع أن تفخر بذكائها وعلمها وكرامتها وكبريائها لو أنها حاسبت نفسها بالإنسان مؤمناً بالكائن الكامل المطلق الكمال الجالس فوق كل شيء والمختبئ داخل كل أعضائه وغدده وخلاياه وذراته ونبضاته أي داخل أعضاء وغدد وخلايا وذرات ونبضات كل شيء . آه . كم فوق جسد هذا الكائن المختبئ داخل كل شيء من الأحوال والعفونات والتشوهات والاستفراغ والبصاق؟

كيف تقبل أو تستطيع رؤية جسده؟ هل تستطيع كل البحار والأنهار تنظيفه؟

. . إن كل عبقریات وإبداعات وإنجازات الإنسان لا تستطيع بل لا تجرؤ أو تحاول أن تكون تكفيراً أو اعتذاراً أو حتى استغفاراً عن إيمانه هذا .!

بل لعلها أي كل قفزات الإنسان الحضارية تخجل من الانتساب إلى الكائن الذي آمن هذا الإيمان بهذا الإله!

. . القلم الآن يرتجف في يدي محققاً في الورقة التي في يدي . إنه يرتجف ذعراً وانفعجاً واستحياءً، لأنه يعرف ماذا أريد أن أفعل به .!

آه . هل يوجد مظلوم محقر مهان ملوث معتدى عليه مثل القلم والورق في اليد العربية .؟ في يدي . آه . في يدي أي ولو في هذه اللحظة إنه أي القلم في هذه اللحظات ليبيكي ويتضرع ويصلي وينظر إليّ وإلى يدي البدوية الظالمة العدوانية القابضة عليه المسددة له إلى الورق . . إنه يصلي ويبكي ويتضرع وينظر بلهفة وحرقة إليّ وإلى يدي راجياً مطالباً ألا أكتب به ما عرف أو ظن أنني أريد أن أكتبه به . أليس كل قلم في أية يد عربية يعرف مهما كانت سذاجته وجهالته أنه لن يكتب به ما يفرحه أو يرضيه أو يهبه المجد أو الافتخار بل لن يكتب به إلا العار والافتضاح؟ أليس محتوماً أن ترفض كل الأقلام أن تصدر أو تستورد إلى العالم العربي لو كانت تختار وتشتط لنفسها؟

. . إذن تجلد، تجلد أيها القلم البائس المسكين . إن العرب يعتدون على كل شيء يتعاملون به ومعه وعليه وليس عليك وحدك . . !

حتى الإله . إنهم لم يعتدوا على شيء أو أخذ مثل اعتدائهم على الإله . !

وإن أي كائن لم يصبه من الاعتداء مثل الإله الذي آمن به وتعامل وتخطب معه وبه وعليه العرب . . ! . إنه لا مهجو ولا محقر ولا مذموم مشتوم مثل الإله في فم الإنسان العربي وفي قلبه وعقله ورؤاه وتعاليمه وتفسيره وفي انتظاره له ومنه .

. . إذن أيها القلم تجلد . واصبر وقل واكتب بتسامح وفداءٍ ما أريد وأطلب منك أن تقوله وتكتبه . !

ولا بدّ أن أعتذر إليك يا قلمي بكل لغات وتفسير الاعتذار . .

وقد تقول بكل الاندهاش والتعجب والحيرة: وهل يحدث أن يعتذر أي عربي إلى قلمه أو إلى أي قلم؟ وهل يمكن أن يرى العربي أن للقلم أي شرف أو حق أو كرامة يجب الاعتذار إليه إذا اخترق أو أهين أو لوث شيء من شرفه أو كرامته أو حقوقه؟

لهذا أرجوك أيها القلم ألا تنكر انتمائي العربي أو تشك فيه لأن كل تجاربك تقول لك إن كل العرب في كل تاريخهم لا يرون أن للقلم أية حصانة أو كرامة أو حدود تجب حمايتها وصيانتها . !

وقد يجب عليك أو يجوز لك أن تتقبل أن العربي قد يصاب بالتغير وبالتخطي للذات والتاريخ والآبار والمقابر . لمقابر الأنبياء ومقابر الجاهلية . .

أليست كل وحدات وقبائل وفصائل الطبيعة حتى الجماد تصاب بهذا التغير والتخطي حتى ولو لم ترد ذلك بل حتى ولو قاومت ذلك؟

أليست تصاب بذلك كما تصاب بالموت والضعف والتمزق والانهيـار؟ أليس التغير والتخطي للذات ضرورةً وقانوناً وليس تدبيراً أو تخطيطاً أو إرادة؟
أليس التدبير والتخطيط والإرادة أيضاً ضرورةً وقانوناً؟

لماذا ندبر ونخطط ونريد، أو لماذا نصل إلى طور التخطيط والتدبير والإرادة؟
أليس ذلك تعبيراً عن الضرورة والقانون؟

أليس ذلك يحدث بالأسلوب أي بالقانون الذي يحدث به الزلزال والطوفان والموت والمرض والشيخوخة؟

. . إذن هل يحتمل أو يقبل افتراض الإنسان العربي وحده مستعصياً على هذا القانون والضرورة عاصياً لهما، عاصياً ومستعصياً على أخلاق وقوانين الطبيعة التي لا بد أن تستجيب لها كل وحدات وقبائل وفصائل كل هذا الوجود؟

صعب افتراض الإنسان العربي بكل هذه القوة والعصيان أو بكل هذا الضعف والتبلد، أي افتراضه مستعصياً على قوانين الطبيعة وأخلاقها. !

إنه لصعب جداً افتراض هذا الافتراض. !

ولكن لكي لا نياس من خضوع واستجابة الإنسان العربي لهذا القانون الطبيعي الأزلي الأبدي الذي يخضع ويستجيب له كل شيء حتى الجماد والحشرات.

- نعم، لكي لا نياس من ذلك يجب علينا ألا نقرأ الإنسان العربي تاريخاً وماضياً وألا نحدق فيه حياةً وحاضراً، أو أن نقرأه ونحدق فيه. ولكن بعيون وعقول وأفكار ورؤى عربية، لأننا حينئذ أي لو قرأناه وحدقنا فيه بعيون وعقول ورؤى وأفكار عربية فلن يكون ذنبنا أو خطؤنا أن نعجز عن قراءته ورؤيته بل لا بد حينئذ أن نراه ونقرأه نقيضاً حاداً شاملاً لرؤيته وقراءته. . أن نراه ونقرأه ونفهمه ضد ما تقول قراءته ورؤيته وفهمه. ما أكثر الذين يرون ويقرأون ويفهمون ويفسرون كل شيء وكل أحد ضد ما تقول قراءته ورؤيته وفهمه وتفسيره. !

. . أليس الإنسان العربي مهما كان أمياً وفاقداً للأبصار يقرأ ويرى نفسه بل وكل الناس والأشياء أبداً ضد القراءة والرؤية أي قراءة ورؤية مضادتين للقراءة وللرؤية أي لما ترى وتقول الرؤية، ولما نقرأ وتقول القراءة؟ أليس الإنسان العربي هو الكائن الذي لا يستطيع أن يتعلم القراءة أو الرؤية بل أو الكتابة أي مهما قرأ ورأى وكتب؟

. . أليست وظائف عيون وعقول وقراءات الإنسان العربي هي دائماً ضد وظائف العيون والعقول والقراءات؟

هل يمكن أن يتهم أي عربي بأنه قد قرأ أو رأى أو فهم أو أراد أن يفهم كما يقرأ ويرى ويفهم ويريد أن يفهم القارئون والراؤون والفاهمون المریدون أن يفهموا؟

هل استطاع الإنسان العربي أن يرى أو يقرأ أو يفهم قبح وقسوة ونذالة الدمامات والعاهات والتشوهات والآلام، أو هل استطاع أن يصمت عن رؤية وقراءة وفهم وتفسير ذلك؟

أليس قد رأى وقرأ وفهم وفسّر كل ذلك ضد قراءته ورؤيته وفهمه وتفسيره؟

أليس قد رأى وفسّر وقرأ وفهم كل ذلك كل الجمال والفن والحب والرحمة والفرح والكمال والعبقريّة أي كل جمال وفن وحب ورحمة وفرح وكمال وعبقريّة الإله والكون والعقل والأخلاق وكل شيء؟

أليس كل عربي يصرخ هاتفاً مصلياً معجباً مؤمناً قائلاً: ما أجملك وأرحمك وأنظفك وأنبلك وأحكمك وأتقك وأذكاك يا إلهي .

- نعم، أليس يفعل ذلك كلما رأى أبناءه أو آباءه أو أهله أو كل الناس أو كل الكائنات أو كل الأشياء مصابين ومصابة بكل العاهات والتشوهات والدمامات والنقائص وبكل الإذلال والتعذيب والتحقيق؟ أليس كل نبي عربي وكل كتاب مقدس وغير مقدس عربي يصلي لجمال الإله ولحبه ورحمته وحكمته وشهامته وعبقريته كلما رأى تشوهاً أو عاهةً أو دمامةً أو مرضاً أو شيخوخةً أو موتاً أو ظلماً أو ألماً أو ذبابةً فوق طعام أعمى؟

. . أجل يا إلهي لقد قلت إن صدقت في قولك وصدق خاتم أنبيائك العربي فيما روى عنك - قلت وقال نبيك العربي القاتل النافي لكل الأنبياء الذين كانوا قبله والذين علموه وأوحوا إليه بنبوته ووهبوه الجرأة على أن يدعي النبوة، وعلموه وأوحوا إليه أن يرى الملاك، ملاك الوحي ويسمع صوته ويتلقى منه الوحي . . وأيضاً القاتل النافي المتهم اللاعن بل والمكفر لكل الأنبياء الذين يجيئون أو يريدون أن يجيئوا بعده .

- نعم، يا إلهي لقد قلت وقال نبيك هذا القاتل النافي لك الأنبياء والنبوات أي القاتل لكل نبي ونبوة بعده والملغي لكل نبي ونبوة قبله، نعم، قلت وقال:

إنك قد خلقت ووضعت وأعددت شيئاً قد يكون أكبر وأعظم وأجمل من كل خيال كما قد يكون أصغر وأقبح وأفضح من كل خيال أي أنك قد خلقت ووضعت وأعددت في الفردوس مسكن أنبيائك أوليائك وحكمائك وأصفيائك وجلسائك ولداناً أي غلماناً يهاب ويخجل كل الجمال أن يواجه أو يرى أو ينافس شيئاً من جمالهم أو أن يزعم أنه

شيء من جمالهم . . يحلون بحلى لا تطمع أو تجرؤ جميع حلى الكون أن تكون شيئاً من حلاهم أو أن تنافسها أو أن تحدد فيها أو أن تظهر أمامها . . لا تستطيع جميع درر البحار أن تساوي درة واحدة من الدرر المعلقة فوق آذانهم ولا تستطيع جميع القلادات أو الجواهر أن تساوي قلادة أو جوهرة من القلادات والجواهر المربوطة في رقابهم!

. . وإنهم أي هؤلاء الغلمان مخلدون في غلاميتهم وفي وظائفهم الولدانية الغلمانية، وإن من وظائفهم أن يكونوا ويظلوا عبيداً أي خدماً أبداً ليكونوا لهواً وفرحاً وحباً وضحكاً وسعادةً ونشيداً لسكان الفردوس من النساء والرجال الكسالى والسكرارى الخاملين المسترخين المعطلين المتعطلين العاطلين من كل عمل واهتمام وتفكير ونضال ليمارسوا فقط الجنس والسكر والكسل والأكل والبلادة والبله والتشاؤب والنظرات المتبادلة التي لا ترى أو تقرأ أو تفهم أو تتساءل أو تتعجب أو تدهش أو تنكر أو تخجل . . !

. . وإنهم أي هؤلاء الغلمان يظلون كل أوقاتهم يزينون ويمسحون ويغسلون ويلمسون وينظفون ويعطرون غرف وملابس ومضاجع وسرر نوم ساداتهم وممارساتهم السريرية ولعلمهم يشاهدون هذه الممارسات ويغنون لها ويحرضون عليها ويصنعون لها المشهيات والمقويات ويذكرون بها لئلا يحدث شيء من الإهمال أو النسيان أو الكسل . . طائفين عليهم بالكؤوس بل واضعين الكؤوس في أفواههم !

بل ولعلمهم أي هؤلاء الغلمان يذهبون يغنون ويرقصون ويهتفون ويصفقون لساداتهم هؤلاء حين ممارساتهم السريرية تحريضاً وتقوية لهم عليها وشحذاً لأسلحتهم !

. . نعم، لقد قلت يا إلهي: إنك قد خلقت ووضعت وأعددت وخلدت في الفردوس هؤلاء الغلمان الذين تحولت أي أنت يا إلهي إلى أعظم وأصغر مفتضح بالتغزل بهم، بجمالهم وحلاهم وغلاميتهم الخالدة أي كما روى عنك نبيك العربي القاتل لكل الأنبياء الآتين بعده والملغي المبطل الحاذق لكل الأنبياء الذين جاءوا قبله أي لكل الأنبياء الذين علموه وأوحوا إليه أن يدعي النبوة وأن يجرؤ على ادعائها وأن يتعلم ويقلد كيف يدعيها وأن يأخذ عنهم ومنهم كل دعاوهم وأساليبهم ولغاتهم مع بقاء الفروق التي لا بد منها بين المتعلم والمعلم، وبين الآخذ المقلد المأخوذ عنه ومنه . قد تكون الفروق بين أنبياء الشعوب مساوية للفروق بين الشعوب . إذن كم هي الفروق بين نبي العرب وأنبياء الآخرين؟

. . أجل يا إلهي لقد تغزلت بهؤلاء الغلمان حتى لقد أصبح الرثاء والعطف عليك

واجباً لعنف عذاب غرامك بهم بل حتى أصبح الشك في أخلاقك وفي علاقتك بهم واجباً بل أكثر من واجب أليم مهين . !

إن جميع مجانين الغرام في العالم لا يستطيعون منافستك يا إلهي في تغزلك المجنون بهؤلاء الغلمان . . في تغزلك المتقاطر بالدموع والأنات والآهات واللهفات حتى لقد حولت ملائكتك ونبي أنبيائك إلى رواة وحفاظ وقُراء ومنشدين ومعلمين لغرامك وغزلك بهؤلاء الغلمان . !

. . بل حتى أصبح مفهوماً جداً أنك بذلك تحاول أن تصنع لفردوسك أقوى دعاية فاتنة الإغراء لدى المصابين بحب الغلمان وبمن لديهم استعداد لهذا الحب، بل حتى أصبح مفهوماً جداً أنك بذلك تحاول أن تحرض على حب الغلمان وأن تعلم هذا الحب وأن تصنعه وتثيره في النفوس أي في الأعضاء التي لم تمارسه أو تتعلمه أو تجربّه أو تشتق إليه أو تشعر به أو التي تتعذب بل تموت استحياءً واشمئزازاً حين تتصوره أي لو استطاعت تصوّره . نعم، لقد أصبح حقاً بل واجباً اتهامك يا إلهي بالتحريض على اشتها الغلمان وبالدعاية والتعليم لهذا الاشتها . !

. . إنه قد يفسّر أو لا بدّ أن يفسّر خلقك لهؤلاء الغلمان وأخبارك عنهم ووصفك لهم بأنه اتهام فظيع قبيح بذيء اتهم العرب به معتقداً وزاعماً ومعلنناً أنهم غلاميون ومحاولاً أن تفسرهم بأنهم كذلك . لا بدّ من هذا التفسير وإلاّ فلا بد من اتهامك بأردأ مستويات الغباء أي إذا لم ترد هذا الاتهام بما قلت .

. . لأن هؤلاء الغلمان وأوصافهم والرواية عنهم إنما جاءت باللغة العربية في الكتاب المقدس العربي الذي أنزلته على النبي العربي مغرباً ومخاطباً به الإنسان العربي أي أعضاء وشهوات الإنسان العربي . .

فلو لم تكن مقتنعاً بأن العرب مرضى بعشق الغلمان لما كان لحديثك إليهم عن غلمان الفردوس أي معنى . !

. . كيف لم يغضب ويثر ويحارب العرب هذا الاتهام ومنه وعليه؟

هل لأنهم رضوه وفرحوا وسعدوا به أم لأنهم خامدون خاملون كسالى يعجزون عن أن يملكوا شيئاً من مشاعر الغضب أو الثورة أو الانفجاع أو الاحتجاج فكيف المقاومة؟

وكم نرجو ألا يقرأ الآخرون كتاب العرب المقدس لئلا يفطنوا إلى هذا الاتهام الذي اتهمتهم به أو إلى هذا الإغراء الذي حاولت أن تغريهم به يا إلهي الذي لا مثيل له

مسيئاً ولا مثيل له عجزاً عن أن يكون محسناً أو نبيلاً أو شهماً أو معزياً أو مداوياً أو حتى مجاملاً !

إن عبادك يا إلهي يصفونك بالستار إذن لماذا أنت أكبر وأقوى فضاح للعرب حتى في دعايتك لهم إلى فردوسك وفي أوصافك لجمال فردوسك؟ ويبدو يا إلهي أن حبك لا يكون إلا فضحاً وهجاءً لمن تحب، لهذا فإنك لم تفضح أو تهج قومك مثلما فضحت وهجوت العرب لأنك لم تحب ولن تحب قوماً مثلما أحببت وتحب العرب، لهذا جعلت كتابهم ونبیهم إغناء لكل الكتب والأنبياء !

.. هل عرف العرب أو أحد منهم أن الإله وخاتم أنبيائه محمداً النبي العربي قد اتهموا العرب بقصة الغلمان هؤلاء أقسى وأنذل وأوقح وأقبح اتهام؟ نعم، هل عرف العرب ذلك؟

ويلي من بلادتهم إن لم يكونوا قد عرفوا، ويلي من عارهم وهوانهم وصبرهم وتقبلهم إن كانوا قد عرفوا ثم ظلوا أصدقاء لمن وجه إليهم هذا الاتهام النذل بل ثم لم يعلنوا كل الحرب بكل فنونها على الإله وخاتم أنبيائه اللذين أوقعا بهم هذا الاتهام البذيء !

.. والآن . ليتك يا إلهي تستطيع وتعرف أن تحاور أو أن تستمع إلى الحوار ولو بقدر قليل جداً من الذكاء والحماس والصدق والشهامة .. لأنني سأقول لك : إن هؤلاء الغلمان في فردوسك كما وصفتهم ووصفت وظائفهم لا بد أن يتحولوا إلى الكثير من المآسي والآثام والآلام بل والفضائح . إنهم لا بد أن يتحولوا إلى غيرة وشكوك قاتلة في نفوس مخدموهم سكان الفردوس من الرجال والنساء .. الإنسيات والحوريات بل وفي نفس الغلمان المحكوم عليهم بأن يكونوا خدماً بالاغتصاب والتسخير أي بلا أجر أو اختيار أو شروط أو حرية أو خلاص قريب أو بعيد !

.. الإناث أي في الفردوس لا بد أن يتعذبن بالتخوف أو بالتيقن من العلاقات بين رجالهن وبين هؤلاء الغلمان وهذا التخوف أو التيقن لا بد أن يصيب ويعذب الذكور كذلك .

.. ذكور الفردوس يخلون بهؤلاء الغلمان في خلواتهم الشهوانية وحول سرهم وهم مثقلون بحللهم وحليهم وأصباغهم وجمالهم الغلامي وبكل تعبيرات ومعاني غلاميتهم .. وكذلك هم مع إناث الفردوس وحولهن خاليات بهم خالين بهن !

يا لها من علاقات تصنع للشيطان كل الفرح والسعادة والمجد والانتصار والآمال
الجيدة . !

هل نستطيع أن نتصور ما لا بد أن يصيب ذكور وإناث الفردوس من عذاب الغيرة
وجنونها؟

ما أتعس التصور الذي سوف يتصور ويقاسي كل احتمالات ذلك . .

ما أقسى عذابه وانفجاعه . ! . هل يمكن أن يتهم الإله والنبي محمد اللذان بشرا
بهؤلاء الغلمان في الفردوس بأنهما لم يتصورا عواقب ذلك أو بأنهما تصوراها؟ وأي
الاتهامين أقبح؟

الإله والنبي لا يعرفان ذلك أو يعرفانه ومع هذا يصنعانه ويبشران به . إنه حصار لا
نجاة لهما منه !

. . أما هؤلاء الغلمان فإن جميع المقاسين لكل عذاب وجنون الغيرة والغضب
والغيظ والاشمئزاز والغثيان لن يستطيعوا أن يتصوروا ما لا بد أن يصيبهم أي يصيب
هؤلاء الغلمان من ذلك أي من عذاب وجنون الغيرة والغيظ والاشمئزاز والغثيان . .

أما عذاب الغثيان والغيظ والاشمئزاز فلما يرون ويواجهون ويسمعون ويعرفون
ويفعلون بالاغتصاب والإكراه حول مضاجع وسرر هؤلاء المخدومين والمخدومات،
ولما يرون ويعرفون من أخلاقهم وفضائحتهم وتفاهاتهم ومن أخلاقهن وفضائحتهن
وتفاهاتهن . !

. . أما جنون وعذاب الغيرة اللذان لا بد أن يقاسي منهما هؤلاء الغلمان كل
المقاساة وأقساها فإنهم إما أن يتخلق فيهم فارس الجنس أو ذئبه أو ذبابه، بأن يتخطوا
طور الغلامية أو مع بقائهم في طورها أو لا يتخلق فيهم هذا الفارس أو الذئب أو
الذباب . .

فإن كان ذلك سوف يتخلق فيهم فلتتساقط النجوم ذعراً ورهبةً من هول عذابهم
وغيرتهم وقبح مكانهم وحياتهم ووظيفتهم . !

قبيح حينئذ ما هو كائن، قبيح قبيح . هل فكرت في قبح ذلك يا إلهي؟

. . إنهم جياع جداً يصنعون ويعدون ويقدمون أضخم الموائد وكل الموائد المترفة
بلا حدود إلى الشباع المتخمين المترهلين المتضخمين من الأكل والشبع دون أن
يستطيعوا أي الجياع الصانعون المعدون المقدمون لهذه الموائد أو يؤذن لهم بأن يأكلوا
أو يتذوقوا أي قدر أو نوع من طعام هذه الموائد أو من أي طعام آخر . !

.. إنهم ظماء جداً يصبون كل قطرات الينابيع والسحاب والأنهار والبحار في الأفواه الريا دون أن يستطيعوا هم أو يؤذن لهم بأن يضعوا قطرة واحدة من أي ماء في أفواههم المحترقة ظمأً !

.. إنهم عراة تحت كل الطقوس والأعاصير والعيون، يغزلون وينسجون ويخيطون ويتكرون كل الحلل والحلى والأزياء ليلبسوها أجساداً مثقلة بالعباءات والجلابيب والعقالات والكوفيات وبالخمول والبلادة والنوم والموت بل مختنفة بكل ذلك .. دون أن يستطيعوا أي هؤلاء العراة أو يؤذن لهم أن يلبسوا أي شيء أو يستتروا أو يتقوا عدوان الطبيعة عليهم بأي شيء .. !

.. إنهم يعيشون في الصحراء العارية من كل خيمة أو مظلة أو شجرة أو حتى كهف، يقاسون كل قحطها وعريها وأخلاقها وظروفها، يخططون ويصممون ويشيدون ويفرشون ويزينون ويهندسون كل المدن والبيوت والقصور والنوادي والملاهي والملاعب والمشارب والمعائب للتافهين العاجزين السكري الكسلى، دون أن يستطيعوا هم أو يؤذن لهم أن يأووا إلى أية خيمة أو مظلة أو شجرة أو كهف أو يحتموا بأي شيء من ذلك .. !

.. إنهم يقيمون الأعراس وحفلات الزفات كل أوقاتهم دون أن يكون لهم هم أي عرس أو زفاف أو أن يظفروا بشيء من هدايا الزفاف والأعراس التي يقيمونها ويخدمونها أو أن يتذوقوا شيئاً من موائدها، بل ودون أن يسمعوها أي شكر أو ثناء !

.. إن غلمان الفردوس هؤلاء هم أصدق وأشمل وأقسى نموذج لهذه النماذج المتصورة التي لن توجد .. بل إن قبج هذه النماذج المتخيّلة لا يقبل أن يشبه بقبح قصة هؤلاء الغلمان المستعبدين المستخدمين في فردوسك وفردوس خاتم أنبيائك محمد يا إلهي المسحور إعجاباً بعبقريته وشاعريته ومحبه التي تخيلت وأرادت وخطّطت وخلقت وصاغت هؤلاء الغلمان .. هؤلاء الغلمان الذين ذهبت تتحدّث عنهم وتغري بهم وتساوم عليهم وتحول ملائكتك وخاتم أنبيائك محمداً النبي العربي إلى شعراء يتغزلون ويغرون ويغنون بجمالهم وحلاهم وغلمايتهم حتى بدوت يا إلهي فاقداً كل وقارك واتزانك واستحيائك بل حتى بدوت وكأنك لم تعرف أو تجرّب الوقار والاتزان والاستحياء، بل حتى أصبح عاجزاً فنياً وعقلياً ونفسياً وأخلاقياً من لم يقتنع بأنك عاشق غلمان، عاشق لهؤلاء الغلمان، ومع التقوى والحذر جداً من لم يشك في أنك كذلك ؟

.. نعم، يا إلهي لقد أصبحت قصة هؤلاء الغلمان أو يجب أن تصبح مشكلة بل

عقدة بل ورطة وقعت فيها يا إلهي المتورط والمورط لغيره أبداً وأوقعت فيها كل المؤمنين بك وبقرآنك ونيك العربي . .

ذلك أن من يقرأ أو يسمع حديثك المجنون عن هؤلاء الولدان الغلمان فلا بد أن يقع في أحد تفسيرين لا مخرج من أحدهما تفسيراً لك . .

. . أحد التفسيرين أن يقتنع بأنك عاشق غلمان، وهذا قمة المأساة والوقاحة والقبح والعذاب، !

وثاني التفسيرين أن يراك شاعراً جمالياً كونياً سماوياً يتحدث بلغة ومشاعر وأخلاق الشمس والنجوم والسحاب والأنهار والأزهار عن الجمال والحب والفرح وعن كرمه ونبله وعطائه فقط وهذا قمة البلادة والغفلة والاسترخاء العقلي والتصورى والأخلاقي . !

نعم، يا إلهي إن إنزالك وتأليفك الآيات الشاعرة المبالغة جداً في شاعريتها تغزلاً يحلل وحلي هؤلاء الغلمان وبجمالهم الجسدي الغلامي لا بد أن يفسرك أحد التفسيرين . !

واعاراه، واعاراه، الإله متهم بعشق الغلمان وهو صانع هذا الاتهام لنفسه واعاراه، واعاراه . !

. . أما إذا لم يتخلق في هؤلاء الغلمان وحش الجنس أو ملاكه ليظلوا أبداً غلماناً عبيداً وخداماً بلا رجولة وفحولة فهل يستطيع تصور حقدهم وغيبتهم ونقمتهم وثورتهم على مخدوميهم ومخدوماتهم وعلى مريد ومخطط ومدبر ومخرج ومؤلف هذا السخف المسمى فردوساً وهذا الوجود المسمى كوناً وهذا الفاعل المزعوم إلهاً؟ نعم، هل يمكن حينئذ تصور ردودهم المنتظرة بل الواجبة والطبيعية على ذلك؟ إنها لردود شرعية وطبيعية مهما كانت همجية . !

نعم، هل يمكن وجود أو تصور ظلم أو عدوان أو قبح أو ما يستحق كل الغضب والغيظ والنقمة والثورة والمقاومة مثل أن يظل هؤلاء الغلمان غلماناً أبداً بلا تطور إلى الرجولة والفحولة لكي يظلوا أبداً خداماً لمضاجع وسرر وغرف الممارسات الجنسية؟ آه كم هي قبيحة ووقحة جداً رؤية وخدمة ممارسة الجنس دون قدرة على هذه الممارسة أو إذن بها . ! أليست ممارسة الجنس والقدرة عليها هي التي تستر وتغفر قبح وجنون هذه الممارسة؟

. . وأصحاب هذه المضاجع والغرف والسرر والممارسات الجنسية التي يعدها ويخدمها هؤلاء الغلمان كيف يطيقون أن يظل هؤلاء الغلمان غلماناً أبداً بلا صعود أو

هبوط إلى الفحولة والرجولة الجنسية، ليظلوا هم أبداً يمارسون ممارساتهم البذيئة هذه ويظل غلمانهم هؤلاء يهتئون لها الغرف والسرر والمنشطات والمقويات والمحرضات، راثين سامعين هاتفين لها ولممارسيها المصابين بكل تفاسير وأساليب الوقاحة والبذاءة. !

هل يمكن تصور قبح أو عذاب أو ظلم أو بلادة مثل أن تصنع السرور للآخرين لتصنع كل الأسى لنفسك؟

. . هل يمكن تصور ندالة أو حشية أو بلادة تشبه حينئذ وحشية أو بلادة أو ندالة هؤلاء الفردوسيين؟ هل يمكن أن يوجد تحقير مثل تحقير سكان الفردوس في تصور الإله والنبي العربي لهم؟

. . إذن أليس محتملاً أو محتوماً أن تنفجر في الفردوس ثورة لا مثيل لغضبها ونقمتها وقوتها، ويفجرها هؤلاء الغلمان وكثيرون آخرون عاطفون عليهم وعارفون بمأساتهم عاجزون عن غفرانها وعن تحملها ورؤيتها؟

إنه إذا لم تحدث أو لو لم تحدث هذه الثورة فلن يكون لذلك تفسير غير بلادة وهوان سكانه!

. . . إنه تجمّع رهيب من الغيرة والغضب والبغضاء والقبح وقسوة التفاوت والتمييز ألاّ يتحوّل ذلك إلى تعبير ملائم؟ أليس محتملاً أن يتحوّل هذا التحوّل أيّ إلّا إذا كان محتملاً أن تموت كل معاني الإنسان والحياة في سكان الفردوس؟

. . إن أردنا مجتمع في الحياة الأولى لن يتجمع فيه من أسباب الإثارة والعداوة وكل أنواع الشرور أكثر ما سوف يتجمع أو مثل ما سوف يتجمع في عالم الفردوس. في مجتمعك الفردوسي يا إلهي. إن كل المجتمعات التي ثارت في الحياة الأولى لم تواجه من الأسباب التي تصنع الغضب والغيط والثورات مثل ما سوف يواجه سكان الفردوس. !

. . إننا لا بد أن نتعذب ونقاسي من الانفجاء حين نجد أو حتى نتصور أن الإله العربي والنبي العربي قد صنعا أو تقبلا أو حتى تصورا مثل هذا المجتمع الغلامي الفردوسي ورأياه أعلى نماذج الجمال والخيال والفن والحب والسعادة، مسكوناً بالكسالى والسكرارى الذين لا يعملون أي شيء أو يفكرون في أي شيء أو يطالبون بأي شيء، حولهم غلمان محلّون ومزيتون بكل زينات الجسد المحرّضة على الغواية والندالة والوقاحة والتفاهة والبذاءة، في أيديهم الكؤوس ليصبّوها في أفواه هؤلاء الكسالى

السكارى المطروحين على الأرض والسرر من الخمول والخمود والتبلد والعطل والفراغ
البليد القبيح . !

آه يا إله العرب ويا نبي العرب . كم أنما هجاء وفضح للعرب . !

أليس كل البشر في حياتهم الدنيا الفاسدة يرفضون مثل هذا المجتمع الفردوسي
ويرونه أردأ وأفسد وأقبح نماذج المجتمعات المتصورة حتى في رؤية وحساب شر الناس
وأكثرهم عاراً وجهالةً وتفاهةً وعجزاً وخمولاً؟

إذن كيف سقط الإله العربي والنبي العربي في تصوراتهما وتمنياتهما ورؤيتهما
الجمالية والأخلاقية والفنية الإبداعية إلى هذا الحضيض الذي يعجز ويرفض أجهل وأنفه
وأفسد البشر أن يهبطوا إليه؟

هذا المجتمع الغلماني الذي يمنع غلماناه بقانون ضد الطبيعة من أن يبلغوا الرجولة
كيف أمكن أن يقبله أو يحترمه أو يطلبه أو حتى يقرأه أو يسمعه أو يتصوره أحد - الذي
يحرم غلماناه من الرجولة، من سلاح الرجولة ليظلوا خدماً وحُرَّاساً بلا سلاح في غرف
ومضاجع الممارسات الجنسية لتمارس داخل عيونهم وأذانهم وخارج أعضائهم وآمالهم؟

.. أية عملية خصاء للعقول والأخلاق والرؤى والتصور ولكل المعاني الإنسانية
نفَّذت في شعوب كثيرة، كثرة لكي تؤمن إيماناً إجماعياً إعلانياً دعائياً تاريخياً بأن هذا
المجتمع الغلماني أي الفردوسي هو المجتمع الذي احتشدت وتعاونت كل عبقریات
وأخلاق وفنون وجمال الإله وجميع سكان السماء لكي تستطيع تخيله وتخطيطه وإخراجه
أي المجتمع الغلماني المعروف بالفردوس؟

من أراد ودبّر واستطاع ونفَّذ عملية الخصاء هذه؟

وهل يجب أن نأسى ونخجل لأن أمتنا العربية هي أول من أجريت عليها هذه
العملية الخصائية؟ إن أشجع فنون الخصاء هو خصاء المعاني الإنسانية وليس خصاء
الأعضاء الجنسية . أليس كل البشر مخصَّين هذا الخصاء أي بدرجات متفاوتة؟

.. لماذا رأى الإله أي لماذا رأيت يا إلهي أن يكون في الفردوس خدم، وأن يكون
الغلمان، الولدان هم الخدم، وأن يظلوا غلماناً محرومين من الرجولة أبداً؟

أليس كل ما في الفردوس معجزات وخوارق تفعلها أنت ومساعدوك يا إلهي؟

إذن ما الحاجة إلى الخدم؟ هل هم ترف بلا أي معنى؟

ولماذا اخترت أن يكونوا غلماناً، ولداناً؟ هل الشبان والرجال والكهول لا

يستطيعون أو لا يعرفون أن يخدموا؟ إذن هل القضية هنا قضية عشق ولهو وغزل وأشياء أخرى لا قضية خدم أو خدمة؟

ولماذا رأيت أن يظلوا أبداً غلماناً لا يصعدون إلى طور الشباب والرجولة؟ هل قررت أو قلت ذلك غلطاً أو نسياناً أو عدواناً أو خبطاً عشوائياً أو لأسباب أخرى لن تكون معقولة ولا مقبولة بل ولا محترمة بل مهينة وناضجة وهمجية؟ كم تعذبني وتفجعني يا إلهي محاولاتي البلهاء بأن تكون معقولاً أو مفهوماً أو مفسراً أو محاسباً أو محاوراً مساءلاً أو بالأول وثلاً تكون كل الافتضاح والقبح.!

. . آه يا إلهي. كمت يجب الرثاء لك ولنبيك العربي محمد. . لأخلاقكما ومنطقكما وعواطفكما وتصرفاتكما وشهواتكما بل كم يجب الغضب عليكما يا إله العرب ونبي العرب. . ! ولكن يا إله العرب ونبي العرب هل تستحقان الغضب؟ أليس الغضب شيئاً أكبر منكما؟ أليس الغضب تضخيماً للمغضوب عليه؟

. . إن العالم الإنساني كله حتى غير الحضاري منه يعمل ويفكر ويحاول بكل قدراته وإمكانياته وتمنياته لإسعاد وتكريم واحترام وحماية الأطفال أي الغلمان أي الولدان بكل الوسائل والأساليب واللغات والتعبيرات. .

. . أما أنتما يا إله العرب ونبي العرب فخارجان على كل معاني الإنسان وقيمه. . الإنسان الحضاري بل والإنسان البدوي في هذه القضية وأيضاً في القضايا الأخرى.!

وهذا نموذج واحد من نماذج خروجكما القبيح الفاضح على كل التفاسير والقيم الإنسانية حتى البدوية الهمجية الوحشية أي في قضية الطفولة.!

ومن أوقع وأقبح النماذج لعدوانكما على الطفولة أنكما تسترقان أطفال المغلوبين قبيح، قبيح.!

. . ألستما يا إله العرب ونبي العرب قد رأيتما وقررتما وتقبلتما وأعلنتما وشرعتما ونفذتما بكل الوحشية والنذالة والقبح أن يكون الغلمان أي الولدان أي الأطفال خدماً وعبيداً أبداً لغرف وسرر مضاجع ومشارب وملاعب وملاهي همج العقول والإيمان والأخلاق والرؤى والتصورات أي خدماً وعبيداً بلا حماية أو قانون أو نهاية لسكان الفردوس السكري الكسلى المفرغين من كل هموم الإنسان وهممه واهتماماته وأعماله ووظائفه؟

هل يمكن تصور قسوة وعدوان على الطفولة مثل عدوانكما وقسوتكما هذه يا إله العرب ونبي العرب؟ كيف صمت ويصمت العالم على ذلك؟ كيف غفر ويغفر لكما ما

دبرتماه وقررتماه في قضية الغلمان هذه؟ لعل العالم لم يعرف أو يسمع شيئاً عن قصة هؤلاء الغلمان، ولعله أيضاً لا يحاسب العرب على ما يقولون.!

ان أحداً في التاريخ كله لم يهن معاني الطفولة. وإن أحداً في المستقبل كله لن يهينها مثلما أهانها إله ونبي العرب بما رواه عن ولدان الفردوس، وأيضاً حينما شرعاً ونفذاً استرقاق أطفال المغزيون. .!

أطفال المغزيون المغلوبين يحولون إلى أرقاء، إلى عبيد. .! من قال أو فعل هذا؟ لقد قاله وفعله بكل الفرح والسعادة والفخر ومشاعر الكبرياء والذكاء والتقوى إله العرب ونبي العرب. .!

هل سمع أو قرأ أو عرف العالم ذلك؟ ولكن لو سمع أو قرأ أو عرف العالم عن العرب فهل يرى أنه قد سمع أو قرأ أو عرف عنهم شيئاً؟

هل العرب يعرفون أو يقرأون أو يسمعون بقراءتهم أو بمعرفتهم أو بالاستماع إليهم؟ هل من يسمع أو يقرأ للإنسان العربي أو يراه أو يخاطبه يعد سامعاً أو قارئاً أو رائياً أو مخاطباً؟ هل يقرأ أو يسمع الإنسان من ثيابه أو العربي من كلامه أو يرى برؤيته؟

أليس العرب هم الكائنات المتفردة التي لا تقرأ أو تسمع أو تفهم بالقراءة أو بالاستماع أو بالفهم أي التي لا تحسب قراءتها أو الاستماع إليها أو الفهم لها قراءة أو استماعاً أو فهماً؟

آه. إن إله العرب ونبيهم قد أبطلا قوانين الطبيعة، قد سحبا منها كل قوانينها وكل خطواتها في التعامل مع هؤلاء الغلمان لكي يظلوا أبداً غلماناً أي أطفالاً وخدماء لا يصعدون إلى طور الشباب أو الرجولة. لقد أرادوا فعلاً ذلك لاحتقارهما لمعاني الطفولة ولجهلهم بحقوقها ولوحشيتهم الأصيلية.!

. . ليقراً ويسمع ويعرف العالم هذا. . إن الإله العربي والنبي العربي متوحشان في قسوتهم على الأطفال حتى لقد شرعاً ونفذاً استرقاق أطفال المغزيين المهزومين. اقرأوا واسمعوا واعرفوا بكل الانفجاع.!

. . إنه لا يروي أو يشيع قسوتهم أن يقتل ويهزم ويذل ويطرد ويأسر ويسترق آباء ووطن وشعب الأطفال بل لا بد مع ذلك من استرقاق الأطفال وامتلاك الفتيات الصغيرات ليصبحن مضاجع جنسية.!

هل ساءل إله العرب ونبي العرب نفسيهما أو أخلاقهما أو إيمانهما أو تقواهما أو

شهامتهما أو حياءهما عن ذنوب أو خطايا أطفال المغزوين المغلوبين التي بها استحقوا أن يسترَقوا؟. لماذا استحقوا أن يسترَقوا؟

هل استطاع أو جرؤ هذا السؤال أن يقتحم أو يحاور تفكير أو تصورات أو أخلاق أو رؤى الإله أو النبي العربي أو حتى لغتهما؟

نعم، هل يستطيع أو يجرؤ أي معنى إنساني أن يخترق كل الحدود والصحارى البدوية الفاصلة بينه وبين الإله والنبي العربيين؟ إن كل صحارى الكون لا تساوي أي تفسير أو تعبير من تفسيرات أو تعبيرات الصحراء المولودة في ذات الإله والنبي العربي.

.. اسمعوا. وهل تستطيعون أن تسمعوا؟ اسمعوا وكم يجب الرثاء لكم إن تسمعوا.!. اسمعوا، اسمعوا. آه. كم أتعذب حينما أطلبكم أن تسمعوا، اسمعوا. .

.. إن الإله والنبي العربيين يسترقان الأطفال، يسترقانهم سلوكاً وتعليماً. .

يسترقانهم جزاءً لهم لأنهما غزوا وغلبا آباءهم واحتلوا أوطانهم وقهرا شعبهم.!. هل تصدقون هذا؟ هل تصدقونه؟ يجب أن تصدقوه. ولكن كم هو قبيح وأليم وذنوب وعار أن تصدقوه أي أن يكون صدقاً؟ ما أفضح أن يكون الإله والنبي العربيان صادقين.!. كم هو نافع ومنقذ ومفيد وجميل أن يكون الإله والنبي العربيان كاذبين أو مخطئين في كل ما قالاه وروياه وزعماه وأحباه.

.. أيها الولدان أي أيها الأطفال إنا نعتذر إليكم نحن البشر، نحن حل البشر أرب يجب أن نعتذر إليكم نحن كل البشر من وحشية وهمجية الإله والنبي العربيين المذموم قزراً وشرعاً وعلماً ونقداً أن تسترقوا في الحياة الأولى وأن تصبحوا وتظلوا في الحياة الثانية ولدانا أي أطفالاً، لا تستطيعون الصعود إلى الشباب أو الرجولة، لكي تظلوا بلا نهاية أو حماية خدماً وحراساً وسقاة في غرف ومضاجع وسرر الممارسات الجنسية، حاملين أبداً الكؤوس، طائفين بها، واضعين لها في الأفواه والأعضاء السكرى والكسلى. انظروا. ها هو النبي محمد فوق السرير وحوله الحوريات بلا تعداد والغلمان يصبون الكؤوس في فمه وفوق سريره.!. من يطبق أن يرى أو يتصور ذلك؟

.. آه أيها الغلمان.!. كم هو قبيح وأليم وفاجع منظركم والتصور لكم وأنتم في هذا الفردوس، فردوس إله العرب ونبي العرب خدماً وعبيداً وسقاة.!

أجل، إن منظركم والتصور لكم أليم وقبيح ومهين لا يستطيع أن يتقبله أو يغفره أو يقرأه أو يسمعه أو يراه أو حتى يتصوره إلا الإله والنبي العربيان. . العربيان جداً؟

ماذا يمكن أن تروا أو تفسروا النبي العربي وأنتم سقاة وخدم وعبيد حول سريره وهو يتنزي ويتأوه في مضاجع الحوريات؟

.. أيها الغلمان، أيها الغلمان.. إنا لنعدكم وعداً إنسانياً لا وعداً إلهياً أو نبوياً أو عربياً.. إنا لنعدكم بأننا سوف نناضل نضالاً إنسانياً لا إلهياً أو نبوياً أو عربياً..

بأننا سوف نناضل لنمنع إله العرب ونيهم من أن ينفذا فيكم هذا الوقاحة.. من أن يحكما عليكم بأن تكونوا وتظلوا أبداً خدماً وعبيداً وسقاةً وغلماناً في ملهاهما الدميم البذيء الوقح المسمى فردوساً.. نعم، إنا لنعدكم أيها الغلمان.. أيها الغلمان الذين لا مثيل لمأساتهم المدبرة بأن نقض هذا الحكم الذي حكم به الحاكمان البدويان: الإله والنبي العربيان..!

إن هذا الحوار أو المحاكمة للإله لا بد أن تهزم وتلغي ما صمما على إيقاعه بكم بكل القسوة والسفه والنذالة التي لا يستطيعها أو يجرؤ عليها إلا الإله والنبي العربيان! .. نعم، إن هذه المحاكمة لا بد أن تمنع ذلك أيها الغلمان الذين لا مثيل لما دبر لهم..!

.. لأنها أي المحاكمة لا بد أن تقهر أو تخرج أو تؤدّب وتهذّب وتخيف وتعلّم الإله ليتراجع عما أراد أن يوقع بكم أو ليتراجع عن الحياة الثانية، عن البعث وعن الحساب والعقاب والثواب، أو ليهرب من كل الكون رافضاً وظيفته ومسؤوليته باكياً مفجوعاً حزيناً متبرئاً من كل ما كان ومن كل ما كان يريد أن يكون، مصمماً على ألا يراه أي كائن أو يرى أي كائن، من قسوة الخجل ومشاعر العار والافتضاح الذي قرأه وعرفه بعد أن استمع إلى هذه المحاكمة أو الحوار المحرق لكل معانيه وأمجاده ومزاعمه وتاريخه..!

قد تكون هذه المحاكمة هي الضربة القاتلة أو المصححة المصلحة للإله..! .. أو لأن العالم كله لا بد أن يفطن بعد هذه المحاكمة إلى فظاعة قضية هؤلاء الغلمان فيفعل شيئاً أو أشياء حاسمة لإبطال ما أريد لهم وبهم، أي لإبطال ما أراد لكم وبكم الإله والنبي العربيان..!

نعم، أيها الغلمان، إنا لنعدكم هذا الوعد الذي لن يهزم، لن يهزم..! إنه لو هزمت كل الوعود لكان وعدنا هذا هو الوعد الذي لن يهزم؟ .. آه.. ما أذكى البشر وما أغباهم..! أليس ذكاؤهم هو الذي قد أعطى كل هذه

الإنجازات الحضارية الكونية، وأن غباءهم هو الذي تصوّر وتقبّل وأعطى هذه الآلهة والنبوت والتعاليم البلهاء المهينة لكل مستويات ومعاني الذكاء بل والعقل والكرامة؟ هل تستطيع كل عبقریات الإنسان أن تكفّر أو تعوّض عن ذنوب وأخطاء آلهته وأنبيائه؟

.. إذن أليس أذكى الكائنات وأعقلها هو أغباها وأكثرها جنوناً؟
.. إذن أليس أبسلها وأعظمها مجداً هو أجبنها وأكثرها تحقيراً لنفسه ولمجده؟
كيف جاء ذلك كذلك؟ من أراد وخطط الوجود ليحيى كل شيء كما جاء؟ قبيح، قبيح من فعله.

.. إنه لا أقبح من وجود الموجود القبيح إلا رفضه لأن يكون مفقوداً.
.. إنه لا أقبح من القبح إلا رفض التخلي عن القبح وعمّا يصنع القبح وعمّا يعني القبح ويلزم به ليكون محتوماً!.. إن الجميل والجمال لا يصران على أن يوجدوا ويبقيا أكثر أو أصدق مما يصر القبيح والقبح على ذلك!.

إنه لا أقبح من الإله ومن وجوده إلا رفضه لمن أراد نفيه ليرثه من قبحه ومن قبح وجوده!.. هل يوجد كائن كل تكريمه وتجميله في نفيه مثل الإله أو غير الإله؟ هل يوجد خاسر بوجوده يرفض أن يفقده مثل الإله؟

.. نعم، هل وجد أو يمكن أن يوجد عدوان على الطفولة مثل هذا العدوان الذي يريده ويدبّره ويخطّطه ويمتدحه وينزل السور والآيات مبشراً به بل ويراه كل الجمال والحب والرحمة والكرم والإحسان إله العرب ونبي العرب في فردوهما أو في ملههما السخيف الكئيب، أو مثل تشريعهما وتنفيذهما استرقاق أطفال المغزوين المغلوبين وامتلاك فتياتهم امتلاكاً جنسياً، بل وامتلاك كل نسائهم هذا الامتلاك الجنسي؟

.. آه. يا إله العرب ونبي العرب.. ليتكما لم توجدا، إذن لجاء افتضاح العرب وعارهم أقل أو أخفت صوتاً.. أليس أنبل وأتقى العار والافتضاح هما الأخفى والأخفت صوتاً؟ أليس أقبح القبح أن يكون للقبح لسان؟

.. لهذا أليس أنبل وأتقى النبوت والزعامات والقيادات العربية هي التي تخلق بلا السنة أي لو كان ذلك ممكناً؟

لهذا أيضاً أليس أكثر وأقوى أنبياء العرب نبوة وإقناعاً ووقاراً واثزاناً هم الذين لا يأتون بأي كتاب مقدس ولا يصعدون فوق أي منبر ولا يتحدثون عن أي إله بل هم الذين لم يأتوا ولن يأتوا؟

إن أعظم أنبياء وعباقره العرب نبوة وعبقريه هم الذين لم يأتوا ولن يأتوا !

. . لهذا أليس تركيب اللسان في الإنسان العربي هو أقسى وأندل وأوقح عدوان عليه؟ أليس اللسان في الإنسان العربي هو أعظم تشويه وفضح له؟ لهذا أليس أشعر وأخطب شعراء وخطباء العرب هم الذين لم يقولوا قصيدة أو خطبة؟

. . لهذا ألسنت يا إلهي أقسى وأعظم مشوّه وفاضح للعرب حينما وضعت فيهم الألسنة وحينما علّمت ألسنتهم أن تكون ناطقة مصوتة مسموعة، وكذلك حينما وضعت يا إلهي في فمك لساناً وحينما علّمته أن يكون ناطقاً مصوتاً مسموعاً ليكون أي لسانك لساناً للعرب كأنك لم تقتنع أن ألسنتهم قادرة وكافية لفضحهم وعلى فضحهم لهذا جئدت لسانك مع ألسنتهم القادرة والكافية لفضح كل شيء وعلى فضح كل شيء؟

هل يوجد من بلغ، كل آفاق الانتصار والعبقرية بل وحلّق فوقها في فضحه لمن يريد فضحه مثلك يا إلهي حينما أردت أن تبالغ في فضحك للعرب، والأسباب لا تزال مجهولة في إرادتك هذا الفضح للعرب، فركبت في أفواههم ألسنتهم ثم جعلتها قادرة على أن تنطق وتسمع، بل ثم جعلتها عاجزة ورافضة أن تصمت أو تخفت؟

. . إن أردأ أو أفضل ما في الألسنة أنها الجهاز الشامل الناطق المسموع المكتوب المقروء الكاتب القارئ للتعبير عن كل مستويات وتفسير أصحابها التي لا يستطيع أي شيء أو أي جهاز التعبير عنها بكل الشمول غيرها أي غير الألسنة أو مثلها. إذن هل توجد جريمة أو فضيحة تساوي تركيب اللسان في الإنسان العربي أي في الإله أو النبي أو الزعيم أو الحاكم أو الفقيه أو الشاعر أو المفكر أو المعلم الداعية الثوري العربي أو حتى في الإنسان العربي البسيط جداً؟ لعل الطبيعة أو الآلهة لم تعاقب وتشوّه أحداً أو شيئاً مثلما عاقبت وشوهت الإنسان العربي حينما ركبت فيه اللسان..! بل لعلها أي الطبيعة أو الآلهة لم تكن عاشقة للافتضاح بكل الجنون والوقاحة إلا حينما أرادت وأحبت أن يكون الإنسان العربي ناطقاً !

. . إنه لو أريد اتهام الآلهة أو الطبيعة بعشق الافتضاح لما وجد ما يؤكد صحة الاتهام مثل التدليل على أنها أي الآلهة أو الطبيعة هي التي أرادت وأحبت أن يكون للإنسان العربي لسان فخططت ودبرت لذلك ونفذته واستطاعته ثم ذهبت وظلت تستمع إليه بكل النشوة والفرح والرضا والإعجاب بما أرادت وأحبت وخططت ودبرت وفعلت واستطاعت !

ولعل قبح الطبيعة أو الآلهة ونذالتها ووقاحتها بعد أن استمعت إلى الإنسان العربي

ثم تقبلت أن يولد أي مولود عربي بلسان أو أن يظل في أي إنسان عربي لسان أكثر قبحاً ووقاحةً ونذالةً من قبحها ووقاحتها ونذالتها حينما أرادت ودبرت وخططت ونفذت أي بدءاً أن يكون له لسان. !.

كيف لم تفجع أو تخجل أو تندم وتراجع عن أن تركب في الإنسان العربي لساناً بعد استماعها إليه؟

نعم، إن لمجد العرب وكرامتهم وعظمتهم واحترامهم ووقارهم واستارهم شروطاً كثيرة وقاسية جداً لا بدّ منها.

.. من هذه الشروط ألا تكون لهم السنة وألا تكون لهم آلهة أو أنبياء أو زعماء أو شعراء أو أدباء أو كتاب أو قادة أو مفكرون أو معلمون. .

.. إنه لا شيء يفصح شيئاً مثلما يفصح العرب كبارهم هؤلاء. أما صغارهم فهم المنفذون لعار كبارهم. !

.. من هذه الشروط الكثيرة القاسية ألا يكونوا مسموعين أو مقروئين أو مفسرين أو محاورين أو معاملين أو مرئيين أو موجودين. !

نعم، من هذه الشروط ألا يكونوا موجودين. !

أليست عظمة ومزايا أكثر الناس أو كل الناس لها شرط لا تراجع عنه وهو ألا يكونوا موجودين؟

هل يمكن أن يكون أي إنسان أو كائن أو شيء وقحاً أو نذلاً أو دميماً أو مغفلاً أو ذليلاً جباناً لو لم يوجد؟ هل وجد الموجود إلا لكي يكون فاضحاً مفضوحاً؟

إذن أليس وجود الإنسان بل وجود كل كائن هو أقسى أعداء مجده وكرامته وجماله ونظافته بل كل أعداء ذلك فيه؟ إن أي شيء أو أحد لن يصاب بأي اعتداء ما لم يعتد عليه وجوده. إذن فالوجود هو كل الاعتداء والمعتدين!

.. نعم، إن قصة هؤلاء الغلمان في هذا الفردوس لهي أقسى هجاء واتهام لك أنت يا إلهي ولنيبك العربي ولأصدقائك وأوليائك العرب الذين تقبلوا ذلك ورضوه وفرحوا به ورأوه كل الجمال والسعادة والعطاء والحب والفضة الإلهي بل والقدرة الإلهية. !

إن أقبح ما في ذلك أنه لا أنت ولا نبيك محمد ولا أحد من قومك العرب قد وعى ما في ذلك من قبح وفحش وسخف وبذاءة وبلادة من الرؤية والتصور والتمني والشهوة.

أليس التمني والتصور والرؤية والشهوة تحتاج إلى الذكاء الذي يحتاج إليه العقل والتحرك والإقدام؟

. . أما العالم وصمته عن قصة هؤلاء الغلمان دون أن يحاسب إله العرب ونبي العرب ويحاسب العرب عليها فلذلك عدّة تفاسير أو احتمالات . . أحدها أنه أي العالم لم يعرف أو يقرأ عن هذه القصة شيئاً لأنه لم يجد أو يشعر في أية فترة من تاريخه أو في أية قضية من قضاياها أنه محتاج أو مضطر أمام أي موقف أو مشكلة من مواقفه ومشاكله إلى أن يقرأ أو يعرف شيئاً عما يقول أو يرى أو يفعل إله العرب أو نبيهم أو العرب أنفسهم . لعل من أعظم وأنبّل مزايا العرب أنه لا أحد يحتاج إلى معانيهم أو إنجازاتهم الإنسانية ليتعلمها أو يقلدها أو ليعالج بها شيئاً من مشاكله أو همومه . !

. . . التفسير أو الاحتمال الثاني أن العالم لا يرى ولم يرَ أن من المعقول أو المقبول أو حتى المغفور أن يحاسب أو يحاكم العرب إلهاً أو نبياً أو زعيماً أو قادة أو حكاماً أو شعراء أو أدباء أو كتاباً أو جماهير على أي شيء يقولونه، لأنهم في فهمه وتجربته لهم لا يقولون حينما يقولون وإنما يعطسون أو يسعلون أو يشتمون ويتهمون أو يباهون أو يستفرون أو يبصقون . .

. . إن أكثر الكائنات لا تحاسب أو تحاكم مهما صغرت وتفهمت وأساءت وأذت وسقطت .

. . لهذا لم يغضب أي العالم أو يفجع أو ينكر أو يقل شيئاً عن هذه القضية أي قضية هؤلاء الغلمان بل لعله لم يرها قضية . إنها لا تستطيع أن تكون أو تحسب قضية لأن تفاسير قائلها ومتصورها تحرمها من أن تكون أو تسمى قضية! . .

. . إن كل الأشياء والكائنات لا بدّ أن تتحول إلى شيء كبير حاد أو إلى شيء صغير فاتر ولكن التحول إلى قضية هو قضية أخرى . !

. . التفسير أو الاحتمال الثالث لصمت العالم عن محاسبة ومحكمة إله العرب ونبيهم وهم على هذه القضية أو القصة أو الفضيحة : إنه أي العالم قد عرف بموهبة خارقة أن نفط العرب سوف يجيء كما جاء، وإنه أي كل العالم سوف يهون، يهون أمام العرب جوعاً وظماً وتضرعاً إلى نفطهم . . إنه سوف يهون ويهون ويصلي ويركع ويتضرع إلى كعبة النفط العربي حتى لترفض الحشرات أن تصبح بشراً متحضرين جداً ومحلقين فوق الأقمار والنجوم والمجرات بعقرياتهم وحضاراتهم وإبداعاتهم وأيضاً بهوانهم لمن كل قوتهم ومجدهم تحت التراب .

- نعم، حتى لترفض الحشرات أن تصبح هؤلاء البشر أو أن تصبح منهم أو مثلهم لثلا تهون كل هذا الهوان بكل أساليبه وصلواته ولغاته وتعبيراته، كل هذا الهوان الذي هانوه ويهونونه وسوف يظلون يهونونه أي هؤلاء البشر أمام هذه الكلمة العربية الجديدة التي يصلي لها وبها وفيها وإليها من لا يؤمنون بأي إله أكثر ما يفعل ذلك المؤمنون. ! . لقد كان للعرب كعبة يتعبد لها وفيها المؤمنون الضعفاء البسطاء الأميون. أما اليوم فقد أصبحت لهم كعبة أخرى لم يهندسها أو يشيدها أو يعرفها أو يعرف مكانها المؤمنون أو يستطيعون ذلك، يتعبد لها وفيها غزاة مقتحمو مخابى الآلهة. !

. . نعم، لأن العالم قد عرف بهذه الموهبة الخارقة أن نفط العرب لا بد أن يجيء كما جاء فقد استسلم وهان وصغر وجبن عن أن يرى أو يجد في العرب أي شيء يستحق النقد أو الإنكار أو المسائلة أو المحاكمة، بل عن أن يرى أو يجد فيهم أي شيء إلا ويستحق كل الرضا والإعجاب والتمجيد بل والمبايعة بالإيمان به والاتباع له. . . إن كل حماقات وجهالات ونذالات الطبيعة لم تستطع أن تتفوق على كل النذالات والحماقات والجهالات مثلما فعلت حينما جعلت غزاة الشمس يركعون تحت عباءات الراقيدين فوق النفط. !

إن أردأ وأصغر وأقبح وأنذل ما في الإنسان أو ما في الطبيعة أو ما في الكون أن أعظم وأنبى وأكبر وأشرف وأذكى إنسان يجوع ويظماً ويحتاج ويتلهف إلى ما يجوع ويظماً ويحتاج ويتلهف إليه أصغر وأنذل وأتفه وأردأ وأبلد إنسان، بل ويتعذب ويهون ويخاف ويتمنى ويريد ويحب ويشتهي ويضعف بل ويموت ويبكي هذا بالأساليب والمنطق والأسباب التي بها يتعذب ويهون ويخاف ويتمنى ويريد ويحب ويشتهي ويضعف ويبكي ويموت بها نقيضه. ! . . إنه لا أنذل أو أوقح أو أسفه أو أجهل من الطبيعة أو الآلهة التي ركبت في أعظم عبقري المخاوف والمجاعات والضرورات والاحتياجات التي ركبتها في أتفه تافه. !

. . إن الطبيعة أو الآلهة لم تهن غزاة أقمارها وسمواتها بشيء مثلما أهانتهم بالنفط العربي بل إنها لم تجد أو تعرف شيئاً تهين به هؤلاء الغزاة غير أو مثل النفط العربي. . وإنها أي الطبيعة أو الآلهة لم تهن أحداً أو شيئاً مثلما أهانت هؤلاء الغزاة بهذا السلاح الذي لم تحمله أو تضرب به يد مقاتلة ولم يخططه أو يبتكره أو يصنعه عقل عبقري. لعل الآلهة قد أرادت بالنفط العربي أن تعاقب وتذل هؤلاء الذين أذلوا وعاقبوا مجدها بتحليقهم فوق سمواتها ومضاجعها المختبئة وراء النجوم العمياء الخرساء البلهاء. !

. . أليس اعتذاراً جيداً ومعقولاً وشهماً عن أخطاء وخطايا وظلم الطبيعة أو الآلهة

أن يُقال إنها قد أعطت العرب هذا السلاح الرهيب المذل لكل سلاح لتعذر إليهم وتعوض عليهم حين نسيت أو بخلت أن تعطيهم عبقرية العقل أو الإبداع أو الحضارة أو الأخلاق أو الجمال أو الحب أو الصفاء أو الإشراق أو الطهر الإنساني أي النفسي أو القلبي أو الديني أو العرقي أو التاريخي أو حتى اللغوي؟

هل وجد محرومون من هذا الجمال والصفاء والحب والإشراق والطهر أي النفسي والقلبي والديني والعرقي والتاريخي بل واللغوي مثل العرب أو أكثر من العرب؟ وهل وجد عابث أو آثم أو مذنّب أو مجرم أو جاهل أو سخيّف مثل الإله الذي يدبر ويخطط ويخلق ويصوغ الإنسان بلا مزايا الإنسان ومعانيه؟

. . . ولكن هل تستطيع الطبيعة أو الآلهة أن تكفر أو تعوض عن أخطائها وخطاياها ومظالمها التي أرادتّها ودبرتها وأوقعتها بالعرب أي بحرمانها لهم من كل القيم والمعاني والإبداعات والقفزات الإنسانية الحضارية الكبيرة العظيمة التي تجعل عظمتهم وقوتهم في إنسانهم لا في نفطهم أو كعبتهم أو قناتهم . . . التي تجعل جمال العروس في ذاتها وعقلها وقلبها وأخلاقتها لا في ملابسها؟

هل تستطيع أن تعوّض أو تكفّر عن أي شيء من ذلك مهما أعطت وفعلت، بل مهما صلّت وبكت واعتذرت؟

هل يستطيع أي شيء أو كل شيء أن يكفر أو يعوض عن حرمان الإنسان أو عن حرمان أي كائن من معانيه الكبيرة العظيمة الجميلة؟

أليس إعطاء الإنسان من خارجه مع حرمانه وتفريغته وقحطه من داخله هو أقسى تشويه وإحراج وتعذيب وفضح له؟

أليس وضع أكبر وأعظم وأجمل وأغلى تاج على رأس أصغر وأقزم وأشوه وأقبح ذات ثم إجلاس هذه الذات على أكبر وأجمل وأروع وأبهر العروش مع عرض ذلك على كل العيون .

- نعم، أليس ذلك هو أقسى أساليب الهجاء والإيذاء والتعيير لهذه الذات؟

بل أليس ذلك نوعاً وقحاً من التجريح والإيذاء والتعذيب لعيون المشاهدين بل ولتمنيات وتصورات ونماذج وشروط الجمال والنظام والاستواء والحب والإعجاب فيهم، في أشواقهم وأخلاقهم وتطلعاتهم وأيضاً في أديانهم ومذاهبهم وأفكارهم وتعاليمهم ورواياتهم وفلسفاتهم عن أنبيائهم وآبائهم وتاريخهم؟ أليس وضع أطول وأوسع ثوب على أقزم وأنحل ذات . إعلاناً بديئاً مؤذياً وقحاً معيراً عن هذه الذات؟

.. هل وجد أو يمكن أن يوجد ولو تصوراً من يخطط وينشئ بيتاً أو مصنعاً أو حقلاً أو جهازاً أو سلاحاً أو أي شيء ثم يفرغه من كل معانيه وتفاصيله ووظائفه أي يجعله غير صالح لأي شيء من ذلك بل يجعله نقيضاً ومقاوماً لكل ذلك أي لكل معانيه وتفاصيله ووظائفه بل وعدواناً عليها وإفساداً وتشويهاً وتحقيراً وهجاءً وتكذيباً لها؟

هل فعل أو يمكن أن يفعل ذلك أي مجنون؟ هل وجد هذا المجنون؟

.. نعم، لقد وجد، وجد بكل المباهاة. إنه مجنون واحد لا يتكرر أو يتعدد.!

.. إنه مجنون كبير، كبير. .. إنه مجنون يرفض كل المجانين أن يكون أو يحسب منهم لثلا يكون جنوناً لجنونهم أي لعقولهم. .. لثلا يكون هجاءً لجنونهم. !
أليس جنون هذا المجنون الواحد هجاءً وفضحاً لكل جنون أي لو حسب جنونه جنوناً؟

.. أليس هذا المجنون الواحد الكبير، الكبير يذهب بكل المقاساة يدبر ويقدر ويخطط ليخلق الإنسان، ليخلقه مفرغاً من كل معاني الإنسان، من كل معانيه العقلية والنفسية والأخلاقية والإبداعية والحماسية ومن كل معاني ووظائف الرؤية والغضب والحب والإعجاب والاندھاش والشوق والكرامة واليسالة والرفض والكبرياء والغثيان أي الإنساني، بل ليخلقه نقيضاً ومقاوماً ومفسداً ومشوهاً وهاجياً لكل ذلك بل ومعادياً له ولمن يكونون أو يلتزمون شيئاً منه؟ هل يستطيع كل جنون كل المجانين أن يساوي شيئاً من جنون هذا الواحد الكبير المجنون؟ إذن أليس حسابان مخطط الإنسان وخالقه مجنوناً هبوطاً بكل تفاسير ومعاني الجنون والمجانين؟ لا، لا تقولوا إن مخطط الإنسان وخالقه مجنون لثلا تهينوا المجانين. !

.. اسمع أيها المؤمن. .. أنت حتماً ترفض وتخجل أن تصنع بل أو أن تفكر في أن تريد أو تصنع ثوباً أو منزلاً أو عقلاً أو حبلاً بلا معناه ووظيفته وضدهما، وتتعذب وتفجع لو اتهمت بذلك. ألسنت كذلك؟ هل وجد من جرؤ على اتهامك بهذا الاتهام؟ هل تجرؤ أو هل جرؤت أنت على أن تتهم أحداً بذلك أيها المؤمن الفاضح للإله المفضوح بإلهه؟

نعم، هل يوجد فاضح مفضوح مثل الإله ومثل المؤمن به؟

أو هل يوجد فاضح لنفسه ولغيره أي ولإلهه مثل المؤمن أو غير المؤمن؟ أليس الإله مفضوحاً فقط مهما زعم أو مهما بدا فاضحاً مفضوحاً؟ إنه أي الإله هو البريء من كل الذنوب والأخطاء المتهم بكل ذلك!

إن الإله هو الكائن الذي لا مثيل له بريئاً ولا مثيل له متهماً .

. . إذن كم يجب عليك أيها المؤمن ، أيها المؤمن جداً أن تحزن وترثي لإلهك الذي استطاع وجرو أن يتصور ويعشق ويدبر ويخطط ويصنع الإنسان الذي لن يوجد بل ولن يتصور مثله فاقداً لكل معانيه المزعومة والمقروءة والمعلّمة المنزلة . بل خارجاً عليها معادياً مناقضاً محارباً لها وعاجزاً عنها أيضاً أي بكل معانيه وتفسيره ونماذجه وبكل تعبيراته المسماة والمزعومة إنسانية بل المزعومة المحسوبة كل التفسير والقيم والنماذج والمعاني الإنسانية؟

إنه لا يوجد مثل الإنسان مناقضاً ومعادياً لكل معاني الإنسان . !

. . ماذا لو أن أي خياط حسب وقدر وخطط وقاس وخاط ثوباً ضد الجسد الذي أراده وصنعه له بل وضد كل معاني ونماذج الثياب والألبسة والأجساد؟ أليس محتوماً أن يرى ويحسب هذا الخياط أي لو وجد مجرمًا ومفسداً وعابثاً مخرباً أو مجنوناً؟

ثم أليس محتوماً مع هذا أن يرى ويحسب أي هذا الخياط عاقلاً ومنظماً وعبقرياً جداً لو حوكم وحوسب أو فسر بالإله الذي تصور وعشق ودبر وخطط وأراد وصاغ الإنسان كما صاغه ليحيى كما جاء دون أن يستطيع المجيء غير ما جاء ، أفضل وأعظم مما جاء ومما يستطيع أن يجيء بل لو حوكم أو حوسب أو فسر بالإله الذي أراد أو عشق أو دبر أو خطط أو فعل أي شيء في هذا الوجود؟

هل يقبل أي خياط أن يتهم بأنه هو الذي حسب وقاس وفصل وخاط أي شيء في هذا الكون ، أي ثوب أو جسد فيه؟

هل وجد من يصنع الشيء بصيغة الشيء بلا أي معنى من معانيه .

- هل وجد من يفعل ذلك غير الإله الذي صنع الإنسان بلا أي معنى من معانيه بل الذي صنع الإنسان وأراده وخططه وأخرجه نقيضاً وهدماً وتشويهاً لكل معانيه ، بل الذي أراد وخطط وصنع كل شيء ليكون خروجاً وعدواناً على كل معانيه؟

أليس كل شيء في هذا الوجود خروجاً وعدواناً على كل معانيه المزعومة والمعلّمة بل على كل معنى؟

آه يا إلهي . كيف لم تفتن إلى شيء لن يعجز عن أن يفتن إليه أحد سواك وسوى نبيك وخاتم أنبيائك محمد النبي العربي الذي بعثته إلينا ليقرأك ويقرأ كل معانيك وتفسيرك ونياتك ونماذجك لنا وعلينا .

. . ليقرأ علينا بمواهبه وتمنياته ورؤاه هو لا بأي شيء من صفاتك أو أخلاقك أو تمنياتك أو رؤيتك أو حتى برؤيته هو لك . وهل رآك ليحدثنا عن رؤيته لك؟ إذن أليس يحدثنا عن رؤيته لنفسه ولظروفه ولما حوله حين يحدثنا عنك؟

أليس كل نبي إنما يرى ويتصور ويقرأ ويفسر إلهه بعينه وعقله وأخلاقه وتمنياته وبمخاوفه وضعفه وشهوته ولسانه ولغاته هو ، هو فقط؟ إن كل إله وأي إله لا يساوي إلا من يتحدثون عنه .

. . إذن ماذا يساوي أي إله يراه أو يقرؤه أو يفسره أو يصفه أو يصوره لنا أي نبي؟ إن أي إله وكل إله لا يساوي أي إله وإنما يساوي من تصوره وصوره وفسره زاعماً أنه قد أرسله وبعثه رسولاً !

. . أجل ، يا إلهي إن في قضية هؤلاء الغلمان أسئلة حادة ، حادة جداً ولكنني من طول قراءتي لك وتحديقي فيك أحسب أنها أسئلة لم تقتحم عليك ولا على نبيك العربي محمد حدودكما وحصونكما التي لا تستطيع بل ولا تجرؤ أن تخترقها أو تحاول اختراقها التساؤلات التي لا بد أن تستسلم وتهدم وتزول أمامها كل الحصون والحدود والسدود !

هؤلاء الغلمان الذين سوف يصبحون خدماً وعبيداً وسقاةً في مشارب وملاهي فردوسك ولسكاراته ، من أين جاءوا وإلى أين يتمون؟

هل هم أبناء البشر الذين ماتوا في الحياة الأولى غلماناً . . أبناء من ذهبوا إلى الجحيم أم أبناء من ذهبوا إلى الفردوس أم أبناء الفريقين؟ هل هم الذين ماتوا أطفالاً فاستحييت أن تضعهم في الجحيم وبخلت أن تضعهم في الفردوس فجعلتهم عبيداً؟

. . أو هل هم يتخلقون في الفردوس تخلقاً ألياً عشوائياً بالقانون والمنطق اللذين بهما تخلقت ذات الإله وبهما تتخلق أهواؤه ورغباته وخطواته وضرباته ، أي بلا توالد وبلا آباء وأمهات؟

آه يا إلهي بأي قانون أو منطق صيغت ذاتك أو أخلاقك أو أي من معانيك؟

. . أو هل أنت تخلقهم في الفردوس ، من تراب الفردوس أو من ملابس وسرر وكراسي وأكواب سكان الفردوس كما تخلق حورياته؟

أو هل يكون في الفردوس حبل وولادة ويجيء هؤلاء الغلمان حبل وولادة نسائه وحورياته أي الفردوس؟ هل سكان الفردوس يصابون بالعقم مهما مارسوا أساليب الإخصاب والإنجاب؟ هل الحقل يصاب بالجذب بقدر ما يطره السحاب؟

.. أو هل هم أطفال شعوب تسكن الكواكب والأكوان الأخرى غزوتها أنت وأنبيائك وملائكتك فقهرتموها واحتللتهم ديارها ونهبتهم أموالها وقتلتهم رجالها وسبيتهم نساءها واسترققتهم أطفالها لأنها كما ترون وتقولون كافرة بكم مثلما كنتم تفعلون في الحياة الدنيا بسكان الأرض؟

وبهذا التفسير أو التقدير يصبح هؤلاء الغلمان أرقاء مغنومين مسلوبين أبناء كفر من كون آخر.. إذن كل عزاء ورتاء الحضارة لكم أيها الغلمان يا ضحايا الألوهية والنبوة العربية.!

.. ألا يمكن افتراضهم أبناء الملائكة؟ إن الاعتقاد الشائع أن الملائكة لا يتلاقحون لهذا لا يجلبون ولا يلدون أو يولدون أو يتوالدون.!

ولكن ألا يمكن أن يقال إنهم قد فعلوها هذه المرة استثناء مما التزمت به أخلاقهم وطبيعتهم أو مما فرض عليهم الالتزام به؟ ألا يقال إنهم قد فعلوها هذه المرة شهامة ونبلاً وتضحية لقوة وضخامة الحاجة إلى أن يفعلوها؟ وهنا أفترض أن الملائكة قد يتعاملون بالشهامة أو النبيل.!

نعم، إن في الملائكة شهامة ونبلاً ولكنها ضد كل معاني الشهامة والنبيل..! إن الملائكة هم دائماً طاعة شاملة والتزاماً بالأوامر الموجهة إليهم بلا أي قدر أو نبض من العصيان أو الغضب أو الرؤية أو التساؤل أو الحرج أو الاستحياء أو الاستنكار أو الحب أو الرحمة أو الشهامة أو القلب أو الضمير أو العتاب أو المحاوراة للنفس أو الاشتراط لها أو عليها.!

.. إن طاعة الملائكة لهجاء وتحقير لكل تفاسير الطاعة..!

.. إنهم أبداً تنفيذ أعمى، أعمى مفرغ من كل معاني الرؤية بكل تفاسيرها.!

إنه لا يوجد ولن يوجد خارجون على كل الأخلاق والكرامة والرؤية بلا أية معاناة أو ثمن غيرهم أو مثلهم.!

إنهم أي الملائكة أوقح وأقبح قتلة وجلادين وسجّانين وممرّضين ومشوّهين ومخربّين مدمّرين.. أوقح وأقبح جواسيس ومخبرين وزبانية جحيم. إن أسوأ وأردأ الطغاة جواسيس ومخبرين ومساعدين وجلادين وحراساً هو الإله لأن هؤلاء الملائكة هم كل جواسيسه ومساعديه وجلّاديه وحراسه.!

.. إنهم أجهزة الموت والتعذيب والتخريب الذين لا تذرف عيونهم أية دمة، ولا

تطلق قلوبهم أية أنه حتى ولو أصبحت كل البحار والأنهار والرعود والأصوات والصرخات وضجيج البراكين والتفجرات والتصادمات الكونية بعض دموع وأنات وصرخات ضحاياهم ومعذبيهم . . إن أي طاغية مهما كان جنونه لم يرد أن يكون أعوانه ومستشاروه بلا عيون أو ضمائر أو قلوب أو أخلاق أو دموع إلاّ الإله في اختياره للملائكة أعواناً ومستشارين .

. . إنهم لا يقاسون أو حتى يعرفون أي شيء من الغضب أو الرؤية أو الرفض أو الخجل أو الشرف أو الاحترام للنفس أو من الاحتجاج أو الاشتراط أو من الاحتياج إلى الإغضاء أو الأسى أو الندم مهما فعلوا وفعل بهم ومهما رأوا وواجهوا وعرفوا . .
مهما سقطوا وهانوا وافتضحوا وفضحوا . ! . إنه لا يوجد قبح كقبح الخيال الذي ابتكر نماذج هؤلاء الملائكة ولا كلمة تساوي في قبحها كلمة ملائكة . !

إن أردأ طاغية لن يقبل أن يكون هوان وقسوة ونذالة وعمى أعوانه مثل هوان وقسوة ونذالة وعمى هؤلاء الملائكة . !

إذن أليس هؤلاء أي الملائكة هم الذين يفترض أو يجب أن يكونوا آباء هؤلاء الغلمان الفردوسيين لكي ينقلوا إليهم كل أخلاقهم وأوصافهم وتفاسيرهم لكي يستطيعوا ويقبلوا أي هؤلاء الغلمان أن يكونوا خدماً وعبيداً وسقاةً في هذا الفردوس كما استطاع وقبل آباؤهم أي الملائكة أن يكونوا ويظلوا هم القتل والجلادين والمدمرين والجواسيس والزبانية في الحياة الأولى . هل وجد عبيد مستخرون لأنذل الأعمال بلا أي عصيان أو رفض أو غضب أو أجر غير الملائكة؟ إذن أليس المفروض أن يكونوا آباء هؤلاء الغلمان؟

. . إنه لمستحيل بل وأكثر من مستحيل أن يقبل هؤلاء الغلمان خدمتهم وعبوديتهم وغلामيتهم في الفردوس يطوفون على السكاري في مشاربهم وملاهيهم ويضعون بل يصبون الكؤوس في أفواههم وفوق مضاجعهم وهم في غيبوبة بذينة سفيهة في حجور الحوريات .

- نعم، إنه لمستحيل وأكثر من مستحيل أن يقبل هؤلاء الغلمان ذلك ما لم تنقل إليهم بل ما لم تفرغ فيهم كل معاني هؤلاء الملائكة الكرام، الكرام جداً الذين أريد لهم وفرض عليهم أن يكونوا لثاماً، لثاماً جداً ولكن بدون أن يعطوا أو يأخذوا شيئاً ثمناً للؤمهم أو تعويضاً وتكفيراً واعتذاراً عن فرض كل اللؤم عليهم، عن الفرض والحكم عليهم أي على الملائكة بأن يكونوا لثاماً بل بأن يكونوا كل اللثام وأردأ وأقبح نماذج

اللائم!! آه أيها الملائكة الكرام. ليتكم وهبتم شجاعة وكرامة إبليس الذي أبى أن يهون ويسقط كما هتمم وسقطتم إذن لسقط وفقداً أسوأ وأكبر طاغية كوني!!
.. الملائكة لا يتلاقحون ولا يتوالدون.. لا يحبلون أو يحبل بهم لا يلدون ولا يولدون..)

لماذا وكيف ذلك؟

أليس كل الأحياء حتى الحشرات والنباتات بل وحتى القديسون والأنبياء يفعلون كل ذلك أو يفعل بهم كل ذلك؟

آه يا إلهي ليتك تستطيع أن تسمع الحوار وتعيه. إذن لقلت لك:

هل حرّمت على الملائكة التلاحق والتوالد والممارسات الجنسية تكريماً وتنظيفاً وتزهيداً لهم وسموّاً بهم؟ إذن لماذا لم تحرم ذلك على القديسين والأنبياء؟ أليس هؤلاء أعظم وأكرم لديك من الملائكة؟

ألست يا إلهي قد أمرت الملائكة أن يسجدوا لآدم لأنه أبو البشر وأبو الأنبياء؟ إذن ماذا يمكن أن يساوي مقام الملائكة لديك محاسبين بمقام الأنبياء فكيف بمقام خاتم الأنبياء؟

إذن كيف يمكن أن تكرم وتنظف وتمجد الملائكة وأن تسمو بهم أكثر مما تفعل بالأنبياء وبخاتم الأنبياء؟ ألست تكرم وتمجد بالاستحقاق لا بالعشوائية، لا بالنقيض للاستحقاق؟

.. إذن هل حرّمت ذلك على الملائكة قسوةً وتعذيباً أو غلطةً رديئةً لثيمة؟

وحينئذ أليس ممكناً أن تتراجع عن هذه القسوة أو الغلطة ولو في هذه الحياة الثانية؟ ألا يغنيك أو يلهيك عن هذه القسوة أو الغلطة ما سوف تواجهه في جحيمك من فداحة وبشاعة قسوتك وغلطتك؟

.. إني يا إلهي لأحسب أن مواجعتك لقبح وعذاب جحيمك ستشبع كل مجاعاتك وأشواقك إلى مشاهدة العذاب والقبح. نعم، يا إلهي، أنت أعظم هاوٍ لمشاهدة القبح والعذاب. لهذا أنت أعظم وأبرع مخطط وخالق لذلك!!

.. فكّر معي يا إلهي هل توجد احتمالات أخرى غير هذه الاحتمالات عن مصدر وانتماء هؤلاء الغلمان!!

.. فكّر، فكّر وحاول أن تجد أية احتمالات غير الاحتمالات التي، تلوتها عليك.

ساعدني فكراً إن كنت تستطيع هذه المساعدة كما وهبتك كل مساعدتي الفكرية التي استطعتها . !

.. آه يا إلهي ما أفسى أن يتعامل من حكم عليه بكل الشهامة والرؤية والحساسية والتوقد والتساؤل والاحتجاج مع من حكم عليه بكل النذالة والبلادة والخمول والعمى والاستسلام؟

ما أشد عذاب وانفجاع من يذهب يحدق فيك يا إلهي محاسباً مسائلاً أي إن كان قد ركب حاداً شجاعاً في تحديقه ومساءلته ومحاسبته . !

إن العيون والعقول والضمائر التي تستطيع وتجرو أن تحدق فيك بكل طاقة التحديق وصدقه وبسالته وحرارته لا بد أن تحترق وأن تحرق . !

.. ولكن يبدو يا إلهي أن حظوظك جيدة جداً أو أنك خصم محارب ماهر جداً . .

لهذا فقتت وأخمدت وقتلت أو فقأت وأخمدت وقتلت أنت كل العيون والرؤى والعقول والضمائر عن رؤيتك ومحاسبتك ومساءلتك وقراءتك . إن البشر لم يفقدوا كل الرؤية والغضب والذكاء والشجاعة إلا في مواجهتهم لك . !

.. إنه لا شيء أو أحد مثلك أو غيرك يستحق أن يحاصر بأقوى التحديق الغاضب المسائل المحاسب المعاقب كما لا شيء أو لا أحد مثلك أو غيرك عصم وحمي وأعفي من كل هذا التحديق . إن كل العقول لو تجمعت وتحالفت وتعاونت لتجد تفسيراً مقبولاً مفهوماً لحمايتك ونجاتك من التحديق الغاضب المحاسب المعاقب فيك ولك لما وجدت . !

.. لا، بل إن حظوظك وحمايتك لنفسك لأعظم جداً من ذلك . فأنت فقط محمياً ومعصوماً من أن تراك وتحاسبك وتسائلك وتقرؤك العيون والعقول والضمائر، بل إنها لا بد أن تراك وتقرؤك وتفهمك وتفسرك أبداً نقيض ما أنت، نقيض الرؤية والقراءة والفهم والتفسير . . !

.. إن الذين يرونك يا إلهي ليسوا فاقدين للرؤية فقط بل هم راؤون ضد الرؤية . !

.. أجل يا إلهي إن هذه هي كل الاحتمالات التي استطعت أن أتذكرها وجروث أن أتلوها عليك أي عن انتماءات هؤلاء الغلمان البائسين الضائعين ومن أين جاؤوا .

فهل تستطيع أنت يا إلهي أن تعرف أو تتصور احتمالات أخرى؟ ليتك يا إلهي تستطيع ولو مرة واحدة أن تتفوق على البشر في المعرفة أو التصور أو القدرة أو في الأخلاق أو في أي شيء جميل أو نبيل . . !

إن كل هذه الاحتمالات لا بدّ أن تعني عواقب ونتائج ومشاكل وتساؤلات وورطات وتفسير أليمة يصعب ويقبح ويفجع أن تتحملها أخلاقك أو كبرياؤك أو شهامتك أو عدالتك أو نظافتك أو رحمتك أو حبك .!

إذن أليس محتوماً أن تتحول قضية هؤلاء الغلمان إلى قضية تعذيب وهجاء وإحراج وفضح لك يا إلهي يا من لا يحتاج إلى أي مزيد من الفضح والافتضاح؟ وفي قصة هؤلاء الغلمان عقدة أو مشكلة أخرى قد تكون أليمة .

.. إنهم بمعاشيتهم لسكان الفردوس لا بدّ أن يسمعوا ويعرفوا شيئاً عن قضية التوالد والقرابة وإن الكائن لا بدّ أن يكون ابناً أو أباً أو أخاً أو عمّاً أو كل ذلك، وإنه لا بدّ أن ينتمي إلى أسرة وإلى شعب أو جنس أو أمة أو حتى إلى قبيلة أو طائفة . . إنه لن يكون بلا أي انتماء إلى أي شيء . .

إنهم حينئذ لا بدّ أن يفكروا في انتمائهم هم ومن هي أمّتهم أو شعبهم أو جنسهم أو قبيلتهم أو أسرته أو آبائهم وأقربوهم بل وأوطانهم التي كانوا فيها وجأوا منها وأين هذه وهؤلاء الذين لا بدّ أن ينتموا إليهم وإليها ومن هم ومن هي . .

كيف لا يعرفوننا ويسألون عنا وبلقوننا ويفعلون من أجلنا شيئاً ويعيشون معنا كما يعيش الأهل والأقارب من سكان الفردوس بعضهم مع بعض .

أين هم، ألا يوجدون، هل أبيدوا، هل هربوا هل هم منفيون هل هم مسجونون جميعاً؟ لماذا لا يظهرون أو يذكرون؟ هل هم في الجحيم الرهيب الذي فيه الأكثرون من أقارب هؤلاء الذين وضعنا خدماً وعبيداً وسقاةً ومطربين لهم في هذا الفردوس؟

هل ذهبوا جميعاً إلى الجحيم، لماذا لم يقسموا بين الجحيم والفردوس كما قسّم الآخرون؟ نريد أن نراهم، أن نزورهم أو يزورونا، نريد أن نعرف عنهم شيئاً . .

ألا يمكن أنهم يحترقون شوقاً إلينا كل أوقاتهم ولكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً؟

من أراد وفعل ذلك بقومنا وأهلنا ولقومنا وأهلنا؟

لماذا نحن وحدنا، ولماذا قومنا وأهلنا وحدهم؟

.. أو هل نحن وحدنا الذين ليس لهم أي انتماء إلى أي شيء؟ هل نحن وحدنا

الشذوذ والخروج على كل الكائنات؟ لماذا؟ لماذا خصّنا من خصّنا بذلك؟

ما ذنبنا؟ وذنبا من جعله ذنبنا؟ ومن اختارنا أو لماذا اختارنا ليكون ذنبنا؟

وذنبنا لماذا اختارنا ليكون ذنبنا؟ لماذا اختارنا ولم يختَر غيرنا أو لماذا لم يختَر غيرنا مثلما اختارنا؟ نعم، وذنبنا ما ذنبه؟ نعم، المذنبون ما ذنبهم لكي يصبحوا مذنبين أو لكي يختاروا هم المذنبين؟

.. آه. نحن وحدنا جئنا بلا مجيء، بلا تخلق، بلا ولادة، بلا حب، بلا أمومة ولا أبوة، بلا حنان، بلا أرض ولا شعب ولا أهل ولا تاريخ، بلا أي انتماء إلى أي شيء، بلا أي تفسير أو قانون أو قيمة لمجيئنا غير أن نكون خدماً وعبداً وسقاة لسكارى كل اهتمامهم ونشاطهم والمطلوب منهم أن يطلوا سكارى في مضاجع الحوريات، في ملهى ليس فيه أي معنى جيد من معاني الملاهي... بلا أي مستقبل غير أن يظل هؤلاء الخدم العبيد السقاة..

نحن وحدنا الذين وجدوا ولم يجيئوا، لهذا لا نستطيع أن نذهب إذ لا يستطيع أن يذهب إلا من جاء..!

.. إذن هل يوجد مثلنا بؤساً وقبحاً وفضحاً؟ هل يوجد مفسوق به وخادم منظم حارس للفسق بلا أي لذة أو نشوة أو نهاية وأيضاً بلا أي أجر غيرنا؟

هل يوجد فاسق بلا لذة الفسق وبلا ثمنه غيرنا؟

هل يوجد فاسق بأعضاء وشهوات غيره غيرنا؟

هل جرب أحد غيرنا قبح وفحش ونذالة وعذاب الفسق بأعضاء وشهوات غيره؟

إنه لمحتوم أو محتمل جداً أن يحترق هؤلاء الغلمان بهذه التساؤلات الغاضبة المغيظة الحزينة الحائرة الراضة..!

هل يمكن أن تكون يا إلهي قد غفلت عن ذلك؟ هل حاولت أن تغفل عنه وتغافلت عنه حتى اقتنعت أنه لن يحدث؟

هل موهبة الغفلة والتغافل فيك هي التي جعلتك تجرؤ على أن تفعل وتخطو وتقتنع وترضى وتفرج وتتكلم أو حتى توجد أو تقبل أن توجد أو يوجد أي شيء؟

هل يمكن أن تقبل أو أن تكون شيئاً من ذلك لولا عبقرية وشمول الغفلة والتغافل فيك؟ هل تستطيع رؤية نفسك أو رؤية أي شيء لولا ذلك؟

إنه لم يوجد ولن يوجد من يطاولك أو يحاول مطاولتك يا إلهي في غفلتك وتغافلك حتى الزعامات والقيادات العربية لن تجرؤ على هذه المطاولة أو المنافسة أو تستطيعها..!

إنك يا إلهي الكائن الذي تركع لغفلته غفلة جميع الزعامات والقيادات العربية .

إن غفلة وتغافل الزعامات والقيادات والنبوات العربية لا تشعران بالعجز أو الهوان أو الهزيمة إلاّ حينما تحدقان في غفلتك وتغافلك يا إلهي . . آه يا غفلة وتغافل الزعامات والقيادات والنبوات العربية لا تعجباً بنفسيكما أو ترضياً عنهما . حدقا، حدقا في ضخامة غفلة الإله وتغافله لكي تخجلا من نفسيكما وتتواضعا .

. . هل يوجد مثلك يا إلهي في غفلتك وتغافلك حينما تنظر إلى الكون أو إلى الإنسان أو إلى أي شيء فرحاً معجباً مسروراً معتقداً ومعلنأ أنك بذلك قد ربحت وسعدت وأصبحت عظيماً وجميلاً وعبقرياً وفناناً ومحسناً ومنتصراً وذكياً وحكيماً ورحيماً ونظيفاً ومعبوداً ومحترماً؟

استتر يا إلهي وتوقر . . استتر وتوقر .

. . هل تستطيع يا إلهي أن تنظر إلى ذاتك أو إلى عقلك أو قلبك أو ضميرك أو أخلاقك أو إلى تاريخك أو إلى أي شيء أو إلى أية مرآة أو إلى أي قمر أو نجم أو شمس أو مجرة من لعبك الكبيرة .

- نعم، هل تستطيع أن تنظر إلى كل ذلك أو إلى أي شيء منه لولا ضخامة وشمول غفلتك وتغافلك؟

. . آه . الإله يخلق الإنسان والصرصار والمرض والعاهة والموت والشيخوخة والعار والعجز والشلل والعمى وكل شيء في هذا الوجود لكي يصبح ويرى ويجد ويعلن نفسه سعيداً وجميلاً وفناناً وعبقرياً وأخلاقياً بل ومعبوداً، معبوداً .!

آه هل يوجد محتاج إلى أن يتعلم الاستتار والوقار والخجل مثل هذا الإله؟

. . إذن أيها الحشرات هبي كل رثائك وأحزانك ودموعك لغفلة وتغافل هذا الإله . .

إذن يا كل الحشرات افخري بذكائك وبقظتك محاسبة ومفسرة بغفلة وتغافل هذا الإله . . إذن أيتها الحشرات هبي هذا الإله شيئاً من ذكائك وبقظتك وحكمتك ورؤيتك ومن وقارك واستتارك وحيائك .!

. . إذن يا أردأ وأصغر الحشرات هبي كل إشفاقك للإله الذي وضع واستفرغ فيك ووجد ورأى فيك كل ذكائه وجماله وفنه وحبه وقدرته وعبقريته ونظافته وشاعريته وأخلاقه وطموحه . . للإله الذي حينما فرغ من صنعك وراك أو الذي حينما رأك حسبك

من صنعه بكل الإعجاب بالنفس والرضا عنها فذهب يحدّق فيك مغنياً ممجداً لنفسه بكل لغات وأصوات النبوات والكتب المنزلة، مثنياً على جمالك ونظافتك وضخامتك أو على جماله وضخامته ونظافته التي وجدها ورآها فيك - مثنياً على ذلك بكل إصحاحات وأسفار وسور التوراة والإنجيل والقرآن . . مبتسماً بكل التعبيرات والاستعراضات لعبقريته التي تصورتك وصاغتك . !

. . نعم، إنه لمحتوم وقد يُقال إنه لمحتمل فقط ولكنه محتمل جداً أن يقاسي هؤلاء الغلمان هذه المقاساة الفادحة الشاملة الغاضبة الراضة المفجوعة المقهورة الأليمة المتسائلة . !

فهل يمكن أن تظل هذه المقاساة صمتاً وسكوناً واستسلاماً أبدياً بلا مقاومة وبلا ردود ملائمة مختلفة ومتعددة الأساليب والتعبيرات بل والأسلحة؟ هل يمكن ذلك حتى ولو كان المقاسون هذه المقاساة شعوباً عربية؟

نعم، حتى العرب المثاليون في استسلامهم وصبرهم على البلاء والهوان قد يرفضون هذه المقاساة .

. . أليس المفروض بل المحتوم أن يدبر ويبتكر ويصنع ويحمل ويستعمل هؤلاء الغلمان حينئذ كل الأسلحة وكل فنون الحروب والثورات والضرب والتدمير والانتقام ضد هذا الفردوس وضد كل من فيه وما فيه وضد صانعه وواهبه وضد كل شيء وكل أحد وضد من يقال إنه المدبر والمخطط والخالق الفاعل الأعظم؟

أليس محتملاً جداً أن يدبروا حريقاً لتدمير هذا الملهى السخيف القبيح المتجمعة فيه كل صيغ الشذوذ ومعانيه المسمى فردوساً؟

هل فطنت يا إلهي إلى ذلك وفكرت فيه وخططت ودبرت للحماية منه؟

ولكن كم أرجو ألا يكون تخطيطك وتديرك وعلاجك وإتقاؤك لذلك عربياً، عربياً أي بأن تكون قد أجريت عملية خصاء على هؤلاء الغلمان، وبأن تكون قد أرسلت وأنزلت عليهم وإليهم نبوات وتعاليم وكتباً عربية مقدسة تعلمهم كيف يصبرون ويتقبلون ويطيعون ويرضون ويشكرون ويصلون لكل ما توقع بهم بل ويزدادون رضاً وشكراً وحمداً وصلاةً لك كلما قسوت وتوحشت في الإيقاع بهم . .

تعلمهم كيف يرونك كل الحب والجمال والشهامة لأنك جعلتهم خدماً وعبيداً وسقاءً في ملهاك البذيء . !

. . إن الحديث عن قصة هؤلاء الغلمان وعما فيها من قبح وعار وافتضاح وفسوق

وسقوط بل وجنون لا ينتهي ، وإذا وقفنا الحديث عنها فليس انتهاءً أو إنهاءً ولكن عجزاً وملاً واشمئزاً . . إن كل ما في الدنيا بل الكون من أقلام وحبر لا يستطيع أن يكفي للحديث عن قبح وسخف فعلة واحدة من فعلاتك يا إلهي . . !

. . في هذه اللحظة يهجم علي هذا التصور . آه . هل يوجد من يستطيع أن يصد أو يخفف عني شيئاً من قسوة هذا الهجوم ، الهجوم؟

. . إني في هذه اللحظة أرى أي بهذا التصور عدداً من أعظم الأنبياء والأتقياء الأولياء الشيوخ أعماراً ومقاماً وتاريخاً . . أراهم منبطحين أو منطرحين أو مستقلقين سكرى ، سكرى في أحضان الحوريات . .

وأرى حولهم الغلمان محلين ومتزينين بكل الحلى والعطور والأصباغ والجواهر والحرير والأنوثة والخنوثة واقفين في أيديهم الكؤوس الفارغة والملاي يطوفون بها بكل الأنوثة والخنوثة على هؤلاء الأنبياء والأتقياء الأولياء السكرى المنبطحين المستلقين في حجور وعلى حجور الحوريات . !

آه . أشفقوا عليّ ، أشفقوا ببكاء ورثاء لأنني في هذه اللحظات بل وفي كل الأوقات أواجه وأقاسي هذا التصور بكل الاحتراق والانفجاع والغثيان . !

أليس هذا التصور قادراً على أن يغرق البحار ويطفئ الشمس؟

آه لتصب كل العيون حتى عيون أردأ أو أوقح الحشرات ، لتصب بالعمى بالدائم لئلا ترى هذا المنظر الذي أتصوره . !

الأنبياء سكارى في مضاجع الحوريات وأبناؤهم وآبائهم في الجحيم يحترقون! هل تصدقون؟

الأنبياء سكارى في مضاجع الحوريات .

.. وآبائهم وأبناؤهم في الجحيم يحترقون . .

.. هل تصدقون . .

آه . كم يجب الإشفاق عليك يا إلهي . . إن الحساب طويل .

طويل وعسير ، عسير جداً . .

إن عليك يا إلهي أن تصبر وتتجلد . إنك لا تستطيع أن تجد شيئاً أو بديلاً آخر عن أن تصبر وتتجلد وتحاول ألا يكون افتضاحك وعارك وانهزامك كما لا بد أن يكون بل كما يجب وينبغي أن يكون . هل يوجد مثلك يا إلهي محتاجاً إلى الوقار والاستتار وفاقداً للوقار والاستتار؟ اغفر لي أن أكرر ذلك . اغفر لي !

.. إن ذنوبك وأخطائك وورطاتك يا إلهي كبيرة ، كبيرة . إنها أكبر من كل حجم موجود ومتصور . إنها بحجم هذا الكون وكل شيء . إنها أكبر . إذن أليس عليك أن تتحمل شيئاً مما تستحق بصبر وتجلد وشهامة ولو بقدر أقل مما تطالب به الآخرين أن يفعلوه محاسبين بأخطائهم وذنوبهم وورطاتهم؟

هل تقبل يا إلهي أن تكون معلماً للآخرين ما لا تستطيع أو تريد أن تعلمه لنفسك ، أو أن تحاسبهم على ما لا تحاسب به نفسك أو أن تحاسبهم ثم ترفض أن يحاسبوك؟ هل يوجد مثلك من يستحق كل الحساب وأقصى الحساب يحاسبك به كل المحاسبين وأقصى المحاسبين؟

.. أليس حساب الأكبر يجب أن يكون أقصى وأوجب وأحسم من حساب

الأصغر؟ هل نسيت يا إلهي أنك الأكبر؟ آه يا إلهي . ما أقسى وأطول وأفجع محاسبتك لو حوسبت بقدر ذنوبك وأخطائك . !

.. لقد دلت وحاييت يا إلهي نفسك طويلاً وكذلك ذلك وحاباك المؤمنون بك والمتحدثون عنك والمفسرون لك حتى أصبحت الفاعل لكل الذنوب والأخطاء والمغفور له كل الذنوب والأخطاء بل حتى رأيت ذلك واقتنعت به وحتى أصبحت يا إلهي بلا أي قدر من الأخلاق أو المنطق أو الحياء أو الوقار . .

.. لقد أصابك من الغرور ومن الرضا عن النفس ومن الغفران لها ومن العجز عن رؤية أخطائها وخطاياها وتشوهاتها ودماستها وفضائحتها ما لم يصب حتى ولا النبوات أو الزعامات أو القيادات العربية . .

كان يقال : إنك قد استعرت رؤيتك لنفسك ورضاك عنها وغفرانك لها وإعجابك بها من النبوات والقيادات والزعامات العربية . . !

كان يقال إن الزعامات العربية هي التي علمتك كل صيغك وتفاسيرك . . !
.. ولكن يا إلهي أليس في هذا القول كل المبالغة في الظلم لك وللنبوات والزعامات والقيادات العربية ، وفي الافتراء عليك وعلى النبوات والقيادات والزعامات العربية ؟

إنه ظلم لك لأنك أنت المعلم لذلك لا المتعلم وظلم للزعامات والقيادات العربية لأنها المتعلمة منك لا المعلمة لك . !

.. أعترف لك يا إلهي ويعترف لك أو يجب أن يعترف لك كل العالم بأنك معلم كل القبح والضلال والسخف والبلادة والوقاحة والغرور لكل شيء ولكل أحد حتى للنبوات والزعامات والقيادات العربية . !

والزعامات العربية هي أكثر الزعامات تعلماً منك وهذا أقبح ما فيها يا إلهي . !
.. وهنا لا بدّ أن أسألك وهل تقبل أن تكون موجوداً إذا كان ذلك كذلك ، أو هل تغفر لمن زعموك موجوداً ، أو هل تعجز عن أن تفهم الاحترام أو التنزيه أو التكريم الذي يهبك إياه من نفاك ، من لم يجدك موجوداً؟ أليس قولك يا إلهي أي لو قلت : إني أرفض أن أكون أو أرى موجوداً يساوي أن تقول : إني أرفض أن أكون كل النذالة والقبح والسفاهة والعبث والعذاب والتعذيب والظلم لأن وجودك يعني حتماً أن تكون كل هذا ، أن تكون كل هذا إرادة وتدبيراً وتخطيطاً وتفكيراً ورغبة وموهبة وخلقاً بل ومواجهة

ومعايشة . آه يا إلهي . إنني أرفض أن أكون مواجهاً أو راثياً لكل هذا فكيف تقبل أنت أن تكون مريداً وفاعلاً كل هذا؟

. . نعم ، إن رفضك لأن تكون موجوداً أي لو رفضت يساوي ويعني أن تقول إنني أرفض أن أكون هذا الذباب أو هذا الصرصار أو هذا البرغوث أو هذه القملة ، كما أن قبولك لأن تكون موجوداً يساوي ويعني قبولك أن تكون كل هذا بل وفرحك وإعجابك وسعادتك بأن تكونه وبأن يكون أي الذباب والبرغوث والصرصار والقملة تفسيراً لجمالك وحبك ونظافتك وفنك وعبقريتك ولكل مستوياتك ورؤاك وأشواقك النفسية والعقلية والأخلاقية . نعم ، أنت موجود يا إلهي إذن فكل الحشرات والدمامات والآلام هي بعض تفاسيرك . !

. . إنني حائر ومفجوع . . حائر ومفجوع يا إلهي كلما حدثت فيك وحاولت أن أفهمك وأنا دائماً أقاسي هذا التحديق وهذه المحاولة لفهمك . إذن هل تستطيع أن تتصور قسوة عذابني ، عذاب حيرتي وانفجاعي؟ أليست لديك مرآة ترى بها وجهك؟ هل أنت بلا رؤية ، بلا عيين؟

آه يا إلهي لو رأيت نفسك ، وجهك إنك حيثذ لن تجد مكاناً يقبلك هارباً إليه !
. . لماذا يا إلهي تريد أن تكون موجوداً وتريد أن تزعم وترى وتعلن موجوداً؟
لماذا تجن بذلك فرحاً وسعادة ورضاً وكبراً ومجداً؟

هل فهمت أو فكّرت لماذا تفعل ذلك؟ لماذا جاءت تصوراتك وشهواتك ورغباتك كما جاءت؟ من صاغك هذه الصياغة ولماذا صاغك من صاغك أو لماذا صغت نفسك يا إلهي هذه الصياغة؟ هل تمنيت لنفسك صياغة أخرى؟ لماذا لم تمن وتفعل؟
هل فكرت أو فهمت أو تساءلت ما الذي تربحه أو تستفيده من ذلك أي من وجودك ومن اعتقادك وإعلانك موجوداً؟

هل يمكن تصور سذاجة أو بلاهة أو طفولة تشبه سذاجتك أو بلاهتك أو طفولتك يا إلهي في إصرارك على أن تكون موجوداً وعلى أن ترى وتعلن موجوداً وفي فرحك وسعادتك ومطالبتك بذلك وفي رضاك عنه .؟ آه . إن فرحك بأن ترى وتعلن كل الجمال أشرس وأكثر حماسة ونزقاً من فرح أية غانية بأن ترى كل الجمال والغواية . !

هل فكرت أو عقلت أو تساءلت أو سألت : ما الذي يفرحك أو يسعدك أو يمجّدك أو يرضيك في أن تكون موجوداً كما أنت موجود في المكان والظروف والمواجهات التي أنت فيها موجود لكي تكون محكوماً عليك بأن تواجه وترى وتسمع وتقرأ وتعايش

وتعاشر وتستقبل كل عاهات وتشوهات وقباحات ووقاحات وأنات وصرخات وآثام وآلام
وفضائح كل هذا الوجود وكل شيء ولكي تكون مسؤولاً عن كل ذلك ومفسراً مرئياً به
بل وفاعلاً له؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد كائن أو فاعل بلا ثمن أو فرح أو سعادة أو مجد أو
متعة غيرك يا إلهي؟

هل أنت يا إلهي شاذ شذوذاً لا نموذج ولا مقياس له؟

هل أنت شاذ شذوذاً يجعل كل سعادتك وفرحك ورضاك ومجداً وكبريائك في أن
ترى وتواجه وتسمع وتعاش وتعاشر بل وتريد وتشتهي وتعشق وتخطط كل هذا القبح
والغباء والألم والتفاهة والعبث والافتضاح والعار والهوان ثم تفعله؟

هل هذا هو كل فنونك وأشعارك واستمتاعك وصلواتك ومغازلاتك وأغانيك
لنفسك؟ إذن هل يمكن أن يرتفع أي شذوذ وكل شذوذ ليكون شيئاً من شذوذك؟

إذن هل يستطيع أو حتى يجرؤ جميع المحللين والمعالجين النفسيين والعلميين
والعقليين والأخلاقيين أن يحللوك أو يصفوك أو يفهموك أو يقرأوك أو يداووك يا إلهي
بل أو حتى يحدقوا فيك أو يقتربوا منك؟ إنك يا إلهي الشذوذ الشامل المعجز لكل
المفسرين والمحللين والمداوين.!

إنك العلة والخطيئة اللتان لا تستطيع كل التوبات والصلوات وعبقريات الطب
شفاءهما أو غفرانهما.!

. . لهذا كم أنا حائر ومفجوع كلما حاولت أن أهدق فيك أو أقرأك أو أفهمك أو
أفسرك أو أقرأ أو أفهم أو أفسر كل من زعموك موجوداً وأرادوك ورضوك واحترموك
وأحبوك موجوداً، زاعمين معتقدين معلنين أنهم يمجدونك ويرضونك ويفرحونك
ويسعدونك ويخدعونك حين يزعمونك ويعلنونك موجوداً بلا أي شرط لك أو لوجودك
أو لإعلان وجودك من شروط الجمال أو الحب أو العقل أو الكرامة أو السعادة.؟!

. . إنني أريد أن أقول لك يا إلهي أقول وأقول وأستمر أقول أي لك متحدثاً إليك
عن آلامي وفواجعي بك ومعك راجياً أن تصدقني.!

ولكنني لا بد أن أفهمك وأعذرک وأغفر لك يا إلهي إن لم تصدقني.!. أأست
عربياً؟ وهل يجوز أن يلام من لم يصدق العربي؟

هل تلام إذا لم تجز أي عربي على إعلانه الإيمان بك لأنك لا تستطيع تصديقه؟

.. نعم، كيف ألومك إذا لم تصدقني وأنا عربي وقد جربت وعرفت هل يمكن أن يصدق العرب وهل يجوز أن يصدقوا بل وهل ينتظرون أو يريدون أو يرجون أن يكونوا صادقين أو مصدقين. !

.. بل إنني لن أعذرك أو أغفر لك لو صدقت أي عربي بعد أن عرفت وجربت العرب كل العرب في كل تاريخك وتاريخهم. !

.. إذن هل أنا سخيّف جداً حين أطلبك وأرجوك أن تصدقني أي حين أقول لك بكل مشاعر الحرج والاستحياء والأمل وبكل إرادة الصدق والتصديق.

- نعم، حين أقول لك إنني عاجز عن أن أفهم أيكما أكثف غفلة وتغفيلاً: أنت حينما رأيت أن وجودك وإعلان وجودك ومجد وتكريم لك أم المؤمن بك حينما اعتقد وأعلن أنه بإيمانه بل إنما يمجدك ويكرمك ويسعدك ويرضيك بل إنما يضع على جسّدك ووجهك وثيابك وعرشك وسريرك كل العطور والأصباغ والحلى والحلل، وكذلك حينما عجزتما أي أنت يا إلهي والمؤمن بك عن أن تفهما أنه لا تحقير أو تلوّث أو تشويه أو إيذاء أو تعذيب أو اتهام لك يا إلهي أو لأي شيء أو لأي أحد مثل التحقير والتلوّث والتعذيب والتشويه والإيذاء لك يا إلهي بزعمك واعتقادك موجوداً ومثل اتهامك بذلك؟

أحسب يا إلهي أك قد تراني قاسياً أو حتى فظاً في محاورتي ومحاسبتني لك، وقد أبدو كذلك. وقد أعذرك في اتهامك لي بهذه القسوة والفظاظة، مع أنني مقتنع أن كل قسوة وفظاظة تحاسب وتجاوز بها أنت يا إلهي لا بدّ أن تكون رفيقة ورقيقة ورحيمة مهما كان عنفها وغضبها لأن أخطاءك وخطاياك أكبر من كل شيء من كل حوار وحساب وعقاب، أكبر من كل شيء لأنها كل شيء. نعم، يا إلهي هل يوجد شيء غير أخطائك وخطاياك؟

.. ومع هذا فإنني حريص جداً على أن تعرف أن ما تراه مني قسوة أو فظاظة ليس إلا شيئاً من الغيرة عليك ومن العتاب الحاني والتأميل المصدوم. .

ومحاورتك ومحاسبتك بكل القسوة والغضب والعتاب الحاد كان يجب أن تكون هي البدء أي هي بدء التعامل والتخاطب والتلاقي معك لأن كل شيء يوجب ذلك ويحرض عليه ولكن الذين وجدوك وعاملوك ولقوك وخاطبوك لم يفعلوا شيئاً من ذلك مع أن كل مواجهاتهم ورؤاهم وتجاربهم وبدائياتهم ونهاياتهم تحاصرهم ملزمة لهم أن يفعلوه أي أن يفعلوا هذه القسوة والفظاظة أو ما يحسب قسوة وفظاظة أي في محاورتك ومحاسبتك. !

ولكنهم استبدلوا بذلك النقيض . . فعلوا ما لم يكن محتملاً أو مقبولاً أو معقولاً أو مغفوراً أو منتظراً أن يفعلوه . !

لقد ذهبوا بكل الهوان والغباء والافتضاح يدللونك ويحابونك ويمجدونك ويمتدحونك ويعلنون بكل الأصوات واللغات والأساليب عن حبهم لك ورضاهم عنك وإعجابهم بك وعن شمول وسخاء وفيضان وطوفان رحمتك وشهامتك ورقتك وعدالتك وعن بحار دموعك وأحزانك ورثائك واعتلالك من أجلهم وخوفاً وحناناً عليهم وشوقاً إليهم واهتماماً بهم .

- نعم ، لقد ذهبوا يفعلون ويقولون ويعلنون وينشدون ويقرأون ويفسرون ذلك كلما أمطرتهم وأغرقتهم وأحرقتهم بكل الأوبئة والمجاعات والقباحات والوقاحات والمظالم والآلام يا إلهي المخدوع المكذوب عليه والمخدوع به وباسمه أبداً . !

نعم ، لقد ذهبوا وظلوا يفعلون ويقولون ذلك ويعلنون عن إيمانهم به حتى أفسدوك وضللوك يا إلهي وأصابوك بكل معاني الغرور الأبله الأعمى العاجز عن كل رؤية بل الفاقد كل رؤية والرافض لكل رؤية . !

. . لقد ذهبوا وظلوا يفعلون ويقولون ويعلنون ذلك ضعفاً وخوفاً وملقاً ونفاقاً وخداعاً لك يا إلهي بينما كانوا يرون ويواجهون ويجربون ويعرفون ويقاسون النقيض ، النقيض جداً . !

لقد ذهبوا يكتبونك يا إلهي ويقرأونك ويفسرونك ويعلنونك ويعلمون عنك وبك نقيض ما يواجهونك ويرونك ويجربونك ويفهمونك ويقاسونك ويتعذبون بك وبكل حماقاتك وبدواتك وضلالاتك مثلما كانوا مع حكامهم وطغاتهم . !
أليسوا أي كل البشر أو بعضهم وكل العرب حتماً من هؤلاء الذين هم بعض البشر أي :

- أليسوا يهتفون لعدالة وشهامة وحكمة ورحمة وبسالة وعظمة حكامهم وطغاتهم بقدر ما يقاسون ويرون ويعرفون من جورهم ونذالتهم وجهالتهم وضآلتهم وقسوتهم وجبنهم وضلالهم وقياداتهم المدمرة ؟

أليسوا يفعلون ذلك جبناً ونفاقاً وخداعاً واحتيالاً وأيضاً بفعلونه جهلاً وغباء ونذالة وتقليداً وميراثاً واستمراراً واحتياجاً إلى الهتاف والصراخ والتعبير الاستفراغي ؟

أليس الإنسان يؤمن ويصلي ويتعبد ويهتف ويمدح ولو أحياناً لأنه محتاج إلى أن يستفرغ بالصوت والحركة لا لأنه محتاج إلى الإله ؟

. . ولكن أليس يحق لك يا إلهي أن تفخر بتفوق حظوظك على حظوظ كل الطغاة
الجهلاء المذلين المدمرين الذين تصاغ لهم كل المدائح والصلوات والتهنئات في كل
العالم العربي، في كل التاريخ العربي، وأيضاً في غير العالم العربي في كل التاريخ أو
في أكثر فترات التاريخ أي حينما يستحقون نقيض ذلك، أي حينما يستحقون الطرد
والصلب واللعن؟

أليست كل الزعامات والقيادات العربية في كل التاريخ لا تستحق إلا الطرد
والصلب؟

أجل، أليس يحق لك أن تفخر بتفوق حظوظك في هذه القضية على حظوظ جميع
الممائلين والمنافسين والمشبهين لك في جودة حظوظهم حين كان يجب وينتظر أن
تكون حظوظهم أردأ الحظوظ؟

أليست ذنوبك وأخطاؤك ووقاحاتك وقبائحك يا إلهي أكبر وأشمل وأقسى من كل
ما يمكن أن يريد ويدبر ويستطيع ويفعل كل الآخرين الممائلين لك من ذلك؟
بل أليست كل الذنوب والأخطاء والوقاحات والقبائح هي منطقك وأخلاقك وبناتك
وأبناءك وحدك، وحدك؟

ثم أليست المدائح والصلوات والتهنئات والدموع التي ترفع إليك شكراً لك على
ذنوبك وأخطائك ووقاحاتك وقبائحك ووحشيتك أعظم وأشمل وأدوم وأصدق وأكثر
إذلاً وافترضاً وغباء من كل ما يرفع من ذلك إلى أمثالك؟ إنه لا أحد يساويك في
ضخامة الذنوب والأخطاء ولا أحد يساويك موهوباً كل المديح والشكر والإعجاب
والحب والإيمان بك. !

إذن أليست حظوظك التي وهبك إياها جبن الإنسان وهوانه وغباؤه . . التي وهبك
إياها بكل الضخامة والسخاء جبن الإنسان العربي وهوانه وسخاؤه هي أعظم من كل
الحظوظ؟

إذن أليس يحق لك يا إلهي أن تباهي وتسعد وتفرح بتفوق حظوظك على كل
حظوظ كل الآخرين في هذه القضية قضية الامتداح والشكر والحب والإعجاب والإيمان
حيث يجب الظم والرفض والطرد والاشمئزاز؟

وقد تكون رؤيتك وتفسيرك وإعلانك كل الجمال والحب والرحمة والحكمة
والعدل والذكاء ومدحك بكل ذلك بينما أنت النقيض الحاد الشامل لكل هذا هو الذي

لقد وعلم وروض البشر ولا سيما العرب على أن يفعلوا الشيء نفسه مع قاهريهم ومذليهم ومفكريهم من الحكام والقادة والأنبياء أيضاً. نعم، والأنبياء أيضاً. هل أهان معاني الإنسان مثل الأنبياء؟

هل أساء إلى ذكاء الإنسان وحرية وكرامته وحب بل وإلى إنسانيته مثل أنبيائه؟

. . أأست يا إلهي أنت البدء في كل شيء ولكل شيء والمعلم لكل شيء ولكل أحد كل معانيه وتفاسيره ونماذجه؟ إذن لا بد أن تكون أنت الأول الذي علم العرب وعلم أحياناً غيرهم أن يعبدوا حكامهم وزعماءهم وأنبياءهم وقادتهم وأن يروهم كل الجمال والرحمة والحكمة والحب حيث كان الواجب أن يطردوهم ويصلبوهم ويلعنوهم وأن يروهم ويفسروهم ويعلنوهم كل الدمامة والوقاحة والسفاهة والوحشية والضلال والبغضاء؟

من رأوك وأعلنوك يا إلهي كل الجمال والمحبة والرحمة والعبقرية كيف ينكر منهم أو لا ينتظر منهم أن يروا ويعلنوا أردأ وأقبح حكامهم وزعمائهم وأنبيائهم هم أعظم وأشمل وأصدق منك جمالاً ومحبة ورحمة وحكمة وعبقرية، بل وأن يروا ويعلنوا كل الأشياء وأقبح الأشياء هي كل هذا الكمال والجمال؟

أنا يا إلهي أراك كل صيغ وتفاسير كل الجمال والكمال أي لو كنت أراك كذلك وأنت مريد ومخطط وعاشق وصانع كل ما أواجه وأرى وأعرف وأقاسي!

إذن كيف لا أرى كل شيء هو كل صيغ وتفاسير كل الجمال والكمال؟

إن المنطق والصدق والشرف ليحتم يا إلهي على من رأوك كل الجمال والكمال المطلوبين المتصورين ألا يروا شيئاً إلا كذلك، بل ليحتم عليهم ألا يضعوا في لغتهم كلمة: قبيح أو وقح أو فظ أو قاس متوحش أو ظالم أو نذل أو أعمى أو بليد أو سفیه أو عاجز أو أصم أو أناني أو كاذب. أليس كل ما نراه ذميماً وذميماً وبليداً وشرّاً هو ولادة يديك ومنطقك وأخلاقك وشهوتك وإرادتك وموهبتك؟

. . إنه لشيء يؤجج كل الغيظ والغضب أن يصفك يا إلهي واصف بكل الرحمة ثم يجرو على أن يصف أي طاغية قاتل للشعوب ومخرب للمدن أو أي وحش بالقسوة أو بالوحشية بل ثم لا يصف هذا الطاغية أو الوحش بكل الرحمة والحب والحنان بل ثم لا يطلب من هذا الطاغية أو الوحش أن يهبك ويعلمك يا إلهي شيئاً من رحمته ومحبته وحنانه. !. إنه لا أكذب أو أقبح أو أنذل أو أظلم من العين التي تراك كل الجمال ثم ترى أي دميم ذميماً أو ترى أية دمامة. ! آه يا إلهي ما أقسى وأدوم تعذيبك لي بقراءتي

وتفسيرى ومحاسبتى لك .! . ما أقسى عذاب من يراك ويقراك ويفسرك ويحاسبك ويشترط فيك ولك وعليك!

. . ألم تظن إلى ذلك؟ ألا يعذبك أو حتى يعاتبك ضميرك؟ ألا ترى أن أقل ما يجب عليك أن تعتذر وتوب إلى أن لم ترد أو تستطع أن تفعل ما هو أنفع وأكبر وأشفى من التوبة والاعتذار؟

نعم، ما أقسى عذاب التحديث فيك يا إلهي . . ما أقسى عذاب رؤيتك من كل جهاتك وأطرافك في كل حالاتك وتفسيراتك وتعبيراتك . . ما أقسى وأفجع رؤيتك عارياً ولابساً، لابساً كل هذا الكون، كل ثيابك .!

أليس هذا الكون هو كل ملابسك وزينتك وحليك . ما أقسى عذاب رؤيتك لابساً كل مالك وحليك وزينتك . . كل عباأتك وكوفياتك وعقالاتك وجلابيبك .! ما أقسى وأفجع رؤيتك في كل حالاتك، لهذا ما أقل من يفعلون ذلك .! ليتك يا إلهي تجرب ذلك أي تجرب قسوة وفجعة وعذاب من يرونك . . ليت الآخرين يجربون ذلك بالقسوة التي بها أجربه .!

لماذا أنا وحدي؟ لماذا أنا وحدي أتعذب برؤيتك وقراءتك وتفسيرك ومحاسبتك بكل هذه القسوة والديمومة؟

لماذا لم تعاقب أنبياءك وملائكتك برؤيتك وقراءتك ومحاسبتك وتفسيرك كما عاقبتني؟

هل أنا وحدي نبي أو شاعر أو فنان أو قديس؟ لا، أنا لست شيئاً أو أحداً من هؤلاء أو من رؤاهم أو معانيهم أو أخلاقهم أو تفاسيرهم أو فرحهم .! إني لو كنت واحداً منهم لما رأيته أو قرأته أو فسرتك أو حاسبتك، لما تعذبت بذلك!

. . إن هؤلاء جميعاً لم يروك يا إلهي أو يقرأوك أو يفسروك أو يحاسبوك . لهذا رأوك وقرأوك وفسروك وأعلنوك كل جمال وحب الشعر والفن والنبوة والقداسة والألوهية .!

إنه لا يستطيع أو يريد أن يراك يا إلهي إلا العاجزون عن رؤيتك الراضون لها . . لقد قتلوا عيونهم وعقولهم وضمايرهم وأخلاقهم وكل شاعرياتهم ونبواتهم وقداستهم وفنونهم ثم رأوك وقرأوك وفسروك وأعلنوك بل لقد ركبت فيهم عيون وعقول وأخلاق

وضمائر ونبوات وقداسات وشاعريات وفنون مزورة ثم رأوك وقرأوك وفسروك وأعلنوك بها. إنها لم تكن مزورة فقط بل ومضادة لوظائفها وتفسيرها. أليست أكثر العيون والعقول والأخلاق والضمائر والنبوات مركبة مزورة صناعية؟

. . آه. هل يمكن أن يوجد أعمى أو أغبى أو أكذب من الشاعر أو الفنان أو النبي أو القديس الذي يتحدث عن أي شيء أو عن أي معنى جميل أو نبيل أو رحيم أو تقي أو فني أو شاعري أو إنساني فيك يا إلهي أو في ثيابك أو حليك أو أصباغك، أو يشاق إلى هذا الشيء أو إلى هذا المعنى فيك أو في ثيابك أو حليك أو أصباغك أو زيناتك؟ هل وجد أغبى أو أعمى أو أكذب أو أخدع من النبي أو الشاعر أو الفنان أو القديس؟

. . إن أي شاعر أو فنان أو مفكر أو نبي يراك جميلاً أو فناناً أو منطقياً أو أخلاقياً لن يكون شاعراً أو فناناً أو مفكراً أو أخلاقياً أو نبياً إلا بقدر ما أنت إله، أو إلا بقدر ما الذباب أو الصرصار أو البرغوث أو القملة أو العاهة في الوجه الجميل جمال أو رحمة أو محبة أو فن أو كبرياء أو فرح أو ابتسامة أو هدية أو زينة أو مائدة إله. ! إن من يراك يا إلهي كل الجمال والحب والرحمة لهو أردأ ممن يرى الذباب كل ذلك. !

. . إن الشاعر أو النبي أو المفكر أو المؤمن الذي يتحدث عن جمالك أو عن حبك أو عن رحمتك أو عن مجدك وعظمتك ونظافتك إنما يتحدث عن جمال وحب ورحمة ومجد وعظمة ونظافة الحشرات والعاهات والتشوهات والأوبئة وجراثيم الأمراض وكل ما يصنع الأنيس والدموع والأحزان والآلام والافتضاح والعار والهوان. ! . . أليست يا إلهي مريد وعاشق ومخطط وصانع كل ذلك؟ إذن أليس كل ذلك هو أنت، هو عقلك وضميرك وأخلاقك وجمالك؟

. . إن الإعجاب بك يا إلهي، بأي معنى أو تفسير أو نموذج من معانيك أو تفاسيرك أو نماذجك أو بأي شيء فيك؟

- نعم، إن هذا الإعجاب نفي لكل الشعر والنبوات والتفكير والإيمان. . . إن أحداً لن يعجب بك يا إلهي إلا بقدر ما يعجب بالعاهة في وجهه وبالداء في جسمه وبالذباب فوق طعامه.

. . إن أي شاعر يرى أية عاهة وبيلة في وجه جميل بريء أو يسمع أنه قلب حزين كسير مهان مفعوج أو يعجز أو يتغافل أو يغفل عن رؤية ذلك وسماعه أو يغفره أو يراه

إحدى صيغ الجمال وتفسيره وفنونه العبقريّة ثم يذهب يزخرف القصائد ويغنيها في جمال الإله وجمال الكون وكل شيء . . في جماله النفسي والفكري والفني والأخلاقي والذاتي فلن يكون شاعراً مهما كتب القصائد وزخرفها وأنشدها . . فلن يكون شاعراً إلا بقدر ما الذباب أو الصرصار أو البرغوث أو الضفدعة أو الغراب أو أي كائن آخر من هذه الكائنات شاعر حين يطلق نقيقه أو نعيه أو طنينه أو عواء . . ! أليس أكثر الشعراء ولا سيما شعراء العروبة يعتدون على الشعر أكثر من اعتداء الكائنات الناعبة والعاوية والناقة والطائفة؟

. . أطلبك يا إلهي أن تتصور هذه الصورة التي أتصورها أنا الآن بل ودائماً .

إنها واقع، واقع مهما كنت أو عرضت وكتبت تصوراً . . !

تصور أو انظر يا إلهي هذه الصورة أي الواقع . انظر واسمع . . ها هو أحد أنبيائك أو دعائك المعلمين المفسرين لك واقفاً على منبر في ملجأ أو مصح وأمامه أو تحته حشود المصابين بكل العاهات والتشوهات والدماصات والأمراض والآلام والنقائص . . المصابين بأقساها وأكثرها قبحاً وإيلاماً وتعجزاً وترويعاً وإذلالاً . .

يتحدث إليهم بكل الفخر والجهر والكبرياء والتدلل عليهم نيابة ووكالة عنك، يتحدث عن جمالك وحبك ورحمتك وحكمتك وشهامتك وعن حبك بل عشقك للجمال والحب والرحمة والحكمة والشهامة، ويدلل بكل الإيمان واليقين المشحون بكل الغرور على أنك كذلك بإصابتك لهم بكل ذلك تدبيراً ومشئّة وتخطيطاً وتنفيذاً . . طالباً منهم بكل التعالي والمن عليهم أن يهتفوا ويصلوا لجمالك وحبك ورحمتك وحكمتك وشهامتك، ويهددهم بكل العذاب والعقاب والجحيم إن لم يفعلوا ذلك بكل الهوان والإيمان والديمومة . .

هل تستطيع يا إلهي أن تتصور هذا التصور أو ترى هذا الواقع الدائم المتكرر دون أن تفعل شيئاً عنيفاً جداً ضد نفسك ووجودك وضد من يعلمونك ويفسرونك؟ كيف لم ترَ ذلك ولا مرة واحدة، أو كيف لم تفعل هذا الشيء أو العقاب العنيف جداً ضد نفسك ووجودك وضد معلميك ومفسريك إن كنت قد رأيت أو حتى تصورت ذلك ولو مرة واحدة؟

قبيح جداً ألا تكون قد رأيت ذلك وقبيح جداً أن تكون قد رأيت ثم بقيت داخل ذاتك .

. . أريدك وألزمك بل وأمرّك يا إلهي أن تتصور هذا المنظر وأن تقرأه وتفسره

وتفهمه وتحاسبه ثم تقرأ وتفهم وتفسر وتتصور وتحاسب نفسك وسلوكك وأخلاقك به أي بهذا المنظر الذي سأعرضه وأقرؤه عليك بكل الانفجاع والروع والترويع . .

إنه طاغية مجنون شوه وقطع وعذب عديداً من الأطفال والشيخوخ الأبرياء وأوقع بهم كل العاهات والتشوهات والدمامات والآلام والهموم والعار والفضائح والعجز ووضعهم في ملجأ أو سجن أو قبر أو أقام أمامهم وفوقهم منابر ليصعد فوقها خطباء وشعراء وفقهاء بل وأنبياء ليلقوا الخطب والقصائد والأغاني والأنشيد بل وليلتوا الآيات والصور في تمجيد وتفسير وتسجيل جمال وحب ورحمة وحكمة وشهامة ورأفة وإنسانية وشاعرية وحضارية هذا الطاغية المجنون، ليقف هو مسحوراً مبهوراً راضياً عما يرى ويسمع ويواجه. بل ويذهب هؤلاء الخطباء والشعراء والأنبياء يطالبون هؤلاء الأطفال والشيخوخ بالهتاف والصلاة لرحمة وحكمة هذا الطاغية المجنون.

. . فكّر يا إلهي هل يمكن أن يوجد مثل هذا الطاغية المجنون؟ ولو وجد فهل يمكن أن يساويك أو يشبهك يا إلهي طغياناً وجنوناً وقبحاً وافتضحاً؟

كيف يا إلهي عميت كل هذا العمى عن رؤية قبحك وافتضحك؟

من هذا الكائن الذي أصابك بكل هذا العمى؟ إن كل عمى كل العميان لا يستطيع أن يكون شيئاً من عماك. إن أحداً لن يعجز عن رؤية قبحه وافتضاحه اللذين هما كل القبح والافتضاح إلا أنت! .

ليتك تستطيع أن ترى لكي أقول لك: انظر، انظر . .

إنك يا إلهي لتشوه الوجه الجميل البريء بكل العاهات والتشوهات وبأشعها ثم تطالب صاحب هذا الوجه بل ثم تفرض عليه أن يتحدث عن جمالك ورحمتك وعن عشقك للجمال والرحمة، بل وأن يرى كل جمالك ورحمتك في وجهه، بل وأن يرى في تشوهات وعاهات وجهه كل تفاسير ونماذج وفنون الجمال والحب والرحمة، بل وأن يظل يعلن أنك لم تصبه بما أصبته إلا لأنك تخصه بالمزيد من الحب والرعاية والحماية والاهتمام والتجميل، بل وأن يؤمن بأنك لم تصبه بذلك إلا لكي تسعد وتفرح وتنثشي بالنظر إلى عظمتك وحكمتك ورحمتك وعبقريتك وقسامتك معروضة في وجهه، ولكي ترقص وتغني لمجده كلما حدثت في آثار أنيابك في وجهه، ولكي تتدارس مع ملائكتك نبل تفاسيرك مكتوبة على سطور وجهه. . .

. . وإنك كذلك لتفقاً العينين القائدتين الهاديتين إلى الطريق وإلى المعبد والعمل وإلى قراءة كتبك وتعاليمك المقدسة وإلى رؤية عبقريتك وجمالك معروضين ومقروءين

ومرئيين في شمس ونجوم وحشرات وعاهات هذا الكون، ثم تفرض عليه أي على من أغلقت عينيه أن يعتقد ويعلن أنك لم تفعل به ما فعلت إلا لكي يرى أكثر وأقوى وأشمل وأصدق وأبعد أي إلا لكي يراك ويرى وجهك وجمالك وجمال صورك وأثوابك وحليك أي جمال كونك الذي هو كل صورك وأثوابك وأصباغك وحليك، وأيضاً لكي يرى براهين وجودك ووحدانيتك، ولكي يرى الطريق إلى نفسه وإليك هذه الرؤية التي هي أكثر وأقوى وأشمل وأصدق وأبعد. !

. . وأيضاً فإنك تريد للإنسان أن يضل ويفقد عقله وتدبر وتخطط وتفعل له وبه ذلك وتعلن المباهاة وعلى السنة كل النبوات أنك أنت الذي ضلته وسحبت منه عقله وختمت على عقله وقلبه لئلا يهتدي أو يرى أو يفهم أو يعقل، وأنك قد شئت ودبرت وأحببت له ذلك ونفذته فيه بكل قوتك وعبقريتك وأجهزتك وألوهيتك وأنه لا يمكن كما لا تقبل أن يحدث غير ذلك.

- نعم، يا إلهي إنك لتفعل ذلك بالإنسان وله بكل الإعلان والجهل والفخر بالقوة وبالانتصار المحتوم ثم تذهب تلغنه وتحقره وتتهمه وتعلن عليه كل الحروب والغضب وتعد له الجحيم وتتوعده بكل ألوان العذاب والعقاب أي لأنه هزم أمامك ولأنك انتصرت عليه ولأنه استجاب وخضع لما أردت وخططت وأحببت ودبرت له ومنه ونفذت به أي لأنه لم يستطع أو يرد أن يعصى أو يقهر ويهزم قوتك ومشيتك ورغبتك وحكمتك وتخطيطك وتديريك وفرحك وإعجابك بنفسك وبألوهيتك التي لا تقبل أن تكون مهزومة حتى ولو لطاعتك وعبادتك وللإيمان بك، أي لأنك بكل عضلاتك وطاقتك وأشواقك وزبائنتك ومكرك قدته إلى الضلال والغواية بكل أساليب ووسائل الإغراء والإغواء والخداع والقهر والإلزام. .

حتى أنك كما تقول ويقول خاتم أنبيائك قد حكمت عليه بذلك قبل أن تخلقه وتراه وتعرفه وتدرسه وتجربه وقبل أن يعصيك أو يؤذيك بشيء أو يستطيع ذلك.

نعم، قد حكمت عليه بذلك حكماً لا يقبل أي نقض أو إلغاء أو حتى مراجعة ثم سجلت هذا الحكم عليه في جميع سجلاتك بتوقيعك وبشهادة وضمان وحراسة وتوقيع كل أعوانك الذين هم أكثر وأقوى من أعوان جميع الطغاة الأشرار إخلاصاً وحماساً وتنفيذاً لطغيانك.

إنك أنت وحدك يا إلهي الذي يحكم بالجريمة والعقاب قبل أن يوجد المجرم المعاقب، ويقود إلى الإجرام لأنه قد فرض العقاب وأرادته وسجله. إنك تصنع الجريمة لأنك قررت العقاب. !

.. إن جميع خطواتك وتخطيطاتك وتصرفاتك وتدابيراتك وأفعالك يا إلهي هي كلها مثل هذا الذي عرضت عليك وصورت لك . إنه ليس فيها أو منها شيء واحد يقبله أو يعقله أو يفهمه أو يغفره أو حتى يتصوره أي نموذج أو تفسير من نماذج أو تفاسير أي عقل أو منطلق أو خلق أو فن أو شهامة أو كرامة أو مصلحة أو حتى ضرورة! .

.. بل إنها جميعاً في كل الحسابات والتفاسير أكثر وأقبح من كل جنون ومن كل حماقة وسفه وعبث وافتضاح وإجرام وقبح ووحشية . . !

.. إنها كلها خروج على كل المعقول وغير المعقول وعلى كل المقبول والمرفوض وعلى كل الواقع والمنتظر والمتمنى والمحتمل .! . إن كل تصرفاتك وأخلاقك لن تكون أملاً أو مثلاً أو تصوراً أو خلقاً أو منطقاً لأي أحد أو لأي شيء . !

.. إنك يا إلهي في كل معانيك وتفاسيرك صيغة لا يستطيع أن يقبلها أو يفهمها أو يحترمها أو يقرأها أو يفسرها بل أو أن يحدق فيها أي باحث عن الجمال أو الذكاء أو العقل أو الحب أو الفن أو الوقار أو الاستتار، ولا أي باحث عن نقيض ذلك ولا أي عاشق لذلك أو عاشق لنقيضه . !

نعم، إنك صيغة لا يستطيع أن يقبلها أو يفهمها أو يحترمها أو يقرأها أو يفسرها أو حتى يتصورها أو يغفرها أو يراها أي ملاك ولا أي شيطان، أي عبقرى ولا أي إنسان بسيط جاهل، أي متحضر شهيم نبيل كريم ولا أي همجي بدوي متوحش نذل لئيم .! . إنك يا إلهي الحروف واللغة التي لا يستطيع ولا يقبل أحد أن يقرأها أو يتكلمها . !

إنك يا إلهي الوجه الذي لا تقبل آية مرآة أن يقف أمامها أو يرى منها . !

.. ولكي نؤمل أن نفهم ما لا يستطيع العجز عن فهمه فإني يا إلهي سوف أحاسب بين يديك أعلى نماذج سلوكك . . !

.. ها أنت قد تساميت جداً في شهامتك وقدرتك ومحبتك وفي عشقك للجمال والكمال وللرضا عن النفس والإعجاب بها والامتداح لها ولعرضها في الأسواق عرضاً تريد له كل الروعة والقوة والتمجيد فخلقت كائناً ووهبته أعلى المستويات الموجودة والمطلوبة والمستطاعة والمتصورة من القوة والشباب والنشاط والجمال والذكاء والنجاح والصحة والسعادة والفرح والرضا . ولكنك يا إلهي قبل أن تخلقه وتصوغه بكل هذه المزايا أو المحسوبة مزايا، أو لأنك خلقتك كذلك كنت قد قررت ودبرت وأردت وصممت وسجلت واشتهيت بلا أي ندم أو إشفاق أو استحياء أو تكرم أو توبة أو تراجع

أو حتى تخاطب وتساؤل مع النفس أن تفعل به ما سأعرض عليك إذ يبدو أنك لا ترى أو تعرف أو تتذكر ما تفعل .

.. إنك إما أن تفاجئه وهو في قمة ذاته وقمة معانيه فطلق عليه بكل تفاسير الغدر والخسة ونياتهما رصاصة قاتلة عقاباً له على ما أعطيته واسترداداً لما أعطيته وحسداً له وندماً لأنك أعطيته، ومبالغة في القسوة والندالة لأنك أردت ودبرت إسقاطه من أعلى الدرجات وأبعدها عن السقوط والإسقاط وعن التفكير في السقوط والإسقاط وعن احتمالهما وتوقعهما .. ما أصدقك وأسخفك يا إلهي وما أقل حيائك وذكاءك ووقارك حينما قلت ممجداً نفسك : «والله خير الماكرين» .. !

.. وإما أن تطلق عليه العديد من الرصاصات المتعاقبة الجارحة المحطمة المضغفة المعذبة المشوهة غير القاتلة لكي يكون قتله مرّات، مرّات، جزءاً، جزءاً وعضواً، عضواً وضربة، ضربة مبالغة في التعذيب والتشويه والقسوة والانتقام والترويع، ومبالغة في الاستجابة لرغبتك وشهوتك في رؤية العذاب وإيقاعه وفي الاستماع إلى أناته . !

فتذهب بكل الندالة والوحشية تصيبه تتابعاً بهذا المرض وهذا الضعف وهذا الهوان وهذا الخوف وهذا التشوه وهذه الدمامة وهذه الهزيمة وهذه الغلظة وهذا الافتضاح والسقوط والعار إلى أن يذوب ويحترق تحت تراكم وتتابع هذه الضربات وأنت تنظر إليه يا إلهي من فوق كل قمم النشوة والفرح والرضا والإعجاب بالنفس وبالتدبير والدهاء والخداع الذي استطعت به أن تصل إلى هذا وأن تتقن وتنجز به كل ضرباتك هذه بكل هذه الروعة والقوة والقسوة والبراعة والانتصار . !

إنه لا أحد من الضعفاء أو الأقوياء يفخر ويفرح بمكره وخداعه ويعلم عن مكره وخداعه وعن فرحه بمكره وخداعه غيرك أو مثلك يا إلهي . !

.. وقد تختار أن تقلل من الرصاصات التي تطلقها عليه لأسباب غير أخلاقية أو اقتصادية أو سياسية أو حضارية أو علمية . !

وهو يعرف أن كل رصاصاتك موجهة إليه كل أوقاته وأين كان وقد تطلقها عليه في أية لحظة . !

.. نعم، تتركه يزحف إلى الشيخوخة التي زرعتها ووضعت قوانينها في جسده .. يحبو إليها بكل تشوهات وبلاهااتها وآلامها وأحزانها وعجزها وضعفها ونبذها وحرمانها وافتضاحها وسخفها وقبحها ليتعذب ويفجع ويعبر ويسب ويتشوه ويعاقب بكل ذلك حتى يصبح هجاءً ولعنًا وتحقيراً لكل معاني الوجود والحياة والبقاء انتظاراً لمثل ذلك،

بل حتى يصبح ظلمة في كل ضوء، وظماً وجفافاً في كل نهر، وعمى في كل عين،
ودمامة في كل جمال وقحطاً لكل حفل، وتحقيراً لكل عظمة، وسباباً لكل فرح وتفاؤل
وانتصار ونجاح، واستهزاء بكل مولود وبكل والد وبكل عرس وبكل احتفال بأي
عرس قد يؤدي إلى تناسل.

آه. هل يوجد ما يستحق الاستهزاء مثل العرس الصانع للحبل والولادة؟

.. ثم تسجبه بكل الجفاء والوقاحة لتلقي به في البئر، في بترك التي لا تمتلئ أو
تعاف أو تغضب أو تشمئز أو تتقيأ مهما ألقى فيها من العفن والقبح والعار والجثث
والدموع والأحزان.. إن أعظم قبح هو قبحك يا إلهي الذي استطاع أن يتصور ويصنع
قبح بترك هذه..

.. وهذا الكائن الذي خلقتة وفعلت به وله ذلك لم تخلقه أو ترده بفكرة أو منطق
ولا لضرورة أو حاجة أو مصلحة له أو لأي كائن آخر حتى ولا لأية حشرة، حتى ولا
لك أنت!

.. إنه لا أقبح أو أسخف أو أنذل أو أظلم أو أسفه من الإيجاد بلا فكرة أو خطة
أو حاجة أو ضرورة أو مصلحة. وهل وجد من فعل أو يفعل ذلك غيرك يا إلهي؟ ألسنت
قد خلقت الكون والإنسان بلا أي شيء من ذلك، لكي يصبح سباً وهجاء لكل ذلك بل
واحتراساً إلى كل ذلك؟

.. ثم هذا الكائن الذي فعلت له وبه كل هذا وأوقعت به هذه النهاية ماذا كانت
بدايته؟ ماذا كانت؟

ألم تر بدايته يا إلهي؟ هل كنت يا إلهي جاهلاً أو عاجزاً أن تجعل بدايته وكذا
نهايته أفضل من ذلك أم كنت متعمداً تحقيره بهذه البداية والنهاية؟

.. هل يقبل أي كائن أن يكون، أن يوجد مهما كانت عظمة كينونته ووجوده لو
أنه رأى بداية وجوده وكينونته قبل أن يكون ويوجد وكان مختاراً مخيراً أن يقبل ويرفض؟

كيف كان أسلوب تلقيحه والتلاقح به والاستقبال لهذا التلقيح والتلاقح به، وكيف
كان المكان الذي استقبل هذا التلقيح وحمله واختزنه ثم بصقه، وكيف بصقه، وكيف
جاء وكان بعد بصقه، وكيف سار في طريقه بعد بصقه؟ كيف قبلت الشمس والنجوم
أن تظل في مكانها إن كانت قد رأت ذلك؟ كيف لا يسقطها الاستقبال والإشفاق؟

.. آه هل يقبل أي كائن أن يوجد مهما كان تواضع كرامته بالأسلوب الذي به وجد

أي بالأسلوب الذي قذف به في ذلك المكان وبالأسلوب الذي به استفرغه وبصقه ذلك المكان؟ كيف يجرؤ أي إنسان أن يقول أنا إنسان لو أنه حقد في المكان الذي بصق فيه وبصق منه وكيف بصق وكيف كان بعد أن بصق؟

. . هذا نموذج لأعلى وأكرم وأنبأ أساليب تصرفاتك . فهل يمكن أن يوجد أو يتصور مثله في الجنون والحمافة والقبح والوحشية والإجرام والندالة وفي الخروج على كل القيم والتفاسير والحسابات والتصرفات حتى على أخسها وأوقحها وأقبحها وأكثرها إثارة للغضب والغيط والاشمئزاز والانفجاع؟ إن كل الأنذل لو جعلوك نموذجاً لأعجبوا بنبلهم وشهامتهم!

. . . إذن كيف استطاع الكون أو البشر أو أي شيء تقبلتك أو التعايش والتعامل معك أو التحدث إليك أو تصورك أو افتراضك كائناً أو شيئاً محترماً . . .

. . أي شيئاً أو كائناً يمكن أو يقبل أو يغفر أو يفهم أو يستطيع الاستماع إليه والانتظار منه ليكون معلماً وهادياً ومداوياً وحامياً ومنقذاً وحكيماً رحيماً كريماً وأمثلاً وحباً وفرحاً وهم جميعاً ودائماً يواجهون ويقاسون ويعرفون ويتعلمون ويقرأون هذا النموذج من أخلاقك وهو أسمى وأتقى نماذج أخلاقك؟ ما أعظم صبر البشر أو ما أعظم نذالتهم وبلادتهم وهوانهم حين جربوا التعامل معك ثم قبلوا وكرروا هذا التعامل . !

. . إن البشر لم يفقدوا كل الذكاء والعقل والمنطق والرؤية والكرامة والشجاعة والوقار وكل الاشتراطات والأحاسيس والمحاسبات الأخلاقية إلا في تعاملهم معك يا إلهي وفي تصورهم ورؤيتهم وتفسيرهم لك وفي انتظارهم منك ولك وفي تأميلهم فيك وتحدثهم وشكواهم وبكائهم إليك وإعجابهم وإيمانهم بك وفي تنافسهم وتزاحمهم عليك وعلى ادعاء امتلاكك . !

على ادعاء كل فريق بأنك كلك له وحده دون أن يتنازل عن أي شيء منك !

. . أما اختلاف البشر وتعاديهم وتخاصمهم وتلاعنهم وتباصقهم وتقاتلهم وإنفاقهم عليك ومن أجلك ولإرضائك وتنافساً على التقرب إليك وطمعاً في التفرد بصداقتك وحبك ومناصرتك ومحاباتك فهذا هو القبح والهول الذي لا تستطيع كل العيون وكل البحار والأنهار وكل الشمس والنجوم أن ترى أو تغسل أو تكشف أو تقرأ أو تفسر بل أو أن تواجه كل قبحة وعاره وافتضاحه . . ولكن هل هان أو افتضح أي كائن أو أي إنسان مثلاً هان وافتضح الإنسان العربي وأرقاؤه الدينيون في تعامله وتعاملهم معك يا إلهي؟

. . . أما إيواؤهم أي البشر لك يا إلهي في بيوتهم ومعابدهم وقلوبهم وعقولهم

وأخلاقهم وضمائرهم فإن جميع حضاراتهم وعبقرياتهم وإنسانياتهم وعلومهم لن تستطيع أن تكون شيئاً من التفكير أو التعويض أو الاعتذار عن شيء من ذلك .

بل إن كل ذلك ليغرق في قبح وعار ذلك . بل إن الحشرات لا بدّ أن تتعذب رثاء لكرامة الإنسان ولذكائه وكبريائه لو أنها عرفت ذلك بل إن إشفاقها حينئذ على الإنسان قد يجعلها تقاسي وتقاسي لكي تعلمه شيئاً من الذكاء والكبرياء والكرامة أو قد يجعلها ذلك تحاول الهجرة من الأرض إلى أي كوكب أو مكان آخر رفضاً لأن تكون مواطنة للإنسان . !

إن أي كائن يلتزم بأي قدر من المنطق أو الأخلاق أو الكرامة أو الشهامة أو الغضب أو الاشمئزاز أو الاستحياء أو الحب للجمال لا بدّ أن يرفض أن يكون مواطناً للإنسان أي لو أنه حقد في الإنسان ووجد وطناً آخر لا يرى أو يجد فيه الإنسان بكل ردائله وفضائله . !

. . كيف يقبل الإنسان أن يؤوي في بيته أو معبده أو في وطنه أو في قلبه أو عقله أو ضميره كائناً قد شوه وعذب وأذل وفضح وأمرض وقتل كل آبائه وأجداده ، وسوف يفعل كل ذلك به وبكل أبنائه وأحفاده أي من فعل ويفعل كل ذلك جهراً وإعلاناً وأيضاً خداعاً ومكراً وسراً وختلاً وتأمراً أي من فعل ويفعل كل ذلك بأسلحة مرئية معلنة أو بأسلحة سرية غادرة كالسم والجراثيم والأمراض المجهولة والكيميائيات المضادة والمتناقضة؟

. . إنه لو جاز أو حتى وجب إيواء كل الأعداء إلى الوطن والبيت والمعبود وفي القلب والعقل والضمير والأخلاق لكان الكائن الذي فعل ويفعل ذلك بكل هذه الأساليب هو العدو الواحد الذي يجب ألا يؤويه أحد أي لكنت أنت يا إلهي هذا العدو الواحد الذي يجب ألا يجد من يؤويه . !

. . أليس كل الخوف وتوقع الضربات والمآسي منك وحدك؟ ثم أليس كل الأعداء الظاهرين والمستترين هم جنودك وموظفيك والمنفذين لأوامرك وخططك وتدبيراتك وشهواتك؟ ألسنت تعلن ذلك بكل المباهاة؟

. . إذن ألسنت أنت الكائن الذي يجب طرده؟ ألسنت كل من يجب طرده؟ أليس طرد القتل والصوص والمخربين والفاسدين هو أحد أساليب الطرد لك؟

أليس طرد الذباب من فوق الطعام وفوق العين طرداً لك باحتقار شديد؟

. . نعم ، ألسنت تقول وتعلم وتعلن أن كل ما يصيب الإنسان وكل شيء وكل أحد

إنما أنت مريده ومخططه ومهندس وفاعله؟ إذن كيف قبل أي كائن أن يقبلك في وطنه أو منزله أو معبده أو في فكره أو قلبه أو ضميره أو أخلاقه؟ كيف يستطيع أي كائن أو أي إنسان يؤمن بك وبأنك كذلك أن ينام ويسترخي فوق سريره أو ينتظر الصباح أو يبتسم لنفسه أو لمن حوله أو لأي شيء وهو يعتقد أنك معه في مضجعه وحول سريره؟ بل كيف يستطيع أو يجرؤ أن يعد إنساناً أو كائناً باللقاء في اليوم التالي أو بأن يؤدي أي عمل أي في في اليوم التالي؟ كيف يستطيع أي نبي أو قديس أن يتعزى ممارساً للجنس أو أن ينام وأنت معه في غرفته وفوق سريره محدقاً فيه؟

. . نعم، كيف يستطيع أو يجرؤ أي كائن أن يقول أو يفعل أو ينتظر أي شيء من ذلك أو يعد أو يتعهد به ومعه في غرفته وحول سريره وداخل ثيابه وطعامه وأعضائه كل القتلة واللصوص والأعداء والمخربين والمجانين والعابثين والقاهرين المذلين الفاعلين الضارين المعتدين بالرغبة والشهوة والمشيئة والقدرة المطلقة الضاربة لأنها تريد أن تضرب لا لأنها يجب أن تضرب؟

. . هل يوجد أخطر من كائن يصنع ويضع كل أسلحة القتل والتعذيب والترويع التي لا ترى ولا تسمع ولا تعرف ولا تقاوم ولا تتقى لكل أحد، في كل مكان وطريق وبيت بل وفي كل معبد ومستشفى، في كل شيء، بكل أسلوب، في كل وقت، أي من كائن يذهب بكل المقاساة والاهتمام والفرح يدبر وينكر ويخطط ويناضل لكي يستطيع أن يصنع كل أنواع السموم والجراثيم والملقحات والناقلات كل ما يصنع الآلام والأمراض والتشوهات والعاهات والعجز والموت لكي يدسها بكل العناية والشهوة والنذالة في طعام وشراب وعيون وقلوب وسرر وملابس وأعضاء وهواء الأطفال والشيوخ وكل الأحياء والأشياء؟

إذن كيف إذا كان هذا الكائن الذي يفعل كل ذلك إنما يفعله بكائنات هو وحده الذي أرادها وعشقها وخططها ودبرها وصنعها . . بكائنات هي ولادته وحده . . هي أبناؤه وبناته، أبناء وبنات عقله وقلبه وفنه وضميره وأخلاقه ومجده وأحلامه واحتلامه؟ كيف وصفت نفسك يا إلهي بأنك لم تلد أو تولد؟ وهل وجد والد مثلك؟ أأنت قد ولدت كل شيء وكل أحد؟ وصفت نفسك بأنك لم تولد؟ أأنت قد ولدت كل الآلام والأحزان والجهالات والنبوات الكاذبة أو الضالة أو المتاجرة أو المتسلطة؟

وأي البنوتين أعظم وأقوى وأحق بالرعاية والاحترام والحب :

بنوة الجسد المبصوقة بصقاً بسكرة أو نشوة جنونية بلا أي وعي أو تدبير أو حساب

أو نضال أو معاناة أو احترام لأية قيمة أو معنى وبلا أي تفكير في أي شيء من ذلك أم بنوة العقل والتفكير والتدبير والتخطيط والموهبة والشوق الأخلاقي والنفسي والفني؟ كيف حدث هذا الغلط العالمي؟

أي كيف حدث أن تسمى وتزعم بنوة وأبوة القبيء والبصق أبوة وبنوة؟
.. إن البنوة أو الأبوة الأولى هي أبوة وبنوة استفراغ، أما البنوة أو الأبوة الثانية فإنها أبوة وبنوة فن وإبداع وخلق وجمال. !
إن البنوة أو الأبوة الأولى لن تكون بنوة أو أبوة إلا بالتفسير الذي به يكون الاستفراغ أو القبيء بنوة وأبوة. !
.. إذن أليس المفروض أن تكون أبوة الإله لكل شيء ولكل أحد هي أرحم وأتقى وأقوى وأنفع وأسعد وأكرم الأبوات؟

ولكن لقد كان هذا المفروض هو البعيد، البعيد بل المستحيل، المستحيل. !
لقد جاءت أبوة الإله هذه أي أبوتك يا إلهي لكل شيء ولكل أحد بلا شبيه في قسوتها وقبحها وعدوانيتها. !

إن أية أبوة لم تقبح ولن تقبح كما قبحت أبوتك يا إلهي، وإن أية بنوة تعاقب وتقبح حظوظها مثلما عوقبت بنوة كل أبنائك يا إلهي ومثلما قبحت حظوظها بك، بأبوتك لها يا إلهي. ! . نعم، إنك يا إلهي أنت والد كل شيء ومولود كل شيء، وإنه لا أكذب من القول بأنك لم تُلِد ولم تُولَد. !

لقد تعاضم قبح أبوتك يا إلهي حتى لتناضل وتناضل وتناضل لتدس السم والجراثيم وكل ما يصنع التشوه والعذاب والجنون والموت في أفواه وقلوب وأخلاق وأعصاب وخلايا أبنائك وبناتك، أبناء وبنات فكرك وفنك وخلقك وقلبك وإرادتك ومحبتك وتديرك وتخطيطك ويديك.

اسمع يا إلهي. إن كل الأبوات والبنوات ليست إلا بصقاً واستفراغاً إلا أبوة وبنوة التفكير والتدبير والخلق.

.. انظر، انظر يا إلهي إلى نفسك بكل القسوة والغضب أو بكل الاشتمزاز والانفجاع. انظر. انظر إن هذا الذباب المسكين البائس جداً. .

إن هذا الذباب هو ابن كل مواهبك العقلية والنفسية والفنية والشعرية والجمالية والأخلاقية. إنه ابن فكرك وإرادتك ومشيتك وأخلاقك ويديك. !

إذن لماذا خرجت في معاملتك له على كل مشاعر وأخلاق الأبوة لم ترع له أي حق من حقوق البنوة .

هل عامل أو يمكن أن يعامل أب ابنه بشيء ما، بأي شيء من القسوة والإذلال والتحقير والإهانات التي عاملت وتعامل بها أبداً يا إلهي ابنك الذباب . . ابنك هذا الصغير النشيط الشجاع المطارد المشتوم بلا أية حماية أو رحمة أو حق مكتوب أو محسوب أو مذكور في أي دين أو قانون أو تعاليم أو أخلاق أو مذاهب أو حتى ثورات جاءت لتصنع العدل فيما تقول؟

. . تنبه يا إلهي . إنك لن تستطيع بل ولن تحاول أن تنكر أن الذباب هو أحد أبنائك، أبناء إرادتك ومشيتك وتخطيطك وأخلاقك وعبقريتك وأشواقك وأحلامك وجمالك وإلا فمن أين جاء وكيف جاء؟ عدواناً وخروجاً عليك وعصياناً وخداعاً لك؟

هل جاء من خارج عوالمك وعلمك وقدرتك وخيالك وأمانيك؟

هل يجرو أي نبي أو ملاك أو قديس أن يقول إنه أكثر أو أصل وأشمل بنوة لك من الذباب أو أنك حينما أردته وخططته وخلقته كانت عبقريتك أو قوتك أو جمالك وأخلاقك أعظم مما كانت حينما أردت وخططت وخلقت الذباب، أو هل يمكن أن يكون صادقاً لو قال هذا أو هذا؟ هل يمكن أن يرى أي نبي أن إرسالك له نبياً أكثر حكمة أو رحمة أو عبقرية أو نظافة من خلقك وإرسالك للذباب ذباباً؟

. . هل يمكن أن تكون يداك حينما خلقت أي شيء أنظف أو أشرف أو أبرع من يديك حينما خلقت أردأ حشرة؟ ألسنت يا إلهي حالة واحدة أو طوراً واحداً من الذكاء والحكمة والعبقرية والقدرة والجمال والشهامة؟

. . أريد أن أفسر لك يا إلهي المزيد من الفروق بين البصق والاستفراغ والقذف الذاتي الآلي المتحول إلى ولادة وبين الولادة التي يصنعها التفكير والتخطيط والخلق؟ كم هو الفرق بين أن يمارس الإنسان أو أي كائن الجنس فتتحول ممارسته العشوائية المجنونة الإفرازية الاستفراغية إلى ولادة وبين أن يريد أي هذا الإنسان أو الكائن ويفكر ويدبر ويخطط ويقاسي فيشيد ويضع ويهب بناء أو جهازاً أو حياة أو نظرية علمية أو فكرة أو أي ابتكار جديد نافع، أي فتلد مواهبه واهتماماته وأشواقه ذلك؟

أي العمليتين أو الولادتين هي الولادة؟ وأي الإنسانين أو الكائنين هو الوالد أو أيهما أعظم ولادة؟ إن كل كائن ليس إلّا كائناً مبصوقاً مستفرغاً أي ليس إلّا كائناً بصاقياً استفراغياً سواء في ذلك الإنسان والحيوان وغيرهما . إذن من أين يأتي الغرور؟

.. كم هو الفرق بين أن يلد الحيوان والحشرة حيوانات وحشرات وبين أن يلد المبدع إبداعاته؟ أليس المبدع هو الوالد أو الذي وُلِدَ ويُلِد، أما الحشرات والحيوانات فليست إلاّ مستفرغة باصقة قاذفة حين تفعل ما يسمى ولادة؟ أليس قانون ومنطق ولادة الإنسان هما قانون ومنطق ولادة الحشرة والحيوان؟ إن لا اختلاف ولا تفاوت في أي شيء من تفاسير الولادتين !

.. بهذا أريدك يا إلهي أن تعرف وتقتنع إنك أنت الوالد، الوالد لكل شيء ولكل أحد.. أن تعرف وتقتنع أنك وحدك أنت كل الوالدين لكل الوالدين والمولودين. إن كل ولادة ليست إلاّ ولادة عن ولادتك وإن كل حبل ليس إلاّ حبلًا من حبلك، إنك أنت كل الحبالى والوالدات !

.. نعم، إن كل الولادة والحبل هما من ولاداتك وحبلك سواء أكانا أو زعما ولادة وحبل تفكير وتدبير وخلق أم ولادة وحبل استفراغ وبصق وإفراز ذاتي آلي !

.. لهذا كان مقبولاّ بل واجباّ أن أسألك يا إلهي كيف اخترت ودبرت ورأيت ورضيت أن تصوغ أولادك وأن تلدهم ثم أن تعاملهم وتعامل معهم وبهم وأن تراهم وتخطط وتصنع مصيرهم؟ بأي منطق أو أخلاق فعلت ذلك؟

هل يقبل أي والد أن يصوغ أو يعامل أولاده كما فعلت أنت وتفعل بأولادك ومعهم؟

.. هل فعلت ذلك أو شيئاً منه بأي قدر من الحكمة أو الرحمة أو الحب أو الجمال أو الذكاء أو المنطق أو الواجب أو الفن أو الرؤية أو العبقريّة أو المسؤولية؟

إن أي والد لا يقبل أن يكون فيه أي شيء منك في تعاملك مع أولادك وبهم !

هل جاء أولادك وولادتك كما أردت وأحببت ورضيت أم كما استطعت أم كما عرفت؟ ما أقبح وأبشع هذه الاحتمالات الثلاثة بل وكل الاحتمالات لتفسير مجيء ولادتك وأولادك كما جاءت وجاءوا؟

أليس الكائن يحاسب ويجب ويعقل أن يحاسب على ولادة فكره وأخلاقه وإرادته ومواهبه وعلى ما يلدّه فكره وإرادته وأخلاقه ومواهبه أكثر مما يحاسب ومما يجب ويعقل أن يحاسب على ولادته وأولاده التي والذين يصنعها ويصنعهم إفرازاته وبصقه واستفراغاته التي تصنعها وتقذفها ممارساته الجنسية؟ بل أليست كل المحاسبة على تلك وأولئك لا على هذه أو هؤلاء؟

هل تحتاج يا إلهي إلى أن أكرر لك القول والتأكيد بأنها لا توجد ولادة إلا ولادة

التفكير والتخطيط والإرادة والخلق . أما الولادات الأخرى أو المسماة والمزعومة ولادة فليست إلاّ استفراغاً وبصقاً وإفرازاً بذيئاً أليماً لقد أخطأ البشر وأخطأت لغاتهم حينما سموا هذه الولادة ولادة . لقد كان الصواب أن يسموها الاستفراغ أو البصق بالأعضاء الجنسية !

. . إن الولادة البصقية الاستفراغية التي يصنعها أو ينتجها البصق والاستفراغ الجنسي ليست إلاّ أسلوباً بذيئاً وقحاً مهيناً فضاحاً من أساليب عدوان الطبيعة على الإنسان وعلى غيره ومن أساليب فسوقها بل زناها به وتشويهها وانتصارها عليه ، بل من أساليب بصقها واستفراغها عليه وبه . .

من أساليب بصقها واستفراغها على كل وجوده المادي المرئي وعلى كل تفاسيره المعنوية الأدبية . إن التوالد ليس إلاّ أبداً وأردأ أساليب بصق الطبيعة واستفراغها على الإنسان وعلى الكائنات المتوالدة !

. . إن عملية الولادة هي أوقح وأوسخ عقاب وفجور توقعه الطبيعة وتفجره بالكائنات المتوالدة . . يوقعه ويفجره المعتدي بالمعتدى عليه !

إن الطبيعة لم تعرف أو تستطع أن تبتكر شيئاً لتحوله وتراه وترضاه أقسى عقاب وفجور لتوقعه بالإنسان وبكل الكائنات المتوالدة مثل ابتكارها لعملية التوالد . إن الكائن المتوالد وجد نفسه متوالداً ولم يجعل نفسه متوالداً .

. . أعني بالتوالد هنا توالد الاستفراغ والبصق والإفراز الذاتي الذي يلده الاستفراغ والبصق والإفراز الذي تبصقه وتفزره وتستفرغه الممارسات القبيحة البذيئة الفضاحة المخزية المجنونة المسماة بالممارسات الجنسية المذلة الفاضحة لكل كبرياء ، لكل سماء . . المذلة الهازمة لكل نبوة وعبقريّة ، بل الباصقة المستفرغة على كل نبوة وعبقريته . . الساخرة من نظافة وكرامة وتقوى ونبوة وعبقريّة كل نبي وعبقري . ! . إنها الوحل الذي لا يخجل أو يتطهر من السباحة فيه أحد حتى ولا أعظم الأنبياء أو العابرة أو الطغاة المتكبرين المتجبرين !

. . آه هل يستطيع أي مؤمن أن يؤمن بنبيه أو أن يظل مؤمناً به أو محترماً له لو رآه بل لو تصوره ممارساً لهذه العملية بكل عريه ونشوته وافتضاحه وهوانه وجنونه ونزقه وشهوانيته . . بكل حركاته ولهفاته وآهاته وأناته وصرخاته وتضرعاته ومغازلاته واستفراغاته وإفرازاته ووقاحاته ؟

هل يقبل ملاك الوحي أن يأتي الوحي إلى النبي لو رآه عارياً فوق سرير الممارسة ؟

.. آه. لتصب أيها الإنسان بكل الوقاحة والبلادة والسفاهة والغفلة والعمى والصمم وبكل البذاءة والعفن النفسي والعقلي والأخلاقي بل والمادي لكي تستطيع أو تظل مؤمناً بأنبيائك وعظمائك وقديسيك بل لكي تظل قادراً على التطلع والتشوق والانتماء إليهم وعلى التذكر والاحترام لهم والتحدث والرواية عنهم والقراءة لهم ..

نعم، لتصب بكل ذلك أيها الإنسان لئلا ترى أو تتصور أنبياءك وعظماءك وقديسيك فوق سرهم عراة مفتضحين صائحين نابحين مسعورين يمارسون جنونهم. !.

.. أما ولادة الخلق أي الإيجاد الذي يصنعه ويهدي إليه التدبير والتفكير والتخطيط والعبقرية فهي أعظم أساليب الانتصار على الطبيعة والانتقام منها والإذلال لها وللمن أرادها وصاغها لتجيء كما جاءت. !

ولكن هل يمكن الانتصار على الطبيعة أو الانتقام منها أو الإذلال لها؟ أليس كل انتصار أو كل ما يحسب انتصاراً عليها أو انتقاماً منها أو إذلالاً لها إنما هو انتصار لها وبها وخضوع لها، وانتقام لها وبها، وإذلال بها وذل لها، أليس أعظم نائر على الطبيعة عاص لها هو أعظم خاضع مطيع لها؟

أليست الطبيعة هي المنتصرة والمتقمة والمذلة أبداً في كل أساليب وصيغ وتفسير الانتصار عليها والانتقام منها والإذلال لها؟

هل يستطيع أي كائن أن ينتصر أو ينتقم أو يذل أو أن يصبح أي شيء عظيم قوي أو أي شيء حقير رديء ضعيف إلّا بها؟ بل هل يستطيع النبي أو القديس المحارب الشاتم لها أن يكون نبياً أو قديساً أو حتى محارباً لاعناً لها إلّا بها؟ هل يستطيع أو يريد أي النبي أو القديس أن يرى أو يسمع إلهه إلّا بها وبأخلاقها وقوانينها وبأشواقها وتحريضها وعيونها؟

.. أليست الطبيعة وحدها هي أبداً الانتصار والهزيمة، القوة والضعف، والنظافة والعفن، الجمال والدماة، الذكاء والغباء؟

أليست هي دائماً التقوى والفجور، الضياء والظلمة، الصفاء والتلوث، النبي والشیطان، الإيمان والكفر، الحب والبغض؟

أليست الطبيعة هي التي صاغت حب النبي لزوجاته وقدرته على إرضاء مضاجعهن؟ .. بل أليست الطبيعة هي وجود الإله وفقده، هي جماله وقبحه هي رؤيته والعجز عن رؤيته، هي صوته وصمته، هي الدليل عليه والدليل على نفيه، هي رضاه وغضبه بل هي كل أشواقه ومخاوفه؟

أليست هي كل أثوابه وأصباغه وحليه وعطوره ومعارضه؟

نعم، هل يستطيع أي كائن أن يكون منتصراً ومنتقماً أو مذلاً أو عظيماً أو جميلاً أو حقيراً دميماً إلا بالطبيعة؟ حتى الإله هل يستطيع أن يكون شيئاً من ذلك إلا بالطبيعة؟ هل استطاع أو يستطيع أي الإله أن يضرب أو يعاقب أو ينتقم أو يفعل النقيض أو أن يرى أو يسمع أو يعرض نفسه إلا بالطبيعة أو أن يصنع تاجه أو ثيابه أو سلاحه أو عرضه أو ثوابه أو عقابه أو حتى أنبياءه وملائكته وجميع أعوانه وأنصاره وأوليائه إلا من الطبيعة وبالطبيعة وبقوانين وأوامر الطبيعة؟

هل استطاع الإله أن يجد أية مواصلات يصل بها إلى الأرض والإنسان إلا بالطبيعة؟

.. هل يستطيع أي الإله أن يفعل أو يكون أو حتى يحاول بغير الطبيعة أو خارجاً على الطبيعة أو عاصياً لها؟ هل يستطيع؟ هل تستطيع يا إلهي شيئاً من ذلك أي خارجاً على الطبيعة وعاصياً لها؟ إني أطلبك أن تجرب، أن تجرب.!

نعم، إن الانتصار على الطبيعة لا يكون إلا بنفيها أو بالنفي منها. فهل يمكن أو استطاع هذا؟ هل يمكن أن يوجد حيثئذ من يستطيع أو يريد الانتصار على الطبيعة؟ .. آه. يا دموع الأنبياء وأنانيتهم وأحزانهم وصلواتهم وألواحهم وأناجيلهم وقرآنهم ولعناتهم وعداوتهم وفضائلتهم وخطاياهم وأخطاءهم ..

.. ويا رعود وبروق وزلازل وبراكين وتهديدات وزارات ونباحات وعضلات وضربات انتصارات وهزائم الآلهة.

.. يا هذه، يا كل هذه هل أنت إلا لغات وتعبيرات وقرءات وآهات وخطوات وتفسيرات الطبيعة؟ هل أنت إلا ضحكات وسخریات وممازحات ومعاينات الطبيعة أيضاً إلا ضلالها وضياعها وتصادمها واحتراقها؟

هل أنت إلا غضب الطبيعة وعقابها وانتقامها وأحزانها واحتجاجها وحيرتها وبأسها وعبثها ولغتها، هل أنت إلا لغات عجزها عن أن تعرف لماذا جاءت ولماذا جاءت كما جاءت وعن رفضها لمجيئها؟

هل تعرفون أيها الأنبياء، أيها الآلهة ذلك؟ هل تجهلون؟

هل يغفر لكم أو يعتذر عنكم أن تجهلوه أو أن تعرفوه؟ هل خطايا الآلهة وقبحهم في أنهم لا يعرفون أم في أنهم لا يستطيعون أم في أنهم لا يريدون أم في كل ذلك وكل شيء؟

هل من الأفضل أو الأنفع للآلهة والأنبياء أن يعرفوا أم أن يجهلوا، أن يبصروا أم أن يعموا. . أن يعرفوا ويروا أخطاءهم وخطاياهم، أن يعرفوا ويروا ذواتهم ووجوههم وأحجامهم وتفاسيرهم ونياتهم أم ألا يعرفوا أو أن يروا شيئاً من ذلك؟

هل من الخير لك يا إلهي أن ترى وجهك أو ذاتك أو ثيابك في أية مرآة أو أن تقرأ تفاسيرك وأخلاقك بأي منطق أو محاسباً محاكماً بأية تفاسير أو أخلاق أم ألا ترى أو تقرأ شيئاً من ذلك؟

آه يا إلهي أليست أمية الإله وعماه هما أنفع وأستر الأميات والعمى؟

هل تستطيع أو تقبل يا إلهي أو توجد أو تبقى لولا أميتك وعماك أي لولا بلادتك البصرية والعقلية والأخلاقية والعاطفية الشاملة الأبدية الكثيفة الكثيفة التي لا تعالج ولا يُراد أو يستطيع علاجها؟

آه يا إلهي أن أميتك البصرية والعقلية والأخلاقية والنفسية والفنية بل واللغوية أمية بلا شبهة. أن كل أميات الكون والأشياء لن تكون إلا شيئاً من أميتك هذه يا إلهي يا والد الأميات وصانعها وعاشقتها ومعلمها. !

. . لقد حاولت أن تصوغ كل شيء بكل أميتك هذه ولكنك لم تستطع أن تبلغ ما أردت وحاولت أي كل ما أردت وحاولت. لقد بلغت شيئاً ضخماً من ذلك لا كل ذلك. لقد كان مستحيلاً أن يجيء أي شيء في ضعفه وسخفه كما أنت وكما تريد. . !

. . لقد كان نضال الإنسان شاقاً وطويلاً لكي يتخطى هذه الأمية الشاملة التي هي أميتك والتي أردت وحاولت أن تصوغه وتطبعه بها والتي أردت وحاولت أن تصوغ وتطبع بها كل شيء. !

. . إن كل خطوات إنجازات الإنسان العلمية والفكرية والحضارية والأخلاقية والنفسية والفنية وكذا اللغوية والكتابية والهجائية ليست إلا أقوى أساليبه المتخطية والرافضة للأمية الشاملة التي أردتها له وصغته هو وكل شيء بها. . ! إن ضعف وهبوط ذاتك وأخلاقك وشهواتك وإراداتك وفنونك وتصوراتك وتمنياتك ضعف لا يستطيع كما لا يراد الهبوط إليه. !

إن المسافة الفاصلة بين الإنسان ساعة ولادته وبينه في قمته الحضارية والفكرية والنفسية والتمردية الاحتجاجية الرفضية الثورية تساوي شيئاً من مسافة تخطيه للأمية التي أردتها وقررتها له والتي هي أميتك وأمية أعوانك ومستشاريك السماويين من ملائكة وزبانية وآخرين، والتي هي أيضاً أمية جميع أنبيائك، وأيضاً أمية إنسانك العربي. !

نعم، أليس إنسانك العربي يعيش كل أميتك البصرية والعقلية والأخلاقية والنفسية والحضارية والدينية والفنية . . يعيش كل الأمية التي أردتها له وطبعته بها؟ إن الإنسان العربي هو طبق وطوع إرادتك وتخطيطك دائماً!

إنه دائماً الصيغة التي عشقتها ورضيتها وخططتها وأخرجتها!

. . لهذا لا يوجد أي خلاف أو عدااء أو خصام أو حتى حوار بينك وبينه!

إنه أحياناً قد يعصيك بشهواته لا بمواهبه أو عبقريته أو تفكيره عصيان تدلل وضعف لا عصيان ثورة!

. . إنه لا يراك ولا يقرؤك ولا يفسرك ولا يعاتبك أو يحاسبك أو يطالبك أو ينقدك أو يصححك. إن كل معانيه صامته أمية أمية شاملة، أمية الفكر والأخلاق والنفس والرؤية والحضارة والنماذج والشروط والتمنيات!

. . إن أمية القراءة والكتابة ليست أمية، ولكن الأمية هي أمية المواهب والأخلاق والمشاعر، وإن القراءة ليست قراءة الحروف ولكنها قراءة المنطق والأخلاق والمعاني والتفاسير والجمال والقبح والقبول والرفض والإعجاب والاستقباح وأيضاً القراءة بكل ذلك ولكل ذلك!

حتى الكائنات الأخرى كالحيوانات والحشرات قد تخطت أميتك يا إلهي والأمية التي أردتها لها وطبعتها بها.

لهذا فإنها أي الحيوانات والحشرات ترى وتقرأ وتحاسب وتحب وتكره وتقبل وترفض وتختار وتشترط وتتن وتصرخ احتجاجاً وغضباً واستقباحاً واستنكاراً ورفضاً ومقاومة لما لا تستقبحه أو تستنكره أو ترفضه أو تقاومه أو حتى تراه أنت أو يستنكره أو يرفضه أو يقاومه أو حتى يراه أو يقرؤه أنبياؤك أو ملائكتك أو زبانيته أو حبيبك وإنسانك أي الإنسان العربي. إن أي نقيق أو نعيب أو أنين أو نباح أو عواء أو ثغاء يطلقه أي حيوان أو حشرة فليس إلا قراءة غاضبة رافضة محتجة مستنكرة مستقبحة متألمة باكية!

. . ليتك يا إلهي تتعلم ولو من الحيوانات والحشرات الرؤية والقراءة والرفض والغضب والاحتجاج والاستنكار والمقاومة!

إنك يا إلهي أحوج من كل أحد إلى أن تتعلم وأعجز من كل أحد عن أن تتعلم!
. . ليتك تتخطى أميتك الصامته عن كل شيء وأمام كل شيء وفي كل شيء ولو

بالقدر الذي تخطت به الحيوانات والحشرات هذه الأمية الصامتة كل هذا الصمت عن كل معنى من معاني القراءة. !

والآن لنعد يا إلهي إلى محاسبة فردوسك ومحاسبتك على فردوسك. . على أخلاق وحياة ومجتمع فردوسك. !

لقد قلت لك إن الحساب عسير وطويل وأليم. وقد يكون عذاب كاتب وقارئ ومفسر وموجه الحساب أقسى وأطول من عذاب من يوجه إليه الحساب. لأن صانع الحساب قد يكون معذب القلب والعقل والضمير والأخلاق والأمني والرؤي، قد يكون معذباً كل هذا التعذيب مما يحاسب عليه وبه، من قبح وفظاعة ذلك. إنه أي صانع الحساب هنا لكذلك. !

. . أما من يصنع له وبه الحساب فقد يكون راضياً كل الرضا عن أخطائه وخطاياها ونقائصه ومعجباً فرحاً مباهياً بها كل الإعجاب والفرح والمباهاة. . وقد يكون غريقاً في غفلته وبلادته وتبلده مغلقة كل نوافذه ومعانيه دون كل شيء فلا يرى أو يقرأ أو يحاسب أو يشترط أو يرفض أو يغضب أو حتى يتمنى أو يجد أي فرق بين سلوك وسلوك أو بين جمال ودمامة أو بين ذكاء وغباء. . لهذا لا يقاسي أية مقاساة مع أن المفروض والمتنظر أن يقاسي كل المقاساة. والذين لا يقاسون حيث يجب أن يقاسوا هم صور كينونة بلا كينونة!

. . وقد يكون، أي من يصنع له وبه ويوجه إليه الحساب، كل ذلك.

وهذا هو أنت يا إلهي. أي أنت كل هذه التفسير الأليمة الحزينة. !

إذن أنت المستحق لكل العذاب بلا أي عذاب وأنا المعذب كل العذاب بلا أي استحقاق. !

. . إذن ما أقسى وأطول عذابي أنا محاسبك يا إلهي. . أنا الرائي القارئ المفسر الكاتب لأخطائك وخطاياك ونقائصك التي أتعذب كل العذاب وأقصى العذاب وأدوم العذاب بكل تفاسيري ومحاسبتك وباضطراري إلى محاسبتك وبإصراري على محاسبتك عليها كأني موكل عن كل شيء وكل أحد، عن كل من أوقعت بهم أخطاؤك وخطاياك ونقائصك وعبتك ونزقك حتى عن الحيوانات والحشرات. لأحاسبك وأحكامك وأعاقبك على كل ما فعلت بكل شيء وكل أحد ولأحصي عليك كل أخطائك وخطاياك ونقائصك ولكي أعالجك وأشفيك من كل ذلك، ولكي أفاقي أنا وحدي برؤاي وفكري

وضميري وقلبي وأخلاقي كل العذاب الذي توقعه بكل شيء وبكل أحد. كأني أنا وحدي كل المعذبين بك وكل المحاسنين لك.!

كأني أنا صانع كل ذنوبك أو صانعك مذنباً ومريدك مذنباً.!

.. إنك يا إلهي تتساقط بكل ذاتك وأعضائك وتفاسيرك في ذاتي، في كل تفاسيري الإنسانية، في كل أوقاتي وتحدياتي، في كل يقظاتي وإغفائي.! أه. هل نسيت أو خادعت نفسي حين قلت: إغفائي؟ وهل لي إغفاءات؟

.. إذن هل يمكن وجود أو تصور عذاب أو ترويع أو انفجاع مثل عذابي أو ترويعي أو انفجاعي؟ كيف جئت كما جئت؟ من أراد ودبر لي ذلك؟

كيف اختارني ولماذا اختارني من صاغني بكل هذا العذاب؟

.. إنسان أو كائن ما يتحمل كل أخطاء وخطايا ونقائص الإله أي أخطائك وخطاياك ونقائصك يا إلهي يتحملها رؤية وقراءة وتفسيراً وتحديقاً وإحصاء ومحاسبة واستقباحاً وانفجاعاً ومحاوره ومعايشه ومقاومة ورفضاً وغضباً، إنسان وكائن واحد يُقاسي كل أوقاته بكل تفاسيره كل ذنوب الإله وحماقاته وكل آلام كل من فتكت بهم ذنوب الإله وحماقاته.!

.. هل يمكن تصور هول كهول هذا الإنسان أو الكائن؟

.. هل وجد هذا الإنسان أو الكائن؟ كيف أمكن ألا يحترق أو يذوب وكل أخطاء الإله وخطاياهم وقباحتهم تعيش وتتحرك وتضج وتبخر وتعلن عن نفسها وتعرض وتتكرر نفسها داخل كل معانيه وتفاسيره وأمانيه ورؤاه كل أوقاته. في كل اتجاهاته؟

ما هذه القوة الشريرة التي أوجدت هذا الإنسان وحمته من الاحتراق ليقاسي كل

عذابه؟

كيف تستطيع أو تقبل الرؤية أو ألا تفقأ أية عين ترى أية عاهة أو دمامة أو نقيصة أو فظاعة زرعها أو صنعها أو حفرها أو خططها الإله في أي وجه أو ذات أو شيء، ناظراً أي الإله إليها بكل الابتهاج والنشوة والتزق المتفوق على كل معاني الوحشية والوقاحة؟

إذن كيف وجدت أو قبلت أن توجد أو تبقى عين واحدة ترى وتواجه بالديمومة كل الأوقات كل ما تصنعه أخطاء الإله وخطاياهم وبدائهم ووحشيتهم وفضاعتهم من تشوهات وعاهات ودمامات وفضاعات أهوال، مصيبة ومشوهة ومروعة ومغطية كل شيء وكل أحد حاضراً وواقعاً مقاس أو مستقبلاً ومنتظراً محتوماً؟

أليس كل شيء وكل أحد إما مصاباً مشوهاً مروعاً أو لا بدّ أن يصبح كذلك؟

. . هل قتلت وأفسدت وسرقت يا إلهي من كل العيون والعقول والضمائر والأخلاق والمواهب قبل أن تخلقها كل وظائفها، كل شرفها وغضبها ورؤيتها واحتجاجها وشهامتها وكبرياتها وذكاؤها لكي تستطيع أو تقبل أن تراك أو تفسرك أو تقرأك أو تحترمك أو تعاملك أو تنتظرك أو أن تجد فيك أي شيء يعجب أو يرضى أو يفهم أو يعقل أو يغفر أو حتى أن تبقى مواجهة معاشة مواطنة لك في هذا الكون أو في أي كون آخر؟

كيف استطعت يا إلهي أن تجعل أي كائن أو أي إنسان يقبل معاشتك أو مواجهتك أو رؤيتك أو مواطنتك؟ كيف يقبل أي كائن أن يعاشك أو يوطنك أو ينظر إليك وقد فقأت عيني ابنه أو أبيه أو أخيه؟

هل سحبت يا إلهي من الإنسان أو قتلت أو أفسدت فيه كل معاني الإنسان كما سحبت من نفسك أو قتلت أو أفسدت في نفسك كل معاني الإله لكي تستطيع أن تتعامل وتواجه وتمادحاً وتتعانقاً وتتغاضلاً بل وتتضاجعاً ويرى ويصافح أحكما الآخر بكل الجرأة والقبح والوقاحة والافتضاح والتعري؟

هل تستطيع يا إلهي أن تعيش الإنسان أو يستطيع الإنسان أن يعاشك أو أن يوطن أحكما الآخر أو أن توجدا في كون واحد أي لو أنه يوجد فيك أي معنى من معاني الإله المفترضة والمتوقعة والمطلوبة أو لو أنه يوجد في الإنسان أي معنى من معانيه المزعومة والمعلمة والمخطوب بها والمنشدة إشعاراً وكتباً مقدسة خالدة؟

أريد أن أكرر هذا يا إلهي . كيف يستطيع أي إنسان أو أي كائن أن يساكنك أو يعاشك أو حتى يستقبلك في بيت يعيش معه فيه ابن أو أب أو قريب زرعت فيه عاهة وبيلة؟

قلت يا إلهي وقال نبيك العربي محمد إنك سوف تحول الفردوس إلى مزرعة أي إلى أضخم مدجنة لتوليد وتربية الدواجن والدجاجات الجميلات الفاتنات المسميات بالهوريات، حوريات الجنة لكي يصبحن محظيات وعشيقات وضجيعات ومدللات ملاعبات مغازلات كل الأوقات لسكان الفردوس . !

إنكما لم تحددوا أو تذكرنا أي أنت والنبي العربي العدد الذي سيأخذه ويمتلكه الفرد الواحد من سكان الفردوس أي من هذه الحوريات . إنكما لم تجعل ذلك محدداً بأي عدد مثلما حددتما عدد الزوجات في الحياة الأولى . . !

لقد جاء كرمكما مطلقاً كما جاء غروركما وسلطانكما وأخطاؤكما ووحشيتكما، لقد جعلتما العدد محكوماً برغبة وشهوة وطلب من يريد. !

يا له من كرم لم يخضع لأي قدر من الأخلاق أو المنطق والجمال أو حتى من الحب! إنه لا بدّ من الاعتراف لكما بالسخاء في هذه القضية مع أنكما لم تكونا شيئاً من ذلك في أية قضية أخرى. بل إنكما أي أنت يا إلهي ونبيك العربي لتخلان على الإنسان وعلى أي كائن آخر أحياناً حتى لترفضان من بخلكما أن يكون له عينان أو يدان أو رجلان فتأخذان إحداهما أو كليتهما. . أنت تأخذ ذلك ونبيك العربي محمد يبارك ويشكر ويحمد أخذك هذا. !

ألستما تفعلان ذلك دائماً؟ أليس هذا أقبح وأقبح وأساليب البخل؟ هل تجدان لذلك تفسيراً غير البخل؟ وقد يكون بخلكما أحد أسباب ذلك وليس كلها. .

آه. الإله والنبى العربي يتراجعان عن بخليهما فيأخذان ممن أعطياه إحدى يديه أو رجله أو عينيه أو كليتهما. !. يا له من إله ويا له من نبى. !

. . وهذه المدجنة أي الفردوس سوف يكون كل إنتاجها من الدجاج بلا أي ديك أي من الحوريات بلا أي حوري. !

. . إنه خروج على كل القوانين أن يكون التخلق أو التوالد كله من الإناث بلا أية ذكورة. كيف حدث هذا ولماذا حدث؟

ألا يمكن أن يفسر ذلك أو ألا ترهبان وتخجلان أي أنت يا إلهي ونبيك محمد من احتمال أن يفسر ذلك بأنكما عاشقان للأنوثة عشقاً محروماً مجنوناً عبرتما عنه بالخروج على القوانين المنطقية الطبيعية وبإفساد وإبطال هذه القوانين؟ آه يا إلهي ويا نبى إلهي لقد حاولت أن أجّد تفسيراً آخر لذلك فلم أجّد أي لإنقاذكما من هذا الاتهام أو التفسير. . !

. . يا لها من ورطة بل ورطات لم تستطيعا أن تفتننا إليها فكيف تستطيعان معالجتها أو العلاج منها؟

انظرا، انظرا يا إلهي ويا نبى إلهي يا محمد. . انظرا. . !

هذا الفردوس الذي هو نهاية جمالكما وحبكما وفنونكما وعبقريتكما وخيال شاعريتكما وذكائكما وسخائكما والذي هو كل مجدكما. !

. . هذا الفردوس لن يستحقه ويدخله كما تقولان إلا عدد قليل جداً من البشر وقد يكون كل هذا العدد القليل من العرب ومن مواليتهم وعبيدهم وأتباعهم في الدين لأن

العرب هم خاتمة الشعوب ومعلموها والشهود عليها ولها والحاكمون عليها ولها كان نبیهم هو خاتم الأنبياء والشاهد الحاكم لهم وعليهم بل والملغي والمكذب لهم أو المتفضل المتصدق عليهم بالاعتراف بهم وبأنهم قد وجدوا وبأنهم قد كانوا ولكنهم حتماً قد ماتوا وزالوا. حتماً ماتوا وزالوا لأن محمداً قد جاء. !

حتمًا، كل الأنبياء قد ماتوا، مات كل شيء فيهم ومنهم ومعهم ولهم بعد مجيء النبي العربي. . لقد أصبحوا قبوراً جثاً وروايات فقط بعد مجيء محمد. لأن محمداً هو وحده الحي الدائم الباقي بكل معانيه وتفسيره ودينه وكتابه!

لأن محمداً قد جاء ليقتل كل الأنبياء وكل النبوات ليبقى وحده الحي الباقي وهذا العدد القليل جداً من البشر أي من العرب ومواليهم الذين سيحققون دخول الفردوس لا بد أن يكونوا جميعاً من النساء إلا القليل، القليل من الرجال أي قد يكونون من الرجال ولكن أي رجال؟

كيف، كيف ذلك؟ إنه لقول مذهل في مفاجأته. !

كل سكان الفردوس من النساء والقليل جداً الذي قد يصعب استثنائه قد يكون من الرجال. !

نعم، لأن الرجال هم دائماً أبطال وآلهة الآثام والآلام والحماقات والمظالم الكبرى العالمية والكونية والمحلية الجزئية وقادتها وأنباؤها. !

. . أليسوا أي الرجال هم صناع الحروب والطغيان والدكتاتوريات والعداوات والخصومات والانقسامات والتكتلات المتعادية المتلاعنة المتواجهة بكل الأحقاد والبغضاء والأكاذيب والآلام والويلات؟

. . أليسوا هم ممارسي الحروب والجلادين والسجانين والمعذبين وحراس وجواسيس وأعوان وزبانية كل طغيان وجبروت وعدوان ونذالات وجهالات؟
أليسوا هم الغزاة والمحتلين والمخربين لبلاد الآخرين ولحرياتهم ولكراماتهم والمذلين لها ولهم؟

أليسوا أي الرجال هم صناع الأديان والنبوات التي أفسدت وشوهت وأرهبت وقتلت كل محبة وصداقة وثقة وعلاقات بين البشر في التاريخ وبين أجزاء التاريخ أو حاولت وأحببت وقررت أن تفعل ذلك، أو كانت كل وظيفتها وتفسيرها واحتمالاتها أن تفعل ذلك؟

نعم هل للأديان والنبوات أية وظيفة أو نفع في الحياة غير أن تفعل ذلك؟

أليسوا هم كل الشعراء والخطباء والفقهاء وكل المعلمين والمشرعين والمغنين والمسوغين والدعاة لعبادة كل الطغاة الجهلاء الأشرار في كل التاريخ والأسواق تحت كل التفاسير وللسير بلا عيون وراء حماقاتهم المدمرة، وللإيمان بالآله أو الدين أو النبي أو المذهب وبنقيضه، وللصلاة إلى هذه الكعبة وإلى الكعبة الأخرى المعادية؟

.. أليسوا هم المبتكرين والناسجين والصانعين والبانين والمخططين للسجون والمعتقلات والقيود والأغلال وللأسلحة بدءاً من الرماح والخنجر إلى القنابل الكونية؟

أليسوا هم مؤلفي القصائد والفنون والأغاني ومنزلي التعاليم والكتب المقدسة في مدح الخنجر والسيوف والرمح وكل سلاح وفي تمجيد القتل والقتال والقاتل بل والمقتول لأنه عجز عن أن يكون قاتلاً ولأنه أراد وحاول أن يكون قاتلاً فأصبح مقتولاً، نعم، لقد قال الأنبياء والطغاة القتلة إن المقتول بطل ليس لأنه كان يريد أن يقتل أحد أعداء النهار أو الأنهار أو الحقول أو الجمال في الوجوه أو النفوس بل لأنه أراد أن يقتل من أمره بقتله. !

أليسوا هم الذين صنعوا ويصنعون كل الأسباب والخلافات التي تجعل القتل والقتال والحروب شيئاً لا بد منه أو شيئاً واجباً أو شيئاً يبدو ويظن ويعتقد أنه كذلك أي أنه واجب أو لا بد منه؟ إن أسباب أية حرب لم تصنعها ولن تصنعها الحياة ولا احتياجات الحياة وإنما صنعتها وتصنعها أهواء وأخلاق وحماقات بعض الرجال. !

.. أليس الرجال كل ذلك؟ بل أليس كل ذلك هو بعض ما يفعله الرجال؟

.. إذن أليس مكانهم المحتوم الذي لا بد أن يذهبوا إليه هو الجحيم باستثناء

بائس؟

ولا بد من الاعتراف بأن بعض النساء قد فعلن شيئاً من آثام الرجال هذه. !

.. إذن لا بد أن تكون النساء أي نساء البشر هن سكان الفردوس أي سكانه القادمين من الحياة الأولى مع هذا الاستثناء القليل جداً. إن كل رجل مستعد أن يكون نبياً أو قائداً أو معلماً أو كاتباً أو شاعراً مداحاً كاذباً أو مقاتلاً قاتلاً. إذن كيف يدخل الجنة أي رجل؟

.. إذن كيف قال يا إلهي نبيك محمد في حديث له مشهور جداً لعلك قد سمعته:

(اطلعت في النار فرأيت أكثر سكانها النساء)؟ إنه قول خارج على كل منطق الدين والأخلاق والتاريخ والملاحظة والعدل والصدق. !

.. إني أريد أن أسمعك تفسيري لهذا القول الذي قاله نبيك محمد.. فاسمعه مني بتسامح ووعي. أرجوك أن تفعل بل إنه لواجب عليك أن تفعل.!

.. إن محمداً كان يقاسي خصومات عنيفة دائمة ومتعددة الأسباب مع زوجاته كما كشف وفضح ذلك القرآن. وكان يحول هذه الخصومات إلى قرآن وكان يورطك في هذه الخصومات ويجعلك دائماً منحازاً له ضد زوجاته.!

.. وفي لحظة غضب عنيف محرق مضيع للصواب قال قوله هذه..!

إني لأكاد أشاهد كل تعبيرات الغضب والغيط على وجهه وهو يقول ذلك.!

.. أحسب أنك سوف توافق يا إلهي على هذا التفسير بل إنك سوف تفرح وتفخر به..! بل انتظر أن تقدم لي أحر وأصدق تهنئة على هذا التفسير.!

.. كم هو خطير وأليم ومفسد ومشوه جداً أن تكون الشؤون والآلام والهموم والمشاكل الخاصة للإله والنبي والزعيم والقائد والمعلم متحركة أو متدخلة أو حتى مؤثرة في القضايا والمشاكل والمواقف العامة التي يواجهون ويعالجون ويفسرون ويعلمون أي أن تكون متحركة أو متدخلة أو حتى مؤثرة في وظائف ومعاني وتفسيرات الإله والنبي القائد والزعيم والمعلم..!

ما أفظع وأخطر الإله والنبي والقائد الذي يتحكم أو يتدخل أو حتى يؤثر خلافة أو خصامه مع زوجته أو غضبه عليها أو حبه لها وشوقه إليها. أو تطلعها إليه وانتظارها منه وله في تفسير ووقار واستجابات واتزان وسلوك ألوهيته ونبوته وزعامته وقيادته وتعاليمه؟ ولكن هل يوجد كائن لا يتدخل هذا في هذا منه؟

.. لقد كان واجباً أن تكون لكل إله ونبي وزعيم وقائد ومعلم ولكل إنسان وكائن عام شخصيتان أو ذاتان لا تتعارفان ولا تتلاقيان ولا تتحاوران بل ولا ترى إحداهما الأخرى بل ولا تسمع عنها أو بها: إحداهما خاصة والأخرى عامة.

إن المسافة بين الذاتين أو الشخصيتين بعيدة جداً ويجب أن تزداد بعداً أي في وظائفهما وما ينبغي ويطلب منهما.

.. لتصور هذا التصور الذي لا يطاق تصوره. ولكن لتصوره.. حينما كان هذا الإله يدبر ويخطط لخلق الكون، أو حينما كان هذا النبي يتلقى الوحي من السماء ويحفظه ويكتبه، أو حينما كان هذا القائد يدرس الخطط لمعركة تاريخية عالمية فاصلة ويصدر أوامره إلى رجاله فيها..

نعم، حينما كان هذا أو هذا أو هذا في وضعه هذا طلعت عليه زوجته أو عشيقته أو والدته لتملأ قلبه أو عقله أو أخلاقه أو أي حساب من حساباته بالغضب أو بالغيظ أو بالاشمئزاز أو بالعار أو بالرغبة في الانتقام أو بكل ذلك أو بغير ذلك من الانفعالات والاهتمامات الخاصة. . . لتتصور هذا التصور لنستطيع الاقتراب من تصور ماذا يعني أن تكون ذات أو شخصية الإنسان الكائن العامة هي شخصيته أو ذاته الخاصة أو متشابكة مختلطة أو حتى متأثرة بها. . . !

لعلك يا إلهي بما سمعت مني قد استطعت أن تقرأ وتفهم وتتصور إحدى صيغ مدجنتك أي فردوسك. ولعل ذعرك وانفجاعتك بذلك قد جاء متكافئين مع أخطائك وذنوبك وضعف فنوك. !

وأرجو أن تصدق أنني أتعذب إشفاقاً عليك من عنف نقدي لك ومن صدقه ومن معرفتي بأن نقدي لك يا إلهي مهما كان عنفه فإنه يظل أقل مما يجب، أقل مما تستحق. !

ولست أجد شيئاً يخفف من عذابي بإشفاقي عليك إلا أمني أو ظني أو علمي بأنك لا تقرأ ولا تسمع لأنك موجود في مكان غير موجود. !

. . لأنك موجود في مكان جميع الموجودين فيه لا يسمعون ولا يقرأون ولا يرون ولا يرون ولا يستحيون أو يشمئزون من أي شيء بل ولا يفعلون أي شيء. !

إن كل مزاياك وأمجادك ونجاتك يا إلهي في أنك موجود في هذا المكان الذي لا وجود له. !

. . إذن سكان فردوسك هم أعداد هائلة من نساء الدنيا أي هائلة نسبياً، وأعداد قليلة أو نادرة جداً من رجال الدنيا، وأعداد أكبر وأصعب من أن تعدهن الحوريات. ! آه. يا لها من مشكلة بل ورطة مؤلمة بلا نموذج أو علاج. !

عدد قليل من الرجال بين أكون هائلة من النساء والحوريات المخلوقات من ريش أجنحة الملائكة ومن لهفات شهوات الإله المضروب عليها الحرمان الأبدي الشامل. ! إنها ورطة عصية حزينة محرجة فاضحة مخجلة معذبة مهينة للفرق الثلاث للرجال وللنساء وللحوريات. أكوان هائلة من النساء والحوريات المخلوقات من الشهوة وللشهوة بلا رجال وبلا حوريين. !

. . هؤلاء الرجال القليلون جداً كيف يقسمون أنفسهم عليهن؟ كيف يعرفون أو يستطيعون أن يفعلوا ذلك بأسلوب يرضونه ويرضيته؟

وكيف يستطيعون ذاتياً وجسدياً ونفسياً أن يفعلوا أو يقاربوا أو يفعلوا ما يطلب ويرجى وينتظر منهم وهم في مكان لا اهتمامات ولا وظائف لكل من فيه إلا فعل الشهوات معطاة ومأخوذة؟

.. وكيف يواجهون الزحام عليهم والتودد والتضرع إليهم والأمل والطمع فيهم والتغزل بهم؟

كيف يستطيعون أن يختاروا منهم؟ وبأي منطق أو حساب يختارون؟

وكيف تقبل أو تغفر أخلاقهم أو ضمائرهم أو عيونهم ذلك؟

وكيف يقبل أو يفهم أو يفسر حراس وخدم الفردوس اختيارهم أو يقتنعون به أو يغفرونه لهم؟

آه رجل واحد من هؤلاء الرجال القليلين أمامه وأمام سريره وحوله أعداد لا تعد منهم يتضرعن ويتوددن ويتوسلن إليه بكل الدموع والخضوع والمسكنة وسلطان الجنس طالبات راجيات جميعاً أن يأخذهن إلى مضجعه، إلى مضجعه العزيز الشهي وهن يتقاطرن بالشهوات المتفجرة المتلهفة المحرومة المحاصرة. !

.. هذا الرجل كيف يتصرف؟ كيف يختار؟ كيف يتحاور ويتعامل ويتفاهم مع قلبه وعقله وضميره وأخلاقه بل ومع جسده؟

.. إنها حيرة، حيرة، عذاب، عذاب. . طعام قليل حوله عوالم من الجوع وفرائس قليلة أمام أكوام من الوحوش الجائعة المفترسة. !

.. لو أن رجلاً واحداً يعيش وحده في كوكب كل سكانه من النساء فهل يعد هذا الرجل الواحد سعيداً أم شقيماً؟

لقد كان المفروض والمعقول أو الأقل قبحاً وتوريطاً وتعذيباً أن يكون الرجال في الفردوس أكثر عدداً من النساء وأن يكون الخلق أو التوالد فيه أي في الفردوس من الديوك لا من الدجاج أي من الحوريين لا من الحوريات. لماذا لم يكن ذلك؟

لقد كان تعدد الزوجات في الحياة الأولى أكثر سخفاً وظلماً وجهلاً من تعدد الأزواج. لقد كان المفروض والمعقول أن يباح ويشرع تعدد الأزواج لا الزوجات إن لم يكن بد من التعدد. !

وهذا يعني أن يزداد عدد الرجال على عدد النساء.

.. إن الأرض لتتحمل من الضربات أكثر مما يستطيع الضارب أن يضرب أو مما

تستطيع اليد والآلة أن تضرب. !

وإنها أي الأرض لتستطيع أن تستقبل وتبتلع من قطرات السحاب أكثر مما يستطيع السحاب أن يعطي من قطرات الأمطار.!. وأن الحدود لتستطيع أن تستقبل من سيول الدموع أكثر مما تستطيع العيون أن تذرف من الدموع. . من دموع الحب والشوق والحنان أو دموع الألم والأسى أو دموع المجاملة والعزاء أو دموع الإيمان والتقوى.!.
. . إن لتعدد الزوجات مع امتلاك المملوكات بلا حدود للتعامل معهن فوق السرر.

- نعم، إن لذلك عيباً بل ذنباً ضخماً لم يظن إليه أو يره أحد حتى ولا الإله ولا أنت يا إلهي ولا الأنبياء استطاعوا أن يرعوه أو حتى يظنوا إليه.!

. . إن المفروض بل الواقع أن للرجل اهتمامات والتزامات ومسؤوليات خاصة وعمامة خارج البيت وخارج العلاقات الجنسية أكثر وأعنف كثيراً مما للمرأة.!. وهذه لا بد أن تمتص وتسحب من الرجل كثيراً من اهتماماته وأشواقه وطاقاته الجنسية أو تشغله عن الكثير من ذلك أو تتحول إلى بديل وتعويض عن ذلك.!

. . أما المرأة فهي أقرب إلى السرير وإلى أفكار السرير ومعانيه وإيحاءاته وأصواته واهتزازاته ونداءاته الدائمة الحارة.!

. . إنه لا صوت ولا مجد يعلو على صوت السرير أو على مجده في حياة المرأة.!

. . إن السرير بكل لغاته وتفسيره هو أعظم وظائف واهتمامات المرأة. . إذن فالمرأة أحوج إلى تعدد أزواجها ومملوكيها الجنسيين من الرجال إلى تعدد زوجاته ومحظياته السريريات. إن المرأة متفرغة أبداً للجنس وإذا اهتمت بغير الجنس أو عملت غيره فليس إلّا من أجل الجنس وسعياً إليه.!

. . لنقرأ هذه الحالة ونحدق فيها. .

هذا نبي كل عقله وقلبه وضميره ومشاعره وحبّه وخوفه مع إلهه ومع ملاك وحيه ومع نبوته وكتابه ومع البشر جميعاً ليدلهم على الله على الفردوس ويحميهم من الجحيم ومن الشيطان الجبار.!

هذا النبي ماذا بقي أو يبقى له من التفكير في الجنس ومن اهتماماته والقدرة والجرأة على ممارساته؟ إنه لن يبقى له من هذا إلّا بقدر ما يهمل وينسى ذاك.!

. . إذن لماذا يختزن في بيته عديد الزوجات والمملوكات الجنسيات؟

أليس العكس هو العدل والعقل والتقوى أي أن يكون العديد لزوجته أو لأمته لا له هو؟

.. وهذا زعيم أو حاكم أو قائد عسكري يواجه ويعامل بكل الحماس والتوجس والحرارة كل المشاكل والتناقضات والاحتمالات الحادة المتصادمة المتناقضة الرهيبة .. السياسية والفكرية والمذهبية والاجتماعية والعسكرية .. العالمية والمحلية .. !

هذا الزعيم أو الحاكم أو القائد كيف يستطيع أن يأوي إلى سريره . وإذا أوى إليه كيف يستطيع أن يعرف أو يتذكر أنه فوق سريره أو أن معه أحداً فوق سريره ، وإذا عرف وتذكر فكيف يستطيع هذا الأحد أن يسحبه من همومه ومشاكله ليأخذ منه شيئاً مما يريد أن يأخذه ومما يجب أن يأخذه بل وهو يجد فيه شيئاً يأخذه؟

.. إذن هل يوجد ظلم أو جهل أو غباء أو سوق إلى الفساد والسوء مثل أن يكون لهذا الزعيم أو الحاكم أو القائد عديد الزوجات والمحظيات السريريات؟

أليس الأقرب إلى العدل والعقل أن يكون لزوجة أو لجارية هذا الحاكم أو الزعيم أو القائد رجل آخر أو أن يظل بلا زوجة ولا جارية؟

بل أليس هذا أقرب إلى التقوى وإلى الالتزام بها؟

.. وكل الرجال يواجهون هذه المشكلة أو هذا الموقف ولكن على مستويات متفاوتة حتى التاجر أو العامل أو الزارع البسيط يواجه ذلك . !

.. والرجال بكل مستوياتهم وظروفهم وطبقاتهم معرضون دائماً أو كثيراً للسجن والنفي والاعتقال والمطاردة وللتجنيد والحروب والتدريب عليها وللاستعداد والانتظار لها ..

.. وكل هذا يجعل أشواقهم إلى السرير والتفكير فيه والقدرة على الذهاب إليه وعلى معرفة وظيفته أي وظيفة السرير ووظيفة الذهاب إليه أقل جداً من المرأة .. ! .

كيف أمكن أن يخفى كل هذا على من شرعوا ونفذوا تعدد الزوجات دون تعدد الأزواج؟ أم هم قد عرفوا وظلموا وأرادوا أو يجهلوا؟

.. أليس تفسيراً جيداً وعبقرياً ومريحاً أن يقال إن الإله قد عاقب نفسه هذا العقاب القاسي اللفظ أي برفضه أن تكون له زوجة أن أية علاقات جنسية أو أية نتيجة من نتائج هذه العلاقات .

- نعم، أن يقال أو لو قيل إن الإله قد أنزل بنفسه هذا العقاب احتراماً وتقديراً
لالتزاماته ومسؤولياته وهمومه وأعبائه الرهيبة؟

لقد وجد أو شعر أن كل اهتماماته وطاقاته وأحلامه يجب أن توهب لوظائف
الألوهية فيه. فلو كانت له زوجة أو أية علاقات جنسية لتحكم فيه خوفان: خوف
التقصير في مسؤوليات الألوهية فيه وخوف التقصير في حقوق واحتياجات الزوجية
والعلاقات الجنسية.!

لقد تمزق وتبدد وتعذب بين الخوفين: خوف التقصير في حقوق الألوهية وخوف
التقصير في حقوق علاقاته الجنسية إذن ما الحل؟ أن يقسو على نفسه احتراماً
لمسؤولياته.!

أليست كل أنواع وألوان الحرمان التي ضربها على نفسه إنما أراد بها حماية
مسؤولياته من أن تصاب بأي شيء من التقصير. . إنه لا يمكن تصور كائن فرض على
نفسه كل ألوان الحرمان بكل القسوة والديمومة غير الإله أو مثل الإله؟

هل يوجد أي تفسير غير هذا التفسير لتحريمه على نفسه النوم والنعاس والاضطجاع
والجلوس والاسترخاء والأكل والشرب وكل ألوان ومعاني اللذات واللهو والسرور؟

لقد بالغ جداً في قسوته على نفسه تكريماً وحماية لعمله وإعطاء لعمله كل اهتماماته
وطاقاته وعضلاته وأوقاته.!. لقد بالغ، بالغ جداً في شهامته وفدائيته وإخلاصه
لمسؤولياته.!

. . إنه لا يقبل القول بأن الإله قد حرم على نفسه كل هذه الاحتياجات
والضرورات واللذات لأنه أكبر وأكرم منها وممن يفعلونها لهذا تنزه واستغنى عنها وتكبر
عليها تنظفاً وتعففاً وتوقراً.!

كيف يتنزه ويستغني عن الزواج والولد والممارسات الجنسية وعن النوم والأكل
والشرب والطرب واللهو البريء من لم يتنزه ويستغنى عن الحق والبغض والغضب
والغضب والسباب والتعبير والانتقام والكيد والخداع وعن التغذية والتلهي والاستمتاع
بإنزال العاهات والتشوهات وكل الأمراض والآلام والفضائح والمجاعات والضعف
والشيخوخة بكل كائن حي وبلاستماع إلى الأنات والآهات والصرخات بكل التلذذ
والتشهي والاستمتاع الوقح؟

. . كيف يتكبر على أي شيء من ذلك من يطالب بكل الأساليب والإلحاح والملق

والتضرع بل وبالمسكنة والهوان والوعد بالرشوة، بكل أنواع الرشوة، منزلاً الكتب المقدسة وباعثاً الأنبياء للتحدث عن هذه الرشوة..

- نعم، كيف يتكبر على أي شيء من هذه اللذات والاحتياجات من يطالب بكل هذه الأساليب والوسائل المفتضحة الذليلة بأن يمدح ويشكر ويصلي ويبكي له وبين يديه ويدعى حيث لا يجيب وبأن تكتب وتغنى كل القصائد في امتداح جماله وقوته وكرمه ورحمته وحبه وعرشه وحملة عرشه؟

كيف يتكبر أو ينتظف أو يتنزه عن أي شيء مريد ومدبر ومخطط وخالق ومواجه كل شيء؟

هل يمكن أن تكون لعاشق الصرصار والذباب ولخالقهما لكي يفرح ويسعد بمجده وعبقريته وجماله ونظافته، أن تكون له أية كرامة أو كبرياء أو إباء على أي شيء؟

.. إن مثل هذا الإله الذي أراد وعشق وخطط وصاغ وخلق كل هذا الكون بكل ما فيه ثم ذهب وظل بكل النشوة والفرح والكبرياء يعايش ويواجه ويغازل كل هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه مبهوراً مسحوراً من إعجابه وإيمانه بنفسه.

- نعم، إن هذا الإله لا يمكن ولا يجوز أن يتهم بأية كرامة أو كبرياء أو تنزه أو تكرم أو استغناء عن أي شيء بل إن كل شيء يجب أن يحمي كرامته وكبريائه ونظافته ونزاهته من أن تتعامل مع هذا الإله في أي شيء! !

.. كائن يجد سعادته ومجده وفرحه ورضاه وكبريائه في أن يريد ويحب ويعشق ويخطط ويخلق الصرصار والذباب وكل ما نجد ونرى كيف يتكبر أو يتنزه أو يتكرم أو يترفع عن الزواج والعلاقات الجنسية أو عن النوم والأكل والشرب وعن كل متعة أخرى أو عن أية متعة أخرى؟

إن كل شيء يجب أن يتنزه ويترفع ويتبرأ عن مثل هذا الإله ومنه وليس العكس! !

نعم، كائن يخلق بعقله وضميره وقلبه وأخلاقه وأشواقه ويديه القملة والبعوضة والجراثيم والعاهة في وجه الفتاة الجميلة البريئة الحساسة الطموح الخجول العاشقة للمرأة.. القارئة المفسرة لكل نظرات العيون المسائلة بكل الحساسية لكل امرأة..

- هذا الكائن كيف يترفع أو يتنزه أو يتطهر أو يتكبر عن أي شيء أو على أي شيء بل كيف لا يترفع ويتكبر ويتنزه ويتبرأ منه وعليه كل شيء؟

هل يمكن أن يكون ثناء على أي كائن أن يقال: إن هذا الكائن عظيم وكريم وكبير

ونظيف حتى إنه ليرفض أن يأكل أو يشرب أو يمارس الجنس أو أية لذة أخرى ولكنه يحقد ويكره ويفسد ويضل ويخدع ويكيد ويعاقب ويتقم ويمرض ويشوه ويضعف ويقتل الآخرين ويسعد ويفرح بما يفعل لهم، ويجن طالباً لأن يمدح بكل الأساليب السخيفة البليدة أي بأن يقال إنه جميل ورحيم وقوي وعبقري وجبار وغلاب ويعاقب أقسى العقاب من لم يقل فيه ذلك أي من لم يمدحه هذا المديح؟

. . أما ساكنات الفردوس القادمات إليه من الحياة الأولى فأبي فردوس سيجدن فردوسهن هذا؟ إنه الضياع والعذاب والاغتراب! لقد أصبحن في عالم كله من النساء يواجه منافسة لا تستطيع منافستها أي منافسة الحوريات اللاتي يتخلقن في الفردوس بأعداد هي أكبر من كل الأعداد. والإله وجميع معاونيه كل ما يفعلون غير ملتزمين أو عارفين بأي قانون من قوانين الأرقام، بل خارجين عليها منكرين لها أي بسلوكهم لا بلغتهم لأنهم لا يعرفونها لكي يكون ممكناً أن ينكروها باللغة. !

أليسوا قد رأوا أن الواحد أكثر وأكبر من كل شيء، من كل هذا الكون بكل أرقامه وتفسيره ووحداته؟

. . كما أصبح، أي عالم النساء هذا، يواجه عدداً قليلاً جداً من الرجال. وقد فسرت أسباب ذلك في الصفحات السابقة أي لأن أكثر الرجال سيذهبون إلى الجحيم. . . إذن فأكثرهن أو كلهن مع استثناء نادر لن يجدن أزواجهن في الفردوس إنه عذابان: عذابهن لأنهن بلا رجال وعذابهن لأن رجالهن هناك في الجحيم. !

. . لقد أصبحن بلا أزواج، أصبحن أرامل أو مطلقات في مكان لا يوجد فيه أي بديل أو تعويض. إنه طلاق أو ترمل أبدي. . . وإنه أيضاً تعذيب رهيب بلا أي ذنب وبلا قصد التعذيب. إنه تعذيب رهيب لأن الأحباب في عذاب الجحيم. !

. . وقد يزيد من هذا القبح والعذاب لهن أن يرين ويجدن القليلات جداً منهن معهن أزواجهن في الفردوس لتكون الحسرة والغيط والفجعة أقسى وأدوم.

. . فماذا يمكن أن يفعلن لتسديد وإرواء احتياجات وظماً وجوع ونداءات الأنوثة فيهن؟ ماذا يفعلن حيثن؟

هل يسرقن ذلك أو يغتصبه منهم؟ هل يتزوجنهم بالإكراه؟
ولكن كيف يفعلن هذا أو هذا والذين يمكن أن يفعلن معهم أو بهم هذا أو هذا غير

موجودين؟ إنهم قليلون جداً والزحام والتنافس عليهم مغرق محرق مذل فاضح. آه.. ما أقسى وأوقح هذا الزحام!

هل يباح بل يشرع تعدد الزوجات بل يلزم به في الفردوس؟
أليس تعدد الزوجات في الفردوس ضرورة واحتياجاً ومنطقياً وأخلاقياً أكثر مما كان
كذلك في الحياة الأولى. ولكن هذا لن يعالج أو يحل المشكلة!

إنها أكوام هائلة متزاحمة من الناس والحوريات على رجل واحد وأمامه!
إن هذا الرجل الواحد أمام هذه العوالم من النساء والحوريات الزاحفات المتلهفات
المحترقات المتحولات إلى جنس وأنوثة ومجاعات وهتافات عضوية جنسية شهوانية فقط
بلا أية تفاسير أخرى أو وظائف أخرى..

إن هذا الرجل الواحد أمام كل هذا لن يكون أو يظل رجل أو فارس جنس معالج
مجاعات جنس. إنه لا بد أن يتحول إلى هارب مطارد مذنب مهزوم مسحوق عاجز
مشتوم متهم مطلوب القبض عليه والتعذيب والمحاكمة له ليوضع في السجن أو المعتقل
بالقيود والأغلال!..

إذن ماذا يمكن أن يفعلن ويستطعن..؟

.. هل يتحولن إلى عصابات إرهاب لاختطاف هؤلاء الرجال القليلين جداً ليفعلن
بهم ما يردن: الاغتصاب أو القتل أو الاغتصاب والقتل معاً؟

.. هل يتعلمن الشذوذ الجنسي ويمارسنه إذ لا بديل آخر؟

.. هل يفسدن أخلاق الإله وملائكته وكل من حوله ويعلمنهم العلاقات
والممارسات الجنسية؟ إنه لاحتمال قوي وخطير. لأنه لن يتصور مثل الإله وملائكته
ومن حوله استعداداً واستجابة لتقبل هذا الإفساد والفساد لأبدية وطول وقسوة حرمانهم
من ذلك ومن كل شيء!..

.. هل يهربن إلى الجحيم مؤملات أن يجدن رجالهن أو أي رجال آخرين؟

.. هل ينتحرن بإشعال الحرائق في الفروس ليحترقن ويحترق كل شيء فيه؟

.. هل يتحولن إلى زنديقات وإلى داعيات للزندقة عقاباً لمن فعل بهن ذلك
واحتجاجاً عليه وعلى حياتهن وبحثاً عن عقابه وهرباً من ثوابه بعد أن وجد أن ثوابه أردأ
وأغبي وأقسى من عقابه؟

نعم، أليس عقاب الإله هو دائماً أنبل وأفضل وأتقى وأذكى من ثوابه؟

لنتنظر إلى أعدائه وإلى أصدقائه لنعرف أن عقابه أفضل وأنفع جداً من ثوابه .!

.. هل يستسلمن لمأساتهن الأبدية ويتحولن إلى بكاء وأنات وآهات وأحزان وإلى غضب وبغضاء ولعنات ناطقة أو صامته مصبوبة على من خدعن وأغراهن وكذب عليهن ليلقي بهن في هذا المكان الكئيب الأليم اللثيم . في هذا القحط المجذب من كل تفاسير ومعاني الجمال والمنطق والفن والذكاء والحب والشرف والكرامة والوقار بل ومن الرجال أي في هذا المكان المسمى والمزعوم فردوساً؟

إنها لاحتمالات كلها عذاب وقبح وافتضاح .!

إن أظفح ما في الفردوس أن عذابه وافتضاحه وقبحه أبدي لا نهاية له ولا أمل في نهايته . وكذا كل قضايا وأحكام وتفاسير الحياة الثانية .!

أما الحياة الأولى أي الدنيا فإن أجمل وأنبل وأرحم أخلاقها وتفاسيرها وعذابها وقبحها وفضائحتها أن كل شيء فيها له نهاية، كل شيء فيها لا بد أن يموت وينسى ويهزم .!

أليس أجمل ما في الحياة وأقوى ما يخفي ذنوب وقبح الحياة أنها تنتظر النهاية التي لا بد منها .!

.. الحكم على كائن ما بالخلود الأبدي في ذاته أو في ظروفه أو في مكانه أو في أفكاره ومشاعره وآماله وطموحه وتطلعاته ورؤاه وعذابه بل أو حتى في سعادته أو حتى في فردوسه وفي مجاورته أو مواطنته أو مساكنته أو مصاحبته لإلهه أي الحكم عليه بالخلود في ذلك .

- نعم، هذا الحكم هل يطاق؟ هل يطاق عذابه وقبحه وعدوانيته؟ إن كل شيء نجده جميلاً أو مفرحاً مسعداً إنما نجده كذلك لأنه ليس أبدياً ولأننا نعلم ذلك .!

لماذا جاء الإله بكل هذه القسوة والفظاظة والقبح والعدوانية؟

لأنه يقاسي كل العذاب والانفجاع الذي لا خلاص ولا علاج منه . .

ولماذا يقاسي الإله كل ذلك؟ لأنه قد عرف أنه لا نهاية ولا خلاص له من حياته أو وجوده ولا من أي معنى من معانيه .!

إن وحشية الإله لن تكون كما كانت لأن عذابه لن يكون كما كان أي لو أنه كان يعلم أنه سيذهب، يموت، وإنه لم يحكم عليه بالخلود . . أي لو أنه لم يكن أزلياً أبدياً في وجوده وصيغ كينونته وفي كل معانيه وتفاسيره ورؤاه وأشواقه ومواجهاته وأعماله

والتزاماته . ولكن من الذي عاقب الإله بهذه الأزلية والأبدية في كل ذلك؟ آه يا إلهي
يا أفضع من فعل العقاب ومن فعل به العقاب!

.. أيهما أفسى تعذيباً وترويعاً وتقبيحاً: أن يخلد كائن تعيش في بدنه وضميره
وعقله وأخلاقه ورؤاه ومواجهاته كل الآلام والأمراض والعاهات والتشوهات والعار
والفضائح التي لا علاج ولا شفاء منها ولا أمل في العلاج أو الشفاء، أم أن يخلد الإله
مواجهاً لكل هذا الكون ولكل ما فيه ومحاصراً به، ومسؤولاً عنه ومتهماً مفسراً مقروءاً
مفهوماً محاسباً محاكماً مؤرخاً معاملاً متعاملاً به ومعه وفيه؟ فظيع، فظيع عذاب الإله لو
كانت له عينان وضمير وقلب وفكر وفن وأحاسيس ومنطق يحاكم ويحاسب ويسائل
ويحاور.. وفظيع فظيع ألا يكون له شيء من ذلك، بل ونذالة، نذالة ألا يكون له
ذلك.

.. نعم، نعود إلى آلام نساء الفردوس..!

لنقول: حتى النساء القليلات جداً اللاتي سوف يجدن أزواجهن معهن في الفردوس
لن يكن سعيدات أو فرحات أو آمانات..!

إن الحرج والمجاملة والاستحياء والغيرة على أزواجهن أمام النساء الأخريات
اللاتي لم يجدن أزواجهن لا بد أن تعذبهن كل العذاب وأقسى وأدوم العذاب..

وأيضاً لا بد أن تعذبهن وتقهرهن وتهزمهن منافسة الحوريات اللاتي صاغهن الإله
من شهوات ولهفات وزفرات حرمانه الجنسي وحرمانه الشامل الأزلي الأبدي.. اللاتي
صاغهن من كل معاني الجنون!

إن السعيد جداً أمام الأشقياء والمعذبين جداً قد أو لا بد أن يجب أن يتعذب جداً،
أن يتعذب بالحرج أو بالاستحياء أو بالشهامة والتقوى أو بالخوف أو بالحسابات
والتقديرات والاحتمالات الأخرى..!

.. لتتصور هذا التصور لكي تتصور قبحه وعذابه..

مدينة مات كل رجالها سوى رجل واحد وأصبحت كل نساؤها أرامل بلا أمل في أن
يجدن رجالاً قد يتزوجونهن سوى امرأة واحدة هي زوجة هذا الرجل الواحد لتستمر هذه
الحالة طويلاً أو أبداً..

هل يمكن أن تعيش هذه الزوجة الواحدة أو حتى زوجها شيئاً من السعادة أو الرضا
أو الاستقرار أو الأمان أو الحب أو الصداقة؟

بل هل يستطيعان أو يجروان حينئذ أن يحدقا في عيون هذا العالم من الأرامل الذي يعيشان فيه بلا قدرة على الفرار والمفارقة؟ بل هل يستطيعان أو يجروان حينئذ أن يظهرأ في هذا العالم متجاورين أو متحابين؟

. . أما الفريق الثالث لشعب الفردوس أو لشعوبه وهو الحوريات أو «الحور العين» فإن كل الصدمات والمفاجآت الآليمة الفاجعة لا بد أن تكون أقل وأخف مما سوف يواجهن من صدمات ومواجهات قاسية ومهينة. !

وما القصة؟

لقد أنفق الإله وجميع مساعديه ومستشاريه كل ذكائهم وقوتهم واهتمامهم وحماسهم وحبهم للجمال وكل عبقرياتهم الفنية والشعرية والخيالية والنفسية والإبداعية والاستعراضية أيضاً.

- لقد أعطوا كل ذلك بكل السخاء والحب والفرح ليحولوهن إلى عرائس بعد أن يصوغوهن كما يريدون ويحبون ويعشقون ويستطيعون ويعرفون ليزفوهن زفافاً كونياً سماوياً، تغني وترقص وتدق له كل الطبول الكونية كل الشمس والنجوم بكل الأصوات واللغات والحركات والنبوات فوق كل المجرات.

. . ليزفوهن في أعظم وأشهر مكان، في الفردوس، في أعظم وأشهر وأجمل عرس، عرس ابتكره وصنعه وأقامه وحضره واحتفل به الله وكل أعوانه ومستشاريه وأنبيائه وأديانه بل وأنفقوا عليه بكل السرف. . ليزفوهن إلى أقوى وأجمل وأعشق وأفرس الرجال الذين وضع الله كل طاقات عضلاته ولهفات شهواته في أعضائهم الجنسية، ليكن لهم كل السرور والمضاجع والممارسات كل الأوقات، لتكون ضخامة وحماسة وديمومة وجنون ممارسة أعضائهم لأعضائهن أعظم وأعجب مشهد يتحول إلى أعظم وأعجب ملهاة مثيرة لعيني الإله ولرضاه عن عبقريته وفنونه التي استطاعت أن تتصور وتصنع وتخرج مثل هذا. إنه لصعب أن يوجد أي تفسير لإيجاد حوريات الفردوس غير احتياج الإله إلى أن يستمتع بمشاهدة الممارسات القوية الوقحة جداً. .

. . ولكن يا لها من مفاجأة تخطت كل حدود وتفاسير المفاجآت في قسوتها وقبحها وترويعها وإهانتها وهوانها. يا لها من مفاجأة عجز عن تصورها وتوقعها خيال الإله بل فضحت الإله خيلاً ورؤية وحساباً. !

. . لقد زففن إلى مكان لا يوجد فيه المزفوف إليهم ولن يوجدوا. !

.. لتصور هذا لتصور شيئاً قليلاً من فظاعة وقبح ما حدث ..

.. زفاف يريده ويخططه ويقيمه وينفق عليه ويعلن عنه ويحضره ويحتفل به ويرقص ويغني ويصنع له وفيه كل قصائده وطبوله وألحانه ويرى فيه كل مجده وتفضله وعبقريته وسروره وقدرته وذكائه وكبريائه وجماله .

- زفاف يفعله بكل ذلك ويفعل له كل ذلك الإله وكل رعاياه من كل سكان كل أكوانه بكل المباهاة والاستعراض والدوي الإعلاني المشحون المتفجر بكل الفرح .. المشحون والمتفجر بكل لغات وتفسير النزق، النزق السماوي، نزق الإله، هاتفاً له نزق قبائله الضاربة خيامها حول وتحت عرشه ..

- نعم، هذا الزفاف يفاجأ بأنه زفاف ومزفوفات بلا مزفوف إليهم بل وبلا أمل في أن يوجد من يزف إليهم، بل ويفاجأ بأنه زفاف إلى مكان مملوء بالتمزلات والمطلقات اللاتي لن يجدن أو يؤملن أي إنقاذ من ترملهن أو طلاقهن .. إنها خيبة تهون عندها كل الخيبات . إنها خيبة يغرق فيها كل مجد وذكاء وتديبر الإله معاناً بكل عشائره السماوية .!

.. إن كل البحار والأنهار لو ذرفها الإله وأعوانه وأنبيأؤه دموعاً وأحزاناً وعزاء ورتاء واعتذاراً إلى مأساة وفجيعة وصدمة وخبية هؤلاء العرائس المزفوفات لما فكروا في أن يغفروا لهم شيئاً مما فعلوا بهن بل لما استطعن أو قبلن أي الحوريات المزفوفات أن يستمعن إلى اعتذارهم وبكائهم، بل لما أمكن أن يرين عيونهم المتدفقة منها كل البحار والأنهار دموعاً حتى ولو احترقت عيونهم وخطودهم بحرارة دموعهم ..!

.. نعم، لما فعلن شيئاً من ذلك ولما استطعن فعله لضخامة مأساتهن ولضخامة جريمة من أوقعوا بهن هذه المأساة أي من زفوهن إلى هذه المأساة .!

آه . ما أبلد وأعشى الإله والطبيعة أمام المآسي والجرائم ما أبلدهما وأنذلهما .!

.. إذن المأساة بلا حدود أو قياس أو نموذج، والجريمة بهذا الحجم، والغضب والإحساس بالفجيعة كذلك أي بلا حدود أو قياس أو نموذج .!

.. إذن لا بد أن تتخلق الرغبة في الانتقام وأن تكون هذه الرغبة حادة كحدة الإحساس بالمأساة وبالفجيعة، وأن يكون الانتقام وأن يراد له أن يكون متكافئاً مع الجريمة، الجريمة القبيحة الوقحة بلا مثال .!

آه كيف تحسب وقاحات وقباحات الجرائم؟ بأي مقياس أو منطق تقرأ أو تحسب؟

.. وبقراءة ومحاسبة كل هذه الحسابات ما الذي يمكن تصويره مما لا بد أن يفعلنه

أي الحوريات أو أحاولن فعله رداً على ما أصابهن وعقاباً لمن دبروا وصمموا ونفذوا ما أصابهن؟ ما أقسى العقاب الذي لا بد أن يقع على الإله وملائكته وأنبيائه وعلى الموظفين عنده لو كان العقاب يكون بالحتم على قدر الإجماع.!

إنه لا يمكن الجواب على هذا التساؤل بالتحديد، ولكن بلا تحديد لا بد أن يكون الجواب عما لا بد أن يفعلن وعما يمكن تصوره مما لا بد أن يفعلنه أو يحاولن فعله، لا بد أن يكون رهيباً، رهيباً.!

.. والمحتوم أو المحتمل جداً أن ما سوف يفعلنه لا بد أن يصيب من فعلوا الجريمة وصاغوا المأساة أي الإله وملائكته وأنبيائه وكل أعوانه وجنوده وحراسه، وأن يصيب أيضاً الأبرياء من سكان الفردوس وغيرهم.!

ما أقل العقاب أو الانتقام الذي لا يصيب الأمن يستحقونه؟ بل لعل هذا العقاب أو الانتقام لم يوجد ولن يوجد.!

.. بكل العنف الذي حاولت أن يكون صادقاً وحازماً وأميناً ومتكافئاً مع ضخامة مسؤوليتك وذنوبك يا إلهي ومع ضخامة القضية عرضت عليك ثلاثي فردوسك وهم الرجال والنساء والحوريات أو الحور العين كما تقول أنت ويقول نبيك العربي محمد، وعرضت عليك أعداد وظروف وحالات الجماعات الثلاث وما لا بد أن يكون لذلك من عواقب.!

هل يمكن أن يكون حدث أو فعل أو وضع بلا عواقب مختلفة في أساليبها وتعبيرها إلا بقدر ما يمكن أن يحدث حبل بلا تلقيح أو حبل بلا ولادة أو ولادة بلا مولود، أو عروبة بلا بداوة أو زعامة عربية بلا تفاهة وجهالة كنت قد حدثت عن فريق رابع أي من سكان فردوسك وهم الغلمان أو الولدان المخلدون كما تسميهم أنت ونبيك محمد. . الإله والنبي يتحدثان عن الغلمان المخلدين المزينين بكل الحلى والأصباغ. قبيح تفسير ذلك.!

.. وبأقصى الذعر والانفجاع والاستحياء بل والاشمئزاز أذكر لكم أي لك يا إلهي فريقاً خامساً رواه الراوون عن نبيك العربي الراوي عنك ما لا يجرؤ أن يرويه عنك غيره بل ما لا يجرؤ أن يرويه أحد عن أحد.!. إنه لا أقبح من العربي مفكر وفاعلاً إلا النبي العربي راوياً ومعلماً.!

إن العربي لا يستطيع أن يكون متفوقاً إلا في حالة واحدة أي إلا في افتضاحه.!.
.. إن هذا الفريق الخامس في فردوسك هم الخدم. هكذا روى الرواة عن نبيك

الذي لم يفصح أحد أهدأ بالرواية عنه مثلما فضحك. بل إن جميع رواة الفضائح في كل التاريخ والكون لن يستطيعوا أو يجروؤا أن يرووا منها أي من الفضائح مثلما روى نبيك هذا منها عنك. !

. . قال هؤلاء الرواة بكل الإيمان والتقوى والإعجاب والفرح والفخر بما يروون وبنبيهم الذي يروون عنه ما يروون. . !

قالوا إن أقل أهل الفردوس منزلة ومكانة اجتماعية في الفردوس سيكون له ثمانون ألف خادم. . !

ثم، ثمانون ألف خادم. هل تسمعون؟ هل يوجد من يستطيع أن يسمع أو يقرأ؟ هل تعرف شيئاً من الحساب يا إلهي؟ هل تعرف ماذا يعني ثمانون ألفاً؟

هل تستطيع قراءة هذا الرقم أو المنطق به أو كتابته. ؟ حتماً أنت يا إلهي لا تعرف أي تفسير من تفاسير الأرقام. والنفط العربي أحد الشهود على ذلك. !

. . هل أهين أو حقر أو شوه أو خدع أو كذب أو خدع وكذب به وعليه شيء مثل الأرقام؟ وهل أهان أو شتم أو أذل الأرقام شيء مثل النفط العربي؟

. . هل وجد أو يوجد من اعتدى ويعتدي على الأرقام، على أخلاقها وتفسيرها وصدقها ومجدها وشرفها وقوتها وذكائها مثلما اعتدى ويعتدي عليها الإله وكل من يتحدثون بلسانه ومنطقه وأخلاقه من ملائكة وأنبياء ووعاظ ومعلمي دين ومن نفط عربي ومن ملاك وأولياء وأصدقاء للنفط العربي؟

هل استطاع أو يستطيع أي شيء أن يقنع بأمية الإله وأمية الطبيعة مثلما استطاع ذلك النفط العربي؟

أيهما أكثر هجاء لذكاء الإله وذكاء الطبيعة: النفط العربي أم النبوة العربية؟

. . من علمك أيتها الأرقام كل هذا الصبر على هذا الهوان؟

. . أليس سكان السماء والقادمون والمتعلمون من السماء هم أردأ وأبذأ من علموك

ذلك؟

هل وجد ضالون مضللون وجاهلون مجهلون مثل سكان السماء والقادمين من السماء والمتحدثين عن السماء والمتعلمين من السماء والمفسرين لأخلاق وأهواء السماء؟ أليس كل نضال إنساني إنما هو نضال ضد أخلاق ومنطق وأفعال وضربات وحماقات وتعاليم السماء وموظفيها والقادمين منها؟

.. هل وجد معلمون لا أحد يحتاج إلى أن يتعلم احتياجهم مثل أهل السماء ملاكاً وسكاناً وزواراً وتلامذة وأصدقاء ودعاة؟

هل تعلم أحد من أحد مثلما تعلمت أو احتاجت أن تتعلم السماء من الأرض؟

.. إذن صبراً أيتها الأرقام فلست وحدك التي اعتدت عليها السماء.

.. وليس عدوان السماء عليك أقبح أو أقسى من عدوانها على أي شيء وعلى كل شيء.!

أليس عدوان السماء عليك أقل من عدوانها على الإنسان والصرصار والذباب والقملة؟

أليس عدوانها أي السماء على الصرصار والذباب والقملة أقل من عدوانها على الإنسان؟

أليس عدوانها أي السماء على الإنسان المتفوق جداً بأخلاقه أو عقله أو ضميره أو عبقريته أو نظافته أو كرامته أو رؤيته أو تقواه أقسى وأقبح من عدوانها على الإنسان الآخر المتخلف في كل ذلك أو الفاقد لكل ذلك! ولكن أغفري، أغفري أيتها السماء. إنه لا يوجد متهم بكل الذنوب، بريء من كل الذنوب غير أنت وغير الشيطان.!

اسمعوا. بل لا تسمعوا. وهل تطيقون أو تقبلون أن تسمعوا؟

.. اسمعوا ماذا تقول السماء فيما يروي عنها أنبياءها أي خاتم أنبيائها.!

اسمعوا: إن أقل سكان الفردوس مكانة وحظاً من عطاء الإله وحبه ورضاه سيكون له ثمانون ألف خادم. اسمعوا أن هذا ما تقوله السماء في رواية نبوة العروبة عنها.!

أليس محتوماً أن تسألوا بكل الانفجاع والغضب بل والاشمئزاز!

إذن أعلى أهل الفردوس منزلة وقرباً من الإله كما سيملك من الخدم؟ إذن النبي أي

نبي كما سيملك من ذلك.؟

.. إذن سلطان الأنبياء وملكهم وسيدهم ومعلمهم وخاتمهم محمد النبي العربي كم

سيملك من الخدم هو وحوارياته ومحظياته وزوجاته وأهله وأقاربه وعلمانه؟ إذن هل

تستطيع كل الآلهة أن تخلق بل أو أن تعرف أعداد الخدم الذين يجب أن يكونوا خدماً

للنبي محمد ولزوجاته وجواريه وأهله؟

.. أليس محتوماً أو واجباً أن تسألوا: وماذا يصنع المخدمون بهؤلاء الخدم؟ ماذا يصنعون بهم كيف وهؤلاء الخدم ليسوا وحدهم؟

إن ولدان أي الغلمان هم أيضاً خدم لمن لهم هؤلاء الخدم. !

.. إنها الورطة وتعذيب للمخدومين أكثر مما هي كذلك للخدامين. !

.. أليس محتوماً أيضاً أن تسألوا: من أين يستورد أو يسرق أو يسبي أو يجبي أو يستولد هؤلاء الخدم. !. هل توجد أرحام أو مصانع تستطيع أن تلد أو تنتج كل هؤلاء حتى ولا أرحام نساء العروبة تستطيع ذلك. !

ثم أليس محتوماً أن تسألوا: كيف يمكن إطعام أو إسكان هؤلاء الخدم أو إيجاد المواصلات والملابس وكل الاحتياجات الأخرى لهم؟

هل يستطيع هذا أو يستطيع شيء منه؟

أليس محتوماً أن يأكلوا كل بذور وبراعم وفسائل وحبوب ونباتات الفردوس قبل أن تنبت وتنمو وتثمر وتزهر ليصبح أي الفردوس قحطاً أبدياً، لتموت فيه كل صيغ الحياة ومعانيها، ليموت كل من فيه جوعاً وفقراً وهزلاً؟

وليس محتملاً أن يوجد في الفردوس خبراء على أي مستوى لا مستوردون ولا محليون، لا عبقيرون ولا جيّدون ولا حتى متوسطون أو عاديون ليعالجوا أية مشكلة من هذه المشاكل كالذي كان يحدث في الحياة الأولى. !

.. نعم، لأنه لن يسمح بدخول الفردوس لغير أهله حتى ولا للأطباء ولا لجماعات الإسعاف ولا لمطفئي الحرائق ولا لمنقذي الغرقى ولا للملقحين ضد الأمراض المعدية، حتى ولا لمعلمي الآلهة القراءة والكتابة حتى ولا لمعلميها حروف الهجاء ولا لمن داووها ويداوونها من بداوة الكون وجهالته وأميته. . من بداوة الكينونة وجهالته وأميته. حتى ولا لمن ستروا بعقرياتهم وإبداعاتهم وعلومهم الكبير من أخطائها أي من أخطاء الآلهة وجهلها وعجزها. !

.. وأيضاً لأن سكان الفردوس لن يكونوا إلاّ بلهياً ومغفلين وأميين ومشغولين بمعرفتك وعبادتك ومخاطبتك وفي التفكير فيك والخوف منك وفي الامتداح لك وفي التغزل بجمالك وفي الاستعداد والانتظار للقائك ومعاشرتك ومجاورتك وفي التوكل عليك وفي إعلان وإثبات هذا التوكل كما تطالبهم بذلك وتفرضه عليهم - نعم، مشغولين بكل ذلك عن أي شيء كما أردت وطلبت منهم وأعلنت عن ذلك وقررت أن تحاسب وتعاقب وتجزّي وترضي وتغضب بذلك وعليه. !

. . إنسان أو كائن موضوع داخل عينيه جسم الشمس ، كيف يمكن أو يستطيع أن يرى أي شيء آخر؟ كيف لا يحترق كل شيء فيه؟

إنسان يتفجر كل الكون في أذنيه كيف يستطيع أن يسمع خفقة جناح عصفور؟

. . إنسان أو كائن توجد كل ذات الإله بكل تفاسيرها وصيغها وضخامتها وجمالها ورهبتها داخل عقله وضميره وتفكيره وداخل كل تصوراته وتطلعاته ورؤاه وأشواقه ومستقبله كيف يمكن أن يوجد في ذاته أو في أي معنى من معانيه أي شيء آخر ، ليتهم به أو ليحرق أو يفكر فيه أو ليتقنه أو ليفعله؟

إنه لصعب بل لمستحيل أن تسكن يا إلهي في أية ذات أو تحتلها ثم يوجد فيها أي شيء غيرك أو تتسع لأي شيء غيرك أن الناس يا إلهي لا يستطيعون ولم يستطيعوا أن يحيوا وأن يحبوا الحياة ويتعاملوا بها ويعاملوها ويعملوا لها ويتقاتلوا ويتنافسوا ويتعادوا عليها أو يروا جمالها أو يتلذذوا بإغرائها أو يقاسوا من فقدانها وآلامها .

- نعم ، يا إلهي إنهم لن يفعلوا ولم يفعلوا شيئاً من ذلك إلاّ بقدر ما تكون منفياً من داخلهم . .

إنهم لن يروا الشمس إلاّ بقدر ما يكونون فاقدين لرؤيتك ناسين لها مشغولين أو عاجزين عنها . . إلاّ بقدر ما تكون بعيداً عن عيونهم . !

. . إنهم لم يسمعوا ولن يسمعوا أصوات الأعاصير والصواعق بل أصوات الكون متفجراً كله إلاّ بقدر ما تكون مطروداً من آذانهم بكل أصواتك وهتافاتك ونداءاتك وتهديداتك وإغراءاتك ونبواتك . إن وجودك يا إلهي في أية عين فقء لها عن كل رؤية أو في أية أذن إصابة لها بالصمم عن كل سمع واستماع !

إن ذلك لكذلك مهما قالت كل المحاريب والمنابر والآيات والأسفار والأنجيل والعظات والتفاسير غير ذلك ، خداعاً أو كذباً أو جهلاً أو محاباة للنفس أو دفاعاً عما لا يمكن الدفاع عنه . !

هل يوجد أكذب أو أجهل أو أخدع من السور والأسفار والإصحاحات والمنابر والمحاريب؟

. . نعم ، يا إلهي إنك لن توجد في ذات يوجد فيها شيء آخر غيرك ثم تبقيان فيها أي أنت والشيء الآخر معاً إلاّ بقدر ما يمكن أن تتجمع كل أجساد كل الشموس في عين ثم تستطيع أو تريد أي هذه العين أن ترى شيئاً أو أن يوجد فيها شيء آخر . !

.. ما أعجز البشر حتى الأذكياء جداً منهم عن رؤية وفهم ما لا يستطيع العجز عن رؤيته وفهمه أي أحياناً! !

ما أغبى وأذكى البشر أي في كثير من المواقف، أمام كثير من القضايا. !

إن الغباء أي في كثير من المواقف والقضايا ضريبة كونية أبدية مفروضة على كل كائن، على كل البشر لا يعفى منها أي عبقرى بل ولا يخفف منها عن أي عبقرى احتراماً لعبقريته أو خوفاً أو استحياء منها هل يكون خطأ كبيراً أو صغيراً أن يُقال إن قمة العبقرية هي قمة الغباء لأن قمة العبقرية هي التي تفكر وتعلم وتفهم وتبدع وتناضل وتفعل وتنجز لكي يحيا ويبقى ويقوى ويسعد ويتكاثر وينتصر ويخلد أغبى الغباء بكل صيغة تفاسيره؟ إن مشكلة العبقرية الدائمة أنها لا تجد شيئاً تعمل له أو فيه أو تتعامل معه غير الغباء والعبث الذي هو كل تفاسير الغباء. !

هل للعبقرية الإنسانية أية وظيفة غير أن تجعل ما هو كل الغباء حياً وقوياً وشهياً وبهياً وذكياً وخالداً منتصراً منتشراً محمياً من الموت والانتهاة والهزيمة بل وراضياً عن نفسه وغبائه ومعجباً بهما بلا حدود من الجنون والغباء والتزق؟

.. هل للعبقرية الإنسانية وظيفة أو هدف غير أن تحمي أقبح العبث من الموت أو الانتحار أو الشيخوخة أو الاختفاء بل أو حتى من الاستحياء بل غير أن تحمي أقبح وأوقح القبح من ذلك لأنها أي العبقرية لا تجد شيئاً تعمل فيه وتعمله غير الوجود والوجود هو كل العبث والغباء؟

أليست العبقرية الإنسانية التي تناضل وتبدع وتقاسي لكي تجعل أقسى وأقبح الآلام والتفاهات والفضائح والقبائح والبلادات والعاهات والتشوّهات والنذالات قوية وباقية وقاهرة باهرة بل لكي تجعلها شعوباً وأمماً وتاريخاً وأدياناً ومذاهب ونبوات وفلسفات وأخلاق وتعاليم وعبقریات وشهوات آلهة، بل أعظم وأتقى وأذكى الآلهة؟

هل يوجد أغبى أو أنذل أو أوقح من أذكى الأذكياء الذين يريدون ويعشقون ويدبرون ويصنعون ويحمون ويقوون أغبى الغباء وأعبث العبث ليدوما ويتعاضما ويتألقا؟

أليس كل الأذكياء وأذكى الأذكياء يفعلون ذلك بل لا يفعلون غير ذلك؟

.. إذن هل يوجد أغبى أو أنذل أو أوقح وأقبح من مريد ومدبر ومخطط وعاشق وصانع ومخلد هذا الوجود الذي لا يوجد غباء ولا قبح ولا نذالة ولا عبث ولا سخف ولا عذاب ولا هوان غير غبائه وقبحه ونذالته وعبثه وسخفه وعذابه وهوانه؟

إن الأذكىاء جداً لمحتاجون إلى الغباء أكثر من احتياج الأغبياء إلى الذكاء . وإنهم أي الأذكىاء جداً ليفعلون الغباء ويخططونه وينصرونه أكثر مما يفعل الأغبياء . !

أليس الذين يصنعون وينشرون ويحمون أغبي الغباء وأعبت العبث هم أغبي وأعبت الأغبياء العابثين؟

إذن أليس الآلهة والعباقرة هم أغبي الأغبياء وأعبت العابثين إذ لا أحد يهب الغباء والعبث القوة والبقاء والمجد والحياة مثل الآلهة والعباقرة؟

نعم، الآلهة تصنع وتريد العبث والغباء، أما العباقرة فيهبونهما أسباب البقاء والقوة والانتشار . !

. . إن المشكلة أن الأغبياء والعباثين والصانعين للعبث والغباء لا يرون أن يدركون أو ينكرون عبثهم وغباءهم إلاً بالقدر والذكاء اللذين تدرك وترى وتفهم وتنكر بهما الحشرات عبثها وغباءها وضياعها . ! . ولا بد هنا من الاعتذار إلى الحشرات لأنها تفعل كل ما تفعل بلا دفاع عنه!

. . هل يستطيع الإله أو العبقري أن يفهم أو ينكر أو يرى عبثه وضياعه وغباءه أكثر أو أذكى أو أتقى أو أقوى مما تستطيع ذلك أردأ الحشرات؟

إذن أليس أحد التفاسير لكل هذا: إن الأذكىاء والعباقرة يصنعون وينصرون ويرسخون الغباء أكثر وأقسى مما يفعل ذلك الأغبياء والجهلاء والضعفاء والتافهون؟ كيف؟

لأن الأذكىاء والعباقرة يصنعون الوجود أكثر وأقوى والوجود هو كل الغباء، والغباء لن يكون إلاً وجوداً . فكل وجود غباء وكل غباء وجود . إنه لا غباء بلا وجود ولا وجود بلا غباء . !

إن ذلك لكذلك في كل تفاسير الذكاء والغباء، في كل تفاسير ومنطق الفكرة والهدف . . البداية والنهاية . . التخطيط والنتيجة . . الأسلوب والمعنى . . الولادة والموت أليست الولادة كالموت فكرة ومنطقاً؟

. . إن الذكاء في مجيء الحشرة وفي كينونتها ونهايتها هو كل الذكاء الموجود في وجود أي موجود، في وجود كل هذا الوجود . !

. . إن كل الذكاء والجمال والحب والرحمة والحكمة الموجودة في الولادة موجودة في الموت وفي المرض والتشويه . !

.. إن أحداً مهما كان جنون إيمانه لن يقول إن في وجود الحشرة من الذكاء أو المنطق أو العبقريّة أو الجمال أو الفن أقل مما في وجود النبي أو الملاك أو القديس، أي يقول إن الله حين خلق الحشرة كان جماله أو ذكاؤه أو منطقته أو فنه أقل منه حين خلق الملاك أو النبي أو القديس أو أنه كان أقل التزاماً بذلك !

.. إن من يقول: إن وجود الحشرة خروج على الذكاء والمنطق أو الجمال أو النظافة أو العبقريّة لا بدّ أن يقول إن وجود كل شيء وأي شيء هو كل هذا الخروج حتى وجود الأنبياء والملائكة والقديسين، وحتى وجود الصحة والجمال والحقول والمروج. !

إن من ينكر أو يرفض أو يلعن وجود الحشرة إنما يفعل ذلك بوجود الإله.

.. إنه لن يوجد من يقول إن في صياغة الوجه الجميل من الذكاء أو الفن أو الرحمة أو الحب أو الحكمة أكثر مما في أي وجه مغطى بكل التشوهات والدماغات من ذلك !

إنه لا بد من هذا أو هذا أي لا بدّ من القول والافتناع بأن كل وجود وموجود قد وجد بذكاء أو لا وجود ولا موجود قد وجد أو أوجد بأي ذكاء !

.. إذن هل يوجد من يقول إن في وجود الحشرة أو العاهة في الوجه ذكاء لكي يمكن أن يوجد من يقول إن في وجود أي موجود أي ذكاء؟

.. إن من يقتل أو يطارد أو يحتقر أية حشرة هو قاتل ومحتقر ومطارد للذكاء والمنطق اللذين أرادا وخططا وخلقاً خاتم الأنبياء !

أي إنها مطاردة وقتل واحتقار للإله .. !

.. إن رفض أية حشرة أو أي شيء يعني حتماً رفض كل التفسيرات المتحدثة عن أي ذكاء أو منطق في وجود أي موجود. إن منطق وأخلاق إيجاد الحشرة هو منطق وأخلاق إيجاد كل شيء وأي شيء !

.. إن رفضنا للحشرة يساوي في كل أخلاقه ومنطقه وحوافزه رفض الحشرة لنا. وأن تفسير وجودنا في منطقنا يساوي تفسير وجود الحشرة في منطقها بل وفي منطق كل إله ونبي ومعلم دين !

إنه لن يوجد أي إله أو نبي أو معلم دين يجد فرقاً بين رفضنا للحشرة ورفض الحشرة لنا أو بين منطقنا في تفسيرنا لوجودنا ومنطق الحشرة في تفسيرها لوجودها، أو

فرقاً بين منطق الإله وعبقريته وأخلاقه وذكائه حينما خلقنا وبين منطقته وأخلاقه وذكائه وعبقريته بل وفرحه وإعجابه بنفسه حينما خلق أردأ حشرة أو فرقاً بين حوافز الإله في استمساكه بنفسه ودفاعه عنه، وبين حوافز الحشرة في استمساكها بنفسها ودفاعها عنها ورضاها بها.!

.. بل إن أي إله عادل وذكي ومثقف ومتحضر وأخلاقي لن يجد أي فرق منطقي أو أخلاقي أو جمالي بين وجوده هو ووجود أية حشرة أو أي شيء أو أردأ وأقبح شيء.!. لأن الحشرة قد وجدت بتدبير وتخطيط كل منطق الإله وذكائه وأخلاقه وجماله وجهه وحكمته، وكذلك وجد هو.!

هل يوجد مؤمن يخالف في أي شيء من ذلك؟ لعل المؤمن لا يفقد كل عقله إلا في رؤيته للإله.!

.. نعم، أقل أهل الفردوس ملكاً ومجداً وحظوة سيكون له ثمانون ألف خادم.!.!

. إذن تصوراً وحدساً ومنطقاً كم يمكن أن يكون للجالسين على عرش الفردوس بل كم يجب أن يكون لهم من ذلك أي من الخدم؟ أليس محتوماً أن تعجز كل التصور والظنون والحسابات والأفكار عن إحصاء ذلك بل وعن تصوره؟

هل يكون مبالغاً أو مخطئاً من قال إن عدد سكان الفردوس في عدد هؤلاء الخدم لن يزيد عن الواحد في المليون إذا كان أقل هؤلاء الفردوسيين سيكون له ثمانون ألف خادم. ثمانون ألف خادم.!

إذن لأقل مكرراً: لعل الإنسان لا يفقد كل ذكائه وعقله وكبريائه إلا في رؤيته وفهمه للإله.

.. آه هل نجرؤ على تصور هذا؟ على أن نتصور النبي محمداً، نتصوره مستلقياً أو منبطحاً أو منطرحاً أو مفتضحاً بكل الاسترخاء والتبلد والخمول والعري والكسل وحوله آلاف أو مئات الآلاف أو الملايين من الخدم والغلمان والحوريات حاملين ورافعين ومقدمين وعارضين الكؤوس والبسمات والمغازلات والمغانجات والأعضاء، كل الأعضاء بكل الإغراء، بكل الصراخ والافتضاح والزحام ووقاحة التنافس وهو محصور محشور أي محمد لا يعرف كيف يختار ومن يختار لتوزيع شهواته ورغباته.!

.. إن أقل الحشرات حياة وكرامة قد تختار أن تفقأ عيونها إن كان البديل أن ترى هذا المنظر، أو تختار أن تنتحر إن كان البديل المحتوم أن تكون هي صاحبة هذا

المنظر، أي إن كان البديل أن تكون هي النبي محمداً صاحب هذا المنظر أو المرئي في هذا المنظر المنظور أو المتصور...!

أرجوك، أرجوك أيتها الحشرات أن تفقدي كل عيونك.!

.. إذن هل الفردوس فردوس؟ هل هو دار جزاء وإسعاد وتكريم للأنبياء والقديسين والمؤمنين أم هو ملجأ أو مجمع أو دار أو وطن خدم يصبح المخدمون فيه أو المراد والمزعوم أن يكونوا مخدمين - يصبحون غرباء وفضوليين متسللين منبذين بل وخائفين مكروهين مضطهدين فيه..! إن كل من يسكنون هذا الفردوس لن يروا حيثئذ إلا أنهم غرباء في وطن خدم.!

.. واحد في مليون ماذا يمكن أن يستطاع أو يقبل أو يعقل أن يكون؟

.. واحد ليس له أي جيش أو حرس أو حماية من أي نوع أو حتى مزية من أي نوع أو بأي قدر أو مقياس غير أنه كان يوماً ما يضع جبهته على التراب بلا أية طهارة أو كرامة أو شهامة أو أي معنى من معاني التفوق أو السمو قائلاً بصراخ وجهالة ووقاحة: إني أصلي وأؤمن وأتعبد وألعن وأكره واحتقر المخالفين لي ومن لا يفعلون ويقولون ويعتقدون مثلي دون أن يرى أو يعرف أو يسأل أو يقرأ أو يحاسب أو يحترم شيئاً أو حتى يحاور ذاته ليقول لها لماذا أفعل ما أفعل وأصدق ما أصدق؟ كيف تعلمت ذلك؟ من علمني إياه وكيف علمني إياه؟ وكيف صدقته أي من علمني إياه؟ وكيف أو لماذا أصبح معلمي ولم أصبح أنا معلمه؟ ولماذا اقتنعت بذلك؟ من صنع في هذه الغفلة أو القدرة على الاقتناع؟

هل وجد محقر ومذل للإنسان ولأي كائن مثل من وضعوا فيه موهبة الاقتناع والتصديق؟

.. وهذا الواحد يعلن ويعرض وينصب سيداً ومخدوماً لهذا المليون المحول إلى

خدم.. يعلنه ويعرضه وينصبه الإله وكل أنبيائه وأوليائه.!

.. وهو أي هذا الواحد لم يحول هذا المليون إلى خدم له بدفع الأجر لهم أو بالوعد والإغراء بذلك أو بسياط القوة أو بسلطان وأمجاد التاريخ أو العراقة أو الأصالة أو الوراثة أو التفوق الحضاري أو العلمي أو الأخلاقي أو الفكري، أو لأنه غزاهم وسباهم وغنمهم بالسيوف أو الرماح أو الخناجر أو حتى بالعصي أو الإبر أو الدبابيس، أو لأنه قد يفعل ذلك..!

وهذا المليون من الخدم لهذا الواحد المخدم سيجدون أنفسهم خدماً بلا خدمة

بلا مخدومين . وموظفين بلا وظيفة بلا شيء أو أحد يعملون أو يتعاملون معه . .
ومزارعين بلا أي أرض ، وطباخين بلا أي طعام أو مطابخ أو أدوات طبخ أو مكان طبخ
أو أكليين .

. . وغزة بلا أي كائن أو مكان يغزي . . ومسافرين بلا أية أرض أو جهة أو سبيل
أو سماء أو غابة يكون السفر فيها أو إليها ومنها . !

. . وزوجات بلا أي أزواج أو عشاق أو مضاجع أو مساكن . . وأعضاء ذكورة بلا
أعضاء أنوثة أو أعضاء أنوثة بلا أعضاء ذكورة . !

إناث بلا ذكور وذكور بلا إناث وخدم بلا مخدومين وعبيد بلا معبود . ! . قبيح
جداً، جداً.

. . سيجدون أنهم مليون خادم ، مليون كائن قد جلبوا ووضعوا وأعدوا بكل
الحماس والاهتمام والصراخ والإعلانية الكونية السماوية ليكونوا خدماً لنبي أو لقديس أو
لأي مؤمن مغفل واحد غريق أبداً في السكر والضياح والاسترخاء والغيوبة في مضاجع
الحوريات المتنافسات المتزاحمات ، وفي حضانة ورعاية ومصادقة ومجالسة ومغازلة
ومضاحكة الولدان المخلدلين المحليين بأساور وقلائد وخواتم وأقراط وأسنان من اللؤلؤ
والذهب والياقوت والمرجان وفي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت أو حملت ولا رقبة
قلدت ولا وجنة صبغت ولا أظافر لونت أو حواجب كحلت وأنتت . .

. . في ما لا يستطيع أو يجرو أن يتصوره أو يتقبله إلا أخلاق وخيال السماء
وأنبيائها . !

. . أليس محتوماً أن يرى هؤلاء المليون الذين وضعوا خدماً لواحد ليس موجوداً
أي ليس حاضراً أو مفيقاً أو مستيقظاً أو فاهماً أو متفاهماً أو متعاملاً أو رائياً أو مرئياً أو
شاكراً أو مشكوراً أو موحياً بالرهبة منه أو بالرغبة أو جاذباً أو مغرياً أو مفرحاً بجماله أو
بأخلاقه أو بذكائه أو بعمله أو بقوته أو بنشاطه أو بأي معنى من معانيه الذاتية أو
المعنوية . !

. . بل لواحد لا بد أن يشفق عليه ويرثي له ويخجل ويشمئز منه ويفجع به كل من
جرؤ على النظر إليه وهو مطروح مغمى عليه بين جواربه أي حورياته وغلمانه
المحتشدين والمحتشدات حوله ، حاملات وحاملين للكؤوس إلى فمه ولأعضائه وإغراء
الجنس إلى أعضائه وهو لا يستطيع تحريك جفنيه من الخمول والتبلد - نعم ، أليس
محتوماً أن يرى هؤلاء المليون الذين وضعوا هذا الوضع أنه قد بولغ جداً في خداعهم

وإهانتهم وفي تصغيرهم وتحقيرهم وفي عرضهم أمام أنفسهم وأمام من زعموا ووضعوا لهم خدماً؟

هل يستطيعون أن ينظروا إلى أنفسهم أو أن يرى أو يلقي بعضهم بعضاً؟
.. مليون لخدمة واحد، واحد ليس موجوداً أو ليس مستعداً أو محتاجاً لأية خدمة لأنه ضائع، ضائع أبداً..!

.. أليس هذا يعني حتماً أما التصغير الذي لا يستطيع تصويره لقدرته وذكاء وكفاءة هؤلاء المليون، وأما التحقير الذي لا يستطيع أيضاً تصويره لكرامة وشهامة ورؤية واستحياء وغضب واحتجاج هؤلاء المليون، أو لا بدّ أن يعني إرادة الإذلال والإساءة والتشوية والاستهزاء والسخرية والعبث والفضح والافتضاح بلا أي منطق أو قصد آخر؟ أليس محتوماً أن يفهم هؤلاء الخدم أنه قد أريد لهم وبهم هذا أو هذا أو هذا أو كل هذا؟

.. مليون أو أكثر يجدون أنه قد فرض عليهم ألا تكون لهم أية وظيفة أو قضية أو اهتمام أو تفسير أو أشواق أو حتى عبادة أو إيمان غير أن يكونوا خدماً لكائن ليس موجوداً، لكائن يتنافس ويتقاتل الغلمان والخوريات عليه، على فمه بالكؤوس والطعام، وعلى أذنيه بالمغازلة والغنج، وعلى أعضائه الجنسية بأعضاء جنسية قد وظّف الله كل قدراته وعبقرياته وفنونه وأشواقه الجنسية المحرومة لتكون طاقة غواية في إغرائها الجنسي، أي في إغراء هذه الأعضاء أي التي وظّف الله كل معانيه لتكون طاقة إغواء في إغوائها..!

.. إن هؤلاء الخدم لا بدّ أن يصبحوا ثوريين وانقلابيين دون أن يفعلوا أو يعلنوا أو يدبرون ثورة أو انقلاباً أي لا بدّ أن يصبحوا هم السادة في الفردوس وهم أصحاب المكان والسلطات وكل شيء فيه حتى ولو لم يريدوا ذلك أو يفكروا فيه لما ذكر من عددهم..

.. ولعلهم لن يجدوا من يقاوم بل أو يرفض ذلك..!

.. واحد هل يمكن أن يقاوم أو يرفض أن يكون تابعاً أو ضائعاً أو غريقاً أو منسياً في مليون أو أكثر من مليون محسوبين ومصنوعين ومتولدين من كائنات وطبقات وأجناس أخرى عليها حكم عليها بأن تكون وتظل أبداً خدماً لهذا الواحد الآتي من كينونة وأكوان أخرى؟

هل يقبل أو يفعل ذلك أي منطق أو قانون أو نظام؟

وقد يسعد ويرحب بذلك الولدان المخلدون والهوريات المصءومات
المهءورات. ! .

أليس ذلك أفضل وأنفع لهم ولهن؟

إنهن قد يجدن حينئء في هؤلاء الءءم الساءة شيئاً من الءلاء أو كل الءلاء
لصءمتهن الفاءة بزفافهن في الفءروس إلى غير رجال أو أزواء أو ذكورة من أي نوع أو
ءنس. أي لءرمانهن الءنس الذي كان مءءوماً أن يكون أبءياً لولا هؤلاء الءءم الذين
أصبءوا هم مءءمع الفءروس وساءته وأولياءه والذين ءعلوا الاسم الصاءق للفءروس إنه
فءروس أو وطن الءءم لا فءروس أو وطن المؤمنين. !

ولعلمهم أي هؤلاء الءءم لن يءءاجوا إلى أن يتءءذوا أية إءراءاء ضء الأفراء
القليلين الذين سوف يءءلون الفءروس من أنبياء وقءيسين ومؤمنين بهؤلاء الأنبياء أو
مؤمنين بنبي واءء هو ءاءم الأنبياء. !

. . لعلمهم لن يءءاجوا أي هؤلاء الءءم إلى مءل هذه الإءراءاء الانتقامية أو
التأءيبية أو الءزائية أو الاءءياطية ضء هؤلاء القلة من الأنبياء وأباءهم الذين سيستءقون
ءءول الفءروس لأنهم لن يشعروا بوءوءهم أو بءءرهم لقلتهم وءعفهم وءمولهم
وكسلهم وءهولهم الءائم ولضياءهم وغيوبتهم الشاملة الءائمة في أءضان ومغاظة
الهوريات والءلمان وفي النظر في وءه الإله وفي زيارته ومءالسته وفي التذكر والتءء
عن الءلاءاء التاريخية والتءارب التي كانت بينهم وبينه بل وعن الأزماء الءرءة التي
تعءءت بينه وبينهم كءيراً وطويلاً فاستطاعوا واستطاع ءلاءها لاستءاء الفريقين الذي لا
ءءوء يءتهى عنءها للءنازل عن كل كرامة وشرف وصدق ونظافة وذكاء وتقوى وكبرياء
وشءاعة. ! . إن الإله لمستعء أن يءلع كل ملاءسه أمام الإنسان ليغويه في ءعامله معه
وفي رؤيته له وأن الإنسان ليفعل الشيء نفسه للسبب نفسه مع الإله. !

. . نعم، هل وءءت أو يمكن أن ءوءء ءلاءاء مءكومة ومسيرة بالنءالة والءوان
والءءاء والنفاق والءعف والسءف والبله مءل الءلاءاء بين الإله وبين عباءه الأنبياء
والأولياء والأصفياء وسائر المؤمنين؟

. . إن أرءاً كائنين ليرهبان ويفءعان أن ءكون الءلاءاء بينهما في مستوى وتفاسير
وأءلاق الءلاءاء بين الإله وبين عبيءه الأقربين ءءاً إليه. !

. . وإنه لءصور يءب أن يقبل ءصوره أو ءتم ءصوره. . هو أن رعايا وساءة ءولة
الءءم هذه أي الفءروس لا بءء أن يسعءوا أو قد يسعءون بوءوء هذه الأءءاء الناءرة

الشاذة الغربية من الأنبياء والمؤمنين الذين قد يكونون من العرب ورعاياهم الدينيين فقط وحدهم - أجل ، إنهم أي رعايا وسادة دولة الخدم هذه لا بد أن يسعدوا أو قد يسعدون بأن تكون في دولتهم هذه الأعداء الشاذة النادرة الغربية من البشر المحسوبين أنبياء وأولياء وأتقياء لكي يتحولوا إلى ملهاة ومسلاة ومسرات وضحكات لهم . . ليتحولوا إلى رعايا لهم أي لسادة ورعايا دولة الخدم التي زعمت فردوساً !

آه . كل أحزاني ورثائي ودموعي لكم وعليكم أيها الأنبياء ، أيها المؤمنون الأتقياء .
إني أتصوركم حتى لأكاد أراكم تائهيّن ضائعين مقهورين مهزومين غرباء في دولة الخدم أي في ما زعمتموه وزعم لكم فردوسكم ، تسألون بغضب وانفجاع وغيظ محرق ، تسألون وإن لم تنطقوا : أين نحن ، لماذا نحن هنا ، من جاء بنا ، لماذا جاء بنا ؟ ما هذا الذي نرى ؟ ما هذا ؟

. . تحاولون أن تظهروا أو تتحركوا أو تسيروا أو تنظروا أو تتحدثوا أو تتعاملوا أو تتكبروا أو تجدوا أنفسكم أو تبحثوا عنها أو تعرفوا لها معنى فتسحقكم النظرات والسخریات والضحكات الهازئة الرائية المستغربة المحاصرة لكم من كل الجهات وبكل اللغات . . !

يا لها من ورطة لا يستحقها من وقع فيها أو عوقب بها حتى ولو كانت ذنوبه هي كل الذنوب !

. . آه أيها الأنبياء ، أيها المؤمنون من وضعكم هنا ؟ أي وغد أو وحش وضعكم هنا أو أراد لكم أن تكونوا هنا أو قبل أن تكونوا هنا ؟

أية خدعة أو بلادة أو وحشية تساوي الخدعة أو البلادة أو الوحشية التي قبلت أو أرادت أو دبّرت أن تكونوا هنا أيها الأنبياء ، أيها الأتقياء ، أيها المخدوعون بالإله الأمي في كل معانيه وتفسيره بل الأمي في أعضائه ، في كل أعضائه ، في يديه ورجليه وأذنيه وعينه وفي كل عضلاته وضرباته .

آه . ما أقسى وأقبح أمية الأعضاء والعضلات والضربات . !

ولأنه أمي بكل أعضائه فإن يديه وعضلاته قد عجزت عن أن تشيد وتصنع هذا البيت المسمى فردوساً بقدر ما عجز عن ذلك فكره وأخلاقه وخياله . ! . إن كل عبقریات وخبرات المهندسين والفنيين الفنانين لو أرادت أن تخطط وتخرج أقبح وأسخف شيء لما استطاعت أو عرفت أو تصنع مثل هذا الفردوس . !

. . إنه لا يوجد ولن يوجد أمية أبدية بكل أعضائه وعضلاته وضرباته

ومصافحاته غير الإله . ولهذا فإنه أي الإله يضرب حيث يظن أنه يصافح وحيث يريد أن يصافح ، ويصافح حيث يظن أنه يضرب وحيث يريد أن يضرب . !

.. إن الإله هو الكائن الواحد الذي لا يفهم الفرق بين المصافحات والضربات بل الذي لا يرى أنه يوجد فرق بين المصافحات والضربات . !

.. إنه ليشاتم ويقا تل حيث يظن أنه يعاقب ويحيى ويسالم ويصادق . !

.. ولهذا فإنه قد يضرب من يريد أن يصافحهم ويظن أنه يصافحهم أكثر مما يضرب من يريد أن يضربهم ويظن أنه يضربهم كما أنه قد يصافح من يريد أن يضربهم ويظن أنه يضربهم أكثر مما يصافح من يريد أن يصافحهم ويظن أنه يصافحهم . !

.. بل إنه أي الإله ليفعل ما يصنع له الهزيمة والغيط والهوان والعذاب والعقاب حيث يريد ويظن أنه يفعل ما يصنع له المجد والثواب والفرح والانتصارات؟ إنه لا يوجد معاد مؤذ لنفسه ناف لمجده وهو يحسب أنه يصنع لنفسه كل الحب والرضا والسعادة ولمجده كل المجد مثل الإله . !

.. أليس قد خلق الكون والإنسان والشیطان وخلده ووهبه كل القوة والذكاء والدهاء والمكر معتقداً أنه بذلك يصنع لنفسه كل المجد والفرح والقوة والانتصارات والرضا والسعادة؟

أليس قد أضل الإنسان وحكم فيه الشيطان لأنه يريد هدايته وحمايته؟

.. اعذرني وافهمني يا إلهي حين أتحدث عنك كثيراً أو دائماً بضمير الغائب .

وهل يوجد غائب مثلك؟ واعذرني يا إلهي مرة أخرى لو فطنت إلى أنني قد تناقضت حين زعمت أن الفردوس سيصبح دولة ووطن الخدم مع أنني قد زعمت أنه دولة ووطن العرب .؟

.. آه يا إلهي لقد تعبت كثيراً في محاولتي أن أريك وأقرأ عليك كيف ركب فردوسك . . كيف ركب اجتماعياً وعرقياً وجنسياً ونفسياً وفكرياً وأخلاقياً وفنياً وطبقياً وعددياً .

.. لقد تعبت في محاولتي هذه حتى أصبحت في كل الحسابات والتفاسير أستحق كل إشفائك بل كل اعتذارك وتعويضك . ! . إنه لا عذاب كعذاب من يحاول أن يجعل الإله يرى أو يفهم أو يتأدب أو يستحي أو يجمال . ! .

.. إنك يا إلهي إن كنت شيئاً مما أطلبك به وأرجوه لك لا بد أن تكون قد

اقتنعت مقاسياً كل العذاب ومستحقاً كل التعذيب للنفس بأن مجتمع فردوسك في كل نماذجه وتفاسير مجتمع لن يوجد ولم يوجد ما يشبهه أو حتى يذكر به أو ما يصبح اعتذاراً عنه في تخلفه وقبحه وظلمه وبدائته وجهالته وفوضاه وتناقضه بل وفي هوانه وعذابه وفي تشويبه وتشوهاتة. . . إنه لا شبهة أو مثيل في قبح معانيه ولا سيما في اختزانه لكل أسباب الأحقاد والعداوات والبغضاء والشور ولكل ألوان الويلات والتمزق والضياع. !

وقد فسرت لك ذلك وعرضته عليك بال تكرار الذي أرجو أن يكون معذوراً ومغفوراً ومن مآسي علاقاتي بك يا إلهي وتخاطبي معك أنني أظن أعتقد أنك تظل محتاجاً أبداً إلى أن أكرر وأكرر عليك ما كررت وكررت. . . يا نبي الله يا محمد. . . ما أقسى عذابك ومصابك وهوانك وهزيمتك أنت وذريتك وزوجاتك وأهلك وأعز أنصارك. !

. . ما أقسى عذابكم ومصابكم وهوانكم وهزيمتكم ويأسكم وأساكم حين وجدتم أنه قد حكم عليكم تأييداً بالخلود في هذا القبح المسمى فردوساً. . المركب من الخدم الذين هم كل سكانه إلا النادر جداً والذين أصبحوا أيضاً هم حكامه وسادته وأصبح هو مجتمعهم. . . والمركب بحساب أقل جداً من الولدان المؤمنين ومن الجواري أي الحوريات المخدوعات بزفافهم إلى غير أزواج أو رجال. . . والمركب أيضاً من النساء البشريات المترملات والمطلقات بلا أمل في أي إنقاذ. !

. . مصيركم هذا يا محمد يا نبي الله مصير يرثي ويتعذب له مصير سكان الجحيم. . عذابكم ومصابكم في هذا الفردوس يا نبي الله يا محمد ينسيان أهل الجحيم عذابهم ومصابهم إذا حاسبوا مأساتهم بمأساتكم. !

إن سكان الجحيم لا يقاسون القبح أو الهوان أو البلادة أو النذالة أو الوقاحة التي يقاسيها ويعيشها سكان الفردوس مهما قاسوا أي سكان الجحيم من العذاب والظلم ما أعظم من يتعذب بغضب ونبل ورفض ومقاومة محاسباً بمن يهان ويحقر باستسلام ورضا وبلادة. !

آه. منظر رائع، رائع. . !

. . إنها خيول تحلق في سماء الفردوس على أجنحة الملائكة فوقها فرسان مثقلة ومغطاة أجسامهم بكل أنواع الحلوى والحلل والزينات من اللؤلؤ والجواهر والذهب والفضة والحريير والطور الجنسية. . يتفجرون أي هؤلاء الفرسان فرحاً وسعادة وضحكاً ومرحاً مملوءاً بالنزق والتدلل والغفلة. . !

.. من هم هؤلاء الفرسان؟ من هم؟

.. ومن هؤلاء المستلقون أحياناً والمنبطحون أحياناً أخرى فوق هذه السرر والمفتضحون دائماً محاطين ومحاصرين بكل هذه الأفواج من الجواري أي الحوريات، يناجينهم ويدللنهم ويهتفن لهم وبهم بكل لغات وتعبيرات وحركات الجنس والغنج وهم لا يستطيعون أن يسمعوا أو يفهموا أو يروا أو يتحركوا أو يريدوا من ضخامة البلادة والكسل والاسترخاء والغيوبة بل والسكر؟

.. من هؤلاء المستلقون المنطرحون المنبطحون المفتضحون؟

.. ومن هؤلاء المثاثيون على الأرائك، والكؤوس تتصادم وتتزاحم وتتحطم على أفواههم المغلقة المفتوحة تتبارى بتقديمها وبتفريغها وملئها ورفعها أيدي الولدان أي الغلمان المشحونين بكل إغراءات ومعاني الجنس.. الجنس العادي والجنس الشاذ.. الجنس الأنثوي والجنس الغلامي؟

.. ومن هؤلاء المطلقون لهذه الضحكات البلهاء التي يخجل منها وقار الممثلين الهزليين المضحكين؟

.. من هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء وهؤلاء؟ من يمكن أن يكونوا ويقبلون أن يكونوا؟

.. إنهم الأنبياء.. الأنبياء.. يتقاضون ويستهلكون ثوابهم بهذه الأساليب وبكل الأساليب..! إنه الفردوس تلغى فيه كل أساليب الوقار والاستحياء وكل مشاعرهما أن النبي أي نبي في الفردوس لن يحتاج إلى شيء من الوقار أو الاستحياء الذي كان يحتاج إليه أقل الناس حياة ووقاراً في الحياة الأولى..!

.. ولكن أين آباؤهم وأهلهم؟

.. إن الكثيرين من آبائهم أي الأنبياء وأبنائهم وأعمامهم وزوجاتهم وأقربهم هناك في الجحيم يعذبون كل ألوان العذاب الذي لا يستطيع أن يصنعه أو يريده أو يجروء على التعذيب به إلا الإله.. إلا إله هؤلاء الأنبياء.. إلا إله خاتم الأنبياء النبي العربي الناسخ الملغى لكل الأنبياء الذين كانوا قبله حسداً لأنهم كانوا قبله، والقاتل اللاعن لكل الأنبياء الذين يجروءون على المجيء بعده لأنهم جروءوا على أن يوجدوا ويتحدثوا ويعلموا ويمجدوا بعد أن وجد وتحدث وعلم ومجد هو لأنه يريد أن يكون كل ذلك له وحده. أليس كل عربي يريد أن يكون كل شيء له وحده؟ حتى النبي العربي يريد أن تكون كل النبوة وكل الإله له وحده..!

.. آه يا نبي العروبة. إنك الوارث المورث الأصيل لكل أخلاق ومواهب الزعامات والقيادات العربية بل لكل خصائص النفس العربية.!

.. إنك التفسير والتعبير الدائم الصارخ القوي عن قبح وافتضاح وبلادة الغرور والأناثية التي لا بد أن تكون غريزة أو طبيعة أصيلة في كل زعامة وقيادة ونبوة عربية بل في كل نفس عربية. . أليست أية نفس عربية هي كل نفس عربية؟ أليست نفس أي نبي عربي تساوي نفس أي عربي؟

.. لنقرأ كل زعامات وقيادات العروبة اليوم في كل أزيائها ولغاتها لنجدها تقول: أنا وحدي الزعامة والقيادة. لا زعامة ولا قيادة قبلي ولا بعدي ولا معي. أنا وحدي. أنا البداية والنهاية. أنا كل شيء.!

كلهم يقولون هذا ويعتقدونه مهما تفاوتوا جهراً وهمساً، صراحة وإيحاء.!

.. هكذا كان يقول نبي العروبة: لا نبي غيري، أنا وحدي النبي. . فكل نبي قبلي يجب أن يلغي ويموت، وكل نبي بعدي أو في عصري يجب أن يطرد ويحاكم ويقتل بعد أن يحكم عليه بالزندقة.!

يا نبي العروبة أشهد لك ويجب أن يشهد لك كل أحد أنك أعظم وأشهر وأصل وارث ومورث وقارئ ومفسر وفاضح لخصائص العروبة في كل أجيالها وتاريخها وأطوارها، في كل حاضرها ومستقبلها.!

يا كل جلد العروبة وثيابها وصحرائها الإنسانية يا نبي الله يا محمد.!

.. ماذا لو أن أي كائن فيه موهبة الرؤية والقراءة والمحاسبة والمحاكمة والتفسير للأشياء قرأك يا محمد، يا نبي العروبة في كتابك المقدس أو في تاريخك أو في الروايات عنك، ثم قرأ أو سمع أية زعامة أو قيادة عربية تتحدث أو تتحرك أو تتصرف أو تعلن عن نفسها اليوم بأي أسلوب أو لغة أو سلوك، في أية حرب أو سلام، في أية مصادقة أو معاداة فهل يمكن أن يشك في أنك أنت الأب والجد والبداية للعروبة أو في أنك أنت الابن والحفيد والنهاية أي للعروبة أيضاً؟

ما أصدق وأشمل أبوتك وبنوتك للعروبة زوجاً ومالك مملوكات يا نبي الله يا محمد.!

إن من أعظم أو من أردأ مزاياك يا محمد، يا نبي العروبة إن قراءتك ومعرفتك وتفسيرك والحكم عليك هي قراءة ومعرفة وتفسير لكل العروبة في كل أجيالها وتاريخها

وأطوارها وحكم عليها، في كل حاضرها ومستقبلها.!. أن تجمع كل خصائص الإنسان العربي فيك يساوي أن تجمع كل معاني التاريخ وتفسيره وحركاته وأخلاقه في سطر كتاب.!

لو أن أي إنسان أو كائن أراد أن يعرف ماذا يمكن أن يكون العرب بعد ألف عام أو بعد مئة ألف عام فهل يكون مخطئاً لو أنه ذهب يقرأ ويعرفك ويفسر لك يا محمد، يا نبي العروبة لكي يعرف ماذا الذي سوف يكونونه بعد هذه المدة أي العرب؟ إن كل طاقات العرب وخطواتهم وأشواقهم معتقلة في قبرك مع جثتك لهذا لم يستطيعوا أن يتخطوك أو يخرجوا من قبرك منذ دفنوك.!

.. ولو أن أي كائن أو إنسان أراد أن يعرفك كل المعرفة وأصدقها يا نبي الله، يا محمد فهل يكون مخطئاً لو أنه ذهب يحاول أن يعرف أية زعامة أو قيادة عربية معاصرة لكي يعرفك هذه المعرفة؟ إنهم العابثون من يعاصرون أية زعامة أو قيادة عربية ثم يذهبون يقرأون الكتب لكي يعرفوك.!

.. ولو أن أي إنسان أو كائن سمع أي زعيم أو قائد عربي اليوم يتحدث ويخطب ويتحرك ويزعم ويدعي ويصاهل ويفاخر ويهدد فهل يكون مخطئاً لو أنه اعتقد أن من يسمعه ويسمع منه هو أنت أنت يا محمد، يا نبي العروبة ولكن بعد تصحيحات وتعديلات ظاهرية صنعها وفرضها الآخرون؟..

.. إنه لو هبط كائن من الكون المجهول وأعلن أنه قد أرسل إلينا لكي يدرس الإنسان العربي في كل عصوره لكنت أنفع نصيحة أن يقال له: اعرف أو ادرس النبي العربي لتعرف ما جئت لمعرفته.!

اسمعوا.. الأنبياء والأصفياء والأتقياء الرحماء الأبرار الذين تطفئ دموعهم الرحمة المحبة الشمس وتغرق بطوفانها الأنهار والبحار أي من غزارة رحمتها ومحبتها.!

.. اسمعوا، اسمعوا.. هؤلاء يعيشون في الفردوس في أحضان وعلى مضاجع الحوريات وعلى قرعات الكؤوس في أيدي الغلمان، يستمتعون بالنعيم الذي وهب الإله وأعوانه كل عبقرتهم وطاقاتهم لكي يتصوروه ويعرفوه ويريدوه ويخططوه ويصنعوه، لكي يستطيع أي الإله وأعوانه أن يفعلوا ذلك بينما آباؤهم وأمهاتهم وزوجاتهم وأقرباؤهم يحترقون، يحترقون في الجحيم الذي ترفض ضمائر وأخلاق الأبالسة بل وتقواهم أن تعذب به أو أن تتصوره بل أو أن تتصور أن أحداً قد يتصوره.!

.. اسمعوا، اسمعوا هذا الذي لن تستطيع أية كلمات أو لغات أو تعبر عن بشاعته ..

.. هل تستطيعون أن تسمعه أو تصدقه؟

ولكن كيف أمكن أن يوجد من يفعل ذلك أو من يقبل أن يفعل به أو له ذلك؟ أين عقل وأخلاق وضمير من يفعله؟ وأين شهامة وكرامة وعواطف وحياء من يفعل له وبه أي ذلك؟

.. لقد أراد ودبر وخطط وفعل الإله ذلك بكل حكمته ورحمته ومحبه بل وبكل قدرته ورؤيته وذكائه !

وقد تقبل الأنبياء والأولياء والأصفياء والأتقياء الرحماء الأبرار ذلك بكل الفرح والرضا ومشاعر السعادة وتعبيراتها بل لقد تقبلوه هاتفين مغنين راقصين منطرحين ومستقلين في أحضان الحوريات والعلمان، سكارى من الشراب ومن الغفلة والاسترخاء والخمول والبلادة. !

بل لقد تقبلوا ذلك بكل الشبق الجنسي إلى مضاجع الحوريات. !

هل يمكن أن يريد ويدبر ويرضى ويفعل ذلك غير الإله؟

هل يمكن أن يتقبل أو يرضى أو يغفر ذلك مفعولاً به أو له غير الأنبياء والأصفياء والأولياء والأتقياء الرحماء الأبرار؟

.. لتصور حاكماً أو كائناً ما مطلق القدرة والمشيئة والفعل، ولتصوره بلا شبيه في كل معانيه الرديئة الحمقاء اللثيمة المتوحشة. !

.. هذا الحاكم الكائن الذي هذه صيغته المتصورة هل يمكن أن يفعل مثل هذا أي أن يريد تكريم وإسعاد ومجازاة إنسان فيضعه في قصر فيه كل ما في الفردوس ويضع أباه أو أمه أو ابنه أو كل أهله وأحبابه وأصدقائه في جحيم فيه كل ما في الجحيم من عذاب وأهوال وزبانية بعد أن يكون أي هذا الحاكم أو الكائن قد دبر وأراد وخطط لهم هذا الجحيم وعذابه واستحقاقهم له أي استحقاق أهل هذا الفردوس، وبعد أن يكون قد أراد وأحب وقرر وخطط ونفذ أن يفعلوا كل ما يوصلهم إلى هذا الجحيم وأن يسيروا في كل الطرق المنتهية إلى هذا الجحيم؟

ولو وجد مثل هذا الحاكم أو الكائن فهل يمكن أن يوجد من يقبل أن يجزي بهذا الفردوس ويعيش فيه مهما كان قبحه ونذالته ووحشيته وبلادته ليوضع أبوه أو أمه أو ابنه أو كل أهله وأحبابه وأصدقائه في هذا الجحيم ليقاسوا كل أهواله وعذابه وزبانيته؟

وهل يمكن أن يرضى أي هذا المجزى بالفردوس عمن يفعل ذلك أو أن يغفر له أو ألا يراه متوحشاً مجرمًا سفيهاً قبيحاً يجب أن يتهم ويحتقر ويكفر ويقاوم لا أن يحمد أو يشكر أو يعبد؟

.. اسمعوا، اسمعوا.. الإله يريد ويدبر أن يضع النبي في الفردوس ويريد ويدبر أن يضع أبا النبي وأمه وابنه وأهله في الجحيم، والنبي يقبل ذلك ويفرح ويسعد ويرضى جداً به ويصلي للإله لأنه أراد ودبر وأحب وخطط وفعل ذلك هل حدث هذا؟ هل يمكن أن يحدث؟

إذن أيهما أقبح وأوقح وأندل وأسفه: الإله أم النبي؟

هل يوجد إذن من ينافي الإله والنبي في قبحهما أو وقاحتهم أو نذالتهما؟

.. آه يا إلهي كيف اهتمت إلى أن تفعل ذلك، إلى أن تفضح نفسك كل هذا الفضح، إلى أن تهبط بكل تفاسيرك إلى كل هذا، هذا الحضيض؟
ألسنت أنت يا إلهي كل البدء وكل التدبير والتخطيط والإرادة والرؤية والقدرة المطلقة؟

إذن من البدء لماذا لم ترد لنفسك أن تكون عاقلاً مهذباً محترماً ملتزماً بأي قدر من المنطق أو النظام أو الكرامة أو الفهم أو التخلي عن الجنون؟

أي لماذا لم تشأ وأنت كل البدء والقدرة والرؤية والإرادة والتخطيط والفعل أن تجعل آباء وأبناء وأمّهات وأهل من سوف تدخلهم الفردوس مستحقين كذلك لأن تدخلهم أيضاً الفردوس؟

.. نعم، لماذا يا إلهي وأنت كل البدء لم تشأ أن تجعل أهل النبي مستحقين للفردوس مع النبي؟

لماذا شئت وأنت كل البدء والإرادة والتدبير والتخطيط والفعل أن تجعل النبي مستحقاً للفردوس وتجعل آباء وأمه وابنه وأهله مستحقين للجحيم؟ هل يمكن أن يكون هذا معقولاً أو مقبولاً أو مفهوماً أو مغفوراً؟

هل يمكن أن يفعل ذلك أي مجنون سواك يا إلهي؟

هل يمكن أن يوجد من يريد ويدبر ويخطط ويصنع أقسى العذاب وأوقحه ليوقة بوالد أو بأم أو بابن أقرب الخلق إلى حبه واحترامه وشوقه وصدافته؟

.. إن كل الأنبياء والأتقياء والمؤمنين لا بد أن يرفضوا الدخول في فردوسك

يا إلهي بل وأن يحتقروه ويحتقروك لو كان فيهم شيء من الشهامة أو الكرامة أو الحب أو الإيمان أو التقوى أو الحياة، أي إن كان واحد من آبائهم أو أمهاتهم أو أهليهم أو أصدقائهم في المكان الآخر، بل إن كان في المكان الآخر أي إنسان أو كائن آخر !

إن الإنسان شوق ومحبة ورؤية وأفكار وعواطف واحتجاج واستنكار وليس أمعاء وأعضاء فقط . . آه . كيف يستطيع أي نبي أن يستمتع في الفردوس . . أن يضاجع الحوريات ويغازل الغلمان وتستقبل شفتاه الكؤوس من أيديهم أي من أيدي الغلمان وهو يرى كائناً أي كائن حتى ولو كان إبليس يعذب في الجحيم أو وهو يعرف ذلك؟

هل يمكن تصور وقاحة أو ندالة أو وحشية أو بلادة تساوي ذلك؟

من جعل الإله وأنبياء وأعوانه والمؤمنين به والمتعاملين معه أبطال وأنبياء وأساتذة الوقاحة والقبح والندالة والقسوة والسفاهة والبلادة؟

من أراد لهم ذلك وجعلهم كذلك؟

إنني لأبرئ الشيطان نفس الشيطان من الاتهام بأنه قد يستطيع الاستمتاع في الفردوس أو يقبل ذلك وهو يرى الإله أو الإنسان أو أي كائن آخر يعذب في الجحيم أو وهو يعلم ذلك . إنني لأبرئ الشيطان من أن يكون مغلقاً دون آلام الآخرين كإغلاق الإله وأنبيائه وملائكته وسكان فردوسه !

. . إن الإله وأنبياءه وملائكته والمؤمنين به ليحتوون ويعيشون من معاني الشيطان وتفسيره أكثر مما يحتوي ويعيش الشيطان من ذلك !

ألست هنا قد أخطأت وظلمت إذ افترضت أن معاني الشيطان وتفسيره رديئة أو شريرة؟ أليست كل الأخطاء أو أغلبها تأتي من لغة السوق والتاريخ المكررة؟

. . آه ليت الإله وأنبياءه وملائكته وأصفياه وأحبابه والمؤمنين به يتعلمون ويلتزمون شيئاً من أخلاق الشيطان ومن ذكائه وكبريائه وكرامته ورحمته وشهامته وتقواه ! إن الشيطان هو النموذج الفريد الذي لا يستطيع أحد من سكان هذا الكون مباراته!

. . هل كان كفر الشيطان وعصيانه إلا كرامة وشهامة وإباء وإلاً رفضاً واستنكاراً لمنطق الإله ولأخلاقه واحتجاجاً عليها وعليه؟ ليت كل أعوان وحراس وضحايا الطغاة الأغبياء يتعلمون من الشيطان الشجاعة والكرامة والصدق والذكاء والغضب . . ! لقد كان الشيطان شجاعاً وصادقاً في التزامه بمنطقه وأخلاقه، لهذا عجز عن أن يغفر للإله منطقته وأخلاقه !

.. إنه لأصدق وأقسى وأدوم سؤال: كيف وجد من غفر أو يغفر للإله؟
.. لقد كان أي الشيطان أشجع وأصدق في التزامه المنطقي والأخلاقي من
الملائكة والأنبياء ومن كل المتعاملين مع الإله والمؤمنين به.!. لقد كان الشيطان غلطة
ذكية شجاعة في هذا الكون.!

إن الشيطان لم يتحول إلى شيطان إلاّ اشتمزازاً من أخطاء الإله وخطاياها!
.. لقد أراد الملائكة أن يغضبوا على الإله كما غضب الشيطان عليه حين قالوا له
بأعنف أساليب النقد والتعنيف والتجهيل: إنك بخلقك للإنسان تخلق الفساد والعدوان
والظلم والحروب وكل الشرور والآلام دون أن تدري أو تتقي. ولكنهم ولأسباب
لا تزال مجهولة لم يريدوا أو يستطيعوا أو يسيروا في غضبهم ورفضهم كما سار
الشيطان.!

ما أغبى وأقبح خطاك يا إلهي حين عجزت وتبلدت عن فهم نصيحة الملائكة لك
حين حذورك من عواقب خلقك للإنسان.!
ما أشقاك وأشقى كل شيء بهذا الإنسان وأشقى هذا الإنسان بنفسه وبك وبكل
شيء.!

.. أجل، لقد كان الشيطان غلطة أو فلتة ذكية شجاعة هائلة في هذا الكون وأهله
وآلهته عجز جميع سكان السماء وسكان الأرض عن تكرارها أو تقليدها بل وعن فهمها
وتفسيرها وتقديرها.!

إنه لم يوجد في الكون نائر شجاع صادق فدائي مثل إبليس أي الشيطان.
.. لهذا استطاع أي الشيطان أن يهزم كل مناقضيه وأعدائه من سكان السماء وأهل
الأرض. . أن يهزم الإله والأنبياء والملائكة وجميع المعلمين ضده والمحاربين اللاعنين
له. . أن يهزم ويذل كل المنابر والمحارب والمعبدين والتعاليم والتهاويل والكتب المنزلة
كل شيء وكل أحد. . أن يحول كل الهجمات عليه واللعنات له إلى عبث وسخف
وهزل ومعاناة بلا أي ثمن أو جزاء أو تعويض.!

لأنه كان أشجع وأصدق وأنبل وأذكى. إنه أعظم كائن أفرزه هذا الكون.!. أليس
قد أذل وقهر وشغل وأتعب كل آلهة هذا الكون وسحب منها مجدها؟
.. «إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء».

هكذا قلت يا إلهي. إذن لماذا لم تشأ أن تهدي آباء وأبناء وأقارب الأنبياء وكل
المؤمنين ليكونوا معهم في الفردوس مجاورين لك؟

بل لقد ذهبت تعاني وتعاني وتدبر وتخطط لكي تضلهم لكي يكونوا من سكان الجحيم. . لقد ذهبت تتأمر وتكيد وتدس وتحرض وتمكر لكي يضلوا، لكي تزعم أنهم يستحقون الجحيم، لكي تدخلهم الجحيم. !

إذن هل يوجد عدو لمن يريد أن يكون لهم صديقاً مثلك يا إلهي؟
آه. يا إلهي هل هي بلادة أم وقاحة أم ندالة أم كل ذلك أم أقبح من كل ذلك؟
ليتك يا إلهي تتعلم الذكاء والشهامة والكرامة والمنطق من عدوك الأكبر. !

. . هل يكون التفسير أنك قد أردت أن تفعل ذلك أي أن تهدي أهل الأنبياء والمؤمنين ليكونوا معهم في الفردوس ولكنك عجزت وهزمت حين نافسك عليهم عدوك الأكبر إبليس؟

هل يمكن أن يكون ذلك هو التفسير؟ وقصة إبليس هذا هي أعجب وأفجع وأروع قصة في الكون وليس في العالم فقط. إن قصة إبليس هذه كان يفترض بل ويجب أن يشغل بها كل العالم بل كل الكون دراسة وتديساً وقراءة وتفسيراً ومعالجة وحيرة وانفجاعاتاً وقبولاً ورفضاً. إنه لم يوجد ولن يوجد ما يساويها في أي شيء من دلالاتها سواء أكانت واقعاً أم خيالاً. ما أقبحها وأغباها خيالاً وما أفظعها وأفدحها واقعاً. !
إن الخيال ليس إلّا واقعاً في نفس أو عقل أو ضمير أو احتياجات أو تمنيات المتخيل. !

. . إنه ليس في تاريخ الإله كله حدث أو قضية أو إهانة أو هزيمة أو فضيحة تساوي هذه القصة في كل تفاسيرها ودلالاتها وعواقبها بل أو في أي شيء من تفاسيرها ودلالاتها وعواقبها. !

. . إن تاريخ أي كائن لم يهن ويفضح ويحقر بشيء مما أهانت وفضحت وحقرت به قصة إبليس هذه تاريخ الإله. !

. . كائن واحد يحشد الإله لمحاربته كل قواه الكونية والعسكرية والسياسية والعلمية والدينية والنفسية والفنية والاستخبارية وكل جنوده وأعوانه وعبيده من أنبياء وملائكة ومؤمنين وأتباع وأشباح حشداً مستمراً شاملاً أزلاً وأبداً، ويظل أي الإله معلناً هذه الحرب أبداً، أبداً بلا أية هدنة على هذا الكائن الواحد، فينتصر هذا الكائن الواحد بذكائه وصدقه وشجاعته ومثابرته وإخلاصه على كل ذلك انتصاراً ساحقاً شاملاً دائماً مذلاً إذلالاً لم يلقَ ولن يلقى أحد مثله. !

إن كل إذلال لن يصبح إذلالاً لو حسب بإذلال إبليس للإله ولأجهزته !

.. إذن ما أروع ما لا بد أن يحدث لو وقع هذا التبادل الذي لم يقع وأسفاه . أي لو أن إبليس هذا بكل انتصاراته أصبح هو الإله ، وأصبح الإله بكل هزائمه وفضائحه هو إبليس ..

.. أو لو أنهما أي الإله وإبليس تبادلا المواهب فأصبح الإله يملك مواهب إبليس القادرة المنتصرة وأصبح إبليس محكوماً بمواهب الإله العاجزة المنهزمة ..

.. أو لو أن الإله بكل إمكاناته الكونية تعلم من إبليس مواهبه التي وهبته هذه الانتصارات بدون أن تكون له أية إمكانات غير مواهبه الذاتية التي قهرت كل إمكانات الإله الكونية ؟

كيف لم توجد في هذا الكون مؤسسات برلمانية أو غيرها تعزل هذا الإله المهزوم العاجز أبداً عن قيادة وحكم هذا الكون لتنصب عليه أي على الكون هذا القادر المنتصر أبداً أي إبليس ؟

كيف لم توجد هذه المؤسسات التي وجدت في كثير من المجتمعات البشرية ؟ كيف عجز سكان السماء عن أن يعرفوا أو يفعلوا ما استطاع أن يعرفه ويفعله كثير من سكان الأرض ؟

لماذا السماء محتاجة إلى أن تتعلم أبداً من الأرض دون أن تتعلم ؟

.. ثم أنت يا إلهي حينما رأيت وعرفت وجربت وقاسيت مزايا إبليس وتفوقه عليك كيف لم تتنازل له عن قيادة وحكم هذا الكون ؟ كيف لم تفعل ذلك التزاماً بالأخلاق والنبيل والصدق والتقوى وبالبحث عن الأفضل والأنفع أو إنقاذاً للنفس من العار والافتضاح والهزائم ؟ هل وجدت يا إلهي أي ربح أو سعادة أو فرح أو مجد لك في كونك أنت مريد ومدبر ومخطط وفاعل وحاكم هذا الكون ؟

.. وأيضاً يا إلهي لماذا نقلت ضعفك وهزائمك إلى أنبيائك وأحبابك وملائكتك ، وجمعت ورسخت القوة والذكاء والتفوق والانتصارات في أعدائك ، في الأبالسة ؟ لماذا أردت ودبرت وفعلت ذلك ؟

لقد عاقبت وعذبت عقلي وضميري طويلاً ، طويلاً لكي يفهما ما فعلت فعجز ، عجزاً .. !

لماذا يا إلهي لم تفعل العكس ؟ لماذا ؟

.. آه. ما أفسى عذاب وانتظار وحسرة وهزيمة وضياع من يوجهون إليك يا إلهي الأسئلة منتظرين أي جواب، أي جواب.!. .

من هو الكائن الأول الذي كان أول من ابتدع توجيه الأسئلة إلى الإله وانتظار الأجوبة منه؟

أليس هذا المبتدع الأول يستحق كل غضب وعقاب واحتقار كل البشر؟ كم هزئ البشر بأنفسهم وخسروا في توجيههم بالأسئلة إلى الإله وفي انتظارهم للرد عليها أو حتى للاستماع إليها؟

.. البشر ينتظرون من الإله أن يسمع أسئلتهم وأن يرد عليها.!

إنهم ما زالوا بعد كل هذا التاريخ ينتظرون ذلك.!. .

.. هل فقد البشر كل عقولهم وكرامتهم مثلما فقدوها في هذا الانتظار وفي هذا التوجه بأسئلتهم إلى هذا الأصم الأخرس الذي لم يسمع ولم ينطق قط والذي لن يسمع أو ينطق أبداً؟

.. هل تساوى البشر في الغباء مثلما تساوا في هذه القضية وفي كل القضايا الأخرى المتصلة بالإله؟

هل يوجد مفسد بل وسالب للعقول. . لأذكى العقول دون أن يملك أية قدرة أو حتى خدعة غير الإله!

نعم، إنه لم يحدث ولن يحدث أن يفقد كل البشر كل عقولهم وكل ذكائهم وكبريائهم وأن يتساوا جميعاً في فقدهم لكل عقولهم وذكائهم وكبريائهم إلا في رؤيتهم للإله وفي انتظارهم له ومنه.!. .

.. بل إن الأذكياء والعقلاء يتفوقون على الآخرين في فقدهم لكل عقولهم وذكائهم وكبريائهم أمام هذه القضية.!. . قد يصبح الإنسان غيباً أو يناصر الغباء ويصنعه بقدر ما يكون ذكياً أو لأنه ذكي. إن الأذكياء أقدر على صنع الغباء من الأغبياء.!

.. أليس الأذكياء والعقلاء والمفكرون أو من يحسبون ويزعمون كذلك هم الذين علموا ويعلمون الآخرين ويدرسونهم ويلقنونهم ويدربونهم بل ويروضونهم ويهونهم الجراً على أن يفقدوا كل عقولهم وذكائهم وكبريائهم أي في هذه القضية؟ أليست الأفكار والعقائد الغبية هي إحدى منح الأذكياء للأغبياء؟

هل يوجد أقدر أو أجراً من الأذكياء على ابتكار البلاغات ونشرها وترسيخها؟

.. أليس هؤلاء هم الذين يعلمون الآخرين فقء عيونهم وإسكات بل تمويت

ضمايرهم وغضبهم واحتجاجهم واشمئزازهم واستنكارهم وتساؤلهم بل وتعجبهم
واندهاشهم ليصبحوا فقط هامات وقامات تنحني وتصلي؟

.. بل أليسوا قد فعلوا بهم كل ذلك أي أليسوا قد أصبحوا فاعلين بهم وليسوا
معلمين لهم فقط؟

.. ماذا لو حوسب نبي واحد أو معلم واحد أو مفكر كبير زائف واحد على ما فقا
وأسكت وأمات وعلى ما يزال يبقا ويسكت ويميت من العيون والضمائر ومن طاقات
ومواهب الغضب والرفض والاحتجاج والاشمئزاز والاستنكار والتساؤل والتعجب
والاندهاش والمخاضة والمحاكمة والمحاسبة والمقاومة بالفكر أو بالأخلاق أو بأي
معنى من معاني الإنسان؟ هل يوجد حيثذ أي عقاب يكفي ليكون عقاباً عادلاً لهذا النبي
أو المعلم أو المفكر الواحد؟

.. أليس الأنبياء والمعلمون والمفكرون الزائفون هم كل الفاقئين للعيون وكل
المسكتين والمميتين والزاجرين المقاومين لكل معاني الإنسان في الإنسان، أو أليسوا هم
أشهر وأقوى وأشمل من فعلوا ويفعلون ذلك؟

.. هل لهؤلاء أية وظيفة أو رسالة، أو هل أريد أو طلب منهم أن تكون لهم أية
وظيفة أو رسالة غير أن يفعلوا ذلك؟

ولكن أليست هذه الوظيفة أو الرسالة مطلوبة أو مقبولة في السوق؟

إن أي مؤمن يذهب يقرأ كتاب نبيه المقدس أو تعاليم معلمه العظيم أو فلسفة
فيلسوفه الكبير الزائف إنما يفعل ذلك أي إنما يقرأ ذلك لكي يسكت ويزجر ويقتل في
عينيه وفي كل معانيه كل الرؤية وكل تفاسير الإنسان لكي يرى ويقرأ ويفسر ويفهم ويجد
كل الأشياء في غير ألوانها وأحجامها وذواتها ومذاقاتها! أي لكي يرى ويقرأ ويفهم ضد
الرؤية والقراءة والفهم!

.. أجل، إن كل البشر فاقئون وقاتلون وزاجرون ومسكتون لعيونهم ولكل تفاسير
ومعاني الإنسان فيهم ومريدون لأنفسهم كل ذلك!

بل ومستقبلون وشاكرون لمن يفعلون بهم ولهم ذلك!

.. لقد علمهم ذلك وروضهم ودربهم وجراهم عليه أنبياءهم ومعلموهم
وفلاسفتهم الكبار العظام المزورون الزائفون!

ولكن استعدادهم وشوقهم لذلك هو الذي هتف بمن فعلوا بهم ليجيئوا ويفعلوا
بهم ما فعلوا.

إن التعريف الصادق الشامل للأنبياء والمعلمين والمفكرين المزورين الذين هم أغلب المفكرين أو كلهم أحياناً أنهم هم القاتلون أو المسكتون أو المضعفون أو الزاجرون أو المخيفون والمفسدون والمضللون لكل معاني الإنسان في الإنسان أو المحاولون والمريدون أن يفعلوا ذلك . !

إنه التعريف الصادق الشامل الذي لا يغفر الاختلاف عليه مهما كانت قسوته . ! وإن كلمة : هذا نبي أو هذا معلم كبير لا تعني في كل تفاسيرها ونتائجها إلا : هذا فاقئ للعيون ومحرم مغلق معاقب للتفكير والذكاء والرفض والمحاورة والمحاسبة والتساؤل بل ومحرم أن يرى الإنسان نفسه أو يتحاور معها . !

. . نعم ، الطغاة والحكام يقتلون ويشوهون ويطاردون جسد الإنسان في الحروب والمعتقلات وفي سائر مغامراتهم وحمقاتهم .

. . أما الأنبياء والمعلمون والمفكرون المزورون فيقتلون ويشوهون ويطاردون ويفسدون ويسكتون ويزجرون مواهب الإنسان الرائية والمفكرة والناقدة والرافضة والغاضبة والسائلة المسائلة المطالبة بأن تفهم وتعرف وتقتنع وترضى وتختار ويمنعونها أو يحاولون منعها من أن تكون شيئاً من ذلك . . نعم ، إنهم يحاولون ويريدون ذلك ويسعدون به . ولكن هل يستطيعون إلا بقدر ما يجدون من يستجيبون ؟

فأي الفريقين أكثر وأقسى وأقوى قتلاً وإفساداً وعداوة وتشويهاً وتعويقاً للإنسان : الطغاة والحُكام الحمقى القتلّة المخربون أم الأنبياء والمعلمون والمفكرون الزائفون المزورون ؟ لو وجد من أراد أن يكون أقسى عدو ومذل ومفسد وقاتل للإنسان فهل يختار أن يكون طاغية مجنوناً مغامراً أم أن يكون نبياً أو معلماً أو مفكراً زائفاً كبيراً ؟

. . قد يكون من الفروق الأليمة البائسة بين الفريقين : إن ما يفعله الطغاة والحُكام الجهال الأشرار بالإنسان يزول أو يتوقف بموتهم أو بسقوطهم ، أما ما يفعله الأنبياء والمعلمون والمفكرون الزائفون بالإنسان فقد يزداد قوة وشمولاً وخلوداً بعد موتهم بل هذا هو الذي يحدث دائماً أو غالباً . !

إن كل سلاح الطاغية يسقط ذليلاً محطماً ملعوناً من يديه حين يموت أو يسقط . . أما النبي والمعلم فإن ألواحهما وسلاحهما يزدادان قوة وانتشاراً وبريقاً وضرباً قاتلاً بعد موتهما وكلما طال موتهما . !

ومع هذا فإن للأنبياء والمعلمين والمفكرين الزائفين مزية عظيمة . .

إن من أعظم مزاياهم أو مما يقلل ويضعف من خطرهم أن المؤمنين بهم لا يستطيعون أن يطيعوهم مهما أرادوا طاعتهم أو زعموا أنهم يطيعونهم . .

إنهم لو أطاعوهم سلوكاً وتشريعاً وتعلماً لما أطاعوهم تفكيراً أو نيات أو طموحاً أو علماً وشوقاً، ولو أطاعوهم في هذا لما أطاعوهم في ذلك . . !

إنهم لو أطاعوا الإله وأنبياءه والمعلمين عنه في أن يصلحوا ويحجوا ويصوموا له لما أطاعوه أو أطاعوهم في ألا يحبوا أو يريدوا إلا ما يحب ويريد، أو في ألا يشاءوا إلا حين يشاء وإلا ما يشاء وفي ألا يوالوا إلا أوليائه . !

. . إنهم لو أطاعوا الإله والأنبياء والمعلمين في أشياء لما أطاعوه أو أطاعوهم في كل الأشياء، ولو أطاعوا في وقت وتحت بعض الظروف لما أطاعوا كل الأوقات وتحت كل الظروف . !

إنهم مهما أطاعوهم فإنهم لن يطيعوهم معرفة أو محبة أو إثارة أو فداء أو إخلاصاً أو اقتناعاً أو شهامة أو بسالة أو ذكاء أو احتراماً أو تكريماً وإنما يطيعونهم لغة وإعلاناً وأسلوباً وعجزاً وتلاؤماً وضياعاً وهتافاً وتحركاً وبكاء مع القطيع الهائف المتحرك الباكي دون أن يعني أو يريد أو يفهم أو يعطي شيئاً جيداً أو عظيماً أو نافعاً . ! . إنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد مطاعون جداً ومعصيون جداً مثل الآلهة والأنبياء والمعلمين . !

. . آه ما أعظمكم وأنبلكم وأرحمكم وأتفاكم أيها الأنبياء والمعلمون والمفكرون الزائفون المزورون لأن حياة الإنسان لن تطيعكم أو تستمع إليكم أو تقرأ لكم مهما أطاعتكم واستمعت وقرأت لكم وإليكم لغاته وشعاراته وآدانه وعيونه ومنابره ومحاريبه . . !

لقد بقي وظل جميلاً ونبيلاً ومحبوباً ومدوحاً مشكوراً مذكوراً أي الإله وكذا النبي والمعلم لأنه لم يكن محتملاً أن يطاع ولم يكن مشروطاً أو ملتزماً أو ملزماً بأن يطاع . ! . أليس أنبل الآلهة والأنبياء والمعلمين هم المطاعين فوق المنابر المعصيين في تحديات وخطوات الفكر والحياة . !

. . إنه لو كان محتوماً أن يطاع الإله أو النبي أو المعلم لكان محتوماً أن ينتحر أو يصلب أو ينفي، أو لكان محتوماً أن يتوقف عن الحياة المجتمع الذي آمن به وجاء إليه أو أن تتوقف الحياة فيه وعنه، أي لو كان محتوماً أن يطاع بالقلب أو الفكر أو الضمير أو النبات أو الشوق أو الطموح أو القبول والرفض أو السلوك أو الحب والبغض . !

بل إنه لم يكن ممكناً أن يجيء أي إله أو نبي أو معلم إلا لأنه لم يكن ممكناً أن

يطاع هذه الطاعة. !. إنه لو كان ممكناً أن يطاع هذه الطاعة لما كان ممكناً أن يجروء على المجيء أو أن يقبل أو يستقبل في أي مكان. !

. . ولكن أردأ وأفظع ما فيهم أي الآلهة والأنبياء والمعلمين أنهم يطاعون في أقبح وأفظع ما يعلمون ويريدون ويقولون، أو تفعل أقبح وأفظع الجرائم والأفعال بلغة وحجة الطاعة لهم، ويعصون في أجمل وأفضل وأتقى ما يريدون ويعلمون ويقولون ويفعلون أو ما يقولون ويعلمون دون أن يفعلوه أو يريدوه. !

هل يوجد من يقولون بل ويعلمون ما لا يريدون أو يفعلون مثل الآلهة والأنبياء والمعلمين؟

. . إنهم يطاعون حين يقولون: عادوا وابغضوا أو اقتلوا وحاربوا واحقدوا واشتموا وتكبروا وتعصبوا وانهبوا واسرقوا باسم كذا أو كذا. . ويعصون جداً حين يقولون: ارحموا وأحبوا وتسامحوا وتواضعوا واعطوا وآثروا وأصدقوا. . !. وهل يقولون هذا أي ارحموا إلى آخره؟

إنهم حتماً يقولونه ولكنهم حتماً لن يريدوه أو يفعلوه أو يحترموه. !

. . آه ماذا تعني النبوات والألوهيات والتعاليم في حياة الإنسان؟

تعني أنها تطاع في قبحها وقسوتها وبغضائها وفي كل رذائلها، وتعصى في حباها ورفقها وجمالها وفي كل مزاياها وفضائلها أي لو كان لها أو فيها شيء من ذلك. ! إذن ماذا تساوي أي الألوهيات والنبوات والتعاليم؟

هل حوسبت أي الألوهيات والنبوات والتعاليم في أي عصر أو مجتمع ليعرف ماذا تعطي وتأخذ. . ليعرف هل هي ربح وخسران وأيهما أكبر ربحها أو خسرانها أم هي خسران فقط؟

. . آه يا إلهي ويا نبيي أنت جمالاً وحباً وصدقاً، معصي بل ومنفي بل ومحقر. ! إما دمامة وبغضاً وكذباً وهواناً وعداوة فمطاع ومرضي ومقبول ومستقبل ومكرم، مكرم. !

أنت مطاع حرباً وحقداً ووقاحة ومعصي سلاماً وصداقة وتهذيباً بل وتقوى!

. . إذن لماذا جئت يا إلهي، يا نبيي، كيف جرؤت على المجيء؟ هل يوجد

مجيء أخسر وأوقع من مجيئك يا إلهي يا نبيي يا معلمي؟

. . ليتك لم تجئ يا إلهي، يا نبيي، يا معلمي الكبير الكبير. . ليتك لم تجئ، لم

تجئ. ! ليتك، ليتك. !

ليته كان فيك شيء من الحياة أو التقوى أو الذكاء أو الكرامة أو الشهامة لتنهاك بل
لتمنعك من المجيء يا إلهي، يا نبيي، يا معلمي . ! . ليتك يا إلهي، يا نبيي . يا معلمي
قد عرفت أن للمجيء شروطاً ثم التزمت بهذه الشروط . !

. . نعم، يا إلهي ونبيي ومعلمي، لماذا جئت؟ من دعاك إلى المجيء؟

وهل دعاك أحد إلى المجيء؟ وكيف ولماذا استجبت؟ لماذا لم تعص من دعاك
إلى المجيء إن كنت قد دعيت؟ وكيف عرفت أن دعوة من دعاك إلى المجيء تستحق
الاستجابة؟ كيف سارعت إلى هذه الاستجابة بلا أي وقار أو اشتراط أو احتياط أو رؤية
أو تقدير أو تفكير؟ لماذا كنت متهاكاً على الاستجابة كل هذا التهاك الفضاح؟ هل
اقتنعت قبل المجيء بأن مجيئك نافع أو مجد لك أو لمن جئت إليهم أو لأي شيء؟

هل مجيء واستجابة الآلهة والأنبياء والمعلمين بكل هذا الرخص والتشريع والتضرع
والتهافت والسخافة والبلادة والبله؟

. . من سحب من الآلهة والأنبياء والمعلمين كل الوقار والاتزان والكبرياء؟ من
جعلهم يتنازلون عن كل ثمن وشرط لمجيئهم؟

من جعل مجيئهم كما جاءوا ويجيئون إهانة وهجاء لكل مجيء؟

هل يقبل أحد أن يجيء بالأساليب والشروط والنتائج وفي الظروف التي يجيء بها
وفيها الآلهة والأنبياء والمعلمون؟ لماذا الآلهة والأنبياء والمعلمون هم أرخص وأردأ
المعروضات في كل الأسواق؟

. . هل يوجد باحثون عن العار والهوان والهزائم والفضائح مثل الآلهة والأنبياء
والمعلمين في سرعة وأسلوب وظروف وأوقات وصيغ وأماكن مجيئهم وفي عرضهم
لأنفسهم، في الأسواق وباللغات التي بها وفيها يعرضون أنفسهم وفي رفضهم للارتحال
مهما وجب أن يرتحلوا ومهما لاقوا من الهجر والإذلال والتحقير والنبذ؟

. . إنه لا يمكن افتراضهم أي الآلهة والأنبياء والمعلمين فدائين لأن الفدائي يجيء
ليحرر وينقذ ويهب ويموت لا ليكون أغلاً وقيوداً على كل الأقدام والأعناق . . لا
ليطالب بأن يكون إلهاً أو نبياً أو قديساً أو وثناً تذلل وتسجد له كل العقول والضمائر
والأخلاق بل والجباه والحياة في كل التاريخ ليعجز كل الفدائيين عن الإنقاذ منه بل
لتعجز عن الإنقاذ منه كل الجيوش والأسلحة والحروب . !

آه يا إلهي كم قسوت على نفسي، على عقلي وضميري وأخلاقي وعلى كل طاقاتي حين جرؤت وأقدمت على محاورتك والتزمت بأن أعاني كل المعاناة في البحث عن كل التفاسير والتأويلات والاحتمالات التي قد يوجد أو قد يظن فيها شيء من الدفاع عنك، عن أخلاقك وأفعالك وحساباتك التي لا يستطيع أو يجرؤ أي شيء على الدفاع عنها أو يقبل أن يتهم أو يعير بالدفاع عنها !

وبالتزامي هذا الفادح بالدفاع عنك، بالدفاع عمن يجب ألا يوجد من يخاطر بكرامته وشرفه وصدقه وذكائه وتقواه الأخلاقية أو الفكرية أو النفسية بالدفاع أو بمحاولة الدفاع عنه . .

- نعم بالتزامي هذا الذي هو أكثر مخاطرة من كل مخاطرة سأذل وأعاقب وأخرج فكري وضميري وأخلاقي وأعتدي على وقتي وقلمي وورقي بل وعلى يدي الممسكة بالقلم فوق الورق بارتجاف واهتزاز غير مضبوط أو موقع أو مريح .

- نعم، سأفعل كل ذلك بحثاً عن تفسير أو تفاسير تصبح أو تقبل أو تحسب دفاعاً عن فعلتك هذه يا إلهي أعني عن وضعك للأنبياء والأولياء وللمؤمنين بهم في الفردوس ووضعك لآبائهم أو آبائهم أو للأقربين إليهم في الجحيم، حساباً أنك بذلك تهب كل السعادة والفرح والرضا لمن وضعت في الفردوس، عاجزاً عن أن تتصور أنهم قد أو لا بد أن يشقوا كل الشقاء بل وأن يرفضوا ويلعنوا ويحتقروا فردوسك وكل ما أعددت لهم فيه بل وأن يبصقوا عليه وعلى سخائك وحبك وبلادتك وغفلتك لأنك وضعت آباءهم أو أحد الأقربين إليهم في الجحيم دون أن يعارضك أو يحاورك أو يخاصمك أو يزجرك بل أو يقاومك أو حتى يصفعك ويلطمك عقلك أو ضميرك أو أخلاقك أو عينك أو أحد من ملائكتك أو زبائنتك أو حراس جحيمك أو بوابي فردوسك مفجوعين ببلادتك وقسوتك وغفلتك بل وبلاهلك !

هل وجد أو يمكن أن يوجد غافر لنفسه أو عاجز عن رؤية ومعاقبة نفسه مثلك يا إلهي؟ أو هل وجد أو يمكن أن يوجد أعوان لطاغية غافرون لطاغيتهم ومناصرون لطغيانه أو عاجزون وخائفون ومنافقون وأغبياء مثل أعوانك يا إلهي؟

إن كل مرابك التي ترى بها وجهك إما عمياء وإما مزورة !

. . بعد أن أرهقت فكري بل وخيالي محاورة وتضرعاً وتهديداً مؤملاً أن يجد هذه التفاسير أو هذا التفسير ليكون دفاعاً عن فعلتك هذه يا إلهي همس لي أي فكري وخيالي بكل الاستحياء والحرص قائلاً: لقد وجدته، لقد وجدت التفسير . . !

لقد اعتقد الإله أن الأنبياء وغيرهم من سكان الفردوس لن يغضبوا أو يفجعوا أو يحزنوا من وضع آباءهم وأبنائهم أو الأقربين إليهم في الجحيم بل لا بد أن يفرحوا بذلك ويطالبوا به لأنهم قد وضعوا في الجحيم استحقاقاً وجزاء وعدلاً.!

. . ولم يظن الإله إلى أن الأقربين إلينا إذا فعلوا الخطيئة عذبنا فعلهم لها، ثم إذا عوقبوا على ذلك تعذبنا مرة أخرى، تعذبنا عذاباً أقسى حتى ولو كنا نحن الموقعين بهم العقاب عدلاً وزجراً وقصاصاً.!

إن العواطف ليست محكومة بالعدالة أو بالقوانين وليست ملتزمة بها حتى ولو نفذتها.!

. . وأيضاً لم يظن الإله إلى إنه هو الذي أراد ودبر وأحب وشاء وخطط لهؤلاء الأقربين أن يفعلوا خطاياهم بل ودفعهم إليها دفعاً لكي يعتقد ويقول إنهم يستحقون الجحيم لكي يلقى بهم إلى الجحيم. لقد قرر بدءاً قبل أن يوجدوا، قبل أن يصوغهم أية صياغة أن يهديهم للجحيم.!

. . إنه أي الإله الفاعل للخطيئة والفاعل للعقاب. . إنه هو كل المستحق للعقاب وحده. أي أنك أنت يا إلهي وحدك المستحق لأن توضع في الجحيم لا الذين وضعتهم فيه. . هل يوجد سواك يا إلهي من يفعل الجريمة بكائنات ما ثم يعاقب من فعل بهم الجريمة على جريمته هو التي أوقعها بهم؟

. . إنك يا إلهي تحت نزوة أو نشوة أو سكرة أو حماقة من نزواتك ونشواتك وسكراتك وحماقاتك البليدة الوقحة قررت أن تخلق الجحيم فأصبحت بكل تفاسير الورطة ملتزماً بأن توجد له سكاناً بل بأن تملأه بالسكان فاضطرت إلى أن توجد له سكاناً ولو من آباء وأبناء وأمّهات الأنبياء.!

. . إن تفسير قصتك هذه: إنك قد غلطت فخلقت الجحيم فأصبحت محكوماً عليك أن توجد أو تجد له سكاناً. إذن كم يجب أن أحزن وأفجع حين أجذك محتاجاً إلى أن أفسر لك أفعالك. أليست كل أفعالك وخطواتك وضرباتك يا إلهي ورطات وحماقات وارتجافات ونزوات بلا أي تخطيط أو تدبير أو توقيع محسوب أو مضبوط بالعقل أو بالنتائج أو بأي شيء منطقي أو أخلاقي؟

ولكن أليس ذلك أقل هجاء لك من أن تحسب مدبراً أو مخططاً أو مريداً لما تفعل؟

. . قل لي يا إلهي: أي شيء أردته أو خططته أو فعلته بالحساب أو بالمنطق أو

بغير الخطبات والخطوات والضربات العشوائية العمياء؟ أليست كل الخطوات والخطبات والضربات العشوائية العمياء هي بعض خطواتك وخطباتك وضرباتك؟

.. قل لي يا إلهي، قل لي فأني متحرق محترق إلى محاورتك ومحاسبتك ومحاكمتك بل وإلى فضحك ولكن بلا تزوير أو ظلم أو كذب أو حتى مبالغة. !
وهل يعد أي ظالم ظالماً لك مهما ظلمك؟ أليس استحقاقك للظلم أكبر من كل ظلم؟

.. نعم، قل لي يا إلهي ما هو منطقك أو حساباتك أو تخطيطاتك أو رؤاك أو جمالك أو حوافذك أو ضروراتك الفنية أو المنطقية أو الأخلاقية أو النفسية أو حتى الدينية حينما تقبلت بكل الإعجاب والكبرياء أن تكون موجوداً وإلهاً وخالقاً ورباً لهذا الكون ومسؤولاً عنه وجالساً أو نائماً أو منطرحاً منبطحاً مسترخياً فوقه بكل الغيوبة والغفلة والضياغ والوحدة المشحونة بكل معاني الكآبة، عاجزاً ومحروماً من كل ما تريد وتشتهي وتتمنى وتطلب بل وتبكي وتهون مطالباً بما لن تنال أو تجد أو توهب .. عاجزاً ومحروماً من كل ما يصنع لك السعادة أو الفرح أو الحب أو المجد أو الانتصار .. !
هل توجد وقاحة أو بلادة تساوي وقاحة أو بلادة من يريد أن يكون هو رب وخالق هذا الكون .. الجالس فوقه المسؤول عن كل شيء فيه؟

.. قل لي يا إلهي: من هو هذا الساحر القاهر الشرير اللئيم الذي أقنعتك مخادعاً مضللاً بأن توجد وبأن من الأفضل أو الأنفع لك أن توجد، أو هذا الذي أوجدك أو فرض عليك أن توجد بالإكراه دون أن تريد أو تقبل أو ترضى أو تختار؟

.. قل لي يا إلهي المسكين الضائع الخاسر أبداً في كل خطواتك وحساباتك وتهويماتك: بأي منطق أو حساب أو خيال أو رؤية أو أمنية تصورت وأحببت وأردت وعشقت وخططت وخلقت الصرصار أو الذباب أو الإنسان أو الجحيم أو الفردوس أو أي شيء؟ من بصق فيك هذه الرغبة أو الشهوة لكي تفعل ذلك؟

كيف استطاع جوفك يا إلهي أن يستقبل هذه الرغبة أو الشهوة أو البصقة؟

هل بصق فيك يا إلهي أم بصقت في نفسك؟

.. قل لي يا إلهي هل رأيت الصرصار أو الذباب أو القملة أو النملة أو الإنسان قبل الكينونة، قبل الرؤية أو القدرة على الرؤية فعشقت ما رأيت قبل أن ترى، قبل أن تراه، فذهبت تخلق كل شيء مفتوناً مسحوراً بما رأيت قبل أن ترى من جمال ونظافة وضخامة وتقوى وعبقورية القملة والنملة والذباب والصرصار والإنسان، منتظراً أو متوقفاً

أن يجيء كل شيء على مستوى الجمال والنظافة والضحامة والتقوى والعبقرية التي رأيت فعشقت قبل أن ترى وقبل أن يوجد المعشوق أي التي رأيت وعشقت في القملة والنملة والصرصار والذباب والإنسان؟ أليس خلقتك للقملة والنملة والذباب والصرصار والإنسان يعني حتماً أنك قد جنت وسحرت حباً وإعجاباً بجمال ونظافة وضخامة وعبقرية وتقوى ما خلقت وإلا لما خلقت؟ هل يمكن أن يوجد من يشك في ذلك؟ أليس من يشك في هذا أو ينكره يقسو جداً في اتهامه لك؟

هل يمكن أن تخلق شيئاً لم تعجب به؟ إذن هل خلقت القملة إلا لإعجابك بها؟ قل لي يا إلهي، قل لي: هل كان ممكناً أن توجد أو أن يقبل وجودك كما وجدت وكما أنت موجود بكل وظائفك واهتماماتك وأعمالك، وبكل خسائرك وأرباحك وعطائك وأخذك وبكل انتصاراتك وهزائمك أي لو كانت لا توجد ولن توجد إلا بتدبير وتخطيط ومنطق وحساب والتزام؟ قل يا إلهي هل رأيت أو حاورت نفسك أو قرأتها وأنت تفعل ما تفعل، وأنت تخلق القملة والنملة والذباب والصرصار؟

.. إنه لا يمكن تصور وجود ترفضه وتنكره كل الحسابات بل وتراه قمة القبح والافتضاح والخروج على كل المعقول مثل وجودك أو غير وجودك يا إلهي. إنه لو قبل كل وجود لكان وجودك هو وحده الذي لن يقبل!

.. لهذا كان المفروض بكل التفاسير والحسابات ألا يوجد من يرفض بل ويقاوم وجوده ويعاقب من يعتقدون أو يعلنون أو يعلمون الإيمان بوجوده مثلك يا إلهي لأنه لا يوجد ولن يوجد خاسر ومعذب ومشوه ومتهم بوجوده بلا أي ربح أو جمال أو مجد أو فرع مثلك أو غيرك يا إلهي!

إنك لو حاسبت وجودك بكل التفاسير والحسابات لما وجدت أي تفسير أو حساب مهما كان تواضعه وتسامحه يقول لك:

نعم، إنه وجود مقبول أو مغفور أو له أي معنى!

.. إنه لو وجد أي تفسير أو تسويغ أو كل تفسير وتسويغ لوجود أئفه وأجهل وأشقى وأندل طاغية لما وجد أي تفسير أو تسويغ أو ثمن لوجودك يا إلهي..
إنه يا إلهي لا ثمن لوجودك، لا ثمن تقبضه أنت ولا ثمن يقبضه من تتعامل معهم وبهم!

.. إن الصرصار أو الذباب أو البرغوث أو وجد كل التفاسير والمسوغات والأثمان وكل إحياءات وإلزامات المنطق لوجوده، ووجد كل المفسرين والمسوغين والمفكرين

والفلاسفة والأنبياء والمعلمين يفسرون ويسوغون ويعلمون ويدرسون ويمجدون بكل الإعجاب والرغبة والتعبد والاندهاش نفع وعظمة وعبقريّة وتقوى وكونية وجوده لما وجدت أنت يا إلهي شيئاً من ذلك لوجودك بل لوجدت كل النقيض في الحكم على وجودك. !

وهل الصرصار والذبّاب والبرغوث وكل شيء رديء وقبيح وآليم وبليد ونذل إلّا بعض أبنائك يا إلهي. . أبناء فكرك وفنك وجمالك وأخلاقك؟

. . إنه لو أمكن أن تفسر أقسى الصحاري ومواقع القحط الأبدي بكل تفاسير الخصوبة والعطاء والنمو والجمال لما أمكن يا إلهي أن يفسر وجودك بأي تفسير أو معنى من معاني وتفسيرات الجمال أو المنطق أو العقل أو الأخلاق أو الذكاء أو الكبرياء أو العطاء أو الكرامة أو الحب أو الفن أو الإبداع أو حتى المصلحة أو المنفعة، أو ألا يفسر أي وجودك بكل التفسيرات المناقضة بل والهاجية لكل ذلك. !

أليست كل التفسيرات القبيحة والشريرة هي بعض تفاسيرك يا إلهي؟

. . إن أحداً لم يفعل ولن يستطيع أن يفعل ولن يستطيع أن يفعل شيئاً من العدوان أو البذاءة أو الوقاحة أو البلادة التي يفعلها ولا يزال يفعلها من اعتقدوك يا إلهي موجوداً وأعلنوا أو تحدثوا عن اعتقادهم هذا. !

كيف خدعت يا إلهي؟ كيف اعتقدت أن من يؤمنون بوجودك يكرمونك؟

. . إنه لو كان كل وجود يا إلهي جمالاً وذكاء ومجداً وسعادة وفرحاً وغناء ومنطقاً وحباً ونفعاً وصلابة وطهارة وكرامة حتى في عيون وقلوب وأخلاق وآذان وحسابات ومجاعات الحشرات لكان محتوماً أن يكون وجودك يا إلهي هو النقيض الشامل الحاد لكل ذلك. . هو النقيض الحاد الشامل لكل ذلك حتى في رؤى وحساب ومنطق وشروط وتسامح وتواضع أردأ الحشرات. !

. . إنه لو أمكن الغفران لكل العيون التي لم تر شيئاً أو التي رأت كل الدمامات وأقبح الدمامات ثم زعمت أنها قد رأت كل الجمال بكل صيغته ونماذجه وتفسيره ومستوياته واحتمالاته وسحره وقهره لما أمكن الغفران أو جاز الغفران لمن زعم يا إلهي أنه رأى كل جمالك ونظافتك وحبك وضخامتك وعبقريتك وشاعريتك وعلمانيتك وحكمتك ورحمتك وصدافتك ومجدك وشرفك وكبريائك وقوتك وأصالتك في الحشرات والتشوهات والأمراض والشيخوخة والموت وفي الطغاة وفي الدجالين والمنافقين وفي الأنبياء المتألهين المتوقحين المعاقبين المذلين لكرامة وكبرياء وذكاء

الإنسان بل ولعيونه باسمك وبادعاء التمجيد والعبادة والطاعة والمحبة لك . هل يمكن الزعم أن الحشرات قد تخلقت منتصرة على شروط جمالك وذكائك ونظافتك وضخامتك لا مستجيبة لها؟

.. هل وجد من أذل وعاقب وحقر وشتّم وضلل ذكاء الإنسان وكبرياه وكرامته وعبقريته وحرّيته ورؤاه أو حاول أن يفعل ذلك مثل الأنبياء الذين جاءوا ليزعموا أنهم آلهة . أخلاق وعقول وأوامر ورغبات ومشيّات وعضلات آلهة في أجساد بشر . وهل جاء أي إله في جسده؟

هل جاء أو يمكن أن يجيء أي إله إلّا في صيغة أو ذات إنسان؟
.. أليس جميع الأنبياء قد جاءوا ليزعموا أنهم آلهة في ثياب ولغات وصور بشر لهم كل الطاعة والعصمة والكبرياء التي للآلهة؟
.. أليس كل نبي يقول إنه لا يتكلم إلّا بعقل الإله وإرادته وبأخلاقه وبتدبيره وتخطيطه وبعينه وأذنيه وبماضيه وحاضره ومستقبله؟

.. إن النبي أي نبي لا يعني ولا يعنى به في كل تفاسيره ومعانيه إلّا أنه هو الإله المرثي المسموع . لقد عجز أو هاب أو استحيى الإله أن يظهر في ذاته فظهر في ذات النبي أي في ذات من زعم نبياً .!

.. اسمع يا إلهي . اسمع ولكن بكل ما تملك من طاقات التجلد والتظاهر بالوقار .! .! .! إني أريد أن أقول لك شيئاً حتماً لم تسمعه من قبل ، وحتماً أنت لم تتصور أنك قد تسمعه كما أنك حتماً لم تتصوره . لهذا انتظر منك بل وأطالبك أن تكون جلدأً جداً .

.. أريد أن أقول لك : إنه لن يكون لفقد وجود أي موجود من الإنقاذ والمزايا للموجود الذي فَقَدَ وجوده ولكل أحد وكل شيء مثل أن تفقد أنت وجودك يا إلهي .!
آه . الإله يحدث عن المزايا والإنقاذ في أن يفقد وجوده .!

.. فكّر ولو بشيء قليل من الذكاء والصدق والرؤية والبسالة في هذا لكي تقول بكل الرضا والتقبل والإعجاب صدقت ، صدقت .! .! .! لكي تقول يا إلهي :
إن جميع ملائكتي وأنبيائي وزبائيتي لم يستطيعوا أو يعرفوا أن يقولوا لي شيئاً من هذا الصدق .! .!

.. إذن هل تفعل ذلك؟ هل تستطيع فعله؟ هل أنتظر منك أن تفعله أي أن تفقد وجودك بأي أسلوب تختاره؟

وحتماً لا بد أن تظن يا إلهي مهما كان تاريخك في العجز عن الفطنة إلى أن هذا القول أو الرأي لا بد أن يعني أنه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد وجود شرير وضار ومؤذ ومعذب ومحقّر وفاضح لنفسه ولكل أحد وكل شيء مثل وجودك يا إلهي . . !

أرأيت يا إلهي كم أنا محترم لك حين أخاطبك بهذه الجراءة؟

هل تقبل أن تسمع مني يا إلهي ولو هذه المرة في هذه اللحظة؟

نعم، أنتظر أنك قد قبلت أن تسمع مني هذه المرة في هذه اللحظة هذا الذي لم تسمعه قط من أحد حتى ولا من ضميرك . !

. . هل كان يمكن أن توجد أية ندالة أو وقاحة أو جهالة أو سخافة أو جنائية أو بلاهة أو ظلامة أو عاهة أو دمامة أو كآبة أو مهانة أو ضراعة أو حتى كفر أو فسوق لولا وجودك؟

أجل، لولا وجودك هل كان يمكن أن يوجد ما يغضبك أو يفجعك أو يسيئ إليك أو يعذب أو يؤذي نظراتك أو تحديقك في مرآتك؟ كيف إذن غفرت أو تغفر لوجودك؟

. . آه يا إلهي هل تراني غير رحيم أو غير مهذب، بل هل تراني وقحاً كل الوقاحة حينما حدثتك بكل هذا الصدق أو حينما سألتك وحاورتك بكل هذا الصدق الذي هو أقسى وأوقح ما تعامل أو تواجه أو تخاطب به الآلهة أو الأنبياء أي أو الزعامات والقيادات والأخلاق والعقول والآذان العربية؟ وهل حدث أو يمكن أن يحدث في أي زمان أو مكان أن خوطبت القيادات أو الزعامات أو الأخلاق أو العقول أو الآذان العربية بالصدق؟

. . أيهما يرفض ويخاف ريعلن ويعاقب الصدق أكثر: الألوهيات والنبوات العربية أم الزعامات والقيادات العربية؟

. . كائن يريد ألا توجد شرور أو آثام أو أي قبح أو سوء ويعذبه جداً أن يوجد أي شيء من ذلك ولكن شيئاً من هذا لم يكن محتملاً أن يوجد لولا وجوده .

من هذا الكائن وهل قبل هذا الكائن أن يوجد؟ هل يمكن أن يقبل وجوده؟

. . هل تحتاج يا إلهي إلى أن تفكر لكي تعرف من هو هذا الكائن؟ وحين تعرف هذا الكائن هل تمنى أن يفقد وجوده أو تلزمه بأن يفقد وجوده؟

ولو وجد يا إلهي هذا الكائن داخل ذاتك فماذا تفعل به وبذاتك؟

بل هل تستطيع التصديق بأن هذا الكائن قد وجد أو أنه قد يوجد؟ وإذا عرفت أو لو عرفت هذا الكائن فهل تقبل رؤيته أو محاورته أو معاملته؟

وكم أرجو ألا يعجز ذكاؤك العاجز جداً عن معرفة هذا الكائن الذي يجب أن تعجز كل العقول والأخلاق عن تقبل وجوده بل وعن افتراض أو غفران وجوده . !
كائن لن يوجد أي قبح أو عذاب أو ظلم أو نذالة أو إثم أو حتى جنون لولا وجوده هل يقبل أو يغفر وجوده؟

أليس العدل كل العدل أن يحاسب ويعاقب هذا الكائن بكل شيء أليم وردي؟
.. ألا تأسى لي بل وتعتذر إلي من قسوة وديمومة تحدياتي في أخطائك وخطاياك بل وفي آلامك ومآسيك؟

هل يوجد عذاب وتعذيب يساويان عذاب وتعذيب التحديق في الإله؟
.. ألا ترى يا إلهي إنني أتعذب لك أكثر وأدوم مما أتعذب بك مهما كانت قسوة وشمول تعذبي بك وتعذيبك لي؟

هل وجد يا إلهي من يتعذب لمعذبه مثلي؟
لا يمكن أن توجد منظمات دولية أو كونية لتحاكمك يا إلهي وتقذني وتعوضني من تعذيبك وعن تعذيبك لي؟ ألا توجد هذه المنظمات الدولية لكي أحاكمك لديها؟
اسمع يا إلهي مني هذا الصديق الذي لم تسمعه ولن تسمعه من أحد، لا من نفسك ولا من ملائكتك أو أنبيائك أو زبانتك أو من مستشاريك وأعوانك . !
.. اسمع، اسمع .. كم أرجو وأطالب أن تسمع ..
اسمع هذا الذي أقول:

أنا كل الوقت، بكل أحاسيسي وحواسي ورؤاي ومناي وشروطي على كل شيء .
وتفسيري لكل شيء، بكل حماسي وانفجاعي واحترافي وغضبي أهدق يا إلهي في كل أخطائك وخطاياك ونقائصك وآلامك وهمومك وهزائمك، رافضاً ومتألماً ومستنكراً ومفجوعاً بها ولها ومطالباً راجياً أن تشفى أنت وكل أحد وكل شيء من كل ذلك . !
إذن هل يمكن أن يوجد بل أن يتصور عذاب مثل عذابي؟
إن كل أخطائك وخطاياك وآلامك وهزائمك وورطائك يا إلهي تتحول إلى حرائق مشتعلة أبداً تحرق عقلي وقلبي وضميري وأخلاقي ورؤاي وكل تفاسيري .

إذن هل يوجد محترق ومستودع للحرائق مثلي؟

. . ولا بدّ أن أفترض أنك يا إلهي لن تصدقني في هذا الصدق لأنك لم تسمع أو تجرب قط مثل هذا الصدق ولأنك لم تتصور أنه قد يوجد صدق مثل هذا الصدق ولأنك أنت لم تصدق بل ولم تفكر في أن تصدق مثل هذا الصدق لا في تعاملك أو تحاورك مع نفسك ولا في تعاملك وتحاورك مع غيرك حتى ولا مع أنبيائك وملائكتك. !

الإله قد يكون صادقاً. ! . هل يمكن أن يوجد شيء أو يبقى شيء لو صدق الإله؟ . . كيف يمكن أن تفترضني صادقاً فيما قلت لك أو في أي شيء وأنت لم تجرب التعامل أو التخاطب أو التحاور إلّا مع الإنسان العربي؟

هل يمكن أن يتعامل ويتخاطب ويتحاور أي كائن مع الإنسان العربي ثم يفترض أنه قد يوجد أي صدق أو أي صادق؟ ولعل من أسباب انحيازك إلى الإنسان العربي ورضاك عنه وإعجابك وفرحك به أنه لا يستطيع ولا يريد أن يكون صادقاً أو أن يعاملك أو يخاطبك أو يحاورك أو يراك أو يسمعك أو يقرأك أو يفسرك بأي قدر من الصدق أو إرادة الصدق أو الشوق إلى الصدق أو بأي قدر من الأسى على فقدته كل الصدق حينما يحاورك أو يراك أو يفسرك أو يمدحك أو يعبدك أو يؤمن بك يا إلهي. ! . إنه أي الإنسان العربي لا يصدق معك أو فيك يا إلهي إلّا بقدر ما تصدق معه وفيه. إن العلاقات بينكما عادلة.

هل يوجد من يعادي الصدق أو يعاديه الصدق مثل الإله أي مثلك يا إلهي أو مثل الإنسان العربي؟

هل يوجد من يتعذب بالصدق ويعذبه الصدق مثل الإله أو هل يوجد صانع للعذاب وموقع للعذاب مثل من يريد إلّا يعامل الإله إلّا بكل الصدق؟ نعم، هل يوجد من يساوي أو ينافس الإله في هذا أو هذا إلّا الإنسان العربي؟

ماذا يا إلهي لو أن أي تشوه أو مرض أو ألم أو صرصار أو ذباب أو برغوث أو إنسان أو أي شيء أصر على ألا يراك أو يقرأك أو يفسرك أو يخاطبك أو يعاملك إلّا بكل الصدق منظوقاً ومراداً؟ بل ماذا لو أن أجمل وأسعد وأضحى شيء أصر على ذلك في رؤيته وتفسيره ومخاطبته ومعاملته ومحاسبته لك؟

. . بل ماذا لو أنك أنت يا إلهي قررت وأصررت واستطعت ألا ترى أو تعامل أو تفسر أو تقبل نفسك إلّا بالصدق، أو أن من حولك ومن تعامل من ملائكة وأنبياء وزبانية

ومستشارين وأعوان قرروا ذلك وأصرروا وجروا عليه واستطاعوه ونفذوه؟ . إن كل كائن قد يستطيع بل ويجزو أن يرى نفسه ويتعامل معها مهما كان التزامه بالصدق إلا أنت يا إلهي فإنك لو التزمت بشيء من الصدق لما استطعت أن ترى أو تعامل نفسك . !

إن أفسى عذابي أو ضياعي أو عبثي أو بلادتي أنني أخاطبك وأحاسبك وأحاورك وأسألك يا إلهي كمن يفعل كل ذلك مع من يسمع أو يستجيب أو يجيب أو يفهم أو يتأثر أو يخجل أو يفجع أو يحاول أو يستطيع . . لماذا أنا وحدي؟

لماذا لا أعيشك وأفهمك وأعمى وأصمت عن عاهاتك وفضائحك كما يفعل أنبيأوك؟

فكرياً يا إلهي هل يستطيع أو حتى يقبل جميع أنبيائك وأوليائك وأحبائك وأصدقائك أن يتعذبوا شيئاً من عذابي بل ولك من أجلك ومن محاولاتي أن أجذك وأن تكون كما أريد وأحب لك وكما ينبغي ويجب أن تكون لا كما أنت؟
آه . ليت هؤلاء تعذبوا بك ولك من أجلك شيئاً من عذابي بك ولك ومن أجلك . .
ليتهم، ليتهم . !

إذن لكان محتملاً أو محتوماً أن يصلحوك أو يعلموك أو يصححوك أو يسقطوك أو ينفوك من وجودك ونفسك وكيونتك وكونك، إنه لو كان لأنبيائك وملائكتك وأعوانك ومستشاريك وعابديك ومحبيك يا إلهي عيون أو عقول أو ضمائر أو أخلاق يرونك ويحاسبونك ويحاكمونك بها لأصبحوا أشهر ثوار في الكون على أردأ طاغية . !
آه . . ما أجمل وأنفع وأستر هذا لك ولكل أحد وكل شيء لو حدث أي لو أنك نفيت من نفسك ووجودك وكونك وكيونتك . !

. . إذن لماذا لم يحدث هذا الأجل الأنفع الأستر لك يا إلهي ولكل شيء؟ أليس نفي الإله هو أعظم نفي لأن نفيه نفي لكل قبح وألم وخطأ وخطيئة ونذالة وافتضاح؟
. . هل في هذا الكون قوة شريرة معادية لك ولكل أحد ولكل شيء هي أقوى منك يا إلهي ومن كل شيء؟

وهل هذه القوة الشريرة المعادية هي التي رفضت ومنعت أن يحدث هذا الأجل الأنفع الأستر؟

هل يوجد يا إلهي أخسر منك أو من يساويك خسراناً في ما هو حادث أي في بقائك في ذاتك ومكانك وكيونتك؟

لماذا كل أحد يسافر من ذاته وكيئوته إلا أنت يا إلهي؟

إذن هل يوجد في هذا الوجود عدوان يساوي العدوان عليك يا إلهي أو العدوان بك ومنك؟

بل هل يوجد أو يمكن أن يوجد أي عدوان غير العدوان عليك والعدوان منك وبك وفيك؟

كم هي وقاحة إن كنت قد عرفت ذلك ثم لم تفعل ما تفرضه عليك هذه المعرفة. . . وكم هي بلادة إن لم تكن قد عرفت هذا الذي لا يستطيع جهله. !

. . . إذن هذا التفسير لن يستطيع أن يكون تفسيراً دفاعياً عن فعلتك هذه يا إلهي أي عن مجازاة أنبيائك وأتقيائك بالفردوس ومعاقبة آبائهم وأبنائهم وأقربهم بالجحيم. ! . وأرجو أن تكون قد عرفت كم كنت حريصاً وراعياً في أن أجد الدفاع عنك في هذه القضية وفي كل قضاياك الأخرى حتى أهنت نفسي. !

حتى لقد حاولت الدفاع عنك باحتمال أن من جازيتهم بالفردوس لن يأسفوا أو يتألموا أو يبكوا على من عاقبتهم بالجحيم بل ولا أن يرفضوا أو يستنكروا ذلك، بل لا بدّ أن يرحبوا ويطلبوا بذلك مهما كانت قرابتهم ومكانتهم منهم واحترامهم وحبهم لهم لأن ذلك عدل واستحقاق. ! . ومن غف محاباتي لك يا إلهي كنت أتمنى أن يقوى هذا التفسير ليكون دفاعاً عنك مقبولاً. ولكن لقد فسر في ما سبق بطلان وبلادة وجهالة ووقاحة هذا التفسير أو الدفاع. وفسر أن هذا التفسير أو الدفاع لا بدّ أن يفسر بالنقيض بل ويعني النقيض أي لا بدّ أن يفسر ويعني أنك أنت يا إلهي الذي تستحق كل العقاب، أن يوقع بك كل العقاب على ما أردت وخططت ودبرت وأحببت وفعلت ونفذت فيمن زعمت أنهم يستحقون العقاب في الجحيم ثم ألقيت بهم في الجحيم. ! . إنك يا إلهي أنت البدء والوسط والنهاية. .

أنت السبب والمسبب. أنت الطريق والمخطط للطريق والمسير في الطريق ومحدد نهاية الطريق. أنت الفكرة والإرادة والقدرة والحافز والغاية والهدف. .

. . . نعم، لا بدّ أن يفسر ذلك بل ويعني ذلك في تفاسير كل المفسرين بأنك أنت يا إلهي الذي يجب أن يوقع بك كل العقاب وأن تتهم بكل الجرائم والخطايا والأخطاء دون أن يجوز لك أن تتهم أحداً أو شيئاً بأية جريمة أو خطيئة أو خطأ أو أن توقع العقاب بأي كائن أو بأي شيء. إن المخطئ والمذنب ليس إلا مفعولاً به الخطأ والذنب كما يفعل به المرض والعاهة والعجز والبلادة والجنون والهزم والموت. !

. . إن الذين سوف تجزيهم يا إلهي باختزانهم وحبسهم في فردوسك يعرفون كل ذلك أو علموا ولقنوا كل ذلك مهما عجزوا عن أن يعرفوا. وقد جاءوا ليعلموا ما لقنوا ويعلموه. !. لقد جاءوا ليعلموا ويعلموا أنك تريد قوماً للجحيم قبل أن تخلقهم فتخلقهم لذلك لأنك أردت وتريد. إنهم أي سكان فردوسك لا بد أن ينكروك ويرفضوك ويتهموك ويستقبحوك بكل التفاسير والحسابات والمحاسبات دون أن يجدوا لك تفسيراً أو منطقاً أي لأنك أردت بدءاً لأقربهم أن يكونوا من أهل الجحيم بكل الشهوة والرغبة والتصميم، ثم دبرت وخططت ونفذت ذلك بكل نيات التآمر والكيد والخبث والإتقان والمثابرة والإصرار، ثم عاقبتهم بالجحيم على ما فعلت بهم لإرضاء نفسك بكل القسوة والجنون والفرح والبريء من كل فروسية عقلية أو أخلاقية أو نفسية أو كونية أو حتى فروسية حيوانية. إنك لو لم تكن الفاعل لكل ذلك لكنت أيضاً كل المسؤول المعلوم على ذلك لأنك كنت تستطيع أن تهديهم إلى الطريق الآخر فلماذا لم ترد وتفعل وأنت كل البدء؟

أليس البدء لكل شيء هو المسؤول عن كل شيء والمعلوم عن كل ما يلام؟
. . إذن ما التفسير إن لم يكن بد من التفسير لتقبل الأنبياء والأتقياء وكل المؤمنين أن يعيشوا ويسعدوا في الفردوس، في حجور ومضاجع الحوريات والغلمان وأهلهم الأقربون جداً يحترقون في الجحيم؟
إنه ليجب أن ترتجف بل وتحترق كل الضمائر والأخلاق والأفكار أمام هذا التساؤل.

. . هل يمكن أن يكون من التفاسير ذلك أن سكان الفردوس سوف يتحولون إلى غدد وخلايا وأعضاء أولية تتغذى وتحيا فقط كما تتغذى وتحيا الغدد والخلايا والأعضاء بلا أية عواطف أو مشاعر أو رؤى أو أخلاق أو أفكار أو ذكريات أو حب أو حنين أو حنان أي بلا إنسان، بلا أي تفسير أو تعبير من تفسير الإنسان وتعبيراته ومعانيه؟ هل السعادة وظيفة من وظائف الأعضاء والغدد والخلايا أم من وظائف العواطف والأفكار والأخلاق والضمائر؟

. . هل التفسير أن سكان الفردوس سيصبحون أكثر بلادة وعجزاً عن التذكر والحنين والتألم والتفجع والاحتجاج العقلي والنفسي والأخلاقي من الحيوانات لأن الحيوان قد يقاسي شيئاً من ذلك بل لا بد أن يقاسي؟
إن افتراض هذا التفسير يلغي الفردوس ويلغي كل تفاسيره المفترضة المفرحة

السعيدة لأن السعادة لا تكون بالأعضاء فقط بل لا تكون إلا بالعواطف والمشاعر والأشواق والحنين والحب والتذكر وبكل الانفعالات الحادة الحماسية القوية . .

فإذا فقد أهل الفردوس كل ذلك أو هبط إحساسهم به وتعاملهم معه ومقاساتهم واستجاباتهم له فلا فردوس . . مهما وجد الفردوس !

إن السعادة أية سعادة لا تكون إلا بالانفعالات الحادة جداً، وكذا كل شيء . إن الذي يفقد الانفعالات الحادة لن يرى أو يجد أو يسمع أو يملك مهما رأى ووجد وسمع وملك . . !

. . هل التفسير أن سكان الفردوس سيصابون بالبله الشامل حتى ليعجزون عن أن يتصوروا أو يتذكروا أو يفهموا أو يعوا شيئاً أو أحداً أو الفرق بين شيء وشيء، بين الفردوس والجحيم، بين سكان هذا وسكان هذا . . حتى ليعجزون عن أن يتذكروا أو يذكروا أنه قد كان لهم آباء وأبناء وأهل وأصدقاء وعن أن يسألوا أين هؤلاء الآباء والأبناء والأهل والأصدقاء . . أين هم الآن، إنا لا نراهم ولا نعلم عنهم شيئاً . . يجب أن نعلم أين هم، يجب . . إنهم إذا لم يكونوا هنا فلا بدّ أن يكونوا هناك، هناك . . ؟!

. . هل التفسير أنك يا إلهي سوف تنقل كل وحشيتك وعدوانيتك واستمتاعك بعذاب الآخرين وتعذيبهم إلى سكان فردوسك ليصبحوا أعداء لكل أحد وشيء حتى لأبائهم وأبنائهم والأقربين إليهم بل ليصبحوا سعداء بعذابهم ورؤية عذابهم وتعذيبهم مثلما أنت يا إلهي سعيد بذلك بل مثلما أنت تتغذى كل أوقاتك وكل وجباتك بهذه السعادة؟ ولكن لا بدّ مع هذا من الإقرار والاعتراف لك يا إلهي بأنك لن تنافس أو تبارى في شهوتك التعذيبية العذابية . !

. . هل التفسير أنهم أي سكان فردوسك سيجدون كل السعادة والفرح واللذة في تعذيب أقربيهم كما تجد أنت يا إلهي كل ذلك في تعذيب وتشويه وترويع وتحطيم وقتل أبنائك البشر . . أقرب الأقربين إليك؟

ولا بدّ من الإقرار والإعلان مرة أخرى أنك لن تبارى في شهوة التعذيب فيك . !

نعم، لعلك يا إلهي لم تنسَ أنني قد قلت لك فيما سبق أن البشر بل وجميع المخلوقات هم أبنائك، أبناء إرادتك وتديريك وتخطيطك وحكمتك وأخلاقك وضميرك وتفكيرك ويديك وعينيك وأذنيك وكل شيء فيك . . ! . إنك يا إلهي الأب والأم الوحيدان الدائمان القانونيان الشرعيان الشاملان لكل شيء وكل أحد بلا اختلاف مهما اختلف في كل شيء . !

هل يمكن وجود أو حتى تصور أبوة وأمومة مثل أبوتك وأمومتك ولكل شيء وكل أحد، أو بنوة مثل بنوة كل أحد وشيء لك يا إلهي؟ إن كل أبوة وأمومة هما أبوة وأمومة جزئية ووقتيّة وأحياناً اضطرارية وظاهرية إلاّ أبوتك وأمومتك يا إلهي لكل شيء وكل أحد فإنهما شاملتان ومطلقتان وكونيتان مدبرتان ومرادتان وشرعيتان مهما كان قبحهما ووقاحتهما! .

. . إذن لو أن جميع الأشرار المتحولة كل شرورهم إلى عدوان على الأقربين إليهم تجمعوا في شرير واحد فهل يستطيع أو يجزؤ هذا الشرير الواحد على مباراتك أو منافستك في عدوانك على ابنك الإنسان أو على ابنك الذباب أو الصرصار أو على ابتك القملة أو النملة أو البعوضة أو الجرثومة المرضية؟
إن كل هوان أو عذاب يصيب الذباب فلن يكون إلاّ طعنًا وقبحاً في حنان أبوتك يا إلهي؟

. . وكم أرجو ألا ينكر أي مؤمن بك أو مدافع عنك يا إلهي أن جميع هذه الكائنات التي يسميها حشرات مبالغة في تحقيرها وتصغيرها وذمها وفي إرادته التكبر والتفوق عليها هي أبنائك وبناتك الأعزاء! .

. . نعم، كم أرجو ألا ينكر المؤمن بك والمدافع عنك يا إلهي أبوتك وأمومتك لهذه الكائنات والحشرات أو بنوتها لك لأن إنكاره لذلك لو أنكره يلقي به بل وبك في أردأ وأصعب الورطات. انظر يا إلهي كم أنا مريض بشهوة الدفاع عنك حتى لأخشى عليك من الورطات.!. وهل أنت إلا ورطات، إلاّ كل الورطات؟

إن هذه الكائنات أي الحشرات إن لم تكن بنات وأبناء شرعيين للآله أي لإرادته وحكمته وتدبيره واختياره ورضاه وتنفيذه ويديه وعينه ولكل تفاسيره ومعانيه، فلا بد أن تكون بنات وأبناء وُلِدوا في بيته، في غرفة نومه، فوق سريره دون أن يعلم بهم أو يريدهم أو يفعلهم أو حتى يدري بهم أو أن يكونوا منه أو أن تكون له بهم أية علاقة.!.
وهل وجد سرير غير سريرك يا إلهي وُلِد فوقه كل ولادات السفاح؟

إذن أي التفسيرين أو القولين أقسى هجاء وذمًا وتحقيرًا أو فضحًا لك يا إلهي المحكوم عليه أبدأ بأن يكون شيئاً رديئاً وبليداً أو أن يكون أردأ الأشياء وأبلدها. .
المحكوم عليه أبدأ بأن يكون بعض الرداءة والسوء والبلادة والافتضاح أو كل ذلك.!
أجل يا إلهي المستحق لكل الرثاء وأيضاً لكل الغضب والعقاب.!. .

إن هذه الكائنات المسماة حشرات وغير حشرات وأقبح وأوقع وأردأ من كل

الحشرات لا بدّ أن تكون بناتك وأبناءك الشرعيين أو أن تكون بنات وأبناء مدسوسين مهندسين في سريرك وعلى سريرك في غرفة نومك دون أن تريد أو تدري لتحمي شرفك وعرضك وسريرك من المهندسين والمدسوسين . إنها لا بدّ أن تكون ولادة إرادتك وحكمتك ومحبتك وتخطيطك أو عدواناً وكذباً على كل معانيك وتفاسيرك وأخلاقك . !

.. ولعل الدس على السرير وفي السرير هو أقبح وأشهر وأوسع أنواع الدس ولكن ألا يمكن أن يكون ولو أحياناً هو أنفع وأفضل أنواع الدس؟

ولعل الدس والاندساس على كل السرر وفي كل السرر لن يكون شيئاً لو حوسب بالدس والاندساس على سريرك وفي سريرك يا إلهي . ! . أليست كل السرر هي أجزاء وأشلاء في سريرك يا إلهي؟

.. أليس سريرك يا إلهي هو وحده السرير الذي ألقى ويلقى فوقه بكل الأبناء حتى أبناء القردة والخنازير والقمل والذباب وكل الحشرات مزعومين أبناء لك شرعيين؟
.. ولكن أيهما لوث ويلوث واعتدي ويعتدي عليه أكثر وأقبح وأفجع : سريرك أم عرشك؟

إن كل الأحوال والآثام والأخطاء والخطايا التي كانت قد أُلقيت على سريرك يا إلهي وعرشك . ولكن أيهما قد تفوق على الآخر في استقبال ذلك وفي التفاهم والتعامل والتعايش معه أي سريرك أم عرشك؟

إن كل السرر والعروش مهما كان عفنها وقبحها وفحشها وفجورها لا بدّ أن ترى وتحسب كل تفاسير الطهارة والجمال والتهذيب والبراءة والتقوى محاسبة ومفسرة بسريرك وعرشك يا إلهي . إن كل ولادة وكيونة إنما ولدت وتكوّنت فوق سريرك ومن سريرك وإن كل جالس وباصق ومستفرغ فوق كل عرش وعلى أي عرش إنما هو جالس وباصق ومستفرغ فوق عرشك وعلى عرشك بل ومن عرشك . إن عرشك وسريرك يا إلهي هما الباصقان المستفرغان لكل الولادات والكينونات . . لكل البصاق والاستفراغ .

.. إذن هل يوجد يا إلهي مثل عرشك وسريرك عفونة وقبحاً ونذالة وهواناً ومستقراً لذلك ومصدراً له؟

.. إذن يا إلهي أي القبحين أو الافتضاحين أو العذابين تختار ليكون أقل تعذيباً وإيذاءً وتشويهاً وتحقيراً واتهاماً وهجاءً لك يا إلهي الذي لا براءة أو تبرئة له من أن يكون

كل القبح والشوه وموزعهما، وكل العذاب والتعذيب والذام اللاعن والمذموم الملعون، وكل العصاة والمعصي والعصيان، وكل المتهمين والمتهم والاتهام وكل الجناة والمعاقبين والعقاب، وكل القضاء والمحاکمين والمحكوم عليهم.

- نعم، يا إلهي الذي لا تستطيع تبرئته أو براءته من كل ذلك أو من بعض ذلك أو من أي قبح أو ذنب إلا ببراءته وتبرئته من أن يكون موجوداً ومن أنه قد كان موجوداً.

- نعم، يا إلهي الذي كل قبحه وهوانه وأخطائه وخطاياها ونذالاته في وجوده، وكل براءته ونظافته وشهامته وكرامته وتقواه في فقده، في فقده لوجوده.

- نعم، يا إلهي الذي لا يستطيع أن يغتسل أو يتنظف أو يتطهر من أردانه وآثامه ودماماته إلا بقتله أي إلا بقتل وجوده بل الذي لا يمكن تصوّر شيء من ذلك له إلا بهذا القتل لوجوده.

- نعم يا إلهي الذي لم يفضحه ولا يفضحه ولن يفضحه أو يحقره أو يتهمه أو يشتمه أو يهجو أو يؤذيه أو يعاقبه بأقسى وأنذل وأجهل وأبلد الأساليب والتفاسير مثل أو غير من يزعمون بل ويعتقدون أنهم بذلك يهبون ويصنعون لقلبه وضميره وعينيه وأذنيه وكبريائه كل الفرح والسعادة والحب والابتسام والمجد والجمال والكرامة والتفوق وكل الانتصارات بل ويصبون ويستفرغون على عرشه وسريره ومضجعه وثيابه وفي أنفه أغلى وأقوى العطور.

- نعم، يا إلهي الذي لم يوجد ولن يوجد من يشتم ويهجو ويؤذي ويفضح ويحقر نفسه زاعماً معلناً أنه بذلك يكرمها ويمجدها ويمتدحها ويتملقها مثلك أو غيرك.

- نعم، يا إلهي الذي لم يقاس جميع أنبيائه وملائكته وأصدقائه وأوليائه وأنصاره شيئاً مما قاسيت أنا من العذاب والترويع والإحراج والاستحياء والاشمئزاز غيرة عليه أي عليك يا إلهي وغضباً له ونضالاً عنه وانفجاعاً به وتحديقاً فيه وحزناً وحسرة عليه كلما رأيته أو قرأته أو تمنيت له أو اشترطت عليه أو حاسبته أو حاكمته، وعجزاً عن تفسيره وفهمه وعن الغفران له والدفاع عنه وعن محاولة الستر عليه أي عليك يا إلهي بإلقاء كل العباءات والعمائم واللحى والخيام والجلابيب بل وكل أستار وأحجار الكعبة وكل الأضرحة والمعابد والمصاحف فوق جسده، فوق عوراته وفضائحه أي فوق جسده وعوراتك وفضائحك يا إلهي الذي لا تستطيع كل الأشياء أن تغطي شيئاً من عرية وتشوهاتة وحماقاتة وذنوبه.

- نعم، يا إلهي الذي لم يتعذب أحد شيئاً من عذابي بتحديقي فيك وقرءاتي لك

لأجد فيك أي شيء لا يتحول إلى أقصى هجاء لكل تفاسير ونماذج وشروط الجمال والذكاء والعقل والوقار والحب والرحمة والحكمة والمنطق في صدقه ورؤيته .
.. وهنا لا بدّ أن يتفجر سؤال لا بدّ أن يغرق كل التفاسير والمفسرين .

.. هذا السؤال المغرق سيقول :

لقد كان الأنبياء وكل الأولياء والقديسين والمؤمنين يعلمون أي في الحياة الأولى ويبلغون ويروون عن إلههم الحبيب المحبوب الرؤوف الرحمن الرحيم الحي المهبذب الكريم الشهم . .

- نعم ، كانوا يعلمون ويبلغون عن إلههم هذا أنهم هم وكل من أطاعوهم واتبعوهم سيدخلون الفردوس ، وأن كل من عصوهم من آبائهم وأبنائهم والأقربين إليهم ومن كل الجن والناس سيكون مأواهم الجحيم الأبدي بلا إنقاذ أو نقيض أو تراجع أو شفاعة . . بل وكانوا أي هؤلاء الأنبياء والأولياء والمؤمنون يعلنون ويعلمون بالتحديد أن هذا الوالد أو الوالدة أو الابن أو الزوجة أو هذا القريب جداً لهذا النبي أو الولي أو القديس سيكون من المخلدين في الجحيم . وقد يكون المعلم المعلن هو الوالد أو الابن أو الزوج أو القريب لهذا الذي لا بدّ أن يخلد في الجحيم . . !

وكان يعلن ويعلم ذلك دون أن يغطي وجهه أو يغض من صوته لئلا تراه أو تسمعه الحشرات . !

.. لقد كانوا أي الأنبياء والأولياء والقديسون والمؤمنون جداً يعلمون ويبلغون ويعلنون ذلك بكل السعادة والفرح والرضا والتقبل والتأييد والإيمان برحمة وحكمة وشهامة وعدالة وحب وتقوى من يعلمون ويبلغون عنه أي عمن سوف يخلد آباءهم وأبناءهم أو أمهاتهم أو أزواجهن أو زوجاتهم في عذاب الجحيم بينما بعضهم هم في حجور ومضاجع وملاهي الغلمان والهوريات سكارى ، سكارى من الشراب والجنس والكسل والتدليل والتبذل . !

واعذاباه . . واعاراه . . وأفضيحتاه . !

هل حدث هذا؟ هل حدث؟ ليتني أعجز عن التصديق بأن هذا قد حدث . ليت يدي الإله الذي أراد وفعل هذا لم تلمساني زاعميتين أنهما تكرماني بخلقهما لي . ليت أحداً من الأنبياء لم يأت إن كان هذا معنى الأنبياء !

.. ليتني أعجز عن التصديق بأن نبياً أو قديساً أو أي إنسان عظيم أو حتى عادي أو أقل من العادي قد يذهب يعلم ويعلن بجهر وسرور وكبرياء ونذالة وتقوى وتمجيد لإلهه

بأنه هو سيذهب إلى الفردوس لينبطح وينطرح ويستلقي في أحضان وعلى أذرع وأرداف الحوريات والغلمان بينما أبوه أو أمه أو ابنه أو قريبة أو أي كائن آخر قد ألقى به في الجحيم، في الجحيم الذي ذهب هو وإلهه وزبانية إلهه يتصورون ويدبرون ويصنعون أوصافه وعذابه حتى لتذعر وتتوقر وتستحيي كل الأبالسة بل وتعجز عن تصور أو قراءة أوصافه وأوصاف عذابه!

.. نعم، ليتني أعجز عن تصديق ذلك.. كم في التصديق أحياناً من التعذيب والتشويه، وكم في التكذيب أي في العجز عن التصديق من الرفق والتخفيف والتأميل والتجميل والعزاء أي ولو أحياناً!

إن التصديق أحياناً لن يكون إلا تعبيراً عن قسوة أو بلاهة أو نذالة المصدق. !
.. كيف قبلوا أي الأنبياء والمؤمنون أن يعلموا ويعلنوا ذلك؟ بل كيف قبلوه أو غفروه أو قبلوا أو استطاعوا الاستماع إليه؟
كيف لم يصابوا أو حتى يتظاهروا بالخرس والصمم لئلا يسمعه أو يتحدثوا عنه أو ينطقوا به؟

كيف لم يعلنوا كل أساليب وتفسير الغضب والاستنكار والرفض والإضراب والعصيان بل والثورة، الثورة على من أراد ودبر وخطط ورضي وطلب وشرع ونفذ ذلك أي عليك يا إلهي؟

حتى النصيحة. كيف لم ينصحوك ويعضوك ويعلموك كم في هذا من البشاعة والفظاظة وفقدان الذوق والذكاء؟

كيف لم يصرخوا في وجهك يا إلهي قائلين:
قمة الوقاحة والنذالة والوحشية والغباء أن تريد أو تدبر أو تشرع أو تفعل أنت هذا أو أن نقبل أو نغفر نحن لك هذا. تعلم شيئاً من التهذيب والحياء وشهامة العواطف، تعلم..

.. وقائلين أيضاً لعلك لا تعرف عواطف القرابة ولا تدري أن للقرابة عواطف لأنك أنت مبتوت شاذ ليست لك أية قرابة، لا جذور ولا فروع لك، فأنت الجد والأب والابن.. أنت الديك والدجاجة والبيضة والفرخ.. لهذا لم تجرب أو تذق معنى القرابة وعواطفها لهذا لم تعرف..!.. وهل يمكن أن تعرف أو ينتظر منك أن تعرف؟

وهل يستطيع الإله أن يعرف مهما عرف العاجزون عن أن يعرفوا؟
.. وقائلين كذلك أي لك يا إلهي: من المحتمل كثيراً أنك محكوم برغبة الانتقام

من القربة وعواطفها ثأراً لحرمانك من ذلك وتعويضاً عليه وعنه . وهل وجد أو يمكن أن يوجد محكوم برغبة الانتقام والأخذ بالثأر مثلك؟

.. لعلك تجد لذة أو راحة أو عزاء في تعذيب ذوي الأقرباء بقرباتهم لأنك أنت لست ذا قرباء بل إنك لتجد حتماً هذه اللذة والراحة والعزاء؟

أجل، يا إلهي كيف لم يكن كل هذا بعض ما كان يجب وينتظر أن يقولوه لك؟ هل جهلوا أم جنبوا أم كسلوا؟ هل قالوا لك ذلك دون أن ندري لأنك أنت أخفيت وهم أخفوا؟

هل التفسير أنك قد خدرت وأخمدت وأفسدت بل وقتلت في الأنبياء والقديسين وكل المؤمنين بك كل تفاسيرهم وعواطفهم ومعانيهم الإنسانية الجيدة بإيمانهم بك وتعاملهم معك وعبادتهم وصلواتهم لك وتفكيرهم فيك وبحلولك في ذواتهم وبانتمائهم إليك؟ هل النبي والقديس بل وكل كائن يفقد معانيه بقدر ما تكون فيه معانيك؟

هل كل معانيك أو أقوى معانيك يا إلهي أن تقتل في الإنسان كل معانيه؟ .. هل هذا هو التفسير لكون البشر جميعاً ظلوا عاجزين عن معاشة ومعاملة كل معانيك مهما عاملوها وعاشوها إيماناً وتعلماً وخطباً؟

هل أنايتك يا إلهي تحكم عليك بأن تقتل في كل من يؤمنون بك ويتعاملون معك كل معانيهم لئلا تنافس معانيك أو لأن معانيك تغار من معانيهم ولا تستطيع مجاورتها أو مساكنتها أو مواجهتها لأنها تخشى جداً إلى حد الموت والجنون من محاورتها لأن أي معنى من معانيك لن يحيا لو حاور . إن معانيك ظلت حية لأنها تأمر وتعلم فقط ولو حاورت لماتت . !

.. هل هذا هو التفسير لفقدان الأنبياء والقديسين وكل المؤمنين بل لكل معانيهم الإنسانية والعاطفية حتى لعواطف القربة، لعواطف الأبوة والبنوة والأمومة . .

هذا فقدان الذي عبّر عنه أقسى وأوقع وأندل تعبير تقبلهم بل ورضاهم وفرحهم وسعادتهم أن تلقي بأقرب الناس إليهم في عذاب الجحيم وتزفهم إلى الفردوس ليظلوا سكارى بين أرداف الحوريات وكؤوس الولدان المخلدين المغطاة المثقلة آذانهم ورقابهم وأيديهم وأرجلهم وعيونهم وجباههم وأردافهم وخواصرهم بكل حلى وحلل وأصباغ وعطور وكحل الجنس والخنوثة والأنوثة؟ هل التفسير الشامل لك أنك يا إلهي تقتل عيون وقلوب وعقول وضمائر وعواطف وأخلاق من يؤمنون بك ويتعاملون معك بقدر ما يؤمنون ويتعاملون؟

إني لمحكوم عليّ والحاكم عليّ هو ذاتي وعنف تفكيري فيك واهتمامي بك وقسوة وديمومة تحديقي في أخطائك وخطاياك يا إلهي الذي أريد وأطالب له أفضل وأنبل وأذكى وأتقى مما يريد ويطلب به لنفسه لأنني صديق لك يا إلهي أكثر من صداقتك لنفسك أي لأنني أعلم ما يجب وينبغي لك وعليك أكثر مما أنت ذلك .

- نعم ، إني لمحكوم عليّ بأن أكرر عليك هذا التصور أو التساؤل :

لو أن أنذل وأقسى وأفجر وأردأ كائن أو إنسان عرض طاغية قوي جداً بل مطلق القوة عليه أن يضعه ويحكمه في أعلى وأقوى منصب أو مكان فيه كل السلطان والمجد والجمال والفرح واللذة والسعادة والريح ولكن هذا الطاغية القوي العارض الواهب قد أراد ودبر وخطط متعمداً وقاصداً أن يلقي بوالد أو ابن أو أم هذا المعروض عليه - كل هذه المغام - أن يلقي به إلى الأخطاء والخطايا والفضائح والمهالك ليعذبه ويسقطه ويهلكه ويفضحه بل ونفذ هذا الذي أراد ودبر وخطط متعمداً قاصداً وهو يستطيع ويعرف ألا يفعل ذلك بل وأن يفعل النقيض ، فهل يمكن أن يقبل أو يرضى أو يغفر هذا المعروض عليه هذا العرض أي مهما كانت ندالة ووقاحة وقسوة وسقوط هذا الذي عرض عليه ذلك؟

ولو أنه قَبِلَ هذا العرض فهل يمكن أن يكون سعيداً أو راضياً أو محبباً أو محترماً لهذا الطاغية أو مريداً له القوة أو المجد أو البقاء؟

بل أليس محتوماً أن يعاديه ويمقتّه من كل داخله وأن يحاول أن يوقع به الهزائم والهوان والشقاء؟ هل يحتمل أن يكون له نبياً أو داعية أو معلماً أو مبشراً بألوهيته أو عبقرية أو بالإيمان به؟

إن هذا المعروض عليه مهما كانت جهالته وسفاهته ونذالته وكفرانه وعقوقه لن يهبط إلى حضيض النبي أي نبي - إلى حضيض النبي الذي يذهب بكل الإيمان والهوان والجبن ليصنع كل المجد والتمجيد والحب والجمال والذكاء والرحمة والحكمة والسلطان والفرح والسعادة والقوة والانتصار للإله الذي أراد ودبر وخطط وأحب من البدء بكل المكر والخبث والتآمر مع الأبالسة بل ومع الملائكة ومع كل شيء وكل أحد لكي يسوق ويقود والده أو والد أو ابن ذلك النبي إلى كل أسباب وسبل الجحيم لكي يلقي به في الجحيم . !

هل يوجد متآمر مع الأبالسة ومع كل الأشرار لإضلال الإنسان وإفساده وإغوائه مثل الإله أعني غير الإله؟

هل وجد معترف بذلك ضد نفسه بكل البلادة والوقاحة مثل الإله أو غير الإله؟ بل
هل وجد مفاخر بذلك وبفعله لذلك غيرك أو مثلك يا إلهي؟

هل يوجد مثلي إرهاباً وإحراجاً وتعذيباً والتزاماً؟

هل أنا غلطة أليمة لا يمكن تكرارها؟

.. إني محكوم عليّ بأن أجد كل التفاسير وأجمل التفاسير لكل ما لن يوجد له أي
تفسير، أي إني محكوم عليّ بأن أحاول ذلك. !

إن الحاكم عليّ بذلك حاكم لا يتراجع عن حكمه. إنه حكم ذاتي على ذاتي. !

.. إني محكوم عليّ بأن أجد أو بأن أحاول أن أجد كل التفاسير الجميلة الذكية
التقية المنطقية الإنسانية بل الإلهية لكل أخطاء وآثام وبلادات وجهالات وتشوهات
وعاهات وآلام وضياح وعبث وبله وجنون كل شيء في هذا الوجود - أي محكوم عليّ
بأن أجد أعني بأن أحاول أن أجد هذه التفاسير لكل ما تريد وتدبر وتخطط وتفعل
يا إلهي. !

إذن هل يوجد من حكم عليه بالعجز والهزيمة والبلادة والافتضاح وبمحاورة
المحال وبالتعامل معه وبه مثلي أو غيري؟

من خصني بهذه الوحشية أي بوحشية ذاتي ضد ذاتي وعلى ذاتي؟

.. إن الآخرين مستريحون ومتلائمون جداً. .. إنهم لا يحاورون أي شيء باحثين
له عن أي تفسير أو منطق. .. إنهم لا يرون أن الشيء شيء وتفسير ومنطق أو أن الشيء
يجب أن يكون له تفسير ومنطق لكي يكون مقبولاً ومعقولاً وجميلاً وفنياً وإبداعياً
وأخلاقياً. .

إنهم يرون أن الشيء أي وجود الشيء هو كل منطق وتفسيره. !

إن الشيء أو وجود الشيء في إيمانهم وحسابهم وتفكيرهم يساوي تفسير الشيء
ومنطقه بل يساوي كل منطق الإله وتفسيره وأخلاقه. !

.. لهذا فإنهم لا يبحثون أو يسألون عن أي تفسير أو منطق لأي شيء، لوجود أي
شيء، لوجود الحشرة أو العاهة أو جرثومة المرض أو الشيخوخة أو الموت أو لوجود
الإله أو الإنسان أو أي شيء. !

هل يوجد متلائمون مع كل القبح والبلادات والوقاحات والآثام مثل من يؤمنون

بالإله دون أن يتعذبوا كل العذاب بحثاً عن تفسير ومنطق وجوده كما وجد وكما يتصرف؟

أليس الذين يقبلون وجود الإله ويمجدون وجوده بلا أية محاسبة أو محاكمة أو مساءلة عن أي تفسير أو منطق إنما يعني ذلك منهم أن يقبلوا ويمجدوا وجود الذباب والصرصار والبعوضة والبرغوث والعاهة والدمامة وكل شيء وكل قبح وألم وعيب بلا أي سؤال أو بحث عن أي تفسير أو منطق بل يعني أن يمجدوا ويقبلوا وجود ذلك بل يعني أن يركعوا ويصلوا لكل ذلك؟ أليس الذين يصلون لمريد ومدبر ومخطط وخالق الذباب إنما يصلون للذباب؟!

نعم، إن الذي يؤمن بالإله وبحكمته ورحمته ويصلي له إعجاباً بجماله وكماله وعبقريته وإنسانيته وألوهيته لا بدّ أن يفعل كل ذلك للذباب والصرصار والقملة والنملة ولكل شيء وإلاّ كان خارجاً على الإله شاتماً هاجياً رافضاً له بل وإلاّ كان كاذباً في زعمه أنه مؤمن بالإله وبأنه يراه كل الجمال والكمال.!

.. إن من يقول إن الإله هو الجمال والذكاء والكمال والعقل والحب والرحمة والحكمة يجب أن يقول أو لا بدّ أن يقول إن الذباب والصرصار والنملة والقملة والدمامة والعاهة والبله والجنون هو كل ذلك أي هو كل الجمال والكمال والذكاء والعقل والحب والرحمة والحكمة وإلاّ كان كافراً. نعم، وإلاّ كان كافراً. إن من آمن بالإله وكفر بالذباب الذي خلقته إرادة الإله وتدبيره وتخطيطه وشهوته فلا بدّ أن يكون كافراً.!

.. إن من اعتقد أو قال إن في هذا الوجود أو في أي وجود شيئاً ليس هو كل الجمال والكمال والحب والرحمة والحكمة والعقل والمنطق فلن يكون إلاّ زنديقاً، زنديقاً. .

إذن أليس كل البشر حتى الأنبياء، حتى النبي محمد زنادقة دون أن يدروا أو دون أن يجروا على الاعتراف بذلك؟ أليس النبي الذي يقتل أو يشتم أو يحتقر الذباب أو أي شيء إنما يفعل ذلك بمنطق الإله وأخلاقه وحكمته؟ فهل يعرف ذلك؟

.. نعم، أليس الأنبياء والقديسون والمؤمنون جداً هم أحوج الناس إلى أن يكذبوا وينافقوا ويزوروا وإلى أن يكفروا أو يشوهوا ويلعنوا إيمانهم وتعاليمهم بكل الأساليب وأبلدها؟

.. أليس من حوّل السلطان القوي جداً والطاغية المتأله المغرور الأناني جداً هم أحوج الناس إلى الكذب والنفاق والهوان والتزوير والاعتداء على كل القيم؟

أليس دعاة ومداحو أطغى الطغاة وأقواهم وأكثرهم أنانية وغروراً وتألهاً وكذا المتحدثون عنهم والمتحدثون إليهم هم أكذب الناس وأرخصهم وأهونهم وأجبنهم؟ لهذا أليس المتحدثون عن الإله وإليه ومعهم والمعلمون المعلنون عنه المداحون القارئون المفسرون له من أنبياء وأولياء وفقهاء لا بدّ أن يكونوا هم أكذب وأرخص وأهون وأجبن من كل أعوان وجنود كل الطغاة الجهلاء الأندال؟ . . إنها لحقيقة يجب ألا تخفى على أحد ولكن كم هم الذين لم تخف عليهم؟ كم هم الذين يرون ما لا يستطيع العجز عن رؤيته؟

كم هم الذين يستطيعون أن يروا شيئاً من الدمامات والوقاحات التي تملأ بيوتهم ومعابدهم وطرقهم وأرضهم وسماواتهم وتتفجر أبداً، أبداً في عيونهم . . من الدمامات والوقاحات والتشوهات التي تغطي كل وجه الإله وجلده وثيابه وعرشه وأخلاقه وضميره ومعابده وأنبيائه ونبواته وكعباته؟

إن الأنبياء والمؤمنين جداً كانوا يستطيعون أن يروا ما لا يستطيع العجز عن رؤيته لما استطاعوا أن يروا وجه الإله أو أي شيء من ذاته لكثافة الدمامات والخطايا المغطية لكل شيء فيه . !

آه . ما أفسى عذاب من حكم عليه بأن يحاور ويسائل كل أحد وكل شيء حتى الإله ، وأن يحاكم ويفسر كل شيء وكل أحد بالمنطق والأخلاق وبالحافز والغاية حتى الإله . . !

لهذا ما أفسى عذايبي . . ما أقساه . !

ما أفسى عذاب وهزيمة وحيرة وفجيرة من يسأل مصراً ليجد أي تفسير أو منطق لأي شيء أو لكل الأشياء، لوجودها وكينوناتها كما وجدت وكانت، وكيف كانت، ولماذا كانت، ولماذا كانت بهذه الصيغة والأوصاف والظروف دون الصيغ والأوصاف والظروف الأخرى . . ومن أراد لها أن تكون . . وكيف، ولماذا استجابت لإرادته، أو كيف استطاعت إرادته أن تخضعها، ولماذا أرادها هذا المريد كما أرادها أي كما جاءت . . لماذا لم تجيء إرادته لها بأسلوب آخر، ومن وضع في هذا المريد إرادته ولماذا خضع لإرادته . هل حاسب وفَسّر واحترم إرادته قبل أن يستجيب ويخضع لها . . وهل آمن واقتنع بإرادته أم هزم أمامها . وكيف تجيء الإرادة، ومن أين تجيء، ولماذا تجيء، ومتى تجيء، وكيف تجيء، ومن أراد أو يريد لها أن تجيء . . ؟ !

. . إن أصعب أو أقبح أو أفجع ما في التساؤلات أنها لا علاج أو حل أو جواب

لها. إن كل جواب التساؤلات في ألا توجد، في ألا تكون هناك تساؤلات ولا متسائلون أو سائلون.!

. . إن كل شيء أو كل الأشياء: إما لا سؤال وإما لا جواب لأن كل جواب لن يكون إلا تفجيراً وإطلاقاً لأسئلة لا نهاية لها. إن الجواب لا يحل ولكن يعقد. إنه لا يجيب ولكنه يسأل.!

إنه لا جواب إلا حيث أو حين لا يكون سؤال.!

إنه لو وجد جواب أو تفسير للجزء لما وجد جواب أو تفسير للكل. إنه لو وجد تفسير لمجيء البيضة أو الثمرة لما وجد تفسير لمجيء الدجاجة أو الشجرة.!

. . لننظر في هذا النموذج أو المثل أو السؤال:

ماذا لو أنها وجدت كل التفاسير وكل شهادات المنطق وأذكى التفاسير وأقوى شهادات المنطق بل وكل شهادات المنطق لتعلن أن وجود الصرصار أو البرغوث كما وجد ودبر وخطط وأريد وخلق وكما كان وعاش ومرض ومات وحارب وحورب هو كل المنطق والتفاسير العقلية والأخلاقية والفنية الإبداعية التي لا استطاع ولا يعرف ولا يقبل أو يغفر غيرها. . التي لا يستطيع الإله نفس الإله أن يقبل أو يفهم أو يرضى غيرها؟

. . ماذا لو أن ذلك حدث؟

هل يمكن حينئذ أن يوجد أي تفسير أو منطق أو غفران أو تسويغ لوجود الإله كما وجد وكما كان وعاش وعاش وواجه وعامل وأراد ودبر وخطط وصاغ وأخرج نفسه وذاته ووجوده وحياته وكيونته وصفاته وكل شيء وكل أحد كما حدث وفعل وكما عصى وهزم وتعذب واحتقر وكذب عليه وكذب به؟

هل وجد الإله بالإرادة والتدبير والمنطق والمصلحة أم بالضرورة والاضطرار أم بالآلية؟

هل وجد لأنه يجب أن يوجد أم لأنه لا بد أن يوجد أي أم لأنه محكوم عليه أن يوجد؟

هل أراد وجوده أم أريد له وجوده أم جاء وجوده بلا أية إرادة لاإرادية ولا إرادة أي مريد آخر؟. هل وجد ليوجد غيره، ولماذا يريد أن يوجد غيره؟ من ألزمه بذلك ولماذا؟

. . هل يمكن أن يوجد أي جواب عن أي سؤال من هذه الأسئلة أو أي تفسير أو منطق لذلك أو لأي شيء من ذلك؟

ماذا لو أن الإله نفسه سأل نفسه عن ذلك؟

هل يستطيع أن يجد جواباً أو تفسيراً؟ هل سأل نفسه؟

لماذا لم يسأل نفسه؟ إنها لقضية حزينة ومحيرة ومخجلة. !

. . إذن أليست كل الأجوبة في ألا تكون أسئلة، وكل المنطق والتفاسير في ألا يكون بحث عن المنطق والتفاسير أو مطالبة بذلك أو انتظار أو اشتراط لذلك بل أو فهم لذلك؟

إنه لن يجد جواباً عن أي شيء أو يقتنع به إلاّ العاجز عن السؤال أي إلاّ الفاقد لموهبة السؤال. . إنه لن يجد أو يرضى أي جواب إلاّ من لا يستطيع أن يسأل أي سؤال. .

. . إنه لو كان لكل شيء كل المنطق وكل التفسير لما كان لأي منطق أو تفسير أي شيء من المنطق والتفسير. !

إن كل منطق ليس له منطق وكل تفسير ليس له تفسير، كما أن كل ولادة ليس لها منطق أو تفسير مهما كان لها والد ووالدة أي كما أن كل منطق وتفسير الولادة هما نفس الولادة وكما أن كل منطق الوجود وتفسيره ليسا شيئاً غير وجوده، أي كما أن كل منطق وتفسير وجود الإله هما وجوده بلا منطق أو تفسير بل وضد كل منطق وتفسير. . كما أن وجود أو حدوث المرض والقبح والشيخوخة والموت والبله والبلادة وكل شيء أليم ولثيم ورديء هو كل منطق وتفسير ذلك. !

هل يمكن أن يوجد أي منطق أو تفسير لوجود الإله إلاّ بقدر ما يمكن أن يوجد منطق أو تفسير لوجود المرض أو التشوه أو البله أو البلادة أو الموت أو الشيخوخة أو لوجود الصرصار أو الذباب أو النملة أو القملة؟

إنه ليتمكن أن يوجد منطق أو تفسير أو تسويغ أو غفران لوجود الحشرات والآلام والقباحات أكثر مما يمكن أن يوجد شيء من ذلك لوجود الإله، أعني أنه حتى لو كان ممكناً أو يوجد منطق وتفسير وغفران وتسويغ لوجود كل هذه الآفات ولوجود كل شيء لما كان ممكناً أن يوجد شيء من ذلك لوجود الإله. !

هل كان يمكن أن يوجد أي قبح أو ألم أو خروج على أي منطق لو لم يوجد الموجد الأول؟

. . لهذا أي لأنه لا منطق ولا تفسير لوجود الإنسان أو لوجود أي كائن أو شيء

كما هو قبيح وأليم أن يموت بقدر ما هو قبيح وأليم أن يوجد وأن يبقى . ولأنه لا منطق ولا تفسير لأي كائن أو شيء فإن منطق وتفسير مجيئه وبقائه هما منطق وتفسير ذهابه وفناءه . !

إن عدم الشيء أو فناءه لن يكون أكثر خروجاً على المنطق أو على التفاسير من وجوده وبقائه . !

* * *

آه . قلت إنني محكوم عليّ بأن أبحث عن التفاسير وعن المنطق حيث لا يحتمل أن يوجد أي منطق أو تفسير حتى لقد حكم عليّ بأن أجد تفسيراً أو منطقاً لوجود الإله وإرادته وتدبيره وخلقه للآلام والدمامات والعاهات والتفاهات والحشرات ولكل شيء حتى لإرادته وصياغته لذاته وكيونته كما أرادهما وصاغهما، حتى لتخطيطه وخلقه وعشقه وإخراجه ومعاملته وصداقته للنبوات والزعامات والقيادات العربية ولفخره بها وإعلانه عن ضخامة مجده بإعلانه عن ضخامة مجدها . !

- أي حكم عليّ بأن أحاول ذلك أي أحاول أن أجد منطقاً وتفسيراً لذلك . !

كنت قلت إنني محكوم عليّ بأن أبحث عن الجمال في أبشع الدمامات، وعن الحكمة والمنطق في أقبح السفاهات والحماقات، وعن التقوى في أفجر الخطايا والذنوب، وعن النظام والتدبير في أشمل صيغ الفوضى والعبث وبأن أطلب بذلك واشترطه وأجده وإلاً قاسيت كل العذاب بكل صيغه وتفاسيره . !

. . إذن أيها التفسير، أيها المنطق اغفرا لي محاولاتي البائسة الحزينة البلهاء في إصرارها . .

اغفرا لي عدواني عليكم حيث وحين أحاول أن أجدكما حيث لا يمكن ولا يجوز أن توجدا أو تكونا أو يبحث عنكما . !

اغفرا لي، اغفرا لي . أتضرع إليكما أيها التفسير، أيها المنطق أن تغفرا لي حين أقول لعل من التفاسير لهذه القضية أي قضية تقبل النبي ورضاه بأن يكون هو في الفردوس تحت وفوق وبين أرداف الحوريات تدور عليه غريقاً كؤوس الولدان المخلدون حين يكون أبوه أو ابنه أو أقرب الناس إليه في الجحيم، ورضاه وتقبله بأن يعلن ذلك ويعلمه ويقراه ويفسره ويسوغه بل ويمجد به إلهه ونبوته ودينه وأخلاقه ورحمته . . !

نعم، حين أقول: لعل من تفاسير ذلك أنه يوجد اتفاق سري بين الأنبياء والمؤمنين

بالإله والإله يعالج أي هذا الاتفاق السري قضية آباء وأبناء وأقارب الأنبياء والمؤمنين الذين أعلن الحكم عليهم بأنهم سوف يكونون من سكان الجحيم . !

ولن يكون مستنكراً أو مستعبداً أو مستغرباً أن يتعامل الإله أو أنبيأؤه بالاتفاقات السرية . إن كل البشر يتعاملون بذلك . والبشر هم الذين علموا الإله وصاغوا فيه أخلاقه أو هو الذي علمهم وصاغ لهم وفيهم أخلاقهم من أخلاقه ومنطقه ورغباته هو . . إذن فالبشر لن يكونوا أخلاقياً ومنطقياً وعاطفياً ونفسياً غير الإله . انهم التفسير الأليم القبيح الفاجع لأخلاق الإله ومواهبه وأشواقه وطموحه ولكل تصوراته الفنية والشعرية والجمالية والإبداعية ولرغباته الدعائية والإعلانية الاستعراضية . !

وإذن فالإله لن يكون غير البشر أي بهذه التفسير . . !

إنهم هم الذين أرادوه وتصوروه وتمنوه وخلقوه وأعلنوه كذلك أو هو الذي أرادهم وأحبهم وعشقهم وتمناهم ونحتهم وصاغهم كذلك . ! . إنها لقضية لم يحكم فيها حتى اليوم حكماً ينهي الاختلاف : أيهما صاغ الآخر . . الإله أم الإنسان أم لا صاغ ولا مصوغ . . !

إذن فالبشر هم الإله أي هم صيغة الإله وتفسيره وتمنياته وعبقرياته فاعلاً لهم أو فاعلين له . !

إنهم ليسوا غيره وليس غيرهم مهما اختلفت أو تعددت الذوات والأسماء والأماكن . .

إن هذا هو الرأي المعروض والمقروء في الأسواق وفوق المنابر . أما الرأي الآخر فهو أنه لا فاعل ولا مفعول هنا . !

وهذا الاتفاق السري المفترض قد يفسر بعدد التفسير المحتملة كلها ولكن بلا يقين . نعم ، إن كل التفسير بلا يقين ويجب ألا تكون بيقين . !

إن الموقنين في تفسيرهم ليسوا إلا مصابين بالعجز عن حركة الرؤية والفكر والحوار .

. . قد يكون من هذه التفسير أن الإله قد تعهد وأقسم للأنبياء والمؤمنين بأن جميع أقاربهم وأصدقائهم وأحبائهم لا بد أن يكونوا معهم في الفردوس ، في أحضان الحوريات والغلمان ، وأن التعليم والإعلان بأنهم سوف يكونون من أهل الجحيم ليس إلا دعاية ووعظاً وزجراً وكذباً صالحاً . !

ما أتقى الإله وأنبله لو كان كذبه كذباً صالحاً. وهل يستطيع أي الإله أن يكذب ولو مرة واحدة كذباً صالحاً أو كريماً أو رحيماً أو شريفاً؟

إن كل كذب كل الأنذار الأشرار ليعد أتقى وأنبل وأشرف الكذب لو حوسب بكذب الإله بل أو بكذب أنبيائه وأوليائه. !
.. إن كذب الإله وأنبيائه وأعوانه هو الذي يعلم ويلهم كل كذب في العالم والكون. !

.. وقد يكون من التفاسير لهذا الاتفاق السري أن آباء وأبناء وأقرباء الأنبياء والأولياء والأتقياء الذين قيل إنهم سوف يكونون مخلدين في عذاب الجحيم لا بد أن ينقلوا فوراً من الجحيم أو قبل أن يصلوا إليه إلى الفردوس بوسائل وأساليب كثيرة بالاتفاق مع الإله ومع حراس الجحيم والفردوس ومع كل أجهزته وأعوانه. !
من هذه الأساليب والوسائل أن ينقلوا إلى الفردوس حين نقلهم إلى الجحيم مزعوماً أن ذلك قد وقع خطأ. ومن دخل الفردوس ولو خطأ لن يخرج منه!
وقد يكون من هذه الوسائل والأساليب أي المتفق عليها مع الإله أن يخطفوا خطفاً من الجحيم إلى الفردوس بتدبير وتخطيط من آبائهم وأبنائهم وأقربائهم الموجودين في الفردوس وبموافقة حراس الفردوس والجحيم إما بضمن أو تطوعاً ومحابة أو بانتظار الرشوة والمحابة كما يفعل كل المتخلفين والمخلوقين بأخلاق الإله ويديه وإرادته وتخطيطه وتصميمه. !

أو بالتسلل والافتحام والغزو أو بأية حيلة أخرى. !

إن جميع الموظفين قد يخونون وظائفهم فكيف موظفو الإله؟

.. وقد يكون من هذه التفاسير المتفق عليها بين الإله وأقرباء من زعم أنهم سوف يذهبون إلى الجحيم أن سكان الجحيم وحراسه سوف يرفضون أن يكون معهم في الجحيم هؤلاء أي آباء وأبناء وأقرباء الأنبياء والأولياء والأتقياء لأن أخلاقهم ومستوياتهم وعقولهم ومواهبهم أقل وأصغر وأضعف وأعجز من أن يستحقوا بها دخول الجحيم والخلود فيه. !

إن سكان الجحيم لتشرط فيهم أخلاق ومواهب لا تشرط ولا توجد في سكان الفردوس. إن المتمردين المتكبرين على الإله أي بعقولهم وأخلاقهم ورؤاهم ومحاسباتهم واشتراطاتهم الفنية والجمالية. . الصانعين له الغيظ والغضب باشتراطهم عليه وله بأن يكون فنياً ومنطقياً وأخلاقياً وعبقرياً أو حتى حرفياً وصناعياً جيداً،

وبإعلانهم أنهم عجزوا عن أن يجدوه شيئاً من ذلك إلى أن استحقوا التخليد في الجحيم صعب أن يوجدوا في بيوت وأقرباء ومجتمعات الأنبياء والمؤمنين المستحقين للخلود في الفردوس . آه . المتمردون المتكبرون على الإله بعقولهم ورؤاهم وأخلاقهم وشروطهم . . ما أقلهم ، أقلهم !

. . نعم ، إنه لصعب أن يوجد المستحقون للتخليد في الجحيم عقاباً لهم على تمرد عقولهم وعلى عنف وكثرة وصعوبة شروطهم العقلية والفنية والأخلاقية على الإله وله . !
نعم ، إنه لصعب أن يوجد هؤلاء في كل البيئات أو في أية بيئة فكم إذن يصعب أن يوجدوا في بيئة الأنبياء والأتقياء وبين أقاربهم ومن وحي وصنع بيوتهم ومجتمعاتهم ؟
إن هؤلاء يحتاجون إلى عالم آخر لكي يولدوا ويتخلقوا فيه . !

. . أما سكان الفردوس فما أرخص وأصغر وأسهل الثمن الذي جاء الأنبياء والمعلمون الكبار ليعلموه ويعلنوه ثمناً يرضاه ويفرح ويسعد به الإله ويجزي عليه بالتخليد في فردوسه . !

آه ما أبلد وأقسى وأفبح دلالات وتفاسير فرح وسعادة الإله . !

. . إن ثمن الجحيم لأعلى وأذكى وأتقى وأقسى من ثمن الفردوس أعني الثمن الذي يدفعه العقل والرؤية والبسالة والصدق والمحاكمة للأشياء والاشتراط عليها فنياً ومنطقياً وأخلاقياً وجمالياً . هل نستطيع التحديق من ضخامة الفرق أو أن نعني هذا الفرق بين الثمن الذي يدفعه أعظم عبقري لكي يستحق الجحيم والثمن الذي يدفعه أغبى وأصغر درويش لكي يستحق الفردوس !

إذن هل يوجد بل هل يتصور من يستحق العقاب العقلي والفني والمنطقي والأخلاقي والجمالي بل والعقاب الشعري والنفسي والعاطفي مثل من تصور وأراد وعشق وخطط ودبر وصاغ هذا الوجود . . مثل من أنشأ وأث الثمن الجحيم والفردوس وأعد لهما سكانهما مسحوراً مبهوراً عاشقاً مصلحاً لنفسه ومواهبه وأخلاقه . . لذكائه وعبقرياتها وجمالها وحكمتها ورحمتها وحبها وكرمها وإنسانيتها . . ؟ بأي منطق أو أخلاق أو عقل أو عدالة اختار هؤلاء للفردوس وهؤلاء للجحيم وهو المختار الأول المطلق ؟

. . إذن هل يمكن أو يوجد أو يتصور ضالون وجاهلون ومسيئون وهمج التصور والتمني والتفكير والأخلاق والعقول والقلوب مثل من تصوروا أو تمنوا أو اختلقوا مثل هذا الكائن أو احتلموا أو اغتلموا به أو بأي شيء فيه ومنه ؟

كيف أمكن أن يوجد عاشق أو محب لهذا الكائن أو محتلم به ؟

.. إنه لم يوجد ولن يوجد عشق ضال أعمى خائب خاسر مثل العشق المزعوم أو الموجود.. المعلمن الناطق أو المستتر الصامت بين الإنسان وصاحب هذا الكون أو المدعي والمعلم بأنه صاحب وعاشق وغازل وناسج هذا الكون..!

إنه لن يوجد عشق نقيض ورفض وتحقير لكل عشق مثل هذا العشق..

هل يوجد حب وإعجاب هما ضد كل الحب والإعجاب وضد كل تفاسيرها بل وقتل لهما مثل الحب والإعجاب المزعومين بين الإنسان والمسؤول عن هذا الوجود وعن كل شيء.. بين الإنسان وبين مريد ومدبر ومخطط وفاعل وصانع ولادة الإنسان وذاته ومسيرته وشيخوخته وآلامه وأحزانه وأحقاده وعداواته وخصوماته وعاهاته ومجاعاته وضروراته وضعفه وهوانه وهزائمه وانفعالاته وأعضائه وموته، ثم تقسيمه له بين جحيمه وفردوسه بلا أي منطق أو تفسير غير إرادته وشهوته وخبطته في الظلام بلا أي رؤية أو دليل أو هدف معروف أو محتمل..؟!

هل يوجد سلام أو معانقة أو مصادقة فيها كل تفاسير ونيات وحالات ومنطق ومعاني كل الحرب والمشاتمة والمقاومة والمخاصمة مثل السلام والمعانقة والمصادقة المعلنه والمعلمة بين الإنسان بل وكل شيء وبين مريد ومدبر وصانع هذا الوجود؟

هل وجد أو هل يمكن أن يوجد كذب مثل الكذب المتبادل والمتعامل أو المتخاطب به بين الإنسان وصاحب هذا الكون؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد عاشق ومحب ومادح ممجّد عابد لنقيضه ومعذبه وفاضحه ومحقره ومذله بل ولعدوه مثل الإنسان في تعامله مع من زعمه إلهه؟ أليس كل أعداء الإنسان إنما ولدتهم وصاغتهم أخلاق وعداوات وشهوات هذا الإله؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد محقر ومفسد لكل معاني الصداقة والحب وتفاسيرهما مثل الإنسان حينما زعم أنه محب صديق للإله أي لفاعل هذا الكون، وأن الإله أي فاعل هذا الكون هو أعظم وأنبل وأصدق محب وصديق له لكل أحد وشيء حتى للحشرات حتى لمن أراد وأحب لهم وأوقع بهم بدءاً وقصداً وشهوة كل العذاب والهوان والتشويه والتعجيز، أو مثل الإله حينما زعم وأعلن أنه لم يوجد الإنسان أو أي شيء إلاّ لأنه محب صديق لكل أحد ولكل شيء؟

.. إنها لن توجد حرب أو مقاومة أو عداوة أصدق أو أعدل أو أنقى أو أذكى منطقية أو أخلاقية أو إنسانية من الحرب أو العداوة أو المقاومة التي كان يجب أن يوجهها الإنسان بل والذباب والصرصار والبرغوث وكل شيء إلى المسؤول عن أخلاق

ومنطق ووجود هذا الوجود وكل وجود أي لو وجدت هذه الحرب والعداوة والمقاومة التي كان يجب أن تكون أشمل الحروب بل كل الحروب . .

ولكن أليست كل حياة الإنسان . . كل إبداعاته وحضاراته وقفزاته العلمية والفكرية والفعلية هي حرباً شاملة ضد الإله . . ضد حكمته ورحمته وتدبيره وتخطيطه وإرادته وفنه؟ إذن أليس الإنسان أعظم محارب للإله مهما جهل ذلك؟

. . والآن بعد هذه الرحلة الطويلة الأليمة البائسة بحثاً عن التفسير المحابية للإله ولأنبيائه وللمتحدثين المبلغين عنه ألا يمكن أن تفسر هذه القضية تفسيراً يثبت أن هنا قضية تضليل وكذب يصعب أن يوجد لها مثل أو أن ينفي على أية قضية أو شيء مثلما أنفق عليها أو مثل ما لا يزال ينفي عليها؟ إن أفجع ما في حياة الإنسان: إنه لا يجد حدوداً أو علامات تفصل له بين الصدق والكذب أو بين الهدى والغواية!

. . آه. إن البشر قد أنفقوا ولا يزالون ينفقون من عقولهم ونضالهم واهتماماتهم وانفعالاتهم وأوقاتهم بل وحروبهم وعداوتهم ومحاوراتهم ودعاياتهم على إفساد وتضليل وخداع العقول والرؤى والأخلاق والنفوس والعلاقات بين الشعوب والأفراد، بل وبين الحياة والتاريخ، وبين التاريخ والإنسان، وبين التاريخ أكثر مما أنفقوا على تصحيح وإصلاح وإرشاد ومداواة ورفض ومقاومة ذلك بل أكثر مما أنفقوا على أي شيء. . . أكثر مما أنفقوا على رحلتهم الحضارية والعلمية الطويلة، التي سعدت بهم فوق القمر.!. لقد خسروا في الإنفاق على نبي أو دجال أو درويش واحد أكثر مما خسروا في الإنفاق على نضالهم الذي قفز بهم إلى القمر.!

. . لقد أنفقوا على كذبة أو خدعة واحدة شهيرة كبيرة مما أنفقوا على كل الصدق. لقد أنفقوا على ما يصنع ويضخم ويحرض ويرسخ العداوات والخصومات بينهم أكثر جداً مما أنفقوا على ما يصنع لهم وبينهم وفيهم المحبة والصداقة والسلام والثقة.!

لقد أنفقوا على تعجيز عيونهم عن الرؤية الصحيحة الصادقة الشجاعة أكثر مما أنفقوا على علاج عيون من فقدوا عيونهم.!

لقد أنفقوا على نبي واحد جاء ليعلمهم الحقد والعداوة والبغضاء والبداءة والتعصب والأمية وليحدثهم عن الجحيم والزبانية والأبالسة والجن المختبئين في غرف نومهم وفوق سررهم وفي ملابسهم الداخلية وفي عيون وأحلام أطفالهم.

- نعم، لقد أنفقوا على هذا النبي الواحد من الحب والاهتمام والاتباع والإيمان والغيرة والتمجيد ومن تكاليف التحدث عنه والتفسير له والإعلان عن مزاياه ومعجزاته

وخوارقه وتعليمها وحفظها وقراءتها ونشرها وعن عدد زوجاته وجواريه وعن عدد شعرات لحيته وشواربه ولونها وكثافتها أكثر جداً مما أنفقوا على جميع عباقرتهم الذين صنعوا لهم كل حياتهم الجيدة السخية وكل حضاراتهم ومعارفهم . . الذين صنعوا لهم كل شيء حتى حواسهم ، حتى عيونهم وآذانهم وقلوبهم وعقولهم وكل أعضائهم ، والذين علموهم الحب والتسامح والعدل والمساواة وكل القيم الأخلاقية والحضارية والإنسانية حتى القيم اللغوية التعبيرية . . الذين علموهم أن الإنسان يصنع ويتعلم وبحكم في الأرض لا في السماء !

لقد أنفقوا على الإله تعبدًا وصلاة وإيمانًا وتعليمًا وخوفًا ورجاء وانتظاراً وحروباً ومعابد ومصاحف ودعاية ووعظاً وزجراً وكذباً وخداعاً وتخويفاً وتكذيباً وبلهياً في فترة واحدة قصيرة من فترات التاريخ أكثر مما أنفقوا في كل فترات التاريخ على ضحايا أي على ضحايا الإله لإنقاذهم أو للتخفيف عنهم من الأمراض والعاهات والآلام والنقائص الهائلة الشاملة التي أوقعها بهم . . !

. . إن البشر لم يسرفوا في إنفاق معانيهم وأخلاقهم وطاقتهم على شيء مثلما أسرفوا في إنفاقها على الكذب والجهالات والغوايات والعناد والتعاليم غير الرائعة أو السعيدة أو حتى المثيرة أو المحترمة أو المتوقرة أو المؤدبة المهذبة الصانعة للأحقاد والعداوات التاريخية الخالدة المقدسة !

. . أليس في نضال ووظيفة كل نبي وطاقية ومعلم ودين ومذهب ونظام أن يسحب من العقول والقلوب والضمائر والعيون والأخلاق كل تقواها وصدقها وبرائها ورؤيتها وبسالتها وحرارتها وذكائها لتفقد كل وظائفها الطبيعية المنتظرة لكي يكون الإنسان وكل شيء تفسيراً للنبي أو للطاغية أو للمعلم أو للمذهب أو للدين أو للنظام وعلى مقاسه لا تفسيراً لنفسه ولا على مقاسها . كم فَقَدَ البشر من ذكاء وصدق وصفاء وحب ونضال وعقولهم وأخلاقهم ونفوسهم لتعدد واختلاف وتعادي أربابهم وأنبيائهم ومعلميهم وطغاتهم؟

. . إن أبشع وأشهر وأشمل وأوقح اللصوص لعقل الإنسان وذكائه وأخلاقه وبراءته وصفائه وحبه وصدقته وغيوره وضميره هم الأنبياء والمعلمون والقادة والرؤساء والأديان والمذاهب والنظم في كل المجتمعات والأزمات مع التفاوت في الدرجات !

هل لهؤلاء أو لهذه وظيفة غير سرقة معاني الإنسان وتشويهها والاعتداء عليها؟ لقد سرق نبي واحد من معاني الإنسان ونضاله وطاقاته الفكرية والأخلاقية والنفسية بل

والمادية والمالية ما لا يستطيع جميع اللصوص في كل التاريخ أن يسرقوه أو يسرقوا ما يساويه . !

ليت الإنسان بلا آلهة أو أنبياء أو زعماء أو قادة . إذن لقل وهان لصوصه وأعداؤه . !

. . أعود مرهقاً ومشحوناً بالألم والانفجاع والغثيان النفسي والفكري والأخلاقي مما ألاقني في رحلتي هذه ، مما لاقيت ومما لا بد أن ألاقني لأقول : ألا يمكن أن يكون تفسير هذه القضية أن الأنبياء وجميع المبلغين عن الإله كانوا يقولون ويعلمون ما يعرفون أنه كذب وخداع إما بالاتفاق مع الإله أو بالاتفاق مع أنفسهم لغرض أو هدف أو نفع تصوره أو تمنوه أو استبد بهم أي في هذه القضية ؟ آه . أيها الكذب والخداع ما أجملكما وأنبلكما وأتقاكم محاسبين بالبديل الآخر أي أحياناً . !

نعم ، ألا يمكن أنهم كانوا يعلمون أنه لا وجود للفردوس أو للجحيم وأنه لن يكون لهما وجود ، وأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا أو يعقلوا أو يقبلوا أن يكون وجود لقبح وفضاعة واستحالة ذلك ؟

لهذا قبلوا أن يتحدثوا عنهما وأن يعدوا ويتوعدوا بهما ، وأن يقولوا ويُقال لهم وعنهم أنهم هم سوف يكونون من أصحاب الفردوس وأن يكون أهلهم وأقربوهم من أصحاب الجحيم دون أن يحزنوا أو يقاوموا أو يرفضوا أو يفجعوا أو يغضبوا أو يخجلوا من أن ينظروا سكارى فوق أرداف الحوريات وأقربوهم يحترقون في الجحيم ؟

أليس تفسيرهم بالكذب هنا أفضل وأتقى وأقل إيذاء لهم من تفسيرهم بالفظاظة والوقاحة والنذالة بل والسفالة ؟ أليس الكذب نوعاً من الحب أو الرحمة أو الرثاء أو التمني أو الاحتجاج أو التوقر جاء بأسلوب آخر ؟

. . إنه حتماً شيء جيد جداً أن يكون القائل أو المعلم كاذباً إذا كان البديل أن يكون الفردوس والجحيم موجودين كما وصنا أو أن يكون معتقداً وراضياً بوجودهما مبشراً بهما سعيداً فرحاً مطالباً بأن يكون من سكون أحدهما . . إذا كان البديل عن الكذب أن يكون هو أي المعلم والقائل من أهل الفردوس ويكون أبوه أو أمه أو ابنه أو أقرب أقرائه من أهل الجحيم . !

. . وإنه أيضاً شيء جيد جداً أن يكون الإله كاذباً وكذباً ويكون المتحدثون عنه كاذبين إذا كان البديل أن يكون أي الإله هو المريد والمخطط والمدبر والمحِب والفاعل

لكل ما في الحياة والكون والإنسان والحيوانات والحشرات البريئة من عاهات وتشوهات وآلام وهوان وعبت وظلم وضياح، معلناً ومعلنًا عنه أن هذا هو الأفضل والأنفع والأبقى والأعقل والأرحم والأذكى والأشرف والأكرم للإله ولمن فعل به الإله كل ذلك، وإنه أي الإله لا يعرف أو يستطيع أية صيغة أخرى للحياة أو لأي شيء هي خير من ذلك أو أكثر عبقرية أو جمالاً أو إسعاداً مما حدث وفعل.

هل يستطيع أي مؤمن أن يقول إنه يستطيع ويعرف غير ذلك دون أن يقول: إذن لماذا لم بفعل ذلك الذي يستطيعه ويعرفه؟

. . كم هو هجاء للإله والأنبياء أن يكونوا صدقاً وصادقين فيما قالوا وعلموا ووعدوا وتوعدوا. كم هو إهانة لهم.!

وكم هو دفاع عنهم وتنزيه لهم بل ورفق بهم أن يكونوا كاذبين وكذباً. . أي أن يقال إنهم كاذبون وكذب.!

إنه لو كان كل الكذب رديئاً وذمياً لكان كذب الإله والأنبياء في كل ما قالوه هو الجيد الحميد.!

. . الإله في كل ما هو حادث وفي كل ما سوف يحدث قد أراد وأحب وفعل كل ما يستطيع ويعرف وكل ما يراه كل الحكمة والرحمة والخير والمنطق والحب والجمال. . هل يمكن تصور ذم أو تحقير له أي للإله أو لأي كائن مثل هذا الذم والتحقير؟. إنه يعرف ويستطيع ما هو أذكى وأفضل. إذن لماذا لم يفعله؟

إنه إذن لا يعرف ولا يستطيع.!. هل يوجد تفسير آخر؟

. . كيف لم يدرك هذا الأنبياء والمعلمون والمؤمنون؟

هل يوجد غباء يساوي غباء من لا يدركون ذلك؟

هل يصاب الأنبياء والمؤمنون بالإله بنوع فريد من الغباء لا يصاب به سواهم؟

. . إن أي عبقري أو ساذج، تقي أو فاجر لو رأى أو وجد أو عرف قادراً كل القدرة يريد ويخطط ويصنع هذا الكون كما أراده وخططه وصنعه الإله أي كما نراه ونعرفه ونجده ونقاسيه لما وجد أي سلاح يكفي لقتله به ولا أي عقاب أو عذاب يكفي لعقابه وتعذيبه به أي لقتل الإله وعقابه وتعذيبه به؟

هل تستطيع كل الأسلحة وكل وسائل وأساليب التعذيب أن تكون كافية عقاباً وجزاء لمن فعل هذا الكون وكل ما فيه من أخطاء وخطايا ومظالم وذنوب وبلادات وعاهات

وتشوهات وفضائح وهوان وعار وعصيان وخبط أعمى، أعمى . . لمن فعل كل ذلك ويفعله مريداً مدبراً مخططاً محبباً عاشقاً لكل ذلك زاعماً أنه يصنع كل الجمال وفنون الابداع والعبقرية والحب والرحمة والحكمة، مطالباً بالثمن ممن فعل بهم ولهم وفيهم كل ذلك، وملزماً بكبرياء وتدلل بأن يكون الثمن بل بعض الثمن كل ما فيهم . . كل عقولهم وقلوبهم وأخلاقهم وضمائرهم بل وعيونهم وآذانهم وأعضائهم وجبهاتهم وقاماتهم مصلية راکعة ساجدة مؤمنة لمجده مستسلمة باكية أي بأن يفقأ كل عيونهم وعقولهم وضمائرهم وقلوبهم ويصلب كل قاماتهم وهاماتهم وأعضائهم وأخلاقهم صلاة وتعبداً واستسلاماً له وإيماناً به؟

. . إذن هل تستطيع كل الأسلحة وكل أساليب ووسائل التعذيب أن تكفي عقاباً عادلاً للإله واقتصاصاً منه وتأديباً له أي لو وجد المحاكمون المعاقبون؟ وهل يوجدون؟ ومتى يوجدون؟ وأين ومن أين يوجدون إن كانوا سوف أو قد يوجدون؟

وكيف لم يوجدوا؟ لماذا لم يوجدوا؟ كيف أمكن ألا يوجدوا؟

إنه لا يمكن تصور مثل غفلة وبلادة وعجز وهوان هذا الكون ومن فيه من بشر وكائنات أخرى حيث لم يوجد فيه حتى اليوم من يحاكم ويعاقب فاعله وصائغته ومخططه والجالس فوقه بكل البله وبكل الفرخ السخيف البليد النذل يوزع على كل من فيه وما فيه العاهات والتشوهات والأمراض والآلام وكل صيغ وألوان العجز والهوان والأحزان والعار والافتضاح . . !

. . كائن يظل كل أوقاته يوزع على كل شيء وكل أحد كل هذه الضربات والأنات والآهات بلا حساب أو استحقاق أو توقف أو حتى رؤية أو تعب. يفعل ذلك بكل المرح والفرح والرضا . !

. . هل تعرفون هذا الكائن؟ هل تقبلون أن تعرفوه؟

. . إن كل سكان هذا العالم بل سكان هذا الكون وجميع الأكوان الأخرى لو تحولوا إلى محاكمين وقضاة ومعاقبين لما استطاعوا أن يكفوا ليحاكموا وقاضوا ويعاقبوا مريد ومخطط وفاعل هذا الوجود على ما فعل بل على شيء أو أي شيء مما فعل ويفعل كل أوقاته بلا تراجع أو وقار أو إشفاق أو تقوى . !

إنني لا أزال أبحث عن تفاسير لهذه القضية أعني تقبل الأنبياء والمؤمنين لأن يكونوا في الفردوس ويكون الأقربون إليهم في الجحيم . !

لعلي مريض جداً بالبحث عن التفاسير لأنني مريض بالبحث عن منطق الأشياء

وبمساءلتها وبالمساءلة عنها، عن أخلاقها وحوافزها وأهدافها ولماذا هي وهل هي هي أم هي غيرها. !

إني مريض بالاشتراط على الأشياء ولها. !

وهل يوجد عذاب كعذاب المريض بهذا المرض المتوحش الذي لا علاج ولا طبيب ولا شفاء له أعني مرض البحث عن التفاسير وعن المنطق والحافز والهدف في كل شيء ولكل شيء مرض التساؤل الدائم الشامل الساخن حيث لا جواب ولا يحتمل أن يكون جواب. ؟

لماذا مرضت بهذا المرض؟ لماذا لا أجد مثلي مرضى بهذا المرض؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد مرض واحد معين قبيح وقح لا يستطيع أو يجزؤ أن يصيب إلا إنساناً أو كائناً واحداً؟

هل يعرف العلم مثل هذا المرض الوقح القبيح؟ هل عرفه أو قد يعرفه؟

إن التساؤل أو السؤال أو البحث عن الجواب ليس شيئاً في أي شيء ولكنه مرض أو حالة أو عذاب أو شذوذ في السائل والمتسائل. .

إنه مرض أو عذاب أو شذوذ نادر، نادر ولكنه قاس بقدر ما هو نادر أو قاس لأنه نادر. .

لعل قسوته تعويض عن ندرته. !

إن أي شيء في هذا الوجود لن يتحول إلى سائل أو مسؤول أو سؤال أو مسؤول عنه لأنه لن يتحول إلى مجيب أو جواب أو مجاب عنه أي مهما وجد من يفترض أن كل شيء هو كل ذلك ويتحدث عنه وكأنه كل ذلك أي كل السؤال والجواب والتفسير. !

. . إن أي شيء لن يوجد أو يبقى لو كان محكوماً بالسؤال والجواب وبالتفاسير.

إن كل الوجود قد وجد قبل أن يصبح سؤالاً أو جواباً أو تفسيراً وقبل أن يعرف شيئاً من ذلك. !

. . ماذا لو أن الإله كان خاضعاً للسؤال والجواب ومحكوماً بهما؟

. . ماذا لو أنه سأل نفسه عن وجوده وعن أية صفة أو معنى من صفات ومعاني

وجوده؟

. . ماذا لو أنه رفض أن يوجد أو يبقى أو يظل إلهاً أو يفعل أي شيء إلا إذا سأل

عن ذلك والتزم بأن يكون له جواب وتفسير وبأن يرضى عن الجواب والتفسير؟

.. ماذا لو أن أي شيء أو أحد غير الإله فعل ذلك والتزم به؟

هل كان محتملاً أن يوجد أي شيء لو كان ذلك كذلك؟

.. إن السؤال والجواب عن مبدأ الشيء أو عن فكرته أو منطقته أو تفسيره أو هدفه ليسا إلا تعبيراً عن لغة وحالة وضيق من عجزوا عن أن يتقبلوا أو يرفضوا، عن أن يتلاءموا أو يتركوا ويفارقوا، عن أن يفهموا أو يعلنوا عجزهم عن الفهم. إن السؤال والجواب حالة في السائل والمجيب ومتقبل الجواب، وليس شيئاً في المسؤول المجاب عنه.

.. إنه لا تفسير لوجود أي كائن مهما زعمت كل التفاسير لوجود قدميه أو جناحيه أو عينيه أو أمعائه أو لاستفراغاته وإفرازاته المختلفة في قبحها أو عفونتها. !
.. إنه لا تفسير لوجود الكائن الذي يجوع فيأكل فيتحول إلى مختزن ومفرز فضلات مهما زعمت أفضل وأذكى التفاسير لوجود الطعام. !

إنه لا تفسير لوجود الداء مهما وجدت أتقى وأرحم التفاسير لوجود الدواء والمداوي. ! إنه لا تفسير لوجود حامل السلاح ومستعمله مهما وجدت التفاسير لوجود السلاح ولا استعماله. !

إنه لا تفسير لوجود الموتى ومن يموتون مهما وجدت التفاسير لوجود المقابر. !

إنه لا تفسير لوجود الحياة مهما وجدت كل التفاسير لوجود الموت. !

.. إنه لا تفسير لوجود الميت مهما وجدت كل التفاسير لوجود الدفن. !

.. إنه لا تفسير لوجود الوالد مهما وجدت كل التفاسير لوجود التوالد والأولاد. .
إنه لا تفسير لأن تلد أو لأن تريد أن تلد مهما وجدت التفاسير للتزامك وارتباطك واهتمامك بمن تلد. !

.. إنه لا تفسير لوجود الموجد أو الموجود الأول مهما وجدت كل التفاسير لضياعه وعذابه وحيرته ولحماقاته وهزائمه وعاره وتفاهاته وفضائحه المحتومة. !

.. إنه لا تفسير لوجود الإله حتى ولو وجدت كل التفاسير لوجود كل شيء وأي شيء. . إنه لا تفسير لأن يختار ويحب الإله أن يكون إلهاً ويطلب بأن يمدح ويعبد ويبقى مهما وجدت كل التفاسير لكل الحماقات والآلام والجنون. !

.. إنه إذن لا سؤال ولا جواب لأنه لا تفسير. .

.. لأنه لو وجد تفسير ومنطق وعقل لكل شيء لما وجد أي تفسير أو منطق أو عقل للتفسير والمنطق والعقل.!

إن المنطق والعقل والتفسير منطق وعقل وتفسير لما ليس كذلك.!

.. إن منطق وعقل وتفسير كل شيء وأي شيء هو وجوده وصيغته وضروراته وقوانينه الذاتية الآلية زعمت منطقاً وعقلاً وتفسيراً بل زعمت إلهاً بل آلهة.!

إن الإله لا يساوي أو يعني في كل تفاسيره معانيه إلاً تفسير ما لا تفسير له أو محاولة تفسير ما لا تفسير له وإلاً منطق ما لا منطق له أو فيه.!

لقد وجدنا الإله ورأيناه لأننا وجدنا ورأينا لوجود الذباب والعاهة والوباء والمريض والموت والقبح تفسيراً ومنطقاً.

لقد وجدنا لوجود الإله تفسيراً لأننا وجدنا الوجود كل قبح وألم وجنون تفسيراً.!

.. إننا لو لم نجد كل التفسير والمنطق وأذكاهما في وجود الذباب والبرغوث والقبح والتشوه والشيخوخة والعجز والموت لما وجدنا الإله. أنت مؤمن بالإله.

إذن أنت مؤمن أو يجب أو لا بد أن تكون مؤمناً بأن الذباب الذي يطارد ويهاجم عينيك هو أجمل منطق الإله وتفاسيره.!

.. إن من لم يجد في كل حشرة وعاهة وقبح وعبث وألم وظلم وخراب أذكى وأحكم وأنبى وأرحم التفاسير والمنطق فلن يجد الإله.!

إذن فالإيمان بالإله مشروط بأن يرى في كل شيء أذكى وأنبى وأرحم وأحكم وأعقل كل التفاسير والمنطق. إن من رأى في أي شيء أي خروج على العقل أو المنطق أو الفن أو الجمال أو التفاسير فلن يكون مؤمناً بالإله.!

.. وإذن فالإيمان بالإله يعني أن كل ما يحدث ويصيب ويؤذي ويفجع ويدمر ويصنع الغثيان والافتضاح والعار بل والانتحار هو أعلى وأسمى وأتقى ما يتصوره من جمال وعبقريّة وحب ورحمة وفن ومنطق وتفسير معجزة لكل العقول.!

إن من قال اشمئز من الذباب إنما يقول اشمئز من منطق وأخلاق وموهبة خالقة.!

.. آه أيها الذباب. .. أيها الصديق للإله. أيها الذباب العبقريّ الفدائي في توضحه في تدليله على وجود الإله وعلى جماله ونظافته وعلى توضحه واغتساله من كل أحوال. .. طن أيها الذباب كثيراً ولوث كثيراً وهاجم العيون والأنوف والوجوه والموائد وكل

شيء . . افعل كل ذلك أيها الذباب كثيراً، كثيراً ليكون تدليلك على وجود الإله وعلى عظمة كل عبقرياته وأخلاقه ومعانيه وتفسيره قوياً، قوياً . !

ليكن طنينك عالياً، عالياً لكي يكون مجد الإله عالياً، عالياً . .

ليكون الصوت المعلن عن الإله، عن وجوده وجماله وعبقريته عالياً، عالياً . !

. . أيها الذباب، أيها الجندي الممتاز في جنود الإله، أيها المعلن بكل الديمومة والجرأة والصراحة عن أخلاق وفنون الإله وعن حبه للجمال والنظافة . !

افعل أيها الذباب كل ذلك بكل الوقاحة والوحشية والقبح . .

أفعله أكثر وأوقح وأقسى بالأطفال والشيخوخ والعاجزين والعميان والمرضى لكي يتعاضم تعبيرك وإعلانك عن تفسير الإله ومعانيه . إنها كلما تتعاضم وقاحتك أيها الذباب يتعاضم تعبيرك وإعلانك عن مجد الإله ويتعاضم تدليلك على وجوده ودعائتك له . !

ولن يخفى عليك أيها الذباب، أيها المجد الإلهي إنك لا تكون متألقاً وقوياً إلاً حيث يكون المجتمع الذي تعيش فيه متألقاً وقوياً، وإنه كلما وجد مثل هذا المجتمع كان لك فيه ولا بد كل القوة والسلطة والحظوة والفرح والتكاثر السعيد، وإنك تهون وتضعف كلما ضعف أو فقد إيمان المجتمع الذي تعيش . إقرأ أيها الذباب كل التاريخ وحق في كل عالم اليوم إن كنت محتاجاً إلى مزيد من معرفة هذه الحقيقة . !

. . وهل تخفى عليك دلالة ذلك؟ أليست إحدى دلالات ذلك أنك من أقوى وأنجح الدعاة إلى الإيمان بالإله وإلاً فكيف حدث أنك كلما وجدت قوياً متكاثراً متسلطاً وجد الإيمان واستقوى، وكلما فقدت أو هنت فقد أو هان الإيمان، وكلما فقد أو هان الإيمان في أي زمان أو مكان أيها الذباب فقدت وهنت؟

إذن أيها الذباب، يا أذكى وأتقى وأقوى الدعاة على الاقتناع بمجد الإله غن ولوث وتلوث وتوقع وهاجم وتكاثر في كل المجتمعات لكي تصنع له المجد والإيمان في كل أكوانه أي لكي تصنع كل مجد الإيمان لإلهك الذي اختارك صانعاً لمجده وداعياً إلى الإيمان به . . لقد أرادك لتكون أقوى وأذكى وأتقى دعائه فحقق له أمله ورغبته فيك وثقته بك وحامل تضرعه واحتياجه والتجاءه إليكودموه بين يديك . !

. . ففكر أيها الذباب الهائل الحظوظ . لقد هبط الإله بكل صيغ وتفسير المسكنة إليك . . هبط بفكره وتدبيره وتخطيطه وإرادته وصياغته لك راجياً ومؤملاً أن تكون أقوى وأذكى وأتقى براهين الإقناع والتعريف والإيمان به عالمياً بل وكونياً بل أقوى وأتقى وأذكى أنبيائه في ذلك . . ! . لقد أراد أن تكون أحد أنبيائه بطنينك لا بكتابك المنزل . . !

.. إن عليك أن تعرف لولا تأميلة ورجاؤه هذا فيك ومنك لما هبط إليك مدبراً ومخططاً ومريداً أو محبباً عاشقاً خالقاً. لماذا يفعل لك وبك هذا لولا هذا الرجاء والتأمل؟ هل يمكن أن يكون الإله قد قاسى في إرادتك وخلقك بلا تفسير؟

وهل يمكن أن يوجد تفسير لذلك غير هذا؟

.. إذن كم يجب عليك أن تكون عند حسن ظنه بك.. أن تحقق رجاءه وأمله فيك ومنك؟.. الإله يرجوك ويؤمل فيك أيها الذباب. إذن كم يجب عليك أن تقاسي لكي تحقق رجاءه وأمله؟

.. إن عليك أيها الذباب أن تجعل طينتك أقوى وأذكى إقناعاً وإعجاباً وإيماناً به من أصوات جميع المؤذنين وجميع المصوتين بكتبه المنزلة.. لقد أراذك كذلك فهل تريد أو تهين إرادته؟.

كم يجب عليك أيها الذباب أن تكون مطيعاً للإله ومحققاً لآماله ورجائه بطينتك وتلوئك وتلوئك وتكاثرك ووقاحتك وتساقطك على كل شيء وكل أحد أكثر وأصدق مما فعل له كل الأنبياء والدعاة بكتبهم المنزلة وبعظاتهم وصلواتهم ودعواتهم ودعاياتهم وقرائاتهم ولعناتهم وبأذانهم من فوق كل مناراتهم ومنابرهم؟

أليس طينتك أيها الذباب أقوى وأذكى وأصدق تفسيراً للإله من جميع النبوات والتعاليم؟

.. أليس الإله قد أمان أخلاقه ومواهبه الفنية والجمالية حينما أراذك وخلقك أي في ما يقال ويظن أكثر مما أهانها حينما أراد وخلق وأرسل الأنبياء والدعاة أي في ما يُقال ويظن؟

لماذا أوقع الإله هذه الإهانة الرهيبة بنفسه..؟

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير أو منطق غير أنه أي الإله قد كان أمله ورجاؤه فيك ومنك أيها الذباب أعظم من أمله ورجائه في كل أنبيائه ودعائه؟

أليس هذا هو أحد التفاسير لأن جعلك أكثر وأقوى وأعنف إثارة وكيونة في كل بيت ومكان من جميع أنبيائه ودعائه؟

.. لماذا أيها الذباب أراذك وحباك الإله أكثر مما أراد وحابى أنبيائه ودعائه فجعل أعدادك أكثر من أعدادهم، وجعل مجدك وتسلكك وسلطانك وانتصارك أقوى وأدوم وأظهر من مجدهم وسلطانهم وتسلكهم وانتصارهم وجعل قدرتك على الهجوم والتسلل والاقترحام والبقاء أعظم من قدرتهم؟

هل يمكن أن يكون لهذا تفسير مقبول أو معقول أو مغفور أو حتى محتمل غير أنه يؤمل وينتظر ويتوقع ويريد ويحب منك أكثر مما يريد وينتظر ويؤمل ويتوقع ويحب من جميع الأنبياء والدعاة؟ أليست نبوتك عن الإله أيها الذباب في حساب الإله أقوى وأنفع من نبوات جميع الأنبياء في صدق كل تفاسيرها ونياتها. . أليس الإله حكيمًا وذكياً وعاقلاً ومنطقياً وعادلاً ومدبراً في كل ما يريد ويفعل؟

وهنا لا بدّ أن يأتي هذا السؤال : لماذا أرادك الإله وخلقك وسلطك وأعطاك من القوة والانتصار والانتشار أكثر مما فعل لأنبيائه ودعائه المتلقين والحاملين والقارئين والمعلمين لكتبه المقدسة؟

. . هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير أن أمله ورجاءه فيك وانتظاره منك أكبر وأقوى من أمله ورجائه فيهم وانتظاره منهم؟

حاول أن تجد تفسيراً لهذا غير هذا التفسير، حاول. . !

. . إنك لن تجد تفسيراً غير هذا التفسير إلا أن تتهم الإله بأنه ليس منطقياً ولا أخلاقياً ولا ذكياً أو عاقلاً في أي شيء من تصوراته أو إرادته أو تخطيطاته أو شهوراته أو أفعاله أو ضرباته أو مصافحاته. . ! ولكن هل تجرؤ أو يمكن أن يوجد من يجرؤ على تبرئة الإله من هذا الاتهام بكل قسوته وشموله؟

هل يستطيع أو يجرؤ أي كائن في هذا الكون أي أية حشرة أو عاهة أو تشوه أو مرض أو موت أو شيخوخة أو طوفان أو زلزال أو إعصار أو شمس أو قمر أو جمال أو دمامة أو قوة أو ضعف أو انتصار أو انهزام ألا يتهكم كل هذا الاتهام؟

. . ولأنني مريض بالبحث عن التفاسير وبالمطالبة بأن يكون لكل شيء منطق وتفسير فإني لا أزال أبحث عن أي تفسير لهذه القضية أعني تقبل الأنبياء وكل المؤمنين لأن يضعهم الإله في حجور حوريات وغللمان الفردوس، ويضع أقرب الأقربين إليهم في عذاب الجحيم تحت حراسة ووحشية الزبانية والملائكة الغلاظ الشداد الذين كل اهتماماتهم ووظائفهم أن يصنعوا العذاب ويحرسوه وينفذوه ويبتكروا أجهزته ويشغلوها. !

. . إنني أبحث عن أي تفسير لهذه القضية حتى لأحزن وأرثي لنفسي من افتضاحي، من عنف إصراري على البحث عن أي تفسير لذلك. . . هل يوجد مفتضح مثل من يصر على أن يجد لكل شيء أو لأي شيء منطقاً وتفسيراً؟ . .

.. إني لأبحث عن هذا التفسير في كل شيء حتى إني لأبحث عنه في عيون وأخلاق ومنطق وأصوات وحياة الحشرات !

.. إني لأبحث عنه حتى في أخلاق ونزوات وتعاليم الآلهة والأنبياء !

.. والمؤمن لن يأبى عليه إيمانه أن يبحث عن أخلاق ومنطق وشهامة وعواطف الإله وأنبيائه وعباده المؤمنين به في عيون وأخلاق ومنطق وحياة وأصوات الحشرات . بل إن إيمانه ليفرض عليه ذلك .! . إن إيمان المؤمن ليفرض عليه أن يرى كل قبح وألم وظلم وسخف هو الله وأنبيأؤه جاءوا بصيغ وأجساد أخرى !

.. أليس يقول ويعتقد أن منطق الإله وحكمته وعبقريته وأخلاقه بكل مستوياتها وتفسيرها هي التي صاغت وأبدعت بكل الكبرياء والإعجاب والفرح كل صيغ الحشرات ومعانيها وتفسيرها وأخلاقها ؟ أليس الأنبياء والمؤمنون يقولون ويعلمون ويعتقدون ويعلمون ذلك ؟ ولكن هل يجوز أو يمكن أن يفسر أو يحاكم أو يحاسب أو يضبط قول الأنبياء والمؤمنين أو رؤاهم أو اعتقاداتهم وتعاليمهم بأي منطق وتفسير ؟ .. في تطوافي اليأس الضائع بحثاً عن أي تفسير لذلك قال لي يأسى وإصراري وتعبي :

ألا يمكن أن يكون التفسير أن الأنبياء والمؤمنين يرون بل يعلمون أن الإله لا يلتزم بوعيده كما لا يفى بوعده . ؟

أليسوا قد جربوه وقرأوه وفسروه وانتظروه طويلاً ، طويلاً فلم يجدوه قد وفى بأي وعد من وعوده الجميلة السخية بل من وعوده التي هي ليست وعوداً متفضلة بل هي وظائف وواجبات من أولى وأوجب واجبات الإله ووظائفه بكونه ولكونه إلهاً وموظفاً ؟ وكم هو فاجع ألا يعلم الإله أن كل ما يفعل من أعمال طيبة أي إن وجدت هو واجب عليه لا يستحق الشكر ؟

.. إن أعمال الإله الجيدة السخية لو وجد في ما يفعله ويدبره ويخططه ويريده ما هو جيد وسخي .

- نعم ، إن أعماله هذه لو وجدت ليست تفضلاً أو تكريماً أو شهامة أو تطوعاً أو محبة ولكنها وظيفة وواجب لا يستحق ولا يجوز أن يشكر أو يحمل عليها أو يعبد ثمناً وجزاء لها . شكر الإله على أفعاله الجميلة أي لو وجدت إهانة للشاكر والمشكور وهجاء لذكائهما وكرامتهما !

.. إنهم أي الأنبياء والمؤمنين لم يجدوا الإله لا يفى بوعوده الطيبة أو المطلوبة أو

المريحة أو الواجبة - لم يجدوه لا يفي بوعوده هذه فقط بل لقد وجدوه يفعل نقيضها أبداً. !

لنقرأ الإله في كل أطواره وتاريخه . إننا لن نجده إلا نقيضاً دائماً لنفسه أي لما زعم عنه؟

. . لقد افتضحوا أي الأنبياء والمؤمنون أمام أنفسهم وأمام أتباعهم وأمام التاريخ وقراء التاريخ لأن الإله الذي يبلغون ويتحدثون عنه وعن وعوده يفعل دائماً أو يحدث دائماً نقيض الوعود التي رووها وبشروا بها . إنهم لا يجدونه غير وفي بوعوده وغير منفذ لها فقط بل لقد وجدوه دائماً فاعلاً نقيضها . لهذا لم يوجد ولن يوجد كاذبون مصدقون وخادعون محترمون أي محترمون باللغة والصلاة والتعاليم لا بالسلوك ، مثل الأنبياء وجميع المتحدثين والمعلمين والرواة عن الإله . إن كل المفتضحين لن يفتضحوا افتضاح الواعدين والمتعاملين بوعود الإله .

إن أجهل وأكذب وأبلد قارئ للنجوم أو للحروف أو للحظوظ أو للأكف أو لخطوط الجسم لن يفتضح في قراءاته أو نبوءاته أو تفسيراته أو همهمات أو إحياءاته أو تحديقاته افتضاح الأنبياء وأمثالهم في تبليغهم عن وعود الإله وتعليمهم لها وتبشيرهم بها . !

إنه لو صدق كل الكذابين لما صدق نبي واحد في وعده أو وعيده . !

. . إنه لن يوجد افتضاح مثل افتضاح الآلهة والأنبياء أي لو وجد من يرون الافتضاح ويقرأونه ويفسرونه . !

إنه لم يوجد ولن يوجد كاذب مكذوب عليه وبه مثل من يعلم ويفسر أخلاق الإله ومنطقه وما سوف يفعل وما وعد بفعله . !

بل إنه لن يوجد فاضح لنفسه فاضح لمن يتحدث عنه مثل هذا المعلم المفسر . !

. . إن البشر لم يكذبوا على أنفسهم مثلما كذبوا عليها في تحدثهم عن وعود الإله وفي تصديقهم لها . وهل صدقوها أم تحدثوا عنها بأسلوب من يصدقونها ولكن بسلوك ونيات من لا يعلمون عنها شيئاً؟ إن أعظم نبي وأتقى تقى ليخافان ويرجوان ويحذران ويتوقعان صدق أي وعد أو وعيد يعد أو يوعد به أفجر وأطغى وأكذب إنسان قادر على التنفيذ أكثر مما يفعلا ذلك أمام أي وعد أو وعيد يوعد أو يعد به الإله . ! . إنه لم يوجد نبي أو مؤمن واحد لم يخف من وعيد الطاغية القادر أكثر مما خاف ويخاف وعيد الإله . !

. . إن هذا النبي أو التقي لينتظر بحدة وحذر وحرارة وخوف وتوقع أن يقع الذباب على طعامه أو وجهه أكثر من انتظاره أن يقع عليه وعد الإله أو وعيده .

وأنا أفترض هنا أن النبي أو التقي قد يرفض الذباب بأي تفسير من تفاسير الرفض . . أن النبي والتقي لينسيان ويهملان وعد الله ووعيده مثلما تنساهما وتهملهما أعضاؤها الآلية في عملياتها الذاتية .

نعم ، لقد اقتنع الأنبياء المؤمنون أن وعيد الإله لا يساوي إلا وعده وأن وعده لا يساوي إلا وعيده ، وإن وعده ووعيده لا يساويان إلا أن يقرأ ويصلي ويخطب ويوعظ ويصرخ بهما وينفق على تعليمهما وحفظهما وتفسيرهما وعلى الإغراء والتهديد بهما دون أن يوجد من ينتظرهما أو يدفع أي ثمن لهما أو من يحاسب سلوكه أو نياته أو حياته بهما أو من يخاف نومه أو لهوه أو استرخاؤه أو غفلته أو ممارساته ، ونشواته الجنسية من مفاجأتها أو من يشغل عن حقدته وبغضائه وعداواته وخصوماته وتفاهاته وحساباته ومشاعره وهمومه واهتماماته الصغيرة بانتظارهما . إن المؤمنين يبالغون في حديثهم عن وعد الله ووعيده وكأنهم ينوون بذلك التعويض عن حذفهما من كل حساباتهم السلوكية والنفسية . !

لهذا فقد رأى الأنبياء والمؤمنون أن وعيد الإله لآبائهم وأبنائهم وأقربهم بالتخليد في الجحيم يساوي وعدهم هم بالتخليد في الفردوس بين مضاجع الحوريات وكؤوس الولدان المحليين بالقلائد والأساور والخواتم والأقراط الذهبية الجنسية الشذوذية وأن هذا الوعد والوعيد لهم ولأقربهم ألا يساويان إلا ما يساويه وعده أي وعد الإله ووعيده اللذين جربوهما وقرأوهما وفسروهما وعرفوهما . . ! . اللذين وجدوهما دائماً رعوداً وبروقاً وكأبة جوية بلا أي مطر أو سحب بل بلا أي سماء أو طقس . !

إنه لاحتمال أو تفسير أو منطق يصعب رفضه أن يقال أن الأنبياء المؤمنين قد اقتنعوا بتجاربهم الطويلة مع الإله أنه يفعل وعده حيث يكون وينتظر وعيده ، ويوقع أو يفعل وعيده حيث يكون وينتظر ويعلم وعده . . أي قد اقتنعوا بتجاربهم الطويلة الأليمة مع الإله أن من يوعدهم بالهزائم والشقاء والشور والعذاب لا يد أن يكون حظهم نقيض ذلك ، أو لا يعني وعده ولا وعيده شيئاً . !

. . إن كل من يقرأ التاريخ لا بد أن يؤمن أن الأنبياء والمؤمنين قد آمنوا بهذه الحقيقة إن لم يكن متهماً لهم بكل الغباء والعمى والغفلة أي إن لم يكن متهماً للأنبياء والمؤمنين بذلك . !

إذن أليس احتمالاً معقولاً أو مقبولاً بل محتوماً أن الأنبياء والمؤمنين العارفين جداً بأخلاق الإله وتصرفاته التي ذاقوها وجربوها وقاسوها طويلاً، كانوا ينتظرون ويتوقعون بل ويعتقدون أنه أي الإله لا بد أن يضع آباءهم وأبناءهم وأقربهم في الفردوس لأنه قد أعلن وعلم أنه سوف يضعهم في الجحيم، وأنه سوف يضعهم هم في الجحيم لأنه قد أعلن وعلم أنه سوف يضعهم في الفردوس مثلما جربوا عليه وعرفوا عنه في كل نجاربهم ورؤاهم له حين وجدوه يذل ويهزم ويعادي من قال إنه لا بد أن يفعل بهم ولهم نقيض ذلك. . أي حين وجدوه أبداً نقيض ما يقول ويعلم ويعلن. . نقيض نفسه وتفاسيره وما ينتظره منه ويقال عنه؟ أليست تفاسير وقيم كل إله أنه نقيض حاد وقح لكل قيمه وتفاسيره أي لكل القيم والتفاسير؟

. . أو لعلمهم أي الأنبياء والمؤمنين لم يكونوا يدرون أو يستطيعون أن يدروا ما الذي يمكن أن يفعل أي الإله هنا أو هنا لأنهم وجدوه وعرفوه لا يلتزم أو يحاسب نفسه بأي منطق أو خلق أو قانون أو بأي شيء مما يقول ويعلن ويعلم. . لأنهم لم يجدوا خارجاً على كل الأخلاق والقوانين والقيم مثل الإله. !

. . إذن لعلمهم أي الأنبياء والمؤمنين لم يكونوا يدرون أي الفريقين يجب أن يتألم ويغضب للآخر: أهم لأهلهم الأقربين الذين سوف يذهبون إلى الجحيم أم أهلهم الأقربون هم الذين يجب أن يألموا ويغضبوا لهم لأنهم أي الأنبياء والمؤمنين هم الذين لا بد أن يذهبوا إلى الجحيم. !؟

لنفكر في هذا بصدق وحرارة ورؤية وتساؤل. .

وما أقل من يفكرون كذلك. . لنفكر. . !. . ماذا لو أن أي نبي أو مؤمن رأى الله وقرأه وفسره وعرفه ثم دخل في معركة أو مبارزة أو منافسة مع أي عدو له ولله، مع الشيطان مثلاً معلناً الله بكل وسائل وأجهزة إعلانه أنه لا بد أن ينصره في معركته أو مبارزته أو منافسته؟. أليس محتوماً حينئذ أن يعتقد أي ذلك النبي أو المؤمن أو النقيض هو الذي لا بد أن يقع أي أن عدوه أو منافسه هو الذي لا بد أن يكون الرابع أي مع الافتراض بأن ذلك النبي أو المؤمن قد رأى الله وقرأه وفسره وعرفه. آه ولكن هل يمكن أن يقبل أو يستطيع أي إنسان أو كائن أن يكون نبياً أو مؤمناً إن كان يملك هذه الرؤية أو القراءة أو التفسير أو الصدق أو المعرفة؟

. . أليس أقوى وأقوى وأوقع نموذج لهذه القضية آدم وإبليس. . قصة كل الأنبياء

مع إبليس؟

ألم يتحول آدم وجميع الأنبياء إلى أقصى الهزائم الكونية والتاريخية في مواجهتهم لإبليس أي لأن الله دائماً ينصر أعداءه الأشرار على أصدقائه وأوليائه الأتقياء، أو لأن الذي يحدث أبداً هو النقيض لما يقول ويريد ويعلم الإله . . نعم نعم، لأن الذي يحدث دائماً هو النقيض لما يقول ويريد الإله وأنبيأؤه؟

وماذا لو أن أي إنسان أو كائن يبحث عن النصر ويريد أن يكون جندياً وحليفاً مع المنتصرين وكان الخيار أمامه أن يكون مع الإله وأنبيائه ودعائه جندياً وحليفاً أو مع إبليس وأعوانه؟

هل يمكن أن يتعب حينئذ في اختياره لمكانه وحلفائه في اختياره لما يعلم أنه لا بد أن يصنع له النصر الذي يبحث عنه؟

ماذا لو أن هزائم جميع الأنبياء في كل أزمانهم وأوطانهم ولغاتهم وآلهتهم وأديانهم وأتباعهم وكتبه المنزلة حوسبت بانتصارات عدوهم وعدو إلههم إبليس ماذا لو عرض الإله راكباً جملة مقاتلاً بسيفه أمام إبليس راكباً صواريخه مقاتلاً بأسلحته الذرية؟

. . ماذا لو أن الإله قرر وصمم على أن يكون حليفاً وولياً للمنتصرين الأذكياء المنفذين لقراراتهم وتخطيطاتهم وإرادتهم وتعاليمهم ولوعودهم ووعدهم بكل الانتصار والحسم والوفاء، وكان أي الإله باسلاً وصادقاً وذكياً في قراراته وتصميمه وفي كل رؤاه وتفسيره وخطواته، وعارفاً لما يريد ويختار ويفعل؟

هل يمكن أن يختار أي الإله حينئذ أن يكون حليفاً أو ولياً أو نصيراً لغير عدوه إبليس دون أن يتحاور أو يتخاطب أو يتساءل أو يتجادل أو يتخاصم مع نفسه أو مع ألوهيته لأنه اختار إبليس ولم يختار أنبياءه وملائكته ليكون لهم حليفاً وولياً ونصيراً وليكونوا حلفاءه وأوليائه ونصراءه؟

هل يمكن تصوّر كائن يعاني من الغيرة والحيرة والهزيمة ومن العجز والمهانة والإذلال أمام شيء أو أحد مثلما يعاني الإله أمام عدوه ومنافسه ومخاصمه ومتحديه إبليس؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد منهزمون وعاجزون مثل الإله وأنبيائه وأوليائه، ومنتصرون قادرين مثل إبليس وأعوانه؟

إن تحمل الإله لهزائمه وعجزه أمام خصمه إبليس شيء لا تطيقه أذل الحشرات!
هل وجد أو يوجد منفذ لما يريد ويدبر ويقول ويعلم مثل إبليس، أو عاجز عن تنفيذ أي شيء يريده أو يقوله أو يعلمه مثل الإله وأنبيائه؟

هل وجد عاجز أو رافض أن يتعلم من عدوه ومنافسه وقدرته وذكائه وشجاعته
وأساليبه الذكية المنتصرة مثل الإله حينما عجز أو رفض أن يتعلم من إبليس ذلك؟
هل عرف عاجز أو متراجع عن تنفيذ وعده ووعيده مثل الإله، أو منفذ لوعده
ووعيده مثل إبليس أي الشيطان؟

إذن هل يوجد تعلم يساوي في نفعه ومزاياه أن يتعلم الإله من إبليس؟
.. الإله يأمر كل أحد بأن يتعلم إذن لماذا لا يتعلم هو من قاهره إبليس؟
.. وهذا التفسير لهذه القضية قد أو لا بد أن يذكر بتفسير آخر لهذه القضية
ويحرض عليه .. !

نعم، قد يقول هذا التفسير الآخر: إن الإله قد ينسى أو لا بد أن ينسى وعده
ووعيده وينسى أن يعرف أو يتذكر من الذين وعدهم بالفردوس ومن الذين أوعدهم
بالجحيم . !

إن أسباب الاقتناع بنسيان الإله لن تخفى على أحد حتى ولا على الأنبياء والمؤمنين
مهما كانت غفلتهم وتبلدهم وبلاهم وعماهم وعجزهم عن قراءة الأشياء ومحاسبتها
وتفسيرها بل وعن رؤيتها . !

.. الإله ينسى . إنه لأتقى وأنبأ دفاع عنه . ! ..

إن اتهام الإله بالنسيان لأفضل بديل عن اتهامه بالعجز أو بالكذب أو بالأخلاق أو
بالوقاحة أو النذالة أو السفه أو الطيش . !

إنه لا بد من اتهامه بهذا أو هذا . فأى الاتهامين أقل اتهاماً وإيذاءً وتحقيراً له أي
للإله الذي هو ليس إلا تتقلاً بين أقسى الاتهامات؟

نعم، إن الإله لن يكون أو يجب ألا يكون إلا متهماً في كل شيء حتى حينما
يعرض الوجه الجميل أمام الوجه الدميم أو المشوه، وحتى حينما يعرض الأصحاء
والأقوياء والأذكياء والأغنياء أمام النقيض، النقيض الأليم، الأليم، وحتى حينما يصنع
الفردوس وسكانه ويصنع الجحيم وسكانه، وحتى حينما يجعل الأنبياء مخلصين في
الفردوس ويجعل آباءهم وأبناءهم وأهلهم مخلصين في الجحيم، وحتى حينما ينظر إلى
هؤلاء بكل الفرح والبله وإلى أولئك بكل الشماتة والازدراء !

.. حتى لو أنه أراد وفعل كل ذلك أو كان هو الذي أراد وفعل كل ذلك ! ..

إن فعل القبيح قبيح ولكن فعله وفعل نقيضه ووضع وعرضه أمام نقيضه أقبح
وأقبح . !

.. وهل يمكن أن يوجد أقبح أو أوقح ممن يفعل ذلك أي لو وجد من يفعله مريداً مختاراً قادراً أن يفعله وقادراً ألا يفعله أو أن يفعله بأساليب وصيغ أذكى وأتقى وأقوى وأجمل وأنبّل وأعدل وأرحم وأحكم ثم لم يفعله كذلك؟

هل يوجد قبح يساوي قبح من يفعل الدمامة والحزن وهو يستطيع أن يفعل الجمال والفرح؟

هل يوجد أذل أو أوقح أو أسفه ممن خطط وخلق الإنسان كما خططه وخلقه وهو يستطيع أن يخططه ويخلقه أفضل وأعظم؟..

.. الإله له ألواح محفوظة يسجل فيها كل شيء ويحتفظ بها لديه تحت حراسة أريد بها ولها ألا يستطاع اختراقها.!

.. وله أجهزة رقابة كونية لا مثيل لها أو أريد ألا يكون لها مثيل في شمولها وقسوتها وفضولها ووقاحتها وفي فضحها وافتضاحها وفي بحثها عن الفضائح وعن المفضوحين.!

.. أجهزة رقابة رهيبة بذئنة ترى في الظلام بلا عيون وبلا مرئي أو راء، وتسمع بلا نطق أو صوت أو آذان، وتحكم بلا محاكمة أو قضاة أو دفاع أو شهود، وتقتحم البيوت والمضاجع والقلوب والضمائر بلا أبواب أو نوافذ أو عمليات جراحية أو استئذان، بل تقيم فيها أبداً وبلا أقدام أو خطوات أو ذوات أو أشباح ترى أو تسمع أو يحتمى أو يختفى أو يحترس أو يحتجب منها.. تحاصر كل إنسان كل أوقاته من كل جهاته في كل حالاته وتحركاته حتى حين ممارسته لوقاحاته وبذاته وفضائه المحللة البهيجة القبيحة. آه. هل يستطيع الإنسان أن يتذكر أنه محاصر بأوقح العيون حين ممارسته لأوقح لذاته المجنونة؟ هل يستطيع هذه الممارسة لو تذكر ذلك؟

.. هذه الرقابة تفعل كل ذلك بكل هذه القسوة والقبح والفضح والوقاحة لكي تحصي وتكتب كل شيء وكل ما ليس شيئاً على كل إنسان بل على كل كائن.. لكي تضع لكل إنسان وكائن كتاباً يحصى ويسجل عليه كل شيء وكل ما لا يصح أو يحسب شيئاً..! حتى ما لا يحسبه البشر شيئاً ويستحيون من تسجيله ومحاسبته هذه الرقابة تسجله وتحاسبه بكل كبرياء.!

.. رهيب، رهيب أن تطبق وتتقبل عيون وآذان وعقول وضمائر وأخلاق واستحياء المشرفين على هذه الرقابة والمنفذين لها مواجهاتها وممارساتها ووظائفها هذه.!

.. رهيب، رهيب أن تطبق وتتقبل هذه المواجهات والممارسات والوظائف.!

ما أعظم حاجتها إلى الوقاحة والندالة وإلى كل معاني القبح والافتضاح وفقدان الحياء والشهامة والكرامة والنظافة لكي تطيق وتتقبل وتفعل ذلك، بل لكي تستطيع التعامل مع الإله الذي كلفها بذلك !

. . الإله يريد ذلك ويفرح ويسعد ويكلف به . من صاغ هذا الإله أو تصوره؟ هل يوجد أردأ فناً وخيلاً وجمالاً وعبقورية من متصور هذا الإله وصائغاه وعابده ومتقبله والمتقبل لأن يكون نبيه ورسوله؟

. . تذكر يا كل إنسان، يا أقسى وأعظم الناس استحياء ووقاراً ورغبة في الاستتار . تذكر أنك لن تذهب إلى سريرك وحدك لتمارس لذتك الوقحة بكل افتضاحك وجنونك وصراخك وأنيك وعريك ونشوتك الفاضحة المذلة المكذبة لكل ما تزعمه لنفسك من كبرياء ووقار ونظافة وشموخ، لتمارس عارك الذي حولته الطبيعة إلى عار لذيد لكي تخفي عارها . .

- نعم، تذكر واعرف أنك لن تفعل ذلك إلا وكل العيون والآذان ووظائف وأجهزة الرقابة الكونية رائية وسامعة ومحاصرة ومحيطه بك ولك . . معك فوق سريرك وداخل ثيابك بل وداخل أعضائك ونياتك وشهواتك بكل أجهزة التسمع والتحديق والرؤية وضبط النبضات والخفقات والارتعاشات . . بكل أجهزة الإحصاء والتسجيل والكتابة عليك وعنك !

تذكر أن كل أجهزة الكون وقوانينه وآلهته قد تحولت إلى أجهزة رقابة عليك ! تذكر أنك لن تستطيع الاختفاء أو الاستتار أو الخلوة أو الوحدة أو الصمت مهما صمت ومهما دفنت نفسك في الظلمة وتحت كل الأغطية والأحجبة ومهما صغرت وصغر حجمك !

. . تذكر أنك لن تلبس ثوباً من ثيابك أو تأوي إلى غرفة في بيتك لتكون مستتراً ! . . يا كل إنسان، يا أقسى وأعظم الناس خجلاً واحتشاماً وتوقراً تذكر أنك مرئي مهما اختفيت وتغطيت، ومسموع مهما همست وصمت، ومقروء مهما كنت أُمياً، ومحاصراً ومقبوض عليك ومسجون مهما هربت وتحركت وذهبت، ومزاحم مزدحم مهما توحدت، ومفضوح مفتضح مهما توقرت واستترت واحتشمت، ومكتوب مكتوب عليك مهما كانت براءتك وطهارتك وضالتك . .

تذكر أنك موضوع تحت كل الأجهزة الكونية الإلهية السماوية الرائية السامعة القارئة المفسرة المحصية الكاتبة البذيئة الوقحة المرابطة المعسكرة داخل غرفة نومك وأحشاء

وحشايها سريرك وملابسك الداخلية ذات الروائح المحرمة. . داخل أعضائك وأخلاقك ونيات وخفقات وهمسات أعضائك الملأى بالحشرات والوقاحات وبالجراح والافتضاح. . تذكر كل ذلك وأنت ذاهب لتتعرى وتفتضح وتنهق فوق سريرك وتذكره وأنت تستفرغ فضلات طعامك. إنك في الحاليتين لست وحدك ولست مستتراً. بل معروض وعار عرضاً وعرياً كونياً. !

. . نعم، لماذا كل هذا، كل هذه التكاليف والمقاساة والحشد والتهذيب والافتضاح والفضح؟

لماذا كل هذه الألواح المحفوظة المكتوبة الحافظة الكاتبة؟

لماذا كل هذه الرقابة والرقباء والكتابة والكتاب؟

لماذا كل هذا الإنفاق الفادح على كل ذلك؟ إن أجهل وأطغى نظام لن ينفق على أجهزة الرقابة والتجسس فيه مثل هذا الإنفاق. !

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير غير أن الإله ينسى وغير الخوف من أن ينسى؟ إنه لعبث وسفه لا مثيل لهما حتى ولا في التصور أن تبتكر وتوظف وتشغل كل هذه الأجهزة وكل العاملين فيها إن لم يكن الإله ينسى.

ولن يصعب الاقتناع بأن الإله ينسى. . إن كل شيء قد يفسر بأنه ينسى بل يحرض على الاقتناع بهذا التفسير بل قد يلزم به لأنه لا يوجد بديل جيد أو مريح أو مقنع عن هذا التفسير. !

إن كل ما يحدث في هذا الكون يحدث مناقضاً لما قال الإله ولما قيل عنه بل ومناقضاً بل ومهيناً محقراً لكل معاني الإله والألوهية ولكل تفاسيرهما ومستوياتهما المعتقدة المعلمة والمنتظرة المتوقعة. !

إن كل ما يحدث في هذا الكون لهو أقل من أدنى المستويات المنترضة في أدنى الآلهة عقولاً وأخلاقاً وقدرة وتخطيطاً. !

. . إن كل ما يرى ويفسر ويوجد ويواجه ويتناسى ويتوقع في هذا الكون ومنه مهين محقر لاعن مكذب لكل أخلاق ومنطق وتقوى وقدرة وعبقورية كل إله وكل ألوهية ولكل ما قال الإله ولكل ما قيل عنه ولكل ما يطلب وينتظر ويتراد منه ويفترض فيه. ! إنه لا يوجد شيء يأذن للعقل أو للأخلاق بأن تقول: هذا منطق أو تدبير إله أو خلق أو مستوى إله أي إله. !

إن الشهامة والتقوى الأخلاقية ومن الرفق بالإله والإشفاق عليه أن يفسر ذلك بأقل التفاسير إيذاء وإيلاًماً وتصغيراً وهجاء له .!

وهل في كل احتمالات التفاسير لهذه القضية تفسير فيه من الرحمة والرفق بالإله والدفاع عنه والمحابة والتجميل له مثل التفسير الذي يقول إن الإله ينسى؟ آه .
ما أنفع وأجمل وأنبل أن ينسى الإله . ما أنفع وأنبل وأجمل للإله نفسه ولكل شيء وكل أحد أن ينسى!

.. أليس هذا التفسير مهما كان مؤذياً ومسيئاً أقل إيذاء وإساءة من كل التفاسير الأخرى؟ لماذا يحرم على الإله أن ينسى ويحرم منه؟ أليس يفعل ما هو أردأ جداً من النسيان؟

.. البشر منذ بدء وجودهم إلى نهايته .. إلى نهايته التي لا تستطيع كل تصورات البشر وغير البشر وكل أفكارهم وعلومهم وأجهزتهم القارئة المتنبئة أن تتنبأ بها بل لا يستطيع ذلك كل آلهتهم وأنبيائهم وكهانهم وعرافيتهم .

- نعم، البشر هؤلاء كم يمكن أن يكون عددهم .؟ كم يمكن؟

لا بد أن يصاب الإله وكل معاونيه ومستشاريه وخبرائه بكل الرهبة والذهول والحيرة والاستحياء والتواضع حين سماعهم لهذا السؤال أي لو كان ممكناً أن يسمعه .!

هل يحتمل أن الإله حينما فكّر في خلق البشر وبدأ خلقهم كان يعلم أو يتصور كم سوف يكون عددهم؟

.. هؤلاء البشر كلهم، كلهم أعدادهم التي لا يستطيع أحد أو شيء في هذا الكون أو في أي كون آخر، ولن يستطيع إحصاءهم ..

.. هؤلاء كلهم سوف يحشرهم الإله، يجمعهم في مكان يصعب تصور وجوده وأين يمكن وهل يمكن أن يوجد، يحشرهم جميعاً في هذا المكان الواحد بلا أية علامات أو مميزات أو حدود فاصلة حازجة بل وبلا ثياب أو أسماء أو انتماءات مكانية أو جنسية أو قبلية أو تاريخية .. بلا أي شيء يدل على من يستحقون الفردوس وعلى من يستحقون الجحيم، على من وعدوا بهذا أو على من أوعدوا بذلك ..!

.. يحشر كل هؤلاء الذين قد أو لا بد أن يصعق أو يفجع أو يصاب بالعجز عن الرؤية والمواجهة والتفكير والوقار والاتزان بل وعن تذكر أو معرفة ماذا يريد أو ماذا

يفعل وينوي ويستطيع أن يفعل أي حين مواجهته لأعدادهم التي لا بد أن تكون قد قهرت وأذلت وأضاعت كل صواب وحساب وقدرات كل أجهزة وموظفي الرقابة والإحصاء لديه بل التي لا بد أن تكون قد أصابت كل موظفي أجهزة رقابته وإحصائه ومحاسباته ومحاكماته بكل الرهبة والإرهاب وبكل العجز عنه أي تفكير أو محاولة بل وبكل الرغبة في الهرب والاختفاء رفضاً لوظائفهم التي ليس فيها أي جمال أو فن أو ذكاء أو كرامة أو إغراء ..

.. يحشرهم في المكان الواحد وقد تشابهوا بل وتماثلوا في كل شيء .. في الخوف والاستسلام والإيمان والعجز والذهول والضياع والعري والفقر والجوع والفقد لكل شيء عن كل شيء ..

.. وقد تشابهت أي تماثلت نظراتهم وتطلعاتهم ولهفاتهم ووقفاتهم واحتياجاتهم وطلباتهم وصلواتهم وتضرعاتهم وأناتهم وصرخاتهم !
. لقد أصبح كل شيء ظلاماً وذعراً وتعقيداً وحيرة وفوضى وازدحاماً يفسد بل يهزم كل الرؤية والمنطق وكل القدرة على التمييز ..

.. وهنا لا بد أن يأتي السؤال القاتل: كيف يستطيع الإله الذي لا بد أنه قد أصبح مريضاً من تتابع الصدمات والمواجهات الفاجعة ومن الضياع والحيرة والملل واليأس والإعياء والعجز عن الرؤية والتدبير والتفكير والتصرف بل وبالرغبة في الهرب من كل شيء - لما رأى وواجه وفعل وقاسى في كل تاريخه الطويل الحزين الأليم البائس، ولما يرى ويواجه ويقاسى في موقفه هذا، في ظروفه هذه - نعم، كيف يستطيع الإله هنا أن يتذكر في الأكوان المحشورة أمامه من الذين وعدهم بالفردوس ويستحقون الفردوس، ومن الذين أوعدهم بالجحيم ويستحقون الجحيم؟

كيف يمكن الافتراض بأنه لم ينسَ كل شيء هنا وفي هذا الموقف؟

.. إنه إذا لم ينسَ في هذا الموقف تحت هذه الظروف فلن يكون كائناً حياً !

.. كيف يمكن أن يفترض أن الأنبياء والأولياء وكل المؤمنين لم يقتنعوا أن الإله لا بد أن ينسى هذا النسيان؟ كيف يمكن الافتراض أنهم لم يجدوا في نسيانه شيئاً من الراحة والعزاء له من التخفيف عن ضميره المرهق؟

.. وكيف لا يعتقد أن اقتناع الأنبياء والأولياء وكل المؤمنين بأن الإله لا بد أن ينسى هذا النسيان هو الذي جعلهم لا يفجعون من أن يعدهم الإله بالفردوس ويوعد آباءهم وأبناءهم وأقربهم بالجحيم أي لأنه هو الذي جعلهم لا يرون في هذا الوعد أو

الوعيد شيئاً يحاسب أو يحسب أو ينتظر أو حتى يفسر؟ أليس الأنبياء وأمثالهم هم أعرف الناس بضعف الإله كما أن خدم الحكام وجواريهم وغلما نهم هم أعلم الناس برذائلهم . . . ويجب ألا نفزع من وصف الإله أو اتهمه بالنسيان .

كيف نرضى بل ونفرح ونعجب ونتعهد بوصفه أو اتهمه بالحق والظلم والغضب والانتقام والأنانية والكبرياء وبالخداع والمكر وبالقتل والتجويع والتشويه والأمراض والإضرار والتضليل وتبدير وتخطيط وإرادة وفعل ذلك وبالاختار به بل وبأنه يأمر بالفسق أمراً إذ قال في قرآنه « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » ثم نجزع أو نفزع من وصفه أو اتهمه بالنسيان؟ إن أوصاف الإله التي اختارها لنفسه لن تتفوق عليها أو تنافسها أية أوصاف أخرى في رداءتها وقبحها وبشاعتها . !

. . إن مرید ومدبر وفاعل كل هذا الوجود بكل ما فيه ومن فيه لا يجوز ولا يقبل أو يعقل أو يحتمل تبرئة من وصفه أو اتهمه بأي شيء وبكل شيء أي بكل شيء رديء ولئيم وآليم . إنها لم تجمع وتتجمع أقبح الأوصاف لأي كائن مثلما جمعت وتجمعت في الإله ولإله . !

. . كيف يعقل أو يقبل أو يعفر أن يبرأ مدبر ومرید وفاعل كل الغباء والقبح والخطأ والظلم والألم والعبث والسخف الموجود في كل هذا الكون وفي كل شيء من وصفه أو اتهمه بأي قبح أو خطأ أو ظلم أو عث أو ألم أو سخف أو بلادة أو جهالة أو عجز أو نسيان؟

. . كيف يبرأ من أراد الشيء وفعله بمباهاة وفرح من إرادته وفعله بقصد إسعاده وإرضائه ورشوته وعبادته وخداعه والتقرب إليه؟

. . أليس مرید ومدبر ومخطط وصانع هذا الوجود هو وحده المرید والمدبر والمخطط والصانع العاشق لكل القباحات والبلادات والعاثات والآثام والأخطاء والفساد وكل الشرور والضلال والكفر . . لكل ما يؤدي ويؤلم ويعاب ويستقبح ويستنكر ويستبشع ويعاقب عليه بكل العقوبات وأقساها؟

. . أليس هذا المرید المدبر المخطط الفاعل هو وحده الذي يجب أن يعد المذنب المسؤول المحاسب المحاكم المحكوم عليه بكل العقوبات المعروفة والمقررة والمتصورة والمطلوبة والتي يجب أن تكون معروفة ومقررة ومطلوبة؟ أليس الذي يهوى المذنبين والمخطئين والمجرمين والضالين ويخلقهم ويدبرهم ويسلحهم ويهجم القوة

والإرادة والحرية ليفعلوا ذنوبهم وأخطاءهم وجرائمهم وضلالهم ويستمروا في ذلك هو كل الذنوب والأخطاء والإجرام والضلال المستحق لكل ما يستحق ذلك من غضب وحساب وعقاب؟

إن معاقبة الإله لمن أراد وخطط وصاغ وخلق لأوقع وأجهل وأظلم وأغبي من معاقبة المهندس والصانع لما خطط وقدر وصمم وصنع . . !

. . آه يا إلهي لقد أتعبتني هذه الرحلة التي ليس فيها أي جمال أو فرح أو ربح أو شكر أو عزاء أو مشهد أو مرأى سار أو معجب . إنها رحلة ليس معي فيها مرافقون . لقد كنت وحدي ، وحدي أقاسي كل وحشة ووحشية الاغتراب .

. . لقد كانت رحلة في أحشاء الجحيم لهذا لم أجد من يصحبني فيها حتى ولو بنيات وحوافر المجاملة والثناء !

هل يوجد من يرافق بالارتحال في أحشاء الجحيم مجاملة أو شهامة أو صداقة أو عزاء . ولكن لقد كان في هذه الرحلة المتوحشة في كل تفاسيرها نشوة واحدة قد تعوض عن شيء من عذاب الرحلة !

إنها نشوة أو لذة الافتراس والتحدي والفضح والمحاكمة والمعاقبة لأطغى وأردأ طاغية في هذا الكون أي لك يا إلهي . . ! . . إني أجد في هذا الافتراس لذة لا يوجد مثلها في مذاق أي لذة أخرى . هل يمكن أن توجد لذة مثل لذة الافتراس لصانع هذا الكون؟

. . وكما أتعبتني هذه الرحلة فإنها لا بد أن تكون قد أتعبتك بل وأذلتك وهزمتك وقهرتك أي إن كنت قد تابعتها وسرت معها بشيء من الوعي والحماس والحرارة والمحاسبة . !

. . إني محتاج يا إلهي إلى افتراضك قد فعلت ذلك . ! . هل فعلته؟

. . ومع أن الرحلة قد أوقعتني في كل درجات الإرهاق وعذابه فإني لا أزال محتاجاً إلى المزيد من المسيرة في عذابها وفي قبح مواجهاتها التي لا يخفف من قسوة عذابها وقبحها إلا لذة الافتراس والتحدي والفضح والقهر والإذلال للكائن الذي لولاه لما وجد فاضح أو مفضوح ، قاهر أو مقهور ، متحد أو متحدى مُعَذَّب أو مُعَذِّب ، فاسق أو مفسوق به ، كافر أو مكفور به ، جحيم أو فردوس . . الذي لولاه لما وجد لص أو قاتل أو أحمق أو مجنون أو مريض أو مشوه أو جائع أو مقهور أو مذنب أو زنديق أو منافق . . الذي لولاه لما وجدت هذه الرحلة الموقعة بي كل العذاب والغشيان والاشمئزاز ، والموقعة به كل الهزائم والفضائح . . المغطية لكل أعضائه ومعانيه بكل

التشوهات والدمامات والعار . . المحولة لكل تاريخه إلى مقبرة كونية يتجمع فيها كل القبح والجهل والغباء والسخف والعبث والعذاب والضياع والنذالة والآلام والأمراض والقحط والمجاعات والهزائم والآثام . . الذي لولاه لما وجد جحيم ولا مستحقون للجحيم ولا زبانية جحيم ولا تكاليف جحيم . !

. . نعم، إنها لن توجد لذة تساوي لذة الافتراس والقهر والإذلال والفضح والتحدي لهذا الكائن الذي لولاه أي لولاك يا إلهي لما وجد أي شيء من ذلك . . !
إن كل ما تراه يا إلهي بل وكل ما يراه كل الرائين قبحاً أو ظلماً أو إثماً أو عجزاً أو جهلاً أو غباء أو نذالة أو فسوقاً بل أو حتى غواية وكفراً.

- إن كل ذلك لن يكون إلا شيئاً من إفراز واستفراغ وبصاق وعرق وعفن وأعباء وبلادة وقبح ووحشية ضميرك وقلبك وعقلك وأخلاقك وشهواتك ومجاعاتك وحماقاتك وغواياتك وخطواتك وضرباتك المطلقة بلا تسديد أو أهداف أو رؤية أو التزام بأي معقول ولا بأي خروج على كل معقول . . كذلك لن يكون كل ذلك ولا شيء منه إلا تعبيراً عن ضياعك وأحزانك وهزائمك ووحدتك وعن غلطة وجودك وعذاب وجودك وجاهلية وجودك وفقدان وجودك لأي تفسير أو منطق أو ثمن أو قيمة من أي نوع أو بأي قدر أو مقياس أو حساب . !

لقد ذهبت تعالج عبث وعذاب وخسران وجودك ضد منطق وأخلاق العقلاء والحكماء .

لماذا في هذه الذات والصيغة أردتني ووضعتني يا إلهي؟

.. كنت يا إلهي محتاجاً إلى الراحة من هذه الرحلة أي أن تكون قد انتهت ..
ولكنني وجدت أن الارتحال داخل ذاتك وآفاق وقارات ذاتك لا ينتهي إلا إذا لم يبدأ أي
إلا إذا لم يوجد المرتحلون المریدون للارتحال داخل ذاتك ..

- نعم، يا إلهي الارتحال داخل ذاتك وأخلاقك رهيب وفاجع ومؤذ ومروع .. إن
أي مسافر داخل ذاتك يا إلهي ليكتشف ويرى ويروي كل ما في تكوينها من عاهات
وتشوهات ودمامات وأخطاء وخطايا وعبث وقحط وظلام وبداعة وجهالة بل ومجاعة
ووقاحة، وليقرأ ويفسر ويحاسب ويحكم كل ذلك فلن يبلغ غايته أو تنتهي رحلته حتى
ولو ارتحل فوق أجنحتك وأجنحة ملائكتك وزبانيتك بطاقات كل شمسك ونجومك
وبراكينك وزلازلك وأعاصيرك وحرارة حقدك وغضبك وحزنك وبغضك ويأسك
وهزائمك .

بل حتى لو حول كل نبط العروبة، كل نبطك البدوي الهمجي إلى طاقة في أقدام
حصان عربي بدوي أصيل ليركبه أو في أجنحة براق ليطير فوقه في رحلته داخل ذاتك،
داخل صحارها وقاراتها . ألا يمكن يا إلهي أن تكون قد خلقت نبط العروبة ليكون طاقة
لعقلك وذكائك وأخلاقك وحماسك ورؤيتك وشهابتك بل ولتجميل وجهك وذاتك
وثيابك .. ولكن الغزاة الأذكى الأقوياء قد سحبوه من آبارك وخزائنك وحراساتك،
وحولوه دون أن يريدوا أو يقصدوا في هجاء وتجهيل لكل حساباتك وتخطيطاتك
وتصرفاتك وأخلاقك وذكائك !

.. بغير هذا التفسير المحابي لك يا إلهي المشفق عليك الرحيم، الرحيم جداً بك
كيف يمكن أن يفسر هذا الشراء أو هذا الجنون النفطي المخزون المهان تحت الخيام
والعباءات والكوفيات .. تحت صحاري وبداعات صحاري وبداعات عقلك وأخلاقك؟

. . استر نفسك يا إلهي بأي تفسير وهبني شيئاً من الرثاء أو الجزاء أو حتى البكاء أو الشكر لأنني أناضل بكل العذاب ورهبة المغامرة لكي أستطيع أن أجد أي تفسير أستر به آية فضيحة أو حماقة أو عاهة من فضائحك وحماقاتك وعاهاتك يا إلهي التي لا تستطيع كل عبااتك وكوفياتك وخيامك وجلابيبك ولا كل عباات أو كوفيات أو خيام أو جلابيب أصدقائك وأحبائك أن يستروا شيئاً منها أعني أصدقاءك وأحبائك الذين ذرفت كل دموع حبك وأسأك وعذابك في أحشاء صحرائهم لكي تصيح أي صحراؤهم معبداً يصلي له وإليه كل المؤمنين الأتقياء وكل الكفار الفجار بإيمان وتقوى أقوى!

أجل يا إلهي إن بدء الرحلة داخل ذاتك لن يكون إلا بدءاً لرحلة لا نهاية لها . . لا نهاية لقبحها وعذابها وفواجعها . .

. . إنه لا نهاية ولا علاج لأية رحلة داخل ذاتك وأخلاقك ومنطقك يا إلهي إلاً بآلا توجد هذه الرحلة وبآلا يوجد مرتحلوها ولعل هذا التفسير شيء من التفسير لكون جميع المؤمنين بك يا إلهي لا يرفضون أو يحذرون أو يرهبون شيئاً مثل حذرهم ورفضهم ورهبتهم من السفر داخل ذاتك بل ومن رؤيتها أو تفسيرها أو محاورتها وقراءتها أو حتى الاقتراب منها فكيف مساكنتها أو معاشتها؟ لعلهم كانوا يعرفون أنهم لن يروا جمالك أو ذكاءك أو شهامتك أو عبقرتك إلاً في الآل يروك أو يفهموك، إلاً في الابتعاد عنك!

. . إن مؤمناً واحداً في كل تاريخك وفي كل تاريخ المؤمنين بك لم يسافر داخل ذاتك أو يفكر في هذا السفر أو يتقبله فكيف يحاورك أو يساكنك أو يعايشك أو يفكر في ذلك أو يتقبله أو يحاول أن يراك متقمصاً جسد آية حشرة أو عارضاً نفسك بكل المرح والفرح والكبرياء في أبشع عاهة كرمت بها أتقى وجهه . إن أقوى الناس إيماناً بك يا إلهي هم أبعدهم عنك، عن رؤيتك أو قراءتك أو محاورتك أو محاسبتك أو معاشتك أو مساكنتك . إنك يا إلهي الكائن الذي يجب أن يكون سماعاً ورواية فقط لأن كل العيون والعقول لن تستطيع أو تريد أن تراه أو تفهمه!

. . إن نبياً واحداً لم يحاول أو يرد أو يقبل أو يفكر في كل تاريخك وتاريخ كل الأنبياء أن يقرأك أو يحاورك أو يحاسبك أو يفسرك أو يراك عارياً، أو مطروحاً تحت التراب في كفن ميت أو لابساً جسد ذباب أو برغوث أو قملة أو نملة أو متألفاً في عاهة أو تشوه أو مرض، أو مستوياً فوق عرشك متوجاً بكل تيجانك لابساً كل حللك محلى بكل حليك وأصباغك، معطراً بكل عطورك محاطاً بكل زبانتك وملائكتك متنقلاً بين فردوسك وجحيمك . !

. . لعلهم أي الأنبياء والمؤمنين بهذا الحذر منك والابتعاد عنك يا إلهي إنما يحرسون إيمانهم، يحرسون عيونهم وعقولهم وضمايرهم وأخلاقهم وكل تفاسيرهم الإنسانية وكل أشواقهم وتطلعاتهم بالابتعاد المحروس وبالانغلاق الشامل عنك ودونك لكي يؤمنوا بك ويحبوك ويحترموك ويروك ويجدوك ويفسروك ويقرأوك ويعلمونك كل الجمال والذكاء والحب والحكمة والرحمة والقوة والعبقريّة . !

آه يا إلهي هل رآك إلّا العاجزون عن الرؤية الراضون لها الخائفون منها؟

هل رآك يا إلهي إلّا من لم ير شيئاً ولا يستطيع أو يريد أن يرى شيئاً؟

. . لقد كانوا بذلك مثل من يفقأون عيونهم لكي يروا أقوى وأبعد، ويقطعون أرجلهم ليكونوا أقدر على الوقوف والحركة والمشي والقفز، ويسكتون أو يحرقون أو يتردون عقولهم ليكون فهمهم أقوى وأذكى وأنفذ وأصدق . !

كل الرثاء لجمالك يا إلهي لأنه الجمال الذي لا تراه إلّا العيون المفقوءة . !

وكل الرثاء لذكائك لأنه الذكاء الذي لن يدركه إلّا من صغت ذكائه من ذكائك . !

. . لعلهم كانوا يعرفون أو يرون أن فقد العيون أو العجز عن الرؤية أو رفضها أقدر على الرؤية وأجمل رؤية وأكثر للجمال، وأن العجز عن التفكير ورفضه هما اللذان يريان كل شيء تفكيراً بل أعمق تفكير . . هما اللذان يريان كل شيء ليس فقط أعمق تفكير بل تفكير إله . . هما اللذان يريان العاهات والتشوهات والمجاعات والأمراض والعجز والشيخوخة والموت وكل الشرور والآلام والقباحات وكل أنواع الحشرات والجراثيم هي أقوى وأذكى وأشمل عرض وإعلان عن جمال الإله وحكمته ورحمته وقدرته وعبقريته بل عن عروبيته وعروبة كل أخلاقه وفنونه وحبّه وبغضه وصداقته وعداوته، بل وعن عروبة أفكاره وانتصاراته وحروبه . !

. . إنه لا شيء يفسر معاني الإله مثلما تفسرها معاني الإنسان العربي، وإنه لا شيء يفسر معاني الإنسان العربي مثلما تفسرها معاني الإله، معاني الإله المعلمة والمجربة والمحافظة بل والمنفذة . !

. . لعل في هذا شيئاً من التفسير لاتفاق جميع الأنبياء والمؤمنين بالإله في كل عصورهم ومجتمعاتهم على أن يتحدثوا عن الإله ويرووه ويرووا عنه ويفسروه ويفسروا كل معانيه وصيغته وكل جمال وجهه وعيونه وشعره ورموش عينيه وأظافره وشعرات رأسه البيضاء وتجعدات جلده، ولكن بشرط حاسم حازم هو ألا يرووه أو يقرأوه أو

يفسروه أو يحاسبوه . إننا بهذا التفسير نتهم الأنبياء والمؤمنين بالذكاء أي نتهمهم بأنهم يعرفون أن رؤية الإله تشوّهه بل تطرده وتقتله . !

.. نعم ، أليس كل جمال الإله في ألا يرى ، وكل ذكائه وعبقريته وقدرته ورحمته وحكمته في ألا يحاور أو يحاسب أو يقرأ أو يفسر أو ينتظر أو ينتظر منه أو يرجى أو يدعى أو يطالب أو يطلب منه؟ أليس الإله هو الكائن الذي لا تراه إلاّ العيون التي لا ترى ولا تفهمه إلاّ العقول التي لا تفهم أو التي أضربت عن الفهم؟

.. أليست كل هزيمة الإله وفضائحه ودماماته وتشوّهاته وبدائاته ووقاحاته في أن يرى أو يقرأ أو يفسر أو يحاسب أو يحاكم أو يطالب أو يطلب منه أو يرجى أو ينتظر؟ لهذا أليست رسالة ووظيفة كل نبي أن يحمي الإله من أن يرى أو يقرأ أو يفسر أو يحاسب؟

.. أليس الإله هو الكائن الذي لا يرى جماله إلاّ في الظلام والذي لا ترى جماله إلاّ العيون العمياء ، والذي لا يعرف أو يجد ذكائه إلاّ العقول الغبية . . إلاّ العقول التي هي ضد كل العقول ، ضد كل الذكاء . ؟ إلاّ العقول التي تجد في الحشرة والعاهة والقبح والمرض والأم كل العقل والذكاء والمنطق والجمال والحب ونبيل الأخلاق وكرمها وشهامتها وفدائيتها . . إلاّ العقول التي ترى عبقرية ورحمة الإله تتجليان بكل قوتيهما وحبهما وجمالهما في التشوّهات والعاهات والأمراض وفي كل الآلام والنقائص والفواجع؟

.. إن أصدق وأشمل وصف لكل نبي أو لخاتم الأنبياء إذا التزمنا بكل الصدق والعدل أنه الفائق للعيون لثلا ترى ، والقاتل المفسد المضلل للعقول لثلا تفكر أو تفهم ، والمخمد المميت للمشاعر لثلا تغضب أو تفجع أو تقاوم ، والمشيّد لأضخم وأقوى وأردأ الوثنيات بحجة محاربة الأوثان والوثنيات أي المحاول المريد الموظف نفسه لذلك . ! . هل جاء فيمن جاء ليخمد ويضلل ويفسد ويقتل معاني الإنسان مثل خاتم الأنبياء؟

آه يا إلهي إنه مهما كان لكل الرحلات شيء من الجمال أو السرور أو الراحة أو النفع أو العزاء فإن الرحلة داخل ذاتك نقيض لكل ذلك . إنها كل العذاب والقبح والكآبة والخسران . !

.. إن كل العزاء لا يستطيع أن يكون شيئاً من العزاء لي لأنني تقبلت وتحملت

وجرؤت أن ارتحل هذه الرحلة داخل ذاتك بكل آفاقها وتفسيرها وقبحها وعذابها . لماذا فعلت ذلك أنا وحدي؟ هل لأنني معذب بلا قياس أم لأنني باحث عن العذاب؟

. . . إذن يا إلهي . . . الذين يتقبلون ويتحملون كل عذاب وقبح وهوان هذه الرحلة داخل ذاتك بكل الرؤية والمحاورة والمحاسبة والمحاكمة والتقوى الأخلاقية والنفسية والعقلية أو حتى بشيء من ذلك .

- نعم ، هؤلاء إذا وجدوا أو لو وجدوا بماذا نسميهم أو نفسهم أو نقرؤهم أو نحسبهم؟

هل نراهم ونحسبهم ونقرؤهم ونفسهم أسخف المجانين أم أعظم الأبطال الفدائيين أم أتقى المؤمنين ، أم أغبى وأوقح الباحثين عن الألم والتعذيب والترويع لأفكارهم وضمائرهم وعبونهم وأخلاقهم وأمانيتهم ونماذجهم المثالية؟

هل يفسرون بأنهم أبدأ العابثين السخفاء أم بأنهم أوقح المستمتعين برؤية وأقبح القبح وأفضح الفضائح؟

هل يوجد أوقح أو أجراً على اقتحام الوقاحة مثل من يقبلون الارتحال داخل ذاتك يا إلهي؟ إن كل عشاق الفضائح والقبائح لن يساؤوا في عشقهم هذا عشق المرتحلين داخل ذاتك للقبائح والفضائح . !

. . . تذكر يا إلهي تذكر وأحزن وارث لي واعتذر إليّ لأنني مستمر في هذه الرحلة داخل ذاتك وحدي ، وحدي . !

تذكر أنني مستمر في هذه الرحلة القاتلة الفاجعة الفاضحة داخل ذاتك وكأنني أبدؤها . !

إنني مستمر فيها ولكن بمشاعر أقسى حساسية ومحاسبة ورغبة في الهجوم والمعاقبة . إنني هنا أبداً محاسبة لك أي أستمرفهيا وكأنني أبدؤها لعنف حساسيتي بها وعنف رغبتني في الهجوم عليك من أجلها . !

آه . أنا وحدي في هذه الرحلة التي لا مثيل لقبحها وعذابها وعبثها في كل الرحلات لأنها يا إلهي داخل ذاتك . !

آه ليتني أجد مرافقاً أو مصاحباً أو معجباً أو حتى موافقاً أو محايداً أو صامتاً عن رفضي ولعني ومقاومتي . !

ليتني أجد آخرين قد سبقوني إلى هذه الرحلة داخل ذاتك يا إلهي لكي أجد شيئاً

من العزاء أو الإرشاد أو شيئاً من تخفيف عذاب ووحشة وحدتي الرهيبه . . لكي أجد مزيداً من الجرأة والصبر على اقتحام هذا العذاب والقبح ، قبح وعذاب الارتحال داخل ذاتك . !

صدقني يا إلهي إني هنا صادق ومخلص بكل معاني التعذيب لنفسي حين أنصحك بل أطالبك وأرجوك أن تحشد وتلهب هنا كل ذكائك وحماسك وعقلك ودهائك ومكرك وبلاغتك لأن الحساب أو الحوار سيكون قاسياً صعباً جداً عليك . . لهذا أطالبك بالاستعداد والاستنفار الشامل الكامل لذلك . . إني لأشعر بالرتاء لك والإشفاق عليك وأنا أكاد أبدأ هذا الحساب أو الحوار . !

. . في البدء يا إلهي قلت لك لماذا أوجدتني وطالبتك أن تذكر لي بل ولنفسك ما هي المسوغات أو الضرورات أو المجاعات أو الاحتياجات النفسية أو الفنية أو المنطقية أو الأخلاقية أو الجمالية أو الكونية أو الإلهية أو حتى الغنائية أو الشعرية أو المسرحية الملهاتية لذلك أي لإيجادي . !؟

. . ولكنك حتى هذه الساعة لم تذكر أي جواب عن هذا السؤال الأليم والضخم الذي لا بد أن أسأله وأن أجد الجواب المرضي المعقول المقبول عنه وإلاّ وجب عليّ أن أقاتل ما استطعت القتال من فعل بي ذلك ما لم أكن حشرة أو جماداً أو أقل وأبلد من ذلك أليس كل موجود يقاتل موجهه بكل الأساليب حتى حينما يقاتل المرض والفقر والقحط إنما يقاتل موجهه؟

. . وكذلك حدثك عما في إيجادك لي دون استشارتي وموافقتي من عدوان وسفه وعبث ووقاحة وبذاءة بل ونذالة . !

لقد سحبتني من مكاني الساكن البريء النظيف التقى الذي لن يصاب بأي قبح أو ألم أو عصيان أو فجور أو كفر أو عفن أو مرض أو موت أو حقد أو عداوة إلى وجودي وإلى الوجود الذي هو كل ذلك . !

. . . إن إيجاد الكائن دون استئذانه وموافقته لهو أوقع أساليب وتفسير العدوان والوقاحة والبذاءة بل إن إيجاده هو كل ذلك وفاعل كل ذلك . ! . لأنه لا يمكن استئذان من لم يوجد كان يجب ألاّ يوجد من لم يوجد لأن الإيجاد بدون استئذان عدوان ونذالة ووقاحة . !

. . إن قتل وتشويه وتعذيب وإذلال وتحقير الكائن البريء كل البراءة لهو أقل نذالة

وعدواناً وظلماً ووقاحة من إيجاده دون استشارته وموافقته بل إن أصابته بكل ذلك هو بعض تفاسير ونتائج إيجاده . !

.. كيف يا إلهي لم تفهم ذلك؟ وكيف لم يفسره لك أحد من مستشاريك وأعوانك؟ هل هم أغبياء أم منافقون ومهملون؟

هل المفروض في سكان السماء أن يكونوا معصومين ومحروسين من كل فهم وذكاء؟ ليته كان لك يا إلهي مستشارون وأعوان وناصحون ومعلمون من البشر أو غيرهم . ! . إذن لما تركت لتهوى كما هويت وتهوى . !

.. كيف يا إلهي لم تعرف أنك لو لم توجد الإنسان بعد أشق المعاناة والإرهاق لما تعذبت وقاسيت وتفجعت وصرخت وبكيت وأنيت من قسوة ما لاقيت من العصيان والهزائم والإهمال والإذلال والنسيان والتحقير والاستهزاء ومن تكاليف إرسال الرسل وإنزال الكتب والتعاليم وأيضاً من تكاليف خلق الفردوس والجحيم وإعداد حراسهما وموظفيهما بلا أي ثمن أو جزاء أو نتيجة؟

هل يوجد تاجر أخسر أو أخيب منك في خلقك للإنسان؟

.. كيف لم تعرف ذلك يا إلهي؟ كيف لم تعرف شيئاً لن يستطيع أحد جهله إلا أن يكون أحد سكان السماء، أو إلا من يتعلمون ذكاءهم من ذكاء سكان السماء؟

هل يمكن تصور خسران يساوي خسرانك في إيجادك للإنسان؟

هل كل خططك وتخطيطاتك ومشروعاتك وإنفاقاتك ومتاعبك يا إلهي خسران، خسران بل وآلام وإذلال وهوان لك؟

.. لم تدرك يا إلهي إن إيجادك للإنسان خسران وعصيان وتعذيب لك وفضح وإهانة لذكائك . . إذن كم يجب الرثاء لذكائك ولكرامتك ولكل تفاسيرك ومستوياتك؟

هل غاظك أو عذبك أو أذلك وعصاك خلقك لشيء مثل خلقك للإنسان الذي ملاك كبراً خلقك له؟

.. هل كان يا إلهي إيجادك للإنسان وأيضاً لكل شيء ولأي شيء بلادة أم بحثاً عن العار والاقتضاح والتعذيب والتحقير للذات؟ هل عذب أو يعذب أحد أحداً بوقاحاته وعصيانته وفضائحه مثلما عذبك ويعذبك يا إلهي الإنسان بذلك؟

كيف استطاع تفسيرك بهذا أو بهذا؟

إذن ليته يمكن أن يوجد أي تفسير لك آخر غير أحد هذين التفسيرين أو كليهما . !

هل تستطيع أن تجد أي تفسير لك في هذه القضية غير هذين التفسيرين مجتمعين أو مفرقين أو هل يستطيع ذلك أحد من أعوانك؟

هل تستطيع أن تزعم أو ترى أن إبداعك للإنسان أو لأي شيء لم يتحول إلى أقسى وأدوم وأشمل العصيان والخسران والتعذيب والإذلال والغيظ والغضب والهزائم والتحقير والإرهاق والمعاناة لك والهدم والإفساد والتكذيب لكل تدبيرك وتخطيطك وإرادتك وتعاليمك وتوقعاتك وإدعاءاتك بلا أي ربح من أي نوع أو بأي تفسير أو قدر أو أسلوب؟ هل امتلأت أو تعذبت عيناك برؤية كل الوقاحات والنذالات والدمامات والذنوب والفصائح مثلما امتلأت وتعذبت عيناك؟

. . . والآن أرجوك يا إلهي أن تستمع بكل الاحتراق والرغبة والانفجاء وأيضاً بكل البسالة والشهامة والتجلد والوعي والصدق واللهفة - أن تستمع إلى هذا السؤال أو الحوار يفجره ويطلقه عليك صاحب القضية المعتدى عليه .
- يطلقه ويفجره فيك وعليك بكل طاقاته وأسلحته النفسية والعقلية والمنطقية والأخلاقية واللغوية . !

نعم، لقد اعتديت عليّ بإبداعك لي بلا استئذان أو موافقة مني . . . وقد حاسبتك وحاورتك وحاكمتك على هذا العدوان وفيه . . . !

أما السؤال والحوار أو الحساب الأقصى والأقل فهو :

ولماذا من هذا الجنس أو النوع وبهذه الصيغة والذات أردتني وأوجدتني ولم تردني أو توجدني من أي جنس أو نوع آخر أو بأية ذات أو صيغة أخرى؟

لقد كانت كل الأنواع والأجناس والصيغ والذوات مفتوحة ومرئية ومعرضة أمامك، ومنطقية وفنية وأخلاقية وعبقورية في حسابك وتفكيرك ورؤيتك بلا أي تفاوت أو تفاضل أو تفضيل . !

لقد كنت أو كان أسلوب أو صيغة وجودي موجوداً في كل الاحتمالات . إذن كيف وبأي منطق تختار؟

لقد كان الاختيار والتحديد هنا ورطة أو تعجيزاً أو مستحيلاً أو يجب أن يرى كذلك . . . أنت تملك مادة ما وأنت تستطيع بقدرة مطلقة أن تصنع منها معبداً أو سجناءً أو بيتاً أو تمثالاً أو مستودعاً أو إنساناً أو قرداً أو جملاً أو حشرة أو نبياً أو ملاكاً أو ملكاً

أو رئيساً وأنت ترى كل هذه الصيغ والذوات والأجناس والإيجادات متساوية لديك فنياً ومنطقياً وأخلاقياً وجمالياً تساوياً مطلقاً، ومتساوية مشاعرك وأحاسيسك بها ونحوها ومتساوية احتياجاتك إليها ومنافعها لك ورؤيتك لها، دون أن تكون مكلفاً أو ملزماً أو مأموراً أو ملتزماً بأن تصنعها أي المادة لأحد في أية صيغة أو ذات أو ذات صيغة أو ذات صيغة أو ذات محددة، بل وأنت وهذه المادة الموجودان وحدكما أو الموجودان قبل كل وجود وصيغة وجود، بل وأنت وحدك المريد والفاعل لكل وجود أو موجود آخر إرادته وحاجته وصيغته ونموذجه. !

. . نعم، أنت في هذا الموقف أو لو كنت في هذا الموقف وتحت كل هذه الظروف والتفاسير فهل تتصرف أو تفعل هنا شيئاً مهما كنت عابثاً أو هارباً من الصمت والسكون أو موزعاً مستفرغاً لذاتك وطاقاتك بلا حساب أو منطق أو أخلاق أو وقار أو احترام للنفس، أو إلّا بقدر ما تكون عابثاً أو هارباً من عذاب وضيق الصمت والسكون أو باصقاً مستفرغاً لنفسك بلا أي اتجاه أو صيغة أو نموذج أو نظام أو قصد؟

ولو أنك تصرفت وفعلت فكيف يمكن أو تستطيع أن تختار اختيارك أمام هذه الاحتمالات أو الاختيارات المتساوية لديك في كل شيء؟

إن الاختيار من احتمالات وخيارات لا يستطاع حصرها صعب جداً أو سهو جداً أو عذاب جداً أو جنون جداً أو مستحيل جداً ما لم يكن هناك محرض على الاختيار من بين هذه الاحتمالات والاختيارات المطلقة في إعدادها وتفسيرها حتى ولو كان هذا المحرض أي على الاختيار وهماً أو تمنياً أو تصوراً أو تخلصاً من الحيرة والورطة والضياغ والصمت والسكون. . . إنه لا بد من المحرض مهما كان تفسيره ليكون ممكناً الاختيار أمام الاحتمالات المطلقة. . . إنه لا يمكن التصرف أو الفعل أمام الاحتمالات والاختيارات المتساوية في كل شيء، في كل تفاسيرها وفي كل حسابات ورؤى وأحاسيس ومصالح ومنطق وأخلاق من يُراد منه أو يفترض فيه أن يتصرف أو يفعل ما لم يكن مكرهاً أو مضطراً أو مأموراً أو متحركاً خابطاً ضارباً بلا قصد أو تدبير أو عقل أو هدف أو حرية أو رؤية أو ما لم يكن مهترأ مرتجفاً متميلاً هاوياً أو متصادماً متشاثماً قرئ وفسر بالفاعل والمتصرف مثلما تقرأ وتفسر النيازك والزلازل والبراكين والفيضانات وكل ارتجافات واهتزازات الطبيعة التي تتحرك دون أن تتصرف أو تفعل أي دون أن تريد أو تختار. !

. . القادر الغني قدرة وغنى مطلقين والمتساوية لديه أي لدى كل معانيه وتفسيره

وأشواقه ورؤاه وحساباته وأخلاقه كل صيغ ونماذج ووحدات وأنواع وأجناس كل وجود وموجود.

- نعم، هذا القادر الغني كل هذه القدرة وكل هذا الغنى أي الإله أي لو كان ممكناً أن يوجد لماذا يفعل ويتصرف ولو فعل وتصرف فكيف يختار صيغ تصرفه وفعله المطلقين في قدرتهما وفي كل أشواقهما وأهوائهما واحتياجاتهما وعلاقاتهما مع كل شيء وكل أحد؟

هل يفعل أو يتصرف مختاراً ومحدداً فعله ويتصرفه إلا العاجز أو المحتاج أو المضطر أو المكروه بأسلوب أو تفسير أو معنى ما أو إلا الغاوي الهاوي العاثر المستفرغ الباصق لذاته بلا أي هدف أو نية أو تفكير أو محاسبة للذات؟

حتماً، الفعل تعبير ما عن معنى ما من معاني العجز والاحتجاج. فالقدرة والاستغناء المطلقان لن يفعلا..

هل تحتاج يا إلهي إلى أن أقول وأفسر لك: إن المريد المخطط المصمم الصانع الخالق الفنان المبدع لا بد أن يصنع ما يصنعه بالصيغة والمستويات والصفات التي لا يستطيع أو لا يعرف أو لا يريد أو لا يستطيع ولا يعرف ولا يريد غيرها أو أعظم أو أضخم أو أجمل أو أعقل أو أذكى أو أنفع أو أحكم أو أقوى أو أقل تكاليف وأكثر ملاءمة وتمجيذاً ومجداً منها.؟!

إنه لا بد أن يصنع كل ما يصنعه بكل قدرته ومعرفته وعبقريته وفنونه وجماله ما لم يمنعه أو يخفه أو يفسده أو يغرّه أو يساومه أو يعقه شيء.!

.. هل يمكن أن يصنع الأقبح أو الأصغر أو الأضعف أو الأبلد أو الأنذل أو الأشقى أو الأجهل - أو هل يمكن أن يصنع أي قبح أو ضعف أو شقاء أو ضالة أو ندالة أو جهالة إذا كان يستطيع ويعرف أن يفعل النقيض وكانت التكاليف والظروف متساوية في أن يصنع هذا ونقيضه وكان يعرف هذا من نقيضه - أو هل يمكن ألا يصنع حينئذ كل صيغ ونماذج ومستويات أعلى ما يستطيع ويعرف أن يصنعه؟ هل يوجد من لا يضع كل عبقرته وقوته وفنونه وحماسه وذكائه وعقله وشوقه في كل ما يدبره ويخططه ويوجهه ما لم يكن شريراً أو عدواً أو ندلاً أو جباناً أو ماكراً أو أي شيء رديء آخر؟

.. أحسب يا إلهي أنك في هذه اللحظة تشعر وتتوقع أن سلاحاً قاتلاً سيطلق عليك. إني أكاد أراك مرتجشاً مرتجفاً متهاوياً متلفتاً إلى كل الجهات بلا رؤية أو وعي أو

وقار منتظراً إطلاق هذا السلاح على كل جبهاتك وأعضائك ومعانيك بلا أية قدرة على الدفاع والمواجهة أو التحمل. !

وأظنك قد فهمت أن هذا السلاح هو هذا السؤال :

هل إيجادك لي في النوع والنموذج والمستويات والذات التي أردتها لي وأوجدتني فيها محكوم بهذا المنطق والتفسير أو يمكن أو يجوز أو يقبل أن يحكم بهما؟

هل أوجدتني كما أوجدتني من نفس النوع والجنس والأوصاف والمستويات وفي نفس الذات والصيغة لأنك لا تستطيع أو تعرف أو تريد أن توجدني وجوداً آخر، في أي مستوى أو نموذج أو صيغة أو ذات أو نوع، أو لأنك رأيت أن إيجادك لي كما أوجدتني بكل ظروف ومواجهات ومقاساة ذلك هو كل السخاء والعطاء والجمال والسعادة والقوة والتمجيد والتكريم والحب والصداقة والمنطق والحكمة والرحمة والمحابة والتدلل لي والتعويض عليّ والاعتذار إليّ؟

هل رأيت أن إيجادي في النوع والصيغة والذات التي كانت هو الذي لن أقبل

سواه؟

. . هل إيجادك لي كما أوجدتني هو كل التعبير عن قدرتك ومعرفتك أم عن كل شهامتك وأخلاقك ونبلك وحبك وفنك وتكرمك ورؤيتك، أم عن كل احتياجك وفرحك وسعادتك ونوع مسلاتك وملهاتك وقسوتك وشماتتك ومجاعتك إلى التعذيب والترويع والتفجيع وإلى التغذي بمن خلقته وأردته بلا شحم ولا لحم بل وبلا حجم أو عظام؟

هل أحد غيرك يا إلهي يخلق كائناً بلا شحم أو لحم أو عظام ليشبع به جوعه؟

. . أم هو أي إيجادك لي كما أوجدتني هو كل التعبير عن إرادتك وشهوتك اللتين لا يستطيع ولا أنت تستطيع إخضاعهما أو خضوعهما لأي منطق أو خلق أو شهامة أو كرامة أو جمال أو فن أو محاسبة أو محاكمة؟ إنه لو أمكن تفسير كل شيء بالمنطق والأخلاق لما أمكن تفسير إرادتك أو شهوتك بشيء من ذلك. .

ولماذا جاءت إرادتك وشهوتك وهما يتخبطان بلا تدبير أو تفكير أو تقدير أو رؤية أو محاسبة.

- لماذا جاءتا في خبطاتهما لتوجداني كما أوجدتاني مع أنه لا ضابط ولا أمر ولا نظام ولا حدود أو قانون لمجيئهما وخبطاتهما؟

.. لماذا صاغتني هذه الخبطة من خبطاتهما ولم تصغني أية خبطة أخرى صاغت
صخرة أو نخلة أو زهرة أو قملة أو نملة أو جملاً أو ذئباً؟

كيف استطاعت شهوتك أو إرادتك أو يدك أن تهتدي إليّ في الفراغ المطلق
والظلام المطلق ثم استطاعت أن ترى وتعرف الصيغة والذات التي أوجدتني بها أي في
الفراغ والظلام المطلقين؟

.. قبل أن توجدني بل وتريدني يا إلهي لم ترني لا صورة ولا رسماً ولا شهوة ولا
عشقاً ولا خيلاً ولا نموذجاً ولا أوصافاً مقروءة أو مكتوبة أو مروية أو متمنة ولم يأمرك
أو يطالبك أحد بأن توجدني كما أجدتني من نفس النوع والجنس والنموذج وفي نفس
الذات والمستويات والأوصاف. !

إن أي شاعر أو نبي لم يتغنَّ بأوصافي بين يديك وفي أذنك يا إلهي. !

.. إذن كيف اهتدت إلي تصوراتك وشهواتك وأحلامك ويداك وضرباتك
وتهويماتك ونزواتك وأشواقك لتوجدني كما أوجدتني في نفس الذات والصيغة والنوع
والجنس وفي كل الصفات؟ هل يكون العشق قبل وجود المعشوق؟ هل أنت يا إلهي
هذا العاشق؟

.. ماذا لو أن كائناً ما يعيش وحده في فراغ مطلق وهو مطلق التصورات والرؤى
والأشواق والحب والتفكير، أراد لأسباب مجهولة بل لأسباب لن تكون معقولة أو
مقبولة أن يكون فاعلاً أي خالقاً حيث لا توجد نماذج سابقة بل حيث لا يوجد أي وجود
غير وجوده هو؟

كيف يمكن حينئذ أن يصوغ نموذج ما يريد أن يوجده لكي يكون ويحسب نفسه
فاعلاً؟ أليس الفعل وكذا الإرادة وكذا التدبير والتخطيط تحديداً وليس إطلاقاً؟

.. لو أن صانع أزياء مطلق القدرة والتخيل والتصرف وكان يملك المادة التي
يصنع منها الأزياء والملابس بلا حساب أو نفاد أو ثمن لما يملك ولم يكن قد رأى أي
جسم حتى ولا جسمه ليصنع على مقاسه ما يريد صنعه.

- نعم، لو أن هذا الصانع للأزياء والملابس وجد تحت كل هذه الظروف ثم أراد
أو أريد منه أن يصنع ثوباً أو زياً فهل يمكن أن يعرف كيف يصنعه؟ كيف يصنع مقاساته
والوانه وأنواعه رفته أو قسوته، خفته أو ثقله، أو قوته أو ضعفه، ضيقه أو اتساعه،
فتحاته وقفلاته؟

.. إن البدء المطلق من الفراغ المطلق من القفرة المطلقة لا يمكن أن يكون، ولو كان لما أمكن أن يكون فناً أو نظاماً أو حياً أو جمالاً أو عقلاً أو معقولاً.!

.. إن البدء المطلق مستحيل وضلال وقبح أنه خبط في الظلام المغلق بلا أية علامة أو تجربة أو هاد أو طريق. . لنحاول أن نتصور ما كان أو ما كنت يا إلهي يوماً ما من أيام تاريخك الذي تزعم أنه بلا بداية أو نهاية وأنه كان بلا أي مجد أو فرح أو سعادة أو انتصار لك أو لأعوانك وجنودك.!

.. نعم، إنه لا تاريخ مزروع كله بالهزائم مثل تاريخك يا إلهي.!

.. لتتصورك وحدك بلا أي وجود أو موجود آخر. . بلا أي مستشار أو مساعد أو صديق أو محاور أو مسائل. . بلا أي حبيب أو حبيبة. . بل أي حان أو مشفق أو حانية أو مشفقة. بلا أية ابتسامة من أحدهم أو من إحداهن.!

آه. ما أبشع هذا، ما أبشعك وما أبشع تصورك وتصور عذابك وضياعك وحيرتك وكأبتك وأنت تُقاسي هذه الوحدة المغلقة.!

.. ثم لتتصور أنها في لحظة أو في دهر قد تفجرت فيك إرادة أو شهوة تفرض عليك أو تغريك وتغويك أو تكون فاعلاً أي خالقاً.!

نعم، إن إرادة الخلق هي أفسق الشهوات وأغوى الغوايات.!

.. ثم لتتصور أنك استسلمت لهذه الشهوة والإرادة ولهذا الإغراء والإغواء فصممت على أن تفعل وتخلق. . على أن تلد بلا زواج وبلا علاقات تصنع الحبل والولادة، وبلا أرحام أو نماذج أو قوانين وراثية تصوغ نموذج وحجم وصيغة وصفات المولود.!

كيف يمكن أن يجيء حجم المولود وصيغته وصفاته من بدء وفراغ مطلقتين؟

.. آه. إذن لقد أصبحت يا إلهي محاصراً بسؤال قاتل يصعب أن يستحيل عليك أن تجد له أو عنه جواباً.!

.. يقول لك هذا السؤال: كيف تبدأ الفعل والخلق وأنت في فراغ مطلق؟ بأي نموذج أو ذات أو صيغة أو أسلوب تبدأ وبأي منطق؟

.. كل شيء مثل أي شيء وأي شيء مثل كل شيء. إذن كيف يكون البدء والاختيار؟

. . أي فعل وخلق أو أي عالم أو أي كون أو أي جنس أو أي نوع أو أي لون أو أية صيغة أو أية مستويات أو كائنات أو ذوات أو وحدات أو سموات أو قارات .

- نعم، أي ذلك تختاره لتخلقه لتكون خالقاً؟

ثم أي زمان أو مكان أو طقس أو اتساع، وأي قدر من الجمال أو الدمامة . . من الاستواء أو التشوه . . من القوة والفخامة أو من الضعف والضآلة . . من الحياة والخلود أو من الموت والفناء . .

- نعم، أي ذلك يستهدي إليه اختيارك وبأي قانون أو منطق أو حتى بأي احتمال يمكن أن يهدي إليه لتفعله، لتكون خالقاً؟

. . أنت مطلق في كل شيء في القدرة والإرادة والتصور والرؤية والتفكير والتدبير والتخطيط والحب والهوى والعلاقات مع كل شيء وكل أحد . . إن كل الأشياء والاحتمالات والاختيارات والنماذج أمامك سواء، وإن رؤيتك لها إعجاباً وحباً ومنطقاً وعدلاً وجمالاً وفناً رؤية واحدة. ! . إن جمالك وذكاءك ومنطقك وفرحك وعبقريتك وكل فنونك موجودة في كل الأشياء بدرجة واحدة!

. . إنك أمام كل شيء محايد ومفرغ وبريء من كل العلاقات والأهواء والمحابة والحوافز الذاتية والعقلية والفنية والأخلاقية وغيرها . . إنك مطلق، مطلق لا تتحدى بأي شيء في معنى من معانيك. !

. . إنك بالمنطق والحب والأخلاق والشهوة والإرادة والتدبير والتخطيط وعبقرية الإبداع والفن والجمال التي صغت بها الذباب والبرغوث والقملة والشیطان هي التي صغت بها الزهرة والنبي والملاك، والتي صغت بها العاهة والتشوه والمرض، هي التي صغت بها الجمال والصحة والقوة والعبقرية، أي إن كنت قد صغت أي شيء بأي شيء من ذلك. !

. . إذن كيف تختار؟ كيف تستطيع أن تختار والمفروض أنك تفعل حتى تختار؟ بالله قل لي يا إلهي الضائع: هل كانت عبقريتك أو تقواك حينما أردت وخلقت أية حشرة أرداً من عبقريتك وتقواك حين خلقت أي نبي؟

. . الفعل بلا اختيار محال أو جنون . . والاختيار بلا تفسير أو معنى للاختيار أو محرض عليه أو ملزم به شيء أقبح وأكثر من المحال والجنون. ! . إذن يا إلهي كيف يكون الاختيار؟ وبأي قانون أو منطق يكون الاختيار لما يجب أو ينبغي اختياره. ؟

.. هل يمكن أن يوجد هنا جواب أو حل؟ لو وجد أي جواب أو حل لأي سؤال فهل يمكن أن يكون جواباً وحلاً؟

.. إن إيجاد الشيء مختارة له صيغة أو ذات ما، لن يكون إلا عن نموذج أو عن قدرة محددة أو إرادة محددة أو حاجة محددة أو خيال أو منطق أو هوى محدد مغلوب. بل إن كل ذلك لا يكفي ما لم يكن هناك نموذج سابق أو ما لم يرد إيجاد نموذج محدد مفهوم. ولماذا يُراد وكيف يُراد ويصاغ ويختار النموذج إذا كان كل شيء فراغاً مطلقاً وكانت كل النماذج سواء لدى من يريد أن يختار ويوجد؟

.. إنها يا إلهي قضية لم تستطع لا أنت ولا أحد من المتعاملين معك والمعاونين لك والمعلمين لأخلاقك ومعانيك وتفاسيرك فهمها. إنها لم تكن صعبة بل لقد كان الصعب العجز عن فهمها..

لهذا كم يجب الرثاء والبكاء لانخفاض وضعف مستويات الفهم فيك أنت يا إلهي وفي كل من تعاملهم ويعاملونك وفي كل من تثق بهم ويثقون بك؟! ما أظلم وأورقح من صنعوا الفهم وقسموه..

إنهم لم يهبوك لا أنت ولا أحداً ممن حولك شيئاً منه!

.. أسمع يا إلهي بكل الرهبة والجد والفهم لما أقول لك..!

إني بكل الحسم والإصرار والغضب أنقد وأنكر وأرفض وأحاسب وأحكم الذات والصيغة والنوع والجنس والزمان والمكان والطقس والصفات والظروف وكل المستويات التي أردتها لي وأوجدتني بها مهما كانت الأسباب والحوافز التي أغرتك أو حرّضتك أو أغوتك أو أكرهتك أو خدعتك على أن تفعل ما فعلت!.

هل تعالج نفسك بأن توجدني كما أوجدتني فهل يغفر لك ذلك عدوانك عليّ؟

.. أجل، حتى ولو كانت الأسباب والحوافز هي أنك وجدت أنك لن تفرح أو تضحك أو تسعد أو تنام أو ترضى عن نفسك ومجدك أو تجرؤ على النظر إلى وجهك في أية امرأة إلا بأن توجدني كما فعلت.. بل حتى لو كانت الأسباب والحوافز إنك قد احتملت أو أخبرت أو عرفت أنك لو لم توجدني كما أوجدتني لكان محتوماً أن تمرض أو تموت أو تهرب من كونك أو تضرب عن الفعل والخلق أو تدمر كل ما خلقت أو يواجهك كل من خلقت وما خلقت بثورة كونية تسقط عرشك أو تسقطك من فوق عرشك..!

هل فكرت أو خفت ولو مرة واحدة أن ثورة قد تسقطك كما حدث لكثير من
الطغاة؟

.. إني لن أغفر أو أتنازل مهما كانت الأسباب والحوافز .!

ولو أنك يا إلهي قلت لتحرجني وتفحمني أو لتضعف من محاسبي ومحاکمتي لك
ومن ضخامة العقاب الذي تستحقه والذي أطالب به لك .
- نعم، لو أنك قلت مدفوعاً بهذه التفسير:

ولماذا لا تفارق وجودك الذي ترفضه بكل هذه القسوة أي بأن تموت بيدك
وإرادتك وقوة رفضك؟ .. إن هذا الموت سهل وميسر جداً. وقد يسرت وأكثر
ونوعت وقربت وكشفت أسبابه ووسائله وطرقه بكل سخائي ونبلي وشهامتي ورحمتي
لكي يفعل به بلا أية مقاساة أو خطأ أو ثمن أو ترخيص أو تحليل أو قانون أو عقاب كل
من يريده ويرفض حياته أو وجوده. إن العاجز عن كل شيء يستطيع أن يصنع موته بلا
نضال.. كيف ترفض وتلعن وجودك وتذهب تحاسب وتحاكم عليه ثم تصر على
الاستمسك به تحت كل الهوان والعذاب والتفاهة والعجز والضياع واليأس بل ثم لا تكره
أو تخاف أو تعادي شيئاً أو أحداً مثل من تظن أنه قد يخلصك من هذا الوجود أي من
وجودك الذي تنقذني وتهمني وتحاسبني وتلعنني وتريد أن تعاقبني لأنني وهبتك إياه؟
إني أنا الإله لم أيسر أو أسهل أو أكثر أو أقرب من أسباب ووسائل شيء مثلما فعلت مع
أسباب ووسائل الموت الذي يختار اختياراً .!

لقد كنت سمحاً وكرماً ورحيماً وحضارياً حينما فتحت كل الأبواب والآفاق أمام
كل من يريد أن يفارق وجوده .!

إني لم أسخ بشيء مثلما سخوت بفتح هذه الأبواب وبالإكثار منها .!

.. نعم يا إلهي لو أنك قلت ذلك، وسداجتك التي لا علاج لها أو منها تغريك
بأن تقوله لقلت لك:

إن من أردأ وأقبح وأفجع ما في الذات والصيغة والنماذج والأوصاف والمستويات
التي أردتها لي وأوجدتني بها أن جعلتني أجبن كل الجبن وأرذل وأندل الجبن عن إرادة
أو عن تقبل الخلاص من وجودي حتى ولو تجمعت فيه أي في وجودي كل الآلام
والمهانات والحقارات والفضائح والعار واليأس والخوف والبؤس حتى لو جاء إلى هذا
الخلاص بأنبل وأكرم وأشرف وأسهل الأساليب .!

بل حتى ولو كان الخلاص منه أي من وجودي يعني الذهاب إلى السماء، إلى

لقائك ومصافحتك وتقبيلك ومعاشتك ومجالستك ومجاورتك ومصادقتك وإلى الخلود في فردوسك فوق أرداف وفي أحضان الحوريات وإلى الغرق في الكؤوس المتنقلة من وبين أيدي وابتسامات الغلمان. . الغلمان الذين تخيلهم وصاغهم وأنثهم كل حبك وعشقك للجمال. !

. . إذن كم يزداد ويتعاضم ويقبح عدوانك وظلمك واستحقاقك للمحاسبة والمحاكمة والعقاب لأنك قد أوجدتني في صيغة وخصائص وضرورات واحتياجات ومستويات تجعلني أصر على الاستمسك بوجودي بل وأناضل كل النضال وأجبن وأنذل وأسخف النضال لكي أستمسك بوجودي مهما فعلت بي ومهما واجهت وبشعت وهنت وتعذبت وافتضحت بوجودي وباستمساكي بوجودي أن استمساكي بوجودي مهما كان هو أحد ذنوبك وأخلاقك وعدوانك ووقاحتك الشاملة البذيئة عليّ. لقد أوجدتني في صيغة أرفضها بكل الانفجاع والغضب والاشمئزاز ثم جعلتني أرفض مغادرتها بكل الهوان والجبن والمسكنة والقبح. !

. . إني إذا أذنبت أو قبحت أو جبت أو افتضحت أو هنت أو تبلدت أو تلوث فأنت المذنب القبيح الجبان المفتضح المتبلد المتلوث المهين المهان. ! أأست أنت كل البدء والإرادة والفكرة والتصميم والتنفيذ؟ أأست تعرف ذلك؟

. . كيف لا تعرف ذلك؟ إن ذكائك إذن ليستحق الرثاء أكثر مما يستحق الهجاء. !

هل تعرف يا إلهي كم يعذبني هبوط مستوى ذكائك وذكاء العاملين معك المبلغين عنك المفسرين لك المدافعين عنك. ! هل تعرف كم يعذبني ويفجعني ويخجلني التحديق في أي معنى أو تفسير من معانيك وتفسيرك محولة إلى أكوان. . إلى شمس ونجوم وأقمار ومجرات، أو إلى حشرات: قمل ونمل وصراصير وبراغيث وجراثيم وعصافير، أو إلى جمال ودمامة وصحة ومرض وقوة وضعف وغباء وذكاء وفرح وحزن وولادة وموت وانتصار وانهزام. . وإلى قصور ومقابر، وإلى أعراس ومآتم. !

. . بل أو محولة إلى أنبياء وملائكة وزبانية وإلى أبالسة وشياطين وإلى سكان جحيم وسكان فردوس. . ؟

. . ليتني أجد منقذاً أشكو إليه ما يوقع بي هبوط ذكائك وأخلاقك من عذاب وانفجاع واشمئزاز واستحياء وصدمة يا إلهي الذي لن يسمع ولو سمع، لما فهم، ولو فهم لما قدر ولما عرف، ولو سمع وفهم وقدر وعرف لما أراد أو استجاب أو تحمس أو تحرك أو انفعّل أو استيقظ أو رأى شيئاً أو أحس بشيء أو حزن أو فرح لشيء أو

أعجب بشيء..! نعم، يا إلهي الذي لن أجد هجاء ويأساً وهواناً لنفسي مثل أن تكون أنت إلهي.. أنت كل معاني وتفسير إلهي!

.. إني يا إلهي لا أستطيع أن أكف عن تكرار هذا السؤال المحاصر الفاجع الصادم أبداً لكل رؤاي ومنطقي وتفسيراتي وأخلاقي ومواجهاتي. إنها أسئلة وليس سؤالاً..

إنها أسئلة لا أنتظر عنها أجوبة. إن كل سؤال عنك أو موجه إليك بلا جواب!

.. نعم، هل صغتنني من نفس النوع والجنس وفي نفس الذات والصفات والمستويات وفي نفس الزمان والمكان والطقس وفي كل شيء لأنك لا تستطيع أو تعرف أو تريد أو تقبل أو تستهي أو تتصور غير ذلك؟

.. هل كنت تريد إغضابي وإشقتني وتعذبي وترويعي؟

ولماذا تريد ذلك؟ ماذا فعلت بك قبل أن توجدني بل وبعد أن أوجدتني لكي تريد لي كل ذلك؟

وحين أردت إغضابي وإشقتني وتعذبي وترويعي ألم تجد وسيلة أخرى أقل غباء ونذالة ووحشية وقبحاً مما فعلت؟

هل هذا الأسلوب هو كل طاقاتك العضلية والعقلية والتصورية؟

إذن هل أردت حينما صغتنني كما صغتنني إسعادي وتكريمي وتمجيدي؟

ولماذا تريد لي ذلك قبل ودون أن أفعل لك أو من أجلك ما يرضي أنايتك أو يروي ظمأك؟ وهل أنت سخي وشهم كل هذا السخاء وهذه الشهامة؟

إن كل التجارب عليك تنكر أن تكون شيئاً من ذلك وتسخر من زعمه وتصوره..!

ألا يستحق كل الرثاء من يجراً على اتهامك أو وصفك بشيء من ذلك؟ إن وصفك بالشهامة والسخاء لهو إسقاط وتحقير لكل تفسير الشهامة والسخاء..!

.. إذن لماذا توقع أبشع وأقبح وأنذل العاهات والتشوهات والآلام والهموم والهزائم والفضائح بالحيوانات والكائنات البريئة وبالأطفال الأبرياء بل وبمن وهوك كل إيمانهم وتقواهم وصلواتهم وتضرعاتهم واضعين جباههم وهاماتهم وقاماتهم وكل ذكائهم وكبريائهم وكرامتهم ووقارهم فوق التراب وتحتة تقريباً إليك وبحثاً عن أشواقك وأمجادك ورغباتك وعن مكانك ومكانتك وعرشك هناك، هناك أي فوق التراب وتحتة وفي التراب؟

أليس الذين يسجدون ويركعون فوق التراب وتحتة، ويصلون ويحجون إلى التراب

وإلى الحجارة المصنوعة من التراب ويقبلونها إنما يفعلون ذلك تقريباً وزحفاً إليك وبحثاً
عنك أي تحت التراب وفي التراب وفوق التراب؟ أأست يا إلهي كأننا تريباً لهذا تطالب
المؤمنين بك أن يتقربوا إليك بوضع الجباه على التراب وبالصلاة إلى التراب؟

. . أليس الذي يصلي بحثاً عنك ومحاولة للوصول إليك والقرب منك والالتقاء
بك يهوي إلى الأرض وإلى التراب ولا يرتفع أو يتوجه إلى السماء أو إلى النجوم أو
القمر أو السحاب؟

إذن أأست الكائن الذي لا يستطيع الوصول إليه إلا غوصاً في التراب؟

أما إذا كنت قد أردت بذلك أي بإيجادي كما أوجدتني إسعادي وتمجيدي
وتكريمي فهل يمكن حينئذ تصور من يستحق كل الرثاء والإشفاق بل والاشمئزاز مثلك
لأنك لم تستطع أن تجد أو تعرف أو تتصور وسيلة أو صيغة أو أسلوباً للإسعاد والتكريم
والتمجيد غير ما فعلت بي ولي أي أفضل أو أنبل أو أعقل أو أبقى؟

. . كنت يا إلهي تحترق رغبة في إسعادي وتكريمي وتمجيدي ولكنك لم تجد
وسيلة أو صيغة أو أسلوباً لذلك غير ما فعلت . ألم يكن لديك أي فني أو مصمم أو
متخيل حتى ولو كان أمياً بدوياً ابتدائياً ليدلك على أفضل مما عرفت وفعلت؟

نعم، إذن كيف جئت أي أنا كما جئت؟ هل جئت تمرداً وخروجاً وانتصاراً على
إرادتك وتديريك وتخطيطك وفنونك وأخلاقك؟ هل تسللت من كل معانيك دون أن
تدري أو تريد؟ هل جئت فلتة أو غلطة محسوبة عليك بلا استحقاق؟

هل جئت سعلة أو بصقة أو أنة من سعاتك أو بصقاتك أو أناتك دون أن تستطيع
المنع أو الامتناع أو التدخل أو التصحيح أو التراجع أو الاعتذار أو التعويض أو حتى
الخنجل؟

هل ولدتني ذاتك ولادة عشوائية اضطرارية استفرافية ولم أجيء تدبيراً أو تخطيطاً أو
إرادة أو صنعا؟

هل أنت تستفرغ الوجود استفرغاً لهذا يجيء بلا حساب أو قانون أو فن؟

. . هل أحد أكرهك أو رجاك أو ألزمك أو رشاك أو هددك أو خدعك لتوجدني
كما فعلت؟

. . هل خفت لو جئت صيغة أخرى أو شيئاً نموذجياً أو نوعاً أو جنساً آخر أن
أهددك أو أنافسك أو أنفيك أو أضعفك أو أفضحك وأكشفك أو أسقطك؟

هل خشيت أن أؤمن أو أعجب بك لو صغنتي شيئاً أو مستوى آخر؟

.. إنها أسئلة لن تنتهي أو تتوقف أو تهدأ أو تبرد نارها. !

.. إنها لن تجد جواباً ولن تصاب بالملل أو الاسترخاء أو النسيان أو الغفران. !

.. إنها أسئلة تحرقني. تحرقني، ما أغبى وأسعد من لا تحرقهم هذه الأسئلة أو ما أذكاهم وأنذلهم. !

.. اسمع هذا السؤال المغروق المحروق: هل أوجدتني كما أوجدتني بحثاً عن إسعادي وإسعادك أم عن إشقائي وإشقائك؟

إن كانت الأولى فقد جهلت وأخطأت وضللت، وإن كانت الثانية فقد قبحت وتوقحت وتوحشت. ألا تسقط من فوق عرشك في هذه اللحظة؟

.. إنه لحق لك يا إلهي أن تحشد كل طاقاتك وتطلق كل أسلحتك دفاعاً عن نفسك. . عن اتهامك في ذكائك أو في رؤيتك أو في عبقريتك أو في أخلاقك أو في شرفك أو في مواهبك الفنية أو في كل ذلك. وقد كان الاتهام لك هنا في كل ذلك بل وفي كل شيء. .

وقد تقول في هذا الدفاع المباح لك:

إن هذا الاحتجاج على صيغة وأسلوب ومستويات وظروف إيجادي لك احتجاج ظالم متعجل معاد راغب في التحطيم والإذلال إنه احتجاج ورفض واتهام بلا أية رؤية شاملة أو بعيدة أو عميقة أو صديقة أو قارئة لشيء من تفاسير القضية أو ظروفها أو احتمالاتها. إن القضية صعبة ومعقدة وغامضة جداً. إن المتهم في هذه القضية قد يكون مستحقاً للإشفاق والرثاء مهما بدا أنه مستحق لكل العقاب. !

نعم، إن كل إيجاد لا بد أن تكون له صيغة وذات ونوع، ومستوى مهما كانت عبقریات وطاقات ونيات وتقوى ونبل وشهامة الموجد. !. إنها ورطة لا يستطيع أحد التفوق عليها حتى ولا أنا الإله. !

إني هنا في تفسير ومعنى المفعول به مهما كنت الفاعل أو حسبت الفاعل.

.. إذن إيجادك وإيجاد أي شيء لا بد أن يكون في صيغة وذات ونوع وظروف محتمة. .

إذن فإن الاحتجاج أو الرفض أو الاتهام إن كان صحيحاً أو معقولاً أو مقبولاً لأنني أوجدتك كما أوجدتك لا بد أن يكون كذلك كيفما أوجدتك ومهما كانت الصيغة

والذات والنماذج والظروف والمستويات التي أوجدتك بها حتى ولو أوجدتك في صيغة وظروف مستويات وقوة كينونتي أنا الإله . .

لأنك حينئذ ستقول: ولماذا أوجدتني في هذه الصيغة أو الذات أو الأوصاف أي التي هي صيغتي وذاتي وأوصافي أنا الإله أي افتراضاً !

. . إنني أنا الإله لو كنت أملك موهبة التساؤل والنقد والمحاسبة والمحاكمة والرفض أو لو وجد من أفعل به وأوجه إليه ذلك لكان المفروض ألا يوجد مثلي مسائلاً وناقداً ومحاسباً محاكماً رافضاً لأنني قد وجدت أو أوجدت في الذات والصيغة والظروف والمستويات والآلام والفضائح والتفاهات والمواجهات التي بها وجدت وجئت . ولكن ويلي أنا الإله لأنني أنا وحدي الكائن الذي لا يجد من يشكو أو يتظلم إليه . لأنني أنا الباكي المعذب الذي لا يجد مواسياً أو راحماً أو منقذاً !

. . إن رفضي واستنكاري واستقباحي لصيغ وتفسير ودمامات وجودي لن يكون حينئذ أقل قسوة وفجيرة وصدقاً وحرارة وغضباً واشمئزازاً من رفض واستنكار واستقباح أحقر وأرذل وأشقى موجود لوجوده . !

ولكن لو كنت أي أنا الإله أملك هذه الموهبة فهل كان ممكناً أن أوجد أو أبقى لأرفض؟

. . إن هذه القضية لا بد أن تكون هكذا:

إما لا سؤال ولا احتجاج على صيغة أي وجود وموجود وإلا فإن كل جواب عن صيغة أي وجود هو جواب عن كل صيغ كل الوجود والإيجاد أي في منطقي وأخلاقي وسلوكي أنا الإله . !

إنه إما لا سؤال ولا محاكمة أو محاسبة أو رفض أو اتهام لأي إيجاد وإلا فإن صيغ الإيجاد تستحق نفس المساءلة والمحاسبة والمحاكمة والنقد والرفض والاتهام . ! إنني أنا الإله لا أقسم إلى جيد وحكيم ورحيم ونبييل وجميل وعبقري وإلى نقيض ذلك أي في منطقي وتديبري وأخلاقي وفعلي بل إما هذا أو هذا إما كل الجمال والعبقرية وإما كل الدمامة والتفاهة . !

. . إنه لو قال الصرصار أو الأرنب أو الشيطان لماذا أوجدتني يا إلهي كما أوجدتني لكان من حق الأسد والصقر والعصفور والملاك والنبي أن يقول نفس ذلك بنفس المشاعر والمنطق، ولما كان أحد الفريقين مصيباً أو معذوراً في تساؤله واستنكاره ورفضه أكثر من الآخر . !

. . إنه لو قال متهماً ورافضاً وغاضباً المصاب بأقبح وأقسى وأشمل الدمامات والعاهاات والضعف والعجز والعذاب والهوان والعار : لماذا يا إلهي صغنتي هذه الصياغة لما اختلف استقبالي وتفسيرى وسماعى وتقبلى ورفضى لذلك لو أننى سمعته أى هذا الإتهام والرفض والغضب ممن وهبته كل فنون الجمال والصحة والقوة والسعادة والمجد والكرامة وكل تكامل الذات . !

. . إن أروع حسناء وأذكى ذكية لو قالت لماذا يا إلهي خلقتني بكل هذا الجمال والذكاء وخلقت أختي بكل هذه الدمامة والغباء، وقالت أختها: لماذا يا إلهي خلقتني بكل هذه الدمامة والغباء وخلقت أختي بكل هذا الجمال والذكاء لما وجدت فرقاً بين السؤلين ولما اختلف جوابي عن السؤلين . !

إنى أنا الإله لا أسأل عما أفعل لأنه لا جواب عما أفعل، لأنه لا تفسير لما أفعل، لأننى لا أدري لماذا أفعل، لهذا أفعل ضد ما يجب أن أفعل . !
إن كل من يفعلون يعرفون أو المفروض والواجب أن يعرفوا لماذا يفعلون إلا أنا الإله فإنى لا أعرف لماذا أفعل أو لا أفعل . .

لو كنت لا أفعل إلا إذا عرفت لماذا أفعل فهل كان ممكناً أن أفعل؟

ولهذا فإنى أفعل حيث لا ينتظر أو يحتمل أو يعقل أو يقبل أو يغفر أن أفعل، وأكف عن الفعل حيث يفرض كل العقل والواجب والنبيل والشهامة والكرامة والأخلاق وكل التوقعات والحسابات المختلفة التفسير أن أفعل بل حيث يكون كل الإجرام والنذالة والخسة والوحشية فى ألا أفعل . ! . إنى أفعل حيث لن يوجد أنذل ممن يفعل، ولا أفعل حيث لن يوجد أنذل ممن لا يفعل . !

. . لقد كنت صريحاً جداً دون أن أريد أو أنوي أو أكون كذلك حينما قلت أو قال خاتم الأنبياء رواية وتبليغاً عنى وتعبيراً عن خلقي هذا: «لا يسأل عما يفعل . .» . . إن منع السؤال لن يكون تأديباً أو تأديباً . فالسؤال تعظيم وثقة لا إهانة . إن منع السؤال هنا يعنى العجز عن الجواب . . أنا لا أسأل عما أفعل لأننى لا أدري لماذا أفعل، ولأننى لا أدري فإنى لن أجده أى جواب لو سئلت . ! .

. . إن الذى يفعل بمعرفة وذكاء ومنطق وجمال وخلق فإنه لن يرفض أن يسأل بل يسعد ويطلب بأن يسأل لأنه سيجد الجواب الجيد المعقول المقبول المرضي المقنع . .
إن المسؤول العارف القادر على الجواب معلم وهاد . وكيف ترفض أن تكون يا إلهي معلماً وهادياً؟

.. كيف جئت يا إلهي وقبلت أن تجيء وتبقى بهذا الحجم العقلي والأخلاقي والنفسي والفني .. بهذا الحجم الذي يهبط بك عن أن تكون مسؤولاً؟ هل وجد أو يمكن أن يوجد من جاء أو قبل أن يجيء أو يبقى بهذا الحجم غيرك يا إلهي؟ إن أجهل وأطغى طاغية لن يجد شيئاً من مجده أو كبريائه أو تكريمه أو احترامه في ألا يسأل!

يقول المسخرون لتفسير ما لا تفسير له ولتفسير أغبى وأنذل الأشياء بأذكي وأنبل التفاسير: أن «لا يسأل عما يفعل» تعني لا يحاسب على ما يفعل!

ولماذا لا يحاسب الفاعل لكل شيء؟ أخوف عليه من المحاسبة؟

هل يخاف البريء النظيف الذكي التقي القادر والكمال قدرة وكمالاً مطلقين أن يحاسب؟ هل يخاف من المحاسبة إلا اللص أو الظالم أو العاجز أو الجبان أو الغبي أو المشوه أو الضعيف القبيح البليد الشخصية؟ إن العظيم القوي ليطالب بأن يحاسب لكي يكون مثلاً ..

.. أليس منع أو تحريم محاسبته يعني منع وتحريم رؤيته وقراءته أي الإله وتفسيره وفهمه والتفكير والتحديث فيه وفي أي شيء يريده ويفعله؟

إذن كيف أمكن الإيمان به أو الإيمان بعدله أو جماله أو قوته أو عمله أو بكونه مدبراً مريداً خالقاً واحداً أزلياً أبدياً أو بكونه حكيماً ورحيماً وتقياً ونبيلاً لأنه يصيب الأطفال بكل العاهات والتشوهات مغالزلاً أخلاقه؟

.. أليس هذا الإيمان فيما يقول ويعتقد المؤمنون هو عطاء المحاسبة الشاملة القاسية أي للإله بالرؤية والقراءة والتفسير والفهم والتفكير والتحديث والحوار؟

أليست محاسبة الإله تعني محاسبة الكون وكل شيء . ومحاسبة الكون وكل شيء وأي شيء تعني محاسبة الإله؟ هل يمكن أن تمنع أو تحرم محاسبة أي وجود أو موجود؟ إذن هل يمكن أن تحرم محاسبة الإله؟

.. أليس منع وتحريم محاسبة الإله تعني حتماً منع وتحريم رؤيته وقراءته وتفسيره وحواره ومنع وتحريم التحديث والتفكير فيه لأن المحاسبة رؤية وتفسير وفهم وحوار وتحديث وتفكير في المحاسب؟

ثم أليس منع وتحريم ذلك يعني منع وتحريم رؤية وقراءة ومحاورة وتفسير وفهم أي شيء وكل شيء ومنع وتحريم التحديث والتفكير في كل شيء وأي شيء لأنه إذا حُرِّم أو منع محاسبة المريد المدبر الفاعل فلن تجوز محاسبة ما يريده ويدبره ويفعله؟

. . إذن كيف أمكن أو يمكن رؤية الإله أو قراءته أو محاورته أو فهمه أو تفسيره أو التفكير أو التحديق فيه، وبدون هذا كيف أمكن أو يمكن الإيمان به؟ أليس هذا يساوي إغلاق الطريق والجهل به وإزالة كل العلامات الدالة عليه لكي يستطاع السير فيه؟
. . أليس هذا يساوي أن تفقد عينيك أو أن تغلقهما لكي تستطيع أن ترى ما تريد رؤيته أو ما تلزم برؤيته؟

الكائن الذي لا يحاسب على أي شيء يفعل أو يكونه أو يريده أو يتعامل معه وبه كيف يمكن أن ترى أو تعرف مزاياه؟

. . الكائن الذي ترفض وتحرم رؤية ذنوبه وأخطائه ودماماته أو الذي ترفض وتحرم رؤية ذاته كيف يستطاع رؤية صوابه أو جماله أو تقواه أي شيء من مزاياه؟

. . الكتاب الذي لا نقرؤه بكل الحماس والحرارة بل وبكل الرغبة الصادقة في النقد الصادق الشجاع هل يمكن أن نعرف قيمته أو تفاهته؟

هل الإله هو الكتاب الذي يجب ألا نقرأه لكي نعرف عبقريته وذكاءه وصدقه وإخلاصه ونؤمن له بذلك؟

هل الإله هو الوجه الذي لن ترى جماله إلا بأن تفقد عينيك أو تغلقهما محرماً عليهما أن ترياه؟

ولكن هل أنت يا إلهي بكل هذا المجد؟ إنك لجميل وحيد وذكي جداً لو أنك كنت الكائن الذي لا تراه إلا العيون التي لا ترى، ولا تقرؤه أو تفهمه وتؤمن بعبقريته إلا العقول التي لا تقرأ. !

ولكن لا يا إلهي إنك لا تستطيع الصعود إلى هذه المكانة. !

. . بل أنت الكائن الذي لا تراه إلا العيون التي لا ترى الأشياء إلا نقيض ما تراها العيون الرائية والذي لا تقرؤه أو تفهمه أو تجده إلا العقول التي لا تقرأ الأشياء أو تفهمها أو تجدها إلا نقيض ما تقرؤها وتفهمها وتجدها كل العقول القارئة الفاهمة الواحدة. . إنك لست الكائن الذي يرى لأنه لا يرى ولم ير، بل الذي يرى نقيض ما يرى. إنك لست الجمال لأنك محجب بل أنت كل الجمال لأن تشوهاتك ودماماتك تملأ كل العيون حتى العيون العمياء. !

إنك لست الكائن أو الكتاب الذي يقرأ ويفهم ويوجد لأنه لم يقرأ أو يفهم أو يوجد، بل الذي يقرأ ويفهم ويوجد نقيض ما يقرأ ويفهم ويوجد. !

أعذرني واغفر لي يا إلهي جرأتي أو وقاحتي الجريئة على أن أفسرك لنفسك بكل
الصدق المتوحش الفاضح . !

وهل يمكن أن يتعذب ويفتضح بالصدق لو وجد مثلك يا إلهي . !

إن كل شيء وكل أحد قد يستطيع أن يحيا ويبقى ويعامل ويرى حتى ولو فسر بكل
الصدق أو ببعض الصدق إلا أنت يا إلهي فإن أي شيء من الصدق وتفسيرك بأي شيء
من الصدق لا بد أن يقتلك فكيف لو كنت أنت يا إلهي صادقاً ولو مرة واحدة؟

إن الآلهة جميعاً لا توجد أو تعيش إلا بالكذب، بكل الكذب . !

. . . إنك يا إلهي الكائن الذي لن يراه أن يجده أو يعامله أو يرجوه أو يهتف له أو
به أو يفسره أو يقرؤه إلا الكاذبون . . الكاذبة عيونهم وعقولهم وأخلاقهم وضمائرهم
وآذانهم بل والكاذبة قاماتهم وهاماتهم وجباهم الراكعة المنحنية الساجدة على التراب
بحثاً عنك وتقرباً إليك أي فوق التراب وتحت وفيه . !

هل يوجد أكذب من القامات والهجمات والجهاب الباحثة عنك فوق التراب أو أكذب
من المعلمين القائلين بأن الوصول إليك طريقة التراب .

. . نعم، أكرر يا إلهي أنك أنت الكائن الذي لا يبحث عنه الباحثون ولا يجده أو
ينتظر أن يجده الباحثون عنه إلا في التراب وتحت التراب وفوق التراب . ولهذا فإنهم
يصلون لك ويتقربون ويسافرون ويحجون إليه في التراب وإلى التراب وتحت التراب
وفي السير فوق التراب إلى التراب مقبلين للتراب، مقبلين للأحجار السوداء المصنوعة
من التراب . !

آه كم من الهوان والإهانة لك في أن يذهب الذين يريدون لقاءك وإرضاءك إلى
التراب ليطوفوا به ويقبلوه ويلمسوه ويصلوا إليه وله وفيه أي لكي يجدوك ويصلوا إليك
ويطوفوا بك، ولكي يلمسوك ويصافحوك ويقبلوك بل ويساكنوك . اسمعوا يا أصحاب
الجهاب الساجدة في التراب . أستم تقولون إن الإله في السماء، فوق الكون؟

إذن لماذا لا تصعدون بجباهكم إليه في السماء، فوق الكون؟

إذن لماذا لا تصعدون بجباهكم إليه في السماء لا أن تهبطوا بها إليه في التراب؟ . .
نعم، يا إلهي إنك لو دافعت عن نفسك هذا الدفاع لما وجد مثلك متهماً بأسلوب ونيات
المدافع، ومحاكماً حاكماً معاقباً بكل العقوبات على كل الذنوب بأسلوب ونيات
المبرئ . !

إنه لن يوجد حينئذٍ مثلك يا إلهي ملوثاً مشوهاً لكل ذاته ولكل معانيه وتفسيره بمنطق ونيات من يريد ويرى أنه يطهرها وينظفها ويجملها . !

إنه لن يوجد حينئذٍ من يهجو ويحقر نفسه بنيات ومنطق من يريد وينوي مدحها وتمجيدها ، بل وهو يظن ويعتقد ويعلن أنه يمدحها ويمجدها مثلك يا إلهي . ؟

أجل ، هل وجد أو هل يمكن أن يوجد عاجز عن رؤية أو فهم الفرق بين المدح والتمجيد والتنظيف والتبرئة والجمال والتجميل والحب والتكريم والتطهير وبين نقيض ذلك مثلك يا إلهي ؟

ألست قد ذهبت تذلل وتقهر وتضعف وتهزم وتعذب وتعاقب وتغضب وتغيظ وتفجع نفسك وأنبياءك ورسلك ومعلميك وأديانك ونبواتك وأوليائك بنيات وحوافز منطق التكريم والتمجيد والحب والإسعاد والنصر والانتصار ؟

ألست تمرض وتشوه وتفقر وتحطم لأنك تحب وتصادق وتحنو وتنعم ؟ ألست تطلق الأنات والآهات والصرخات واللعنات من كل القلوب الكسيرة لأنك فنان في تأليف الأغاني الجميلة السعيدة المطربة وفي الاستماع إليها ولأنك تريد أن تغني لنفسك ؟

.. ألست قد ذهبت تهب كل أبالستك وشياطينك وأعدائك وخصومك كل الخلود والقوة والذكاء والأمجاد والانتصارات والتفوق في كل شيء لأنك تريد وتنوي وتدبر قهرهم وإبادتهم وإذلالهم وهزيمتهم وإضعافهم وفضحهم وتحقيرهم ؟ ألست تصنع الموت وأنت تكرهه وتقتل الحياة وأنت تحبها وتريدها ؟ .. ألست تنفق على صنع الحياة ثم تنفق على قتلها ؟ ألست تفعل ما لا تريد بل ما يؤذيك ويغيظك ولا تفعل ما تريد وما يهيك الفرح والرضا والمجد ؟

.. إذن هل يوجد مذلل ومحقر وهازم ومعاد لنفسه ولأحبائه وأنصاره وأوليائه ، وناصر مكرم مصادق ممجد لأعدائه ومحاربيه وخصومه وهو يريد وينوي أن يفعل النقيض في الفريقين بل وهو يرى أنه يفعل النقيض هنا وهنا مثلك أو غيرك يا إلهي ؟

ألست الكائن الذي لا يمكن فهمه بأي تفسير من تفاسير العقل أو الأخلاق أو الذكاء ؟

.. إنه لو وجد يا إلهي من يقرؤنك ويرونك ويفسرونك ويحاسبون سلوكك وأخلاقك وذكائك وكل تصرفاتك في كل تاريخك ومعاملاتك لكان محالاً أو سخفاً أو بلادة أو معاداة للنفس ألا يصروا على أن يكونوا من أعدائك وخصومك ورافضيك

ومنكريك ومحاريبك بل ولاعنيك أي لكل من تهبهم كل المجد والقوة والانتصارات والسعادة والفرح والرخاء والتفوق، أو ألا يرفضوا أن يكونوا من أوليائك وأصدقائك أو أنبيائك أو أنصارك أو جنودك أو محبيك أو عابديك أي لئلا توقع بهم كل الهزائم والهوان والضعف والبؤس والتخلف والقحط والفقر بكل معانيها الأدبية المعنوية والمادية. !

. . إنك يا إلهي كائن لا مثيل له ولن يقبل أو يستطيع أي كائن آخر مهما كانت تشوهات وعاهاته وذنوبه وأمراضه النفسية والعقلية والأخلاقية أن يكون مثيلاً له أي لك يا إلهي الذي «ليس كمثله شيء» كما قلت واصفاً نفسك بكل الإعجاب بنفسك، راوياً ذلك عنك نبيك العربي محمد الذي تعلم منك أخلاقك أو الذي صغته على نموذجك حين زعم لنفسه أنه النبي الواحد الذي تتجمع فيه كل النبوات وتموت أمام نبوته كل النبوات والأنبياء، وإنه الأول والآخر والواحد والظاهر والباطن أي كما زعمت لنفسك يا إلهي الذي استعرب في كل معانيه وأمانيه وأخلاقه وتفكيره ولغته بعد أن أصبح له نبي عربي. !. أليس كل إله يجيء على مقاسات نبيه وتفسيره وتصوراتهِ وليس العكس؟

. . نعم، إن أي كائن لن يقبل أو يستطيع أن يكون مثلك. !

إنك الكائن الذي يتعمد أن يوقع بأصدقائه وأوليائه ومحبيه وعابديه كل الهوان والضعف والتخلف والهزائم، ويناضل بل ويمكر ويخدع ويكيد لكي يهب خصومه ورافضيه ومنكريه وغائظيه وفاضحيه كل المجد والقوة والانتصار والتفوق والتقدم والعلوم والعبقريات القاهرة الهازمة لعبقرياته وعلمومه وتعاليمه. !

فهل يمكن أن يوجد من يفعل ذلك أو من يقبل أن يوصف أو يتهم بشيء من ذلك؟

إذن لقد كنت صادقاً حينما قلت عن نفسك: «ليس كمثله شيء» أو كان خاتم أنبيائك هو الصادق حينما وصفك كذلك. !

ولعل نبيك محمداً لم تكن له أية رؤية صادقة ورائية غير رؤيته لك أو مثل رؤيته لك حين أعلن أنه ليس كمثلك شيء. !. إنها رؤية يصعب أن تخفى على أحد.

كيف أمكن أن يخفى على أحد أنك يا إلهي بلا مثيل في خروجك على جميع القيم الفكرية والأخلاقية والفنية؟

. . ولكن المؤسف بل والفاجع والسالب الساحب من رؤيته هذه لك كل تفاسيرها

الجيدة أنه رآك هذه الرؤية وأعلنها بأسلوب ونيات الامتداح والتمجيد لك . وليس بأسلوب ومشاعر الانفجاء والأسى والغضب والاشمئزاز والإشفاق عليك ومنك وبك . !

ما أفجع هذا يا إلهي . . ما أفجعه . !

. . نبيك محمد الذي لم يكن يرى شيئاً مما يرى أو مهما رأى . . نبيك هذا رآك خارجاً على كل النماذج والمقاييس الأخلاقية والنفسية والمنطقية والفنية والعلمية والإنسانية فصرخ من هول وقسوة رؤيته هذه قائلاً :

(ليس كمثله شيء) . . !

نبيك العربي رآك هذه الرؤية وهو الذي قد جاء ليعلم العيون الرؤية ويعلم العقول أي لو وجدت وأذن واعترف بوجودها - يعلمها التفكير ضد التفكير . يعلمها الكفر بالتفكير . !

محمد نبيك العربي هذا رآك هذه الرؤية . !

ما أبشع وأفجع دلالة ذلك . !

من أين استعار عقله وتقواه وغضبه وأخلاقه التي أذنت له بأن يراك هذه الرؤية؟ من أين استعار صدقه هذا وشجاعته هذه؟

إن المعروف عن نبيك محمد النبي العربي أنه لو استعار لا يستعير إلا ما لا تنبغي استعارته .

إذن كيف استعار هذه المرة ما تجب استعارته أي ما يجب أن يستعيره وأن يعاره من كان مثله أي من كان محتاجاً إلى أن يستعير وأن يعار كل شيء جيد وعظيم لأنه لن يتخلق أو يولد في ذاته أو تحبل به ذاته أو ينبت في حقول أو في صحارى زمانه أو مكانه أو مجتمعه؟ إنه أي نبيك محمداً لم يكن في كل شيء إلا مستعيراً ومعاراً، ولكن ماذا كان يستعير ويعار؟

إن كل كائن أو كل إنسان قد يستعير ولكن ما أعظم الفروق بين من يستعيرون وما يستعيرون .

. . لقد أصبح من الصدق كل الصدق يا إلهي أن يقال :

هذا خصم وعدو ورافض مغضب محارب للإله ليعني به أنه إنسان أو كائن أو مجتمع قوي متقدم منتصر متفوق سعيد ذكي غني متحضر بل وإنساني أخلاقي أي محاسباً بنقيضه . !

وأن يقال: هذا مؤمن بالإله عابد محب ناصر مناصر له بكل الصدق والالتزام والوفاء وبالإخلاص ليعني به أنه إنسان أو كائن أو مجتمع متخلف ضعيف فقير مهزوم جاهل بليد. . لهذا كم هو صدق أن يقال: إن إسرائيل هي أعظم أعداء الإله وأن العرب هم أعظم أصدقاء الإله. !

. . إن البشر لو كانوا جميعاً يرونك يا إلهي ويقرؤونك ويفسرونك ويفهمونك ويحاسبونك كما أنت بكل أخلاقك وتفاسيرك التي تعاملهم بها والتي يجدونك بها في كل أزيائك ومواقفك وأوطانك وتاريخك لما أمكن أن يوجد فيهم إنسان واحد يؤمن بك أو ينتمي إليك أو يواليك أو يحبك أو يحترمك إن كان ذلك بصدق وتقوى لا بخداع ونفاق وكذب كما يفعل كل أو أكثر المنتمين إليك يا إلهي بل كما يفعل أعظم وأقوى وأشهر المنتمين إليك في كل الأوطان وكل التاريخ لأن أقوى منتم إليك هو أعظم وأوقح كاذب بك، لهذا فإن أنبياءك هم أوقح وأكذب الكاذبين عليك وبك!

- نعم، لما أمكن حينئذ أن يوجد فيهم هذا الإنسان الواحد خوفاً من أن توقع به وتدبر وتريد له كل الهزائم والمهانات والضعف والفقر والتأخر والعجز الشامل كما هو المرئي الدائم الشامل أي ما لم يكن هذا المؤمن بك المنتمي إليك الساجد على التراب بحثاً عنك خادعاً لك خادماً بك مزوراً كل سجلاته وتوقعاته وإعلاناته وسجدياته وبتوقيعه بل باسمك. إنه لم يوجد اسم وقع ويوقع به المزورون مثل اسمك في كثرة المزورين به وضخامة وقبح ما يزورون وقوة الانخداع به. إنك إذن يا إلهي أعظم نصير للمزورين. . . !

. . هل يمكن أن يوجد أي إنسان أو كائن أو مجتمع قوي أو ذكي أو غني أو متطور متقدم متفوق منتم إليك، معلناً بكل الصراخ والأساليب والتعاليم إيمانه بك وانتمائه إليك ثم لا يكون كاذباً منافقاً مزوراً فاسقاً بكل عرضك وعفتك وشرفك وكرامتك بل وهاتكاً لبيكارتك أي إن كنت أو لو كانت لك بكاره يا إلهي الذي لم يوجد ولن يوجد مفجور معبوث بعرضه بل ومباح عرضه لكل أحد بل أي قيد أو شرط أو ثمن مثله أي مثلك يا إلهي؟

. . إني أتكلم وكأنني أحسب أنه قد بقي لك أو فيك عرض أو بكاره. إذن كم أستحق الرثاء. !

هل يوجد عرض مباح أبداً لكل أحد بلا أي ثمن غير عرضك يا إلهي بل بلا أي شروط أو اختيار أو اصطفاء؟ إنه لو كان لكل الأعراض كرامة أو حراسة لكان عرضك وحده هو الذي بلا شيء من ذلك. !

.. إنه شيء هو أكثر من المستحيل أن يوجد مؤمن بك منتهم إليك قوي منتصر
ناجح نافق لامع في السوق ثم لا يكون منافقاً كاذباً مخادعاً !

إن المؤمن بك المنتهمي إليك لا بد أن يضيع ويبور بل ويموت في السوق بقدر ما
يكون صادقاً مخلصاً متعاملاً بك ومعك كما يقول عنك وكما تقول له وتطلب منه !.

وهل يمكن أن يكون كذلك؟

.. أليس أفبح وأقسى النماذج لأخلاقك وسلوكك يا إلهي مع أصدقائك وأعدائك
ما فعلت إبليس وله ومعهم ومن أجله عدوك الأكبر الأوحـد محاسباً بما فعلت مع أعدائه
وخصومه الذين هم أصدقاؤك وأولياؤك وأحبابك وما فعلت بهم ومن أجلهم؟

.. لنفكر في ما فعلت هنا وهنا لكي نعرف أخلاقك وسلوكك وشهواتك
وأهواءك، لكي نتمزق انفجاعاً وذعراً واشمئزازاً وغشياً نفسياً وعقلياً وأخلاقياً وإنسانياً
وحزناً عليك يا إلهي الذي لا تكفي كل الأحزان لتكون حزناً واحداً عليه أي عليك
يا إلهي.. إن الأحزان لو كانت توزع على المستحقين لها بقدر استحقاقهم لها لوجب أن
يتحول كل شيء إلى أحزان عليك يا إلهي !

.. ولكن هل صحيح أن إبليس هو عدوك الأول والأوحد أم أنك أنت العدو
الأول والأوحد لنفسك ولإبليس ولكل شيء وكل أحد رديء وجيد؟

أليس إبليس مصنوعاً لا صانعاً؟ وهل الآثم والمسؤول والمحاسب المصنوع أم
الصانع؟ ألسنت أنت الفاسق إبليس ولم يكن هو الفاسق بك؟ لقد سلم كل عرضه بكل
الشهامة أو النذالة لتفسق به !

.. أليس إبليس ولادة إرادتك وشهوتك ونزوتك وعبقريتك وفنونك وحساباتك؟

أليس إبليس هو أحد أبنائك الذي هزم كل أبنائك. هل ولدت مولوداً يساوي في
عبقرياته شيئاً من عبقریات ابنك العظيم إبليس؟

.. هل إبليس هو الذي أراد أن تريده وتصوغه وتوظفه أم أنت الذي فعلت به
وأردت له وبه ذلك؟

إذن هل يوجد جان مثلك ومجني عليه مثل إبليس؟

بل هل وجد مطيع منفذ لإراداتك وشهواتك مثل إبليس؟

لقد وزعت شهواتك ورغباتك الكثيرة على موظفيك. فهل وجدت فيهم من أدى

وظيفته التي أردتها منه مثل إبليس؟ هل وجدت لك يا إلهي ابناً باراً مطيعاً منفذاً لما تريد مثل ابنك العظيم إبليس؟

. . لقد أردت وطلبت من إبليس أن يغوي ويضل ويفسد الإنسان، وطلبت وأردت من أنبيائك وأوليائك وملائكتك أن يهدوه ويصلحوه وينظفوه. فأَيَ الفريقين فعل ما أردت وطلبت بقوة وذكاء وانتصار أكثر؟ إنك لن تنكر أنك قد خلقت وهيات الشيطان لوظيفة أردتها منه. إذن هل استطاع أحد من أنبيائك أو أوليائك أن يؤدي ما أردت منه مثل الشيطان؟

هل جاء شيء من تدبيرك وتخطيطك وإرادتك وتوظيفك وأوامرك وتعاليمك وتصوراتك وأمانيك ناجحاً ومنتصراً ومرضياً إلا في إبليس؟

هل جاء مصدق أو مجامل أو غير مهين لحسابات ذكائك غير إبليس؟

. . إنك يا إلهي هزائم وفضائح في كل تاريخك وخطواتك وآمالك وتوظيفاتك وتوقيعاتك إلا في كائن واحد وظف كل أنبيائك وأوليائك وأحبائك عليه كل لعناتهم وبغضائهم ودعاياتهم حقداً عليك وحسداً له هو موظفك العبقري إبليس. . الذي لم تهزم أو تهن أمام أحد أو شيء كما هزمت وهنت أمامه أو الذي لم تنتصر أو تمجد أو تعظم في شيء أردته ودبرته وفعلته مثلما انتصرت وعظمت ومجدت به وفيه وفي إرادتك وتدبيرك وتخطيطك وخلقك وإخراجك وصياغتك له. إنه مهما هزم وعصي إبليس تعاليمك وأوامرك ونوباتك فقد أطاع حكمتك ومشيتك وشهوتك وانهمزم أمامها. !

. . إن تقديراتك وحساباتك وأمنياتك لم تصدق في شيء أو أحد مثلما صدقت في إبليس. ! لقد جاءت انتصاراتك فيه أي في إبليس تعويضاً جيداً جداً يا إلهي عن هزائمك في جميع موظفيك الآخرين من أنبياء وأولياء وملائكة. !

إن ما انتصر فيه إبليس وحققه هو ما تريده وتشتهيه وتفرح وتسعد به. أما ما دعا إليه وعلمه أنبياءك ودعاتك فهو ما تعلنه وتدعيه وتحدث عنه فقط ولهذا تضعه دائماً تحت كل أسباب الهزيمة والعجز. !

. . إذن أليس محتوماً يا إلهي أن تنزل إبليس أعلى مكان في فردوسك أي كنت تتعامل مع أي قدر من المنطق والصدق والأخلاق والعدل بل وأن تجلسه معك فوق عرشك بكل الاحترام والتقدير والمحبة بل والاستحياء منه والتواضع أمامه حينما تنظر إليه أو تتحدث معه أو تفكر في مزايه محاسباً لها أي لمزايه المتفوقة بمزاي كل أنبيائك ودعاتك العاجزة المهزومة؟

.. لقد حقق لك أي إبليس كل شهوتك المريضة الأليمة اللثيمة .!
لقد كانت شهوتك هذه أن تخلد أكثر البشر في الجحيم لتسعد جداً بعذابهم وقد حقق لك هذه الشهوة .!

لقد كانت هذه شهوتك حتماً لهذا خلقت ويسرت أسباب تحقيقها .!
إنك حينما وظّفت إبليس فيما فعل لم تكن مكرهاً أو مخدوعاً بل كنت راعباً فاهماً .! إذن هل تستطيع شكره ومكافأته مهما شكرته وكافأته .

آه كم يجب الإشفاق على أنبيائك ودعاتك وأنصارك وكم يجب الحزن والرتاء لهم ومن أجلهم لو أنهم حاسبوا هزائمهم وعجزهم بانتصارات إبليس وقوته وتفوقه .! هل يقبلون أن يصبحوا أنبياء أو دعاة أو أنصاراً لك أو أن يبعثوا يوم الحساب المزعوم الكوني لو أنهم ملكوا هذه المحاسبة أو المقارنة؟

كيف يجروون أي أنبياءك وأوليائك ودعاتك يا إلهي على الظهور في مكان واحد مع إبليس لتواجه هزائمهم وضعفهم وهوانهم انتصاراته وقوته ومجده وليروا ويقروا ويفسروا في الموقف أو المكان الذي فيه يرى ويقراً ويفسر خصمهم منافسهم إبليس؟

هل يقبلون أو تقبل أنت لهم هذا الافتضاح؟

كيف لم يفتن أحد إلى هذا الموقف الذي لا يطاق والذي يقال إن أنبياءك ودعاتك وأنصارك سوف يقفونه دون أن يروه أو يقرأوه أو يفهموه؟

كيف تقبل ضمائرهم أو أخلاقهم أو تقواهم ألا تكون حظوة ومكانة وأمجاد خصمهم ومنافسهم هذا أي إبليس أعظم من حظوتهم ومكانتهم وأمجادهم أي لديك يا إلهي بقدر تفوقه في أدائه لوظيفته التي كلفته بها وأردتها منه بل وأردته لها؟

هل يمكن أن تقبل ذلك؟ ولكن هنا سؤال هو أقسى دلالة وتفسيراً هو: كيف أردت وقبلت ودبرت أن يكون لمن زعمته أكبر أعدائك أي لإبليس كل أمجاد الانتصارات أي عليك ولأنبيائك ودعاتك كل هوان الهزائم؟

.. الآن، الآن يا إلهي أكاد احترق واختنق بسؤال يفجعني، يفجعني جداً رثاء لك، رثاء لعجزك وحيرتك ورهبتك وفجيعتك أي لو سمعته وفهمته ووعيته وفكرت في نتائجه مستيقظاً متحفزاً متبرئاً متحرراً من بلاة نعاسك واسترخائك وكسلك وعواطفك ورؤاك الخاملة الصامتة عن كل رؤية وحرارة وحركة وانفعال .!

وهل أطمع أو أنتظر أن تكون شيئاً من ذلك أو أن تفعله؟

. . ولكن قد تقول يا إلهي: وهل يستطيع أي إله أن يعيش أو يبقى أو يوجد أو يتعامل أو يرى فوق هذا الوجود أو فيه أو حوله أو معه بل أو أي كائن آخر غير إله لولا شمول وديمومة وقوة وقسوة وأصالة بلادته واسترخائه ونومه وكسله وخموله وخموده؟

. . إن كل هذا الوجود وكل وجود احتراق، احتراق لولا البلادة والخمود والخمول والغفلة والكسل والاسترخاء والنوم، النوم بلا يقظة. وهل يوجد محتاج إلى النوم العميق، العميق بلا يقظة مثل الإله؟

أليست تفاسير وقيمة ومجد واستتار وعظمة بل ويقظة كل إله في أنه نائم نوماً أبدياً بلا يقظة ولا احتمال أو انتظار يقظته؟

يقظته؟ هل يوجد من ينتظر أو يريد يقظته؟

. . إن نوم كل النائمين لا يساوي عمق وموت وديمومة نومة أي إله، نومتك يا إلهي إن كل نوم محاسباً بنومك ليس نوماً بل كل اليقظة. !

وإن نوم كل النائمين لا تساوي كل مزايه مزية واحدة من مزايا نومك يا إلهي. . إن أعظم مزاياك يا إلهي بل ومزايا كل إله هو النوم الأبدي. !

ماذا لو كنت يقظان أو لو أمكن أن تستيقظ يا إلهي؟ كيف يستطيع حينئذ أي كائن أن يطمئن على وجوده أو على أي شيء من قوانين واستمرار وانتظام قوانين وجوده؟ أليس وجود قوانين الأشياء واستمرارها والثقة بها أقوى تفاسير نومك الأبدي والافتناع بنومك هذا؟

كيف يستطيع أن يطمئن على شيء وهذا اليقظان يقظان وهو يوجد ويحيا ويفعل كل أفعاله داخل عيني هذا اليقضان هذا اليقظان الذي لن يوجد ما يساويه إرهاباً وإزعاجاً وتخريباً أي لو كان يقظان؟

. . إن جميع البشر وأمثالهم حتى المؤمنين منهم جداً ليعلمون أن الإله واقعاً وعملياً نائم بلا استيقاظ. . وأنهم جميعاً لن يسعدوا أو يفرحوا أو يرحبوا بأن يكون يقظان أو بأن يستيقظ من نومه الأبدي ولو لحظة واحدة، ولن يقبلوا أن يحدث ذلك أي عملياً وسلوكياً مهما كانت التعاليم والعقائد والعظات والأقوال. إن كل حساباتهم وتصرفاتهم قائمة على أن هذا النائم لن يستيقظ لهذا يتعاملون مع أنفسهم وفضائهم بكل العري والجرأة. !

كيف يستطيع أي كائن يشعر ويعقل ويأمن ويخاف ويتوقع ويحذر ويحسب

ويحاسب أن ينام أو يجلس أو يسترخي أو يعمل أو ينشئ أو يشيد أي شيء أو يمارس داخل حدوده المحروسة أو المحجبة أي لذة أو فرح أو لهو أو استمتاع بأي قدر من الاطمئنان أو من مشاعر الأمان والثقة أو من الجرأة أو الفرح أو الاسترخاء - نعم، كيف يستطيع أي كائن بهذه الصفات أن يكون أي شيء من ذلك أو أن يفعل أي شيء من ذلك داخل عيني كائن يقظان مطلق القدرة والفعل والكينونة والأخلاق والإرادة والرؤية والانفعالات، ويصف نفسه معجباً مباهياً بأنه فعّال مما يريد وبأنه كل يوم، كل لحظة هو في شأن، وبأنه يفعل ويتصرف، يعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، يضل ويهدي بلا حساب أي بلا قانون بل بنوبات من المشيئة والعبث واللعب والارتجاف النفسي والذاتي ومن الرغبة في عرض الذات والقوة وفي التلهي والتسلي والبحث عن السرور والإعجاب بالنفس ومن إرادة الخروج على الصمت والسكون والتعطل والبطالة. . يفعل كل ذلك بأساليب هي أردأ وأعبد وأقبح وأوقح من كل أساليب الأطفال الذين يشيدون ويصنعون الشيء ويدمرونه ثم يشيدونه ويصنعونه عبثاً ولهواً وتسلياً وهرباً من الصمت والسكون ورغبة في عرض الذات والإعجاب بها والإعلان عنها والمغازلة لها وفي تبديد شحنتها بأي أسلوب وبكل أسلوب؟ إن النوم فوق الجحيم المستعر لن يكون أكثر استحالة أو ذعراً من النوم أو الاسترخاء أو الاطمئنان داخل عيني هذا اليقظان. إني لن أشعر يا إلهي بأني محتاج إلى الاعتذار لك لوصفي لأساليبك في أفعالك بأساليب الأطفال بل قد أكون محتاجاً إلى أن أعتذر للأطفال لهذا التشبيه أو المقارنة بين تفاسيرك وتفسيرهم نيات ونتائج ومنطقاً وذكاء وأخلاقاً.!

وهل عبث الأطفال حتى ولو تحول إلى تخريب وقبح إلا تعبير عما فعلت بهم واحتجاج عليك؟

. . ما أظلم المقارنة بين براءة وجمال عبث الأطفال وبين قبح وفحش ونذالة عبثك يا إلهي.!. ما أظلم المقارنة بين ذنوب من صنع الآلة الفاسدة المخربة بتدبير وتخطيط وقصد قادر وبين ذنوب وعيوب هذه الآلة.

. . ليتك يا إلهي تتعلم من الأطفال جمال وبراعة العبث واللعب والتلهي وتفرغ الذات من شحنتها.!. ليتك تتعلم منهم الرحمة والحب والتقوى.!

إذن لأصبح الكون وكل شيء جميلاً ورحيماً أو لأصبح أقل قبحاً ووحشية وبلادة وبذاءة ونذالة. .

كما أتمنى أن يحكم الأطفال الكون إن كان البديل أن تحكمه يا إلهي.!

.. أنا أفترض يا إلهي أنك لم تسمع ولا تسمع ما قلته وما أقوله في هذه اللحظات لأنني أفترض أن كل معانيك قد تحولت إلى توقعات وتفسيرات رهيبة مذعورة مستغرقة في قراءاتك واستنتاجاتك لاحتمالات السؤال الذي هددتك به . كذلك افترض أنك متلهف إلى أن تسمع هذا السؤال راجياً أن تخفف من توقعاتك الرهيبة المطلقة الاحتمالات كل الاحتمالات التي لن يكون فيها أي احتمال مريح أو رحيم أو حتى مجامل . . التي لن يكون فيها أي تفسير مدافع عنك أو مناصر أو حتى غافر لك . !

.. يقول هذا السؤال : ماذا لو أن كل شيء أي كل ما خلقت قد قرر أن يحاسبك ويحاكمك أو حتى يسألك على الذات والصيغة والجنس والنوع والمستويات والظروف والأوصاف التي أردتها له وصغته وقيدته وحبسته وشوّهته وأهنته وفصحته وعذبته بها أو اخترتها له أو اخترته لها دون استئذانه أو علمه وموافقته أو رضاه أو حتى غفرانه أي كما حاسبتك وحاكمتك وسألتك أنا على الذات والصيغة والنوع والجنس والزمان والمكان والظروف والصفات والمستويات التي أردتها لي وأوجدتني بها دون أن أعلم أو أقبل أو أريد أو أرضى أو أحتى أستشار؟

هل أكون أنا البدء في هذه المحاسبة والمحاكمة والمحاورة؟ هل أرفض ذلك؟

.. نعم، يا إلهي المتهم أو الذي يجب أن يتهم بكل شيء وبكل أحد، والذي يجب أن يواجه إليه كل الاتهامات والتهم كل شيء وكل أحد، والذي لن يوجد متهم يستحق كل الاتهام غيره بل الذي لن يصدق أي اتهام مثلما يصد الاتهام الموجه إليه، والذي من يستحق أن يتهم أو يحاسب أو يعاقب بذنوب وخطايا وعيوب كل شيء وكل أحد سواه، والذي لن يفعل ولن يفعل أحد أو شيء أي خطأ أو خطيئة إلا بعلمه وموافقته وتقديره وتديره وتخطيطه وحسابه وكيد ومكره بل إلا بإرادته وفرحته ورؤيته، بل الذي لم يصب أحد أو شيء بأي ضلال أو غباء أو ضعف أو جنون أو تشوه أو قبح أو مرض إلا بحكمه وحكمته ورؤيته وفرحته ويديه وضميره وكيد ومكره هل تنكر شيئاً من هذا يا إلهي . . من هذا المديح أو الاتهام لك؟

- نعم، يا إلهي هذا ماذا لو أن جميع الكائنات الحية وغير الحية . . العاقلة وغير العاقلة قد قررت الالتزام بهذه المساءلة والمحاسبة والمحاكمة لك . . ؟

.. لو أن كل حيوان وطيور وحشرة وجراثومة وذرة وإنسان وملاك وجن وقمر ونجم وشمس وكل شيء وكل أحد وكل كائن موجود أو كان موجوداً أو سوف يوجد نعرفه أو لا نعرفه - لو أن كل هذه وهؤلاء قد التزموا بأن يسألك ويحاسبوك ويحاكموك بل

ويعاقبك على الذوات والصيغ والنماذج والأجناس والظروف والمستويات والحياة والوظائف وكل الكينونات التي أردتها لهم وصغتهم وحكمتهم وسجنتهم وعذبتهم بها دون الذات والصيغ والنماذج والأجناس والمستويات والظروف الأخرى المطلقة والمتساوية والمفتوحة بلا أي إغلاق أو سد أمام خيالك وقدرتك وإرادتك وشهوتك ولعبك وعبتك وأمام كل خيال وتصور ومنطق وتقدير وعبت ولعب..!

بأن يحاسبوك ويحكموك ويسائلوك بأي منطق أو قانون أو أخلاق أو التزام فني أو تعاليم لا تستطيع عصيانها أو الخروج عليها.

- نعم، بأي شيء من ذلك رأيت وقسمت وصغت الذوات والصيغ والنماذج والأجناس والظروف والمستويات والوظائف وأردتها كما جاءت وكما أردت واخترت لها أن تجيء؟

كيف رأيت ورضيت وعشقت ما لم يكن موجوداً؟ كيف اخترت له صيغة وجوده؟
.. كيف اخترت اختيارك بأي قانون جاءك اختيارك أو جئت إلى اختيارك أو فرض عليك اختيارك في توزيعك للذوات والصيغ والأنواع والأجناس والمستويات..؟! لقد كان ممكناً أن تختار نقيض اختيارك بل لقد كانت جميع الاختيارات لديك سواء إذن لماذا اخترت اختيارك؟

أليس الاختيار منطق وقانون وتفسير؟ هل لاختيارك شيء من ذلك؟

.. لماذا اخترت لكل شيء وكل أحد صيغته وجنسه وذاته ولم تختار له الجنس والذات والصيغة التي اخترتها للشيء أو للكائن أو للأحد الآخر؟ هل يكون الاختيار إلا عجزاً أو احتياجاً أو عشقاً أو جوعاً أو اضطراراً أو إكراهاً أو حيرة أو رؤية أو تقليداً؟

.. ماذا لو أن أي كائن أو كل كائن حيواني أو حشري أو ذري أو جرثومي أو أكبر وأعظم أو أصغر وأتفه من ذلك قال لك محاسباً محاكماً متظلماً محتجاً: لماذا يا إلهي أوجدتني كما أوجدتني ولم توجدني كما أوجدت الكائنات الأخرى أو أي إيجاد آخر لم توجد مثله..

لماذا أوجدتني لأعيش في الشقوق وفي الظلام وتحت الأقدام وفي مجاري الأوحال والقاذورات أو لأوطأ بالأقدام ولأرث بالمواد السامة لأموت بلا رثاء أو عزاء أو مأتم أو جناز أو تشييع أو كفن أو قبر أو دفن أو صلاة أو بكاء أو إعلان ولم توجدني لأعيش في البيوت والقصور والمعابد والنوادي وفوق المنابر والعروش وأمام الموائد وتحت ضجيج وهتاف الكبرياء والدعوات والأديان والنبوات والتخاطب مع الآلهة

والأقمار والنجوم والصعود فوقها وإليها أي كما أوجدت خصمي وعدوي أي من جعلته خصمي وعدوي وجعلتني خصمه وعدوه لرغبة في نفسك وأخلاقك لا يمكن أن تكون معقولة أو مقبولة أو معذورة أو حتى مفسرة بأي تفسير مهما كان قبحه وبلادته ونذالته . . !

لماذا أوجدتني مفترساً مأكولاً خائفاً هارباً ولم توجدني النقيض . !

أو لماذا أوجدتني النقيض ولم توجدني المفترس المأكول الهارب الخائف . !

لماذا أوجدتني بأنياب وأظفار وعضلات ووحشية وزئير ولم توجدني بأجنحة وريش وحب ولطف وصداقة وألف تغريد، أو لماذا لم توجدني أي شيء آخر؟

لماذا أوجدتني عصفوراً أو حمامة أو أرنباً أو جدياً أو برغوثاً ولم توجدني ذئباً أو سبعاً أو صقراً أو حصاناً أو لماذا أوجدتني هذا ولم توجدني ذلك . ؟

لماذا أوجدتني الحيوان المركوب ولم توجدني الراكب أو لماذا أوجدتني الراكب ولم توجدني الحيوان المركوب، أو لماذا توجدني شيئاً آخر لا هذا ولا هذا . . ؟

لماذا أوجدتني الأنثى لأفاسي كل آلام وأحوال وأثقال وأغلال الأنثى . . لأكون الرالدة والمصدرة والمستفرغة لهذه الأحوال والأثقال والأغلال والآلام والمورثة المخلدة لها، أو لماذا أوجدتني الجنس الآخر ولم توجدني الأنثى لأكون الباصقة المبصوق عليها وفيها وبها ومنها . . لأكون البصاق المعطى والمأخوذ الذي هو أخطر وأوقح بصاق؟

أعني البصاق الذي يبصق عليّ وفي ثم أبصقه على نفسي وعلى من بصقوه عليّ وعلى كل شيء حتى لأبصقه على عيونك وفي عيونك يا إلهي . . يا إلهي الذي لم يوجد مبصوق على عيونه وفي عيونه مثلك . . أعني البصاق الذي يتحول إلى باصقين وإلى مبصوق فيهن وعليهن ومنهن . . وإلى باصقات على أنفسهن وذواتهن وعلى كل شيء وكل أحد . . !

ما أقبح وأوقح هذا البصاق معطى ومأخوذاً.

كيف قبلت ورضيت وعشقت وأردت ودبرت يا إلهي أن توجد هذا البصاق وباصقيه . . هذا البصاق والباصقين عليك وفي عينك وعلى كل شيء وكل أحد . ؟

كيف بقيت لك عينان أو أذنان تريان وتسمعان ذلك مرأى وصوتاً؟

. . ماذا يا إلهي المخدوع المخدر بمدائح وصلوات أنبيائه ودعائه الجاهلة المناقفة

الجبانة الدليلة لو أن أكبر وأشهر كائن نراه ونواجهه ونتعامل ونحيا ونرى به خطواتنا الضالة ودماماتنا وعفوناتنا ووقاحاتنا .

- أي ماذا لو أن الشمس قالت لك : لماذا يا إلهي خلقتني شمساً لأحترق وأحرق وأبدد نفسي بلا أي شوق أو حب أو فرح أو حافز أو مصلحة أو إرادة أو علاقة لي في ذلك . . لأعطي دون أن آخذ، ولأرى وأواجه وأعمل وأتعري وأعري دون أن أبصر أو أسعد أو أفرح أو أقرأ أو أفسر أو أفهم أو حتى أعشق أو أعجب . . لأظهر وأختفي وأقرب وأبعد وأدور وأتكرر وأقوى وأضعف وأصغر وأكبر وأطول وأقصر وأبخل وأسخر وأرفق وأقسو وأحسن وأسيئ وأرضى وأغضب دون أن أريد أو أوافق أو أستشار أو أعرف لماذا أو أستطيع أن أرفض أو حتى أغضب أو أنكر أو أحتج أو أضرب عن العمل أو أطلب بفترات من الراحة لأعذر إلى نفسي وضميري ولأغسل شيئاً من ذنوبي وقبحي وعفوناتني ولأكفر عن شيء من ذلك؟ هل وجد مغتصب شرفه وتقواه ونظافته ووقاره وكرامته بل ونوره وحيאוّه مثلي أنا الشمس؟

. . لماذا يا إلهي خلقتني كما خلقتني لكي أكون عيوناً وحرارة وطاقة وطعاماً وحياة ومجداً ونوراً للطغاة والحمقى والقادة والقتلة واللصوص والمخربين والضالين ولكل الباحثين عن الظلام والعائشين في الظلام والصانعين للظلام . . لأكون نوراً في طريق وعيون الزاحفين إلى الظلام وحراسة لخطوات الباحثين عن الضلال؟

. . أجل، إنني أنا الشمس قوة وحياة ومجد لكل عشاق الظلام وصناعه وسكانه .!. ألم تعرف ذلك يا إلهي؟

ألم تعرف أن عشاق الظلام بل وعشاق النور يصنعون من أضوائهم كل الظلمات والدمامات والضلالات؟ لقد وهبني النور لكي أعيش في الظلام وأهب الظلام . . لماذا يا إلهي خلقتني ووضعتني ووظفتني لكي أواجه وأشهد وأشهد وأرى وأعاش بل وأبارك وأناصر كل الأوحال والآثام والمظالم والآلام والعاهات والتشوهات والنذالات والقباحات والوقاحات والبلادات والفضائح، كل الفضائح في كل الكون التابع لي . . الملتصق المعلق المربوط بي . . لكي أتعذب بكل ذلك كل أوقاتي، بكل تفاسيري ورؤاي واتجاهاتي وأخلاقي وتقواي وحرارتي . . دون أن أستطيع الهرب أو الموت أو التوقف أو التوبة أو الاستغفار أو الإصلاح أو التصحيح أو النهي أو الزجر أو حتى البكاء أو الاستحياء أو الشكوى؟

لماذا خلقتني بهذا السرف وبهذه الضخامة البلهاء بلا أي قدر من الفن أو المنطق أو

الجمال أو التفاسير أو الكرامة أو السعادة أو النظافة أو التقوى والاحتشام أو الوقار أو الخجل أو الرؤية أو الكبرياء أو العصيان؟ هل يوجد أو وجد فاضح مفضوح مثلي أنا الشمس؟

هل يوجد مضيء المرأى مظلم المعنى والذات والتفاسير والأخلاق مثلي، مثلي؟
.. هل توجد ولو في التصور يا إلهي كينونة بلهاء تساوي الكينونة التي أردتها لي وأوجدتني بها؟ هل يوجد ضخم الكينونة صغير ومهان ومحقر الدلالات والمواجهات والممارسات مثلي أنا الشمس؟

.. آه يا إلهي إني في هذه اللحظات أتصور هذا الموقف أو هذا المنظر فأتمزق انفجاعاً وذعراً ورثاءً.. فأحترق بكل تفاسير الاحتراق.. أتصور أن حشرة بائسة مهينة ذليلة قد صغتها بكل تفاسير الهوان والضعف والألم والقبح قد وقفت يوم الحشر الأكبر الكوني الذي تهدد وتفخر بأنك سوف تفعله لتعرض فيه مجدك وكبرياءك وغضبك وقدرتك على الانتقام والقسوة والقبح قائلة صارخة في كل آذان وعيون وضمائر ذلك الكون المحشور:

لماذا إلهي أوجدتني كما أوجدتني، لماذا؟. إني أسألك مساءلة المحاسب المحاكم المحتج المفجوع الرافض وأيضاً مساءلة الباحث عن التفسير..!

هل فعلت ذلك عن بلادة أم عن ندالة أم عن جهالة أم عن وقاحة أم عن وحشية أم عن عجز أم عن حقد ولؤم أم عن حب ورؤية للجمال أم عن رغبة في عرض العبقريّة، عبقريتك؟

قل لي يا إلهي عن أي شيء من ذلك أو عن أي شيء من غير ذلك فعلت بي كل ذلك؟

وقد تفجر تصوري هذا بتصور آخر هو أن جميع هذه الأكوان والعوالم التي حشرتها لتحاسبها وتعاقبها وتهينها ولتتكبر وتسعد وتفرح باتهامها وإذلالها وعقابها وشتمها وتحقيرها.

- نعم، هو أن جميع هذه الأكوان والكائنات والعوالم قد صرخت بصوت وغضب وانفجاع واحتجاج ومحاسبة هذه الحشرة قائلة: نعم، نعم، نحن جميعاً كل هذه الحشرة.. كل صوتها وغضبها واحتجاجها وانفجاعها ومحاسبتها ومأساتها..

.. نعم، نحن جميعاً حزب وجيش وموقف ومنطق وألم وصوت احتجاج واحد

من هذه الحشرة يا من فعلتها بها وبنا . . يا من فعلت بنا كل ما فعلت أو مثلما فعلت بها
مهما اختلفت الصيغ والتفاسير واللغات والثياب والأماكن والانتماءات والآهات والأنات
والتعبيرات والديانات والنбот والصلوات والكعبات .

. . يا من يشوه ويخيف بالتشويه الوجه الجميل أكثر مما يشوه ويخيف أو مثلما
يشوه ويخيف بالتشويه الوجه الدميم . . يا من يميم الوجه الجميل أقسى مما يميم أو
مثلما يميم الوجه الدميم . ! . يا من لا يضرب أو يصفح أو يخطو أو يعمل إلا في
الظلام . !

يا من لا يعطى إلا لكي يعاقب بأخذ ما أعطى وبعقوبات أخرى . !

. . يا من يهزم ويذل ويعذب ويحقر ويفضح أنبياءه وأوليائه أكثر وأقسى مما يفعل
بأعدائه أو مثلما يفعل بهم . .

. . يا من وهب كل المجد والانتصارات والفرح والسعادة والتفوق الشامل لعدوه
الأول والأوحد إبليس ووهب نقيض كل ذلك لحبيبه وصديقه ونصيره وعشيقه الأول
آدم . . آه . ما أقسى آلام آدم لو حذق فيما فعلت به وبعدهو إبليس .

يا من لا يمكن الإيمان بحكمته أو رحمته أو محبته أو بذكائه أو إبداعه أو جماله
إلا بالإيمان بأن وجود وإيجاد الآفات والعاهات والتشوهات والحشرات وكل الآلام
والمظالم والدمامات هو كل تفاسير الحكمة والرحمة والمحبة والذكاء والجمال العقلي
والفني والنفسي والكوني . !

. . يا من جعل الأذكى والشرفاء والأتقياء والنبلاء أقل وأخفى جداً وأراد أن
يكونوا أقل وأخفى جداً من أضدادهم . . يا من أراد وجعل الأعداء والسفهاء والأنذال
والضالين والمنافقين والكاذبين والمفسدين الغائطين المغضبين له هم السادة والقادة
والأقوياء والممجدين والمتسلطين . لماذا تفعل ذلك يا إلهي؟ هل تستطيع أن تدري؟

يا من يقرأ ويرى نفسه ويريد أن يرى ويقرأ نفسه بالعيون العمياء بل بالعيون
المفقودة ويرفض أن يرى أو يقرأ شيئاً من نفسه بالعيون الرائية القارئة . .

. . يا من لم يجرب أن يقرأ أو يرى . !

يا من كل مجده وجماله ورؤيته وقراءته وعبقريته في عماء وأميته . . !

وعن هذين التصورين أتصورك يا إلهي الآن وحيداً ذليلاً مهزوماً مفجوعاً مذعوراً
حائراً بين هذه الأصوات والصرخات الكونية الشاملة المحاسبة المحاكمة المشحونة بكل

الغضب والغیظ والرغبة في العقاب لك والانتقام منك دون أن يكون معك أو حولك أو لك أي نصیر أو مدافع أو حتی راث أو عاذر أو غافر .

. . نعم، یا إلهی هل یقبل أي كائن محكوم بأي قدر من المنطق أو العقل أو الوقار أو الحب أو الرحمة أو العدل أو الضمیر أو الأخلاق أو الإبداع أو الفن أو حتی من الإیمان والتدين والتقوى أن یقف معك مناصراً أو مدافعاً أو مشاركاً أو حتی عاذراً أو غافراً أو راثياً أو مشفقاً؟

كيف أمكن أن یأذن إیمان أو تقوى أو نظافة أو شهامة أو صدق أو ذكاء أي كائن أو إنسان بأن یعذرک أن یغفر لك أو یدافع عنك أو یقف معك في أي موقف من مواقفك؟

. . إن أي كائن فيه أي قدر من رفض وكره ومقاومة الطغیان والسفہ والعدوان والقسوة والغباء والعبث والفجور والتبجح والنذالة والظلم لن یستطیع یا إلهی إلا أن یكون رافضاً لك ومشمئزاً منك ومفجوعاً بك بل ومقاوماً لك كل الرفض والاشمئزاز والانفجاع والمقاومة لكي یكون محترماً لمنطقه وعقله وأخلاقه وشرفه وشجاعته ولضمیره وحبه وإیمانه وتقواه وتدينه . . لكي یكون مستجيباً لكل معانيه النظيفة التقية المؤمنة الشجاعة الذكية المحاسبة المحاکمة المعاقبة . إنه لا بد أن یفعل ذلك مهما أراد وتمنى وأحب أن یفعل النقيض . !

إنه لن یوجد أضعف أخلاقاً وضمائر وإیماناً وتديناً وتقوى وبسالة ونظافة وكرامة وحباً للآلهة واحتراماً وفهماً ورؤية واشتراطاً لها وعليها وفيها مثل من یغفرون لك یا إلهی أو یعذرونك أو یفسرونك أية تفاسیر جميلة أو مقبولة أو معقولة أو حتی مغفورة . . !

أو مثل من یرونك أو یريدون أن یروك بأية صیغة من صیغ الجمال أو الإبداع أو الوقار أو الحب أو الرحمة أو العدل . . مثل من یزعمون أنهم قد وجدوا فيك أي شيء یحترم أو یعقل أو یقبل .

. . إن جميع الأنبياء والدعاة الذين جاءوا في كل التاريخ لیعلموا شيئاً أو لیتحدثوا ویعلنوا عن شيء من مزایك أو تقواك أو رؤاك فلن یكونوا إلا جهلاء وأغبياء جداً أو كاذبين وخادعين ومتأمرين أو ساخرين جداً . !

. . إن هؤلاء لن یكونوا فقط عمياناً عن كل رؤية عقلية وأخلاقية وبصرية وفنية ودينية ونفسية بل إنهم لا بد أن یكونوا قد ركبوا تركیباً مزوراً لكي یروا كل شيء نقيض رؤيته . !

.. إن أحداً يا إلهي لم يجد ولن يجد حظوظاً لثيمة شريرة محابية له مثلك حينما وجدت من قبلوا أن يكونوا لك أنبياء ودعاة ومفسرين لدماماتك ووقاحتك وبلاداتك ومظالمك باتقى وأجمل وأذكى وأعدل التفاسير.. بكل التفاسير الجميلة الذكية المنطبقة الفنية الأخلاقية.. وهنا سؤال فاجع. هل خاطبك هذا السؤال؟ يقول السؤال الفاجع: ألا يمكن يا إلهي إن هؤلاء الذين قبلوا أن يكونوا أنبياءك ودعاتك ومفسريك إنما أرادوا أن يفضحوك وأن يعلنوا عن فضائحك؟ ألا يمكن أن يكونوا أقسى وأنذل الأعداء جاءوا بصيغ أنبل وأصدق الأصدقاء؟

.. أليس الذي يتحدث عن جمال أقسى وأشمل دمامة، وعن طول أقصر قامة، وعن ضخامة أصغر هامة إنما يريد ويعني وينوي أن يفض ويسيئ ويعلن عن النقيض؟
أليس هذا المتحدث لو وجد هو أقسى وأنذل الهجائين؟

أليس من وصفك يا إلهي بأنك أرحم الراحمين هو أوقع وأقسى هجاء وفضحاً لموصوفه ممن أشار ويشير إلى وجهه قد تجمعت فيه كل الدمامات والتشوهات والآفات قائلاً: انظروا إلى هذا الجمال الذي لا يستطيع سكان السماء النظر إليه، والذي لا يجرؤ الإله نفس الإله على النظر إليه خوفاً من عذاب الغيرة ومن عواقب الافتتان؟

هل توجد صيغة استهزاء أو غباء أو هجاء مثل كائن أو إنسان مصاب بكل العاهات والتشوهات والآلام والأمراض والضعف أي أنت أصبته بكل ذلك وهو يعلم ويعلن ذلك ثم يذهب يهتف بك يا إلهي قائلاً يا أرحم الراحمين يا رحيم يا رحمن أي وهو يؤمن أقوى الإيمان بأنك المدبر والمريد والفاعل لما أصابه بل وهو يعلم أنك ستظل تصيبه وتصيبه حتى تقتله؟

.. في هذه اللحظات أتصور موقفك يا إلهي تصوراً رهيباً..

إنني لا أستطيع أن أتصور أي موقف يساوي في بؤسه ويأسه موقفك هذا في هذه اللحظات. إن كل الأنات والآهات لن تكفي لتكون تعبيراً عن أساك أي أساك الذي يجب أن يكون أساك!

ولكنه موقف تستحقه بل بعض ما تستحقه إذن هل يجوز أو ينبغي أن نأسى لك لأنك قد واجهت بعض ما تستحق من الحساب بل ومن العقاب؟

.. ولكن أليس الأسى لك وعلبك يا إلهي هنا يجب أن يكون مرات.. مرة لأنك قد فعلت ما تستحق عليه أقسى الحساب والعقاب. ومرة لأنك لم تدر أنك فعلت وتفعل ما تستحق عليه ذلك. ومرة لأنك القوي المخيف الذي أصبح ضعيفاً خائفاً والإله الذي

أصبح عبداً أو وقف وحوسب موقف ومحاسبة العبد، والكوني الذي أصبح وحيداً وأصبح كل الكون خصماً ومحاكماً له. !

. . لأنك أصبحت الذنب الذي لن يوجد من يكفره أو يغفره أو يعتذر عنه، والخطأ الذي لن يوجد من يستطيع أن يصححه، والعاهة التي لا يستطيع شيء أن يداوئها أو يسترها، والمتهم الذي لن يوجد من ينقذه، والتائه الحائر الضائع المحاصر الذي لن يجد من يؤويه أو يواسيه أو يعزيه أو يرحمه أو حتى يمازحه أو يقول له أهلاً أو سهلاً أو مرحباً أو يقول كم هو جميل أن نراك. !

إننا لم نكن نراك. . إننا الآن نراك أجمل مما كنا نتصور ونتمنى أن نراك. ! وهل أكون أنا المسؤول عن وقوعك في هذا الموقف البائس والمعرض عليه والصانع له بحواري هذا لك يا إلهي؟

هل مزية أو تقوى لي وفي أن أكون ذلك أم ذنب وقبح أن أكونه؟

وهنا لا بد أن تنفجر التصورات والتساؤلات عن الاحتمالات التي قد أو لا بد أن تنتهي إليها أي شيء منها هذه المواجهة الأليمة الصعبة بين الإله أي بينك يا إلهي وبين كل وحدات الكون. .

. . إن موقفك هنا يا إلهي موقف العاجز بلا أية قدرة أي لو أردت أن تقاوم أو تتصرف لإنقاذ نفسك من أي عقاب يراد عقابك به. لأنك لا تفعل أو تتصرف إلا بواسطة أجهزتك وأعوانك عن ملائكة وزبانية وأبالسة وغيرهم. !

ألست كذلك يا إلهي حتى في عصر شبابك فكيف وأنت الآن في شيخوختك؟ وأنت في موقفك هذا لا تجد أحداً من هؤلاء لتفعل بأمرك لهم بأن يفعلوا، بل إن هؤلاء جميعاً قد أصبحوا جنوداً أو قادة في جيوش المحاسبين المحاكمين لك. قد أصبحوا قضاة وشهوداً ومدعين ضدك وعليك وهم أعرف من الجميع بك وبأخلاقك وأخطائك وحوافزك وبكل أسرارك وتفاسيرك بل وهو أكثر حساسية وغيظاً وغضباً ورغبة في الانتقام منك لشعورهم بقبح ونذالة ومهانة ووحشية الوظائف والأعمال التي كنت تلزمهم بها بل والتي جعلتها كل حياتهم وتفكيرهم وتدبيرهم واستمتاعهم وتعبدتهم. أه. إن موقفك هنا موقف لا يستطيع كل الدموع والآهات والأانات أن تكون بعض ما يستحق من ذلك. . كيف يمكن تصور غضب واستبشاع وانفجاع الملاك الذي فرضت عليه أن يقتل كل الأحياء وأن يقبض أرواحهم ويسحبها من أجسامهم أمام آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وكل أحبابهم بكل القسوة والعدوانية بلا أي خطأ أو خطيئة اتهموا به أو بها. .

أن يقتل ويخطف من لم يكونوا أعداء أو خصوماً أو إيداء له أو لأي أحد أو شيء . .

. . أن يسحبهم من قلوب ولهفات وأحضان وأذرع وحجور وصرخات أمهاتهم وكل أحبابهم بلا أي تفسير أو تشريع أو سبب يمكن أن يفهموه أو يقبلوه أو حتى يحاوروه أو يسمعوه أو يعتذر به إليهم، وبلا أية شهوة أو رغبة أو حافز أو منطق أو مجد أو تبرير أو ثمن يدفع للملاك أو يفهمه أو حتى يوعد به ويصدقه ويفرح به أي الملاك الذي يفعل ذلك بل الملاك الذي فعلت وتفعل به كل ذلك؟

أليس كل فاعل يا إلهي مفعولاً به فعله وليس فاعلاً له أو مهماً حسب وزعم وأعلن فاعلاً له؟

ألست يا إلهي الفاعل بالفاعلين بكل الفاعلين؟ ألست تمجد نفسك وتتملقها وتغني لها بإعلانك أنك الفاعل بكل الفاعلين؟

. . كيف يمكن تصور غضب وانفجاع واستبشاع الملاك الذي وظفته ليدمر أو يغرق أو يحرق أو ليزلزل ويزيل هذه المدينة أو المدن أو هذه الحقول والبساتين والعمران والحياة والخصب والرخاء والسعادة والفرح والابتسام والغناء ليحول كل ذلك إلى موت وقحط وخراب وفقر وبأس وأحزان وإلى جوع ودموع وآهات وأنات وتشوهات وعاهات فيفعل كل ذلك دون أن يريد أو يعرف أو يسأل: لماذا لأنه لا يستطيع ولا يعرف أن يعصي أو يقاوم أو يحاسب أو يفهم أو يحب أو يكره أو يرضى أو يغضب لأنك فعلت به كل عماه وبلادته ووحشيته وهوانه ووقاحته؟

. . كيف يمكن تصور غضب أو انفجاع أو استبشاع أو هوان ذلك الملاك المسكين الذليل الذي فسقت بكل معانيه حين أمرته دون أن يستطيع العصيان أو المساءلة أو التفاهم أو التخاطب أو التشاور مع ضميره أو تقواه أو عقله أو أخلاقه أو مع أي تفسير من تفاسيره أي إن كان له شيء من ذلك - نعم، حين أمرته بأن يشوه هذا الوجه أو الجسم أو الشيء أو المكان أو الزمان وبأن يغرس ويزرع ويحشد فيه كل التشوهات والهافات والضعف والآلام والأمراض وكل النقائص؟ هل يمكن تصور جريمة وعدوان يساويان جريمة وعدوان من وظّف كائناً بريئاً في هذه الوظيفة؟ .

. . كيف يمكن تصوّر عذاب واستقباح واستنكار واشمئزاز وذعر الملائكة والزبانية الذين أردتهم وخلقتهم وسخرتهم ليكونوا مشيدي الجحيم وموقديه وحارسيه وبوابيه ومشاهديه ومعاشيه . . الذين وظفتهم ووضعتهم في هذا العمل الفاجع الفاجر القبيح القذر .

.. الذين اخترتهم لذلك بلا اختيار وعاقبتهم به بلا استحقاق ، بلا ذنب فعلوه أو نوره أو أعلنوه أو حتى عرفوه أو سمعوه أو سمعوا به؟ أي كيف يمكن تصور هذا الذي لا بد أن يفجعهم ويصيبهم حين يفيقون من بلادتهم وعبوديتهم؟

.. كيف يمكن تصور تعذيب وإذلال وتحقير وتلويث مثل التعذيب والإذلال والتحقير والتلويث الذي فعلته بمن زعمتهم أنبياءك لتكون قبورهم وكتبهم وتعاليمهم أضخم وأخلد مصانع ومخازن الأحقاد والعداوات والبغضاء التي خططتها وصنعتها وبصقتها السماء .. ليكونوا أي من زعمتهم أنبياءك مطاردين مطرودين ومكذبين وكاذبين ولاعنين ملعونين مصلوبين متهمين متهمين .. ليكونوا عابدين ومقدسين ومفسرين ومادحين ومصلين وممجدين للعاهات والتشوهات والقبايح والفضائح والمظالم والأخطاء والخطايا التي تمجد نفسك وتمجدهم ويمجدونك بحديثهم عن حكمتك ورحمتك ومحبتك وشهامتك التي خبأتها فيها .

.. ليكونوا أقوى وأضخم وأشهر التفاسير والتبريرات والتسويغات بل والقداسات والطهارات والعقوبات لكل الكذابين والدجالين والمخادعين والمعتدين والصوص والقتلة والأغبياء والجهلاء والسفهاء الذين يفعلون كل ذلك باسم الاحترام والطاعة لهم والإيمان بهم والالتزام بتعاليمهم وتقواهم وحبهم والطاعة لإلههم أي لألهتهم فهي آلهة وليست إلهاً واحداً . لتكون قبورهم أي قبور الأنبياء أضخم وأقبح المصانع والمخابئ لأفتك وأنذل وأجهل الأسلحة المتعادية المتقاتلة .. إن لكل نبي إلهاً مخالفاً في مولده وعرقه وزيه ولغته وعواطفه وأخلاقه لإله النبي الآخر . إن الآلهة مختلفون متخالفون بقدر اختلاف وتخالف أنبيائهم . إن الإله الواحد يتعدد بتعدد أنبيائه . !

.. إن آلهة كل الأنبياء لو جاءوا بأوصاف وتصورات أنبيائهم لهم ثم تواجهوا في عالم أو مكان أو مجتمع واحد لكانت احتمالات الأحقاد والبغضاء والتعادي والملاعنة والانهامات والحروب بينهم أشرس وأوقح من احتمالاتها بين الزعامات والقيادات العربية . إنهم لا بد أن يتواجهوا حينئذ أي الآلهة أقسى المواجهات لأنهم متباينون ومتفاوتون في صفاتهم ورؤاهم ، ولأنهم متنافسون في أغراضهم وأمجادهم وتطلعاتهم وأنانياتهم . ! . لقد صاغهم أنبياءهم صياغات متباعدة في بداواتها وجاهلياتها . !

.. إن هذه الاحتمالات الشريرة المفترضة بين هؤلاء الآلهة المفترضين قد تكون أقسى احتمالاتها أو مثل احتمالاتها بين نفس هؤلاء الأنبياء لو تلاقوا في عصر واحد وشعب واحد معلمين لنبواتهم وألواحهم ومفسرين لأوصاف وأخلاق أربابهم ومتنافسين

في تضخيم وتهويل جناتهم ونيرانهم وفي أعداد أتباعهم وضخامة قطعانهم . إن النبي ليرى ضخامة نبوته بقدر ضخامة جحيمه . !

. . ما أعظم الفروق الصانعة لكل العداوات والخصومات ولأقبح العلاقات والمواجهات .

- نعم ما أعظم هذه الفروق بين إله النبي محمد وإله النبي عيسى أو موسى . ! .

ما أعظم الفروق بين وجوه وقلوب وتاريخ ألهم . !

لهذا كم نرهب ونفجع بل ونهرب أن نتصور إله محمد مواجهاً لإله عيسى أو موسى أو أن نتصور محمداً مواجهاً لعيسى أو موسى في أية محاورة أو منافسة أو مبارزة أو مبادرة أو مخالفة، في أي زمان ومكان .

. . إنه لشيء يشبه التدبير الذكي الرحيم أن الأنبياء الكبار أصحاب الأتباع والديانات الكبرى لم يجيئوا في زمان واحد في مجتمع أو عالم واحد . . إن فيك إذن يا إلهي شيئاً من الذكاء والنظام والرفق والحكمة ولو أحياناً أي إن كنت أنت المدبر لذلك . !

. . لقد تقاتل وتعادى وتخاصم هؤلاء الأنبياء بعد موتهم ولا يزالون وسوف يظلون يتقابلون ويتعادون ويتخاصمون بكل السنة وأحقاد وقلوب وعقول وأخلاق وأسلحة وعضلات وأيدي كل البشر . !

إذن هل وجد أن يمكن أن يوجد متعادون متخاصمون متلاعنون متباغضون متحاربون مثلهم أي مثل الأنبياء؟

. . إن أقبح وأردأ ما في هؤلاء الأنبياء إنهم متعادون ومتخاصمون ومتحاربون ومتلاعنون متباغضون بقلوب وأخلاق وعقول وألسنة وأيدي كل البشر . !

. . إذن هل وجد أو يمكن أن يوجد متواجهون وهم في قبورهم كل المواجهات الأليمة البذيئة القبيحة المدمرة الجاهلة مثل كبار الأنبياء؟ هل وجدت قبور متحاربة وصانعة للحروب بكل تفاسير الحروب وحوافزها ونتائجها مثل قبور الأنبياء؟

. . إن البشر لم يعاقبوا ويشوهوا بشيء مثلما عوقبوا وشوهوا بموتاهم هؤلاء . . بأنبيائهم الكبار، بقبور أنبيائهم الكبار . ! .

. . لقد عجزت كل أخلاق البشر وعقولهم وعلومهم وحضاراتهم وعلاقاتهم الإنسانية والاجتماعية وكل نياتهم التقية المحبة أن تشفيهم من هؤلاء الموتى . . أن

تشفيهم من أحقادهم وعداوتهم وبغضائهم وخلافاتهم ومنافساتهم التي زرعوها وكتبوها بل وخلقوها في ضمير التاريخ وأخلاقه وفي كل خطواته وسجلاته وقراءاته . . في كل هتافاته وفروسياته ومبارزاته ومنافساته ومصاهلاته ومزاءراته بل ومنابحاته . إن كل ابتكارات وعبقريات الطب والعلم ظلت عاجزة عن شفاء البشر والتاريخ من قبور أنبيائهم !

. . لقد أصبحوا أي هؤلاء الأنبياء هم أكثر سطور التاريخ تشويهاً وإيذاءً وإيلاماً وتعليماً ونشراً وتوكيداً وصنعاً للعداوات والخصومات والانتقامات والانقسامات والملاعنات بل وتفسيراً وتبريراً لكل ذلك وتحريضاً عليه . ! . إنه لم يستعبد الإنسان والتاريخ شيء مثلاً استعبدهما الأنبياء الموتى وقبور الأنبياء الموتى !

. . لقد أصبحت مقابر هؤلاء الأنبياء هي أقسى التشوهات والعاهات والدمامات في وجه التاريخ وضميره وأخلاقه وأشواقه إلى الحب والصدقة والسلام ، أي واحتياجه إلى ذلك . !

لقد أصبحت هي أقسى ما قاسى ويقاسي منه الإنسان في كل عصوره ومجتمعاته أعني قبورهم وأيضاً كتبهم الحافظة المسجلة المجددة المحرصة المؤكدة القارئة الراوية المرتلة المصلية للأحقاد والبغضاء والعداوات والانقسامات بين البشر . . بين قلوبهم وعقولهم وضمائرهم وأخلاقهم ونياتهم وعباداتهم وصلواتهم بل وبين لغاتهم ووجوههم وعيونهم وابتساماتهم وبين آبائهم وآبائهم وأمهاتهم . هل علمت أيها النبي يا كل نبي أن قبرك قد تحول إلى أوقح وأقبح وأقوى الحدود والسدود من العداوات والأحقاد والبغضاء الفاصلة بين القلوب والقلوب وبين العقول والعقول وبين الأخلاق والأخلاق بل وبين العين ورؤيتها أي بين العين وما ترى . . بين العين وتصديقها . !

إن قبرك يا كل نبي يمنع العين من أن ترى ما ترى أو يزور ما ترى !

. . . لقد أصبحت مقابر وكتب هؤلاء الأنبياء الداء الذي عجز كل الطب والأطباء عن علاجه وأصبحت الجهالة والسفاهة والوقاحة والبغضاء التي عجزت كل العقول والعلوم والحضارات والأخلاق عن ترويضها أو تحضيرها أو تهذيبها أو تعجيلها أو تعليمها أو عن غسلها وزجرها . !

لقد قضى العلم على كثير من الأوبئة أو على أكثرها أو حاصرها وقيدها ووضعها في الأغلال والسجون ولكنه عجز عن المداواة من وباء قبور وتعاليم وكتب الأنبياء . إن النبي يجيء أي فيما يزعمون ليداوى من الجاهلية الزائلة المحدودة المعتذر عنها ليصبح

وليصنع الجاهلية الدائمة الشاملة المفجور بها. . ليصبح ويصنع أقسى الجاهليات وأخلدها وأوقحها وأجهلها. !

. . إن الحضارات والعبقريات التي هدمت وأزالت كثيراً من صحاري وجبال وسدود الطبيعة المتوحشة قد عجزت عن أن تزيل أو حتى تنظف قبراً من هذه القبور. !

. . نعم، يا إلهي ماذا تقول التصورات والاحتمالات عن الحل الذي سوف تعالج به وتنتهي إليه هذه المواجهة الأليمة المحتموة أو المحتملة بينك وبين كل وحدات وآحاد أكوانك؟ كم هي رهيبة هذه الاحتمالات والتصورات؟

. . هل يكون الحل أن تعتذر وتتب إلى كل شيء وكل أحد مما فعلت به وتلتزم بالتعويض المتكافئ مع أخطائك وخطاياك؟ وصيغ هذا التعويض متعددة يصعب تحديدها. وهو تعويض يجب أن يكون للجميع حتى لمن حسبوا وزعموا أشراراً وزنادقة يستحقون الجحيم. ولعل هؤلاء هم أحق بالتعويض وبالاعتذار إليهم تعويضاً وتكفيراً واعتذاراً عن سبهم واتهامهم وتهديدهم.

. . هل يكون الحل أن تفاجئ محاكمك بانتحارك لتفسد عليهم رغبتهم في إذلالك وإهانتك وتحطيم كبريائك ولتسحب منهم نشوتهم في أن يقفوا منك موقف المحاسبين المعاقبين المعنفين الشامتين ولكي تهرب بل تنجو من ذكريات ومواجهات تاريخك البائس الكئيب العقيم؟ لعل هذا الحل هو أنفع وأفضل وأذكى الحلول بل والحظوظ لك. لعلك يا إلهي أُمي أُمية أبدية. ما أصعب أن تكون قارئاً لتقرأ شيئاً من تاريخك. ولعلك أيضاً مصاب بالعمى الأبدي لهذا لم ترَ ضحايا أنيابك وأظفارك. !

هل يكون الحل أن توقع أنت ومحاكموك الذين هم كل وحدات وآحاد هذا الكون على صفقة جيدة لك ولهم. .

لتجئ الصفقة هكذا:

أنت تملك قدرة مطلقة ولكنك لا تملك أي قدر من الحكمة أو الرحمة أو الفن أو الذكاء أو النظام أو العدل أو الحب أو التفكير أو العقل، أما هم فإنهم لا يملكون هذه القدرة المطلقة ولكنهم يملكون هذه المزايا التي لا تملك أنت أي قدر منها. !. والفاجع أنك يا إلهي لم تعلم شيئاً عن هذه المزايا أو أنك رفضت تعلمها وتبلدت أو عجزت عن الأخذ بها. .

. . إذن لينقلوا مزاياهم هذه إلى قدرتك المطلقة، ليعلموك إياها ولتعلمها أنت بصدق وإتقان والتزام لكي تصبح كائناً أو إلهاً آخر جيداً جداً. لتصبح الإله الذي يجب

أن يكون إن لم يكن بد من أن يوجد إله أي لتصبح قدرة مطلقة محكومة بكل المزايا والاحتياجات الأخلاقية والنفسية والفنية والعقلية والإنسانية والعلمية التي لم تجرب أنت شيئاً منها كما يشهد على ذلك كل تاريخك . !

فتش في كل تاريخك . فإنك لن تجد فيه أي شيء من ذلك مهما حاولت أن تخدع نفسك !

.. وحينئذ تذهب تصوغ كل شيء وكل أحد الصياغات الجديدة التي لم تكن تصوغ أو تعرف شيئاً منها بل التي كنت في كل تاريخك تفعل نقيضها . إنه لم يوجد ولن يوجد نقيض لكل تفاسير الإله مثل الإله أو غير الإله . !

.. إنك حينئذ لا بد أن ترفض وتلعن كل تاريخك بل وترفض أن يكون تاريخك هو تاريخك أي لو نقلت إلى قدرتك المطلقة هذه المزايا التي لم تعلم عنها أو تجرب أو تستطع أو تعشق منها شيئاً . !

قبيح جداً أن يكون الإله قدرة مطلقة بلا أية مزايا . وأن يكون كل من سواه أشواقاً وتمنيات وبكاء وآلاماً وشكوى بلا علاج أو شفاء أو قدرة أو احتمال قدرة على ذلك . !

.. هل يكون الحل أن يقسو عليك محاكموك مثلما قسوت واعتديت عليهم بل شيئاً من قسوتك وعدوانك عليهم لكي يحكموا عليك بالتخليد في الجحيم الذي كنت أعدده لتخلد في عذابه أذكى وأعلم وأنبل وأفضل وأنفع من خلقت ؟

هل يوجد من يستحق التخليف في هذا الجحيم مثل من استطاع أن يتصوره خياله ؟ .. ولتذكر أنك سوف تكون وحدك وحينئذ لن تستطيع أن تفعل شيئاً لإنقاذ نفسك أو لدفع ورفض ما يراد إيقاعه بك لأنك لا تفعل إلاً بواسطة أعوانك ولا أعوان لك اليوم . .

لقد أصبح كل أعوانك خصوماً لك . ولعلمهم قد أصبحوا أقسى خصومك . ! .. هل يكون الحل ألا تحضر في ذلك اليوم ألا يجدر أحد . . أن يثبت أنك البريء من كل شيء والمتهم بكل شيء . . أن يثبت أنك البريء من كل شيء حتى من الوجود . . من وجودك . . أن يثبت أنك قد اتهمت بأنك موجود لكي تكون المتهم بكل الأخطاء والخطايا . . لكي تصبح كل العاهات والتشوهات والآلام والأخطاء في ذات ومعاني كل شيء وكل أحد حتى في ذات ومعاني أصغر برغوث وذباب . . أن يثبت أنك أعظم متهم وأعظم بريء مظلوم مفترى عليه . . أن يثبت أن اتهامك أكذب وأبلد اتهام لأنه اتهام لمن يوجد ولن يوجد ؟

.. هل تتحول يا إلهي في ذلك اليوم إلى أقصى هزيمة وفضيحة لمتهميك ومحاكميك لأنهم لن يجدوك، لأنك لم توجد؟

أليست كل سعادتك ونجاتك وأمجادك وجمالك يا إلهي في ألا توجد؟

.. هل يكون الحل أننا لن نلتقي في ذلك اليوم والمكان أننا لن نحضر لأننا لا نجيء إلا مرة واحدة؟ هل يقبل أو يستطيع أي كائن جاء أن يجيء مرة أخرى؟ هل يقبل ذلك الصرصار أو الذباب؟

.. هل يكون الحل أن يتدخل شيوخ النفط العرب لمنع محاكمتك ومحاسبتك بل ولمنع محاورتك. شكراً لك على تخطيك لكل حدود الوقار والاتزان والتعقل والتقوى في حبك وعطائك لهم وعلى إلفائك بكل تفاسير وكرامة عرشك تحت مضاجعهم الخاملة النائمة الكسلى؟

هل افتضح كائن في حبه وعطائه مثل افتضاحك في حبك وعطائك لشيوخ النفط؟ .. وإنه لمفروض أن يكون كل العالم قد تعود على الطاعة المتأدبة لما يقوله ويريده شيوخ النفط العرب. إذن لن يوجد من يعارضهم في ذلك اليوم حين يتدخلون لإنقاذك يا إلهي من هذه المواجهة الرهيبة المذلة.!. نعم، إن الشهامة والوفاء لا بد أن يفرضا على شيوخ النفط الدفاع عنك وأن ترويضهم الطويل للعالم لا بد أن يفرض عليه الطاعة لما يريدون. .. هل يكون الحل أن تنكر يا إلهي في ذلك اليوم بزي شيخ نفط عربي بل أو أن تلبس هذا الزي بلا تنكر بل وإعلان عن شخصيتك دون أن تخشى أية محاكمة أو محاسبة أو مجادلة لأن هذا الزي متنكراً وغير متنكر لا بد أن يهيك كل الحماية والرغبة الواقية من أن يحاكمك أو يحاسبك أو يعاقبك أو حتى يحدق فيك العدل أو الحق أو العقل أو الواجب أو الذكاء مهما أهنت وقتلت كل العدل والعقل والحق والذكاء والواجب، اسمع يا إلهي لو أن إبليس لبس هذا الزي أي زي شيوخ النفط هل تجرؤ على محاسبته أو معاقبته؟

.. هل يمكن تصور حلول أخرى لهذه المواجهة؟ يمكن ذلك ولكني يا إلهي أتمنى أن يكون الحل هو أذكى وأتقى الحلول وأقلها إيذاء وإذلالاً وتعذيباً وأكثرها نفعاً لك ورفقاً بك وستراً عليك يا إلهي مهما عجز كل شيء عن الستر عليك. .. مهما عجزت كل الأغطية والأحجية أن تستر عليك أو أن تستر على أي شيء من عيونك وذنوبك وتشوهاتك وعاهاتك يا إلهي الذي لولاه لما وجد فاضح أو مفضوح ولا ظالم أو مظلوم ولا مذنب أو معاقب أو متهم كما تقول أنت!

هل يستطيع الستر على من يعرض نفسه بكل المباهاة والإعلان كل الأوقات في أجساد وثياب وصيغ كل الحشرات والعاهات والدمامات والآلام وكل الفظاعات؟ . هل تستطيع كل الساترات الموجودة أو المحتملة أو المتصورة أو تقبل أن تستر عيوب وذنوب ودمامات وتشوهات وعاهات وأخطاء وآلام وتفاهات وفحش ووحشية كل شيء وكل أحد أي كل هذا الكون وكل ما فيه ومن فيه أو تقبل أن تفعل ذلك؟

وهل هذا الكون أي هل كل شيء وكل أحد إلا أنت يا إلهي أو إلا شيء منك أي إلا شيء من استفراغك على نفسك وعلى كل شيء؟

هل أنت يا إلهي في كل ما ترعمه خلقاً إلا مستفرغ؟

وهل أنت في كل صيغك وتفاسيرك وتاريخك وطموحك إلا هذا الكون، إلا كل شيء وكل أحد فيه؟

هل أنت إلا هذا الاستفراغ الذي استفرغته والذي يسمى كوناً وخلقاً؟

إذن هل أنت إلا كل الذنوب والعيوب والدمامات والعاهات والتشوهات والآلام والأخطاء والفحش والقسوة التي وجدت والتي سوف توجد والتي قد توجد - وهل هذه إلا بعضك أي إلا شيء منك، من أخلاقك ومنطقك وإرادتك وتخطيطك وتدبيرك وفعلك ورحمتك وشهامتك وكرامتك وحبك وفنك وجمالك؟

إذن هل يستطيع أو يقبل أن يستر شيئاً من عوراتك وقباحاتك يا إلهي؟

أليس كل أنبيائك وأوليائك ومعلميك إنما جاءوا لكي يعلموا ذلك ولكي يلعنوا ويحاربوا ويوعدوا ويكفروا كل من لم يؤمنوا بكل ذلك، أي من لم يؤمنوا بل ويعلنوا أن كل هذا الكون وكل شيء فيه هو أنت، هو بعضك، وبأنك أنت كل هذا الكون، كل أخلاقه وتفاسيره ومنطقه ولغاته وأزيائه وكل حياته ومماته وأمراضه ونظامه وفجوره وكل بداياته ونهاياته وكل عيونه ورؤاه ومراياه؟

هل جاء هؤلاء إلا لكي يفسروا كل شيء بك وإلا لكي يفسروك بكل شيء؟

لقد جاءوا لكي يفسروك بالحشرة والعاهة والدمامة والمرض والشيخوخة والموت وبكل النقائص والعجز والآلم والغباء والجنون، ولكي يفسروا كل ذلك بك، ولكي يلعنوا ويتهموا ويكفروا ويقاتلوا كل من لا يؤمنون بهذه التفاسير. هل رأوك أو وجدوك أو عرفوك أو لقوك أو سمعوك أو شموك أو حتى خافوك إلا في هذه. . إلا في معاشتهم ومعاشرتهم ومواجهتهم لهذه؟

.. لكي يعلموا أن رؤية أي شيء وكل شيء .. كل قبح وخطأ وألم وعبث وظلم وهوان هي رؤية لك ويعلموا أنك الكائن الذي لا يرى إلا برؤية غيره حتى ولو كان غيره هذا هو أفبح وأنذل وأفجع وأسخف وأجهل الأشياء وأبعدها عن كل تعبير أو تفسير جميل أو نظيف أو ذكي أو معقول أو نافع أو حتى مقبول أو مغفور .

نعم، هل رأوك إلا لأنهم رأوا كل ما يهجووك وينفيك ويناقضك؟ هل رأوك إلا لأنهم لم يروك ولن يروك؟

.. لكي يعلموا أن كل من لم يروا ويجدوا في الذباب أو في القملة أو في أية حشرة كل حبك للجمال والنظافة والضخامة والفنون فلن يكونوا إلا أشراراً وزنادقة وعمياناً وأغبياء .!

إن هؤلاء الأنبياء والمعلمين لو كانوا يريدون الدفاع عنك والاحترام لك ويعرفون ذلك لقالوا إنك مستفرخ وباصق لا مريد مدبر خالق ولقالوا إن الكون وكل شيء ليس إلا بصاقاً واستفراغاً وليس تدبيراً أو إرادة أو تخطيطاً أو خلقاً .!

كم تأخذ منا يا إلهي؟

. . إنه لن يكون اتهاماً ظالماً أو مبالغة فيه بل أو حتى بالغاً التفسير أو الوصف الذي تستحقه يا إلهي أن يقال إن جميع الآخذين منا أي من البشر كل معاني الآخذ وصيغه وتفسيره في جميع العصور الداهية والآتية لا يستطيعون أن يحاولوا منافستك في أخذك منا. !

إن أخذك منا يا إلهي رهيب، رهيب وإنه لمتعدد الأنواع والصيغ فادح المقادير مهين التفاسير .

. . إنها لو طبقت عليك ونفذت فيك كل عقوبات كل الجرائم المعروفة والمعاقب عليها لما كفت أي كل العقوبات عقاباً لك على أخذك منا . . إن كل عقوبات القتل والسرقة والاحتيال والتزوير والكذب والخداع والاعتصاب والإرهاب والتهديد والتشريد والتشويه والترويع والتجهيل وغيرها وغيرها لتستحقها أنت كلها بأقصى أساليبها ومعانيها. ! . إن كل الخبراء في تشريع وتحديد العقوبات لن يستطيعوا أن يعرفوا ويشرعوا ما تستحقه من ذلك. !

. . نعم، إن أخذك هذا هو أخذ بكل أنواع الأخذ وصيغه وتفسيره ولكنه في فداحته وضخامته هو أضخم من كل أخذ. !

. . إنه أخذ مادي وأخلاقي ونفسي وعقلي وإنساني بل وديني. !

ألست تفسد تديننا وإيماننا بالتعصب والحقد والبغضاء والعداوات؟

إنه أخذ خارج على كل حدود وصيغ وتفسير الأخذ. إنه أخذ كوني، بل جنوني، جنوني. !

إنه أخذ متجاوز لكل مقاييس الأخذ ومنطقه واحتمالاته وطاقاته. !

.. أما الأخذ المادي .. آه . آه . ما أقسى أن نفكر في ما أخذت وما تأخذ منا في الإنفاق على تشييد وتجميل وعرض وزخرفة بيوتك التي لن تسكنها بل التي لن تزورها أو تراها أو حتى تحرسها أو تحميها من السقوط أو اللصوص أو الطوفان أو الزلازل التي تفعلها أنت .. بيوتك التي لن تحرسها أو تحترمها من أن تبصق وتستفرغ فيها وعليها الحشرات التي عشقتها فخلقتها !

.. بيوتك المسماة معابد ومساجد وتكايا ومعاهد دينية .. !

من أول من فكر وأراد أن تكون لك بيوت؟ من هذا الشيطان الأول؟

.. فظيع ، فظيع أن نحدق في بيوتك هذه الشامخة المتبرجة المتأنقة المتبخرة العارضة لزيانتها وملابسها وأصباغها ونقوشها وكبرياتها ومآذنها وأذناها وكذابينها ودجاليتها الصاعدين فوق منابرها ليستفرغوا كل كذبهم ونفاقهم وجهلهم وغبايهم وقبحهم ووقاحتهم وشتائمهم على اسمك ومجداك وأخلاقك وعلى أنبيائك وكتبك وعلى كل شيء وكل أحد وعلى كل جمال ليصقوا فوقها ومن فوقها كل عفوناتهم العقلية والنفسية والأخلاقية واللغوية .. في بيوتك هذه المترفة جداً غير المسكونة المائلة لكل المدن والقرى والميادين والطرقات والشوارع والأزقة الشاتمة المذلة للأكواخ والعشش والخرائب حولها ..

نعم ، فظيع فظيع أن نحدق في بيوتك هذه التي لم يسكنها ولن يسكنها ساكن لا أنت ولا أحد من رجالك أو أحبابك أو حتى من حبيباتك .

- نعم ، فظيع جداً أن نحدق في بيوتك هذه بينما نحدق أو حين نحدق في عبادك الساكنين في العراء وفي الكهوف والأكواخ والخيام بل الذين لا يستطيعون أن يجدوا سكناً لهم في شيء من ذلك !

كيف تستطيع أو تقبل يا إلهي أن تكون أو أن تبقى لك عينان لو أنك نظرت إلى بيوتك هذه الخالية الخاوية ثم نظرت إلى الساكنين في العراء بل الذين لا يجدون أحياناً هذا العراء؟

وكم أخشى أنك لو نظرت هاتين النظرتين لغرقت في الفرح والرضا والكبرياء!

.. وأيضاً يا إلهي ما أقسى أن نفكر في ما أخذته وتأخذه وما سوف تظل تأخذه منا في إنفاقنا على طبع ونشر وتوزيع وكتابة ونسخ وقراءة وحماية وتصحيح وتفسير وامتداح كتبك المنزلة وعلى توظيف الموظفين لها وباسمها وباسم الدفاع عنها والحراسة لها وعلى اللاعبين والمتوقعين والصاهلين والنابحين والناعقين المستفرغين لأحقادهم

وسفاهاتهم ونذالاتهم بحجة الدفاع عنها والحماية والتقديس لها وعلى حفظها وتحفيظها وتعليمها وترتيلها وبيان إعجازها واحتوائها على كل العلوم والحقائق الكونية الأبدية الأزلية. . !

. . وأيضاً في إنفاقنا على الجامعات والجماعات والمعاهد وكل أنواع التجمعات والانتماءات الدينية أي على كل هذه المخصصة لقراءتك يا إلهي ولتفسيرك وتمجيدك وتعليمك وللإرهاب والإغراء بقوتك وغيرتك وأنايتك وبقدرك على الضرب والتدمير والانتقام وعلى العطاء بلا حساب أو عدل أو منطق أو قانون أو تفسير وبما لديك وفي خدمتك وأجهزة مخابراتك من ملائكة وزبانية ومراقبين محصين مهندسين متجسسين، وأيضاً بما أعددت من جنات ونيران تشوه وتلعن كل خيال يستطيع تصورها أو يقبل تصورها. !

. . وأيضاً لتعليم أوصافك وأسمائك وكبريائك وجمال وضخامة ذاتك وتعليم أسباب حبك وبغضك ورضاك وغضبك وحماسك واسترخائك وحلالك وحرامك وكل شهواتك ورغباتك التي لن يفهمها أو يعقلها أو يقبلها أو يغفرها أو حتى يقبل الاستماع إلى الحديث عنها إلاّ من قتلت كل معانيه ما عدا أذنيه. .

لأنك يا إلهي أنت الكائن الذي لا يمكن أن يرى أو يقرأ أو يفسر أو يفهم أو يعقل إلاّ بالأذنين مع أنك لا تسمع ولم تسمع ولن تسمع بالأذنين. !

. . هذه المعاهد والجماعات والتجمعات والانتماءات والجامعات الدينية هل تصورنا خسائرنا وما تأخذه منا يا إلهي في إنفاقنا عليها على بنائها وصيانتها وخدمتها وحراستها وعلى الكتب التي تعلم فيها. . على ورقها وطبعها وعلى قراءتها وتعليمها والاشتغال والاهتمام بها وحدها وعلى حماسنا لها وإعجابنا وفخرنا ورضاها بها. .

. . وعلى من يعلمونها ويتعلمونها ليصبحوا حساباً على المجتمعات والحياة دون أن يكونوا شيئاً من الحساب لها.

. . ليصبحوا عاطلين يأخذون من عمل وتعب الآخرين دون أن يعطوا شيئاً. . بل ليصبحوا بتعليمهم ووعظهم والاستماع إليهم وقراءة ما يكتبون سارقين لأوقات ونشاط واهتمامات أقوامهم. . ليصبحوا كل ذلك وشرّاً من كل ذلك على حسابك ولحسابك يا إلهي يا أضخم وأسرق السارقين وأردأ السارقين. !

. . ليصبحوا أضخم وأردأ وأوقع وأجهل وأدوم وأشمل السارقين في كل الأوطان باسمك وبإعلان وادعاء الحب والتمجيد والعبادة لك والإيمان بك أيها السارق الذي لا

يحمل أو يملك شيئاً من أجهزة أو أدوات أو وسائل أو ذكاء أو حيل أو قوة أو عضلات أو إرهاب السارقين . . لتصبح أعظم سارق بلا أي تفسير من تفاسير السارق . .

. . أيها السارق العجيب البائس الذي يسرق بأيدي الآخرين وبحيلهم وكذبهم وبذكائهم وغبائهم ولحسابهم دون أن يدري أو يدبر أو يفعل أو يستفيد، والذي يسرق الآخرون باسمه ومن أجل حبه وإرضائه وتعظيمه وعبادته والإيمان به . !

. . الذي لا يكون مؤمناً به من لم يسرق أو يسرق أو يسرق باسمه . !

. . الذي لا يستطيع أن يقتنع بأنه إله أو يرضى عن ألوهيته أو يعجب ويفرح بها إلاّ بقدر ما يتعاطم ويكثر ويفجر السارقون والمسروقون باسمه وباسم الحب له والإيمان به . !

. . نعم، الذي يسرق الآخرون لكي يثبت أن السارق والمسروقين الراضين بأن يكونوا مسروقين .

- لكي يثبت ويقتنع هو أي أنت يا إلهي أن السارقين والمسروقين يحبونه ويمجدونه ويرضونه ويعبدونه ويؤمنون به أي بك يا إلهي . . يا إلهي الذي لا يرى أو يجد مجده أو يرضى عن مجده إلاّ بأن يفقد كل أحد وكل شيء كل مجده وكرامته وذكائه ونظافته . !

. . وأيضاً في إنفاقنا على الحج إلى كعباتك وإلى كهوف وقبور ومزارات ومغارات أنبيائك وأوليائك وعلى ما تذبح ونهب ونصنع لها وفيها وعلى دموعنا وأاناتنا وآهاتنا وزفراتنا وصلواتنا ودعواتنا وهتافاتنا وآمالنا وانحناءاتنا وانبطاحاتنا وافتضاحاتنا التي نذرفها ونستفرغها ونلقي بها فوقها وفيها وحولها، راجين ومنتظرين أن تراها وتسمعها وتستقبلها وتفهمها وترحمها وتشكرها وتجزئها أنت يا إلهي، يا من لم يرَ أو يسمع أو يفهم أو يرحم أو يشكر أو يستقبل أو يجز في كل تاريخه . !

. . يا من لم يكن لوجوده في كل تاريخ وجوده أي معنى أو تفسير من معاني الوجود وتفاسيره . . راجين ومنتظرين بل ومؤمنين أن تسقط في عينيك أو أذنيك أو يديك أو في ضميرك أو قلبك أو عقلك أو فوق سريرك أو عرشك المسترخي البارد النائم أبداً . . يا إلهي الذي لم يملك أو يجرب في كل تاريخه شيئاً من الإحساس أو الحواس أو الضمير أو التفكير . !

. . وأيضاً في إنفاقنا على الخسائر القبيحة البليدة المجنونة التي يصيبنا بها شهرک المعظم الكريم المسمى شهر رمضان أو شهر الصيام الذي يقول لنا: كلوا واشربوا ومارسوا الحب وأنتم نيام، نيام ولكن لا تفعلوا شيئاً من ذلك وأنتم أيقاظ وأحياء . .

الذي يقول لنا: اعملوا وتحركوا وانظروا وأنتم بلا طاقة أو وقود أو عيون ولكن أحذروا أن تفعلوا شيئاً من ذلك بوقود أو طاقة أو عيون.

.. الذي يقول لنا انظروا وأقرأوا في الظلام ولكن حذار أن تنظروا أو تروا أو تقرأوا في النور.. الذي يقول لنا: أحبوا في الظلام ولكن لا تحبوا في النور..!

الذي يقول لنا: ضعوا الطاقة أو الوقود أو الجهاز المحرك في الآلة وهي واقفة أو معطلة ولكن لا تضعوا فيها شيئاً من ذلك وهي عاملة متحركة.

.. الذي يقول لنا: هذا حلال لكم في ظلمة الليل حرام عليكم في ضوء النهار.. الذي يهينا في الظلام ويحرمننا في النور..!

.. الذي يقول لنا لا تشربوا وأنتم تصلون حرارة شمس الظهيرة واشربوا وأنتم ترتجفون في برودة الليل..!

.. الذي يقول لنا إن الليل يجعل الحرام حلالاً وأن النهار يجعل الحلال حراماً.. الذي يقول لنا: كونوا مبصرين في الليل عمياناً في النهار..!

.. الذي يقول لنا: صوموا في النهار وافطروا في الليل..

الذي يقول لنا: انظروا إلى جمال الإله في الليل ولا تنظروا إلى جماله في النهار..!

.. حذار يا إلهي أن تفرح أو ترضى أو تطمئن أو يخف عقاب ضميرك لك معتقداً أن ما اسمعتك من أساليب أخذك هنا هو كل أخذك المادي منا..!

ألا يمكن أن يقول لك تفكيرك أو تصورك إنني مللت وتعبت وتعبت وفجعت فتوقفت تحت عذاب فكري وضميري وإشفاقي مقدراً أن ما ذكرت لك من ذلك يكفي لإقناعك بأنه لا مذهب ولا خادع مثل من أشار عليك بأن توجد وبأن تكون إلهاً بهذه المستويات والورطات والأخلاق، وبأنه لا مخدوع مثلك حين تقبلت هذه المشورة ونفذتها، فلم أستطع أن أزيدك من هذا التعذيب والإذلال والفضح؟

نعم، ألا يمكن أن تفسر توقفي عن تعديد أخذك المادي منا بهذا التفسير؟

.. هنا يا إلهي أطلبك أن تتعاطى مقادير جيدة من المهدئات أو من المنبهات أو من أشياء هي أقوى من ذلك لكي تستطيع أن تواجه بكفاءة محاسبتك على أخذك

المعنوي والإنساني منا . . على أخذك العقلي والنفسي والأخلاقي بل والديني واللغوي، لكي تواجه ذلك بشيء من الجشاعة . !

أطالبك بكل الرفق والرثاء والإشفاق أن تفعل ما أطلبك به .

. . لقد أخذت ويزداد أخذك أو حاولت وتتعاظم محاولتك أن تأخذ منا بكل الأساليب والخدع والقييحة الشريرة اللئيمة كل صفاء وذكاء وبراءة وصدق ونشاط وتقوى ورؤية عيوننا وعقولنا وأخلاقنا وعواطفنا وعلاقنا وإيماننا وتديننا وعباداتنا بل ومناجاتنا وهتافاتنا وتضرعاتنا وشعاراتنا وأذاننا . !

حتى عيوننا لقد أخذت ولا تزال تحاول أن تأخذ منها كل قدرتها على الرؤية . !

. . لقد أخذت ولا تزال تأخذ وتحاول بكل الوحشية والقبح أن تأخذ منا كل ذلك لتحول كل عقولنا ومواهبنا ونياتنا وحواسنا وتعبيراتنا ورؤانا وكل معانينا إلى خمول وبلادة وعمى وصمم وجهالة وإلى أحقاد وبغضاء وعداوات وملاعنات واتهامات بل وإلى حروب مشبوبة أو متمناة أو منتظرة أو معلمة مقدسة . !

هل وجد أو يمكن أن يوجد مشروع ومعلم ومقدس للعداوات والأحقاد والبغضاء مثلك يا إلهي؟ . .

. . لقد أخذت أو تحاول أن تأخذ من عقولنا وقلوبنا وعيوننا وأخلاقنا وتطلعاتنا وأمانينا وطموحنا ومواجهاتنا وآلامنا كل الرؤية والذكاء والحرارة والحماسة والحب والغضب والقوة والإبداع والمقاومة والاحتجاج والتخطي والرفض الأخلاقي والفني والمنطقي والإنساني . !

إن كل وظائف أنبيائك ومعلميك وأديانك وكتبك المنزلة أن تأخذ منا وتقتل فينا كل معانينا هذه، كذلك لم ترد من علاقاتك واهتماماتك بالأرض والإنسان إلا أن تفعل بنا ذلك . !

هل تذكرت يا إلهي الأرض أو التفت إليها أو خاطبتها إلا بهذه النية والقصد؟

. . إذن لقد أخذت أو حاولت أن تأخذ من قلوبنا وعواطفنا وضمائرنا وعلاقاتنا كل الصداقات والحب والاحترام والتهذيب والإنسانية بحجة الاحترام والتقديس والحب والعبادة والطاعة لك والدفاع عنك ومقاومة أعدائك . إن وحشيات كل الوحوش لو تجمعت في أنفسنا وتاريخنا لما نافست وحشيتك ووحشية أنبيائك المخزونة في أنفسنا . !

. . وأخذت أو حاولت أن تأخذ من عقولنا ومواهبنا وقدراتنا وعيوننا وطموحنا بل

وأيدينا وعضلاتنا كل القدرة والرؤية والحماس والنشاط والحرارة والاحتجاج والاقترام والرغبة في التغيير والتجاوز بحجة الاستسلام والاحترام لك والإيمان بك والتوكل عليك والاشتغال برؤية ذاتك وجمالك وعبقريتك عن كل رؤية، عن رؤية آية ذات أو جمال أو عبقرية أو قوة أخرى، وبحجة الاعتراف بوجودانيتك المطلقة في كل شيء حتى اختراق كل حدود وشروط الذكاء والعقل والجمال والوقار؟

. . إذن هل يمكن أو يستطيع تصور ما أخذت وتأخذ وتحاول أن تأخذ منا في ضخامته وفداحته وعدوانيته ونيتة؟

. . إذن هل تكفي كل العقوبات عقوبة لك على شيء من ذنوبك لا على كل ذنوبك يا إلهي الغافل العاجز عن أن يعرف الفرق بين الأخذ والعطاء وبين العقل والجنون والجمال والقبح والحب والكره؟

. . إن من أبشع وأقبح أخذك منا أنك تأخذ منا إيماننا وثقتنا بأنفسنا وطاقتنا ومواهبنا وبكل أعمالنا وحساباتنا وبكل نظم قوانين الطبيعة والأشياء لأنك تعلمنا وتريد أن تقنعنا بأن كل شيء خاضع لإرادتك ومشيتك ونزواتك وانفعالاتك المتقلبة المتحركة المطلقة التي لا تلتزم بأي معنى أو حافظ أو قانون أخلاقي أو عقلي أو فني أو نفسي، ولا تتحاور مع نفسها أو مع ما تعمل وتعامل. . والتي لا تخضع لثواب أو عقاب أو حساب والتي هي في كل يوم أي في كل لحظة في شأن أي في نقض وهدم ورفض لما كان. والتي لا تستطيع أن ترى أو تقرأ أو تفسر أو تحب أو تحاسب أو تنظر في المرأة. . والتي قيل في نموذحتها: يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرمًا، لكنها خطرات من وسواسه. !

هل تنكر يا إلهي أن هذا هو نموذجك أو هل ترفض أن يكون نموذجك؟

. . لقد علمتنا وأقنعتنا أو حاولت إقناعنا أن أيدينا وأرجلنا وعضلاتنا وعيوننا وعقولنا بل وبيوتنا ومصانعنا وحقولنا بل وملابسنا وسررنا وأدوات منازلنا والأجهزة التي نعملها ونتعامل بها بل والأنهار والبحار والحساب والحقول والأرض والسماء والشمس والنجوم وكل ما نراه ونجده ونعرفه ونعمل ونتعامل ونحيا به وفيه وتحتة وفوقه، بل لقد كانت كل وظائفك واهتماماتك أن تعلمنا ذلك وتقنعنا به. !

- نعم، لقد علمتنا وأقنعتنا أو حاولت وتحاول أن نقنعنا بأن كل ذلك وكل شيء لا يساوي نفسه أو قوانينه أو طاقاته ولا يحكمه شيء من ذلك، وإنما يساوي مشيئة خارجية مطلقة، وتحكمه هذه المشيئة الخارجية بل وتقبض عليه هذه المشيئة الأجنبية المطلقة

القدرة والإرادة والهوى والرضا والغضب والحب والبغض والعبث واللعب والهدم والبناء والعطاء والمنع والإعزاز والإذلال بلا قانون أو منطق معروف أو مجهول بل كما قلت معجباً مبهوراً مغروراً بنفسك وأخلاقك مادحاً لنفسك وأخلاقك :

«إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» . . !

. . ثناء على النفس مخجل فاضح بليد قبيح همجي ، همجي . !

هل وجد هاج لنفسه وهو يريد ويزعم الامتداح لها مثلك يا إلهي؟

. . كائن يمدح نفسه بأنه يفعل كل شيء بالإرادة والكلمة . . يشيد ويهدم ويحيى ويميت ويشوه ويمرض ويشفي ويعز ويدل ويعطي ويمنع وينصر ويهزم بالإرادة . الإرادة التي لا تحكمها إلا الإرادة . . !

. . هل يمكن تصور أخذ للإيمان والثقة بالنفس أو بالعقل أو بالمنطق أو بأي تقدير أو حساب أو قانون أو موهبة أو نضال أو عمل أو بأي شيء مثل هذا الأخذ . . أخذك هذا منا يا إلهي الذي لا مثيل لبلهه وغفلته وسذاجته الفاضحة . . الذي لا مثيل له في جانيته على نفسه وتشويهه لها وفي ذمة لها زاعماً أنه يمدحها معتقداً ذلك؟

. . كيف أثق بهذا القلم أو بهذا الورق أو بهذا الكرسي الذي أجلس عليه لو آمنت أو اقتنعت أو حتى ارتبت بما تريد أن تعلمنا وتقنعنا بتصديقه بل أو حتى بالتذكر له أو التفكير فيه؟ كيف أثق بالتعامل مع القلم أو مع الكرسي أو مع أي شيء لو اعتقدت أو حتى شككت أن يداً أو قوة أو إرادة أخرى غير معقولة أو عاقلة تمسك به أو تحكمه وتتحكم فيه؟

. . ما أغبى وأكذب من يؤمن بل يا إلهي بالأوصاف التي وصفت بها نفسك ثم يؤمن أو يثق بالقلم الذي في يده أي ثم يؤمن ويثق بأنه في يده وليس في يد أخرى مجنونة ، وبأنه قلم وليس مشيئة مطلقة سفيهة عمياء حمقاء . ! . آه يا قللمي ويا يدي . . أنتما لستما قللمي ولا يدي لأنكما لا تعملان ، لا تتحركان وتكتبان بطاقتكما ولا بإرادتي بل بإرادة وطاقة أخرى مطلقة . إذن أنتما أكذوبتان ملصقتان في جسمي تشويهاً وعدواناً وهزلاً . .

. . آه يا إلهي كم هي فضاغة وجهالة بل ووقاحة أن تشرع أنت قطع يد السارق وأن تقطع كل المجتمعات والنظم يد السارق أو تعاقبه إذا سرق شيئاً صغيراً حقيراً من كائن أو إنسان آخر تحت إملاء أو إغراء ظروف بائسة أليمة نفسية أو عقلية أو أخلاقية أو اجتماعية . . ! هل يسرق من ليس مسروقاً أو من لم يكن أو من لم يوضع في مكان

السارق وتحت ظروفه أو من لم يكن محكوماً بأخلاقه بأحد التفاسير أو بكل التفاسير؟ أليست ظروف السارقين ومجتمعاتهم هي السارقة؟ أليس خالق السارق وصائغه هو السارق؟

- نعم، كم هي فظاعة وجهالة ووقاحة أن تفعل وتشرع ذلك يا إلهي وأنت السارق الأكبر الأشمل بل وأنت السارق لكل شيء حتى للشباب والصحة والقوة والعقل والجمال والحياة والذكاء والفرح والسعادة والمجد والكرامة من كل شيء وكل أحد...!

هل يوجد غيرك أو مثلك من يسرق كل ذلك يا إلهي؟

.. وأن تفعل ذلك كل المجتمعات والنظم ثم تذهب تشني عليك وتشكرك وتعبدك وتتقرب إليك بذلك أي بقطع يد أو بمعاقبة هذا السارق الصغير البائس المقود المحكوم بضعفه أو نقصه أو غبائه أو احتجاجه أو بحكمك عليه بذلك ودفعك له إليه، دون أن تشرع الحكم عليك يا إلهي بقطع وعقاب وشل وقتل وفقء وتعجز يدك ورجليك وعينيك وكل أعضائك وعضلاتك وحركاتك، دون أن تظن أي كل المجتمعات والنظم أن سرقة كل السارقين لا تنافس سرقة واحدة من سرقاتك..!

.. سارق كل شيء بلا احتياج أو ضرورة أو عجز أو جوع يعاقب أصغر سارق محكوم بكل تفاسير الاحتياج والعجز والجوع والخطأ والضرورة..!

هل يمكن تصور مثل هذا السارق المعاقب؟ هل يمكن أن يوجد أو أن يوجد من يتصوره أو يقبل تصوره؟

.. سارق يسرق بلا احتياج أو ضرورة أو غيرة أو عجز أو حتى خطأ من وجه فتاة بريئة نظيفة تقية مؤمنة مهذبة مؤمنة - يسرق منها، من وجهها ومرأتها كل صحتها وشبابها وجمالها وفرحها وسعادتها وسواد شعرها وبريق وابتسامات عينيها..!

يسرق منها كل ابتساماتها وآمالها حتى ليسرق منها قدرتها على التحديق في المرأة والاقتراب منها والمروء أمامها..!

هذا السارق هل يوجد مثله ندالة وقبحاً واستحقاقاً للعقاب والعذاب؟

.. هل يوجد أرذل أو أنذل أو أفجر أو أسرق من سارق الجمال والشباب والصحة والإغراء والحب والفرح من وجوه وقلوب وأجسام ونظرات ومرايا الفتيات.. من سارق الفرح من قلوب وعيون النساء بالتحديق في المرأة وبتحديق كل العيون في عيونهن وفي قراءة وتفسير عيونهن..

. . من سارق سعادة العيون في أن تحديق فيهن العيون .؟
. . هل يمكن تصور سرقة تشبه في قبحها ووحشيتها سرقة الرغبة من عيون النساء
والفتيات في أن تحديق فيهن كل العيون القارئة المحاوراة المفسرة المتمنية المفترسة
المصابة بالجنون والذهول والاستسلام؟
هل وجدت هذه السرقة وسارقها؟ هل وجد من يغفرون هذه السرقة وسارقها؟
هل وجد من يصلون لهذا السارق ويؤمنون بجماله وحبه وتقواه؟
. . إن سرقتك يا إلهي رغبة أية امرأة في أن تقف أمام مرآتها محدقة متلفتة ملتفة
متبدلة فرحة مبتسمة مغنية مغازلة شاكرا لمرآتها متحدثة إليها هاتفة بها ولها .
- نعم، إن سرقتك هذه يا إلهي لا تساويها أقسى وأقبح السرقات في قسوتها
وقبحها ونذالتها وعدوانيتها .!
. . إنه لا أوقح أو أنذل أو أسرق ممن يأخذ أو يسرق أو يفسد العلاقات المحارة
السعيدة المتوهجة بين عيني المرأة ومرآتها .!
. . إنه لا يوجد ولن يوجد صديق وحبيب لعيون المرأة مثل مرآتها كما لم يوجد
ولن يوجد عدو وبغض لها مثلها .!
أيتها المرأة كم أنت صداقة وفرح للعيون والوجوه . . وكم أنت عداوة وكآبة بل
وعقاب وعذاب لها .! . هل عرفت أيتها العيون من حول المرأة إلى تعذيب وترويع
وتشويه وعقاب لنظراتك؟ هل تعرفين فاعل ذلك؟

هل تعطى يا إلهي تعويضاً عن أخذك منا؟

هذا السؤال أي «هل تعطى يا إلهي» لعله أول سؤال تسمعه موجهاً إليك، بل أول سؤال يطرح أو يحدث تصويره أو التفكير فيه «هل تعطى يا إلهي؟» إنه سؤال مفاجئ فاجعل لمن يوجه إليه ولمن يسمعه أو يقرؤه !

. . ألسنت يا إلهي قد أعطيت وتعطى كل شيء صعوداً إلى أضخم وأقصى الشمس والمجرات وهبوطاً إلى أرذل وأخطر وأصغر الحشرات والجراثيم المرضية التي لم تستطع أقوى وأذكى العيون العلمية وأجهزة التجسس والتجسس العلمية أن تراها أو تكتشفها؟ أنت المعطي لكل شيء حتى لجرثومة المرض وللعاهة في الوجه البريء الجميل . إذن كيف يقال : هل تعطى؟

. . ألسنت يا إلهي قد بالغت وتبالغ في عطائك لقد هنت وجهلت وصغرت ورذلت وفحشت وتلوئت في أنواع ومقادير وتفسير عطائك حين تعطي ما لا يعقل أو يقبل أو يغفر أن يعطى ، أي حين تعطي بكل جنون الإسراف ما هو ضد كل تفسير العطاء وجمال العطاء ونتائج وحوافز ونفع وكرم والعطاء وفكرته وشهامته !

. . حين تعطي ما هو بذاءة وجهالة ووقاحة وسخافة وعدوان في المعطي وهجاء وسباب واتهام له ، وما هو إساءة وتعذيب وترويع وإفقار وأمراض وتشويه وإذلال للمعطي . . حين تعطي ما لا يجزئ أنذل وأجهل وأوقع المعطين أن يعطوه . . !

. . حين تعطي لتصبح أفسى الهجاء لكل تفسير العطاء والمعطين . . حين تعطي من بصاق واستفراغ وعفونات الحشرات والجراثيم وبأيديها وأجنحتها وأخلاقها أسخى العطاء . !

. . أليس كل هذا هو بعض عطائك ؟ أليس أنبيائك والمؤمنون بك يعلنون عن تمجيدك وتكريمك وإرضائك حين يعلنون أن هذا بعض عطائك؟

. . ألسـت المعطي لكل العاهات والتشوهات والحشرات والأوبئة والجرائم والآلام والأحزان والغباء والبله والضعف والطغاة والأبالسة والصحارى والأعاصير والزلازل والفيضانات والقحط والموت والجحيم والزبانية؟ أليس الجحيم وموظفوه هو وهم أشهر وأكبر عطايـاك؟

أليس الأبالسة هم أضخم وأقوى وأشهر عطايـاك للإنسان؟

أليس كل هذا هو بعض عطائك؟ هل يوجد معطٍ مثلك إذن يا إلهي؟ هل يوجد معطٍ نذل وقح معذب مجرم بعطائه مثلك؟

هل يوجد معطٍ هو أفـبح من كل مانع مثلك يا إلهي؟

. . إذن كيف جرؤت أن أنطق بهذا السؤال وأوجهه إليك يا من عطايا كل الطغاة والجناة والأندال والأعداء والمجانين لا تنافس أو تساوي عطية واحدة من عطايـاه أي عن عطايـاك يا إلهي الذي يعطي ليصبح أقسى وأندل وأبخل معطٍ . . ليصبح أقوى تحقير لتفاسير ومعاني العطاء . !

. . أريد أن أفترض هنا أن هذا الجواب جواب ملائم لهذا السؤال، أي أفترض أنك المعطي بلا أي تساؤل عن عطائه بل عن كونه المعطي كل شيء وحده بلا شريك . !

وتحت تفاسير هذا الافتراض أو الاقتناع سأضطر إلى أن أقول لك يا إلهي المعطي الموجد الصانع لكل شيء وكل أحد: إن جميع الموجدين والحرفيين والصناعيين والخالقين والمخترعين والفنيين يجددون ويطورون ويضخمون ما يفعلون . . يصعدون به دائماً إلى الأفضل والأعظم والأجمل والأقوى والأبقى والأمنع . . !

لأنهم يعرفون أن الإيجاد والخلق لن يكونا أو صعوداً وتجديداً وتطويراً . !

. . إنهم يبدأون ما يعطونه ويصنعونه صغيراً وريئاً وديمماً ثم يقفزون ويستمرّون ويقفزون به قفزات متصاعدة متتابعة بلا توقف بل قفزات متجددة في تصاعدها . إنهم ليسوا تكراراً بل كينونات متجددة متصاعدة متعاطمة في صعودها وصيغها وتفاسيرها وفنونها . إن أجهل وأضعف وأبلد صانع أو عامل أو زارع أو صاحب أية حرفة لا بد أن يفعل ذلك أو يحاوله أي أن يكون تجديداً وتصعيداً وتطويراً لا تراكمياً وتزاحماً أو تكاثراً فقط . . !

إن التكاثر والتراكم بلا تصاعد هو أسلوب وطور وخلق الحشرات . !

.. الفن والإبداع والخلق لا يكون أو يقبل أن يكون نسخاً وتصويراً فقط أنه لن يكون الإعطاء وإبداعاً وتأليفاً جديداً متجدداً متطوراً.

.. إن العبقرية والخلق لن يفسرا إلا بالتخطي والتصاعد الدائمين إلى الأعلى والأعلى والأذكى والأجمل..!

لماذا يا إلهي جئت وتجيء أي دائماً في كل تفاسيرك ونماذجك وأخلاقك وفي كل أشواقك وتمنياتك واشتراطاتك وعبقرياتك بل وفي كل شاعرياتك وفي رؤاك للجمال والكمال وحبك لهما أقل من كل أحد، من كل الحدادين والنجارين والخطاطين والنحاتين والمصورين بل ومن كل النساجين والسباكين وكل أصحاب الأعمال اليدوية البدوية؟

.. أنت وأنبيائك تقولون: إنك خلقت الكون والإنسان وكل شيء مرة واحدة. في صيغة واحدة، في أحسن تقويم ثم توقفت عند هذه الصيغة الواحدة التي هي الصيغة النهائية لكل الجمال والكمال لا تستطيع تخطيها ولا الخروج عليها أو النقد لها. ! لقد كنت يا إلهي بهذا الشئ على نفسك مثل الإنسان العربي الذي يجد كل مجده في أن يكون مثل آبائه وأجداده وقبوره القديمة. القديمة المدفونة في أحشاء الصحراء وفي كل أخلاقها وذكائها وسخائها وكبريائها وجمالها وشهامتها وعقلها وعلومها وآلهتها وتحضرها..!

كيف لم تتكون هيئة أو منظمة كونية لتهتم وتدرس وتعرف وتعلن وتقرر: هل الإنسان العربي هو الذي صاغ الإله على صيغته أم الإله هو الذي فعل بالإنسان العربي ذلك، وأيضاً من الذي اختار للإله وللإنسان العربي هذه الصيغة؟

كيف وجد من استطاع الهبوط لكي يستطيع اختيار هذه الصيغة؟

.. إنك يا إلهي تذهب تقول بكل مشاعر الفرح والإعجاب بالنفس وبكل إرادة وحوافز الإعلان، وكذلك يذهب أنبيائك وجميع المعلمين والمتحدثين عن مجدك يقولون بكل هذه التفاسير والمشاعر والحوافز والنيات.

- نعم، تذهب تقول ويذهبون يقولون: إنك في كل ذلك وفي كل شيء ترجع وتراجع إلى الوراء.. إلى الضعف والجهل والبداءة والأمية.. إلى الشيخوخة الفنية العقلية والنفسية والأخلاقية.. إلى أقل وأردأ وأغبي وأقبح وأجهل وأضعف من البداية.. من بدايتك وبداية كل شيء.. إن الكمال هو أبداً البداية ثم الانحدار، الانحدار الدائم..! هكذا تقول ويقول أنبيائك والمعلمون عنك.!

نعم، يا إلهي هل وجد من يمتدح نفسه بالتراجع إلى الوراء مثلك؟

.. إنك وأنبياءك تقولون: إنك خلقت الإنسان أي معشوقك وحبيبك وساحرك وقاهره الأول والأخير والدائم بل والمذل الفاضح لكل تفاسيرك وأخلاقك وقوتك وتقواك ونظافتك وغيبتك بل وشهامتك وكرامتك أي المزعومة المفقودة أبداً، أبداً..

نعم إنكم تقولون: إنك قد خلقت هذا الكائن المسمى إنساناً بكل صيغ الجمال والكمال ثم أصابتك الغيرة من جماله وكماله فذهبت تهبط وتهبط به حتى هبطت به إلى مستوى الزعامات والقيادات والنهوات والثوريات العربية، العربية الإسلامية أحياناً!

آه. هل يطاق قبح الزعامة العربية فكيف إذا أصبحت زعامة عربية إسلامية؟

إن أصدق وأذكى المدافعين عنك والمحبين والرائين لك لن يستطيعوا أو يقبلوا أن يقولوا غير أنك تخليت وأردت وخططت الإنسان وكل شيء مستوى واحداً لا يمكن ولا يقبل تخطيه ثم وقفت أو نمت عنده بلا صعود أو هبوط. بلا أي تطوير أو تغيير أو تجديد. إنه لا يوجد ولن توجد أكذوبة مثل الأكذوبة القائلة بأنك لا تنام يا إلهي. إن كل النوم بعض نومك يا إلهي.. هل يمكن أن يوجد مخطط أو مدبر أو صانع أو فنان أو حرفي أو شاعر أو متخيل يخلق الأب والأم ثم يستمر يخلق الأبناء والأحفاد أبداً أبداً مثل الأب والأم أو أقل في جميع المستويات والصفات والتفاسير؟ هل يوجد عاجز أو جاهل أو بليد أو دميم أو أمني الرؤية والخيال والطموح والتمني مثل من يفعل ذلك؟

.. إنه ليس مبدعاً أو خلاقاً أو فناناً بل ليس حداداً أو نجاراً أو عاملاً أو حرفياً من أي مستوى من يعطي أو يصنع بداية لشيء أو لعمل أو لفن ثم يستمر أبداً، أبداً عند هذه البداية لا يستطيع أو لا يريد تخطيها والتفوق عليها فكيف إذا هبط بها؟ وأنت يا إلهي تقول إنك تهبط عن البداية..!

إن الإيجاد والخلق بنفس المستوى والصفات ليسا إيجاداً ولا خلقاً ولكنهما إيجاد وخلق لأسباب وظروف التزاحم والتراكم والاختناق والأزمات والمجاعات والعاهات..! .. إنهما تزاحم وتراكم ليسا أفضل أو أقل قبحاً من تراكم وتزاحم الحشرات والجراثيم..!

.. إن الإله الذي يخلق الأبناء والأحفاد مثل الآباء والأجداد بلا تصعيد وتجديد حاد متجاوز جداً لهو إله يجب أن يعاقب ويطرده ويعلم لا أن يحمد أو يعبد أو يشكر أو حتى يترك يخلق بل أو حتى يترك يحيا ليصنع هذا التراكم والتزاحم من الأزمات والعاهات والتشوّهات والمجاعات واللعنات والقباحات..

كيف لم يوجد من يفسر للإله ذلك؟ هل كل من حوله بكل هذا الغباء والجهل؟
إن الخلق والإبداع والفن يا إلهي ليس تكرار أو عدداً ولكنه تجديد وتطوير وتجميل
وصعود . . إن تراكم وتراحم الحشرات ليس فناً أو خلقاً.

كيف يا إلهي لم تفهم ذلك لا أنت ولا أنبيائك؟
لماذا أنت وأنبيائك والمتحدثون عنك تجيئون أبداً كل مستويات وتفسير الغباء
والبله بل كل المعلمين والصانعين والملهمين للغباء والبله؟

. . آه يا إلهي لو أنك رأيت أو قرأت أو فسترت أو حاكمت نفسك وفيك أي قدر
من الغضب أو الرؤية أو الاحتجاج أو النقد أو الاشتراط . . ! آه كم أنا خارج في
افتراضاتي وتساؤلاتي وعذابي على كل شيء . . على كل افتراض وتساؤل وحساب !

هل يمكن حينئذ تصور ما يمكن أن تفعل بنفسك وتعاقبها به بل وتلعنها به أي لو
أنك يا إلهي رأيت أو قرأت أو فسترت أو حاسبت نفسك؟

ولكن أليس الشرط الدائم لأي إله لكي يكون ويقبل ويظل إلهاً أن يكون بلا أي
قدر من الرؤية أو الاحتجاج أو النقد أو الغضب أو الاشتراط أو الفهم أو المساءلة أي أن
يكون أعمى العيون والأخلاق والرؤية والغضب والاحتجاج أي أن يكون أعمى وأصم
وموتاً في كل حواسه وأحاسيسه؟

. . آه يا إلهي المنتظر بلا حضور والمخاطب بلا سماع أو استماع . . يا إلهي هذا
ليتك تهب أو تعبر احتراقي واحتجاجي وغضبي ورؤيتي وتفجري وأرقى شيئاً ولو قليلاً
جداً من برودتك ونومك وبلاذتك وعماك وسكونك واسترخائك ورضاك وصمتك، أو
ليتك تستعير أو تستوهب أو تعار أو توهب شيئاً من احتراقي واحتجاجي وغضبي
وأرقى . !

لماذا يا إلهي أنا أعذب بك ولك وحدي؟ لماذا لا يشاركني في عذابي هذا لا أنت
ولا أحد من أعوانك أو المشفقين عليك؟

. . آه إنك لن تستطيع يا إلهي أن تحيا أو تبقى لحظة واحدة لو نقلت إليك شيئاً
من احتراقي بكل صيغ وتفسير وأسباب ومعاني الاحتراق الذي أقاسيه وأقاسي أسبابه
ونبراته . .

لماذا يا إلهي كل ثلوج وبرودة كل شيء وكل الكون لا تساوي ثلوجة وبرودة معنى
من معانيك؟

لماذا يا إلهي لا تستطيع كل نيران الكون أن تهبك شيئاً من الحرارة؟

.. آه يا إلهي لو أنك استطعت وأردت أن ترى أو تقرأ أو تفسر أو تحاسب أو تنقد نفسك بأي قدر من المنطق والجمال أو العدل أو الفن أو الحب أو الكرامة أو الشهامة أو النظافة أو أن تشترط عليها أي قدر من ذلك؟

آه لو أنك استطعت أن ترى أو تقرأ أو تفسر أو تفهم أو تجد أو تحاسب أو تسائل عقلك أو أخلاقك أو فنك أو ذكائك أو رحمتك أو شهامتك أو كرامتك أو عبقريتك أو كبرياءك أو جمالك أو تصورك ورؤيتك للجمال حتى ولو بذكاء أو منطق أو ضمائر أو قلوب أو عيون أو تقوى أو نظافة أو حب أو رحمة أو عبقرية الوحوش أو الحشرات أو اللصوص أو القتلة أو المجانين أو الأوغاد..! إنك لا تملك أو تعيش أو تقاسي يا إلهي أية مزية أو تفسير أو خلق من مزايا وتفسير وأخلاق هذه أو هؤلاء..!

.. أنا أرفضك وأتعذب بك وأقاسي كل خطاياك أيها الإله القاتل الفاجع المعذب بقدر ما يعبدك ويشكرك ويمجّدك ويؤمن بك الآخرون بقدر ما تقسو في قتلك وقبحك ووقاحتك وتعذيبك ونذالتك وفي كل معانيك الجاهلية البليدة المجنونة.. إن الإنسان يؤمن ويعجب بك ويرضى عنك ويرى جمالك ويعلن عن كل ذلك يا إلهي بقدر ما تكون نقيضاً وتحقيراً لكل ذلك..!

إن الإنسان يا إلهي لم يفقد كل عقله وعيونه وذكائه وكبريائه وأخلاقه وكرامته مثلما فقد كل ذلك حينما وجدك وراك وأحبك وأعجب بك وفسرك بكل تفاسير الجمال والحب والرحمة والنخوة والقدرة والعدل..!

.. لقد بالغت وقسوت جداً يا إلهي في تعذيبك وتوريطك وتلويثك لمن حكمت عليهم بأن يتوالدوا فلماذا لم تعوضهم عن ذلك بأكثر من أن تجعلهم يظلون يكررون أنفسهم بالتوالد، ييصقون أنفسهم بأسلوب من يتوالدون؟

هل يوجد بصاق أليم كرهه بذيء ملوث بليد فاضح مثل البصاق المسمى تناسلاً؟

أليس أردأ وأقبح بصاق هو بصاقك يا إلهي على من جعلتهم يتناسلون؟

.. كيف لم تخجل وترفض أن يظل طموحك وتفكيرك وخيالك وفنك وخلقتك ورؤاك وتمنياتك وإبداعك أبداً، أبداً تكراراً، تكراراً.. أن يظل بصاقك على نفسك وعلى حبيبك الإنسان وعلى الطبيعة وعلى كل شيء تكراراً، تكراراً بلا أي تنظيف أو تصعيد أو تبديل؟

.. كيف قبل أي معنى من معانيك أن تظل تخلق من الصرصار والذباب صرصاراً

وذباباً، ومن الإنسان الجد والأب . . الإنسان الابن والحفيد . . وتظل تخلق من الإنسان العربي الذي كان تخلق منه الإنسان العربي الذي هو كائن والذي سوف يكون ويظل يكون؟

هل أنت يا إلهي فاقد للقدرة أم للرؤية أم للطموح أم للجمال أم للرغبة في الإبداع والكمال أم للتطور أم أنت فاقد لكل ذلك ولغير ذلك من التفسيرات الذكية القوية؟

كيف قبلت أو استطعت يا إلهي أن تظل تخلق من النبوات العربية زعامات عربية؟

هل وجد غيرك يا إلهي من قبل أو رأى أو أراد أو أحب أو رضي أن يظل خلقه أو فنه أو قدرته أو رؤيته أو أمله أو طموحه أو فكره أو شعره أو حتى ملابسه أو أعماله اليدوية تكراراً، تكراراً مثل تكرارك للصراير والبراغيث للإنسان ولكل شيء ولكل قبح وغباء وألم وهوان وافتضاح بتفسير ومنطق التناسل وبصيغة وأسلوب البصق والتباصق؟

أن تظل تلد أو تبصق من الحشرة حشرة ومن الإنسان الأب الإنسان الابن . . هل يقبل أن يكون هذا ثمناً أو جزءاً أو أجراً لتفكيرك وتدبيرك واهتمامك وتعبك وفعلك ومجدك يا إلهي؟

. . إنه لم يوجد ولن يوجد بصاق فيه كل تفسير وأردأ تفسير البصاق مثل بصاق التوالد الذي هو كل مجدك وعطائك وعبقريتك . الذي هو كل تدبيرك وتفكيرك وتخطيطك وفرحك وسعادتك وفخرك . !

. . إنه لهذا لن يوجد ولم يوجد مريد وعاشق ومدبر وفاعل لأقبح وأوقع وأشمل وأدوم وأنذل البصاق مثلك يا إلهي حينما أردت ودبرت وصنعت وفرضت التوالد .

هل رأيت أو قرأت أو فسرت يا إلهي أسلوب أو منطق أو أهداف أو نتائج التوالد؟ هل رأيت أو قرأت أو فسرت ذلك ثم رضيت به؟

. . هل وجد أو هل يمكن أن يوجد يا إلهي مستقبل ومستقر للبصاق . لهذا البصاق، وسعيد فرح به مثل عينيك اللتين لا تريان ولم ترياً ولن ترياً مهما تزاخمت وتجمعت فيهما كل الفضائح والقبايح والمرثيات . . بصق الصرصار والذباب من الصرصار والذباب مجد ونضال إلهي . كيف وجد من يصدقون؟

. . آه يا إلهي لو أن لك عينين تريان فرأنا بصقة واحدة من هذه البصقات أي ولادة واحدة من هذه الولادات ولادة برغوث أو قملة من برغوث أو قملة أو ولادة عامة من عاهة . . !

.. ما أقبح وأبشع وأخطر أن يكون الفاعل لا يرى ولا يستطيع أو يرى ولا يريد أن يرى .. ولكن كم في هذا من المحابة والراحة البليدة القبيحة اللئيمة لهذا الفاعل؟ لهذا هل وجد أو يمكن أن يوجد فاعل لا يرى ولا يستطيع أو يريد أن يرى مثلك أو غيرك يا إلهي؟

آه يا إلهي لو استطعت أن ترى أو تقرأ أو تفهم ولو مرة واحدة .. ولو منظراً واحداً، ولو قبحاً أو عذاباً أو غباء واحداً .. كم أنت يا إلهي أناني فظ حينما خلقت العيون الرائية ثم حميت نفسك من هذه العيون؟ .. آه يا إلهي لو ركبت فيك عياناً أو عقل أو ضمير أو قلب أو رحمة أو محبة أو شهامة أو عدالة أو نخوة أو إباء أو كبرياء !

ولكن يا إلهي ألست قد خلقت العيون والعقول والضمائر والقلوب والرحمة والمحبة والعدالة والشهامة والنخوة وكل تفاسير وصيغ الإباء والكبرياء لتكون ضد كل معانيها ووظائفها المزعومة لها؟

حتى الرحمة والمحبة قد حولتهما وعلمتهما وفسرتهما أنت والمعلمون عنك ليكونا أقسى وأتقى والقسوة والبغضاء !

ليكونا قسوة وبغضاء تعبد ويتقرب إليك وترضى بهما !

.. نعم، يا إلهي لا تريد ولا تستطيع أن تتصاعد وتتوحش قسوتنا عليك ومحاسبتنا لك إلى أن نذهب ننكر أنك الخالق المعطي لكل هذا الوجود أي بأسلوب ونيات البصق المباشر أو البصق لمن أو لمن سوف يتحول إلى باصق نيابة عنك وتمجيذاً وإسعاداً ومسلاة لك .. لعينيك وقلبك ونزقك وضياعك وفراغك وحرمانك الكئيب الأليم !

.. ولو أننا أنكرنا ذلك ما حسبنا أننا قد أنكرنا مجدداً يجب أن يكون لك !

كم أنتظر أو أرجو ألا يخفى عليك أن من يتهمونك يا إلهي بأنك الباصق أو المستفرغ أو المفرز لهذا الوجود ولكل شيء هم يدافعون عنك ويكرمونك أكثر ممن يرون ويزعمون أنك الخالق المدبر المريد العاشق له المعجب الفرح به؟

إن المتهم بأنه باصق القبح أقل قبحاً من المتهم بأنه خالق ومدبر القبح !

أليس البصق أو الاستفراغ القبيح البذيء المؤذي المؤلم أقل قبحاً وذنباً وإيذاء وخطراً وضرراً وبلادة واستحقاقاً للاستنكار والعقاب من التفكير أو التدبير أو التخطيط أو الخلق أو الفعل البليد أو القبيح أو الوقح أو الجاهل أو السفیه أو العابت؟

إذن أليس دفاعاً نبيلاً كريماً رحيماً تقياً عنك يا إلهي أن يقال إنك في كل تصرفاتك وعطائك باصق ومستفرغ ولست مدبراً أو مريداً أو مخططاً أو خالقاً؟

لهذا كم أتمنى أن يصفك المؤمنون المحبون المحترمون لك بالباصق المستفرغ لا بالمدبر الخالق.؟ أليس اتهامك يا إلهي بأنك باصق أو مستفرغ العاهات والتشوهات والحشرات أخف من اتهامك بأنك مدبرها وخالقها ومعطيها؟

أليس الذي يبصق أو يستفرغ يلد كائناً مشوهاً أقل وحشية وسفاهة وجريمة من الذي يخلق بالتدبير والإرادة والقصد كائناً مشوهاً؟

كيف أمكن أن يخفي هذا على أي كائن. . أن يخفي على أعوانك وأنبيائك؟

. . إن أنبياءك يا إلهي لو كانوا يريدون احترامك ويحترمونك ويعرفون شيئاً من معاني الاحترام لجاءوا ليعلموا عنك بأنك الباصق المستفرغ لهذا الوجود لا ليعلموا عنك بأنك المدبر المخطط الخالق له بأنك الموجود الموجد بالبصق والاستفراغ لا بالتدبير أو الإرادة أو القصد أي إن لم يكن بد من التعليم عنك بهذا أو بهذا. . ولهتفوا بك ونادوك قائلين: أيها الباصق المستفرغ لا قائلين: أيها الخالق المدبر المريد العارف لما يريد ويفعل. . لقالوا أي أنبيائك يا من كل عطائه وفعله بالبصق والاستفراغ لا بالقصد أو التدبير أو الإرادة أو القدرة أي حين ينادونك ويخاطبونك ويصفونك. . !

إذن لماذا قالوا عنك ولك ما لا يصح أن يقولوه ولم يقولوا ما يجب أن يقولوه أي عنك ولك وإليك؟

هل فعل أنبيائك ذلك عن جهالة وبلاهة أم عن خبث وسفاهة؟ هل فكرت يا إلهي في ذلك واهتممت به وعرفت ما الحقيقة؟ إن العلاقة بينك يا إلهي وبين أنبيائك وكل أعوانك والعاملين المتعاملين معك لهي علاقة لا مثيل لها في العجز عن أن تكون مفهومة أو معقولة أو محترمة أو غير متهمة بأبشع التهم والتفاسير. . !

. . ولكن يا إلهي ليست هذه هي القضية وليس السؤال عن هذا العطاء .

. . إنها قضية أخرى وسؤال يبحث عن جواب آخر. . !

. . نعم. . الذين يتحملون ويمارسون تشوهات ووقاحات وخصومات وعداوات وبذاءات وملاعنات وبلاذات وبغضاء وكل تكاليف ومتاعب وأخطاء وخطايا ومخاوف وأشباح الإيمان بك والتوكل عليك والصلاة والتذكر والامتداح والتعصب والبغض والحب لك وبك، ومقاساة الحفظ والتعليم والتفسير لما تريد وتطلب ولما تأمر به وتنهى عنه. الذين يضعون ذاتك الفادحة فوق كرامة عقولهم وأخلاقهم وتاريخهم وعلاقاتهم

ورؤاهم وتفاسيرهم لكل شيء - نعم، هؤلاء الذين يتحملون ويقاسون ويمارسون كل ذلك وغير ذلك أجلك يا إلهي هل تهبهم أو هل ينالون بأي أسلوب أو تفسير تعويضاً أو أجراً لهم على ذلك أية مزية من المزايا المعلمة أو الممجدة أو المتمنة أو المروية عن كتبك وأنبيائك وعنك؟

.. هل تهبهم أية مزية أو قيمة من المزايا والقيم المزعوم أنك تهبها؟

.. هل يصبح هؤلاء أكثر شجاعة أو قوة أو ذكاء أو علماً أو صدقاً أو وفاء أو مروءة أو جمالاً أو رؤية أو حباً أو مجداً أو صفاء أو إبداعاً أو إنتاجاً أو عطاء أو إثارة أو حتى أكثر أو أقوى تقوى أو طهارة أو أقدر على كره ورفض ومقاومة النفاق والهوان والسقوط والسجود والركوع تحت أقدام جميع الأوثان القبيحة الوقحة الفاسقة الجاهلة، أو أقدر على الصعود إلى القمر وإلى السموات، أو على الهبوط إلى أعماق الأرض بحثاً عن أمجادك أو سفاهاتك المسماة نفطاً والمسماة غير ذلك يا إلهي ..

.. بحثاً عن بصاقتك واستفراغك الذي حوله الكافرون بك إلى أنفع بصاق واستفراغ .. أو أقدر على الإعلان عن قوتك وعظمتك ونظامك وفنونك وثرانك وذكائك وعبقرياتك المخبوءة في هذا الكون أي بعبقرياتهم واكتشافاتهم وبأسفارهم ورحلاتهم الكونية ..

.. أو حتى أقدر على الصبر والتجلد في مواجهة الآلام والكوارث والحماقات التي توقعها بهم وبغيرهم وبكل شيء امتحاناً واختباراً لصبرهم وإيمانهم أي فيما يزعمون ويعلمون ويعلمون .. ؟

هل يصبحون أصبر على حماقاتك ونزواتك الموقعة بهم أو أقدر على مقاساتها أو أذكى؟

.. هل جاءوا شيئاً من هذا أو جعلتهم شيئاً من هذا يا إلهي في أية حقبة من تاريخك الطويل العقيم أو في أي مكان من أماكن غزواتك واعتداءاتك الدائمة الشاملة الفادحة البذينة على أوطان هذا الإنسان البائس المصاب بك وبالإيمان بك دون جميع الكائنات المريئة؟

.. إقرأ التاريخ إن كنت تقرأ أو استمع إلى قارئيه إن كنت تسمع أو انظر إلى الواقع الحاضر إن كنت ترى .

- نعم، افعل كل ذلك يا إلهي أو شيئاً منه إن كنت تستطيع أن تفعل تجد أن القوم أي قوم هم نقيض شامل لكل هذه القيم والمزايا بقدر ما يكونون مؤمنين بك موالين لك

متحدثين عنك متمين إليك محسوين عليك، واضعين كل جباههم وعقولهم وأخلاقهم وكبريائهم وتاريخهم تحت تراب قبور ومحاريب ومناير ومغارات وعباءات ولحى وعمائم أنبيائك .

تجد تجد أنهم أي أوليائك وأصدقائك المؤمنين بك الموالين لك المتمين إليك المحسوين والمنسوين إليك وعليك .

نعم، تجد أنهم أبدأ هم الأضعفون الأذلون الأجبنون الأجهلون الأفقرون الأعجزون الأضيعون الأضعفون بل والأفسقون والأكفرون الأذلون أي لمبالغتهم في توظيف وتسخير أنفسهم وتقواهم وتعاليمهم وأديانهم وكتبهم المزعومة مقدسة لعبادة وطاعة وتفسير وتسويغ وتجميل ومناقفة الحكام والمتسلطين بقدر ما يكونون طغاة جهلاء ظلاماً فساقاً أنذالاً عصاة أقوياء، ولمبالغتهم أيضاً في عبادة وترسيخ وتعظيم أبشع وأشمل الأوثان الدينية المحروسة بل وبأنبيائك وبكتبك المنزلة والمنافية المهينة أي هذه الأوثان الدينية لكل تفاسير الألوهية والوحدانية المقاومة لكل طموح العقل وأشواقه وطاقاته ووثباته . .

ما أقسى وأقوى وأقبح الأوثان الدينية أي الأوثان التي جاءت أديان التوحيد لتعلم عبادتها .

نعم، افعِلْ ذلك يا إلهي تجد وتر أن رعاياك أي أوليائك وأحبائك الساجدين بكل جباههم وعقولهم وأخلاقهم وذكائهم وكبريائهم تحت خيامك وعباءاتك وعماماتك في صحرائك، تجد وتر أنهم أبدأ موهوبون مستوهبون من الآخرين المناقضين كل ما يمكن أن يكون عندهم من شيء جيد أو جميل أو ذكي أو نافع . . كل ما يمكن أن يكون عندهم من حضارة أو علم أو تقدم أو قوة أو حرية أو عدالة أو رخاء أو جمال أو حتى من نظافة أو صدق أو شعارات شجاعة جميلة ذكية تصنعها الأماني أو تصنعها الخطوات القادرة . !

حتى الشعارات الجيدة الذكية الإنسانية الحضارية لا بد أن تكون هبة أعدائك أي من يحسبون أعداءك لأصدقائك . . حتى عيونهم وأسنانهم وقلوبهم وكل أعضائهم وأجزائهم التعويضية أو البديلة لن تكون إلا هبات من هؤلاء الأعداء أي المحسوين كذلك . . هبات مباشرة أو هبات منتقلة معلمة مصدرة إلى الأيدي والعيون والعقول .

. . حتى كتبهم المقدسة ورواياتهم عنك ورأيهم فيك ودعائياتهم وصلواتهم وهتافاتهم لك وبك وتعاليمهم وقراءاتهم الدينية والدعائية والتعليمية وغيرها .

- حتى كل هذه لن يستطيعوا ولم يستطيعوا أن يطيعوها أو يذيعوها أو ينشروها أو

يسمعوها أو يعلنوا عنها بأذكى وأقوى وأشمل وأسرع وأيسر الأساليب الإعطاء من هؤلاء الآخرين أي بأيسر وأشمل وأسرع وأصرخ الأساليب لا بأذكاها أو أبقاها أو أنفعها . . الإعطاء من هؤلاء الأعداء أي المزعومين أعداء . .

نعم، هل كان يمكن أن يطبع أولياؤك كتابك ويذيعوه بكل الأصوات لولا عبقرية أعدائك؟

. . حتى رؤية الطبيعة وقراءتها وفهمها ومحاورتها والتعامل معها والانتصار عليها وترويضها لم يستطيعوا ولن يستطيعوا شيئاً من ذلك إلا بقدر ما يهبهم الآخرون أو يستوهبون الآخرين أو يفرض عليهم الآخرون أعني الآخرين الذين هم أعداؤك أو المحسوبون أعداءك . !

. . حثة نبوءات واكتشافات وعلوم ورؤى أنبيائهم الكونية والطبيعية والغيبية لن يعلموا ولم يعلموا صدقها أو يعلنوا عن صدقها أو يحاولوا التدليل على صدقها أو يجروا على ذلك بكل الكبرياء والمباهاة والصراخ والتحدي أي أولياؤك وأصدقائك إلا بما عرفه وقاله وأعلنه من ليسوا أولياءك ولا أصدقاءك . !

بل هل استطاعوا أي أولياؤك ودعاتك ومفسروك يا إلهي إن يدللوا على صدق آرائك ومعلوماتك في كتابك إلا بما عرفه واكتشفه وقاله هؤلاء المحسوبون من أعدائك؟ إن أعداءك هم المعلمون أبداً لأولياؤك . . هم الواهبون لهم كل مزاياهم العلمية والعقلية والحضارية والعملية بل والإنسانية بل والمالية . !

. . إنك يا إلهي في كل تاريخك وتفاسيرك وأطوارك وانفعالاتك لم تهب المؤمنين الواصلين بك العابدين لك المنتظرين منك المتوكلين عليك بكل مستويات الجنون والهوان والضياح وافتضاح . . المعادين اللاعنين المبغضين لكل البشر إرضاء وعبادة وطاعة لك وتملقاً لأخلاقك الأليمة .

- نعم، إنك لم تهبهم أية مزية عقلية أو نفسية أو أخلاقية أو إنسانية أو علمية أو حضارية أو حتى دينية مهما وهبتهم أو علمتهم كل جنون التعصب والبغضاء والحقده والعداوات والسفاهات والملاعنات بحجة وإرادة الاحترام والتمجيد والإرضاء والعبادة لك والدفاع عنك والاستجابة لشهواتك وأحقادك اليائسة التي لم يشبعها أو يروها كل ما في الوجود من عذاب حتى ذهبت تخلق الجحيم وعذابه لأن كل العذاب الذي صنعه في الحياة الأولى لم يشبع أو يرو أحقادك . !

. . إن أقوى وأشهر وأعظم داعية لك ولدنا قد تهبه أو لا بدَّ أن تهبه أو يهب نفسه

بأسلوب الاحترام والحب لك كل صراخ وبذاءات التعصب والبغضاء والسباب والانتهاك للمخالفين، وكل التمجيد الخطابي والدعائي لكل الفضائل المقروءة الممدوحة في الأسواق وفي كتبه أو في كتابه الذي وجده معه في مهده بل الذي سبقه إلى مهده . . كما لا بد أن تهب أو أن يهب هو لسانه وعضلاته وحركاته ومسبحته كل ارتجافات والاهتزازات والتمتمات والآهات والحوقلات إيماناً وابتهالاً ودعاء ومخاطبة وانتظاراً وتمجيداً لك وإليك وبك، نفاقاً وخداعاً للسوق أو تملقاً ورشوة لك لتعطيه يا إلهي أو لتعطيه السوق ما لا يستحق أو يعرف، أو لتحميه أو لتحميه السوق مما لا ينبغي أن يحمى منه . . مما يجب أن يكون ويلقى . . كما لا بد أن تهب أو يهب جبهته وهامته وقامته وأشواقه وأخلاقه كل القدرة والرغبة وفي الهبوط ركوعاً وسجوداً وهواناً وبكاء على التراب وإلى التراب مفسراً ذلك بأنه صعود إلى السماء، إليك . . بأنه صعود إليك وإلى عرشك وإلى فردوسك فوق أجنحتك وأجنحة ملائكتك . . !

هل وجد أو يمكن أن يوجد كائن غيرك يا إلهي ساكن فوق كل السموات والكائنات يبحث عن الوصول إليه ولا يستطيع الوصول إليه بل ولا يقبل الوصول إليه إلا بالهبوط إلى التراب بالجبهة والهامة والقامة؟

. . حتماً يا إلهي إنك قد أو لا بد أن تهب أو يهب نفسه أي هذا الشيخ أو القديس أو الداعية الضخم الأكبر كل ذلك من قد يحول كل شيء إلى عمام ومنابر ومحاريب وألواح وكتب مقدسة ليعظ ويعلم ويصلح ويرهب ويشتم ويبشر بها وفيها ومن فوقها كل شيء وكل أحد . . !

ما أقسى ما قاسى الإنسان من العمام والمنابر والمحاريب والكتب المقدسة؟

. . ولكنك لن تهبه كما لن يهب نفسه بهذا أو من أجل هذا أو ثمناً أو أجراً لهذا أو جزاء على هذا أي معنى جيد أو عظيم أو متفوق أو حتى نافع أو سار في الأخلاق أو الذكاء أو العقل أو الرؤية أو الشجاعة أو الحب أو الرحمة أو الإيثار أو الكرم أو الصحة أو الجمال أو الصفاء أو الإشراق أو النخوة أو الكرامة أو الجاذبية الإنسانية أو حتى من تكريم الجبهة أو كبريائها أو عصيانها أو من تمنعها وتردها عن السجود بكل صيغ السجود وتفاسيره ولغاته لأجهل وأنذل وأفسق وأوقح الأوثان؟

إنه لم يوجد عابدون ودعاة لأقبح الأوثان مثل الدعاة إلى وحدانيتك يا إلهي . !

. . إن هذا الداعية أي الشيخ أو القديس أو الوالي أو الفقيه الأعظم الأكبر لا بد أن يرفض ويلعن بكل لغاته وحركاته وعظاته وتعاليمه وتفاسيره وكتبه المنزلة كل الأوثان

الصغيرة البريئة الجميلة الصامته الفنية الشعرية الرمزية الطبيعية التي لم تصنع أو ترد ولن تصنع أو تريد أي ظلم أو قبح أو إيذاء أو وقاحة أو عدوان . !

ولكنه أي هذا الداعية الشيخ أو القديس أو الولي أو الفقيه الأعظم الأكبر لن يكتفي بأن يركع ويسجد بكل معانيه ولغاته وتفسيره وتعاليمه ومحاربه ومنابره وكتبه المقدسة بكل الإعلان والجهر والمباهاة لأقبح وأفسق وأوقح وأجهل وأندل أو ثان السلطة والقوة والتاريخ والسوق والإغراء والنفاق والأنظمة الحاكمة بل إنه لا بد أن يحولك يا إلهي إلى تفاسير صغيرة قبيحة للأوثان التي يعبدها أي للسوق وللأوثان وللسلطان الذي يبيعك له ويتعامل بك معه . إن سلطانه لو كان زنجياً لرآك وفسرك زنجياً . !

. . إن هذا الداعية أي الشيخ أو القديس أو الولي بل والنبي عابد بكل تفسيراته وتعبيراته ونياته في كل أمكنته وأزمته لكل الحكام المتسلطين الأقوياء ولكل النظم المتعاقبة المتناقضة المتلاعنة، إنه أبداً مستعد أن يصلي في كل محراب وثني وأن يصنع جبهته تحت كل تراب، مهما دعا إلى وحدانية الإله ونفي ولعن وحقر كل الأوثان الأخرى . إنه يلعن الوثن الصغير البريء العاجز لأنه صغير وبريء وعاجز ويصلي للوثن الكبير الفاجر القادر لأنه كبير وفاجر وقادر . !

. . إن إله السماء في كل تاريخ أمجاده وسلطانه ووحدانيته لم يعبده ويطعه ويخفه وينافقه ويدل له كل شيوخ الدين ودعائه وفقهائه ومعلميه مثلما عبدوا وأطاعوا وخافوا ونافقوا وهانوا لحاكم واحد من حكامهم الطغاة الأنذال الجهال . . ! إنهم ليحولونك أنت يا إلهي بكل تفاسيرك إلى عابد ذليل وتفسير صغير لأوثانهم هذه .

. . لنقرأ كل التاريخ ولنحقيق في كل الواقع الحاضر لكي نصدق كل ذلك بكل الأسى والانفجاع أو بلا أي أسى أو انفجاع . !

ولكن هل تستطيع قراءة التاريخ أو التحديق في الواقع الحاضر بكل الصدق والرؤية بل أو بشيء من الصدق والرؤية؟ حتى أنت يا إلهي هل تستطيع ذلك؟ . . آه يا إلهي لو كنت تسمع أو ترى أو تفهم . !

أليس محتوماً حينئذ أن تقتلك الغيرة والانفجاع والحسد والغضب حينما ترى وتجد أن كل الأوثان الصغيرة معبودة دونك أو أكثر وأصدق وأحر وأدوم منه عبادتك . .

أي حينما ترى وتجد أن شيوخك وأولياءك وأنبياءك وقديسيك يعبدون هذه الأوثان ويدعون إلى عبادتها أكثر وأصدق من عبادتك ومن الدعوة إلى عبادتك، وإذا عبدوك فخاضعون لأوثان أخرى . !

أجل ، كيف لا تقتلك الغيرة والانفجاع والحسد والغضب حينما تجد وترى ذلك؟

إذن يا إلهي أن القضية ليست هي أنك لا تعطي عبيدك المجانين بحبك وبالثقة بك والاعتماد عليك والانتظار منك وبرؤية جمالك ورحمتك وشهامتك وحكمتك في كل شيء حتى في أقبح التشوهات والعاهات وكل أنواع الأمراض والآلام والفصائح التي تغرقهم بها شاكرين لك إصاباتك لهم واهيين مزيداً من حبههم وإيمانهم برحمتك وحكمتك وتقواك الأخلاقية والنفسية معلمين متعلمين ذلك ..

- نعم ، إنك لا تعطيههم أي شيء ثمناً لذلك أو جزاء عليه .. بل إن القضية أردأ وأفجع وأقبح من ذلك .!

إن عبادك هؤلاء يجيئون دائماً أي في الرؤية العامة والحساب العام لا الحساب الفردي أقل وأضعف وأجهل وأعجز في كل المزايا المطلوبة والمعلمة الممجدة ممن ليسوا عبادك .. وقد سمعت وقرأت هذا في السطور السابقة أي إن كنت تسمع وتقرأ يا إلهي .!

إنهم أي عبادك محسوبين ومحاسبين فريقاً أو جمعاً لا أحاداً يجيئون متخلفين في جميع المزايا المطلوبة والمعلمة والقوية والواهبة المبدعة عن الآخرين أي محسوبين ومحاسبين أيضاً فريقاً أو جمعاً لا أحاداً . إن كل سطور التاريخ وذكرياته وقراءاته وعيونه وأحزانه لتعرف وتحفظ وترى وتذكر ذلك وتتعذب به .!

.. ولأنني يا إلهي أرفض أن أظلمك أو أن يظلمك أي ظالم فإنني لن أدعي أنك أنت الذي أردت لهم وفعلت بهم ذلك تعبيراً عن حبك وشكرك لهم ، أو لكي يزدادوا لجوءاً وتضرعاً إليك ولصوقاً بك ، أو لكي تكون المنافس المنتصر حينما خضت معركة المنافسة عليهم مع الحياة وضد القوة والإبداع فيها ، أو لأن اهتمامهم بك قد سحب منهم أو أضعف فيهم اهتمامهم بالحياة وبكل شيء ، أو لأن خدمتهم لك قد سحبت من أيديهم وعضلاتهم وكل شيء فيهم كل قدرة على أية خدمة أخرى بل وكل شوق إلى أية خدمة أخرى ، أو لأن تحديقهم فيك وفي ضخامتك وجمالك وقوتك قد قتل عيونهم ورؤاهم وأشواقهم كل رؤية أخرى لأي شيء آخر ، أو لأن وجودك الرهيب الضخم المحرق الدائم داخل ذواتهم قد أحرقها أو ملاًها وشغلها وأغناها وأغلقها دون كل وجود وعن كل وجود آخر ، أو لأن تفكيرهم فيك قد امتص من عقولهم ومواهب وحماس الإبداع والذكاء وكل شروط وأخلاق العبقريّة أو لأنك كائن غير معقول . إذن المؤمنون

بك المتعاملون المتخاطبون معك المعاشون لك لن يكونوا إلا مثلك . . إن كل هذه التفسيرات يا إلهي قد يفسر بها تخلف وضعف وعجز وجهل وهزائم أوليائك . وقد قيل واعتقد وعلم ذلك .

ولا يزال يقال ويعتقد ويعلم وأنها لتفسيرات قد تكون مقبولة ومعقولة ومنطقية جداً أي لو كانت تصرفات ورؤى وحسابات أوليائك وكانت العلاقات بينك وبينهم يمكن أن تفسر أو تحاسب أو ترى بأي قدر من العقل أو المنطق أو حتى من الافتراضات والحسابات المحتومة . إنه لشيء خارج على كل التفسيرات أن توجد في أية عين ثم ترى غيرك أو في أي فكر أو قلب ثم يفكر في غيرك . .

نعم ، إنني لن أدعى ذلك ولا شيئاً منه في تفسيري لعجز أوليائك الشامل الأبدي عن التكافؤ في المنافسة على الحياة وقسوتها وإبداعها مع أعدائك أي المحسوبين أعداءك . . ! . كيف يا إلهي لم تفهم أو نفهم أو يفهموا أن من يحسبون أصدقاءك هم أعداؤك ومن يحسبون أعداءك هم أفضل أصدقائك !

. . بل قد ادعى أنهم أي أصدقاءك وأوليائك هم الذين فعلوا بك ذلك أي هم الذين فعلوا بك عجزهم الشامل أي حولوا عجزهم هذا إلى اتهام وتفسير بائسين أليمن . أي إلى اتهام وتفسير لك يا إلهي بأنك تريد وتدبر وتتعمد أن توقع بهم هذا العجز الشامل لأحد الأسباب أو لكل الأسباب التي قرئت عليك في السطور الماضية . وهم لا يرون في ذلك أي اتهام لك بل يرون ويعلنون فيه كل التمجيد والحب والصلاة والشكر لك . !

. . قد يكون التفسير لذلك أي في رأيي ورؤيتي أن الضعفاء في طاقاتهم ومواهبهم الطبيعية الذاتية الوراثةية يصبحون أوليائك وأصدقاءك وعبادك وخدمك الأذلين المفتضحين . ليصبحوا تشويهاً واتهاماً وسباباً وتفسيراً لك وإعلاناً أليماً عن أخلاقك ومواهبك وقدراتك وفنونك . .

. . يصبحون كذلك باختيار وتدبير أو بلا اختيار ولا تدبير لكل لا يكونوا مسؤولين عن عجزهم وتخلفهم ، ولكي يهربوا من المواجهات والمنافسات والمسؤوليات الصعبة ، الصعبة ، ولكي يجعلوك يا إلهي أنت وحدك المسؤول عنهم وعن كل ما يصيبهم وعن كل تخلفهم الذاتي الطبيعي الوراثةي . . لكي تكون وحدك المتهم بكل ذلك والمسؤول عن كل ذلك ، والمطالب بكل العلاج منه ودفع كل الثمن قد يكون الإيمان بك والالتجاء إليك يا إلهي تعبيراً ثيمياً ندلاً عن العجز وليساً صانعين للعجز . !

ويا ليتك يا إلهي تستطيع أن نعرف أنه لا أحد ولا شيء يتهمك أو يشوهك أو يحررك أو يتوقع ويتقبح عليك أو يعرضك ويفسرك أردأ وأغبى وأفجع عرض وتفسير مثل المحسوبين عليك الممتنين إليك المادحين الممجدين لك القارئین الواجدين الرائيين المفسرين لأنبل وأجمل أخلاقك وحبك ورحمتك وحنانك وإحسانك في أقبح وأوقح العاهات والتشوهات والآلام والفضائح التي يقاسون أو يرون أو يسمعون أو يقرأون أو يتوقعون وينتظرون أو يوعدون بها بل التي يخلصون ويتعمدون بها أو يعتقدون أنهم يخلصون ويتعمدون ويجزون بها لأنهم لم يفعلوا أو يريدوا أو ينووا أو يعشقوا أي خطأ أو خطيئة أو مع أنهم يعرفون أنهم لم يفعلوا أو يريدوا أو ينووا أو يعشقوا شيئاً من ذلك . أليس المؤمن جداً لا يد أن يرى أنك تعذب وتحطهم من لا يستحقون ذلك ابتلاء وامتحاناً أكثر وأقسى مما تفعل ذلك بمن يستحقون؟

أليس يراك أي المؤمن في التعامل معه ومع نقيضه نقيضاً لكل ما يجب وينتظر ويطلب أن يكون التعامل؟

أليس العبد السيئ الجاهل البليد قد يتحول أو لا بد أن يتحول إلى هجاء وإيذاء وتعذيب وتشويه واتهام لسيده؟

أليس المؤمن من هذا النموذج يصنع بإلهه الذي يؤمن به كل ذلك؟

أليس الابن من هذا النوع يصنع بأهله كل ذلك أيضاً؟

أليس هؤلاء الأنواع الثلاثة لا بد أن يتحولوا إلى أردأ وأقبح التفسير لآبائهم وأهلبيهم ولآلهتهم وساداتهم وإلى أقبح وأردأ أساليب الإعلان عنهم؟ إذن أليس المؤمن بك يا إلهي قد يتحول أو لا بد أن يتحول إلى عار وافتضاح وتشويه واتهام وهجاء لك؟

.. إن أنفع وأتقى وأنبل ما فيك يا إلهي إنك لا تقتل أو تضعف أو تسحب أو تسرق من أحد أو من أي شيء طاقته أو ذكاه أو موهبته ولكنك لا تصنع أو تقوى أو تهب أو تضخم ذلك في أحد أو في أي شيء..!

.. إنك لا تستطيع أو تعرف أو تريد ذلك..! أليس هذا الحكم هو أنبل وأتقى وأقوى ثناء عليك وتبرئة لك؟ أليس أنظف الآلهة وأتقاه وأعفها هو الإله الذي لا يريد أو يفعل شيئاً أو يرجى أو يطلب منه ذلك؟

.. انتظر يا إلهي أن تكون قد اقتنعت بأنك لا تعطي شيئاً من هذا العطاء الذي فسرتك لك أي إن كنت قد استمعت إليّ بشيء من نوبات الصدق أو الاهتمام أو محاسبة الذات..!

أما أخذك منا فهو كما شرحت لك أخذ لا يساويه أو يشبهه أخذ في فداحته وشموله وديمومته بل وفي إذلاله وقبحه وفي قبح حوافزه ونتائجه وأهدافه وأساليبه . !
إنه لو كان أخذ معقولاً ومقبولاً لكان أخذك يا إلهي هو الذي لن يعقل أو يقبل . !

. . إنك الآخذ المطلق الذي يأخذ بلا تفسير أو منطق أو معنى أو احتجاج أو حساب أو محاسبة بل ودون أن يصنع أخذه شيئاً من الغضب أو الاستنكار أو حتى التساؤل أو الاندهاش ، بل الذي يأخذ ليشكر على أخذه والذي كلما أخذ وقسا في أخذه طالب بأن يكون معبوداً ومشكوراً أكثر وأصدق ، وأعتقد وأعلن وعلم بأنه يستحق أن يعبد ويشكر أكثر وأصدق . !

. . إن الإنسان لم يرض عن أقصى وأردأ وأوقح أخذ مثلما رضي عنك يا إلهي الآخذ كل شيء دون أن يعطى أي شيء ، ولم يستسلم لمثل هذا الآخذ مثلما استسلم لك ، ولم يشكره ويعبده ويعجب به ويقتنع برحمته وحبه ونزاهته وعدالته وعفته وكرمه كلما قسا عليه في أخذه منه مثلما فعل معك . . ! . إنه لم يهبط إلى كل التفاسير الرديئة الدليلة البليدة مثلما فعل معك . . ! . إنه لم يهبط إلى كل التفاسير الرديئة الدليلة البليدة مثلما هبط إلى ذلك في علاقاته بك ورؤاه لك . !

. . إن الإنسان يا إلهي لم يفقد كل كرامته وشجاعته وذكائه وكبريائه بك وكل غضبه واشمئزازه واستحيائه ، ولم يتنازل عن كل ذلك بلا أية خفقة أو نبضة أو صرخة أو آهة مضادة محتجة مثلما فعل معك . إنه أي الإنسان لم يصبح نقيصاً بل وتحقيراً لكل معاني الإنسان إلا في إيمانه وإعجابه بك وانتظاره منك وثنائه عليك . !

. . إنه في كل تاريخه يا إلهي لم يهن أو يهج كل مواهبه وتفاصيله وقيمه مثلما أهانها وهجاها في تعامله وتخطابه معك وفي رؤاه وتفاصيله وقراءاته وإعطائه لك وفي استسلامه لأخذك منه . !

. . إنه لو جاء هذا السؤال : ما أقوى دليل على وجود الإله وعلى قوته وتصرفه في هذا الوجود لوجد أن يكون الجواب : هو قهره وسحره وإفساده وإرهابه وإضلاله لذكاء الإنسان ولرؤاه وأخلاقه ولجميع مواهبه وطاقاته ولأخذه منه كل شيء بكل الأساليب وأفضح الأساليب بلا أي عطاء أو تعويض أو حتى شكر ، دون أن يرفض أي الإنسان أو يقاوم أو يغضب أو يطالب بأي حساب أو فهم لما يحدث ، بل ودون أن يسأل عن قتل أو سرق عقله وضميره وذكاءه وأخلاقه وكرامته بكل هذا الشمول والقسوة والديمومة والصمت والرضا عن فعل به كل ذلك بل وغير ذلك بكل هذه الوقاحة والعداونية . .

دون أن يعقد الندوات والمؤتمرات ويؤلف الدراسات ليعرف من قتل أو سرق كل ذلك فيه ومنه .

أن يكون ما يجب أن يكون . . إنه لن يوجد ولم يوجد مكان نعي وينعى فيه الإنسان نفسه إلى نفسه مثل المنابر والمحاريب والمعابد الدينية وصفحات الكتب المقدسة داعياً مفسراً ممجداً مصلياً مخاطباً لك طالباً منتظراً منك باحثاً عنك مستنجداً بك متقرباً متملقاً إليك من فوقها وفيها وعلى صفحاتها وبتلاوتها وتفسيرها وتبليغها . أن البشر لم يخسروا في شيء بلا أي أمل في الربح مثلما خسروا من إيمانهم بك وعبادتهم لك أنهم لم يخسروا كل معانيهم العقلية والأخلاقية والنفسية بل واللغوية مثل خسرانهم لها بك يا إلهي . . وهنا يا إلهي همست بل صرخت التقوى الدينية والأخلاقية والنفسية والعقلية والإنسانية طالبة مني بل أمرة لي أن أراجع الحكم عليك بأنك أنت الذي تأخذ منا ما زعمت وقررت أنا أنك تأخذه منا . . ما زعمت وقررت أنا بكل القسوة والجرأة أنك تأخذه منا .

كما أخشى أن أكون ظالماً لك في هذا الحكم عليك . !

هل أنت يا إلهي الذي تأخذ منا أم نحن الذين نأخذ من أنفسنا . ؟ . أم أذكياؤنا وأغبياؤنا وأنبياؤنا وأقوياؤنا وضعفاؤنا ومحتالونا ودجالونا وصيادونا هم الذين يأخذون منا باسمك ويدعوى الاحترام والتمجيد والإرضاء والإفراح والإسعاد لك ، وبرغم إعطائك ما يأخذونه منا؟ هل أنت الآخذ أم المأخوذ باسمه؟

إن كان الجواب هو التفسير الثاني فلا بد أن يأتي هذا السؤال القاتل .

ولماذا سكت يا إلهي على هؤلاء الذين يسرقون ويأخذون ويكذبون ويقتلون ويدمرون ويذلون ويفسدون ويجهلون ويضللون ويفسقون باسمك زاعمين ومعلنين بكل قسوة الاتهام وتفاسيره بأنك أنت المريد المدبر الفاعل الآخذ الأمر المطالب بكل ذلك ولكل ذلك؟ لماذا سكت على هذا الاتهام والتعبير لك؟

ولكن هل أنت يا إلهي إلّا ساكت، ساكت؟ أليست كل صفاتك هي السكوت عن كل شيء وأمام كل شيء؟

. . آه يا إلهي أنت في ورطة . ورطة أنت محاصر بكل الورطات حتى لتستحق الرثاء ممن لا مثيل لقسوة ورطاتهم أي التفسيرين أو الاحتمالين ترى أنه يرضيك أو يحميك أو يخفف من ورطاتك وتبعاتك وعذابك وحسابك وقبح سمعتك وصورتك أي أن تكون أنت الآخذ أو أنت المأخوذ باسمه؟

مَنْ يَرْبِحُ مِنْ وُجُودِكَ وَهَلْ تَرْبِحُ أَنْتَ مِنْ وُجُودِكَ أَوْ مِنْ أَيِّ وُجُودٍ..؟

هذا الفصل قد يكون شيئاً من التوضيح والتوكيد والتجميع لأشياء قد سبقت مفرقة.. أعني هنا وجودك الذاتي ووجودك المعنوي الاعتقادي أو وجودك في ذاتك ووجودك في وجودك ووجودك في حياة الناس وغيرهم وفي أنفسهم وأخلاقهم وعقولهم وعواطفهم وفي كل صيغهم وتفسيرهم وكينوناتهم!

نعم، أعني كل ذلك بهذا السؤال الذي لا بد أن يكون مفاجئاً وفاجعاً لك.. ومن هم الذين قد يكونون قضية هذا السؤال وموضوع الجواب عنه أي من يربح من وجودك يا إلهي؟ هل سمعت أذنك يا إلهي أو أية آذان أخرى هذا السؤال؟

أو تصورت أنها قد تسمعه قبل هذه المرة؟ هل أطلب منك الغفران لقسوة السؤال؟.. إن هؤلاء هم أنت يا إلهي ومن حولك ومعك من أعوان ومستشارين من زبانية الجحيم وبناته وحراسه والمنفذين لعقابه وعذابه، ومن بوابي الفردوس ورعاته ومشاهدي تفاهاته.. وهم أيضاً الإنسان ومن في مستواه أو في مستوى أعلى.. وهم كذلك سائر الكائنات من حيوانات وحشرات وجمادات وجراثيم ومن كائنات أخرى قد تكون أخفى وأصغر وأردأ من كل ذلك..

أما أنت يا إلهي فلن يوجد من يجزئ على الزعم بأنك قد تربح أي ربح من وجودك.. من وجودك الذاتي أو وجودك المعنوي.. والفاجع أن أحداً لم يفكر في هذه القضية أو يطرحها سؤالاً أعني قضية ربحك من وجودك أو خسرانك.. إن ربحك وخسرانك، سعادتك وشقاءك لم يكونا في حساب أو اهتمام أحد حتى ولا في حساب أو اهتمام أنبيائك!

.. فوجودك الذاتي حرمان، حرمان شامل وممارسات واستماعات ومواجهات

لكل القبائح والفضائح والتشوهات والآهات والأنات والوقاحات والآلام.. وجودك الذاتي يا إلهي حرمان وعذاب وقبح يرثي له كل المحرومين والمعذبين والمعاشين المواجهين لكل صيغ القبح !

.. أما وجودك المعنوي فعصيان وكفران وهجران وغثيان وخداع وكذب وتزوير وظلم وعدوان وبذاءات وبلادات تصفع بها، باسمك وعلى حسابك وتوقعك وتوقيع أنبيائك ودعاتك أمام عينيك وفي عينك، دون أن تستطيع المنع أو التكريه أو التصحيح أو الاستنكار وإعلان براءتك !

إنك ترى وتسمع وتقرأ أي إن كنت شيئاً من ذلك كل الدجالين والمخادعين واللصوص والطغاة والجهلة يصوتون بصوتك ويوقعون بتوقيعك وتوقع أنبيائك وكتبك وتعاليمك على كل ما يفعلون ويقولون ويريدون دون أن تستطيع أو تعرف أو تجرؤ أو يؤذن لك أن تقول: لا، لا.. أنا بريء، بريء !

حتى تبرئة الذات أنت عاجز ومحروم منها وعنهما مهما غرقت في الاتهامات !

.. إذن هل يمكن تصور خاسر بوجوده أو من وجوده كل خسران بلا أي ربح أو انتظار ربح مثلك أو غيرك يا إلهي؟ أليس كل سلوكك الخارج على كل الحسابات الجيدة والرديئة تعبيراً عن مأساتك بوجودك، عن فداة خسرانك؟

.. إن أقل حشرة لتربح من وجودها أكثر مما تريح أنت يا إلهي من وجودك وإنها لن تخسر من وجودها وفي وجودها شيئاً مما تخسره أنت في وجودك ومن وجودك..! أي أية حشرة يا إلهي لن تقبل أن تكون أنت لتكون في خسرانك وحرمانك وعذابك ومواجهاتك البائسة الفاضحة القبيحة !

.. فكرر فيما أقول لك لكي تقول: لقد صدقت، صدقت.. لكي تقول: لماذا لم يقل لي أحد ممن حولي شيئاً من هذا الصدق الأليم، الأليم جداً؟

لكي تعلن الثورة على كل أعوانك وأنبيائك وملائكتك ومستشاريك.. لكي تطردهم أو تحاسبهم وتعاقبهم جميعاً بل لكي تجدني يا إلهي أول ناصح وصديق لك مهما بدوت قاسياً في التعبير عن نصحي وصادقتي لك..! هل توجد آلهة أخرى أكبر منك تريح من وجودك قد فرضت عليك وجودك الخاسر بحثاً عن ربحها؟

.. لقد كان معقولاً بل محتوماً أن يتفجر في رؤيتي ومحاسبتي لك هذا السؤال الذي كان يجب أن يكون سؤال كل الرائيين والقارئين والمفسرين لك والمتعاملين معك..

يريد السؤال أن يقول: هل أنت يا إلهي تحيا وتريد أن تحيا بالفرح والسعادة والحب والانتصار والمجد والذكاء والجمال أم تحيا وتريد أن تحيا بنقيض كل ذلك وفي نقيضه، في أقسى وأقبح نقيض له؟ من أجل أي النقيضين قبلت وجودك وجاء وجودك ورضيت عن وجودك؟

.. إن كان الأول في حسابك وتقديرك وإرادتك فلن يوجد أو يتصور مثلك عجزاً عن فهم النقيض من نقيضه.

لن يوجد أو يتصور حينئذ مثلك خطأ في فعل الشيء واختياره وأخذه حاسباً أنه نقيضه. إنه لن يوجد حينئذ معذب معاقب حارم لنفسه حاسباً أنه مسعد مثبت واهب لها مثلك يا إلهي!

.. أما إن كان الاحتمال الثاني أي أنك تحيا وتريد أن تحيا بنقيض الفرح والحب والجمال والسعادة والذكاء والمجد والانتصار فلن يوجد أو يتصور حينئذ مثلك شذوذاً نفسياً وعقلياً وأخلاقياً بل وذاتياً تكوينياً!

.. إن كل شيء وكل الآلهة الأخرى لو تحولت كلها حينئذ إلى معاهد ومؤسسات ودراسات علمية وفكرية وتحليلية لكي تعالج أو حتى تفهم أو تفسر شيئاً من ضخامة وشذوذ شذوذك لما استطاعت بل لما ملت أن تستطيع بل لما جرئت أن تحاول. هل يمكن أن يوجد لك أي مخرج من هذه الورطة؟

أنت إما شاذ بلا مثال أو عاجز عن الفهم بلا مثال. هل تجد لك مخرجاً من ذلك. أرايت يا إلهي كيف وكم تريح من وجودك؟

هل تستطيع أن تزعم أو تظن أنك تريح من وجودك أي ربح؟

.. أما جنودك من ملائكة وزبانية ومستشارين وكل معاونيك الآخرين فلن يوجد أخسر منهم بوجودك ولا من يساويهم في خسرانهم هذا حتى ولا أنت يا إلهي.

إن كل صيغ الخسران لا تستطيع أن تكون صيغة واحدة أو تفسيراً واحداً من صيغ وتفسير خسرانهم. .. إن كل ربح هؤلاء البائسين الجلادين المخربين المتوحشين الأذلاء المسحوقين الذين صيغوا بلا أية كرامة أو نخوة أو رحمة أو رؤية - إن كل ربحهم منك ومن وجودك يا إلهي أن يصنعوا ويفذوا ويقرروا أو يروا ويواجهوا ويعايشوا بل ويعيشوا كل ألوان العذاب والآلام والتشوهات والعاهات والحماقات والتفاهات والبلادات والنذالات والقبايح وكل صيغ وتفسير الجنون والعبث والعار بل ليقاسوا ويواجهوا ويعيشوا ويعايشوا كل كآباتك ونزواتك وفضاظاتك وعبوسك وحرمانك وهزائمك. إنه لا

عذاب ولا خسران مثل عذاب وخسران موظفيك هؤلاء بمواجهتهم ومساكنتهم ومعاشرتهم لك . !

. . دون أن يفهموا أو يسألوا أو يتساءلوا أو يشترطوا أو يتوقفوا أو يترددوا أو يرتابوا أو يتحاوروا أو يتخاطبوا أو يتساءلوا مع ضمايرهم أو عقولهم أو أخلاقهم أو يشكوا من الملل أو التعب والاشمئزاز أو الغثيان أو من الإذلال والتسخير والهوان أو يطالبوا بالثمن أو الأجر أو الجزاء أو حتى بالشكر أو حتى يسألوا حتى الإنقاذ من ذلك ولو بالموت أو بالطرد والنفي والعقاب . . حتى الموت والنفي عقاباً وتأديباً وحتى الشيوخوخة والإحالة على التقاعد . . حتى كل ذلك قد حرم منه هؤلاء البائسون . !

إن أظنني وأندل الطغاة لا بدّ أن يصبحوا أنبل وأكرم وأرحم وأعقل النبلاء الكرماء الرحماء العقلاء في معاملتهم لجلاديهم وأعوانهم وموظفيهم أو حوسبوا وفسروا بمعاملتك يا إلهي لجلاديك وموظفيك وأعوانك من ملائكة وزبانية وأعوان ومستشارين يا إلهي . . يا إلهي . ! . هل وجد أو يمكن أن يوجد أعوان وجلادون لأي طاغية بلا أي ثمن أو مصلحة أو حتى نهاية غير جلاديك وأعوانك ؟

. . إنه لو كان يوجد في هذا الكون أو في أي كون آخر منظمات خيرية لمقاومة الطغيان والإذلال والتسخير والإنقاذ المظلومين المعذبين والمسخرين المستعبدين المضللين لكان الواجب والمفروض أن تهب هذه المنظمات أعظم نضالها واهتمامها لمقاومتك يا إلهي ولتحرير عبيدك هؤلاء منك ومن توظيفك وتسخيرك لهم فيما وظفتهم وسخرتهم له أي لتحرير ملائكتك وزبانيتك وجميع أعوانك ومستشاريك السماويين منك، من وجودك، من مواجهتك ومساكنتك ومعاشرتك وطاعتك وخدمتك بل ومن رؤية ذاتك الحزينة الكثيبة المحشودة المحشود فيها كل الكآبات والأحقاد والفظاظات والإرهاب والتوعد والوعيد والغضب والتوتر واليأس . . المحشود فيها كل قبح وعذاب وأهوال الجحيم . . المحشود فيها أي في ذاتك يا إلهي كل ما جاء أنبيائك وملائكتك ليعبروا عن شيء من قبحه أي من قبح ذاتك بحديثهم عن قبح وأهوال جحيمك وعن قبح وفظاظة ووقاحة وتفاهة وبلاهة حوافزه وأهدافه وأسبابه وكل نماذجه وتفاسيره أي جحيمك . .

أي بلا أية ليلة من ليالي الفرح أو الغناء أو الرقص أو الإنشاد أو التصفيق . . من ليالي الفرح الكبير الذي تتعانق وتتصافح وتتراقص فيه أنت وأعوانك هؤلاء تعويضاً وتكفيراً واعتذاراً عن قبح وفضاعة وظائفهم التي وظفتهم لها .

.. بلا أي احتفال بعرس أو نصر أو مجد أو حب أو لقاء أو ذكرى عزيزة سعيدة
مجيدة بهيجة .. !

هل تستطيع يا إلهي أن تتذكر أو تزعم أنك قد أقمت أو حتى أردت مثل هذا
الاحتفال لموظفيك هؤلاء الذين لم يجربوا أو يجدوا فيك إلاّ العبوس والكآبة والغضب
والطغيان الذي لا تفسير له في كل تفاسير الطغيان .. الذي لو وجدت كل التفاسير
والمسوغات لكل طغيان ولأنذل وأوقع طغيان لما وجد له أي تفسير أو تسويغ أي
لطغيانك يا إلهي . إن كل طغيان قد يكون له تفسير إلاّ طغيانك يا إلهي !

.. لقد كانت كل لقاءاتك ومحاوراتك ومجالساتك لهم وعلاقاتهم بك كآبةً وغضباً
وغيظاً وفظاظَةً وقبحاً ووعيداً وكبراً وأمرأ وإرهاباً وإذلالاً بلا أية هبة أو مكافأة أو حتى
ابتسامه أو وعد كريم جميل . بلا أية نبضة من نبضات الحب أو الفرح أو الجمال أو
الصدقة أو التواضع أو التسامح أو التنازل عن استوائك على عرشك لتوزع من فوقه أو
من تحته كل أحقادك وأحزانك وفظاظاتك ومجاعاتك وهزائمك وعقدك النفسية
والتاريخية والانتمائية والأخلاقية .. لتوزعها بأيديهم محولاً لها إلى ضربات وخطبات
وعاهات وتشوهات وآلام وأحزان وضلال في كل الوجوه والأجسام والعقول والقلوب
والنفوس والأخلاق ولكن بلا أي شفاء لك وبلا أي تخفيف من عذابك واكتئابك يا إلهي
العاجز عن التفاهم والتوافق والصلح مع نفسه أو مع أي شيء !

.. هل حدث ولو مرة واحدة أن ابتسمت يا إلهي ابتسامه حب أو شكر أو اعتذار
أو استغفار لواحد من موظفيك هؤلاء أو صافحته أو عانقته أو دعوته إلى مائدة كريمة
فيها شيء مما تزعم أنك أعددت له لسكان فردوسك الخرافي أو حتى وعدته بالعزل أو
الطرد من وظيفته ومن عالمه إلى عالم آخر لست أنت يا إلهي مخطئه أو موجدته أو
صائغه أو حاكمه بل لست يا إلهي موجوداً فيه أو مسموحاً لك بالوجود فيه؟

هل رآك يا إلهي واحد من موظفيك هؤلاء ولو مرة واحدة ضاحكاً أو فرحاً أو مغنياً
أو راقصاً أو محاكماً ومحاسباً لنفسك بغضب واشمئزاز وانفجاع حين تنظر إلى العاهات
والتشوهات والآلام والفواجع والتفاهات التي صممتها وزرعتها ودفنتها ونشرتها في
ضمير ووجه كل شيء وعلى ضميره ووجهه راضياً معجباً متحدثاً عن شمول وضخامة
محبته ورحمته ، أو حين ترفع إليك الأنات والآهات والصرخات والتضرعات
والصلوات الأليمة الحزينة الفادحة الراجية فلا تسمعها أو تسمعها ببلاهة وجفاء
فلا تستجيب أو تسمعها بل أو تستمع إليها بكل الفرح والنشوة والشماتة والكبرياء

والاستمتاع طالباً المزيد من ذلك، طمعاً في المزيد من النشوة والفرح بالمزيد من الاستماع إليه؟ هل غضبت يا إلهي يوماً على نفسك أو حاسبتها أو نقدتها؟

إذن فموظفك هؤلاء ليسوا فقط خاسرين بوجودك أو لا يربحون من وجودك.

إن مأساتهم حينئذ لرحيمة وكريمة لو كان هذا فقط كل مصابهم.

. . إن موظفيك هؤلاء محاصرون حصاراً شاملاً أبدياً بكل صيغ وتفسير كل القبح والنذالة والعذاب والحرمان بل والهوان الذي لا نموذج له في أي خيال أو سلوك إلا في خيالك وسلوكك يا إلهي . . !

أسألك يا إلهي مرة أخرى: هل حاسبت أو حاكمت أو ساءلت نفسك ولو مرة واحدة؟

. . إنك إن كنت صغتهم أي الملائكة والآخرين أمثالهم صياغة تجعلهم يرضون ويسعدون بالوظائف التي سخرتهم لها دون أن يقاسوا من أي عذاب نفسي أو عقلي أو أخلاقي أو بصري بل ودون أن يدبروا ويخططوا لأضخم وأنبل وأنفع ثورة لإسقاطك وتفريغ كل الوجود منك.

- نعم، إنك يا إلهي إن كنت قد صغتهم هذه الصياغة فلن يوجد أو يتصور مثل قبحك صائغاً ولا مثل قبحهم مصوغين وإلا فلن يوجد أو يتصور مثل بلادتهم ووقاحتهم ونذالتهم ووحشيتهم وجبنهم وهوانهم أي إن لم تكن قد صغتهم هذه الصياغة اللثيمة التي جعلتهم لا يرون أو يفهمون أو ينكرون شيئاً . .

إنها لأردأ مستويات الغباء والغفلة والخمول والعمى الشامل أنه لا أحد من المؤمنين بك حتى ولا من أنبيائك قد فطن إلى قصة موظفيك هؤلاء وقصتك معهم . . إلى قصتك مخططاً وصائغاً وموظفاً لهم وإلى قصتهم هم قابلين ومنفذين لذلك . !

كيف أمكن أن تقتل أو تموت أو تسكت فيهم أي في أنبيائك والمؤمنين بك كل وظائفك التفكير في الرؤية والشرف والكرامة والغضب والغثيان حتى عجزوا عن أن يفطنوا إلى هذه القصة أو يفجعوا بها؟

ماذا يمكن أن يكونوا أو يفعلوا لو أنهم فطنوا إليها وقرأوها وفسروها وفهموها وحاسبوها؟

هل يقبلون حينئذ أن يتعاملوا معك أو معهم أي مع موظفيك هؤلاء أو أن يساكنوك أو يساكنوهم في أي عالم أو كون، أو يقبلون أن تكون أنت خالقهم أو إلههم ومعبودهم أو حتى أن يتعاملوا أو يتخاطبوا معك؟

ومرة ثالثة أسألك يا إلهي : هل حدث أن سألت أو حاكمت أو حاسبت أو رأيت أو قرأت نفسك ولو مرة واحدة؟

هل حدث أن تخاطبت أو تعاملت أو تفاهمت أو تخاطبت مع عقلك أو ضميرك أو قلبك أو عينيك أو أخلاقك أو مع شهواتك وأهوائك؟

لقد كان بعض القياصرة والملوك وسائر الحكام الأقوياء الطغاة يتنازلون عن عروشهم أو ينتحرون بأسلوب ظاهر أو مستتر فراراً من مواجهات غير ملائمة أو كريمة أو مريحة خارجية أو ذاتية نفسية أو فكرية أو أخلاقية أو اجتماعية . إنهم لا بد أن يفعلوا كلهم ذلك بأنفسهم ولأنفسهم لو أنهم استجابوا لكل تفاسير وشروط الشجاعة والبراءة والصدق ورفضوا كل صيغ ومواقف العار والافتضاح . . أأست يا إلهي أحق من كل هؤلاء بالتنازل والهرب والانتحار؟

أليست أسباب تنازلهم وانتحارهم هي أسباب رحيمة وكريمة لو حوسبت بالأسباب التي تطالبك بالتنازل والهرب والانتحار؟

هل أنت يا إلهي أقل من كل أحد ومن كل شيء رؤيةً ومحاسبةً واشتراطاً واحتراماً ونقداً لنفسك أو أقل شجاعةً وكرامةً ورفضاً؟

هل وجد أو يمكن أن يوجد من لم يفر أو يحاول أن يفر بأسلوب ما من بعض مواجهاته وممارساته وظروفه لقبحها أو نذالتها أو وقاحتها أو عارها؟ هل وجد من يرضى عن كل مرآته أو يفرح بها مهما كان وجهه ومهما حدث لوجهه؟ هل وجد غيرك يا إلهي خارجاً على كل التفاسير الجيدة؟

. . والآن لننتقل إلى الإنسان الذي هو أشهر المتعاملين أو كل المتعاملين وأشقى وأخسر المتعاملين معك وبك يا إلهي لسأل : هل يربح من وجودك . من وجودك في وجودك أي في وجودك الذاتي أو من وجودك في إيمانه واحتياجه وانتظاره وفي علاقاته بك أو بنفسك أو بالآخرين أو بأي شيء آخر؟

. . أما وجودك الاعتقادي أو المعنوي أي وجودك في عقيدة وتعاليم وتصورات وعبادات الإنسان فقد فسرت لك ذلك تفاسير يوجب الاحترام لك إنها قد أفنعتك جداً مع أقصى الإحراج والإخجال والفضح والتصغير لك بأنه أي وجودك هذا لن يصوغ الإنسان أي صياغة جيدة أو يهبه أية هبة قوية أو جميلة أو كبيرة أو ذكية أو تقية أو نظيفة أو شجاعة لانفسية ولا عقلية ولا أخلاقية ولا ذاتية جسدية بل ولا دينية أو لغوية تعبيرية . .

بل لا بد أن يكون ما أسمعتك وفسرت لك في الصفحات السالفة قد جعلك تقتنع

غريقاً في مشاعر الاستحياء والحرص والانهزام والافتضاح - نعم، قد جعلك تقتنع مع الغرق في كل هذه المشاعر بأن وجودك بكل أوصافك وتفاسيرك في نفس أو اعتقاد أو ذات أي كائن لا بد أن يكون أو يفترض أن يكون تدميراً وتشويهاً وتضليلاً وإفساداً وإضعافاً وإرهاباً لكل قيمه ومعانيه وطاقاته وتعبيراته وعلاقاته النفسية والأخلاقية والفكرية والإنسانية والعضلية واللغوية أي والدينية. . لا بد أن يكون تفريغاً له من كل معانيه ورؤاه وقواه واهتماماته أو شغلاً والهاء وسرقه وإحباطاً لها. !

. . إنك يا إلهي إذا لم تفعل ذلك بالمؤمن بك المتعامل المتخاطب معك فلن يكون لهذا أي تفسير غير أنك عاجز عن أن تكون أي شيء. عن أن تكون الشيء أو نقيضه. وهذا أي ألا تكون أي شيء. . ألا تكون الشيء أو نقيضه هو أعظم وأنبى وأتقى وأنفع مزايك يا إلهي. . يا إلهي الذي كل مزيائه ألا يكون مدبراً أو مريداً أو فاعلاً أو مسؤولاً، بل ألا يكون موجوداً لئلا يكون مقروءاً أو مفسراً أو محاسباً أو مرئياً. !

أو لن يكون لهذا أي تفسير غير أن المؤمن بك كاذب، كاذب يتحدث عنك دون أن يجدك كائن يختزنك يا إلهي بكل بدانتك وأحقادك وشهواتك وأهوائك وأهوالك وتقلباتك ونزواتك داخل ذاته وفي كل معانيه ورؤاه وتصوراتهِ واتجاهاته، ويختزن كذلك كل تهديداتك وتوعداتك بحجيمك بكل ما فيه من عذاب وأهوال وزبانية وسكان ومعذبين وحراس. . كل تهديداتك وتوعداتك بكل الضربات والمفاجآت - نعم، كائن يختزن كل ذلك ويعيشه ويعايشه ويتصوره ويقرؤه ويصدقُه وينتظره بكل معانيه كل أوقاته كيف يمكن أن يكون أو يظل ذكياً أو قوياً أو عاقلاً أو متوازناً أو مهذباً أو محباً أو صديقاً أو مفكراً أو مبدعاً أو رائياً أو سوياً أو معافى في أي معنى أو تفسير من معانيه وتفاسيره؟ .

كيف يمكن أن تسقط الشمس بل كل الشمس وكل شيء في عين ثم تستطيع أن ترى شيئاً؟

. . إنه لن يوجد تخريب أو تحطيم أو تشويه أو تعويق أو تعذيب أو تضليل أو إضعاف أو فساد أو ترويع لأية ذات أو لأي شيء مثل أن توجد يا إلهي فيها أو فيه بكل أجهزتك ومعانيك وتفاسيرك وتوعداتك وتهديداتك وقدراتك وبدانتك الرهيبة الكئيبة. . بكل زبانيتك وملائكتك وأجهزة مخابراتك وجاسوسياتك وأهوال وتصورات حجيمك. أن تجمع وتفجر اشتعال كل الأعاصير والزلازل والبراكين والحرائق في ذات إنسان لن يكون أقسى من تجمعك فيها. !

.. إنه لن يوجد عدوان على أي شيء مثل عدوانك يا إلهي على أي عقل أو قلب أو ضمير أو فكر أو أمل أو تخيل تسكنه، تسكنه بكل صيغك وتفاصيلك ومعانيك وبكل التصورات والأوصاف والأحاديث والروايات والتعاليم عنك ولك.. التي رواها أنبياءك عن ملائكتك عن عرشك عن بداوتك التي ترونها محاربك ومنابرک عن محاربك ومنابرک..!

إنه لا عدوان على أمان ووقار وابتسام وفرح وتعقل وحرية وكرامة أي إنسان أو كائن في مستوى الإنسان مثل أن تحتل ذاته وكل معانيه بكل جنودك وإرهابك وذاتك.. هذه هي المحاسبة لوجودك المعنوي أو الاعتقادي..!

ولكن ماذا يمكن أن تقول المحاسبة لوجودك الذاتي؟

لعل هذه أول مرة تحاسب فيها على وجودك الذاتي. لهذا يجب أن تتجلد وتتوقر..! قد تقول ويقال بل لقد قلت وقيل: إن وجودك هذا هو أضخم ربح للإنسان ولكل شيء لأنه أي وجودك هذا هو الذي أعطى الإنسان وأعطى كل شيء وجوده. والوجود أي كون الموجود موجوداً أو تحويله إلى موجود هو كل الربح وكل الطرق والوسائل إلى الربح، إلى كل ربح..!

.. الوجود والإيجاد هل يمكن أن يوجد أو يتصور ربح أو عطاء غيرهما أو غيرهما أو مثلهما؟

.. قد يكون من المستحيل أن يوجد أو أنه قد وجد أو قد يوجد من قد يخالف أو من قد يخالف في هذا التفسير لمزايا وجودك هذه. لعل كل خيالك وخیال جميع أنبيائك وجميع المعلمين عنك لم يستطيع أن يتصور أنه قد يوجد من ينكر هذه المزايا..!

.. لعله لم يوجد من عرف واستطاع أن يقول: قف أيها الإله الخادع المخدوع دون أن يملك أو يعرف أو يفعل أو يعيش أو يلبس أو حتى يقول شيئاً مما يمكن أن يجعله خادعاً أو مخدوعاً..! يا من وهب الانخداع بالنفس والانخداع به بلا استحقاق بل وضد الاستحقاق..!

.. قف أيها الإله الخادع المخدوع الذي لا يوجد شيء ولا يفعل شيئاً يستطيع أن يجعله خادعاً أو مخدوعاً بل الذي لا يستطيع أي شيء وكل شيء أن يحميه من أن يكون فاضحاً مفضوحاً..! لا أن يجعله خادعاً أو مخدوعاً.

.. قف أيها الإله الذي لم ترخص أو تهن أو تصغر قيم وتفاصيل الخداع والانخداع مثلما رخصت وهانت وصغرت فيه أي فيك يا إلهي الذي لا بد أن يرهب ويخجل كل

أحد أن يكون خادعاً لو قرأ خديعتك لنفسك وانخداع غيرك بك. . . قف أيها الإله الخادع المخدوع الذي لو وجدت كل أسباب وتفسير الخديعة للنفس وبالنفس في كل أحد وكل شيء لما وجد فيه شيء منها، والذي لو وجدت كل أسباب وتفسير الانخداع به في كل أحد وفي كل شيء لما وجدت فيه أي شيء منها. ! . أيها الإله الذي لم ينخدع ويخدع أحد مثله ولم يوجد فاقد لكل أسباب الخديعة والانخداع مثله. . . نعم، لعله لم يوجد من عرف وجرو أن يقول لك: قف أيها الإله حذراً أيها الإله أن تتحدث عن مزايا وجودك وعن الربح من وجودك وفيه زاعماً بل ومعتقداً أن من مزاياه ومن أرباحه إيجاد الإنسان وإيجاد كل شيء وأي شيء.

لأنه قد يوجد من يقول لك يا إلهي: إن وجودك هو الذي أوجد ويوجد كل الأخطاء والآلام والآثام والدمامات والتشوهات والعاهات والبلاغات والبلادات والتفاهات والعار والفضائح. . . هو الذي أوجد كل ما يقتل الحياة ويشوهها ويعذبها ويذلها ويخيفها ويحقرها ويشتمها. . . هو الذي أوجد الأوبئة والأمراض والشيخوخة والجنون والموت والجحيم والزبانية. هل كان يمكن أن يوجد أي شيء من ذلك لولا وجودك؟ إذن ليقل كل قبح وعذاب وسوء: مرحباً بوجودك. !

لأنه قد يقال بل ويجب أن يقال: إن وجودك الذي أوجد الإنسان قد حكم عليه بأن يواجه ويعايش ويعيش ويساكن ويصادق ويعشق ويطيع ويصنع بل ويمجد ويقود كل الحماقات والجهالات والنذالات والسفاهات والعاهات والتشوهات والآلام والذنوب وكل الفضائح والقبائح والمخاوف والهزائم والأكاذيب والحروب والخصومات والعداوات. . . !

. . كل الصغائر وكل البذاءات والمهانات.

. . إذن كم هي ضخمة أرباح الإنسان من وجودك الذي وهبه وجوده؟!

إذن كم أنت يا إلهي أبله أو بذيء جداً حين تعتقد أو تتصور أن الإنسان يربح من وجودك الشخصي الذاتي لأنه أي وجودك هذا قد أعطاه وجوده ليعاشر ويواجه ويحيا كل ما فعلت وأوجدت وتفعل وتوجد بكل الهوان والاستسلام والحصار بل أحياناً بكل الشبق والنشوة والتعري والصراخ والمباهاة. . . لكي يواجه ويعايش ويعيش كل حياته داخل ذاته. . . كل ما فيها وكل ما تقاسي وتحيا من ضعف وآلام وهوان وجبن وجوع وخوف وقبح وتوقعات أليمة فاجعة دائمة شاملة على كل الجبهات وبكل التفاسير والنماذج وتحت وفوق كل المنخفضات والمرتفعات. !

إنه لن يوجد تعذيب وتحقير وإذلال وفضح وهجاء وانتقام مثل أن تفرض على الإنسان أو على أي كائن حياته أو ذاته ليعيشها ويعيشها ويعيش فيها بل ليحاصر ويعتقل ويسجن فيها. . في كل مجاعاتها وضروراتها ومخاوفها وتفاهاتها وأحقادها وخصوماتها وعداواتها وأحزانها وفي انتظار توقعاتها ونهاياتها.

إن كل اعتقال وسجن في أي معتقل أو سجن بل في كل معتقل وسجن لن يساوي في قبحة وهوانه واستعباده وتعذيبه وتخويفه شيئاً مما يساويه الاعتقال أو السجن في سجون ومعتقلات الذات. إن الإنسان بل وكل كائن لن يكون معتقلاً أو مسجوناً إلاّ باعتقال وسجن ذاته وإلاّ باعتقاله وسجنه في ذاته.

إن كل اعتقال وسجن وتعذيب وإذلال ليس إلاّ شيئاً من معتقلات وسجون الذات ومن تعذيبها وإذلالها ومن تقبلها لكل ذلك ومن حكمها به ومن الحكم به عليها. !

آه. أنا مسجون أو معتقل أو عائش أو مولود في ذاتي لهذا لا أستطيع بل ولا أريد أن أرفض أو أهزم أو أحتقر هواني أو ضعفي أو سخفي أو قبحي أو تفاهاتي أو مجاعاتي أو صلواتي وتضرعاتي لأوثاني أو فضائحي أو عاري أو استجابتي لضروراتي واحتياجاتي البذيئة الصغيرة بل لهذا لا أستطيع أن أرى شيئاً من ذلك بل أو أن أحاوره أو أسأله أو أكرهه أو ألعنه أو أفجع به أو أتمنى أو أقبل مفارقتة والخلاص منه. . !

إن أصغر وأقبح وأوقح وأفجع وأجبن وأجهل ما في وجودي ووجود أي موجود أننا لا نستطيع كما لا نريد أن نرفض أو نكره أو ننكر أو نحاسب وجودنا أو نسأل عن فكرته وهدفه ومنطقه ونتائجه وتفسيره أو نريد أو نحاول الخلاص والبراءة والنظافة والنجاة منها مهما كان قبحة وصغاره وهوانه وعذابه وبؤسه ونذالته. . مهما كان خسراً، خسراً بلا أي ربح بل مهما كان عاراً وهواناً بلا أية كرامة أو مجد. !

إننا لنرفض مفارقة وجودنا أكثر وأجبن وأقبح مما ترفض أية حشرة مفارقة وجودها مهما كان وجودنا أصغر وأذل وأتفه وأوقح وأقبح من وجودها. إننا لنذل ونصغر ونتلوث لثلاث نفقد وجودنا أكثر مما تفعل أذل وأنذل وأحقر الحشرات. !

. . إنه لن يوجد عدوان قبيح لثيم بليد مثل عدوان من وضعني في ذاتي أو وضع أي كائن في ذاته. !

. . حتى الإله. . حتى الإله. . إنه لن يوجد عدوان مثل عدوان من وضعه أي وضع الإله في ذاته ليكون مستعبداً بل عبداً متعبداً لضرورات ومجاعات وتفاهات وأوهام وأحقاد وبغضاء وكبرياء وغيظ ذاته. . ذاته التي لا يستطيع ولا يريد مفارقتها. . الإله لا

يستطيع ولا يريد أن يفارق ذاته .! . من حكم عليه بكل هذه التعاسة؟ من عاقبه بكل هذه الوحشية؟

. . إن من أوجدني أو أوجدك لن يكون منعماً أو متفضلاً علي أو عليك لأنه قد جعلني أو جعلك موجوداً بل لقد جعلني أو جعلك كائناً محكوماً عليه بكل العقوبات والمواجهات والممارسات الفظيعة المادية والمعنوية بكل صيغها وتفسيرها الدليلة الأليمة الصغيرة الدميمة .!

ما معنى أن يوجد الإنسان أو أي كائن في مستواه أو أي كائن حي؟

معناه بل أقل وأخف معانيه أن يسجن تأبيداً في كهف ذات صغيرة ضعيفة متلهفة متطلعة متوقعة مشحونة ومحاصرة بكل المخاوف والأعداء والنقائص والمخاطر والتفاهات والدمامات والنذالات والهموم وبكل التوقعات الكثيبة الرهيبة وبكل الضرورات الجاهلة الباطشة الغالبة التي لا يمكن التفاهم معها بأي منطق أو خلق . . بأي دين أو تعاليم أو تضرع أو توسل أو بكاء أو دعاء . . بل التي لا يمكن التخاطب معها بأية لغة لأنها لا تستطيع أن تتعلم أو تتكلم أو تفهم أية لغة مع أنها أي هذه الضرورات هي مبتكرة وصائغة ومعلمة ومفسرة ومستعبدة كل اللغات . . مع أن كل متكلمي اللغات لا يتكلمون إلا بأوامرها! .

. . والمدهش بل الفاجع أن أحداً من هؤلاء المسجونين في هذه الذات المسجونة والمحاصرة والمعذبة المهانة بكل هذه الكوارث والمهانات والتفاهات والحقارات وبكل ألوان الاستعباد والقيح لا يعرف أو يرى أو يرفض أو ينكر أو يشكو شيئاً من ذلك أو حتى يسأل من فعل ذلك ولماذا فعله به وهل يمكن محاكمة هذا الفاعل الذي لا تكفي كل العقوبات عقوبة له .!

. . هذا الفاعل الذي لو وجب الغفران لكل فاعلي كل الأخطار والخطايا لما جاز الغفران له .!

. . إن أقسى وأقبح ما في وجود الموجود أنه لا بد أن يسحب أو يقتل أو يسكت في موجوده كل معاني الرؤية والتفكير والاحتجاج والاشتراط والبسالة والكرامة والغضب والاشمئزاز في تعامله مع وجوده وفي استمساكه به ودفاعه عنه بل وفي افتضاحه به وفي نشوته وسعاده ومباهاته بإعلانه الافتضاح به .! . إن كل عقاب وعذاب لأي موجود وكل موجود لن يوقعه به أو يريده له إلا وجوده أي إلا من أوجده .

. . إذن ما أقسى وأقبح أن يحكم عليك أو عليّ بالوجود . . ما أقسى وأقبح من

حكم علينا بذلك إن كان قد حكم به مريداً ومدبراً. وما أجهله وأعظم جنونه إن كان قد حكم به بلا إرادة وتدبير ومعرفة. . . . إن من استفرغ وجودنا وكل وجود استفرغاً لا تدبيراً أو تخطيطاً أو إرادة لأقل قبحاً وذنباً ونذالة!

. . . إن أصغر معاني ذلك ألا أقاسي أو تقاسي من أي شعور بالعار أو الاشمئزاز أو الانفجاع أو الاحتجاج أو الغضب من وجودنا أو عليه أو به مهما كان قبحه وهوانه وعذابه وبلادته ونذالته وفضائحه وسقوطه. . . يا إلهي الذي لن يجد إشفاقاً ورتاء مثل إشفاقي عليه ورتائي له. . . الذي لن يجد مدافعاً عنه أو محاولاً ستر عيوبه وذنوبه مثلي. يا إلهي هذا إنني أطلبك بل أمرك أمر راث راحم مشفق أن تفكر في هذا: لماذا لا ترفض أن تحتقر أو تلعن أو تحارب وجودك الأليم الحزين المهزوم البائس الكريه؟ لماذا تحاول أو تريد فراقه أو تغييره؟

هل يوجد استسلام أو جمود أو تبلد مثل ألا تحاول ذلك؟

هل يمكن أن يكون أو أن تجد لهذا أي تفسير غير أن من حكم عليه بأن يكون موجوداً فلا بد أن تصمت أو تهزم أو تموت فيه كل معاني الذكاء والرؤية والغضب والاحتجاج والاشمئزاز والاندهاش والاشتراط والرفض والمساءلة والمحكمة مثل موتها وهزيمتها وصمتها في أردأ وأصغر الحشرات؟

حتى أنت يا إلهي قد حكم عليك بأن تهزم أو تصمت أو تموت فيك كل هذه المعاني لأنك قد أصبحت موجوداً. . . . من وهب وجود الكائن كل هذه القدرة على أن يميت فيه كل معاني الرؤية والغضب والاشتراط؟

آه يا إلهي. ماذا يمكن أن تجد أو ترى نفسك أو تفعل بنفسك لو أنه كان فيك أو بقي فيك أي قدر من معاني الرؤية أو الاحتجاج أو الانفجاع أو الغضب أو الاشتراط أو الاشمئزاز أو الاندهاش أو المحاسبة أو المساءلة أو القراءة أو التفسير لنفسك أو لأي شيء؟

من قسّم يا إلهي هذه المعاني وحرّمك منها؟ لماذا جاء هذا المقسم معادياً لك؟ يا إلهي يا أكبر وأشهر موجود، ويا أصغر وأشقى موجود. . . يا أظھر وأقوى وأكرم موجود. ويا أخفى وأضعف وأبخل موجود. . . يا من هو كل شيء دون أن يكون أي شيء. . . !

يا إلهي يا من تراه كل العيون العمياء دون أن تراه أية عين مبصرة. !

لماذا أنت يا إلهي الكائن الذي تراه كل العيون التي لا ترى ولا تراه عين ترى؟

.. والآن بعد هذه الرحلة الطويلة في محاكمتك ومحاورتك أريد أن أذكر أو أفسر لك قضية لعلها لم تتعامل مع تفكيرك ولا مع تفكير أحد من أنبيائك أو عبادك أو من ملائكتك وأعوانك ومستشاريك أو مع خيالك أو خيال أحد من هؤلاء يا إلهي ..

اغفر لي يا إلهي بل أشفق عليّ يا وارث وأحزن لي بكل الشهامة والنبيل لأنني مريض جداً بمرض ما أقل من يصابون به .!

بمرض المسألة والمحاسب والمحاكمة والرؤية والمحاورة والقراءة .. ليست القراءة للحروف بل لأخلاق ومنطق الأشياء . كل الأشياء حتى لأخلاقك ومنطقك أنت . آه يا إلهي ما أقسى هذا المرض .!

إنك يا إلهي لا تستطيع أن تعرف قسوته لأنك لم تجربه ولأنك فاقد التحديق فيما تواجه .. لأنني مريض بهذا المرض الذي كم أتمنى أن تكون يا إلهي قد مرضت به ومرض به كل أنبيائك وأعوانك ومستشاريك وجميع المتحدثين عنك والمفسرين لك والمتعاملين معك .. لأنني مريض بهذا المرض الذي كم كان يجب أن تتداوى أنت وكل معلميك ومفسريك به من كل معانيكم وتعبيراتكم .. بهذا المرض الذي لا يوجد أحق منك به إلا أنفع منه بك ولك . والذي لم يحم أحد منه مثلما حميت منه أنت وجميع المعلمين والمبلغين عنك .. ما أنبل وأنفع وأتقى هذا المرض لو أنه تجمع فيك يا إلهي وفي جميع موظفيك من أنبياء وملائكة وزبانية .!

.. القضية التي أريد أن أفسرها وأذكرها لك يا إلهي هي : أن إيجاد كائن لم يكن موجوداً أي إعطائه الوجود أو الإلقاء به في الوجود لن يكون ربحاً أو عطاء له مهما كانت ضخامة وجوده وجوده وجوده وضخامة ظروف وجوده .!

إن المفقود لا يعطى ولا يربح . ومن حاول إعطاءه أو إرباحه فلن تفهمه أية بلادة !
.. إن الربح والعطاء لا يكونان إلا لمن وجد ليتعالج بهما من ضرورات ومجاعات وتفاهات وورطات وآلام وجوده .!

إن الحاجة إلى الربح والعطاء ليست إلا شيئاً من إذلال وقبح أن نكون موجودين .
.. إنهما أي الربح والعطاء ليسا في كل حالاتهما وظروفهما وتفسيرهما الأردأ على ورطة الوجود وتخفيفاً من عذابهما وقبحهما واستجابة لنداء واستغاثة مخاوف ومخاطر واحتياجات من حكم عليه بهذه الورطة ..!

إن من لم يوجد لغني عن كل ربح وعطاء وأخذ وانتصار ومساعدة. ما أغناه وأشرفه إذن. . إنه لجنون لا ينافسه أي جنون أن نوجد من لم يكن موجوداً أي من لم يكن يجوع أو يمرض أو يخاف أو يحزن أو يتعب أو يحقد أو يحسد أو يغار أو يعادي ويشتهي أو يفرز أردأ وأقبح الفضلات من جسمه بل ومن عقله وقلبه وأخلاقه وضميره ولسانه. . يفرزها ويستفرغها بأقبح وأوقح وأفضح الأساليب. .

أي أن نوجد من لم يكن موجوداً ليكون كل ذلك وليواجهه ويقاسيه. . لكي يكون أعظم العطاء والربح أن يقاوم ذلك أي يقاوم الجوع والمرض والخوف والحزن والتعب والغيرة والحسد والحقد والعداوة والشهوة والإفrazات. . ليكون كل نضاله واهتماماته وانتصاراته وعبقرياته وحروبه أن يقاوم وجوده ومعاني وجوده. .

أليست حياة كل موجود نضالاً ضد وجوده. ضد احتياجات وضرورات وآلام وأخلاق وتفاهات ونذالات وجوده؟

. . إنه لربح وعطاء ومنطق أن ينقذ من وجد أو يحاول إنقاذه من مرضه وخوفه وجوعه ومن كل آلامه واحتياجاته وشكائياته وتشوّهاته ونقائصه التي فرضها عليه وجوده أي من عواقب وأخلاق وجوده. . ولكنه لن يكون شيئاً من الربح أو العطاء أو المنطق أو يوجد غير الموجود ليصاب بكل ذلك أو يبعضه أو ليكون معرضاً له أبداً لكي ينقذ أو يحاول إنقاذه مما أصابه أو عرضه له وجوده أي إيجاده الذي فرض عليه دون أن يرضى أو يعرف أو يختار أو يستأذن أو يكون له أي منطق أو هدف معروف أو منتظرة معرفته. . !

كيف أصيب كل العالم. عالم الأرض والسماء بكل العمى والغفلة والبلادة؟.

. . أنت موجود إذن أنت تستحق أن تربح وتعطي وتأخذ بل ويجب ليكون ذلك تداوياً من وجودك وعذاب وقبح وجودك. . أنت غير موجود إذن ما أقبح وأوقح أن توجد لكي تصبح محتاجاً إلى الربح والعطاء والأخذ لتعالج به آلام واحتياجات وتفاهات وحماقات وهموم ومتاعب وعبت وجودك.

. . إن أي موجود وكل موجود ليس إلا محكوماً عليه وليس محكوماً له. إنه محكوم عليه مهما حكم له. إن الحكم له ليس إلا بعض التفسيرات للحكم عليه. إن كل موجود هو خاسر ومأخوذ منه ومهزوم ومحكوم عليه وحزين وعار ومفتضح ونذل مهما ربح وأخذ وانتصر واستر ولبس وفرح وحكم له وأصبح أعظم وأشهر شهم. !

. . إن من داواني وشفاني من أمراض وتشوّهاتي وآلامي ومخاوفي فلا بد أن

يكون ويحسب معطياً ونافعاً ونيلاً أي بعد الحكم عليّ بالوجود لكي أصبح محكوماً عليّ واقعاً أو متوقفاً بكل الأمراض والآلام والتشوهات والمخاطر. !

. . أما من أوجدني لأمرض وأتشوه وأخاف وأتالم وأهون وأصغر وأكذب وأجوع وأناق أو أعد لأكون كل ذلك أو شيئاً منه فلن يكون إلا ندلاً ومعتدياً وسفيهاً ومسيئاً وسخيلاً مهما عالجني وحماني من كل ذلك أو حاول أن يعالجني ويحميني منه. وهنا لا بد أن نكرر كيف أصيب كل عالم السماء والأرض بكل هذه البلادة والغفلة والعمى؟

. . إن كل اللذات والمسرات والانتصارات والحضارات والأمجاد أي كل ما يحسب كذلك ليست إلا الأساليب المختلفة وخادعة مخدوعة من أساليب مواجهتنا لمشاكل وآلام وقبح وعبث وقسوة وجودنا. . إن أي انتصار ننتصره ليس انتصاراً على أي عدو أو على أي شيء ولكنه انتصار على وجودنا لأننا أبداً في حرب معه لأن كل حروبنا ضده أي ضد وجودنا وحده مهما اختلفت أو تعددت الصور. . وكذلك جميع هزائمنا. ليست إلا هزائم أمام وجودنا وبوجودنا. إن إرادة واحتياج من وجد إلى الربح والعتاء وبحته عنهما بل وظفره وفرحه بهما لن يكون إلا تعبيراً أليماً عن خسارته بوجوده وعن تعاسة وجوده!

. . إن الإنسان لا يعبر عن آثام وقبح وعبث وخسران وجوده إلا بقدر ما يصبح حشرة بكل تفاسير الحشرة مسحوبة منه كل معاني الإنسان وتفاسيره. !

وقد نحتاج أن نعتذر هنا إلى الحشرة فإن للحشرة تعبيرات قد تفسر بأنها ترى مأساة وحقارة وجودها وبأنها تقاسي ذلك. . والحشرة كذلك لا تصلي لوجودها ولموجدتها إعجاباً وشكراً ورضاً كما يفعل الإنسان. !

إن الحشرات لا تشيد المعابد أو الهياكل والمحاريب ولا ترفع المنابر ولا تنزل الكتب المقدسة ولا تلد الأنبياء والدجالين وتوظفهم. . إنها لا تفعل شيئاً من ذلك لكي تؤمر وتعلم أن تصلي وتتعبد لوجودها وموجدتها إعجاباً وشكراً وحباً وانبهاراً وثناء كما يفعل الإنسان. !

نعم، إن الحشرات لا تشيد أو ترفع أو تنزل أو تدل أو حتى تعرف شيئاً أو أحداً من هذه أو هؤلاء لكي تشحن ويشحنوا نفوسها وقلوبها وأخلاقها ونياتها وعلاقاتها وكل حياتها وتاريخها بأوقع وأبداً العداوات والخصومات والأحقاد والبغضاء وبكل الشرور المعملة المحولة إلى أديان ومذاهب وأمجاد وبطولات كما يفعل الإنسان بنفسه. !

إذن كم كان الإنسان سفيهاً وظالماً ومغروراً وأعشى حينما ظل أبداً يحقر ويعير

الحشرات مقارناً وحاسباً لها بنفسه . إن عفونات وقباحات ووقاحات وبلادات وأخطاء ومظالم وفحش وخسة زعيم أو قائد أو نبي أو معلم واحد من البشر لا تستطيع جميع أحوال وصغائر جميع الحشرات أن تجرؤ على منافسة شيء منها .! . إن قبر واحد من هؤلاء ليثوى فيه من العفن ما لا تستطيعه كل الحشرات . أجل ، إن الإنسان متفوق في إبداعه وذكائه وحضاراته وقدراته وفي قوانينه وتعاليمه ولغاته وآدابه وأشعاره وأديانه وصلواته وخیالاته وطموحه تفوقاً لا يقارن بأي شيء نراه أو نعرفه في الكون الذي نسكنه . . ولكنه تفوق يتحول في محاسبته ، في محاسبة أرباحه وخسرانه وعواقبه إلى تخلف كئيب رهيب أليم شامل .!

حتى لكأن في الوجود ، في وجود كل موجود قانوناً شريعاً لا بد أن يحول المتفوق جداً في كل قدراته وإبداعاته ومواهبه إلى متخلف وقبيح ونذل وشقي وخاسر وشرير جداً في كل معانيه وتفسيره وتعبيراته ونياته ومعاناته . . في كل معاني السعادة والبراءة والنظافة والصدق والشرف والكرامة والأمانة والأمان .!

كأن في الوجود قانوناً يقضي بأن الموجود بقدر ما يكون كبيراً في وجوده . .

في مواهبه وأفعاله ووظائفه ومسؤولياته وفي طموحه وآماله وخیاله وأشواقه واحتياجاته فلا بد أن يكون كبيراً بقدر ذلك في ذنوبه وأخطائه وآلامه وأحزانه وتلوثه وتلويثه بل وفي مخاوفه ومتاعبه وهزائمه بل وفي خسرانه والخسران به أي وفي إيقاعه للخسران بالآخرين وفي عذابه وتعذيبه .!

أليس الكائن يخاف ويحجن ويكذب وينافق ويهون ويتوقع الهزائم والمشاكل والورطات بقدر ما يكون قوياً ومتنعراً وفعالاً وكبيراً ككبير الذات أو كبير المعاني؟
أليس الكائن معرضاً للتصادم والتحطم والتحطيم والخوف والتخويف بقدر ضخامة ذاته ووظائفه ومكانه؟

وقد تكون أنت يا إلهي أكبر وأشهر نموذج لهذا الكائن الكبير في هذا وهذا أي للكبير في الشيء وفي نقيضه أو لهذا الكبير الصغير أي الصغير في تفاسيره ونتائجه لأنه كبير في ذاته وقدراته ومسؤولياته ووظائفه .!

وقد يكون أعوانك وموظفوك من أنبياء وملائكة وكذلك الزعماء والقادة والعظماء من البشر هم النموذج الثاني لذلك أي لهذا القانون الذي يفرض بأن يكون خسران الموجود وكذا الخسران به بقدر ما يكون كبيراً ومسؤولاً وقوياً وحاكماً متحكماً مطاعاً متبوعاً أو معلماً مصدقاً . وكذا يكون عذابه وتعذيبه وأخطاؤه وخطاياها .! . ما أعظم

الفرق بين خطايا وأخطاء وذنوب وعذاب وخسران أقوى وأكبر إنسان وأضعف وأصغر أنسان . !

أرجو يا إلهي أن تكون قد فهمت واقتنعت بأن كل أرباح الإنسان وكذا أي كائن من وجوده أو ما يحسب أرباحاً ومسرات وانتصارات ليس إلا تداوياً ومعالجة ومواجهة لخسرانه بوجوده . . ليس إلا خضوعاً ذليلاً جباناً غيباً حقيراً لإملاءات ومجاعات وقبح وطغيان وجوده عليه . ليس إلا تسديداً لاحتياجات وحماقات وخسائر ومخاوف وتفاهات وجوده . !

وهنا يا إلهي قد يقول لك ذكاؤك الحزين بشيء من مشاعر النشوة والفرح والتعزي والأمل بنصر ما . !

قد يقول لك : إنك قد تظفر بنصر ولو صغيراً جداً على هذه القضية . .
قد يقول لك ذكاؤك الفاضح المهين المعير المحقر لك : إنهم لكثيرون . كثيرون الراحون من وجودك ومن إيجادك لهم . !

كم ربح الذين جاءوا وعلموا وأمروا وتزعموا وتسلطوا وتكبروا وكبروا وصعدوا ومجدوا وكذبوا وسرقوا وقتلوا وأذلوا وغزوا وفتحوا بل وفسقوا وزنوا وأصبحوا أرباباً وأنبياء وخلفاء وأبطالاً وقديسين مقدسين معبودين بك وأصبحوا قبوراً وأوثاناً معبودة محجوجاً إليها مطوفاً بها مقبلة بالأيدي والشفاه والدموع والقلوب أكثر مما يفعل لك أنت من ذلك . ! ؟

. . كما ربح هؤلاء وغيرهم كل هذه الأرباح وغيرها باسم وحجة وجودك والإيمان بك والدفاع عنك والتعبد والإفراح والإسعاد والإرضاء والطاعة والاحترام لك والاستجابة لأوامرك وتعاليمك وشهواتك والتقرب إليك ولامتصاص وتجنيف الدموع والأحزان واليأس من عينيك وقلبك وتجاربك . ! هل وجد رابحون وآخذون بلا أي استحقاق مثل من جاءوا ليتحدثوا عنك وباسمك وعن وجودك ؟

. . نعم، يا إلهي قد يقول لك ذكاؤك الذي لم يكن قط عظيماً أو مرتفعاً إلى مستوى ما من مستويات الذكاء . !

قد يقول لك ذلك لينفعلك بأنه يوجد من يربحون من وجودك . !
قد يقول لك إنهم كثيرون ، كثيرون جداً هؤلاء الراحون . !
أليس أجهل وأنذل وأكذب وأفجر الناس يصبحون أعلن وأشرف وأصدق وأتقن البشر لأنهم أعلنوا أنفسهم دعاة وأنصاراً لك ؟

.. ويا ليت ذكائك الذي لم يجده أحد والذي لم يتعامل مع أي شيء أو أحد أو يتعامل به أحد يستطيع أن يفهم أن هذا الذي حسب ربحاً هو أسمى وأشمل أساليب الخسران للذين فعلوه وزعموا رابحين به ورابحيه!

إنه تعبير كريح قبيح عن قسوة ونذالة وبلادة وتفاهة وسخف وضياع وجودهم والوجود الذي يعيشون فيه ويتعاملون معه وبه.. الذي أغراهم وأجاز لهم أن يفعلوا به ذلك..!

هل السارق أو القاتل أو المحتال والكاذب أو المنافق الذي يحرضه ويضطره ويجيز له ضعفه أو غباؤه أو نذالته أو فسادة أو قبح ظروفه والظروف التي يعيش فيها أن يفعل ذلك رابح أم خاسر؟ وهل وجوده حيثذ كما وجد ربح أم خسران؟

.. إن الفاعلين هنا والمفعول بهم لخاسرون كل الخسران.. إنهم خاسرون يا إلهي بك ومن أجلك وباسمك وبدعوى الإيمان بك والطاعة والاحترام لك.. إنهم خاسرون بوجودك الذاتي والاعتقادي أو بوجودك الاعتقادي المعنوي الدعائي فقط. إن الوقوع تحت إملاء الخسة والنذالة والخطيئة والخداع لهو أخسر خسران للفاعل مهما كانت النتائج..!

.. إن وجودك إذن يا إلهي لهو كل الخسران حتى لمن حسبوا وزعموا أربح الرابحين..!

وعلى كل الحسابات كيف يمكن أن يكون هؤلاء الذين يفعلون كل ذلك أو يأخذون ويعطون كل ذلك باسمك ومن أجل الإيمان بك رابحين وأنت تزعم أنك لا بد أن تحاسبهم وتعاقبهم أسمى الحساب والعقاب على ما فعلوا وأعطوا وأخذوا؟

وهنا يا إلهي قد يقول لك مرة أخرى ذكاؤك المذكور: إن هناك رابحاً أو رابحين من وجودي تعجز كل الاختلافات عن أن تجرؤ على أي اختلاف في ربحه أو ربحهم مني ومن وجودي ذلك هو إبليس أو الأبالسة أو الشيطان أو الشياطين..!

.. قد تقول بمنطق ولغة وأخلاق ذكائك المشهود في كل شيء: إنه لم يوجد ولن يوجد رابح مني ومن وجودي حتى ولا أنا الإله مثلما ربح الأبالسة أي الشياطين..!

لقد أعطيت أو أعطى وجودي الأبالسة الخلود وكل أمجاد الانتصارات الخالدة الشاملة على كل شيء وكل أحد حتى عليّ وعلى أنبيائي وأوليائي وملائكتي وعلى كل أنصاري وأعواني دون أي خوف أو توقع من المنافسة. إني لا أعرف أنا لإله انتصاراً مثل انتصار الأبالسة ولا انهزاماً مثل انهزامي أنا وأنصاري..!

.. حتى إن أول أنبيائي، أول إنسان استطاع خيالي تخيله واستطاعت يداي خلقه قد استطاع إبليس بكل اليسر والسرعة أن يأخذه مني وأن يغلبه ويغلبني عليه بلا أية معاناة، وأن يفرغ منه الجنة التي قاسيت وقاسيت لأخلقها له وأخلق له لتصبح فراغاً، فراغاً ويصبح تصميمها وخلقها غلطة خاسرة مهينة قبيحة ذليلة.. لأصبح أنا الإله أغبى وأخسر مخطط وخالق!

ولكن أليست الآلهة هي دائماً أخسر وأغبى المخططين والخالقين؟

.. وكما انتصر أي إبليس بكل القوة والسهولة والسرعة على أول أنبيائي وأبنائي وأمجادي انتصر وظل ينتصر على كل أنبيائي وأوليائي وأعواني بلا أية مقاساة أو اختلاف في الأساليب والنتائج!

.. إنه انتصار لا يمكن أن يهزم وانهزام لا يمكن أن ينتصر!

لقد أعطيت الأبالسة حقوقاً ونفوذاً ومزايا وامتيازات لعلني أنا الإله لم أعط أو لم أستطع أن أعطي نفسي مثلها..

لقد أزلت وسحبت من أمامهم كل الحواجز والأبعاد والأبواب والحراسات والظلمات ليكونوا ويفعلوا ويتصرفوا كيف شاءوا!

إنهم يوجدون ويتحركون ويعملون ويتنقلون ويتعاملون في كل مكان وبيت وقلب وضمير وخلق وعقل وسرير وظلام، وينطقون بكل لسان ومذهب ودين بكل الأساليب والصيغ كل الأوقات دون أي عائق ودون أن يراهم أو يسمعونهم أو يعلم بهم أحد أو يعرف أنهم في داخله وفي عقله وقلبه ولسانه ودينه ومذهبه وفوق سريره.. دون أن يلمسوا أو يشموا أو يعتقلوا أو يحاكموا أو ينفوا أو تفرض عليهم أية قيود من أي نوع أو حتى يتهموا اتهاماً قانونياً أو تسحب منهم أية جنسية أو مواطنة يختارونها. إن كل أجهزة البشر وغيرهم وكل قواهم ومخابراتهم لا تستطيع أن تقبض على واحد من هؤلاء الأبالسة أو تعرف مكانه..!

.. إني يا إلهي أريد أن أحترم نضالك اللاهث وأن أرثي له وأشفق عليه محاولاً أي أنت أن تقنع وتقتنع بأنه يوجد من يربحون من وجودك وبأن أشهر وأربح هؤلاء الرابحين هم الأبالسة.. لهذا كم أنا حريص على أن أسلم لك بهذا المجد أو العزاء أو الانتصار على رثاء وإشفاقاً عليك ولك ولهزائمك الدائمة..!

ولكن هنا شروط لهذا التسليم أو الإقناع لا بد منها.. من هذه الشروط أن يثبت أنهم أي الأبالسة قد وجدوا وأنهم موجودون بالمزايا والخصائص الخارقة المزعومة لهم

وأنهم ليسوا وهما إنسانياً تحول إلى وهم إلهي بل إلى هوس إلهي حتى ذهبت بكل الحماس والإرهاق توظف الأنبياء والدعاة والمعلمين لكي يعلموا الإنسان هذا الوهم الذي علمك إياه. ! لقد كان خوفك يا إلهي من هؤلاء الأبالسة لا يشبهه خوف وكان حشدك لمقاومتهم لا يشبهه حشد. إنك تستحق كل الرثاء. !

أنت يا إلهي ساذج وطيب ومجامل حتى إنك بأخلاقك هذه تذهب بكل الأضرار والجهر والمعاناة تلعن إيمانك بل وتبنيك وتقديسك للأوهام والجهالات والبلادات التي يريدها الآخرون ويريدون الإيمان والتعامل بها والدعوة إليها ويلقونها عليك زاعمين أنك أنت معلمها وعاشقها وخالقها. !

إنك يا إلهي تفعل ذلك سذاجة أحياناً وأحياناً تكراً وتحرجاً وأحياناً مجاملة وتأدياً مع هؤلاء الآخري المحتاجين إلى الأوهام والجهالات والبلادات وإلى إتهامك بها وإلى إعلانك أبوتك لها. !

هل جامل أحد أحداً أو صبر عليه أو تأدب معه أو غفر إدعائه عليه مثلما فعلت أنت يا إلهي مع أنبيائك وكل دعائك الذين زعموا أنهم منك وعنك ومن أجلك جاءوا ليعلموا ويقولوا ويفعلوا ما علموا وقالوا وفعلوا وتركوا؟

هل يمكن أن يكون لصمتك الكريه عن هؤلاء الأنبياء والدعاة الذين جاءوا بالتواتر ليتهموك بكل ما جاءوا به من تعاليم وتهاويل وسذاجات وفواجع عقلية ونفسية وأخلاقية بل ولغوية وتاريخية ودينية.

نعم، هل يمكن أن يكون لصمتك هذا أي تفسير غير أنه صمت المجاملة والتأدب والتحرج والصبر والطيبة والسذاجة والغفران والاستحياء والإشفاق أحياناً على هؤلاء المشوهين المتهمين لك بكل بدواتهم وجاهلياتهم الشاملة المتحولة إلى أديان وعبادات وأحقاد وعداوات خالدة وإلى أبالسة يصبح كل نضالك واهتمامك مقاومة لهم عاجزة مفضوحة؟

.. ومن هذه الشروط أيضاً أن تقتنع أنت أو أي أحد من أنصارك ودعائك ومعلميك بأن ما فعلت بالأبالسة ولهم قد يحسب ربحاً وعطاء بأي تفسير من تفسير الربح والعطاء. .

ألست تزعم برواية أنبيائك وملائكتك أنك قد فعلت بالأبالسة ولهم ما فعلت وأعطيتهم ما أعطيت انتقاماً وغضباً وغيظاً وكيداً؟

وكيف يمكن أن يكون الفعل المعبر عن الانتقام والغضب والغيط وعن الإرادة
لذلك والكيد ربحاً أو عطاء؟

إذن اللهم أحرمننا من كل عطائك ومن كل أرباحك والربح منك والربح بتفاسيرك
وحساباتك ومنطقك يا إلهي !

اللهم أحرمننا من حبك وحنانك لأنه لا يوجد فرق بينهما وبين بغضك وعدائك !
.. ومن الشروط لذلك أيضاً ألا تحاسبهم أي الأبالسة وتعاقبهم في الحياة الثانية .

وهل يحاسب أو يعاقب على العطاء الرابع؟

هل يجوز أن يغفر أن يحاسب المعطى الكريم أو المحترم أو العاقل على عطائه؟
هل يكون عطاء أو ربحاً ما سوف يتحول إلى أقصى الحساب والعقاب؟ هل يوجد
من يعطي ليحاسب ويعاقب على عطائه؟

.. ولكنك يا إلهي تقول: إنك سوف توقع بهم أقصى عقاب على ما أعطيتهم
وعلى ما فعلت بهم ولهم وعلى توظيفك لهم وعلى ما زعمته أعظم ربح وعلى أدائهم
لوظائفهم التي أردتها منهم أقوى وأذكى أداء . نعم، هل وجد من أدوا ووظائفهم التي
أردتها منهم مثل الأبالسة؟ راجع نفسك في ذلك . . ألا تفتن هنا يا إلهي أنني أحاورك
وأخاطبك وأحاكمك وكأنك كائن قد يتعامل مع أي قدر أو شيء من العقل أو المعقول
أو المنطق أو الأخلاق !

.. توظف الأبالسة في وظائف تحقق لك حكمتك وإرادتك وسعادتك وفرحك
وانتصارك ثم تعاقبهم على ذلك . . من يستطيع أن يسمع هذا بشيء من عقله أو أخلاقه
أو استحيائه أو اتزانه؟

هل وظفت الأبالسة وأعطيتهم كل هذه القدرة والخلود والمزايا لأنك تريد أن
يصنعوا لك الجمال والحق والمجد والفرح والسعادة والقوة أم ليصنعوا لك العكس؟

.. ويحك يا إلهي . ما أقسى وأدوم تعذيبك وترويعك وتفجييعك للمحدين
فيك . . للقارئ المفسرين المحاسبين المشترطين لك وعليك وفيك . . المطالبين
والمنتظرين والمفترضين أن تكون في أي معنى من معانيك شيئاً مما يحبون أو يحترمون
أو يفهمون أو يعقلون أو يتمنون أو ينتظرون أو حتى يتصورون !

ألا تكون شيئاً مما قرأوه وعلموه ومجدوه !

ولكن هل يمكن أن يجدر من يملك شيئاً من هذه الخصائص لكي يروعوا

ويفجعوا ويعذبوا بك ولك؟ هل يمكن أن يجدك يا إلهي أي راء أو مفسر أو قارئ أو محاسب أو متسائل أو مشرط؟

.. كذلك يا إلهي من هذه الشروط ألا تسحب منهم أي من الأبالسة في الحياة الثانية أو في أية حياة أخرى هذه المزايا والأرباح والانتصارات والعطايا والوظائف التي اخترتهم ليكونوا موظفيها ومنفذيها ومستحقيها وقد رأيت وعاشت وجربت عبقريتهم وقدرتهم وإخلاصهم ووفاءهم في كل ما أردت وانتظرت منهم بل أعظم وأروع وأكثر مما أردت وانتظرت وتوقعت منهم.. لقد رأيت أن توظيفك لمن أردت توظيفهم لم يكن رائعاً وصادقاً مثلما كان للأبالسة!

.. كم يجب الرثاء والإشفاق على أنبيائك وملائكتك وعلى جميع دعائك وأنصارك ومحبيك لو حوسب أداؤهم للوظائف التي أردتها منهم بأداء الأبالسة لوظائفهم التي اخترتها لهم واخترتهم لها. وحوسبت النتائج هنا وهنا! هل فكر رجالك هؤلاء في الفرق بين أدائهم لما أردت وطلبت منهم وبين أداء الأبالسة لما أردت وطلبت منهم؟

.. أي أن يظل الأبالسة في الحياة الآتية وفي كل حياة قد تأتي مثلما كانوا في هذه الحياة أي يملكون كل هذه المزايا والعطايا والأرباح والوظائف التي وظفتهم فيها لكي يظلوا أبداً متفوقين ومنتصرين عليك وعلى جميع دعائك وأعوانك وعبادك وعلى كل أحد وكل شيء، وتظل أنت وكل أحد مغلوبين عاجزين لا يستطيعون إلاّ الوعظ ضدهم والتحذير منهم ولعنهم وتأليف وإنزال السور والآيات المتحدثة عن دهائهم وخبثهم وقدرتهم وتسليهم إلى كل شيء وفي كل شيء حتى إلى فردوسك وفي فردوسك الذي شيدته ليكون سكناً وملهى لابنك ونيك الأول!

.. ألسنت يا إلهي أخلاقياً ومنطقياً وذكياً وحكيماً ومحباً جداً لنفسك ولكرامتك ومجدك حينما جعلتهم وأردتهم كذلك في هذه الحياة؟

إذن هل يمكن في أي وقت آت أن تفقد مزاياك وخصائصك هذه أو تغيرها أو ترفضها أو تكرها أو تتراجع عنها لتكون نقيضها وتفعل نقيضها؟ هل يمكن أن تكون في وقت فرعوناً وفي قوت نبياً!

أليس العدل والحق والصدق والذكاء والحب والجمال والعبقرية هي كذلك في كل زمان ومكان ومطلوبة في كل زمان ومكان؟

إذن كيف يمكن أن يكون إعطاؤك للأبالسة في هذه الحياة كل هذه المزايا والعطايا والأرباح والتفوق والانتصار على كل شيء وكل أحد هو كل العدل والصدق والحق

والحكمة والذكاء والحب والجمال والعبقريّة ثم يصبح هو كل النقيض لكل ذلك في الحياة الثانية أو في أية حياة أخرى أو مكان أو زمان آخر؟

كيف يكون الإغواء والإفساد حكمة وجمالاً هنا وقبحاً وسفاهة هناك؟

ليتك يا إلهي تستطيع أن تفهم ما لا يحتاج فهمه إلى أية عبقرية أو إلى أي ذكاء بل ما لا يستطيع أغبي الأغبياء أن يعجز عن فهمه حتى ولو أراد ذلك واحتاج إليه ! ليتك تتعلم الذكاء والمنطق والأخلاق والنظام والاتزان ولو ممن توعدتهم بالتخليد في الجحيم !

بل ليتك يا إلهي تتعلم من هؤلاء شيئاً من الحب أو الرحمة أو الشهامة أو الاستحياء أو قراءة ورؤية ومحاسبة الذات . هل أنت يا إلهي الكائن الفرد الذي لا يتعلم من أي شيء أو أحد مهما وجب أن يتعلم؟

.. إن الربح والعطاء اللذين لا بد أن يسحبا أو اللذين يعطيان لكي يسحبا ويسلبا . لكي يسحبهما ويسلبهما من أعطاهما لن يكونا ربحاً أو عطاء .. لن يكونا إلاّ خداعاً ووقاحة ونذالة وإهانة وغدراً وكذباً وإذلالاً وتعديباً !

وأنت يا إلهي أليست كل عطايك وكل الأرباح منك ومن وجودك تتحول إلى هذا الخداع والوقاحة والإهانة والنذالة والغدر والكذب والإذلال والتعذيب لأنك تعطيها لكي تسحبها وتسلبها بأقسي وأوقع الأساليب؟

فكّر، فكّر في هذا .. هل حدث أن أعطيت أو يمكن أن تعطي دون أن تسحب وتسلب وتصمم على أن تسحب وتسلب كل ما أعطيت بأقسي الأساليب وأبلدها وأنزلها وأغدرها؟ أليست كل أساليبك في العطاء يا إلهي مثل أسلوبك حينما تعطي أمماً متلهفة اليوم وليداً فريداً لكي تسحبه غداً من أحضانها وعينيها وتديبها دون أن ترى دموعها أو تسمع نواحها أو صلواتها واستغاثاتها أو تهز تطلعاتها إليك نخوتك أو رحمتك .. دون أن تطلق من عينيك أو قلبك دمعة أو آهة ولو تمثيلاً أو استحياء أو تقليداً .. بل دون أن تسمع إلى أنات النجوم وصرخاتها واحتجاجاتها استنكاراً واستفظاعاً لما ترى أي لما تفعل يا إلهي بكل البرود والقسوة والنذالة وبكل الإعجاب بالنفس والرضا عنها والامتداح لها والفخر بها لأنها تقتل وتدمر غداً ما أحييت وولدت وشادت اليوم لأنها تأخذ اليوم سلباً واغتصاباً بكل الوقاحة ما أعطت بالأمس .. لأنها تقتل اليوم الوليد الذي أعطته اليوم .. !

لأنها تلعن وتهدد وتشوه وتمرض وتحارب وتتهم اليوم من صافحته وعانقته

وسالمته وحالفته وأحبته وامتدحته وصادقته ووهبته كل الجمال والصحة بالأمس . .
بالأمس . . الأمس . . !

مرة أخرى أطلبك يا إلهي أن تفكر بل أطلبك أبداً بهذا المطلب البسيط وهو أن
تفكر في هذا الذي كان يجب ألا يحتاج إلى أي تفكير أي أطلبك أن تفكر في هذا: هل
أعطيت يا إلهي ولو مرة واحدة بإحدى يديك إلا وفي يدك الأخرى بل إلا وفي كلتا
يديك كل الأسلحة لتسلب وتنهب بكل الوقاحة والفظاظة ما أعطيت بل لتدمر وتعاقب
وتقتل من أعطيت . . لتعاقب بكل القسوة اليد التي تقبلت شاكرة عطاءك فرحة به حاسبة
أنه عطاء وليس أخذاً وخداعاً؟

. . هل نظرت بإحدى عينيك مرحباً مبشراً مبتسماً واعداً إلا وحدقت بكلتا عينيك
وبكل عضلاتك وملامحك وأسلحتك غابساً منذراً مهدداً متوعداً ضارباً، ضارباً؟

هل وضعت أمام أي وجه مرآة نبيلة جميلة صديقة مفرحة محبة معانقة مرحبة إلا
وفي نيتك أن تحولها إلى أنذل وأقبح وأوقع وأقسى وأفجع مرآة . . إلا وضعت فيها أي
في هذه المرأة كل المتفجرات لكي تصيب هذا الوجه بكل التشوهات؟

. . هل قلت يا إلهي، يا إلهي لأي إنسان أو كائن: السلام عليك إلا وفي كل
نياتك وحساباتك وشهواتك أن تطلق عليه كل آلام وأسلحة وتدمير كل الحروب بل إلا
وأطلقت عليه كل ذلك؟

هل أعطيت قامة منتصبه إلا ووضعت فيها وحولها كل أجهزة التحطيم والتعجيز
والانحناء، أو أعطيت هامة مرتفعة إلا وحكمتها وحاصرتها بكل قوانين وضرورات
وإملاءات الهبوط والسقوط والركوع؟ هل بنيت سماء إلا وصغت كل ذراتها من كل
ذرات الحضيض ومعانيه وتفسيره وكبرائه؟

. . هل أعطيت يا إلهي ملابس عرس إلا ودستت في كل خيط من خيوطها كفنًا،
أو أعطيت أو بنيت قصرًا إلا وخبأت في كل لبنة وحجر من لبناته وحجارته قبراً؟

. . حتى اللون الذي تهبه تسلبه . . حتى اللون . !

. . إنك تسحب من الشعر سواده الذي وهبته . . !

أما اللون البديل أو الشعر البديل فلا بد أن تسلبه بأسلوب من أساليبك البريئة
المحرومة من كل تفاسير الذكاء والتعذيب والراحة والحب والجمال والفنية والشاعرية . !
حتى القدرة على رؤية جمالك في مخلوقاتك وعلى سماع صوتك في قرآنك
تسلبها من العينين والأذنين بعد أن أعطيتها أو لأنك أعطيتها . !

.. إذن احزن لي واشفق عليّ يا إلهي حين أفرؤك أو أفسرك أو أحاسبك أو أصدق فيك أي لأنني دائماً أفعل ذلك معك وبك بقدر ما أحزن لك وأشفق عليك وأتعذب بك ولك.. !

.. بل أحزن يا إلهي لنفسك وأشفق عليها خجلاً وتحرجاً وتائماً مما يوقعه بي تحديقي فيك وقراءتي وتفاصري ومحاسباتي لك من انفجاع وترويع واشمئزاز وتعذيب، تعذيب.. !

إن تعذيبك لي يا إلهي بتحديقي فيك لا يستطيع أي شيء ولا كل شيء أن يكون غفراناً له أو اعتذاراً عنه أو حتى تفسيراً أو تصوراً أو قياساً أو قراءة له. إن كل ضماير أنبيائك لعاجزة أن تتصور شيئاً من عذابي بتحديقي فيك.. !

آه يا إلهي لو كنت تقاسي أو حتى تقرأ أو تفهم أو تتصور شيئاً من معاني الضمير أو الاستحياء أو الرؤية أو الشهامة.. !

هل كان ممكناً حينئذ أن نراك أو نجدك أو ترى نفسك أو تجدها؟

إنك يا إلهي الكائن الوجداني الذي لن يعطي شيئاً إلاّ ولا بد أن يأخذه.. بل إلا لكي يأخذه بكل القسوة والترويع والتعذيب والإذلال بل والتحقيق والتحطيم والندالة.. !
.. إذن كيف أمكن أن يقبل أي كائن يعرف ذلك عطاءك؟

.. ولكن هل عطاؤك تقبل أم فرض وإلزام وعدوان ووقاحة.. أم هجوم وفضول وضياح وتمزق وتبدد؟

.. هل أنت يا إلهي تعطي أم تعاقب وتورط بما تسميه أو بما يسمى عطاء أم تبصق ذاتك وانفعالاتك وورطاتك وغواياتك دون أن تريد أو تعرف أو تستطيع ألا تفعل؟
.. هل أنت يا إلهي تعطي أم تستفرغ وتتقيأ نفسك على من تحسبهم ويحسبون يعطون؟ هل تعطي يا إلهي بأسلوب أو منطق أذكى أو أحكم أو أعقل أو أفضل من الأسلوب والمنطق اللذين تعطي بهما الزلازل والبراكين والأعاصير والأوبئة والتشوهات والعاهات؟

.. إذن أليس الأنبل والأفضل والأنفع والأستر لك ولمن تعطيهم ألا تعطي.. ألا تعطيهم؟ أليس عطاؤك يا إلهي أقسى وأنذل التفاسير لكل معاني العطاء ونياته وتفايسره؟
.. ليتك يا إلهي تكون هنا ذكياً أو صادقاً أو شجاعاً أو محترماً لنفسك لكي تقول! وهل أنا أعطي أو أقبل أن أعطي أو حتى أن أكون معاشياً أو مواجهاً أو مصمماً أو مريداً

أو خالقاً لهذا الكون المزعوم عطائي، أو أن أكون موجوداً لكي أكون فيه أو معه أو حوله أو فوته؟

إنه اتهام، اتهام بذئ قبيح عدواني.!. أي لكي تقول ذلك.!

إنني أنا المتهم الوحيد البريء الذي لا يستطيع أن يدافع عن نفسه والذي لن يدافع عنه ويبرئه إلا من يزعمون ويحسبون أعداءه.!

وهل لك أعداء يا إلهي غير المؤمنين بك أو أصدقاء غير المنكرين لك؟ كيف لا تفهم هذا يا إلهي؟ المؤمن بك يتهمك ويلوثك بكل شيء والمنكر لك يبرئك وينظفك من كل شيء.!

فأيهما الصديق، وأيهما العدو لك؟ فكر في هذا.!

. . هذه يا إلهي هي الشروط أو بعض الشروط التي لا بدّ منها لكي يكون احتمالاً الاقتناع بأن الأبالسة رابحون من وجودك وبوجودك بما فعلت بهم ولهم بما وظفتهم له وفيه.!

فهل تستطيع وتريد تحقيق هذه الشروط؟ إنها شروط قاسية ومؤلمة كما ترى أو كما يجب أن ترى. .

. . إن أثمان الكرامة والشهامة والنظافة والمجد وشروط ذلك قاسية وغالية ومؤلمة فكيف إذا كان المطالب بأن يدفع ثمن ذلك وشروطه هو الإله؟ هل استطاع أي كائن أن يدفع كل هذه الأثمان أو أن يلتزم بكل هذه الشروط التزاماً منفذاً؟

. . إنك يا إلهي لو عرفت الأثمان والشروط التي يجب أن يدفعها ويلتزم بها الإله، كل إله لما تصورت ظالماً ومعذباً وخادعاً ومخرجاً وفاضحاً مذلاً لك معتدياً عليك مثل من يرضى لك أو يقترح عليك أن تكون إلهاً.!. إن كل السذاجات والغفلات لتترفع على سذاجتك وغفلتك وعنها إن كنت يا إلهي قد تصورت أن الإيمان بك تكريم أو احترام أو مجد لك.!

. . إن كل عذاب وافتضاح وعار وذنوب كل المعدبين والمعدنيين والمفتضحين والفاعلين لكل العار لن يكون شيئاً من عذاب وذنوب وعار وافتضاح الإله أي أنت يا إلهي.!

. . إن كل العيون والأيدي والضمائر والعقول لم تر أو تفعل أو تتقبل أو تدبر أو

ترد من القبح مثلما رأيت ودبرت وأرادت وفعلت وتقبلت عيناك ويداك وعقلك وضميرك وأخلاقك يا إلهي. !. إن كل الأيدي الأثيمة لتعد بريئة بل وقديسة لو حوسبت بما فعلت يداك. . هل تجرؤ يا إلهي على أن تنكر أو تخفي شيئاً من ذلك أي من هذا الاتهام لك؟ وهل هذا اتهام أم قراءة ورؤية لك بكل العيون واللغات؟ هل يوجد من يستحق كل الاتهامات مثل الإله المرئي أي لو رأيته أو من يجد كل الاتهامات مثل العيون الرائية له أي للإله؟

آه. ما أقبح الإله لو أصبح مرئياً. وما أفسى عذاب العيون الرائية له أي للإله. ! لقد طالبت الرحلة يا إلهي، طالبت فهل أحتاج إلى الاعتذار إليك أم أنت المحتاج أن تكون المعتذر إلى أم كلانا محتاج إلى أن يكون معتذراً ومعتذراً إليه دون أن يوجد من يقدم إليه الاعتذار أو من يستمع إليه أو من يستحقه، أم كلانا لن يفيد أن يعتذر أو يعتذر إليه؟ لقد عذبتني بتحديقي في خطاياك وعذبتك أنا بمحاكمتك على خطاياك وبتذكيري لك بها وبقراءتي وتفسيرتي لها عليك ولك. !

وهل أنا معذب بتحديقي فقط في خطاياك أم معذب أيضاً بمقاساتي لخطاياك؟ وأي عذابي أشد؟ وأينا عذب الآخر أكثر؟ وهل أنت يا إلهي تتعذب مهما وجب أن تتعذب؟ ليتك تتعذب العذاب النبيل الذي لم تتعذبه؟

. . إذن أين المعذب وحده أو أين المذنب أكثر أي إن كان كلانا مذنباً؟

أيهما المذنب أو المذنب أكثر: فاعل الذنوب أم الرائي المقاسي المحاسب المحاكم لها؟

. . إني بكوني إنساناً لا إلهاً أشعر مهما كانت القضية ومهما كان المذنب وحده أو المذنب أكثر: أنت أم أنا يا إلهي.

- أشعر أنني محتاج إلى قدر كبير أو صغير من الاستحياء والتهذيب والوقار والإشفاق والتخرج لكي أقف أو اختصر هذه الرحلة المؤلمة الفاجعة الفاضحة لك يا إلهي. !. لقد أخذتك إلى رحلة لم تجرب أو تتصور مثلها وسحبت من فوقك كل الملابس والأغطية والأصباغ والزينات. !

. . إني محتاج إلى أن أفعل ذلك لأنني إنسان ولست إلهاً والإنسان مهما كان وزنه الإنساني لا بد أن يكون محكوماً ومفسراً بقدر ما من الاستحياء والتهذيب والوقار والإشفاق والرحمة والحب. . أما الإله. . أما أنت يا إلهي وكذلك كل إله فلا شيء من ذلك. . لا شيء. أي محتاج إلى أن أصاب بالاستحياء والتهذيب والوقار والإشفاق

والترح الذي لا تصاب بشيء منه الآلهة . . الذي لا تصاب بشيء منه أنت يا إلهي .
هل توجد بلاد أو غفلة مثل بلاد غفلة الإله الذي لا يصاب بشيء من الاستحياء
والتهذيب والوقار؟

. . إذن ليت الإنسان هو مصمم الإله وخالقه وصائغه ومعلمه ومهذب ومؤدبه
وواعظه وليس العكس .

. . إذن لجاء كل شيء أفضل وأنبأ وأتقى وأذكى أو لجاء أقل غباء وقبحاً ووحشية
مما جاء مهما جاء . !

إذن لجاء الإله أجمل ذاتاً ووجهاً وقلباً وضميراً وعقلاً وخلقاً مما جاء . هل جاء
شيء يجب أن يجيء أفضل وأنبأ مما جاء مثل الإله؟

أعني ليت الإنسان خلق الإله وخلق كل أخلاقه ومواهبه وبرؤيته وقدرته وحرية
وتمنياته وتصوراته وعبقرياته وطموحه ومثله لا بعجزه وخوفه ونبواته وأوهامه ومنابر
ومحاريبه التي خلقت الإله وصاغته وتخليته لتكون الحشرات والعاهات والتشوهات
والأوبئة وكل الآلام هي أجمل وأتقى وأرحم تفاسيره وصيغه ونظافته وضخامته وكبريائه
وحبه وجماله وطهارته بل ووضوئه وصلواته لتكون أي كل هذه الآفات هي بعض هداياه
السخية الجميلة الممنون بها . !

. . لقد صمم وصاغ وخلق الإنسان الإله أو تصوره من تعاليمه ومحاريبه ومنابر
وجعله وعجزه وخوفه لا من منطق أو طموحه أو تمنياته أو مثله أو أخلاقه أو احتياجاته
أو رؤاه أو تطلعاته . لهذا جاء أي الإله خارجاً على كل النماذج العقلية والأخلاقية
والجمالية والمثالية والفنية والإنسانية .

بل لقد جاء تدميراً وتشويهاً وقتلاً لكل هذه النماذج . !

إن كل عذاب الإنسان وعذاب كل شيء لا يعني أو لا يساوي إلا خروج الإله على
كل هذه النماذج ، وإلا قتله وإهانته وتشويهه ورفضه لها . وإلا إرادته وتدبيره وخلقه
لنقيضها . !

آه يا إلهي كم أنا مفجوع وحائر معذب وعاجز عن أن أفهم : لماذا خروجك على
هذه النماذج ومعاداتك لها؟ أعاجز أنت عنها أم رافض لها؟

. . نعم ، تحت ضغوط وإملاءات هذه المعاني الإنسانية على التي لا تتعامل
يا إلهي مع أي شيء منها ولا تقاسي منها شيئاً وجب علي أن أقف أو اختصر هذه
الرحلة التي لم يعذب ويفضح أحد أحداً بشيء مثلما عذبتك وفضحتك بها أو مثلما

عذبتني وروعتني وفجعتني بها!... إن تعذيب خطاياك وأخطائك لي يا إلهي أقسى وأدوم من تعذيب جحيمك لساكنيه ومعذبيه!

.. إني يا إلهي أروع وأفجع وأتعذب بكل ما يجب وينبغي وينتظر أن يروع ويفجع ويعذب به كل شيء وكل أحد برحمتي هذه معك وفيك وفي محاسبتني ومحاكمتي وقراءتي وتفسيرتي لك. إني أراع وأفجع وأتعذب وحدي بكل شيء فيك يا إلهي كأني أنا خالقك وصانعك والمسؤول عن كل أخطائك وخطاياك.

.. انظر وافهم وتذكر يا إلهي كيف أعجز عن الصمت وعن التوقف مع أنني أريد أن أصمت وأتوقف ومع أنه يجب أن أصمت وأتوقف.. انظر وافهم هذا وحاول أن تجد له تفسيراً!

هل يمكن أن يكون له أي تفسير غير قسوة عذابي وانفجاعي بك، بتحديقي فيك وقراءاتي وتفسيرتي لك واشتراطي عليك وتمنياتي لك بأن تكون كما أحب وكما ينبغي وينتظر أن تكون؟

إن قسوة هذا العذاب والانفجاع هي التي تحرمني أحياناً من الالتزام بما أريد الالتزام به.. إني هنا بكل الحذر والحرص والاستحياء سوف أتسلل داخل حدود قراري بإنهاء هذه الرحلة..

.. أتسلل إلى هذه المحاورة أو المسألة التي يطالبني الإشفاق عليك والثناء لك والتأدب معك يا إلهي بأن تكون الأخيرة.. الأخيرة!.. ولأن من الواجب أن أكون صادقاً ولو أحياناً كان واجباً أن أسأل: هل أنا مشفق عليك ولك أم على نفسي ولها؟

.. نعم، من بقي ممن يمكن أن يكون وجودك ربحاً أو احتمال ربح لهم؟

تذكر، تذكر يا إلهي هل بقي إلا الحيوانات والحشرات والجراثيم والكائنات الأخرى الأصغر والأخفى التي لم تستطع ولن تستطيع عيونك أو تصوراتك ولا عيون أو تصورات أنبيائك أو أوليائك أن تراها أو تتصورها..!

هل بقي إلا هذه؟ لقد سمعت واقتنعت أي فيما أطلب به إن كل أحد شيء يخسر من وجودك الذي يتحول إلى وجود وإيجاد له. ألا يمكن أن تكون هذه الكائنات خارج هذا الاقتناع؟

.. وقد تحرضني بل قد تلزمني الشهامة الإنسانية والإشفاق عليك والمجاملة الرائية لك أن أحاول بكل الرغبة والحماس تفسير أرباح هذه الكائنات من وجودك

وبوجودك الذي تحول إلى وجود لها . . آه . كما أنا محرج ومعذب حين أعتقد أو أتصور أن وجودك هو الذي أوجد الحشرات والجراثيم وكل ما هو موجود . . !

. . أليس الانبهار والاندھاش والذهول والرعب بل والانفجاع هو أقل ما لا بد أن أقاسي حين أقرأ ولو بلا تفكير أو محاسبة بعض أرباح هذه الكائنات من وجودك وبعض عطايك لها يا إلهي؟

بأقسى الصدمات العقلية والأخلاقية والفنية والنفسية وأيضاً بأقسى الرهبة أحاول أن أقرأ شيئاً من هذه الأرباح والعطايا لهذه الكائنات، أي أن أقرأ وأذكر أمثلة من ذلك . !

. . هذا مثل: عوالم الذباب والصراصير والبراغيث والقمل وغيرها من العوالم المشابهة أو المقاربة . وهل وجدت هذه العوالم؟ أليس مطلوباً أن يرفض الإله الاعتراف بوجودها لئلا يتهم بها؟

ولكن هل يمكن تصور أرباح أو عطايا تنافس أرباحها أو تنافس شيئاً من عطايك يا إلهي لها؟ هل أعطيت يا إلهي شيئاً أو أحداً من الأرباح والمزايا مثلما أعطيت هذه العوالم؟

. . لننظر إلى الذباب أو لتصوره متقللاً بكل الكبرياء والفرح والتحدي بين الهامات والجبهات والأنوف والعيون والموائد قافزاً إليها من فوق الأوحال والقذارات وبيوت استفراغ البطون . . ناقلاً إليها بأخفى وأقوى وأدق الأساليب أوقح وأفتك الجراثيم الناقلة لأفدح الأمراض والتشوهات والهافات والآلام . . لتصوره بل لئله متربعاً على عرش أي وجه بكل الوقاحات والكبرياء ومشاعر الأمان بل باصقاً على كل وجه . !

. . لننظر إليه ولنتصوره محتلاً للبيوت . . للقصور والقبور والأكواخ والمعابد والمعاهد زاحفاً إليها ومقيماً فيها بلا استئذان أو توقيت أو حراسة أو محاكمة . . بلا أي أسلوب أو قانون من أساليب وقوانين الاستئجار . دون أية استضافة . مغنياً منشداً لنفسه كل أشعار وأناشيد وأغاني الفرح والانتصار والمجد والكبرياء . !

. . وبمثل هذا النظر والتصور أو بأقسى وأفجع من ذلك لتصور ونقرأ ونرى القمل والبراغيث والصراصير وغيرها . . لنقرأ ونر وتصور أرباحها وأمجادها التي وهبها إياها وجودك يا إلهي . . لنقرأ ونتصور ونر ضخامة وديمومة سلطانها وقدراتها وانتصاراتها في كل معاركها وغزواتها التاريخية وأيضاً الآنية . .

. . آه يا إلهي ما أصعب وأضخم الشكر الذي يجب أن ترفعه إليك هذه الحشرات أي إن كان الشكر يجب أو لا بد أن يكون متكافئاً مع الإحسان والعطاء والأرباح؟

وقد يقال بل ما أعظم الشكر الذي يجب عليك يا إلهي لهذه الحشرات لعرضها الدائم القوي لجمالك وعبقريتك . . إذن فإن الشكل الذي يجب وينبغي أن يدفعه ويرفعه إليك كل أنبيائك وملائكتك وكل دعائك وأعوانك لن يكون شيئاً من الشكر الذي يجب أو الذي لا بد أن تدفعه وترفعه إليك يا إلهي هذه الحشرات أي إن كان محتوماً أو مطلوباً أن يكون الشكر على قدر الإحسان والعطاء . هل وجد أي نبي في أي بيت أو على أي وجه أو مائدة مثلما وجدت وتوجد إحدى هذه الحشرات؟

. . اسمع يا إلهي لقد بالغ أنبيائك ودعائك جداً في لعن وتحقير هذه الحشرات التي وهبتها يا إلهي كل هذه المزايا والأمجاد والقدرات والانتصارات !
ما التفسير لذلك؟ ألا يجب أن يكون له تفسير؟

أريد أن أعرض وأقرأ عليك يا إلهي هذا التفسير لهذه القضية . . هذا التفسير الذي أتمنى أن أكون مخطئاً أو ظالماً في تصوري له وفي عرضي له عليك . . !
نعم، ألا يمكن أن يكون التفسير لذلك هو غير أنبيائك ودعائك من هذه الحشرات لما وهبتها وخصصتها به من مزايا وقدرات وانتصارات ومحابة لا بد أن تصنع حقاً وغيره كل شيء وكل أحد حتى حقاً وغيره أنبيائك وجميع أوليائك !

إذن أأنت الصانع لحقد وغيره وحسد أنبيائك لهذه الكائنات البريئة؟
. . ذباب يقفز بكل الجرأة والبسالة والوقاحة إلى أنف وعين وجبهة وطعام وكتاب نبي من أنبيائك مغنياً منشداً معلناً عن مجده وانتصاراته وقدراته أمام أتباع وزوجات وأبناء وأقرباء هذا النبي دون أن يستطيع إبادته أو هزيمته أو تفسيره أو تفسير معنى وجوده أي دون أن يستطيع ذلك هذا النبي المحتملة كل معانيه بهذا الذباب وبكل معاني الذباب !
أليس محتوماً بل أليس مطلوباً أن يصاب هذا النبي بكل الغيرة من هذا الذباب وبكل الحقد عليه؟ أليس أقسى وأشمل وأردأ مستويات البلادة والهوان ألا يصاب هذا النبي بكل الحقد والغيرة والحسد من هذا الذباب وعليه وله؟ بل أليس محتوماً وواجباً أن يشمئز منك يا إلهي كل أنبيائك حين يحاسبون عطائك لهم بعطائك لهذا الذباب ولأمثاله؟

آه يا إلهي لو قارن أنبيائك وأوليائك بين ما أعطيتهم وأعطيت هذه الحشرات من المجد والسلطان . . أليس العجز عن الحقد والغيرة أي أحياناً بلادة وضعفاً وموتاً وهواناً وليس تكروماً أو صفاء أو نبلاً أو طهارة أو شهامة أو ترفعاً أو تقوى؟
أليس ذلك كذلك ولو أحياناً؟ أليس الحقد الذكي أنفع من البلادة بلا حق؟

ولكن هل وجد من يعجزون أو يعفون عن الحقد والغيرة مهما كان ضعفهم وهوانهم وبلادتهم وسقوطهم. بل وموتهم؟ حتى أنت يا إلهي هل عفت أو ترفعت عن الحقد والحسد والغيرة مهما كان خمولك وبلادتك واسترخاؤك وموتك؟

هل وجد حقد أو غيرة مثل حقدك وغيرتك من الأوثان الصغيرة الطيبة الميتة البريئة وعليها؟

كانت غيرتك من هذه الأوثان وغضبك على أصحابها جنوناً أكبر من كل جنون. !
. . هل وجد أو هل يمكن أن يوجد مصاب مريض مجنون بالغيرة والحقد والحسد مثلك يا إلهي؟

كيف لم تعرف أنت ولا أحد من أنبيائك ودعاتك ذلك؟

هل يمكن تصور حاقد أو حاسد أو مجنون بالغيرة مثل من يغار من الأوثان الخشبية أو الحجرية أو التمثالية أو الفنية الرمزية الشاعرية التذكارية أو مثل من يحسدها ويحقد عليها أو مثل من يتحول حقه إلى جحيم أو إلى تصور جحيم أو إلى أوصاف لجحيم وإلى أحاديث وتعاليم عن جحيم ليعذب به من يقفون أمام هذه الأوثان الصديقة ليناجوها مناجاة شاعر لأطلاله وذكرياته. . لأحزانه ومسراته؟

أي هل يمكن تصور حاقد أو حاسد أو مجنون بالغيرة مثلك يا إلهي؟

إن أي طاغية مجنون يغار ويحقد ويحسد ويعاقب لأن قومه يقبلون أطفالهم ويتسمون لهم وهو يريد كل ذلك له هو وحده - إن هذا الطاغية أي لو وجد لن يباريك يا إلهي في غيرتك وحسدك وحقدك على هذه الأوثان البريئة وعلى أصحابها. !
وهذا مثل آخر. .

. . عوالم الكائنات المسماة بالجرائم وكل العوالم الأخرى التي لم تستطع ولن تستطيع يا إلهي لا أنت ولا عيون وأجهزة وحسابات وانتشار مخابراتك ولا نبوءات وتحديات وغيبيات وتحليلات أنبيائك ولا أنبيائك وأولياؤك أن تقرأها أو تروها أو تتصورها أو حتى تتنبأوا بها مع أنها توجد وتعيش وتسكن وتتحرك وتعمل وتتغذى وتتحكم بازدهام وديمومة داخل كل شيء. داخل بيوتكم وأجسامكم وأعضائكم وفوق طعامكم وعيونكم وأخلاقكم وكل صيغ ومعاني حياتكم. .

. . مع أنها تصوغ كل كينوناتكم وانفعالاتكم وطاقاتكم وألوانكم وتحركاتكم صحة ومرضاً، قوة وضعفاً، ذكاء وغباء، جمالاً ودمامة. فرحاً وكآبة، انتصاراً وانهزاماً، أنيناً

وغناء، تشاؤماً وتفاؤلاً، رضا عنك وشكراً لك وسخطاً وانفجاعاً بك وعلبك يا إلهي .
نعم، إن كل ذلك هو بعض ما تفعله هذه الكائنات الجرثومية !
.. هذه الكائنات تفعل بكم ولكم أكثر وأقوى مما يفعل بكم ولكم آلهتكم
وأنبياءكم !

.. إن هذه الكائنات كانت وظلت منذ بدء الحياة غالباً تحتل وتفترس وتذل وتقتل
وتقاتل وتهزم جميع الكائنات الحية .

وكان أكثر من كان يقاسي منها ولا يزال يقاسي صفيك وحبيبك ومختارك وفرحك
الإنسان .

وقد تكون مقاساتك أنت يا إلهي ومقاساة أعوانك وجنودك السماويين من هذه
الكائنات هي أقسى مقاساة !

إن هذا هو المفروض والواجب حتى ولو بعيونكم وضمايركم وأخلاقكم . . أليست
المقاساة بالعيون والضماير والأخلاق هي أنبل وأتقى وأشمل وأقسى أنواع المقاساة؟
هل لمن لا يقاسون عيون أو ضماير أو أخلاق؟ هل العيون التي ترى ولا تقاسي
بل ولا تتحول إلى جهاز تعذيب عيون؟

.. هل يمكن أو يقبل ألا تقاسوا من ذلك استحياء وانفجاعاً واستقباحاً وتائماً
وعجزاً وانهازماً وافترضاً حين تواجهون وترون وتسمعون من يقاسون هذه المقاساة أي
إن لم تقاسوها بأجسادهم وأعضائكم . أعنيك أنت يا إلهي وأعني أعوانك السماويين؟
أليس من الاحترام والتمجيد لك ولجميع أعوانك هؤلاء يا إلهي الاقتناع والتعليم
والإعلان بأنه لا أحد ولا شيء يقاسي أقسى المقاساة وكل المقاساة بعينيهِ وقلبه وضميره
وأخلاقه وبذاته وجسمه أيضاً مثلك أنت يا إلهي ومثل ملائكتك وجميع أعوانك
وأصدقائك السماويين؟ أليست المقاساة المعنوية والأدبية هي أقل مستويات الكينونة
العاقلة الراضية المحاسبة؟

أليس البديل عن ذلك هو اتهامكم يا سكان السماء بأقسى وأشمل وأدوم وأقبح كل
أنواع وأقبح كل أنواع وصيغ وتفسيرات البلادات والقسوة والغفلة والندالة والعمى وفقدان
الضمائر والأخلاق والعواطف؟ هل يوجد اتهام يساوي في تفسير قسوته وبلادته ونذالته
اتهام الإله وجميع سكان سماواته بأنهم لا يقاسون مهما واجهوا من يقاسون؟

.. إن من يواجه من يقاسون ثم لا يقاسي حتى ولو لم يكن هو صانع مقاساتهم
فلن يكون أكرم أو أنبل من أية حشرة فكيف إذا كان هذا المواجه هو صانع المقاساة؟

لهذا كم أرفض يا إلهي ألا تكون أنت وأعوانك أكرم أو أنبل من أية حشرة في مواجهة من يقاسون.!

.. إنك يا إلهي دون أن تريد أو تدبر أو حتى تدري قد خلقت أو ولدت هذه الكائنات ووهبتها كل هذه المواهب والطاقات الخارقة والمحيرة بل المعجزة والهازمة لكل التفسير والقوانين والاحتمالات المفهومة أو المتصورة.

ولكن لعلك لم تخلقها أو تلدها وإنما تقاطرت وتسلفت من دموعك وأحزانك وكآباتك وأحقادك وبغضائك وآلامك وهزائمك ومن عرق عجزك وإعيائك واستحيائك وفضائحك وندمك.!

لعلها كانت وجاءت أقسى وأقوى وأصدق إفرازات واستفراغات ذاتك الآلية أي غير المرادة والمذبذبة أو المصممة أو المعشوقة أو المشعور بها أو المنزل والمعلمة والمروية في تعاليم وكتب ونبوات أنبيائك. . .!

بل لعلها كانت كل طاقات وتفسير أعصابك وعضلاتك وتمنياتك. وأيضاً كل طاقاتك وتفسير أخلاقك وذكاكك وعقلك وتدبيرك سرقتها منك أو تساقطت وهربت منك لتكون هي بكل هذه الطاقات والانتصارات وتكون أنت بكل هذا العجز والهزائم.!

لعلها أي هذه الكائنات الجرثومية قد امتصت منك يا إلهي كل المعاني المفترضة فيك والمطلوبة منك لكي تجيء هي بكل هذه المعاني الفاعلة وتجيء أنت بكل هذا الفقد لكل هذه المعاني.!

أي لعلها فعلت ذلك حينما أفرزتها واستفرغتها ذاتك أو حينما تسلفت من ذاتك دون أن تريد أو تدري أو تحزن أو تبكي أو تشكو.!

أليست هذه التفسير هي أكثر التفسير برأ بك وإشفاقاً عليك ودفاعاً عنك وسترأ على ما لا يمكن الستر عليه؟ أليست أجمل التفسير لك هي أردأ التفسير المعقولة والمحترمة؟

هل يقبل أي كائن مهما كان ضعفه وجهله وبلادته وسقوطه أن يفسر سلوكه ومنطقه بتفسير سلوكك ومنطقك؟

هل تستطيع أنت يا إلهي وجميع أجهزة إحصائك أن تحصى الاهتمامات والأوقات والطاقات الفكرية والعلمية والنفسية التي استهلكها البشر في كل أجيالهم وأطوارهم ومثاهاتهم لكي يكتشفوا ويجدوا ويعرفوا هذه الكائنات الجرثومية ولكي يقرأوا ويتعلموا أخلاقها وطاقاتها ووظائفها ومن أين تجيء ولماذا تجيء وأين توجد ولماذا توجد وماذا

تفعل ولماذا وبمن تفعل ومن أراد لها أن تفعل وأوجدها لتفعل . . من فتن بجمالها وضخامتها ونظافتها فوهبها كل هذه العبقريات والقدرات . . وكيف يقاومونها ويهربون ويتحصنون ويتداوون منها ويضعون الحدود والسدود والحواجز والحراسات بينهم وبينها . .

. . وكيف يتضرعون إليك وإلى أوليائك وأدعيائك وأنبيائك ويقدمون لكم وإيكم التماسم والرقى والتعاويد والهدايا والقرايين والرشوات والصلوات وكل السخافات والبلادات والمهانات والمذلات العقلية والنفسية والأخلاقية والاعتقادية . . لكي تحموهم أو تنقذوهم منها أو لكي تخففوا عنهم من غزواتها وضرباتها وانتصاراتها بنصائحكم وعظائمكم وإرشاداتكم لها . .

. . لكي تنصحوها أي تنصحوها هذه الكائنات الجرثومية بأن تعاملهم بشيء من الإشفاق والرحمة . . بأن تضربهم وتفترسهم ببعض أنيابهم وعضلاتها لا بكل أنيابها وعضلاتها . !

وهنا لا بد أن يتفجر هذا السؤال الحاد بل القاتل :

كيف لم تفعل أنت ولا أحد من أعوانك أو أجهزتك شيئاً لمساعدة البشر على نضالهم الطويل الأليم الحزين الفادح التعذيب الذي ظللتم ترونه وتواجهونه وتسمعونهم وتقرأونه وتعذبون وتفجعون به وتحترقون استحياء منه ومن عاره وتحقيره وتعبيره لكم في كل تاريخكم وتاريخ البشر أعني إن كانت لكم عيون أو آذان أو ضمائر أو أخلاق ترى أو تسمع أو تقبل أو ترفض أو ترضى أو تغضب أو تعجب أو تشمئز أو تتخاطب مع أي شيء أو يخاطبها أي شيء . .

. . أعني إن لم تكونوا أميين أمية شاملة ودائمة في كل أحاسيسكم وحواسكم وصيغكم وتفاسيركم ومعانيكم أعني مساعدتهم على نضالهم هذه لمقاومة هذه الكائنات التي لم يعرف شبيه لها في دقة واختفاء ذواتها ولا في ذكاء وقوة وتسديد ضرباتها وهجماتاتها؟ لقد كانت القاتل المقاتل الذي لا يراه أو يجده أو يعرفه مقتوله . !

هل كان تخليكم عن هذه المساعدة عجزاً أم قسوة أم بلادة أم ندالة أن شماتة أم استمتاعاً أم غيوبة أم تفسيراً آخر؟

وهل يمكن أن يوجد هذا التفسير الآخر؟

ليتني أجد هذا التفسير الآخر الذي هو أفضل أو أقل قبحاً من كل هذه التفاسير

لكي يخف عذابي وانفجاعي واستقباحي واشمئزازي بكم ومنكم أعنيك أنت وأعوانك وأجهزتك يا إلهي . !

قد ترى وتقتنع يا إلهي أنت وجميع أنبيائك ودعاتك والمؤمنين بك أن هذين المثليين أو النموذجيين قادران على الاقتناع بأن أرباح هذه الكائنات من وجودك وعطاياك لها ضخمة ، ضخمة . !

قد ترون أي أنت وأعوانك وشعراؤك يا إلهي إنني بهذه التفاسير لأرباح هذه الكائنات قد استطعت أن أهبكم القدرة على هذا الاقتناع . ! . وكم أسعد لو استطعت أن أقدم شيئاً قد يهبكم شيئاً من الرضا عن النفس ومن الإعجاب بها . .

. . ولو اخترنا لأسباب إنسانية ألا نفسد عليك فرحك وبهذا الاقتناع وألا نحاورك فيه أو نحاسبك عليه مع أن الالتزامات العقلية والأخلاقية تفرض علينا أن نفعل ذلك بك ومعك . نعم ، لو اخترنا هذا فهل ترضى وتطمئن إلى أننا في حوارنا لك لم نكن راغبين في الانتصار عليك أكثر من رغبتنا في أن نجد منك وفيك ما قد يحمد أو يرضي أو حتى ما يقبل أو يعقل يا إلهي ؟ إن الانتصار على الإله لن يكون في تفاسيره ونتائجه انتصاراً . لن يكون إلا انهزاماً للمتضرر وللمهزوم أو للمتضرر فقط أي في عواقبه ومعانيه . !

. . في هذه اللحظات وتحت إحياءات هذا الحوار عما تربيحه وتستفيده من وجودك هذه الكائنات أي الحيوانات والحشرات والجراثيم وغيرها من الكائنات التي لم تستطع ولن تستطيع أن تراها عيونك أو تكتشفها أو تعرف مكانها أو أوصافها أو وظائفها أجهزة مخابراتك يا إلهي .

- أجل . هنا لا بد أن يصرخ هذا السؤال المحرج الموجه ليقول بكل اللغات والأصوات :

وأنت أيها الإله ماذا تبيع أو تستفيد من وجود هذه الكائنات ومن إبداعك لها أي الحيوانات والحشرات والجراثيم والكائنات التي هي أدق وأخفى منها أي إن كان يوجد ما هو أدق وأخفى منها؟

أليس محتوماً أن تكون لك يا إلهي أرباح من نوع ما وألا تكون خاسراً أبداً؟

. . هل يقبل يا إلهي أن يشترط أو يطلب الربح لها أي لهذه الكائنات المسماة بالكائنات الدنيا من وجودك ويسألة ويبحث عن هذا الربح ثم لا يشترط أو يطلب أو يسأل أو يبحث عن الربح لك من وجودها؟ هل يقبل أن تكون ربحاً وعطاء لكل شيء دون أن يكون أي شيء عطاء أو ربحاً لك يا إلهي؟

.. أو هل يحدث أن يريد ويخطط ويفعل أي كائن بلا أي ربح أو تأميل في أي ربح أي ولو ربحاً هزلياً أو نفسياً أو من أي نوع بأي تفسير؟ هل يقبل يا إلهي أي كائن مهما كان بؤسه وضعفه أن تفسر حظوظه وتفاسيره وبالحظوظ والتفاسير التي أرادها لك أنبيأوك ودعائك؟

.. لقد قلت يا إلهي وقال آخرون إن ربحك من وجود الجن والإنس أنهم يؤمنون بك ويعبدونك وأنهم أيضاً يعزون ويسلون ويلهون ويجاملون أحزانك وحرمانك وفراغك وضياعك وحيرتك بمناجاتك ودعائك وبالهتاف لك وباستماعك إليهم وانتظارهم لحضورك أو ظهورك وتحديقهم في السماء ليروك راكباً كل النجوم والسحاب والرياح قادماً هابطاً إليهم لابساً أجمل أزيائك صانعين لك بذلك كل الضحك والفرح الأبله الحزين . !

هل تنتظر أو تتمنى أو تطلب يا إلهي ربها يساوي في حساباتك هذا الربح؟ .. ولعلمهم أيضاً أي الجن والإنس يصنعون لك هذا العزاء والتسلي والتلهي والفرح والضحك بل والطرب والشماتة بتعاديهم ومخاصماتهم وملاعنتهم وانقساماتهم وحروبهم وبجهالاتهم وبلاداتهم وسفاهاتهم وبانتماءاتهم القومية والدينية المذهبية والتاريخية والمكانية المصابة بكل تفاسير الغرور والغباء والوقاحة والعدوانية والخطابية ولعلمهم أيضاً يصنعون لك يا إلهي اللذة التي حرمت منها حين تشاهدهم فوق سررهم يفعلونها بكل النشوة والجنون والافتضاح السعيد . !

.. أليسوا بكل هذه الآثام والمخازي يصنعون لك يا إلهي كل هذه النشوات والمسررات والرقصات الروحية البلهاء وإلا فكيف ولماذا أردتهم وتقبلتهم وصغتهم كذلك؟

أليس الحكم عليك يا إلهي بأنك تحب وتريد ما يحدث وتسعد وتفرح وتتعزى وتتلهى وتتداوى روحياً وعقلياً وأخلاقياً وفنياً به أفضل أو أقل هجاء وذماً وسباً وإهانة لك من الحكم عليك بأنك مكره عليه بكل صيغه وتفاسيره . أو بأنك لا تعرف أو تدبر أو تريد ما تفعل أو ما يحدث؟

ولكن أليس الأفضل لك أن تكون مستفرغاً لا مدبراً أو مريداً أو فاعلاً؟

أليس الحكم عليك يا إلهي هو أبداً أحد اختياراتين كلاهما أليم وحزين ومهين وفاضح فاجع . أو أحد خيارات كلها كذلك؟

ألست يا إلهي الكائن الفريد الذي لن يستطيع جميع محبيه ومحترميهِ وجميع

المشفقين عليه أن يختاروا له تفسيراً أو أن يجدوا له تفسيراً يفهمه ويرضاه ويختاره العقل أو الأخلاق. وليس تفسيراً تفرضه الحيرة والعجز والحصار بين الاختيارات الأليمة القبيحة المهينة التي ترفضها بل التي تشمئز منها نماذج المنطق والأخلاق والعدل والحب والكرامة والرحمة والشرف والفنون؟

ألست يا إلهي الكائن الذي لا يمكن أن توجد أو ترى أو حتى تفترض له صورة إلا مملوءة بالتشوهات والعاهات والخطايا والفضائح بل والعار والجنون؟

ألست يا إلهي الكائن الذي لن يستطيع أي مصور أو رسام أو مثال أو فنان أن يجد كل نماذجه أي نموذج يرضاه أو يحترمه أو يفهمه أو يعقله أو يتمناه أو يقبل أن يعبر به عن جلده أو عن سخريته. عن ضحكته أو عن بكائه، عن حزنه أو عن فرحه؟

انظر يا إلهي إلى وجهك في كل مرآة وفي أية مرآة. انظر إليه ولو بقدر قليل جداً من الرؤية والصدق والشجاعة والمحاكمة ثم انظر هل يمكن أن تجد فيه مهما حاولت أن تحابي نفسك شيئاً يمكن أن يحب أو يقبل أو يعقل أو يغفر أو ألا يثير كل الاشمئزاز والغثيان والانفجاء؟

.. نعم، انظر إليه كذلك في كل حالاته وتعبيراته ثم انظر هل تقبل أو تجرؤ أن تنظر إليه أي إلى وجهك مرة أخرى أو أن يراه أي كائن آخر؟

هل يمكن يا إلهي أن يكون التفسير أنك لا تملك ولا تعرف ولم تملك أو تعرف في كل تاريخك أية مرآة ولم تمرّ من أمام أية مرآة أو تدخل أي بيت فيه مرآة؟

وكم أرجو ألا يخفى عليك يا إلهي أنني أعني هنا وجهك الأخلاقي والمنطقي والفني والكوني وليس وجهك الذاتي فقط.!

.. إن هذا الكون بكل صيغه ومرائيه وأخلاقه وقراءاته وتفسيره. . بكل أجساده ووثابه. . بكل براغيثه وصراصيره وجراثيمه وذبابه. . بكل إنسانه. . بكل زعماء وأنبياء وقادة ومجانين ودجالي إنسانه. متحاربين ومتعادين ومتخاصمين ومتلاعنين ومتبارزين بأصوات ولغات الزعامات والقيادات العربية - نعم، إن كل هذا الكون بكل وقاحاته وعاهاته وتشوّهاته وآفاته وذنوبه هذا. أو بكل جماله وفضائله ومزايه وعبقرياته وفنونه وقوانينه وطهاراته هذه هي بعض صيغ وتعبيرات وجهك يا إلهي. هي بعض جمال وجهك يا إلهي.!

.. إذن كيف لو رأيت وجهك هذا يا إلهي؟ وهل تستطيع أو تجرؤ أن تراه، أن تراه، بل أو أن ترى من رآه أو يراه. . أن ترى أي شيء من صيغ أو تفاسير أو تعبيرات

وجهك هذا؟ هل تستطيع حينئذ أن ترى أية حشرة مفسدة بك أو مفسراً أنت بها مفسراً بها فكرك أو فنك أو جمالك أو نظافتك أو أخلاقك. أن ترى أية حشرة فوق وجهك المعنوي؟

. . ماذا يا إلهي لو أنك لم تلقن لأية عين أو عقل أو خلق ثم طلب من كل العيون والعقول والأخلاق أن تراك أو تتصورك أو تتمناك أو هل يمكن حينئذ أن تتصورك أو تتمناك أو تقبلك أو تعقلك أو تختارك في النموذج الذي جئت به أو الذي وضعت فيه أو الذي جاء أنبيائك ومعلموك ليقيدوك ويصوغوك ويفسروك به أو الذي جاء ليكون الكون وكل شيء بعض تعبيرات وحالات وجمال وجهك وعقلك وأخلاقك وفنونك؟ وماذا لو أن أي ذباب أو برغوث أو صرصار أو قملة أو وباء عرف أنه بعض صيغ وتعبيرات وجمال وجهك يا إلهي؟

أليس المفروض حينئذ أن يجن ويتأله فرحاً أو أن يموت أو ينتحر اشمئزاً وخجلاً؟ أكرر أن المراد هنا وجهك المعنوي الفني والأخلاقي. !

. . نعم، قد يقال إن كل هذا هو بعض أرباحك من وجود الجن والإنس يا إلهي أو من إبداعك لهم بل وإنه لا أرباح ولا أمل في أي أرباح لك غير هذه الأرباح التي تربحها أو التي تؤمل أو تظن أو تزعم أنك تربحها من الجنة والناس معتذراً ومكفراً ومعوضاً بذلك عن متاعبك وأحزانك وحرمانك وهزائمك الشاملة!

وأيضاً مفسراً به وجودك الذي لا تعرف من فرضه عليك ومتى فرضه ولماذا بل لقد قيل هذا ولا يزال يقال . . ولقد وجد وسوف يظل يوجد ويتزايد من يصدقون ويعلمون ويفسرون ذلك ويدعون إلى تصديقه وإلى التعبد والصلاة له، ويعلمون أن فرحك بأرباحك هذه قد حولك إلى مهندس وبناء وعامل بل وإلى نخاس تقاسي لكي تبني الفردوس وتملاه بالغلماں والجواري رشوة لواهيك هذه الأرباح. !

. . بل إن طمعك في هذه الأرباح التي تنتظر أن يهبك إياها وجود الجنة والناس وأملك في الحصول عليها هما اللذان جعلاك تتنازل عن كرامتك وكبرياتك ووقارك وتفقد كل ذكائك ورؤيتك وتقاسي متقبلاً كل هذه الإهانات والوقاحات والتفاهات والأكاذيب والمعاصي التي يقدفك ويلوثك ويلعنك ويحقرك ويعاقبك وبذلك ويغيضك بها كل أوقاتك هؤلاء الذين كنت تؤمل مخطئاً خطأ فاضحاً فادحاً أن يهبوك المجد والحب والفرح والسعادة أي الجنة والناس . . إن أحداً لم يخطئ أو يخدع مثلما أخطأت وخدعت يا إلهي في انتظارك للأرباح والأمجاد التي كنت تريدها وتتوقعها من الإنس والجن. !

إنك في هذه القضية أخسر تاجر بل أخسر مقامر. بل إن أخسر المتاجرين والمقامرين لن يقبلوا أن يكونوا أشباهاً وأنداداً لك في خسرانك هذا!

إن أي تاجر أو مقامر مهما كان عجزه الشامل لن يقبل يا إلهي أن تكون شريكاً أو مساعداً أو ناصحاً له في أية صفقة أي لو أنه وعى وحاسب خيبة وبلادة مقامرتك بخلقك للجن والإنس متاجراً وحاسباً أنك رابح، ومصرراً على أنك رابح وعلى أنك سوف تظل تربح. تربح. إن كل المقامرين والمتاجرين الخاسرين لا بد أن يعجبوا بذكاء مقامراتهم ومتاجراتهم أو حاسبوها بذكاء مغامراتك ومتاجراتك هذه يا إلهي!

إن أقبح ما في هذه القضية يا إلهي أنك خدعت وأخطأت وظللت أبداً مخطئاً مخدوعاً ثم ظللت أبداً عاجزاً عن أن تفهم أو ترى أنك مخطئ مخدوع أي في تأميلك أن يصنع لك الجن والإنس أي ربح أو مجد أو سعادة أو كرامة أو كبرياء أو رضاً عن النفس بل أو ألا يصنعوا لك كل الغيظ والغضب والعذاب والهوان والتحدي المذل المتوقع بل وكل الهزائم في كل الميادين بكل تفاسير وصيغ الهزائم.

إنه لم يوجد ولن يوجد عاجز مثل الإله عن رؤية ومحاسبة وإصلاح خسرانه وأخطائه وعن التراجع عنها أو الاعتراف بها أو الأسى والندم عليها!

.. إن أي كائن لم يلق من الهوان والخسران والغيظ والعصيان والهزائم مثلما لقيت أنت يا إلهي من جنك وإنسك هؤلاء الذين أردت بهم ومنهم أن تكون تاجراً أو مقامراً رابحاً ناجحاً فجئت أخسر وأبلد تاجر ومقامر. . . فجئت يا إلهي فضيحة لكل فنون وذكاء وأخلاق المقامرة والمتاجرة بل جئت مستحقاً لكل رثاء وإشفاق كل المقامرين والمتاجرين حتى للخاسرين جداً منهم!

ولكن ألا ينبغي أن نترك تستمتع بأوهامك القائلة لك أو المقولة لك وعنك بأنك تربح كل هذه الأرباح أو بعضها من وجود الجن والإنس مؤملين أن تتجمع وتتفرغ كل طاقاتك واهتماماتك وحماساتك لتستمع إلى هذا السؤال أو الحوار الفاجع المهين بل المخجل وهو: ما الذي يمكن أن تستفيده أو تربحه أخلاقك أو كرامتك أو سمعتك أو حكمتك أو رحمتك أو نظافتك أو قوتك أو كبرياؤك أو عينك أو أذناك أو أي شيء من معانيك أو تفاسيرك أو أشواقك أو مجاعاتك أو أحزانك أو حواسك أو تاريخك أو جمال وجهك أو قوة عضلاتك أو تعاليم ونبوات ووجوه وأخلاق وثياب أنبيائك ودعاتك.

- نعم، ما الذي يمكن أن تستفيده أو تربحه أنت يا إلهي بأي معنى أو تفسير من معانيك وتفاسيرك المطلوبة والمرادة لك والمفروضة والمعقولة والممجدة فيك.

- ما الذي تربيحه أو تستفيده من وجود هذه الكائنات أعني الحشرات والجراثيم والكائنات الأخرى التي قد تكون أخفى وأردأ وأكثر إيذاء ووقاحة وبذاءة وقذارة منها، وكذلك من الحيوانات التي قد نستثني لك بعضها لأنك قد ترى أن بعضها هذا فيه كل الربح والفائدة والسعادة والفرح لك حين ترى الإنسان يسخره ويقهره ويقتله ويذبحه ويضربه ويركبه ويعقله ويعتقله ويسجنه ويجيعه بل ويلعنه ويمثل به ويشوهه ويأكله ويسرقه ويقيده ويلجمه بلا أية قوانين أو حماية أو حقوق أو أسى أو إشفاق أو رحمة وحين ينقصه ويصطاده بأقسى وأنذل الأساليب والأسلحة. . وأيضاً حين ترى هذا الحيوان يقتل ويأكل ويجرح ويشوه ويطارد ويخيف بعضه وأيضاً حين تراه أي هذا الحيوان ضائعاً ضالاً جائعاً!

- نعم. يا إلهي لو سلمنا لك إشفاقاً عليك ومجاملة وثناء لك بأرباحك هذه المزعومة من مقامرتك ومتاجرتك بخلقك للجن والإنس فما الذي يمكن أن نجده ونزعمه ربحاً لك من هذه الحيوانات والحشرات والجراثيم والكائنات الأخرى مهما حاولنا أن نتعذب مجاملة وثناء لك وإشفاقاً عليك؟

إنها ورطة، ورطة لك ولنا ولكل العاطفين المشفقين عليك بكل عقولهم وأخلاقهم وقلوبهم وإنسيانياتهم. إن صاحب أي قطع لن يقبل أن يكون هو وقطعانه مثلك أنت يا إلهي وقطعانك في أي شيء من معاني القطعان وأصحابها.!

. . إن كل صيغ وأساليب وتعبيرات الرثاء والإشفاق لن تكون كافية رثاء لك وإشفاقاً عليك يا إلهي حين تكون ملزماً أو مرجواً أو شاعراً بأنك ملزم أو مرجو أو مطالب أو منتظر منك أن تجد جوابك لهذا السؤال. . أن تكون محاسباً ومحكماً به. في هذه اللحظة أكاد أسمع الورق والقلم في يدي يصرخان ويستغيثان ويتضرعان إشفاقاً عليك يا إلهي ورثاء وحزناً ليأس وقسوة وهوان وافتضاح موقفك ويطالبانني بشيء من الرحمة، الرحمة بك. وأكاد أسمعهما يهددانني بالعصيان والتوقف عن الحركة إن لم أستجب لطلبهما مني هذا الشيء من الرحمة. الرحمة بك!

رسالة إنسانية إلى ضميرك يا إلهي

. . إنك يا إلهي أنت الكائن الفريد الذي لا يأذن لأحد بلقائه إلا بعد أن يقتله، والكائن الفريد الذي يعتقل كل من لقيه أو زاره دون أن يأذن له أو يتركه ليعود إلى وطنه وأهله أو ليختار بين البقاء والعودة. ! . لهذا لا أحد يقبل أو يحب لقاءك أو زيارتك حتى ولا أتقى أنبيائك وأوليائك . إنهم يهربون منك أكثر مما يهربون من أي وباء . !
. . لماذا تتفرد يا إلهي بهذا الخلق أو السلوك الذي جعل أتقى عبادك وأنبيائك لا يتعذبون بشيء مثل عذابهم خوفاً من لقائك؟

هل وجدت فيه أي معنى جيد أو مفرح أو ممجد أو مريح لكي تتفرد به ولكي توصف وحدك به؟ كائن لا يأذن لأحد زاره بالعودة ولا يأذن لأحد بزيارته أو بلقائه إلا بعد أن يقتله. ! . من صاغ هذا الكائن؟

. . ألا يمكن أن تراجع حساباتك في هذه القضية بل وفي كل قضية أخرى؟ ألا يمكن أن تراجع كل خطأك ورؤاك يا إلهي؟
كم أتمنى لك ذلك وأطالبك به. . ؟ .

لماذا يا إلهي أنت أبدأ الكائن الذي لا مثيل ولا نموذج له في خروجه على كل القيم الأخلاقية والحضارية والمنطقية والنفسية والفنية والإنسانية بل وعلى كل القيم والتعاليم الدينية والإلهية؟ نعم، إنه لا يوجد ولن يوجد خارج على جميع القيم والأخلاق والتعاليم الدينية والإلهية مثل الإله أي مثلك يا إلهي! كيف إذن لا توقع بنفسك كل العقاب؟

فكر يا إلهي فكرر. . هل وجد أو يمكن أن يوجد خارج على كل الأديان وعلى كل تعاليمها وعلى كل معاني الإله وتعاليمه وعاص لكل ذلك مثلك يا إلهي؟
كيف جهلت أنت وكل دعائك وأنبيائك ذلك؟ كيف وجد من يجهل ذلك؟

فكر يا إلهي: هل يوجد من يستحق العقاب والعذاب لشمول خروجه على الأديان والأخلاق وعلى كل تفاسير ومعاني الإله مثلك يا إلهي؟ إذن كيف لا توقع بنفسك شيئاً مما تستحقه؟

فكر يا إلهي فكر: هل يوجد عاص ومحقّر للإله مثل الإله؟

فكر يا إلهي فكر.. أليس العقاب الذي تستحقه أكبر وأقوى وأشمل وأعدل من كل عقاب يستحقه جميع المستحقين لكل عقاب أي أليس يجب أن يكون كذلك؟
.. فكر يا إلهي. فكر وهل تستطيع أن تفكر؟ وهل يمكن أن أطالبك بأن تفكر لو كنت تستطيع أن تفكر؟

آه. ما أقسى عذاب من يطالب الإله بأن يفكر وبأن يكون أتقى وأذكى وأزكى وأقوى مما يراه ويجده وبجربه.!

أكرر. أكرر: هل وجد أو هل يمكن أن يوجد خارج على كل معاني الإله مثل الإله أي مثلك يا إلهي؟

هل وصفت نفسك أو وصفك أنبياءك ودعاتك بأي وصف أو خلق جيد إلا وأنت خارج عليه خروجاً مطلقاً.. إلا ولا أحد ينافسك في خروجك المطلق عليه؟
وهل وصفت أو وصفوا سلوكاً ذمياً إلا ولا أحد يباريك فيه؟

.. إذن هل وجد أو يمكن أن يوجد من يستحق كل العقاب المشروع والمطلوب والمنفذ في كل الشرائع والقوانين مثلك أو غيرك يا إلهي؟ هل تراني أكرر ما أقول؟ إنه ليس تكراراً لغوياً أو لفظياً. إنه تكرار نفسي وعقلي وأخلاقي. إنه فيضان.!

.. كم أتمنى أن تحشد هنا كل معانيك المفترضة والمزعومة لك وفيك يا إلهي لكي أتوجه إليك بطلب أو برجاء فيه من جحيم وحرارة العواطف ما لا بد أن يحرق جلود وضمائر كل الآلهة لو قاست بل لو فهمت أو تصورت شيئاً منه.!

اسمع، اسمع.. لماذا أخذته منا يا إلهي أو مني أنا، أنا؟

هل عرفت من أعني؟ أأست إلهاً؟ إذن هل تقبل أن أرى أنك محتاج إلى أن أقول لك من أعني؟

نعم، لماذا أخذته منا أو مني؟ أأست تعلم حاجتنا إليه؟ إذن لماذا أخذته منا؟ ألا تقاسي يا إلهي من العواطف أو من الرثاء لمن يقاسونها؟

أأست حياً؟ هل أنت حي بلا عواطف، ماذا تساوي حياة حي بلا عواطف؟

هل أخذته غيرة وحسداً لنا أم رغبةً قبيحةً . همجيةً في حرماننا وتعذيبنا؟
لماذا أعطيتنا إياه إن كانت سعادتك وفرحك ومجداً وأخلاقك ومنطقك ونيك أن
تأخذه منا؟

ماذا فعلنا بك يا إلهي لكي تريد وتدبر وتنفذ بنا كل هذا العذاب والحرمان بأخذك
له منا؟

. . أما الغيرة والحسد فهل يتخلق بهما أو يقاسي منهما الإله؟
هل يكون ذلك؟ هل يغار أو يحسد أو يحقد من لا يقاسي من العجز أو الهزيمة أو
التخلف في كل معانيه وصيغته أو في بعضها؟

إن الغيرة والحسد ليسا إلا تعبيراً أو محاولة تعويض عن شيء يفقده الغائر الحاسد
ويؤلمه . ويهينه أن يفقده . إن القوي في معانيه أو في واقعه لا يحسد أو يحقد أو يغار
بل يعجب ويقتدي ويباري ويتعلم . . ألسنا بعض مخلوقاتك ومخلوقاتك يا إلهي؟ وهل
يغار الخالق ممن خلق أو يحسده؟ بل هل يجوز أن يعاقبه أو يحاسبه أو حتى يعاتبه إلا
بالمنطق والخلق اللذين يجوز بهما أن يعاقب ويحاسب ويعاتب الصانع أو الفنان ما
خططت وصنعت وصاغت وأرادت وتخيلت يده وخبرته وقدرته وخياله وفنه وعلمه
وأخلاقه وأشواقه وشهوته ورؤاه وحساباته؟

أليس العدل والعقل والحق أن يحاسب ويعاقب المخلوق خالقه وليس العكس؟
. . ومهما جاز لك يا إلهي أن تكون حاسداً فكيف تحسدنا عليه إلى أن تسرقه منا؟
ألست متخماً بمن عندك ومعك وحولك ولك وفي خدمتك وطاعتك وصحبك من
زبانية وملائكة وأنبياء وعوالم سماوية وكونية؟ لهذا سوف أظل أسأل وأسأل بكل
الاحترق واللهفة والحيرة والانفجاع : لماذا أخذته منا؟ لماذا؟

هل رأيت أنه أجمل وأعظم وأكبر من كل هؤلاء لهذا أحسدنا عليه . لهذا أخذته
منا؟ ألا تخشى أن تصنع بهذا غيرة هؤلاء منه وحسدهم له ليصبحوا كلهم أي كل من
عندك وحولك ومعك أعداء له؟

. . هل أنت محتاج إليه احتياجاً مؤلماً محرراً هازماً لوقارك وتقواك وتهذيبك لهذا
أثرت به نفسك علينا لأنك فظ الأنانية متوحشها؟

هل عرفت قوة وشمول احتياجي إليه وأنت مفتون برغبتك في تعذيري لهذا رأيت
أن تعاقبني وتعذبني بأخذه منا؟

إني لا أزال عاجزاً عن أن أجِد التفسير لأخذك له منا . !
ولكن هل استرحت إليه وتوافقت معه في أي شيء أو في أية قضية بعد معاشتك
ومعاشرتك ومجاورتك ومحاورتك له؟

هل يمكن أن يكون ذلك قد حدث؟

إنه هو إنسان . إنسان جداً . أما أنت فإله . إله جداً . وهل يمكن أن يوجد أو يتصور
تنافر أو تصادم أو تناقض أو تعاد أو تباعد مثل الذي بين أخلاق ونيات وأفكار ورؤى
الإله والإنسان من ذلك ! .

إن كل معانيه وأشواقه لا بدَّ أن تنكر وترفض وتستقبح كل معانيك وأشواقك .
وأنت لا بدَّ أن تراه وتقف منه نفس الموقف ونفس الرؤية . ! . آه ما أقسى المواجهة
والمناقضة بين معاني الإله ومعاني الإنسان ! .

. . آه يا إلهي ليتك تتحول إلى نموذجي . ليتي ينقل إلى ذاتك ذاتي . !

ليتني يصوغك بمواهبه وأخلاقه . ولكن كم هو فظيع أن تصوغني . !

وهل تستطيع أو تقبل أو تتحمل أن يصوغك لتكون على نموذجي؟

إذن يا إلهي هل أخذته منا إليك لكي تتعلم منه ما يجب أن تتعلمه أي لكي تكون
إلهاً آخر . . إلهاً جيداً ذكياً تقياً أخلاقياً إنسانياً منطقياً بالمستوى الذي هو به في كل
ذلك؟ ولكن هل تستطيع يا إلهي ذلك؟ هل تستطيعه؟ وهل تريده؟ ولو أردته فهل تقدر
عليه؟

. . إن هذا غرض جيد ونبيل وكريم ومشكور . وكم نتمنى أن يكون هذا هو
غرضك المنفذ في أخذك له منا . !

نعم ، ولكن الإنسان الذي أخذته منا والذي أطلبك بإعادته إلينا إنسان سريع وقوي
جداً في تعليمه وتأثيره .

إذن فالمدة الزمنية التي أقامها معك وعندك كافية لتعليمك وتلقينك ولأخذك عنه
كل ما يجب وكل ما تريد أخذه وكل ما تحتاج إلى أخذه مهما كان مستوى ذكائك
وحماسك ورغبتك . !

إذن أليس المطلوب والواجب أن تعيده إلينا بالسرعة التي يكون بها غضبك ورضاك

وتقلباتك المتناقضة المتصادمة . . بالسرعة التي بها تخلق وتعطي وبها تقتل وتأخذ وتمنع؟

. . إنك إن كنت تريد وتستطيع أن تتعلم منه فلا بد أن تكون قد تعلمت . وإن لم تكن تريد أو تستطيع ذلك فلماذا تبقيه عندك وأنت لن تريد أو تستفيد منه شيئاً بل وهو لا بد أن يضايق ويتحدى ويذل أخلاقك ومنطقك وكل مستوياتك الإلهية بمنطقه وأخلاقه وبكل مستوياته الإنسانية المتفوقة؟

لا تعاقب يا إلهي نفسك بمحاسبتك لها به . بمطالبتها بأن تتعلم منه . . !

. . إن رؤيتي وفهمي لك يا إلهي تقولان لي إنك لن تريد أو تستطيع أن تتعلم منه أي شيء . . ! . إن الآلهة هي الكائنات المتفردة التي ترفض أو تعجز أو لا تدري أن تتعلم أي شيء مما يجب تعلمه . !

. . إنك لو تعلمت منه وأنت في قدراتك الهائلة المطلقة المزعومة لصغت هذا الكون وكل شيء صياغات أخرى مناقضة لكل صياغاته المعروفة والمرئية بل لأحرقت هذا الكون وكل شيء فيه اشمئزاً واستنكاراً واستحياءً وفراراً من قبحه ووحشيته ومن خروجه على كل القيم والنماذج المنطقية والفنية والأخلاقية والجمالية والإنسانية التي وجدتها فيه . أي فيمن أخذته منا . !

بل لكان محتوماً وواجباً أن تفقأ عينيك أو أن تنتحر لئلا ترى أو تواجه أو تعايش أو تقرأ أو تفهم شيئاً مما أردت وصممت وخلقت من هذا الكون وفيه . . إنه لا بلادة ولا عمى مثل بلادة وعمى الإله الذي يظل يواجه ويرى هذا الكون دون أن ينتحر أو يصاب بالعمى . . إنه لصعب أو محال أو أقسى أساليب ونيات الاحتقار لك يا إلهي أن نقول أو نعتقد أنك قد رأيت هذا الكون أو شيئاً منه ثم قبلت أن تبقى لك عينان أو حتى شيء من عين واحدة رائية أو أن تبقى حياً أو حتى موجوداً لترى بهذا الشيء الباقي من العين الواحدة شيئاً من هذا الكون . إنه لا بلادة ولا وحشية مثل بلادة ووحشية من صمم وخلق هذا الكون ثم خلق عيوناً لئلا تراه . !

إذن بأي إسم أو ثمن أو دعاء أو هتاف أو لغة أو صلاة ندعوك أو نرجوك أو نرشوك أو ننملقك أو نخدعك أو نسحرك أو نقهرك لكي تعيده إلينا بالسرعة التي بها تفقد ذكاءك ووقارك وشهامتك واتزانك وحبك وعدلك واستحياءك بل بالسرعة التي تدلل

بها على أنك بلا أي شيء من ذلك وعلى أنك لم تكن بشيء من ذلك في كل تاريخك وأطوارك وأشواقك وتمنياتك . .

. . إننا يا إلهي باسم ما لا تملك ولم تملك ولن تملك في كل أطوار وجودك أي باسم الشهامة والحب والنبيل والعقل والإنسانية والألوهية والإشفاق ندعوك ونطالبك أن تفعل ذلك أي أن تفعل ما لا تريد أو تستطيع أن تفعل . . افعله . افعله أيها الإله المتهم أبداً بما ليس فيه وبما لن يكون فيه . ألا تقاسي من الإشفاق؟

آلم تجرب يا إلهي عذاب الحب والشوق والفراق؟ آلم تتصور قسوة هذا العذاب؟ . . اخترق أخلاقك ومستوياتك وتمرد وتفوق عليها يا إلهي ولو مرة واحدة . ولو هذه المرة الواحدة وأعدته إلينا . أعدته . أعدته !

آه كم نشكرك يا إلهي لو أعدته إلينا . كم نتحدث حينئذ عن نبلك وفضلك . ! هل تخاف أن نكرر مثل هذا الطلب منك لو استجبت أو إن استجبت له . . أن نكرر هذا الأمل منك وعليك مرة أخرى؟

هل تعاني من الاستحياء أو الحرج إذا خابت كل الآمال والطلبات منك وفيك؟ هل الطلب منك والتأمل فيك اللذان لن تستجيب لهما أو اللذان لن تسمعهما أو تستمع إليهما يزعجانك أو يحرجانك أو حتى يخجلانك؟

هل ترى أن عليك أن تفعل حين يجب أن تفعل وحين يطلب منك ويؤمل أن تفعل؟ هل وجد أو هل يمكن أن يوجد مثلك يا إلهي صمماً وصمتاً وبلادةً ونذالةً وعجزاً وموتاً أمام من يدعونك وينظرونك ويؤمنون فيك ومنك؟

هل تخرج يا إلهي أمام أي رجاء فيك خائب إلا مثلما يخرج أي ميت أمام مثل هذا الرجاء فيه؟

أيها الإله . يا إلهي . إن اللصوص والقتلة وكل أصناف المجرمين قد يعيدون من سرقوا أو خطفوا أو ارتهنوا أو استرقوا أو أسروا . .

إذن كيف لا تفعل أنت شيئاً من هذا الكرم أو النبيل أو الرحمة أو النخوة؟ كيف قبلت أو كيف يقبل أن تكون أقل من اللصوص والقتلة وكل أنواع المجرمين شهامةً ونبلاً وعقلاً وحباً ورحمةً واستحياءً بل ورجولة؟

. . أرجوك . أرجوك يا إلهي أن ترتفع أو أن تهبط إلى مستوى القتلة واللصوص

والمجرمين لكي تعيد من خطفت وسرقت منا إلينا ولو مرة واحدة. ولو هذه المرة الواحدة. ولو هذا الإنسان الواحد، الواحد.!

أرجوك يا إلهي أن تهبط إلى مستوى اللصوص والقتلة والمجرمين لأن هذا الهبوط هو البديل الجيد عن أن تبقى في مستوياتك.!

اهبط إلى مستويات هؤلاء يا إلهي لكي تعيده أو تفكر في إعادته إلينا.!

أعده. أعده. إني أريد أن أراه. ألقاه. . أن ألقى بكل آلامي وشكاياتي وتطلعاتي وأحزاني وهزائمي بين يديه. في أذنيه. في عينيه، في وعود عينيه وتعبيراتها. في عقله وقلبه وحبه وضميره واستجاباته. أريد أن أصدق في وجهه. في ابتساماته. في عينيه. في حب وحنان عينيه. في وعود وتعبيرات وتفسير عينيه. أريد أن أحيأ وأقبر في عينيه.!

. . أريد أن أقول له. أن أقول، أقول!

. . لماذا يا إلهي لا تجرب أن تعيد إلينا أحداً أو شيئاً مما أو ممن خطفت أو تخطف منا؟ جرب ذلك، جربه. لماذا أنت يا إلهي أبداً صيغةً واحدة؟

. . إن كل أحد بل كل شيء يتغير ويتطور ويتبدل ويتعلم ويتقاعد إلا أنت يا إلهي. . هل تخشى الافتضاح لو أعدت إلينا أحداً أو شيئاً ممن خطفت وسرقت؟

هل يخشى الافتضاح أو يتحمل أي مزيد أو نوع من الافتضاح كائن هذا الكون شيء قليل من قبح ووقاحة وجهه وفكره وضميره وأخلاقه وثيابه وعيونه. . من عرضه لذاته وجماله وفنونه؟

هل يخشى الافتضاح أو يعرف الافتضاح من صمم وخلق واختار الإنسان ليكون أضخم وأجمل عرض لجماله وطهارته ونظافته وشهامته ونبله وتدينه وتقواه وحبه وصدقه وشرفه ورحمته وكبريائه؟

. . قبيح وبلید وصغير وأعمى من أراد أو قبل أو حتى صبر وتحمل أن يكون هذا الإنسان عرضاً لأي معنى من معانيه أو لأي خلق أو قيمة من أخلاقه وقيمه.!. هل رأيت يا إلهي الإنسان؟ آه لو رأيته بكل صيغه وتفسيره. بكل عريه وملابسه؟

. . هل يخشى الافتضاح من أراد وصمم وخلق وعایش وعاشر كل هذا الافتضاح؟ هل المستوي على عرش كل هذا الافتضاح يمكن أن يخشى أو يرفض أي افتضاح أو حتى يتحدث عن أي معنى من معاني الافتضاح؟

هل يمكن أو هل يقبل يا إلهي أن تخشى أي افتضاح مهما خشي ذلك كل المفتضحين؟

هل يخشى الافتضاح من كل شيء هو بعض افتضاحه؟

أليس كل الافتضاح شيئاً من افتضاحك يا إلهي؟

أليس كل العري والعار والعورات هي بعض عريك وعارك وعوراتك يا إلهي؟

أواه يا إلهي كيف عجزت عن رؤية ذلك؟ كيف عجز عن رؤيته جميع أنبيائك ودعاتك؟

. . كيف عجز أو يعجز عن رؤيته أي كائن مهما كان عماه وجهله وغباؤه؟ من صنع وحسب وقدر لك ذكاءك ورؤيتك ومحاسبتك لنفسك وللأشياء يا إلهي؟ لقد كان ظالماً ومهيناً ومحقراً مصغراً لك . !

آه . هل تخاف يا إلهي أن يصفك أو يتحدث أو يروي عنك أو يصورك أو يرسمك أو يفسرك من رأوك وجالسوك وحاوروك وقرأوك وفهموك وحسبك وقاسوك أو عادوا إلينا أي لو تركتهم يعودون؟

هل أنت يا إلهي كريبه ودميم ومشوه بكل هذه القسوة والفظاعة حتى لترفض وترهب وتهاب وتخجل أن يفارقك من رأوك أو جالسوك أو عرفوك أو زاروك خيفة أن يصفوك أو يتحدثوا عما رأوا ووجدوا وعرفوا عنك ومنك وفيك؟ هل يخشى أن يوصف من كل هذا الكون وكل عاهاته وتشوهاتة ونذالاته هي بعض أوصافه؟

. . أليس محتملاً بل أليس محتمواً أن يكون هذا هو التفسير لرفضك الدائم الوقح القبيح أن تعيد إلينا أحداً ممن أخذت؟

هل يمكن أن يوجد أي تفسير آخر لهذا الرفض أي لرفضك هذا؟

فكّر يا إلهي واستعن بأفكار كل من حولك من أعوان ومستشارين وانظر هل يمكن أن يوجد أي تفسير آخر لذلك؟ هل يمكن؟

أرجوك . أرجوك يا إلهي أن تذكر لي هذا التفسير الآخر إن كان يوجد لأنني متعب وعاجز عن أن أجد هذا التفسير الذي أريد بكل اللهفة والعذاب أن أفسرك به . !

ولكن أرجو أن تقبل مني يا إلهي ما أريد أو أقدمه لك وأتعهد به من إعطائك كل الأمان والضمان من هذا الخوف . من خوفك هذا . نعم . وإذا كان هذا هو التفسير

فلماذا تخلق من ترهب أن يروك ويعرفوك؟ وإذ خلقتهم فلماذا تأذن وتريد أن يلقوك ويروك؟ بائس ذكاؤك.!

إن الذي نطالبك بإعادته إلينا إنسان لم تجرب مثله يا إلهي في نبلة وتهذيبه وفي حبه للستر حتى على من لا يستحقون الستر وحتى على من لا يستطيع الستر عليهم أمثالك يا إلهي. وهل يستطيع الستر على من كل ما في هذا الكون هو بعض عاره وافتضاحه على من يرى كل دمامات هذا الكون هي بعض جماله؟

. . إنه لن يستطيع أو يقبل أن يكون فاضحاً أو مغرياً لا لك ولا لسواك يا إلهي إنه ليس فضاحاً. إنه ستار أعني من نطالبك ونرجوك ونحاورك لتعيده إلينا. .

. . إنه ليس راوية أو عاشقاً للعيوب والفضائح والتشوّهات والدمامات.!

إنه راوية ومريد للحب والجمال والاستتار والفرح والسعادة. .

. . إنه، إنه. . إنه من أتمنى أن تسعد وتشرف بمعرفته ونسعد بعودته من عندك. . إذن كم نرجوك وندعوك أن تعيده إلينا بالسرعة التي تفقد بها يا إلهي ذكاءك ووقارك وكرامتك وشهامتك وكبرياءك وحبك وعدلك ورؤيته وكل المعاني المزعومة لك وعنك وفيك لأي غرض وبلا أي غرض مفهوم أو غير مفهوم.!

وهل تفعل يا إلهي لأي غرض مفهوم أو غير مفهوم؟

. . إني منتظر، منتظر، ومتلهف، ومتلهف و متمنٍ، متمنٍ أن تكون يا إلهي رحيماً أو كريماً أو نبيلاً أو شهماً أو أن تكون شيئاً من ذلك ولو على مستوى اللصوص والقتلة والمجرمين لكي يعيده إلينا.!

ألا يوجد فيك يا إلهي أي معنى كريم أو رحيم أو شهيم يخاطب فيسمع ويفهم ويستجيب لكي نطلب منه أن يعيده إلينا؟

. . هل جربت يا إلهي لهفات وآهات وأنات الشوق والحب والفراق؟ هل تقاطرت يوماً منك دموع الحب أو الشوق أو الإشفاق أو الأسى؟

أين زراع القلوب الصناعية لكي يزرعوا فيك قلباً أي قلب يا إلهي؟

هل تخلق فيك في أي يوم من تاريخك قلب يحب أو يشواق أو يتذكر أو يحيا ويقاسي حتى ولو قلباً مصنوعاً أو مزروعاً؟ هل كان يمكن أن يكون أي شيء كما كان يا إلهي لو أنه تخلق فيك في أي طور من أطوار وجودك أي معنى من معاني القلب؟ هل

يقبل أو يستطيع أي معنى من معاني القلب أن يواجه أو يرى شيئاً مما ترى وتواجه لأنك بلا أي قلب؟

.. أليس من شروط أي إله لأن يكون إلهاً ويبقى إلهاً ويقبل أن يكون ويظل إلهاً ألا يكون فيه أي معنى من معاني القلب المحرق أو المحترق، المتلهف أو المتلهف عليه، الطالب أو المطلوب؟

إله له قلب.!. هل يمكن هذا؟ إن كل شيء فعله ويفعله ويراه ويواجهه لا بد أن يحرق حينئذ قلبه أعني الإله لو أمكن أن يكون له قلب.!

إن الذي صاغك يا إلهي صاغك بلا قلب لكي تقبل أن توجد وتحيا وتفعل وترى.. إن أي قلب لن يقبل أو يستطيع أن يركب في ذات أي إله، وإن ذات أي إله لن تقبل أن يركب فيها أي قلب.!

لهذا فإن كل ما في هذا الوجود من أشياء وأحداث إنما حدث ويحدث خارج حدود كل القلوب. إن كل معاني القلوب وتفاسيرها لن تقبل أن يحدث أي شيء مما حدث ويحدث.!

.. حتى القلوب.. إنها لم ترد أو تصمم أو تخلق أو تتولد أو تنبت أو تستفرغ إلاً خروجاً على كل القلوب.. على كل تفاسيرها وأخلاقها.!

إن وجود القلوب لعدوان على كل معاني القلوب وتشويه وتعذيب لها.!

. آه يا إلهي. إني مريض بالإشفاق عليك وبالاستحياء من أجلك.. من عجزك عن أن تكون أي شيء من معاني الشهامة والاعتراف بالجميل ومجازاته ولو بشيء قليل جداً مما يستحقه.!

لقد تعذبت وقاسيت كثيراً وطويلاً جداً لأعطيك وأعبدك وأمجّدك وأصنع لك كل السرور والرضا والفرح والابتسام.!

.. لكي أصبح بلا قصد أنا المتفضل عليك الدائن لك بل الواهب لك.!

.. لقد عذبت نفسي طويلاً وبكل القسوة من أجلك يا إلهي.!

هل نسيت شيئاً من هذا أو عميت عنه؟ هل تستطيع أن تنكر ضخامة ما أعطيتك يا إلهي من حبي وشوقي ومديحي وإعجابي ورهبتي وخوفي وثقتي؟

.. ولكنك أنت لم تفعل أي شيء لمجازاتي على ذلك أو لتعويضني عن عذابي لك وبك. عابداً ساجداً متقرباً متضرعاً متطلعاً منتظراً.!

كيف يا إلهي لم يعذبك الاستحياء مما فعلت لك دون أن تفعل لي؟ كيف؟
.. والآن ألا يمكن أن تصاب بشيء من الشهامة والاستحياء أو التقوى أو يقظة
الضمير لتعيد إلينا، إلهي من أطالبك بإعادته ليكون ذلك شيئاً من محاولة التسديد لشيء
من ديوني وحقوقك عليك التي لن تستطيع أنت ولن يستطيع أي شيء ولا كل شيء أن
يسددها؟

أرجوك أن تفعل ذلك. أرجوك وأطالبك. هل يظل أبداً خائباً من يرجوك؟ وقد
تذهل حينئذ يا إلهي من سخائي من ملاقاتك إذ قد تجد أنني قد أسقطت كل ديوني
وحقوقك عليك جزاءً وشكراً لك على ذلك. !

إنها صفقة ملائمة وواهبة لك جداً فهل ترفضها عاجزاً عن فهمها؟ ما أضع وأندل
أن تكون يا إلهي أبداً آخذاً وطالباً ومعطى دون أن تعطي أو تجزي أو حتى تشكر. !
كيف يا إلهي تقبل أن تكون أبداً بهذا المستوى الذليل؟

آه كم هو قبيح وغبي ورديء أنك يا إلهي تأخذ كل أحد إليك بلا أي اختيار أو
رؤية أو تفسير أو غرض أو تمييز. !

إنك لا تترك أحداً لأنه لا يوجد فيه ما يؤخذ أو يعطى أو يفرح أو يسعد أو يمجد
أو إلا ما يصنع كل الاشتمزاز والاستقباح والغيظ والخسران والغثيان. !

.. إن كل الآخذين لا بد أن يختاروا بأسلوب أو بعدد من أساليب الاختيار بذكاء
وكرامة أو بلا أي قدر من الذكاء أو الكرامة. .. إنه لم يوجد ولن يوجد أي آخذ بلا
حساب أو رؤية أو اختيار. .. ألا تعرف هذا يا إلهي؟ كيف لم تعرفه؟

.. أما الكائن الفريد الخارج على هذا القانون وعلى كل قانون في أخذه وفي كل
أهوائه وتصرفاته فهو أنت وحدك يا إلهي. !

.. أنت يا إلهي الكائن الواحد الذي لا يستطيع فهمه إلا بالخروج على كل فهم. !

.. لهذا تأخذ أردأ وأصغر وأنفه وأبلد كائن إليك بالأشواق والنيات والأساليب
التي تأخذ بها إليك أضخم وأعظم وأكبر وأنفع العباقرة. !

بل لعلك يا إلهي أعجل وأشرس في أخذك للصغار والتافهين من أخذك للكبار
العظام العباقرة. !. ولعل هذا هو أحد التفاسير لكثرة من تخلق من الصغار وقلة من
تخلق من الكبار. !

.. لهذا فما أوسع وأضخم خزائنك المملوءة بالصغار التافهين !

وما أضيّق وأصغر وأقل خزائنك المحجوزة للعظماء والعباقرة والمسكونة بهم . !
ما أقل حساباتك ومدّخراتك من هؤلاء وأكثرها من هؤلاء . ! . ألسنت قد أردت هذا
ودبرته لهوى في نفسك؟

وأيضاً يا إلهي كم هو قبيح ورديء وغبي أنك لا تترك من يجب وينفع تركهم في
عالمهم وقومهم وأوطانهم وشعوبهم وأماكنهم . . لا تتركهم يصنعون التقدم والرخاء
والجمال والعلم ليصنعوا ما لم تصنع أنت !

.. لا تتركهم لأن أخذهم إليك تخريب وإفساد وعدوان وسفاهة وتعويض وقتل
وإهانة للجمال والذكاء والحب والتقدم والرخاء والإبداع والحضارة والعبقريّة والقوة !

إن أخذك يا إلهي لعبقري واحد من حياة البشر لتستحق عليه أن تعاقب بكل عقاب
دون أن يكفي . . إنه لا يوجد عدوان على كل شيء جيد مثل أخذك يا إلهي للعباقرة
والمتفوقين والمبدعين الذين هم أبدأ الأقلون . . الذين هم أبدأ الغلطات القليلة الجميلة
بين أكوام الغلطات الشاملة القبيحة !

كيف؟ هل أنت يا إلهي لا تدري هذا أي لا تدري معنى أخذك لهؤلاء أم تدريه
وتعتمد أن تفعله؟ بأي التفسيرين يكون ذنبك أعظم؟

.. إذن أنت يا إلهي لا تأخذ كل الناس إليك لأنك جميل أو ذكي أو محب أو
حكيم أو صديق أو شريف أو فنان أو لأنك تريد أن تصاحب أو تعاشر أو تحاور أو
تجاوز أو تجالس أو لأنك تريد أن تعزي أو تداي أو تفرح أو تسعد أو تسلي أو تطعم
المرضى والحزاني والمتعبين والضائعين والخائفين والجائعين بأخذهم عندك وإليك أو
لأنك تريد أن تعوضهم بلقائك عما قاسوا وتلهفوا من فراقك . .

.. إنه إذن لا مجد ولا شرف ولا تفسير لأخذك إليك من تأخذ . . !

إن أخذك يا إلهي لمن تأخذ لا يمكن تفسيره بأية قيمة أو تفسير لا فيمن يأخذ ولا
في من يؤخذ . . !

إنه لو وجدت كل التفسير لكل من يأخذون ولكل ما يؤخذ لما وجد يا إلهي أي
تفسير لك آخذاً ولا لأي شيء تأخذه مأخوذاً . .

إنك أنت وحدك يا إلهي الكائن الذي لن يوجد له آخذاً أي تفسير ولن يوجد لما
يأخذه أي تفسير مأخوذاً .

وكم يعظم تصور المأساة والفجيعة حين التصور بأن أخذك هذا بأثمان وتكاليف فادحة تدفعها أنت ويدفعها كل موظفيك وأجهزتك؟

لماذا؟ لماذا؟ لن يوجد أي جواب !

اخرج يا إلهي على أخلاقك وتاريخك واعد إلينا من أظالك بإعادته . . افعل هذا الخروج ولو هذه المرة الواحدة . هل تخاف أن تمرض أو تموت أو تفقد أسنانك وأنيابك أو تسقط من فوق عرشك أو يسقط عرشك من تحتك أو تكره نفسك أو تكف عن عبثك لو فعلت ذلك؟ لا ، لا تخف !

ألا يمكن يا إلهي أن تجد في خروجك على أخلاقك وتاريخك وعلى صيغتك الدائمة فرحاً وسعادة وقوة وتحرراً وسياحةً ورياضةً جميلةً مجددةً لك؟

لماذا يا إلهي كل كائن يحاول ويتمنى أن يتخطى كينونته الأولى ويتفوق عليها إلا أنت؟ لماذا كل هذا العجز أو الكسل أو ضيق الرؤية أو فقدان الخيال؟

ما أعظم وأجمل ما كان محتوماً أن يحدث في كل هذا الوجود لو كنت يا إلهي كائناً ينقد ويجدد ويطور نفسه ويتجاوزها ويخرج عليها!؟

إنه لن يوجد كائن يجب أن يفعل بنفسه كل ذلك بكل القسوة مثلك يا إلهي كما لم يوجد جبان أو هائب أو غافل أو عاجز عن كل هذا غيرك يا إلهي !

آه يا إلهي لو تعرف . وهل الإله يعرف؟ وهل ينفعه أن يعرف؟

ما أقسى وأدوم عذابي وأسفي لأن كل تجاربي تقول لي :

إن الإله لا يعرف ولا يستطيع أن يعرف ولا ينفعه أن يعرف !

إنه لو كان يعرف لما قبل أن يكون موجوداً أو إلهاً لأنه حينئذ لن يجد خاسراً مثله بوجوده وبكونه إلهاً . إذن فالشرط الدائم لوجود الإله ألا يستطيع أن يعرف !

.. كم أتمنى يا إلهي أن يكون لك ضمير لكي تصل إليه رسالتي هذه لكي يقرأها ويتخاطب معها ويحترق بلهب عواطفها ويتعلم شيئاً من أخلاق العواطف ولغاتهما ومقاساتها !

اغفر لي يا إلهي تخبطاتي إذ كيف يكون لك ضمير ثم تقبل نفسك أو شيئاً مما تفعل وترى؟

وا أسفاه . . وا أسفاه لأنني هنا أتمنى فقط ولا أستطيع أن أرتفع إلى طور المؤمل المنتظر . . . أليس كل من يقال ويظن أنهم ينتظرونك أو يؤملون فيك إنما هم متمنون بل متحدثون فقط؟

أليس كل التعامل مع الآلهة تمنياً أو صلاة أو قراءة أو رواية دون أن يصبح تأملاً أو انتظاراً أو توقّعاً أو تعهداً أو حساباً ما؟

أليست كل مخاطبة لأي إله هي مخاطبة للنجوم والديار والأطلال والتمنيات والفراغ والضياء؟

آه يا إلهي هل يكون تكراراً مرفوضاً أن أقول لك مرةً أخرى بل مرات كثيرة بل بديمومة:

- أن أقول لك: إن أخذك للصغار والتافهين والأنذال إليك لهو أفجع وأردأ مستويات النذالة والجهالة والضلالة والهبوط إلى كل أعماق الحضيض. ما هي علاقات الحب والصداقة والتلاؤم التي تفرض عليك أبداً أخذ هؤلاء إليك بكل الإصرار؟

أما أخذك للمبدعين والخالقين والمتفوقين من مجتمعاتهم وحياتهم وهم قليلون بل نادرون بل شذوذ، شذوذ.

- نعم، إن أخذك لهؤلاء إليك وكذا تعجزك لهم بالأمراض أو بالشيخوخة أو بأي أسلوب آخر.

- إن أخذك هذا وتعجزك هذا لهؤلاء هو أقسى وأوقع أساليب التخريب والتدمير والعدوان على كل معاني الحياة والتقدم وعلى كل شيء جميل ونبيلاً. هل يوجد أعداء للحياة وللإنسان مثل من يأخذون منهما من يصوغونهما الصياغات العظيمة الجميلة؟

آه يا إلهي لو وجد محاكمون ومحاسبون ومعاقبون لك؟

هل يمكن أن يجدوا أو يتصوروا حينئذ عقاباً يساوي العقاب الذي تستحقه أنت على أخذك إليك العباقرة الخلاقين الواهبين لكل جمال الحياة وسعادتها وقوتها وكرامتها وعلومها ورخائها. أو على تعجزك وتعويقتك لهم بأساليبك الكريهة الوقحة المتوحشة البذيئة أي بالشيخوخة أو الأمراض أو بالتعجز الشامل المتنوع الأساليب أو بالجنون وما يشبه أو يساوي الجنون أو يفوقه؟

هل فطنت يا إلهي إلى ضخامة جريمتك هذه وتعمدتها وبأي تفسير يمكن حينئذ أن تفسر؟ هل هو جسد للحياة والإنسان ومقاومة ورفض لتقدمهما ورخائهما وسعادتهما معبراً عن ذلك بسرقتك للمتفوقين منهما؟

.. نعم، إنه لن يوجد أو يتصور أعداء للحياة وللإنسان مثل من يسحبون أو

يسرقون منهما الأفراد الأقلين المتفوقين الذين يداوونهما أي الحياة والإنسان أو يخفون عنهما مما أصبتهما به وتصيبهما يا إلهي من آلام وأوبئة وفقر وعجز وغباء وجهل وتشوهات وعاهات وقبح، قبح، قبح شامل، شامل. يا أردأ وأقبح سارق.. يا سارق العبقريات انتقاماً أو حسداً أو جهلاً لا رغبة فيها؟

.. هل يوجد يا إلهي مثل قبح وضلال وجهالة ووقاحة أنبيائك ودعاتك الذين يجيئون ليعلنوا ويعلموا بأنك أنت الذي تقتل أي تأخذ هؤلاء المتفوقين المنقذين أو تصيبهم بالعجز الشامل - ليعلنوا ويعلموا بكل الفرح والمباهاة والسعادة بأنك يا إلهي أنت الفاعل لذلك لأنك حكيم ورحيم وصديق وعاشق وفاعل لكل الجمال والكمال والتقدم والحب والسعادة وبأنك لو لم تكن أنت المريد المدبر الفاعل لكل ذلك بكل الكبرياء والإعجاب بالنفس والرضا عنها لما كنت إلهاً كامل الألوهية ولا بساً عباءتها وعماماتها وكوفياتها وعقالاتها. مقيماً في كل خيامها فوق كل صحرائها، ملتزماً بكل أخلاقها وأفكارها عائشاً في كل تاريخها، محافظاً على كل أمياتها العقلية والنفسية والأخلاقية والفنية بل واللغوية التعبيرية وليست الأمية الأبجدية فقط.. على كل أمياتها التي لا يمكن العلاج منها. هل يمكن العلاج من أميات الإله مهماً أمكن العلاج من كل الأميات.؟

.. إن كل أنبيائك ودعاتك يا إلهي يفسرون ويفهمون قتلك أي أخذك أو سرقتك للمتفوقين المنقذين المداوين للحياة والإنسان مما فعلت وتفعل بهما، وكذلك تعجيزك لهم.

- نعم، يفهمون ويفسرون ذلك بالمنطق والتفاسير التي بها يفهمون ويفسرون قتلك أي أخذك وتعجيزك لصغار الحشرات.!

إنهم يفهمونك ويفسرونك بأنك القاتل لأن القتل فيك وظيفة وخلق وقدر.!

.. إنهم لا يجدون أو يذكرون أو يفهمون إلّا منطقاً وتفسيراً واحداً هو أنك قاتل، قاتل بلا أية تفاسير مفهومة أو معروفة.. قاتل بلا أي فرق بين مقتول ومقتول وبلا أي فرق بين أسلحة القتل وبين الأيدي الضاربة بالأسلحة القاتلة. إنهم لا يرونك أو يفسرونك إلّا قاتلاً بلا رؤية أو تفسير أو محاسبة أو محاكمة أو إرادة للمعاقبة.!

.. إنهم أي أنبياءك ودعاتك يقولون ويعلمون ويرون أن يدك لا ترتجف ولن ترتجف حين تطلق الأسلحة القاتلة على هؤلاء المتفوقين المنقذين المعالجين إلّا بقدر ما ترتجف أو أقل مما ترتجف حين تطلق هذه الأسلحة نفسها على صغار الحشرات.!

.. إنهم يفهمونك ويفسرونك بأنك قاتل، قاتل بلا أية تفاسير.!

لماذا أصبح القتل فيك يا إلهي شهوة ووظيفة بلا تفسير أو هدف؟
آه. ليت لك يا إلهي يداً أو ضميراً أو قلباً أو فكراً أو عيناً أو معنى يرتجف أو
ترتجف أمام أي شيء، غضباً أو استنكاراً أو استقباحاً أو انفجاعاً أو رفضاً أو حتى
اندهاشاً وتساؤلاً. إذن لما جاء أو بقي أي شيء كما جاء وكما بقي أو كما نجده. !
ليتك يا إلهي تصاب بأي أسلوب من الارتجاف. !

هل يوجد محتاج إلى الارتجاف وجدير به مثل الإله؟
. . إني بكل الرهبة والانفجاع أبلغك يا إلهي ذلك راجياً ومطالباً ألا تجرؤ على
اتهامي بالمبالغة أو الخطأ أو التزوير أو أن تفكر فيه. !
أي أبلغك أن جميع أنبيائك ودعاتك يرونك ويفهمونك ويفسرونك كذلك. إذن
هل يوجد محقرون وشامتون لك مثل أنبيائك ودعاتك؟

هل يوجد عارضون لقبح الآلهة ومعلنون عن قبحهم مثل أنبيائهم؟
. . إني يا إلهي لراضٍ بالوقوف بل ومطالب به وراغب فيه أمام أية محكمة أو
محاكمة لمحاورة ومحاسبة هذا الاتهام أو التبليغ. !
. . إني لن أرفض أو أهاب أن يقف أمامي وضدي في هذه المحاكمة كل أنبيائك
وملائكتك وزبائنتك محاورين أو شامتين أو متهمين دفاعاً عنك وتعصباً لك رهبةً أو
رغبةً أو جهالةً وبلادة. . !

إني يا إلهي لست مغروراً ولن أكون مغروراً ولكني واثق ومفجوع معذب بثقتي. .
بثقتي الأليمة التي أراها وأتعذب بها عنك وعن أنبيائك ودعاتك. . أجل يا إلهي إني بلا
أي غرور لن أرفض أو أهاب أن أقف هذا الموقف أو أن يوقف ضدي وحدي أي هذا
الموقف. !

. . إنك يا إلهي لو حولت كل شيء وكل أحد إلى شهود وقضاة ليكونوا جميعاً
شهوداً وقضاةً منحاكين لك ضدي أي ضد رؤاي واتهاماتي لك ورأيي فيك وفي أنبيائك
ودعاتك وضد رؤاي واتهاماتي لهم. وكنت أنا وحدي بلا شاهد أو مدافع أو مناصر لما
خشيت أن أكون الخاسر المحكوم عليه أو ضده مهما كانت نذالة أو جهالة أو بلادة
المحكمين والمشاهدين. إن أي متهم لك ومدّع عليك يا إلهي لا بد أن يكون هو
المحكوم له وأن تكون أنت المحكوم عليه. . ليتك يا إلهي ترغب في أن تحاول
التخفيف أو التعويض أو الاعتذار عن قسوة وديمومة آلامي وفجائعي بك ولك وعليك
أي عن أهوال عذابي وانفجاعي وترويعي وبرؤيتي وقراءتي الدائميتين الحادثتين لك. .

الباحثين والمتسائلين عن المنطق أو عن التفسير أو عن المعنى أو عن الغاية والهدف. . !

عن الهدف والغاية منك ومما تفعل ومما يحدث . وما المنطق والتفسير . !
. . آه ما أقسى وأدوم وأفجع رؤيتك وقراءتك ومحاولة تفسيرك وفهمك يا إلهي
بأي منطق أو خلق أو تفسير أو هدف!

هل فكرت يا إلهي أو تساءلت عن معنى وجودك ووجود أي شيء؟

ما أقسى وأفظع وأدوم عذاب وعجز وهزائم وفضائح وبلادات من يحاولون يا إلهي
أن يفهموك أو يروك أو يقرأوك أو يفسروك أو يغفروك أو من يطالبون بالاعتناق والإيمان
بك والفهم لك أو بالغفران لك أو برؤيتك عارياً أو كاسياً لترى كما أنت، ليرى جمالك
وقبحك. !

وليتك بعد رغبتك في التخفيف من عذابي وانفجاعي بك ولك ترى أن إعادتك له
إلينا هي إحدى وسائل أساليب هذا التخفيف. هل يمكن أن تكون قد نسيت أو جهلت
من أعني؟

هل ينتظر يا إلهي أن تفعل ذلك؟ هل أنتظر أن تفعله مع أنني لم أجرب ولم يجرب
أي كائن آخر انتظاراً خائباً خاسراً مثل الانتظار منك والانتظار لك؟ كيف لم تهرب أو
تمت أو تنتحر يا إلهي من كثرة وديمومة المنتظرين لك ومنك مع ديمومة خيبة آمال كل
هؤلاء المنتظرين؟

. . إن البشر لم يعاقبوا ويهينوا عقولهم وأخلاقهم وآمالهم ولهفاتهم وأوقاتهم
وذكاءهم مثلما عاقبوها وأهانوها بانتظارهم من آلهتهم وبانتظارهم لآلهتهم. !

وإن الآلهة لم تهج أو تحقر أو تفضح نفسها أو تعلن عن عجزها وبلادتها وقسوتها
أو عن غيبتها مثلما فعلت في صمتها الميت عن كل المنتظرين لها ومنها. !

إن كل فضائح كل شيء لا تساوي فضائح المنتظرين لآلهتهم ومنها. !

. . أريد أن أذكر لك شيئاً أمل ألا تعجز عن الفهم له والاعتناق به يا إلهي المعذب
لي بالتحديق فيه أقسى مما يعذب سكان جحيمه بجحيمه. !

إنك يا إلهي تقاسي كل المقاساة وأدومها في إرسالك وإنزالك للأنبياء والكتب
والتعاليم لتقتنع بأنك جميل وقوي وكبير وسوي وجذاب الشخصية والأخلاق في جميع
صيغك وصفاتك وعلاقاتك ولقاءاتك ومحاوراتك ومجالساتك، وبأن عرشك الذي

تستوي عليه بلا حركة أو انتقال أو نهوض من فوقه أو استبدال به هو عرش لا تستطيع جميع العروش أن تساويه في روعته وضخامته وجمال وغلاء وصلابة وقوة المادة التي صنع منها، وبأن من جلس فوقه فلا بد أن يصاب بالاسترخاء والكسل والبلادة والتبلد إلى ألا يستطيع أو يريد المفارقة له وإلى ألا يفجعه أو يزعجه أو يغيره شيء !

. . وأيضاً ترسل وتنزل الأنبياء والكتب لمحاولة الإقناع بأنك موجود، موجود كما تريد أن تكون موجوداً بكل الأوصاف التي تريدها وتريد أن تعرف وتوصف بها، وأيضاً بأنك جبار مكار قهار مخادع قاتل تصيب بكل التشوهات والعاهات والآلام بالمشيئة المطلقة والكلمة المنطوقة . وبأنك قاس قسوة يعجز ويرهب كل الخيال أن يتصورها . وبأن الجحيم بكل أهواله المجنونة وبكل حراسه وزبانيته وملائكته الغلاظ الشداد هو أي هذا الجحيم بعض لفحات ونفحات وقباحات قسوتك هذه، ومع كل هذا عجزت عن الإقناع بشيء من ذلك ليصبح سلوكاً وأخلاقاً ونيات مهما أفنعت به ليكون شعارات ولغات وتعاليم تحفظ وتروى !

. . إذن كيف لم تفعل هذه الوسيلة البسيطة السهلة جداً والقوية جداً للإقناع بهذا الذي تناضل وتقاسي كل هذا النضال وهذه المقاساة للإقناع به وأعني بهذه الوسيلة أن تعيد إلينا بعض من أخذت وتأخذ منا وليكن أحدهم هذا الذي أحترق في مطالبتي لك بإعادته إلينا . إليّ؟ لكي يقنعوا بما تريد الإقناع به عن رؤية ومعاشية ومعاشرة بل ومجالسة ومعانقة . . ليقنعوا بأنهم رأوك ووجدوك وجالسوك وخاطبوك مسترخياً فوق عرشك محاطاً بل محاصراً بالغللمان والجواري والخوريات وبالزبانية والملائكة الغلاظ الشداد الأغبياء والأذلاء والأرقاء الأندال بكل التفاسير للنذالة . . يهتفون ويصلّون ويكذبون ويهونون وينافقون بأقبح وأوقح الأساليب واللغات والنيات والمهانات والبلادات التي هي شيء مما يفعله الإنسان العربي أمام حاكمه العربي ولحاكمه العربي . . أي مما يفعله الشاعر والمفكر والأديب والكاتب والفنان والنبى والفقير والصوفي بل والقديس العربي أو التي هي أكثر وأوقح وأندل مما يفعله الإنسان العربي ؟

ماذا لو أقيمت مباراة بين الكُتّاب والشعراء والأدباء والفقهاء والفنانين العرب في نفاقهم وكذبهم وهوانهم واستسلامهم لحكامهم وطغاتهم وبين سكان السماء من ملائكة وغيرهم في كذبهم ونفاقهم وهوانهم واستسلامهم لإلههم أمراً لهم بإنزال كل التشوهات والعاهات والآلام والمظالم بكل شيء وبكل أحد بلا تشريع أو تفسير أو فهم أو مساءلة أو ذنب أو حكمة أو حاجة؟

نعم، ماذا لو حدث هذا؟ أي الفريقين حينئذ سيكون الفائز الأول؟

أي الفريقين حينئذ سيصبح أكثر مذلةً وهواناً واستسلاماً لأربابهم: العرب أم سكان السماء؟ ألا يحتمل أن يكون سكان السماء عرباً قد هاجروا أو أن يكون العرب قد ولدتهم سكان السماء وألقوا بهم في صحاراهم؟

.. آه هل وجد أو هل يمكن أن يوجد صاحب رسالة وتعاليم ودين وقوانين يتعذب كل أنواع العذاب بفكره وضميره وأخلاقه ومحاولاته لكي يجد من يبلغها ويعلمها ثم يشترط فيمن يريدهم ويختارهم لتبليغها وتعليمها ألا يروه أو يسمعه أو يلقوه أو يعرفوه؟

أجل، لقد وجد هذا الكائن المستحيل وجوده حين وجدت يا إلهي. هل وجد أو يمكن أن يوجد من يتبلون أن يكونوا معلمين وواصفين وأنبياء ورسلاً عن كائن ولكائن لم يروه أو يلقوه أو يسمعه غير المزعومين والزاعمين أنهم أنبياء السماء..؟

نعم، لقد وجد هؤلاء حين وجد من يزعمون أنبياءً ورسلاً عن السماء.. هل وجد أو يمكن أن يوجد من يختار واصفيه ومادحيه ومجديه وعاشقيه وعابديه والراوين المفسرين لجماله ممن لم يروه أو يسمعه أو يجالسوه أو يلمسوه أو يشمونه أو حتى يتصوروه؟ نعم لقد وجد هذا الكائن أو زعم وجوده حين زعم وجودك يا إلهي.!

.. هل يمكن اتهامك يا إلهي بأن هذه الوسيلة السهلة جداً والجيدة جداً قد خفيت أو دقت على ذكائك؟

هل يمكن أن يوجد من يقسو في رؤيته وفهمه لك إلى أن يتهمك بذلك؟

.. إذن كم أستحق يا إلهي من الشكر والجزاء والحمد لديك لأنني بكل الفرح والسعادة والشهامة والسخاء قد أهديتها إليك أي هذه الوسيلة التي لا بد أن تفعل لك وتقع بك أكثر من كل أنبيائك ودعاتك ومعجزاتك؟

.. ولكن ألا أخاف أن تجزيني على ذلك بالنقيض أي بالحق والغيرة والحسد الضارب المعاقب المحارب؟ أليست كل أفعالك ونياتك يا إلهي نقيضاً لكل ما يجب ويفترض ويتنظر؟

أليس الإنسان العربي يفعل ذلك. بل لا يفعل إلا ذلك؟ أليس العربي هو النقيض الدائم الشامل لكل ما يطلب ويتنظر ويحترم ويفهم؟

وأنت يا إلهي أليست عربياً؟ أليست عربي الأخلاق والفكر والهوى والعواطف

والمعاشرة والمعايشة والمعاملة والتاريخ والأصالة والتعليم والتعاليم بل واللغة والانتماء والوطن؟

إن العرب لو انقرضوا جميعاً ولم يبق لهم أي تاريخ ثم أريد إعادتهم بكل صيغهم وتفاصيلهم لكنت أنت يا إلهي وحدك هذه الصيغ والتفاصيل التي سوف يعادون بها . . افترض يا إلهي أنك سوف تراني وتفهمني بهذا الحوار الطويل القاسي الساخن محبباً وصديقاً ومشفقاً لا مبغضاً ولا عدواً ولا شاتماً . أو أن تراني وتفهمني حزيناً مفجوعاً مروعاً مسمئراً لا شامتاً أو شاتماً أو مبغضاً أو معادياً . !

. . إني لأرجو وأتمنى وأنتظر أن تراني وتفهمني كذلك . . إن المفروض ألا تستحق في كل حالاتك يا إلهي إلا الرثاء والإشفاق . !

. . قد يكون حوارى هذا لك شيئاً قليلاً ومخففاً من الحوار الذي كان يجب أن يحاورك به كل شيء وكل أحد يا إلهي ولكن دون أن يحدث ذلك . . كنت يا إلهي أريد أن أقول: ويعاقبك به كل شيء وكل أحد ولكني هربت من التناقض ومن القسوة عليك وأنت يا إلهي لا تستحق أي قدر من القسوة بل لا تستحق إلا الإشفاق والرحمة والرثاء . !

. . أليست قسوة كينونتك وحياتك لا تتحمل أن تضاف إليها أية قسوة أخرى مهما استحققت ذلك؟

إن القسوة أحياناً قد تكون أسلوباً من أساليب التعظيم . !
وهل أنت يا إلهي تستحق هذا الأسلوب من أساليب التعظيم حتى ولو بالقسوة عليك؟

إن الذين يستحقون كل الرثاء والرحمة والإشفاق لن يستحقوا القسوة . !
إذن ماذا تستحق أنت أو ماذا تريد أن تستحق يا إلهي؟
نعم، القسوة أحياناً قد تكون أسلوباً من أساليب الثناء أو التكريم المتكرر الذي هو أقوى من المعلن . فهل ترى يا إلهي أنك تستحق هذا الأسلوب من أساليب التكريم أو الثناء مهما استحققت كل الرثاء والإشفاق والرحمة؟

إنك يا إلهي مريداً ومدبراً ومخططاً وفاعلاً خالقاً تستحق كل العقاب والاشتمزاز والاستقباح أو المقاومة والمحاكمة والرفض . !
أما موجوداً وعائشاً ورائياً ومواجهاً ومسؤولاً ومقروءاً ومرئياً ومفسراً ومحروماً فلن

تستحق إلا كل الرثاء والإشفاق والرحمة . . فأَي الاستحقاقين تستحق . وأيهما يهزم الآخر أو ينسبه؟

إنه يا إلهي لا أحد مثلك أو غيرك يستحق بأحد تفاسيره كل الشفقة والرثاء ويستحق بكل تفاسيره الأخرى كل القسوة والعقاب والاشمئزاز والاستقباح والغضب . فبأي التفسيرين يجب أن تفسر وتحاسب؟

إن كل أحد وكل شيء كان يجب ويفترض يا إلهي أن يحاورك كل هذا الحوار الذي حاورتك إياه بل أقسى وأشمل وأدوم وأفتك مما فعلت أنا مقاسياً كل أهواله؟

لماذا أنا؟ لماذا أنا وحدي أتحمّل كل هذا العذاب والانفجاع الذي كان يجب أن يكون شاملاً أو مقسماً ولو بقليل من العدل والحكمة؟

إذن من الأقسى عذاباً: المسيح فوق صليبه أم أنا محاوراً محاسباً لك؟

. . أينما أدوم وأعنف وأصدق عذاباً: المسيح صالِباً نفسه ليكون كفارة وفداء لأخطاء البشر وخطاياهم أم أنا المصلوب أبداً فوق أخطائك وخطاياك يا إلهي والمحترق أبداً بتحديقي فيك وبقرائي وتفسيراتي وحواري لك دون أن أكون كفارة أو فداء عن أي شيء أو لأي شيء ودون أن أجد أي عزاء أو رثاء أو تخفيف أو مشاركين ولو بالحنين أو الأثنين؟ إذن كيف لا تحاول أن تفعل أي شيء للاعتذار عن قسوة عذابي أي بإعادة من أطالبك بإعادته إلينا؟

لماذا صمت ومات كل شيء وكل أحد أمام هذا الحوار وعنه؟ هل يعني هذا يا إلهي إن حظوظك جيدة جداً أم يعني أنها رديئة جداً؟ لماذا خصصت أنا وحدي بأهوال هذه المقاساة؟ من اختارني ولماذا اختارني لهذا التخصيص؟

هل الاختيار اختيار أم ضربات وخطوات عمياء عشواء . ولماذا تسقط وسقطت هنا ولم تسقط ولا تسقط هناك؟ هل يوجد من يسأل وإن وجد فهل يوجد من يجيب؟ هل محتوم أو محتمل أن ألقى تعويضاً عن هذا التخصيص؟ وأين وكيف ومتى وعند من ألقاه؟

وهل يستطيع أي تعويض بل وكل تعويض مهما كانت ضخامته وسخاؤه أن يكون شيئاً من التعويض والتكفير أو الاعتذار عن فواجعي ومقاساتي لهذا الحوار مواجهاً وقارئاً ومفسراً ومحاسباً له بفكري أو قلبي أو ضميري أو أخلاقي أو بروائي وتصوراتي أو حتى بلغتي وتعبيراتي وإيماني وتديني أو بكل ذلك؟

آه إلى من أتوجه محاوراً مسائلًا محاسباً محاكماً مخاصماً؟ إلى من؟ ولو وجد هذا الذي أبحث عن التوجه إليه فهل يمكن أن أجد لديه ما أريد وما يجب أن أجد؟ نعم، يا إلهي إذن كيف لا تفعل كل شيء لإعادته إلينا؟ كيف لا تصاب بأي قدر أو أسلوب من الشهامة أو الكرامة أو النبيل أو الاستحياء؟

. . . إنني مهما حسبت هنا مخطئاً فنياً أو لفظياً أو تقليدياً فإنني يا إلهي سوف أكرر عليك هذا السؤال بالفاظ أخرى:

من يجب أن يدعي ويرى نبي المصلوبين أو إله المصلوبين: إنسان يصلب نفسه مرة واحدة أو يقدم نفسه ليصلب هذه المرة الواحدة. أم إنسان يصلب كل لحظات الزمان، كل حياته. . . يصلب بعدد كل الأشياء. . . بعدد أخطائك وخطاياك الدائمة المتكررة. . . المألثة لكل الاتجاهات والآفاق والرؤى والحركات والخفقات القلبية والفكرية والأخلاقية والنفسية والتصورية والفنية والإنسانية.

. . . يصلب بعدد إرادتك وتخطيطاتك وتدبيراتك وفعلاتك وتحركاتك وتشوهاتك وعاهاتك ودماماتك ومظالمك وعبثك وشهواتك وطلباتك. وبعدد من تصيب وما تصيب بما تصيب. . . بعدد ما ترجى وتدعى وتؤمل وتنتظر وينتظر منك ويجب عليك فتخبيل كل الآمال فيك أي فلا تفعل شيئاً من ذلك بل وتفعل كل النقيض الأليم الذميم بكل الديمومة والبرود والإصرار بل والوقاحة والافتضاح والمباهاة؟

هل حدث يا إلهي أن تصورت هذه الصورة أو رأيت وعرفت وفهمت هذا الواقع؟ إن كنت قد فعلت ذلك ولو مرة واحدة فكيف رأيت حينئذ نفسك؟ كيف رأيته؟ وهل تجرؤ على رؤيتها فكيف التقبل لها أو التعامل معها؟

والآن هل أنتظر أن تعيده إلينا؟ هل تخرج يا إلهي على كل أخلاقك وتاريخك فتستجيب ولو هذه المرة الواحدة للتأمل فيك والانتظار منك؟

اسكت يا إلهي وإلا فسأقول

. . أذكرك يا إلهي أن تعاتبني أو تحاسبني زاعماً ومتهماً بكل غرورك الإلهي أنني أنكرتك أو أنني لم أجذك أو أنني رفضت وخجلت أن تكون موجوداً أو أن أتصورك موجوداً كما أنت موجود . . أذكرك من أن تضطرنني إلى الرد عليك . إنك حينئذ لن تستطيع أن تنتظر بل ولا أن تقاوم !

إن كل انتصاراتك يا إلهي هي في المعارك التي لا يوجد فيها من يحاربك أو يقاومك !

. . نعم سأقول لك حينئذ : أنني لم أؤمن بوجودك أو حتى أتصور وجودك لأنني لم أستطع أن أراك إما لأنك قد غطيت وأخفيت ذاتك بكل الأغطية والأحجبة ، وأيضاً قد صيغت وصغت وجهك بكل الدمامات والتشوهات والعاهاات والوقاحات والفضائح والذنوب والقسوة والعبوس قاصداً ألا ترى لأن رؤيتك فاجعة وفاضحة ومخجلة ومهينة لهذا قررت أن تخيف وتفجع وتعذب كل من يزعمون أنهم رأوك وكل من يريدون أو يشتهون أن يروك لثلا يروك . أو أنك قررت ذلك لأسباب لن يستطيع فهمها أو تفسيرها أو تسويغها فكيف قبلها . أو بلا أسباب . أو بأسباب ولأسباب أنت لن تستطيع فهمها أو تفسيرها أو تسويغها أو قراءتها أو التحدث عنها أي لو حوسبت أو حوكت عليها أو سئلت عنها . لقد قررت أن تضع على وجهك بل على كل ذاتك الحجاب الذي لن يرفع أو يباح رفعه . . الحجاب الذي لن تستطيع العيون أو العقول أو التصورات اختراقه . !

كيف تستطيع رؤيتك يا إلهي أو تراد أو تغفر أو يجزأ عليها مجللاً ومفسراً ومقروءاً بكل هذه الأكوان من الآثام والحماقات والتشوهات والعبث والتفاهات والمظالم المتوج والمغطى بها كل هذا الوجود وكل وجود؟

.. نعم . يا إلهي سأقول لك حينئذ : إني لم أؤمن بوجودك لأنني لم أستطع أو أجرو أن أراك فوق كل هذا القبح .. لأنني لم أستطع أن أراك إما لأن ذاتك صغيرة وضئيلة ومعتمة ومخلوقة في الظلام ومن الظلام لتبقى أبداً في الظلام . وإما لأنك أردتني وخلقتنني بلا أية رؤية وعاجزاً عن كل رؤية أو عن رؤيتك أنت فقط لأنك تخاف وكنت تخاف لأسباب لا يمكن فهمها أن أراك . !

.. ومن المذنب المعلوم حينئذ : الإله الذي خاف ورفض أن يرى أم من أرادته وخلقته هذا الإله عاجزاً أن يرى ؟ . نعم . سأقول لك يا إلهي : لقد استحييت ورهبت أن أراك وأجذك أو أتصورك أو أقراك فوق وبين هذه الدمامات والوقاحات والغباوات والآلام والمظالم والفوضى والعبث الأليم الوقح أي فوق هذا الكون لكي أحسبه وأفسره وأراه قمة تقواك وعقبرياتك العقلية والفنية والأخلاقية والنفسية والدينية بل والجمالية والشعرية . لقد رهبت ورفضت بل واشمأززت أن تكون كل البشاعات والدمامات متحركة متنقلة متجددة متجمعة أبداً . أبداً داخل عينيك وقلبك وضميرك وأخلاقك بل وداخل حبك ! . إني لم أستطع أن أكون وقحاً أو نذلاً أو متوحشاً أو عدوانياً لكي أراك أو أعتقدك أو أتصورك أو أقبلك كذلك أو شيئاً من ذلك . إنه لن يوجد محقرون لك معتدون عليك مثل من رأوك ووجدوك واعتقدوك وأعلنوك فوق كل ما يرون ويعرفون ويواجهون ويقاسون بل وفوق كل ما يحتقرون ويرفضون ويقاومون ويلعنون .. مثل من يجعلونك مدبراً ومريداً ومخططاً وفاعلاً كل ما يحتقرون أنفسهم كل الاحتقار لو فكروا في أن يريدوا أو يدبروا أو يفعلوا شيئاً منه . وما يرون أنهم لن يهجموا أو يتهموا بشيء مثل اتهامهم به .. مثل من يمجدونك ويعبدونك باتهامك بل ما يرفضون ويقاومون ويراعون ويفجعون لو اتهموا بشيء منه . !

.. لقد قررت يا إلهي أن أحترمك وأنزهك وأتأدب في رؤيتي وتفسيرتي لك لهذا سحبتك من فوق هذا الكون . لقد أشفقت على عينيك ويديك وذاتك وثيابك . حتى ثيابك لقد أشفقت عليها . ! . لهذا رفضت أن يتلوث أو يتشوه أو يتأثم أي شيء فيك أو منك بأي شيء من ذلك . لقد قررت أن أعوضك وأعتذر إليك عن تحقير أنبيائك ورعايا أنبيائك لك . آه يا إلهي هل حقرك شيء مثل حديث أنبيائك عنك ورؤيتهم لك ؟

.. إني حينئذ سأقول لك : لقد اشترطت لوجودك شروطاً أرضاها فلم أجد شيئاً من هذه الشروط بل لقد وجدت كل ما يناقضها وينفيها بل ويحقرها ويسخر منها ، فأبيت وعجزت وتأثمت أن أجذك . إني يا إلهي ضحية إرادتي الاحترام والاشترط لك في نفسي ورفضتي لوجودك . إني في نفسي ورفضتي هذا لست إلا شهيد الحب . الحب لك .

أرجوك يا إلهي أن تستطيع فهم ذلك جيداً . لقد أحبتك واحترمتك جداً حتى نفيتك عن هذا القبح !

.. هل تقبل يا إلهي أن تكون موجوداً بلا أية شروط لك أو فيك أو أن يراك المؤمنون بوجودك بلا أية شروط؟ إن كل كائن بلغ طور التقبل والرفض لا بد أن يشترط وأن يريد الاشتراط لنفسه ولوجوده مهما كان ضعف وهوان وجوده . فهل أنت يا إلهي أقل وأهون من كل شيء ومن كل أحد؟ أيهما يا إلهي يرضيك ويهيك الفرح والمجد: من يشترط لك وفيك أقصى وأجمل الشروط أم من يراك أي شيء وكل شيء حتى ليرى كل جمالك في أقبح الدمامات . ويجد ويقرأ ويفهم كل حبك ورحمتك وعدلك وصدافتك في أوقح وأقسى المظالم والآلام والبغضاء والعدوان والوحشية؟ أيهما يرضيك ويفرحك ويهيك المجد: من يريد ويستطيع أن يراك ويجدك ويعلمك مجللاً بكل القبح والعفن والآثام والبلادة والسقوط أم من لا يستطيع أو يريد أن يراك أو يجدك إلا منصباً ومنصوباً فوق كل الجمال والحب والرحمة والحكمة والشهامة والطهارة والقوة أي فوق كل هذه المزايا التي لا يرى أو يجد منها شيئاً في أخلاق أو منطق أو قوانين هذا الكون الكبير الصغير جداً . الكبير جداً في جسده الصغير جداً في كل تفاسيره . . الكبير جداً بلا أي تفسير صغير أو كبير . إنه أي الكون كل شيء دون أن يكون أي شيء . . دون أن يكون أي شيء كهدف أو فكرة أو معنى إني حينئذ سأقول لك يا إلهي المخدوع المهزوء به: إن الذين وجدوك واعتقدوك لم يفعلوا ذلك لكي يهبوك الحب أو المجد أو الفرح أو القوة أو الانتصارات . ولكنهم أرادوا بذلك أن ينافقوك ويخدعوك ويلوثوك ويتهموك بكل نقائصهم وفضائحهم وآثامهم وغبائهم وعجزهم . ليجعلوك أنت المريد المدبر الفاعل لكل ذلك المسؤول عن كل ذلك . ولكي يرجوك وينتظروك ويطالبوك أن تفعل لهم ما لا يستطيعون وأن تهبهم ما لا يستحقون . ولكي يفسدوا أخلاقك بالملق وبالصلوات والتضرعات والدموع الكاذبة البليدة لتعطيهم ما يريدون ولتغفر لهم وتمسح عنهم كل قبائحهم وفضائحهم ونذالاتهم .

.. ليصقوا عليك وفي عينيك كل قبحهم وتشوهاتهم بأسلوب الاستغفار والتوبة .

.. لهذا رهبت وعجزت وخجلت أن أجذك أو أو من بك لأن هذه التفاسير القبيحة هي كل تفاسير الإيمان والمؤمنين بك . إني لم أجد في تفاسير الإيمان بك أي تفسير أرضاه تفسيراً لإيماني بك !

.. إني حينئذ سأقول لك : لماذا يا إلهي تريد أن تكون موجوداً أو ترى موجوداً؟

إنه لن يوجد أو يتصور خسران مثل خسرانك بوجودك أو مثل خسران وجودك بك.!! . إن أصغر وأحقر الموجودات لن تخسر بوجودها أو يحقرها ويشتتها وجودها مثلما يفعل لك وبك وجودك.!

.. إن وجودك عذاب وغيظ وهوان لا شبيه له بلا أي ثمن أو جزاء أو تعويض أو تكفير أو تفسير. أعني أنه غيظ وعذاب وهوان لك أنت!

.. ليتك يا إلهي تستطيع أن تفكر أو ترى أو تنقد أو تحاسب الأشياء. إذن لاستطعت أن أقنعك بأنه لا خسران مثل خسرانك بوجودك.!

أنت أي مفترضاً موجوداً تقاسي وتقاسي لكي ترى نفسك ويراك الآخرون حكيماً وجميلاً ورحيماً وفناناً وعبقرياً. ولكي تدبر وتخطط وتخلق ولكي تنزل وترسل وتوحي وتكتب الكتب والأديان والتعاليم والملائكة والأنبياء. لماذا تفعل ذلك؟ لأنك فيما يقول الرواة عنك تريد هداية الناس وسعادتهم.!

عجيب. عجيب جداً.!! . ألسنت تستطيع هدايتهم وإسعادهم بالإرادة والكلمة؟ فلماذا ترفض أن تهديهم وتسعدهم بذلك ثم تذهب تقاسي وتقاسي لكي تفعل لهم ذلك بوسائل أنت تعرف أنها لن تجدي؟ أي معلم خائب علمك يا إلهي منطقك وتصرفاتك؟

.. إنك يا إلهي لا تلقى أي جزاء أو تعويض عن أي شيء من مقاساتك الموجهة المهينة لك. . فأنت لا تستمتع بأية متعة لا مادية ولا معنوية أي أدبية أو شعورية أو أخلاقية أو أي شيء آخر. . إنك لا تأكل ولا تشرب لا الماء الأبيض ولا شيئاً من المياه الملوثة. ولا تنام حتى ولو ابتلعت كل العقاقير والكيماويات المنومة. ولا تتعاطى شيئاً من المنبهات أو المهدئات أو المفرحات. . ولا تمارس الجنس لا طبيعياً ولا شذوذاً. لا معهم ولا معهن. لا بعقد ولا باختلاس. لا بحب ولا بمجاعة وضرورة.!

آه. حتى الجنس أنت يا إلهي محروم منه.!! . ألا تعلم يا إلهي المحكوم عليه بكل أنواع الحرمان أنه لا توجد لحظات ينسى ويغفر فيها كل قبح ووحشية الوجود إلا لحظات ممارسة الجنس؟ لقد جاءت ممارسة الجنس محابة للكون. للوجود. جاءت لكي تنسى قبحه وعذابه وعبه أي ولو في لحظات الممارسة الحادة المجنونة.!! .

نعم، إن لحظات ممارسة الجنس جنون. جنون ولكنه جنون يداوي ويشفي من العقل.!

.. أما وجودك الأدبي أو الأخلاقي أو الفني يا إلهي فلن يوجد أو يتصور مثله تعاسة وهواناً وهزيمة وإذلاً وخسراناً وقبحاً.!! .

. . إنك لن تواجه أو تنتظر إلا الرفض والعصيان والاحتقار: أنت وأنبيائك وكل دعائك وأديانك وتعاليمك وكتبك المقدسة. إنه لا يوجد منبوذون مرفوضون معصيون محقرون في كل مكان ومجتمع مثلك أنت ورسلك ودعائك وأديانك. إقرأ التاريخ يا إلهي إن كنت تعرف القراءة وانظر إلى الواقع اليوم إن كانت لك عينان تريان لكي تصدق ما أقوله لك. . إن كل رؤاك ومواجهاتك ومعاملاتك ورغباتك وتطلعاتك مقهورة مهانة مفجوعة مسخور منها وبها. إن كل الآثام والعفونات والدمامات والفضائح والقبائح التي لا نضال ولا اهتمام لك إلا أن تلعنها وتعلم ضدها وتغرق في العار خجلاً منها لتتفجر وتتجمع وتتصبب أبداً ودائماً في كل رؤاك واتجاهاتك وطرقك. فوق عرشك وتحت عرشك وحول عرشك وفي كل تفاسير وأخلاق عرشك.!. وهل لعرشك تفاسير أو أخلاق؟

. . إنك يا إلهي أتعس مكذوب عليه ومكذوب به. أتعس مظلوم ومخدوع ومهان ومشتوم ومتهم. . وأتعس مظلوم مخدوع مهان متهم مشتوم مكذوب باسمه وباسم الاحترام والتمجيد والعبادة له والدفاع عنه والإيمان به. إنه ليجب أن يكون لكل وجود ووظيفة والتزام ومقاساة ثمن أو أجر أو تعويض. إذن ما هو ثمن أو أجر أو تعويض وجودك ووظيفتك ومقاساتك والتزامك الفادح القاسي يا إلهي؟

. . إن أحقر وأصغر وأغبي وأتفه كائن لن يقبل أو يغفر أن يكون موجوداً وجوداً فيه كل هذا الخسران والهوان والعذاب والحرمان والعصيان الذي في وجودك.!

. . لقد كان المفروض يا إلهي أن تهرب من وجودك وأن تنكره وأن تطالب بإنكاره وأن ترسل الأنبياء وتنزل الكتب لتعليم نفي وجودك ولتهديد من لم ينكروا وجودك بالجحيم الذي أعدته فيما يروى لمن ينكرون وجودك.!

. . إن وجود الموجود ليس مزية أو قيمة أو مطلباً لذاته وكيف كان. ولكنه كذلك أي إن أمكن أن يكون كذلك أو يحسب كذلك لظروفه وصيغته ونتائجه. إن أحداً لن يمدح بأن يقال أنه موجود. موجود فقط. وأنه هو لن يجد في ذلك أي مديح له!

. . إن أي كائن لن يرى أو يجد مجداً أو سعادة أو فخراً في أن يوجد وأن يعرف الآخرون أنه موجود فقط تحت كل صيغ وظروف وأساليب الوجود مهما هانت وقبحت وصغرت.

. . إن أحداً لن يهجي أو يهان بأن يقال إنه لم يوجد أو ليس موجوداً أو بالاً يكون موجوداً. ولكنه يهجي ويهان ويهون بأن يقال إنه موجود أو بأن يكون موجوداً وجوداً

ذليلاً أو حقيراً أو دميماً أو نذلاً أو تافهاً أو بليداً أو مهاناً أو مقهوراً. إن كل الهوان والعذاب والهجاء لمن وجد لا لمن لم يوجد.!

.. ماذا تربح يا إلهي من أن يقال إنك موجود. أو تخسر من أن يقال إنك غير موجود؟ لماذا تعاقب النافي وتجزئ المثبت؟ هل النافي يسيئ إليك أم الذي يسيئ إليك هو الذي يراك موجوداً ويراك تراه ثم يصب ويفجر في عينيك كل العفونات والآثام والوقاحات العارية الصارخة بكل البذاءات والقبح والجرأة الوقحة عليك مفسراً كل ذلك بك وبإرادتك وحكمتك طالباً بل ومؤملاً منك أن تغفر له وتكفر عنه كل ذلك لأنه يخدعك ويتملقك بالمدائح كأنك أحد الطغاة الجهلاء الذين يغفرون كل شيء لمداحيهم؟

هل تستطيع الإساءة إلى من لم يوجد؟
هل تستطيع حماية أي شيء من الإساءة إليه إلاً بالألا يكون موجوداً؟
أليست جميع الإساءات هي إساءات موجود إلى موجود؟

.. كائن يثيب ويعاقب أسخى الثواب وأقسى العقاب، وأسباب ثوابه هي إعلان وجوده مهما كان قبح ونذالة وجهالة وفظاعة وجوده ومكان وأسباب وظروف ونتائج وجوده، ومهما كانت آثام وقبائح وبلادات معلن وجوده.!. فقط إعلان وجوده هو كل مجده وفرحه ورضاه. . إعلان وجوده غفران لكل الإساءات إليه والإهانات له. .!

.. وأما أسباب عقابه الذي سيكون التخليد في الجحيم إحدى عقوباته وضرباته وأشواقه وشهواته فهي العجز عن إعلان وجوده أي وجود هذا الكائن أي العجز عن رؤيته أو الرضا لرؤيته أو الهيبة والرغبة والاستحياء والتأثم من رؤيته لقبح رؤيته في الظروف والأخلاق والمكان والصيغ والدمايمات التي زعم وجوده فيها وفوقها ولها من أجلها ومدبرها ومخططها وفاعلها وحاميها ومسوغها ومفسرها ومخلدها، مهما كانت عبقرية وصدق وتقوى وبراءة ونظافة وإخلاص العاجز عن إعلان وجوده أو عن الاقتناع بوجوده أو عن رؤية وجوده أو الرافض لوجوده بالأساليب والصيغ والظروف التي زعم فيها وجوده، لأنه يريد لوجوده وللإقناع بوجوده ولإعلان وجوده شروطاً وصيغاً وظروفاً أفضل وأعظم وأذكى وأتقى وأقوى وأكثر إسعاداً واحتراماً وتمجيذاً لوجوده أي لوجود هذا الكائن الذي عجز عن رؤية وجوده أو عن الاقتناع بوجوده أو رفض وجوده بالصيغة وفي المكان والظروف والأخلاق التي زعم فيها وبها وجوده. .

ولكن هل وجد هذا الكائن وهل يمكن أن يوجد ومن هو؟

إن وجود هذا الكائن أي لو وجد أو لو أمكن أن يوجد هجاء لكل وجود .

إنه الكائن الذي قال بكل مشاعر المباهاة والفرح وإرادة الإعلان :

«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» .

وهل قال هذا قائل؟ صعب التصديق أن قائلًا قال هذا !

أليس هذا القول يساوي أن يقول حاكم أو زعيم أو نبي :

«إني لم أحكم أو أقد شعبي أو أناضل وأعمل من أجله إلا لكي يمدحني ويشكرني
ويجن احتراماً وحباً لي وإعجاباً بشخصي وجمالي وذكائي وقوتي وعبقرياتي وبجمال
زوجتي وبعقرية أبنائي وأسرتي . .»؟

وهل استطاع أو يستطيع أي حاكم أو زعيم أو نبي أو عالم أو حتى شاعر أن يهبط
إلى هذا الحضيض مهما كانت عبقریات الهبوط فيه أي إلا أن يكون حاكماً أو زعيماً أو
قائداً أو نبياً أو شاعراً أو إنساناً عريباً؟

أليست أقل مستويات الحياء والذكاء والعقل والوقار أن يقول هذا الكائن «وما
خلقت الجن والإنس إلا لكي أسعدهم وأكرمهم . . أو إلا لكي يملأوا الكون
بالحضارات والعبقریات والجمال والحب . . أو إلا لكي يتحولوا، بجمالهم وبالجمال
الذي سوف يصوغونه وبمنطقهم وجدهم إلى غفران واعتذار وتعويض عن القبح والعبث
والغباء والضياح الفوضوي الذي خططت ودبرت وأخرجت به هذا الكون . .»؟

أو أن يقول :

«وما خلقت الجن والإنس إلا لكي يهبوني صداقتهم وأهبهم صداقتي . . لكي نكون
أفضل وأنبل وأصدق نماذج الأصدقاء . . لكي ينقذوني من وحدتي الحزينة القاتلة . .
لكي يصبحوا ابتسامات في تحديقاتي ورؤاي التي لا تواجه إلا العبوس والكآبات . . التي
لا تواجه إلا تحديقي في ذاتي ووجودي . وهل يوجد شيء يصنع العذاب والاكتئاب مثل
ذاتي ووجودي ومثل تحديقي في ذاتي ووجودي . .»؟ .

أجل ، وهل يوجد عذاب مثل عذاب تحديق الإله في ذاته ووجوده؟

. . أو أن يقول أي هذا الكائن :

«وما خلقت الجن والإنس إلا ليكونوا غذاءً ومأوى وعزاءً وغناءً ووطناً وفرحاً
وانتصاراً للحشرات والجراثيم التي أردتها وخططتها وخلقتها بل التي بصقتها واستفرغتها

بلا عبقرية أو موهبة أو إبداع أو فكرة أو منطق أو نظافة بل بلا عقل أو كرامة أو شهامة أو حياء أو رحمة. . ؟

أو أن يقول: «وما خلقت الجن والإنس إلا لكي يمارسوا الجنس بالأساليب الفضاحة الوقحة لتكون مشاهدتي لذلك تعويضاً لي عن حرمانى الجنس بل عن حرمانى الشامل. . .» .

أما أن يقول هذا الكائن أي أن تقول أنت يا إلهي:

«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. . .» .

فهذه فضيحة عقلية ونفسية وأخلاقية بل ولغوية تعبيرية لا تجرؤ على منافستها جميع الفضائح حتى ولا جميع فضائح كل القيادات والزعامات والنبوات والعبقریات والشاعريات العربية حتى ولا فضائح جميع الثوريين العرب. . !. إن جميع مفسري الفضائح وعاشقيها وفاعليها لن يستطيعوا أو يجرؤوا أن يفسروا أو يقبلوا أو يغفروا هذه الفضيحة، فضيحتك يا إلهي بقولتك هذه. !

. . اسمعي أيتها الآذان، يا كل الآذان. اسمعي. وهل تطيقين أن تظلي آذاناً أو أن تغفري لمن أرادك وصنعك آذاناً لو سمعت هذا، لو سمعت هذا الكائن أي لو سمعت إلهي يقول بكل الفرح والإعجاب وإرادة الإعلان عن مجد الكبرياء:

«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. . ؟

هل تصدقين أيتها الآذان أي غير العربية أن إلهي أو أي كائن آخر قال هذا؟

. . أيتها الآذان البائسة المفجوعة أبداً، هل سمعت في كل تاريخك إنساناً يقول بكل صوته من فوق كل منابر:

«وما اقتنيت وربيت وحشدت واستولدت الذباب والصرصار والبعوض وجميع الحشرات والحيوانات في ثيابي وسريري وبيتي إلا لكي تطهرني وتنظفني وتعالجني وتجميلني وتقول في القصائد والمدائح والأناشيد وتصنع لي الفرح والسعادة والمجد والانتصارات. . ؟». ولو أن أي إنسان أو كائن قال مثل هذا فهل يستطيع أن ينافس إلهي في قوله: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. . ؟». وهل قلت هذا حقاً؟ ألا يكون أعداء العرب قد دسوه عليك لتشويه العرب لتشويه إلههم؟

. . إني يا إلهي أكرر نصائحي وتحذيري لك من أن تجرؤ على محاولة معاتبتني أو محاسبتني أو اتهامي بإنكاري أو رفضي لوجودك أو بعجزتي عن رؤيتك أو عن الاقتناع

بوجودك. . إنك لو عرفت يا إلهي حوافزي الصديقة الرفيقة الرحيمة نحرك وبك ولك التي جعلتني أنكر وأرفض وجودك بل وأتمزق خجلاً وعاراً وانفجاعاً من وجودك بل ومن افتراض وجودك، تحت الظروف والأسباب والمعاني والتفاسير والصيغ التي أزعج وأريد فيها وجودك.

- نعم، يا إلهي إنك لو عرفت ذلك أو شيئاً منه لانتحرت أو لمت أو لهربت من ذاتك ووجودك وكونك، أو لوجب أن تفعل ذلك، خجلاً وتائماً من العذاب والمقاساة التي فعلتها وأنزلتها بي رغبتني في احترامك وتنزيهك وتكريمك وتبرئتك وإخراجك وإنقاذك وتنظيفك من كل الأوحال والعار والآثام والقبح والإهانات بل والمهانات التي لا بد أن يغرقك فيها ويجللك بها وجودك. !

نعم. إني أحذرك يا إلهي من أن تحاول معاتبتني أو محاسبتني أو اتهامي بأي شيء من ذلك أو بأي شيء آخر.

. . إني حينئذ سأقول لك كل هذا الذي سمعت. بل سيكون كل هذا هو بعض وأخف ما لا بد أن أقوله لك حينئذ. . !

. . والسلام عليك يا إلهي وعلى كل من استتر وتوقر واتعظ وعرف الفرق بين الجدل والهزل وبين الصدق والكذب وبين وعيد السماء التي لم تعبر أو تعرف أي طريق لها إلى الأرض ووعد الأرض التي كل طرقها مفتوحة على السماء وموجهة مسددة إليها وعليها. !

ولكن كيف أرجوك أن تفهم شيئاً مما أقول لك وأنت لم تستطع أن تفهم أن قولك: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» يعني حتماً أنه ليست لك أية أغراض أو أهداف فنية أو جمالية أو أخلاقية أو عطائية فيما تريد وتدبر وتفعل بل أنانية عدوانية غبية صيانية وقحة. وقحة؟

كيف لم تخف نياتك حين كانت هذه نياتك فيما تريد وتفعل؟
هل هي بلاهة وبلاهة أم وقاحة أم هما معاً؟ أليس كشف النيات أحياناً أقيح وأوقح من كشف العورات؟ ما أفضح أن تقرأ وتفسر وتفهم يا إلهي؟

ما أعجز من يحاول أن يفهمك أو يعقلك أو يقبلك أو يحترمك أو يفسرك. !
. . آه يا إلهي كم تصنع لي العذاب والحرص والضيق لأنني أريد ولأنني مصمم أن أدافع عنك وأبرئك وأنظفك من كل ما أكره وأرفض وأنكر وأحتقر. . !

كم يصنع لي العذاب والحرج والضيق أن أجرؤ على القول لك :

بأن كل الذين آمنوا ويؤمنون ويدعون إلى الإيمان بوجودك لم يريدوا أو يفهموا من وجودك ومن تفاسير وجودك ومن الإيمان بوجودك إلا ما يريدونه ويفهمونه من وجود الخبز والطعام والمأوى والسرر والملابس والمال في أيديهم وأفواههم ولأجسادهم . .

. . وبأنه لن يوجد أي تفسير لإرادتهم وجودك إلا التفسير لإرادتهم أن يجدوا الخبز والطعام والمأوى والسرر والكراسي والثياب . . وبأنهم لا يحترمونك ويحترمون وجودك إلا بالتفاسير التي يحترمونها بها الأسباب والوسائل التي تقدم لهم أو التي يظنون ويريدون أن تقدم لهم الخبز والطعام والثياب والكراسي والسرر والمنازل وممارسة الجنس . إنهم لن يجدوا أو يريدوا تفسيراً أو هدفاً لوجودك أفضل أو أذكى أو أنظف من التفسير أو الهدف الذي يريدونه أو يجدونه في الجنس وفي ممارستهم له !

. . وبأنهم لم يجدوك أو يريدوك أو يحترموك أو يروا جمالك ورحمتك ونبلك إلا لأنهم جياع ، جياع إلى الخبز والطعام والبيوت والسرر والكراسي والكسل والأمن والجنس والقبح والكذب . . إلا لأنهم محكوم عليهم بالجوع والخوف والعري والبرد والضياع والموت والجبن والكذب والغباء والنفاق والدماصات . .

. . وبأنهم أي المؤمنين بك وبوجودك لم يريدوا أن يجدوك جمالاً أخلاقياً أو عقلياً أو نفسياً أو فنياً أو حتى جسدياً ولا أن تهبهم شيئاً من ذلك ولا لأنك ذلك أو شيء من ذلك ولكن لأنهم وجدوك أو تصوروك أو سمعوك أو لفتوك جحيماً أو فردوساً مزدحماً بالجواري والغلمان والشهوات الوقحة المذلة . ولكن أليست كل الشهوات وقحة مذلة ؟ أليست كل قيم الحياة وتفاسيرها لا تساوي أو تعني إلا البحث عن الشهوات والحصول عليها والنضال للحصول عليها وممارستها بكل الأساليب وأوقح الأساليب ؟

إذن ماذا تساوي الحياة بكل قيمها وتفاسيرها وعبقرياتها ونضالها ؟ تساوي أن نستهي بعذاب ووقاحة وأن نستجيب لشهواتنا بعذاب ووقاحة أو نعجز عن الاستجابة بعذاب وأنين وبكاء ومذلة . . إنها أي الحياة لا تساوي أو تعني بكل معانيها ونماذجها وتحليقاتها إلا الجوع والرد عليه أي الاستجابة له بكل المذلة والهوان والافتضاح بل والبكاء أحياناً أو دائماً . إن الحياة ليست إلا جوعاً ، وإن الإنسان هو أبشع هذا الجوع !

أليست المسرات والضحكات والنشوات الراقصة المغنية دموعاً وآهات وأنات جاءت بلغة وتعبيرات أخرى أي بتعبيرات مخادعة منافقة كاذبة ممثلة أو مخدوعة مكذوباً عليها منافقاً ممثلاً بها ؟

.. نعم، لأنهم تعلموك وقرأوك مالكاً فردوساً تخجل وتعجز كل مستويات وفنون وشروط الذكاء والعقل والوقار والجمال والخجل والتصور عن تصويره لبشاعة ورداءة تفاسيره وأهدافه وأسبابه ونتائجه وممارساته .

.. فردوساً تدعر خجلاً واستقبحاً كل تفاسير الإنسان من تصويره ومن القراءة عنه، فكيف معاشته أو ممارسته؟ كل العار والقبح للإله أو للإنسان الذي تصور هذا الفردوس وتصور سكانه يمارسون حورياته وغلمانه ويمضغون كسلهم وتفاهاتهم. !

.. وأيضاً تعلموك وقرأوك مالكاً جحيماً يتورع جميع المتوحشين والمجرمين والطغاة والأبالسة عن الاستماع إلى أوصافه وعن التصديق بوجوده أو بإمكان وجوده، فكيف التعذيب والمعاقبة به. !؟

إن كل التصورات الوحشية الهمجية لا تستطيع أو تجرؤ أن تصعد أو تهبط إلى تصور هذا الجحيم الذي تعلموك وقرأوك وفسروك مالكاً له مباحياً بامتلاكه وبياراته وتخطيطه وإخراجه وبالإنفاق على إنشائه وعلى حراسه وموظفيه. . سعيداً فرحاً بالتعذيب فيه وبإعداد جميع أجهزة التعذيب فيه. !

إنه لن يهجي أو يتهم الإله أو الإنسان أو أي كائن بشيء مثل أن يقال إنه هو الذي استطاع أن يتصور هذا الجحيم وأن يعلن عن تصويره أو ذكاء أو عبقرية أو شاعرية أو أخلاقية في هذا الوجود أو في أي وجود آخر. ؟

إذن هل اقتنعت يا إلهي بهذه التفاسير لإيمان المؤمنين بوجودك ولإرادتهم لوجودك وإعلانهم عن وجودك؟ إذن لا بد أن تكون فجيعتك موجهة. وكم أتمنى لك ذلك.

لأن الانفجاع أي الفكري والنفسي والأخلاقي شيء لا بد منه للتغيير والتصحيح والتجاوز إلى الأفضل. وهل يكون عظيماً من لا يقاسي هذا الانفجاع؟

.. إذن هل يمكن أن تظل راضياً أو أن ترضى عن الإيمان أو عن المؤمنين بك، بوجودك، أو أن تذهب تطالب بالإيمان بوجودك أو ألا تفجع إذا وجدت من يؤمنون بوجودك؟ لا أحسبك ستكون شيئاً مما أنهاك عنه مهما قيل عن سذاجتك وغفلتك وتغفيلك بل مهما جربت سذاجتك وغفلتك وتغفيلك. !. إن ضخامة سذاجتك وغفلتك وتغفيلك يا إلهي لن تجعلك تعجز عن الاقتناع بصدق صداقتي لك وغيرتي عليك لهذا أنتظر أن تتقبل كل ما أقوله لك أمراً أو ناهياً. !

.. إذن يا إلهي الكسير القلب والكرامة والكبرياء أليس من حقدك بل ومن واجبك في الدفاع عن النفس والسمعة والشرف والكرامة والكبرياء أن ترسل الأنبياء وتنزل الكتب

بل والزبانية للنهي والزجر عن الإيمان بوجودك ولتهديد ولعن كل من يؤمنون بوجودك ولا ينزال كل الصواعق والشهب عليهم، وأيضاً لتقديم أجزل الثناء والشكر والحب والعطاء وكل الوعود الجميلة لمن يغسلون ضميرك وقلبك وعينيك وأخلاقك وفكرك وفنك من أحوال ووقاحات ودمامات وسفاهات هذا الوجود؟ هل يستطيع تصور قبح ذات تحمل كل بشاعات هذا الكون فوق ظهرها بل فوق وجهها وجلدها ولسانها؟ هل تستطيع عيون الحشرات رؤية ذلك؟

. . أما أنا يا إلهي فقد تنازلت عما أستحق من جزاء وشكر لدفاعي عنك أي بنفسي ورفضني لوجودك إذ لا يمكن الدفاع عنك مهما كانت عبقرية ونزاهة ومحبة وإخلاص المدافع إلا برفض ونفي وجودك. . لأنني بكل الصدق حينما دافعت عنك أي بنفسي وجودك لم أكن أدافع أو أنوي الدفاع عنك بل لقد كنت أدافع وأنوي الدفاع عن عقلي ومنطقي وضميري وكرامتي وإرادتي ورؤيتي الغاضبة المصدومة المفجوعة.

نعم يا إلهي كيف لم تعرف أو تعتقد أن المنكر لك ليس إلا محباً وصديقاً منزهاً وإن المؤمن بك ليس إلا نذلاً وقحاً عدوانياً لا يحمل لك أي حب أو احترام بل هو طامع خائف وصولي كأنه أحد شعراء الخلفاء والسلاطين العرب؟

سؤال لم يسمعه العالم

إنه سؤال لم يسأله أحد من العالم مع أن كل الهوان لكل العالم ألا يتعذب بتساؤله الدائم كل من في العالم لم يسأله أحد من العالم بالتفاسير والنيات التي يجب أن يسأل بها. . . !

يقول هذا السؤال بكل الاحتراق والغيبز والغضب والانفجاء: لماذا أيها العالم وجدت. ووجدت كما وجدت؟ بأي منطق أو تدبير أو تفسير أو عبقرية أو أخلاقية. . . إنسانية أو إلهية أو طبيعية. . . شيطانية أو ملائكية وُجدت ووجدت كما وجدت؟ كيف جاءت الفكرة أو الرغبة في وجودك أو إيجادك ومن أين جاءت أي الرغبة والفكرة؟ ما الأسباب والأهداف والحوافز التي وجدت ووجدت كما وجدت من أجلها. . .؟ ما هي الرؤية والحسابات الفنية والجمالية التي أوجدت بذلك؟

هل وجدت بالصيغة التي لا يعقل أو يستطاع أو يحتمل غيرها ومن الذي حكم وحكم في ذلك؟

هل وجدت أي كما وجدت من أجلك أم من أجل موجودك إن كان لك موجود أو تقبل أي موجود أن يكون لك موجوداً أم من أجل ولسعادة أي كائن آخر. . . ! هل يمكن إيجاد الشيء من أجل نفسه أي أن يكون الموجود هو الموجود من أجله والموجود من أجله هو الموجود؟

هل وجدت أيها العالم أي وكما وجدت بإرادتك واختيارك لصيغة وجودك وباقتناعك بمزايا ومنطقية وأخلاقية وجودك وصيغ وجودك!

أليس هذا يعني أنك أيها العالم قد وجدت وعرفت مزايا ومنطقية وأخلاقية وجودك واقتنعت ورضيت بها قبل وجودك؟!

إذن أيها العالم يا كل العالم لقد رأيت وفهمت ورضيت واخترت وجودك قبل وجودك؟

إن هذا ليس اتهاماً لك وإنما هو إقرار واعتراف بذكائك أو غبائك بكرامتك أو هوانك. !

ولكن لا . لقد وجدت يا كل العالم دون أن تدري أو تريد أن ترى أو تختار . لقد وجدت بأوقع وأجهل وأسفه وأطغى أساليب وتفسير ومعاني العدوان والإكراه والفرض والتوريط . !

إن كل عدوان وإكراه وفرض وتوريط تعلن أنت أنك لا بد أن تقاومه بكل السلاح ، وبكل شيء غير السلاح لن يكون شيئاً لو حوسب بما في وجودك أو إيجادك من ذلك . بل إن وجودك أو إيجادك هو الذي أوقع ويوقع بك كل ذلك أي كل العدوان والاستعباد والإكراه والتوريط . لقد وجدت مفعولاً بك أو فاعلاً بك وجودك لا فاعلاً لوجودك . . مفعولاً بك وبوجودك لا فاعلاً لوجودك ولا فاعلاً لك وجودك . . لقد فعل بك وبوجودك وأنت غائب . غائب بلا أي معنى من معاني الحضور وبلا أي حساب أو احترام أو قراءة أو رؤية أو مساءلة أو استماع لك . . لأي معنى من معانيك لإرادتك أو اختيارك . . لموافقتك أو مخالفتك لتقبلك أو رفضك . . لرضاك أو غضبك . . لإسعادك أو إشقاك . . لعظمتك أو تفاهتك . . لتكريمك أو تحقيرك . .

للمعود أو للهبوط بك . . للذهاب بك إلى الجحيم أو إلى الفردوس المقروء عنهما في صحف السماء المكتوبة بأقلام الملائكة والأنبياء . . ! لقد ألقيت في وجودك وألقي فيك وجودك بأقبح وأوقع صيغ وتفسير الاغتصاب . !

. . لهذا أيها العالم كم أنا مفجوع . مفجوع بك ولك ومن أجلك . وكم يجب أن يفجع بك ولك ومن أجلك كل شيء وكل أحد . !

لأنك تقبلت ورضيت وأقتنعت وشكرت واستسلمت وعبدت وتعبدت لوجودك ولمن زعمته الموجد لك . .

. . لأنك تبلدت وهنت كل هذه البلادة وكل هذا الهوان . . !

إنك أيها العالم لم تبدل أو تهن في شيء مثلما تبلدت وهنت في هذه القضية وأيضاً في كل القضايا الأخرى المتصلة بوجودك . !

إنك لم تكن في أية قضية من قضايا وجودك ذكياً أو شهماً أو حراً أو كريماً .

. . لقد تقبلت بكل التعب والتبذل والاستسلام بل والرضا والإعجاب والشكر والامتداح أن يفعل بك وجودك وأن تفعل بوجودك دون أن تحضر أو تشارك أو تعرف أو ترى أو تستأذن بأي تفسير أو أسلوب أو قدر من الحضور أو المشاركة أو الرؤية أو المعرفة أو الاستئذان!

هل يمكن أن يعرف أو أن يتصور هوان أو بلاذة أو انهزام أو استسلام مثل هذا؟
لقد حولت من فرض عليك وجودك بكل هذا الإذلال والاستعباد والهوان والفضح والافتضاح إلى إله زعمته ورأيته كل الحب والجمال والنبيل والشهامة .!
. . كيف أيها العالم لم تستطع أن تفهم ما لا يستطيع العجز عن فهمه؟ أين ذهبت كرامتك وحريرتك وذكاؤك وكبرياؤك؟

إنك أيها العالم لتعلم وتعلن وتقول دائماً بكل الصراخ والمباهاة ولغات الكبرياء بكل أجهزتك وألسنتك وبكل أصوات ولغات وكبرياء ألهمت وأنبأك: إن كل مزاياك وأمجادك وبسالاتك وانتصاراتك في أن تكون حراً مريداً مختاراً وفي أن كل طاقاتك واهتماماتك وعبقرياتك وبسالاتك محولة ومفروض أن تحول إلى كل أنواع الأسلحة لمقاومة وتدمير وهزيمة كل أساليب ومعاني الإكراه والاستعباد لك والفرض عليك والفعل بك ما لا تريد أو تدري أو تختار أو ترضى . . !

هل فعل بك أو بأي شيء أو يمكن أن يفعل بك أو بأي شيء مثلما فعل بك وجودك بكل ما فيه من أساليب ومعاني الاغتصاب والاستبداد والإذلال والقهر والتحكم الفاجع لكل العيون والعقول والضمائر القارئة المحدقة في أي شيء منك؟

. . أيها العالم، يا كل العالم الصاعد فوق الأقمار والهابط تحت كل الحضيض .
الصانع لكل الحضارات وأيضاً لكل البداوات والجهالات . .

يا كل هذا العالم . هل تساءلت عن شيء من ذلك أو فكرت في شيء منه . أو هل استحييت أو فجعت لأنك جئت كذلك . بكل هذا التبذل والاستسلام لكل أنواع وأساليب الفعل بك؟ أليس كل وجودك وأفعالك فعلاً بك مهما حسب فعلاً منك؟

أيها العالم الكبير . الكبير في حجمه والصغير . الصغير جداً في تفاسيره وفي كل رؤاه وقرآته ومحاوراته . . كيف صمت كل هذا الصمت عن هذا التساؤل وعن التفكير فيه وعن التعامل معه بشيء مما يجب التعامل به معه؟

هل كان صمت تعمد وهرب أم صمت بلادة وخمول . . صمت عجز أم رهبة؟
ما أقسى وأكثر وأكبر وأصعب وأعظم الأشياء التي يجب ويفترض الالتزام بالتعامل
بها معه أي مع هذا التساؤل؟

إذن أيها العالم هل صمت هذا الصمت عن هذا التساؤل لأن التعامل معه كما يجب
وفيتراض لا يطاق. بل ولا يقبل. ولأن الصمت عن التساؤل يعني الصمت أو يغفر
الصمت عن هذا التعامل أي في حساباتك ومنطقك وتفاسيرك بنفسك ولكل معاملتك؟
آه. إنه سؤال صغير. صغير. ولكنه كبير. كبير. . !

إنه أكبر من كل جواب وتفسير وعقل وشيء أكبر من كل ألوهية ونبوة وعبقريّة
وحضارة. . !

إنه أكبر من تفاسير وطاقات وعقول كل الألوهيات والنبوات والحضارات
والعبقريات.

إنه الهازم لكل ذلك بل والنافي لكل ذلك. . لكل أسباب وجوده ولكل ما يزعم له
من قيم ومزايا. !

إنه أقسى وأقوى وأشمل تحد وهزيمة لكل ما يراد ويقال ويواجه ويرى ويفعل
ويتنظر منك ولك وفيك أيها العالم. . يا كل الأحجام في حجمه. . في حجمه الفاقد بل
المنافض لكل معاني التخطيط والذكاء والأخلاق والمواهب الفنية. . آه. لماذا جاءت
وتجيء أبداً كل الأسئلة الناطقة والصامتة أذكى وأقوى وأصدق من كل الأجوبة حتى من
أجوبة كل الآلهة والأنبياء والعلماء؟

لماذا جاءت وتجيء دائماً الأسئلة الصامتة أقوى وأذكى وأتقى وأصدق من الأسئلة
الناطقّة؟ ولماذا جاءت وتجيء أبداً الأجوبة مهزومة ذليلة مفتضحة في مواجهتها لكل
الأسئلة؟

لماذا الصمت دائماً عن الأسئلة حين وحيث يجب أن توجد الأسئلة. كل الأسئلة،
أضعف وأقسى الأسئلة؟ أليس كل شيء. كل وجود يجب بل ولا بد أن يتحول إلى
أقسى وأصعب الأسئلة التي لا جواب عنها أو لها؟

لماذا توجد وتتكاثر الأسئلة حين لا أسئلة أو حين وحيث تكون الأسئلة غبية
وسخيفة وضد كل معاني الأسئلة بل وحيث يجب ألا تكون هناك أسئلة؟

لماذا تصمت وتهرب وتخفي الأسئلة حين يجب أو يفترض أن تكون ذكية وقوية

وحاضرة وصارخة ثم تحضر وتبرز وتصرخ حين تكون غبية وساذجة وملقنة . وحين
وحيث يجب ويفترض أن تكون هاربة وصامتة ومتخفية؟

هنا لا بد أن أبرئ ذكائي بل وغبائي ، . وقاري بل طيشي من أن أتهم أيها العالم
بأنني أدعوك إلى التوقف عن الوجود عن وجودك بأي أسلوب يستطيع أن يصنع هذا
التوقف . . !

لا . لن أدعوك أيها العالم إلى ذلك مهما رجوته وتمنيته لك . .
لأنني أعلم أنني لو دعوتك إلى ذلك لكان محتوماً أن تستجيب لأنك سميع قريب
تسمع وتستجيب دعوة الداعي إذا دعاك أيها العالم . أيها العالم . !
لأنك تسمع وتستجيب لمن دعاك ويدعوك مثلما يسمع ويستجيب إله الأنبياء
والأديان . !

وحينئذ أي إذا استجبت لدعوتي هذه وفقدت وجودك أيها العالم أكون أنا الفاعل
لذلك أو المسؤول عنه . . !

ولكن ضميري ليس قوياً أو وقحاً ليستطيع تحمل ذلك أو حتى الاتهام به . !
نعم ، إن وجودك أو بقاء وجودك بكل آلامه وأثامه قد يكون نافعاً جداً . . نافعاً
لأشياء وكائنات كثيرة وكبيرة . وأيضاً لكائنات صغيرة صغيرة . !
قد يكون مسلاة وملهاة ومتعاً وفرحاً وطعاماً ورؤية لعيون الآلهة وأخلاقها
وضمائرها و فراغها وجوعها وحرمانها البائس ، اليائس ، إن كل التفاسير للآلهة لتقول
ذلك وإلا فلماذا صنعت وجودك أو لم تدمره؟

كما قد يكون نافعاً جداً لكائنات كثيرة أخرى . . قد يكون نافعاً لها بأساليب
وتفاسير وأحاسيس وممارسات وعلاقات ونيات كثيرة وعديدة . . !

قد يكون نافعاً بكل التفاسير للجرائم والحشرات وغيرها . !
لهذا لا يستطيع ضميري أن يتحمل حرمان الآلهة وحرمان هذه الكائنات الأخرى
من منافع وعطايا وجودك لها أيها العالم . !

ما أقسى وأدوم الانفجاع لو كان أي الانفجاع يجيء مساوياً لأسبابه أو حين وحيث
يجب ويتنظر أن يكون . أن يجيء . !

ما أفساه، أفساه حينئذٍ وأدومه، أدومه . !

ولكن الأشياء لا تجيء كما يجب ويعقل وينتظر أن تجيء لهذا فقد الانفجاء بل مات حتى كان المعقول والمنتظر والمفروض ألا يوجد لأن أسبابه لم توجد ولا توجد ولن توجد . .

آه . آه . .

لماذا لا يوجد من يرون مهما نظروا أو من يبصرون أو يصدقون مهما رأوا ومهما ركبت فيهم ولهم كل العيون الصناعية . بل والعلمية؟ لماذا لا يوجد من يلتزمون ويصدقون مهما آمنوا ومهما وجد من يؤمنون ومن يلعنون بل ويقاثلون من لا يؤمنون؟ . . لماذا لا يوجد من يفهمون أو يسألون كما يفرض وينتظر أن يسألوا مهما فكروا أو مهما وجد من يفكرون، ولا من يفكرون مهما علموا وعرفوا واقتنعوا واعتقدوا ومهما وجد من يفعلون ذلك، ولا من يفكرون مهما فكروا؟

. . لماذا لا يوجد من يقرأون أو يكتبون أو يفسرون مهما تحول كل شيء إلى أفلام مكتوب بها وإلى صفحات مكتوبة وإلى مداد للكتابة وإلى عيون وأيد قارئة كاتبة وإلى تفاسير، تفاسير؟ لماذا لا يوجد هؤلاء كلما وجد هؤلاء أو مهما وجد هؤلاء؟ لماذا؟ لماذا؟

الفهرس

- ١ - أنعاك وأعتذر إليك أيها المولود بلا مكان أو مجتمع أو انتماء ٥
- ٢ - ستعرف يا إلهي أنني أنا الصديق الوحيد لك في هذا العالم ١١
- ٣ - إنها محاكمة للإنسان . . براءة للإله ١٥
- ٤ - الآن لنبدأ الحوار فكن ذكياً قوياً شجاعاً ٣٥
- ٥ - العقاب عجز والثواب احتيال واحتياج ١٠٥
- ٦ - الجحيم والفردوس ثواباً وعقاباً ١١٩
- ٧ - أنت كل العقل لأنك كل الجنون ١٢٧
- ٨ - عاقبني بجحيمك لئلا تعاقبني بفردوسك ١٧٩
- ٩ - في الفردوس تتجمع كل أسباب الشر والعرب وعبيدهم في الدين هم كل سكان الفردوس ٢٨١
- ١٠ - حديثك عن غلمان الفردوس تحريض على الشذوذ الجنسي واتهام لك ولمن خاطبت بذلك ٢٩٩
- ١١ - الأنبياء سكارى في مضاجع الحوريات وأبناؤهم وآباؤهم في الجحيم يحترقون . . هل تصدقون؟ ٣٤١
- ١٢ - لماذا في هذه الذات والصيغة أردتني ووضعتني يا إلهي؟ ٤٧٣
- ١٣ - كم تأخذ منا يا إلهي؟ ٥٢٥

- ١٤ - هل تعطي يا إلهي تعويضاً عن أخذك منا؟ ٥٣٥
- ١٥ - من يربح من وجودك وهل تربح أنت من وجودك أو من أي وجود ٥٥٥
- ١٦ - رسالة إنسانية إلى ضميرك يا إلهي ٥٩٧
- ١٧ - اسكت يا إلهي وإلا فسأقول ٦١٩
- ١٨ - سؤال لم يسمعه العالم ٦٣١

هذا الكتاب

اقرأ القصيمي، لا تقرأوا الآن إلا القصيمي. يا ما حلمنا أن
نكتب بهذه الشجاعة! يا ما هربنا من قول ما يقول! يا ما روضنا
أنفسنا على النفاق، وتكيفنا، وحطمنا في أنفسنا الحقيقة، لكي
نتقي شر جزء مما لم يحاول القصيمي أن يتقي شر قوله في
كتبه. ويهجم على الكلمة هجوم البائع الدنيا بكلمة. . .

ولا يرتاح له عَصَب. ولا يتراجع منه اللسان. ولا تصدقه عيناك!
أعربي، تتساءل ء هذا القائل هذا؟

أنسي الحاج

